كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ احد الآباء اليسوعيين

الجزء الاول

في

الروايات الادبيَّة

المطبعة الكاثوليكية
للآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٨٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتغنّى بشكر آلائه خلائقهُ . وتسبّح لهُ من المعمور مغاربهُ ومشارقهُ . ويشهد بوحدانيّته صامت الكون وناطقهُ . حمدًا تستدرّ بهِ نعماؤه . ويستدام بهِ عطاؤه

وبعدُ فلما كان كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني كآلة فرحٍ وسرور . طال نزاع النفس الى ان تجسّ اوتارها . وتقضي من تلك النغمات اوطارها . فصرفنا قطعةً من الزمان في اختيار ارخمها واطربها . وانتقاء اجودها واجذبها . من خير ما يليق ان تُهدى الى الاسماع لذّته . والى العقول حكمته . ألا وهو الكتاب الذي طار ذكره في البلاد . ولهج بحديثه كل رائح وغاد . وانتجع روضه كل مرتاد

اقول ويُغنينا عن استيعاب وصفه ما قالهُ فيهِ مؤلفه . وهذا هو بنصّهِ الشائق . ومبناه الانيق الفائق . قال انه « جمع فيهِ ما حضره وأمكن جمعه من الاغاني العربيَّة قديمها وحديثها . ونسب كل ما قاله منهـا الى قائل شعره وناظم لحنه » . الى ان يقول : « واعتمد في هذا على ما وَجدَ لشاعره او مغنّيه او السبب الذي من اجله قيل الشعر او صُنِع اللحن خبرًا يُستفاد . . . . . واتى في كُل فصل بنُتَف تشاكلهُ ولُمع تليق بهِ وفِقَر اذا تأملهـا قارئها لم يزل متنقلًا بها من فائدة الى مثلها ومتصرّفًا بهـا بين جدّ وهزلٍ . وآثار واخبـار . وسِيَر واشعار . متصلة بايام العرب المشهورة . واخبارها المأثورة . وقصص الملوك في الجاهلية . والخلفاء في الاسلام . تجمُـل بالمتأدبينَ معرفتها . ويحتـاج الاحداث الى دِراستها . ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها . اذ كانت منتحلة من غرر الاخبار . ومنتقاة من عيونها . ومأخوذة من مظانّها . ومنقولة عن اهل الخبرة بها »

فلا جرم ان كتابًا هذه صفته . تستصبي القلوبَ مطالعته . ولكن كيف الوصول اليه وهو كالتبر في معدنه . واللؤلوء في صدفهِ . فانَّ صاحبه ملأهُ بالاسانيد وشحنه باسماء الرواة ومختلف

الروايات مما يصدِف عنهُ السامع . ويضيق دونه صدر المطالع . فاستخرجنا جواهره . وانتقينا اطايبه واخايره . وجلُّ القصد ان نتحف طلّاب البلاغة بكتاب يرشدهم الى سعة اللغة العربيَّة في التعبير عن الوجدانيات والافصاح عن حركات النفوس على اختلاف المقامات وصنوف المخاطبات . فلكثُرَ ما سمعنا الكتّاب من اهل هذا الزمان يشكون خلوَّ اللغة عن ذلك مع انَّ اسفار اهلها طافحة بهِ . واذا قُرنت بهذه الملاحظة أَغنت القارئ وأَمدَّته بكل ما يحتاج اليهِ في الانشاء والتعريب

ذلك وانَّ ابا الفَرَج المشار اليهِ من ابرع اهل العربيَّة وادقّهم علمًا بمواضع اللفظ وارجبهم فهمًا برونق التأليف . فاذا نظرت الى كلامه كلمةً كلمةً حسبتهُ جواهر يشُبُّ بعضها بعضًا . أَلا وهو البليغ الذي لم تكسر الفهاهةُ معنًى خلج في صدره . والفصيح الذي لم تحجب اللكنة خاطرًا دار في خَلَده . فايُّما خاطرٍ خطر لهُ وايُّما معنًى تصوَّره ابرزه كاسيًا بحلَّة البيان . وتلك وما ينِدُّ عن علمك غايةٌ قلَّ من انتهى اليها . هذا ومن ابدع ما امتاز بهِ الكتاب خلوّ عبارتهِ عن الحشو والتطويل وهو من ذلك بحيث اذا حذفتَ كلمة من احدى عباراته فكأَنما قطعت من الكفّ اصبعًا .

او قلعتَ من الوجه عيناً . ومن اجمل ما عُرف بهِ براءتهُ من عيب التكلُّف وبرودة الاستعارات وسلامته من استئسار المعنى للفظ كما هو داء الضعفاء من اهل صنعة الكتابة . فانك اذا تصفحتهُ من اوَّله الى آخره فلا ترى صاحبهُ فدى لفظةً استفصحها او سجعة استحسنها بمعنًى من المعاني . قلتُ ذكرنا ذلك ليعلم القارئُ علوَّ مقام الكِتاب في البلاغة ورصانة العبارة

ومن حلية الكتاب المشار اليه انهُ متى طالعهُ الكاتب حدثتهُ النفس بسهولة معارضتهِ وسوَّلت لهُ الهجومَ على محاكاتهِ . ولكن اذا اجرى القلمَ تردَّى عن متن مطيَّته . فما اشبهَهُ بالنهر الغزير الصافي يراه النـاظر لصفائهِ قريب القرار . واذا خاضـهُ رأى ما يكذّب ناظرهُ . على انَّ من يُداوم مطالعته ويتحرَّى فهم تراكيبه من طريق الصنعة لا يشقُّ عليهِ بعد الدأب ان يعارضهُ فيما يكتب . فانَّ مثَل من يلازم الكتب البليغة مثَل مَن يعـاشر الرجل البليغ فهو يأخذ عنهُ وجوه الكلام وطُرُقهُ . ويذهب فيهِ مذاهبه

فهو حبُّ احياء البلاغة قد دعانا الى ان نختار من ذلك الكتـاب غرره . ونستخرج درره . نطرف بهـا فريق الادب وآله . وحزب البيـان ورجاله . وقد وسمناه بهـذا الاسم

(رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني) .و قسمناه الى جزءين الاول في اخبار المغنّين والشعراء والثاني في ايام حروب العرب في الجاهلية والاسلام . فجاء والحمد لله موردًا تتزاحم عليهِ عطاش الادب. وسراجًا ينسل للاستصباح به من كل حدَب . والله تعالى مُحقّق الآمال والموفّق الى الاكمال

ترجمة

ابي الفرج الاصبهاني

٢٨٤ — ٣٥٦ ﻫ (٨٩٦ — ٩٦٦ م)

نقلًا عن وفيات الاعيان لابن خلكان والتاريخ الكامل لابن الاثير وتاريخ ابي الفداء وكتاب كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون للحاج خليفة وكتاب النجوم الزاهرة لابي المحاسن بن تغري بردي وعن نسخة خطيَّة من كتاب الاغاني

هو ابو الفرج عليّ بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن ابن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الامويّ الامام العلّامة الكاتب الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني. وجدُّه مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بني اميَّة. وكان مولده في خلافة المعتضد بالله وهو اصبهاني الاصل بغدادي المنشإ. سمع الحديث وتفقَّه وبرَع واستوطن مدينة السلام من صباه. وكان من اعيان ادبائها وافراد مصنّفيها . روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم. وكان اخباريًّا نسَّابة شاعرًا. وكان على أمويَّتهِ متشيّعًا . قال ابن الاثير : وهذا من العجب . وكان عالمًا بايام النــاس والانساب والسيَر

قال التنوخيّ: ومن المتشيّعين الذين شاهدناهم ابو الفرج الاصبهاني. كان يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسنــدة

والنسب ما لم أرَ قط من يحفظ مثله . ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو والخرافات والسيَر والمغازي . ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة . ونُتَف من الطبّ والنجوم والاشربة وغير ذلك . ولهُ شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء الشعراء . ولهُ المصنفات المستملحة . منها كتاب الاغاني هذا الذي وقع الاتفاق على انهُ لم يُعمل في بابه مثله

قال ابو محمد المهلّبي (١) : « سألت ابا الفرج في كم جمَع هذا . فذكر انه جمعهُ في خمسين سنة وانهُ كُتب في عمره مرة واحدة بخطه واهداه الى سيف الدولة فانفذ له الف دينار . ولما سمع الصاحب بن عبّاد (٢) قال : لقد قصّر سيف الدولة وانهُ ليستحقّ اضعافها اذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة . فهو للزاهد فاكهة . وللعالم مادّة وزيادة . وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة . وللبطل رُجلة وشجاعة . وللمضطرب رياضة وصناعة . وللملك طيبة ولذاذة . ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف

(١) هو ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون الاسدي المهلّبي . استوزر لمعزّ الدولة ببغداد . سنة ٣٣٩ هـ (٩٥١ م) وكانت وفاتهُ بالبصرة سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م)

(٢) هو ابو القاسم اسماعيل بن عبّاد الطالقاني . كان نادرة الدهر واعجوبة العصر في فضائله ومكارمه . وانما لقّب ابو القاسم بالصاحب لانهُ كان يصحب ابا الفضل بن العميد . ثم أُطلق عليهِ هذا اللقب لمّا تولّى الوزارة . بل قيل لانهُ صحب مؤيّد الدولة بن بويهِ منذ صباه فاستوزرهُ . ولما توفي مؤيّد الدولة استولى على المملكة اخوه فخر الدولة فأقرّ الصاحبَ على وزارته . وتوفي الصاحب سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٦ م)

وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غيره . ولقد عنيتُ بامتحانه في العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزّ عن اسماع من قرّفهُ بذلك قد اورده العلماء في كتبهم ففــاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه . ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه في سفره ولا حضره . وقد بيعت مسودّته بسوق بغــداد باربعة آلاف درهم». وذكر ابن خلكان ان ابن عبَّاد كان يستصحب في اسفاره حمل ثلاثين جمل من كتب الادب. فلما وصل اليهِ هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائهِ عنها (١)

ومن مصنَّفات ابي الفرج كتاب نزهة الملوك والاعيان في اخبار القيان

---

(١) وقد اختار من كتاب الاغاني جماعة . منهم الوزير الحسين بن عليّ بن حسين ابو القاسم المعروف بابن المغربي المتوفّى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م)

ومنهم القاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحمويّ المتوفّى سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م). قال عنهُ ابو الفداء وكان قد درس عليــهِ « واختصر الاغاني اختصارًا حسنًا . . . . وصحّحتُ عليهِ اسماء من له ترجمة من كتاب الاغاني »

ومنهم ابو القاسم عبد الله المعروف بابن ناقياء الكاتب الحلبي المتوفّى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م). قال عنهُ ابن خلكان : « واختصر الاغاني في مجلد واحد »

ومنهم الامير عزّ الملك محمد بن عبد الله بن احمــد الحرّاني المسبّحي الكاتب المتوفّى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) . قالـــ عنهُ ابن خلكان انهُ صنع « مختار الاغاني ومعانيها »

ومنهم جمال الدين محمد بن مكرّم الانصاري المتوفّى سنــة ٧١١ هـ (١٣١١ م) ومختاره مُرتّب على الحروف سمّاه مختار الاغاني في الاخبار والتهاني

ومنهم الرشيدي . ذكره ابن مكرّم . قال : « أُقدّم هنا حكاية وجدتها في آخر مختصرٍ من هذا الكتاب اختصرهُ الرشيديّ ابو الحسين احمد بن الرشيد بن الزُبير »

ومنهم ابن النذير . والدخوار

المغنيات الدوائل الحسان . وهو مشتمل على لطائف مستحسنة واخبار مستظرفة من اخبار القيان قديمهنَّ وحديثهنَّ وشرح احوالهنَّ . وكتاب الإماء الشواعر . وكتاب الديارات . وكتاب دعوة التجار . وكتاب مجرَّد الاغاني . وكتاب اخبار جحظة البرمكيّ . وكتاب مَقاتل الطالبيّين . وكتاب الحانات . وكتاب ادب الغرباء

وحصل لهُ ببلاد الاندلس كتب صنَّفها لبني أُميَّة ملوك الاندلس يوم ذاك وسيَّرها اليهم سرًّا وجاءه الانعام منهم سرًّا . فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس . وكتاب ايام العرب الف وسبعمائة يوم . وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وهو ذات كتاب جمهرة النسب (١) . وكتاب نسب بني شيبان . وكتاب نسب المهالبة . وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب . وكتاب الغلمان المغنين

وللاصبهاني تصانيف غيرها لم يذكرها اصحاب التراجم تيسَّر لنا ن نجمعها بالاستقراء من كتاب كشف الظنون وغيره . منها كتاب مجموع الاخبار والنوادر . وكتاب المماليك الشعراء . وكتاب اعيان الفُرس . وكتاب الفرق والمعيار بين الاوغاد والاحرار (٢) . وهو في معارضة

---

(١) ذكر ابن خلكان كتاب جمهرة النسب كأنهُ كتاب مختلف عن كتاب التعديل والانتصاف . وعندنا ان المسمَّى واحد وإنما الاسم مختلف . ويصدّق قولنا هذا ما ذكره صاحب الاغاني في ترجمة خالد بن عبد الله . قال : « وإنما نذكر هنا لمعًا . وسائره مذكور في كتاب جمهرة انساب العرب الذي جمعت فيهِ انسابها واخبارها وسميتهُ كتاب التعديل والانتصاف

(٢) وفي نسخة : الاحوار . وهو تصحيف

كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ بهِ اللقيط لابي الحسن عليّ بن عبد الله ابن المنجم . وكتاب تحف الوسائد في اخبار الولائد . وكتاب تفضيل ذي الحجّة . وكتاب الطفيليّين . وكتاب مناجيب الخصيان . وجمع ايضاً ابو الفرج ديوان ابي تمّام ولم يرتبهُ على الحروف بل على الانواع كما هو الآن في نسخة مصر . وجمع ديوان ابي نواس . وجمع ديوان البحتري ولم يرتبهُ على الحروف بل على الانواع كما فعل بديوان ابي تمّام . ولهُ ايضاً كتاب في النغم . ورسالة في الاغاني (١)

وكان ابو الفرج منقطعاً الى الوزير المهلّبي . ولهُ فيهِ مدائح . فمنها قولهُ :

ولمّا انتجعنا لائذين بظلّهِ ... اعانَ وما عنّا ومنَّ وما منّا

وردنا عليه مقترين فراشنا ... وردنا نداه مجدبين فاخصبنا

ولهُ من قصيدة يهنئهُ بمولود :

اسعدْ بمولودٍ اتاك مباركاً ... كالبدر اشرق جنحَ ليلٍ مقمرِ

سعدٌ لوقت سعادةٍ جاءت بهِ ... أمٌّ حَصَانٌ من بناتِ الاصفرِ

مُتبجحٌ في ذروتَي شرف الورى ... بين المهلّب منتماه وقيصرِ

شمسُ الضحى قُرِنَتْ الى بدر الدجى ... حتى اذا اجتمعا اتت بالمشتري

---

(١) ورد ذكر هذه الرسالة في ترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي في كتاب الاغاني . قال « والكلام في هذا طويل ليس موضعهُ هنا وقد ذكرتهُ في رسالة عملتها لبعض اخواني ممَّن سألني شرح هذا لهُ فاثبتهُ واستقصيتهُ استقصاء يُستغنى بهِ عن غيره » . وعثرنا على نصّ آخر لابي الفرج ذكر فيهِ كتاب النغم قال : « وشرحت العلل المبسوطة في كتاب أَلّفتهُ في النغم شرحاً ليس هذا موضعه »

وكتب الى بعض الرؤساء وكان مريضاً :

ابا محمد المحمودِ يا حسن م الاحسان والجود يا بحر الندى الطامي
حاشاك من عوذ عوّاد اليك ومن دواء داء ومن إلمام آلامِ

وشعره كثير ومحاسنهُ شهيرة . وكانت ولادته سنة اربع وثمانين ومائتين وهي السنة التي مات فيها البحتري الشاعر . وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد . وقيل سنة سبع وخمسين والاول اصحّ . وكان قد خُولط قبل ان يموت رحمهُ الله تعالى . وهذه سنة ستّ وخمسين مات فيها عالمان كبيران وثلثة ملوك كبار . والعالمان ابو الفرج المذكور وابو عليّ القالي . والملوك الثلاثة سيف الدولة ومعزّ الدولة بن بويه وكافور الاخشيدي . اه

هذا ولما قُبض ابو الفرج جفَّت حدائق الادب . وذوَت اشجار النسب . واصبح الادباء ايتاماً . وهانوا بعد اذ كانوا كراماً . على انَّ مَن ترك مؤلفاً مثل هذا لا يموت لهُ ذكر ولا ينقطع لهُ نشر

وما مات من ابقى لنا ذخر علمهِ وأحيا له ذكرًا على غابر الدهرِ

كِتَابُ

رَنَّاتِ ٱلْمَثَالِثِ وَٱلْمَثَانِي

فِي

رِوَايَاتِ ٱلْأَغَانِي

ابراهيم الموصليّ وابنـهُ اسحق وابن جامع

اخبر حمّاد بن اسحق عن ابيـهِ انّهُ أتى اباهُ ابراهيمَ بن ميمون يومًا مسلِمًا . فقال لهُ ابوهُ : يا بنيَّ ما اعلم احدًا بلغ من برّ ولده ما بلغتُـهُ من برّك . واني لاستقلّ ذلك لك فهل من حاجةٍ اصير فيها الى محبتك . قلت : قد كان جعلتُ فداك كلُّ ما ذكرت فاطال الله لي بقاءك . ولكني أسألك واحدةً يموت هذا الشيخ غدًا او بعد غد ولم اسمعهُ فيقول النّاس لي ماذا . وانا أحلّ منك هذا المحلّ . قال لي : ومن هو . قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بنيَّ أسرجوا لنا . فجئنا ابنَ جامع فدخل عليهِ أبي وأنا معهُ . فقال : يا ابا القاسم قد جئتك في حاجةٍ فان شئت فاشتمني وان شئت فاقذفني غير انهُ لا بدَّ لك من قضائها . هذا عبدك وابن اخيك اسحق قال لي كذا وكذا فركبت معهُ أسـألك ان تسعفهُ فيما سأل . فقال : نعم على شريطةٍ تقيمان عندي اطعمكما مَشوشة وقليّة واسقيكما من نبيذي التمر واغنّيكما . فان جاءنا رسول الخليفة مضينا اليهِ والّا

اقمنا يومنا. فقال ابي : السمع والطاعة. وامر بالدواب فردّت . فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية ونبيذ التمري فأكلنا وشربنا. ثمَّ اندفع فغنّانا فنظرت الى ابي يقلّ في عيني ويعظم ابن جامع حتى صار ابي في عيني كلا شيء. فلما طربنا غاية الطرب جاء رسول الخليفة فركبا وركبت معهما فلمّا كنا في بعض الطريق قال لي ابي: كيف رأيت ابن جامع يا بنيَّ . قلت لهُ : او تعفيني جُعلتُ فداك . فقال : اعفيك فقل . فقلتُ لهُ : رأيتك ولا شيء اكبر عندي منك قد صغرتَ عندي في الغناء معهُ حتى صرتَ كلا شيء. ثمَّ مضيا الى الرشيد وانصرفت الى منزلي وذلك لاني لم اكن بعد وصلتُ الى الرشيد . فلمّا اصبحت أرسل اليَّ ابي فقال: يا بنيَّ هذا الشتاء قد هجم عليك وانت تحتاج فيهِ الى معونة (واذا مال عظيم بين يديه) فاصرف هذا المال في حوائجك. فقمت فقبلت يده ورأسهُ وامرت بحمل المال واتبعتهُ فصوَّت بي : يا اسحق ارجع فرجعت فقال لي: أتدري لِمَ وهبت لك هذا المال. قلتُ: نعم جعلت فداك. قال: لِمَ. قلت : لصدقي فيك وفي ابن جامع . قال : صدقت يا بنيَّ امضِ راشدًا

زهد ابي العتاهية

حدَّث مخارق قال : جاءني ابو العتاهية فقال : قد عزمت على ان اتزود منك يومًا تهبهُ لي فمتى تنشَط. فقلت : متى شئتَ. فقال : اخاف ان تقطع بي. فقلت : والله لا فعلت وان طلبني الخليفة . فقال يكون ذلك في غد. فقلت : أفعل . فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته فادخلني بيتًا لهُ نظيفًا فيهِ فرشٌ نظيف. ثمَّ دعا بمائدة عليها خبز سميذ وخلٌّ وبقل وملح وجدي مشويّ

فاكلنا منهُ ثم دعا بسمك مشويّ فاصبنا منهُ حتى اكتفينا. ثم دعا بحلواء فاصبنا منها وغسلنا ايدينا وجاؤونا بفاكهة وريحان والوان من الانبذة فقال: اختر ما يصلح لك منها. فاخترت وشربت وصبّ قدحاً ثم قال: غنّني في قولي:

فيا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

فغنيتهُ فشرب قدحاً وهو يبكي احرّ بكاء ثمَّ قال غنني في قولي:

ليس لمن ليست لهُ حيلةٌ موجودة خيرٌ من الصبرِ

فغنيتهُ وهو يبكي وينشج. ثمَّ شرب قدحاً آخر ثمَّ قال: غنني فديتك في قولي:

خليليَّ ما لي لا تزال مضرّتي تكون مع الاقدار حتماً من الحتمِ

فغنيتهُ اياه وما زال يقترح عليَّ كل صوت غُني بهِ في شعره فاغنيهِ ويشرب ويبكي حتى صارت العتمة. فقال: احب ان تصبر حتى ترى ما اصنع. فجلست فامر ابنهُ وغلامهُ فكسرا كل ما بين أيدينا من النبيذ وآلتهِ والملاهي. ثمَّ امر باخراج كل ما في بيتهِ من النبيذ وآلتـهِ فاخرج جميعهُ فما زال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيء. ثمَّ نزع ثيابهُ واغتسل ثم لبس ثياباً بيضاً من صوف ثمَّ عانقني وبكى ثمَّ قال: السلام عليك يا حبيبي وفرحي من النّاس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده. وجعل يبكي وقال: هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر اهل الدنيا. فظننت انها بعض حماقاتهِ فانصرفت وما لقيتهُ زماناً. ثم تشوقتهُ فاتيتهُ فاستأذنت عليهِ فاذن لي فدخلت فاذا هو قد اخذ قوصرّتين وثقب احداها وأدخل راسهُ ويديهِ فيها واقامها مقام القميص وثقب اخرى واخرج رجليهِ منها واقامها مقام السراويل. فلمَّا رايتهُ نسيت كل ما كان عندي من الغمّ عليهِ والوحشة لعشرتهِ وضحكت والله

ضحكًا ما ضحكت مثله قطّ . فقال : من أي شيء تضحك . فقلت : اسخن الله عينك . هذا اي شيء هو . من بلغك عنهُ انهُ فعل مثل هذا من الانبياء والزهّاد والصحابة والمجانين . انزع عنك هذا يا سخين العين . فكأنهُ استحيا مني . ثم بلغني انهُ جلس حجامًا . فجهدت ان اراه بتلك الحال فلم ارهُ . ثم مرض فبلغني انهُ اشتهى ان اغنيهُ فاتيتهُ عائدًا فخرج اليَّ رسولهُ يقول : ان دخلتَ اليَّ جددت لي حزنًا وتاقت نفسي من سماعك الى ما قد غلبتها عليهِ وانا استودعك الله واعتذر اليك من ترك الالتقاء . ثم كان آخر عهدي بهِ.

مالك بن ابي السمح وحمزة بن عبد الله بن الزُّبير ومعبد

كان مالك بن ابي السمح المغنّي من طي . فاصابتهم حَطمة في بلادهم بالجبلين فقدمَت بهِ امه وباخوة لهُ واخوات ايتام لاشيء لهم . فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبير . وكان مَعبَد منقطِعًا الى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنيهِ فسمع مالك غناءه فاعجبهُ واشتهاه فكان لايفارق باب حمزة يسمع غناء معبد الى الليل فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئًا ولا يَريم موضعهُ . فينصرف الى امهِ ولم يكتسب شيئًا فتضربهُ وهو مع ذلك يترنم بالحان معبد ويؤدّيها دورًا دورًا في مواضع صيحاتهِ واسجاحاتهِ ونبراتهِ نغمًا بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر . وجعل حمزة كلّما غدا وراح رآهُ ملازمًا لبابهِ . فقال لغلامهِ يومًا : أدخل هذا الغلام الاعرابيّ اليَّ . فأدخلهُ . فقال لهُ : من انت . فقال : انا غلامٌ من طي . اصابتنا حطمة بالجبلين فحطّتنا اليكم ومعي امّ لي واخوة واني قد لزمتُ بابك فسمعتُ من دارك صوتًا اعجبني فلزمت بابك

من اجله . قال : فهل تعرف منهُ شيئاً . قال : اعرف لحنه كله ولا اعرف الشعر . فقال : ان كنتَ صادقاً انك لفهمٌ . ودعا بمعبد فامره ان يغنّي صوتاً فغناه . ثمّ قال لمالك : هل تستطيع ان تقولهُ . قال : نعم . قال : هاتهِ . فاندفع فغنّاه فأدّى نغمه بغير شعرٍ يؤدي مدّاتهِ وليّاتهِ وعطفاتهِ ونبراتهِ وتعليقاتهِ لا يخرم حرفاً . فقال لمعبد : خذ هذا الغلام اليك وخرّجه فليكونن لهُ شأن . قال معبد : ولِمَ افعل ذلك قال : لتكون محاسنه منسوبة اليك والّا عدل الى غيرك فكانت محاسنه منسوبة اليهِ . فقال : صدق الامير وأنا افعل ما امرتني بهِ . ثم قال حمزة لمالك : كيف وجدت ملازمتك لبابنا . قال : ارأيتَ لو قلتُ فيك غير الذي انت لهُ مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك . قال : لا . قال : وكذلك لا يسرُّك ان تحمد بما لم تفعل . قال : نعم . قال : فوالله ما شبعت على بابك شبعةً قط ولا انقلبت منهُ الى اهلي بخير . فامر لهُ ولامهِ ولاخوتهِ بمنزلٍ واجرى لهم رزقاً وكسوة وامر لهم بخادمٍ يخدمهم وعبد يسقيهم الماء واجلس مالكاً معهُ في مجالسهِ وامر معبداً ان يطارحه . فلم ينشب ان مهر وحذِق وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر اخي زيادة :

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي ترابٍ وجَندلِ
اذكّرُ بالبُقيا على من اصابني ... وبقيايَ اني جاهدٌ غير مؤتلِ
فلا يدعني قومي لزيد بن مالكٍ ... لئن لم اعجِّل ضربةً او اعجَّلِ
والّا أنل ثاري من اليوم او غدٍ ... بني عمنا فالدهر ذو متطوَّلِ
انختم علينا كلكل الحرب مرّةً ... فنحن منيخوها عليكم بكلكلِ

فغنّى في هذا الشعر لحنين احدهما نحا فيهِ نحو المرأة في نوحها ورقّقه

واصلحه وزاد فيهِ والآخر نحا فيهِ نحو معبد في غنائهِ . ثم دخل على حمزة فقال لهُ : ايها الامير اني قد صنعت غناء في شعرٍ سمعت بعض اهل المدينة ينشده وقد اعجبني فان أذن الامير غنَّيته فيهِ . قال : هاتِهِ فغناه اللحن الذي نحا فيهِ نحو معبد فطرب حمزة وقال لهُ : احسنت يا غلام هذا الغناء غناء معبد وطريقته . فقال : لا تعجل ايها الامير واسمع مني شيئًا ليس من غناء معبد ولا طريقتهِ . قال : هات فغنَّاه اللحن الذي تشبَّه فيهِ بنوح المرأة فطرب حمزة حتى ألقى عليهِ حلة كانت عليهِ قيمتها مائة دينار . ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليهِ فانكرها . وعلم حمزة بذلك فاخبر معبدًا بالسبب وامر مالكًا فغنَّاه الصوتين . فغضب معبد لمَّا سمع الصوت الاوَّل وقال : قد كرهت ان آخذ هذا الغلام فيتعلَّم غنائي فيدَّعيهِ لنفسه . فقال لهُ حمزة : لا تعجل واسمع غناء صنعه ليس من شأنك ولا غنائك . وامرهُ ان يغنّي الصوت الآخر فغناه فاطرق معبد . فقال لهُ حمزة : والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الايام وكلَّما كبر وزاد شخت انت ونقصت فلأن يكون منسوبًا اليك أجمل . فقال لهُ معبد وهو منكسر : صدق الامير . فامر حمزة لمعبد بخلعة من ثيابهِ وجائزة حتى سكن وطابت نفسه . فقام مالك على رجله فقبَّل راس معبد وقال لهُ : يا ابا عباد أساءك ما سمعت مني والله لا اغني لنفسي شيئًا ابدًا ما دمتَ حيًا وان غلبتني نفسي فغنيت في شعر استحسنته لا نسبتُهُ الّا اليك فطب نفسًا وارضَ عني . فقال لهُ معبد : او تفعل هذا وتفي بهِ قال : اي والله وازيد . فكان مالك بعد ذلك اذا غنَّى صوتًا وسئل عنه قال : هذا لمعبد ما غنيت لنفسي شيئًا قط وانما آخذ غناء معبد فانقلهُ الى الاشعار وأحسنهُ وازيد فيهِ وانقص منهُ

مَعبد في السفينة

كان معبد قد علَّم الغناء جاريةً من جواري الحجاز تُدعى ظبية وعُني بتخريجها. فاشتراها رجل من اهل العراق فاخرجها الى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من اهل الاهواز فأُعجب بها. ثمَّ ماتت بعد ان اقامت عنده برهة من الزَّمان واخذ جواريهِ اكثر غنائها عنها. فكان لمحبتهِ اياها وأسفهِ عليها لا يزال يسأل عن اخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب لهُ والميل اليهِ والتقديم لغنائهِ على سائرِ اغاني اهل عصره الى ان عُرف ذلك منهُ وبلغ معبدًا خبرهُ فخرج من مكة حتى اتى البصرة. فلما وردها صادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم الى الاهواز. فاكترى سفينة. وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها الى الاهواز فلم يجد غير سفينة الرجل وليس يعرف احد منهما صاحبه. فامر الرجل للملاَّح ان يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا. فلما صاروا في فم نهر الابلة تغدوا وشربوا وامر جواريه فغنينَ ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليهِ فروةٌ وخفَّان غليظان وزيٌّ جافٍ من زي اهل الحجاز الى ان غنت احدى الجواري:

لقد راعني للبينِ نوحُ حمامةٍ   على غصنِ بانٍ جاوبتها حمائمُ
هواتف أما مَن بكينَ فعهدهُ   قديمٌ واما شجوهنَّ فدائمُ

(والغناء لمعبد) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد: يا جارية ان غناءكِ هذا ليس بمستقيم. فقال لهُ مولاها وقد غضبَ: وانت ما يدريك الغناء ما هو. ألا تُمسك وتلزم شأنك. فامسك. ثمَّ غنت اصواتًا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت غناء لمعبد فاخلَّت ببعضهِ. فقال لها معبد: ياجارية لقد

اخللتِ بهذا الصوت اخلالًا شديدًا . فغضب الرجل وقال لهُ : ويلك ما أنت والغناء . ألا تكف عن هذا الفضول . فأمسك . وغنَّى الجواري مليا ثم غنت احداهنَّ

الى جيداء قد بعثوا رسولًا ليحزنها فلا صحب الرسولُ
كأن العام ليس بعام حجٍ تغيرت المواسم والشكولُ

(الغناء لمعبد) فلم تصنع فيهِ شيئًا فقال لها معبد : يا هذه أما تقوين على أداء صوتٍ واحد . فغضب الرجل وقال لهُ : ما اراك تدع هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلة . فاقسم بالله لأن عاودت لاخرجنك من السفينة . فامسك معبد حتى اذا سكتت الجواري سكتةً اندفع يغنّي الصوت الاول حتى فرغ منهُ فصاح الجواري : احسنت والله يا رجل قاعدهُ . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني . فقلن لسيدهنَّ : ويحك هذا والله احسن الناس غناء فسله ان يعيده علينا ولو مرّة واحدة لعلنا ناخذه عنه فانه ان فاتنا لم نجد مثله ابدًا . فقال : قد سمعتنَّ سوء رده عليكنَّ وانا خائف مثله منهُ وقد اسلفناه الاساءة فاصبرنَ حتى نداريَهُ ثم غنَّى الثالث فزلزل عليهم الارض . فوثب الرجل فخرج اليهِ وقبل راسهُ وقال : يا سيدي اخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال لهُ : فهبك لم تعرف موضعي قد كان ينبغي لك ان تتثبَّت ولا تسرع اليَّ بسوء العِشرة وجفاء القول . فقال لهُ : قد اخطأت وانا اعتذر اليك مما جرى واسألك ان تنزل اليَّ وتختلط بي . فقال : امَّا الآن فلا . فلم يزل يرفق بهِ حتى نزل اليهِ . فقال لهُ الرجل ممن اخذت هذا الغناء . قال : من بعض اهل الحجاز . فمن اين اخذه جواريك . فقال : اخذنهُ عن جارية كانت لي ابتاعها رجل من اهل البصرة من مكة . وكانت قد اخذت عن ابي عباد معبد وعُني بتخريجها . فكانت تحلّ مني محل

الرُّوح من الجسد ثم استأثر الله عزَّ وجل بها وبقي هؤلاء الجواري وهنَّ من تعليها فانا الى الآن اتعصبُ لمعبد وافضله على المغنين جميعاً وافضل صنعتهُ على كلّ صنعة. فقال لهُ معبد: او انك لانت هو افتعرفني. قال: لا. (قال) فضكَّ معبدٌ بيدهِ صلعتَهُ ثم قال: فانا والله معبد واليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينـة لاقصدك بالاهواز ووالله لاقصرت في جواريك هؤلاء ولأجعلنَّ لك في كل واحدة منهنَّ خلفاً من الماضية. فاكب الرجل والجواري على يديه ورجليهِ يقبلونهـا ويقولون كتمتنا نفسك طول هذا حتى جفوناك في المخاطبة واسأنا عشرتك وانت سيدنا ومن نتمنَّى على الله ان نلقاه. ثم غيَّر الرجل زيه وحاله وخلع عليهِ عدَّة خلعٍ واعطاه في وقتهِ ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها وانحدر معهُ الى الاهواز فاقام عنده حتى رضي حِذق جواريه وما اخذنهُ عنهُ ثم ودعهُ وانصرف الى الحجاز

الشاعر نصيب بن رياح عند عبد العزيز بن مروان

قال نصيب: قلتُ الشعر وانا شاب فاعجبني قولي. فجعلتُ آتي مشيخة من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة (١) ومشيخة من خزاعة فانشدهم القصيدة من شعري ثم انسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون: احسنَ والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر. فلمَّا سمعت ذلك منهم علمت اني محسن فازمعوا وازمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر فقلت لاختي أُمامة وكانت عاقلـة جلدة: أي اخية اني قد قلتُ شعراً وانا اريد عبد العزيز بن مروان وارجو ان يعتقك الله بهِ وامك ومن كان مرقوقاً من اهل قرابتي. قالت:

(١) كان بنو ضمرة موالي النصيب

انا لله وانا اليهِ راجعون . يا ابن امّ أتجتمع عليك الخصلتان السواد وان تكون ضحكةً للناس . (قال) قلتُ : فاسمعي . فانشدتها فسمعت . فقالت : بابي انت احسنت . والله في هذا رجاء عظيم فاخرج على بركة الله . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قدمت المدينة فوجدت الفرزدق في مسجد الرسول فعرجتُ اليهِ فقلت : انشده واستنشدهُ واعرض عليهِ شعري . فانشدتهُ فقال لي : ويلك أهذا شعرك الذي تطلب بهِ الملوك . قلت : نعم . قال : فلستَ في شيء ان استطعت ان تكتم هذا على نفسك فافعل . فانفضحت عرقًا فحصبني رجل من قريش كان قريبًا من الفرزدق وقد سمع انشادي وسمع ما قال لي الفرزدق فأومأ اليَّ فقمت اليهِ فقال : ويحك أهذا شعرك الذي انشدتهُ الفرزدق . قلت : نعم . قال : فقد والله اصبت ولئن كان هذا الفرزدق شاعرًا لقد حسدك فانا لنعرف محاسن الشعر فامض لوجهك ولا يكسرنَّك . (قال) فسرَّني قولهُ وعلمت انهُ قد صدقني فيما قال . فاعتزمت على المضي . فمضيت فقدمت مصر وبها عبد العزيز بن مروان فحضرت بابهُ مع الناس . فنُحيتُ عن مجلس الوجوه فكنت وراءهم ورايت رجلًا جاء على بغلةٍ حسن الشارة سهل المدخل يؤذن لهُ اذا جاء . فلما انصرف الى منزلهِ انصرفت معهُ أُماشي بغلتهُ فلمَّا رآني قال : أَلكَ حاجة . قلت : نعم انا رجل من اهل الحجاز شاعر وقد مدحت الامير وخرجت اليهِ راجيًا معروفه وقد ازدُريت فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه . قال : فانشدني . فانشدته فاعجبهُ شعري فقال : ويحك أهذا شعرك فاياك ان تنتحل فان الامير راوية عالم بالشعر وعنده رواة فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو الَّا شعري . فقال : ويحك فقل ابياتًا تذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها والقني بها غدًا فغدوت عليهِ من غد فانشدتهُ قولي :

سرى الهم تثنيني اليك طلائعهْ بمصر وبالجوف اعترتني روائعهْ
وبات وسادي ساعدٌ قلَّ لحمهُ عن العظم حتى كاد تبدو اشاجعهْ

(قال) وذكرت فيها الغيث فقلت:

وكم دون ذاك العارض البارق الذي لهُ اشتقتُ من وجه اسيل مدامعهْ
تمشّي بهِ افناء بكر ومذحج وافناء عمرو وهو خصب مرابعهْ
فكل مسيل من تهامة طيب دميث الربى تسقي البحارَ دوافعهْ
أعنّي على برق اريك وميضهُ تضيء دجنّاتِ الظلام لوامعهْ
اذا اكتحلت عينا محبّ بضوئهِ تجافت بهِ حتى الصباح مضاجعهْ
هنيئاً لامْ البحتري الروا بهِ وان انهج الحبل الذي انا قاطعهْ
وما زلت حتى قلت اني لخالع ولائيَ من مولًى نمتني قوارعهْ
ومانح قوم انت منهم مودتي ومتخذ مولاك مولى فتابعهْ

فقال: انت والله شاعرٌ احضر بالباب حتى اذكرك للامير. (قال) فجلست على الباب ودخل. فما ظننت انهُ امكنهُ ان يذكرني حتى دُعي بي فدخلت على عبد العزيز فسلمت فصعّد فيَّ بصره وصوّب. ثم قال: انت شاعر ويلك. قلت: نعم ايها الامير. قال: فانشدني. فانشدتهُ فاعجبهُ شعري. وجاء الحاجب فقال: ايها الامير هذا ايمن بن خزيم الاسدي بالباب. قال: ائذن لهُ فدخل فاطمأنّ قال لهُ الامير: يا ايمن بن خزيم كم ترى ثمن هذا العبد فنظر اليَّ. فقال: والله لنعم الغادي في اثر الخاض. هذا ايها الامير ارى ثمنهُ مائة دينار. قال: فانَّ لهُ شعرًا وفصاحة. فقال لي أيمن: أتقول الشعر. قلت: نعم. قال: قيمتهُ ثلاثون دينارًا. قال: يا ايمن ارفعهُ وتخفضهُ انت. قال: لكونهِ احمق ايها الامير ما لهذا وللشعر امثل هذا يقول الشعر او يحسن شعرًا. فقال: انشدهُ يا نصيب. فانشدتهُ

فقال لهُ عبد العزيز: كيف تسمع يا ايمن . قال: شعر اسود هو اشعر اهل جلدتهِ . قال: هو والله اشعر منك . قال: أمنّي ايها الامير . قال: اي والله منك . قال: والله ايها الامير انك لملول طَرِف . قال: كذبت والله ما انا كذلك ولو كنت كذلك ما صبرت عليك تنازعني التحية وتواكلني الطعام وتتكئ على وسائدي وفرشي وبك ما بك (يعني وضحاً كان بايمن) . قال: ائذن لي اخرج الى بشر بالعراق واحملني على البريد . قال: قد أذنت لك . وامر بهِ فحمل على البريد الى بشر . وابتاع عبد العزيز نصيباً من مواليه واعتقهُ

قدوم معبد الى المدينة وسماعهُ من المغنين وغناؤهُ لهم

قال معبد: غنيت فاعجبني غنائي واعجب الناس وذهب لي بهِ صيت وذكر . فقلت: لآتينَّ مكة فلأسمعنَّ من المغنين بها ولأغنينهم ولا تعرّفنَّ اليهم . فابتعت حمارًا فخرجت عليهِ الى مكة . فلما قدمتها بعت حماري وسالت عن المغنين اين يجتمعون . فقيل: بقعيقعان في بيت فلان . فجئت الى منزلهِ بالغلس فقرعت الباب . فقال: من هذا . فقلت: انظر عافاك الله . فدنا وهو يسبح ويستعيذ كانهُ يخاف ففتح فقال: من انت عافاك الله . قلت: رجل من اهل المدينة . قال: فما حاجتك . قلت: انا رجل اشتهي الغناء وازعم اني اعرف منهُ شيئاً وقد بلغني ان القوم يجتمعون عندك وقد احببت ان تُنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم فانهُ لا مؤونة عليك ولا عليهم مني . فلوى شيئاً ثم قال: انزل على بركة الله . (قال) فنقلت متاعي فنزلت في جانب حجرتهِ ثم جاء القوم حين اصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا فانكروني وقالوا: من هذا الرجل . قال: رجل من

اهل المدينة خفيف يشتهي الغناء ويطرب عليهِ ليس عليكم منهُ عناء ولا مكروه . فرحبوا بي وكلمتهم ثم انبسطوا وشربوا وغنوا فجعلت اعجب بغنائهم واظهر ذلك لهم ويعجبهم مني حتى اقمنــا اياماً واخذت من غنائهم وهم لا يدرون اصواتاً واصواتاً واصواتاً ثم قلت لابن سريج . اني فديتك امسك عليَّ صوتك

قل لهنــد وتربهــا قبل شحط النوى غدا

قال : أو تحسن شيئاً . قلت : تنظر وعسى ان اصنع شيئاً واندفعتُ فيــهِ فغنيتهُ فصاح وصاحوا . وقالوا : أحسنت قاتلك الله . قلت : فامسك عليَّ صوت كذا فامسكوه عليَّ فغنيتهُ فازدادوا عجباً وصياحاً فما تركت واحداً منهم الّا غنيتهُ من غنائهِ اصواتاً قد تخيرتها . (قال) فصاحوا حتى علت اصواتهم وهربوا بي وقالوا : لانت احسن باداء غنائنا عنا منا . قلت : فامسكوا عليَّ ولا تضحكوا بي حتى تسمعوا من غنائي . فامسكوا عليَّ فغنيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا اليَّ وقالوا : نحلف بالله ان لك لصيتاً واسماً وذكراً وان لك فيما ههنا لسهماً عظيماً . فمن أنت . قلت : انا معبد . فقبلوا راسي وقالوا : لففت علينا وكنا نتهاون بك ولا نعدك شيئاً وأنت أنت . فاقمت عندهم شهراً آخذ منهم ويأخذون مني ثم انصرفت الى المدينة

ابن الاهتم يحبّب الزهد الى هشام

حدَّث خالد بن صفوان بن الاهتم قــال : اوفدني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك في وفد اهل العراق فقدمت عليهِ وقد خرج بقرابتــهِ وحشمهِ وغاشيتهِ وجلسائهِ فنزل في ارض قاع صحصح منيف أفيح في عام قد

بكر وسميُّه وتتابع وليّه واخذت الارضُ زينتها على اختلاف الوان نبتها من نَور ربيع مونق فهو في احسن منظر واحسن مختبر. واحسن مستمطر . بصعيد كأنّ ترابهُ قطع الكافور . (قال) وقد ضرب لهُ سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعهُ لهُ باليمن فيهِ فسطاط فيهِ اربعة افرشة من خزّ احمر مثلها مَرافقها وعليهِ درّاعة من خز احمر مثلها عمامتها وقد اخذ الناس مجالسهم . (قال) فاخرجت راسي من ناحية السماط فنظر اليَّ شبه المستنطق لي . فقلت : اتمّ الله عليك يا امير المؤمنين نعمة وجعل ما قلدك من هذا الامر رشدًا وعاقبة ما يَؤُول اليهِ حمدًا واخلصهُ لك بالتقى وكثّرهُ لك بالنَّا ولا كدرِ عليك منـــهُ ما صفا ولا خالط سروره بالردى فلقد اصبحت للمؤمنين ثقــة ومستراحًا . اليك يقصدون في مظالمهم ويفزعون في امورهم وما اجد شيئًا يا امير المؤمنين هو ابلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك وما منّ الله جل وعز عليَّ بهِ من مجالستك من ان اذكّرك نعم الله عليك وانبهك لشكرها . وما اجد في ذلك شيئًا هو ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فان أَذن امير المؤمنين اخبرتهُ بهِ . (قال) فاستوى جالسًا وكان متكئًا ثم قال : هات يا ابن الاهتم . (قال) قلت : يا امير المؤمنين ان ملكًا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا الى الخَوَرْنق والسدير في عام قد بكر وسميُّه وتتابع وليُّـــه واخذت الارض زينتها على اختلاف الوان نبتها في ربيع مونق فهو في احسن منظر واحسن مختبر بصعيد كأنّ ترابهُ قطع الكافور وقد كان أُعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر فنظر فابعد النظر ثم قال لجلسائهِ : لمن مثل هذا . هل رايتم مثل ما انا فيهِ وهل أُعطي احد مثل ما أُعطيت . (قال) وعندهُ رجل من بقايا حملة الحجّة والمضي على ادب الحق ومنهاجه (ولم تخلُ الارض من قائم لله بحجة في عباده) فقال : ايها الملك انك

سألت عن امر أفتاذن في الجواب عنهُ . قال : نعم . قال : أرايت هذا الذي انت فيهِ . أشيء لم تزل فيهِ ام شيء صار اليك ميراثاً وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليـك . قال : كذلك هو . قال : فلا اراك الاعجبت بشيء يسيرٍ تكون فيهِ قليلاً وتغيب عنهُ طويلاً وتكون غدا بحسابهِ مرتهنـاً . قال : ويحـك فاين للهرب واين المطلب . قال : امّا ان تقيم في ملكك فتعمل الله بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرّك ومضّك وارمضك . واما ان تضع تاجك وتخلع اطمارك وتلبس امساحك وتعبد ربك حتى ياتيك اجلك . قال : فاذا كان السحرُ فاقرع عليَّ بابي فاني مختار احد الرايين فان اخترتُ ما انا فيهِ كنتَ وزيرًا لا تُعصى . وان اخترت فلوات الارض وقفر البلاد كنت رفيقًا لا يخالف . (قال) فقرع عليهِ عند السحر بابهُ فاذا هو قد وضع تاجه وخلع اطماره ولبس امساحه وتهيأ للسياحة فلزما والله الجبل حتى اتاهما اجلهما . فبكى والله هشام حتى اخضل لحيتهُ وبل عمامتهُ وامر بنزع ابنيتهِ وبنقلان قرابتهِ واهلهِ وحشمـهِ وغاشيته من جلسائهِ ولزم قصره فاقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا : ما اردت الى امير المؤمنين افسدت عليهِ لذته ونغصت عليهِ مادبته . فقال : اليكم عني فاني عاهدت الله عزَّ وجل ان لا اخلو بملك الّا ذكرتهُ الله عزَّ وجلّ

معبد والاسود

قال معبد : بعث اليَّ بعض امراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان ان اشخص الى مكة فشخصت . (قال) فتقدّمت غلامي في بعض تلك الايام واشتدّ

عليَّ الحر والعطش فانتهيت الى خباء فيهِ اسود واذا حباب ماء قد بردت فملت اليـــهِ فقلت : ياهذا اسقني من هذا الماء . فقال : لا. فقلت : فأذن لي في الكنّ ساعة . قال : لا. فانخت ناقتي ولجأت الى ظلّها فاستترت بهِ . وقلت : لو احدثت لهذا الامير شيئًا من الغناء اقدم بهِ عليهِ ولعلي ان حركت لساني ان يبل حلقي ريقي فيخفف عني بعض ما اجدهُ من العطش فترنمت بصوتي : « القصر فالنخل فالجماء بينهما » فلما سمعني الاسود ما شعرت بهِ الا وقد احتملني حتى ادخلني خباءه ثم قال : اي بابي انت وامي هل لك في سويق السُّلت بهذا الماء البارد . فقلت : قد منعتني اقل من ذلك وشربة ماء تجزئني . فسقاني حتى رويت وجاء الغلام فاقمت عنده الى وقت الرواح فلما اردت الرحلة . قال: اي بابي انت وامي الحرّ شديد ولا آمن عليك مثل الذي اصابك فأذن لي ان احمل معك قربة من ماء على عنقي واسعى بها معك فكلما عطشت سقيتك صحنًا وغنيتـــني صوتًا . (قال) قلت : ذاك لك . فوالله ما فارقني يسقيني واغنيه حتى بلغت المنزل

بطش هلال برجلين اغلظا لهُ بالكلام

كان هلال فارسًا شجاعًا شديد الباس والبطش اكثر الناس اكلًا واعظمهم في حربٍ غناء . وكان يرد مع الابل فيأكل ما وجد عند اهلهِ ثم يرجع اليهـــا ولا يتزوّد طعامًا ولا شرابًا حتى يرجع يوم ورودها لايذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابًا وكان عاديّ الخلق لاتوصف صفتهُ . فكان يومًا في ابل لهُ وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة وقد عمـــد الى عصاه فطرح

عليها كساءه ثم ادخل راسهُ تحت كسائهِ من الشمس . فبينما هو كذلك اذ مرّ بهِ رجلان احدهما من بني نهشل والآخر من بني فقيم كانا اشدّ تميميّين في ذلك الزمان بطشاً يقال لاحدهما الهيّاج . وقد اقبلا من البحرين معهما انواط من تمر هَجَر وكان هلال بناحية الصعاب . فلما انتهيا الى الابل ولا يعرفان هلالًا بوجهه ولا يعرفان انَّ الابل لهُ نادَيَا : ياراعي أعندك شراب تسقينا وهما يظنانه عبداً لبعضهم . فناداهما هلال وراسهُ تحت كسائهِ : عليكما بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فانيخاها فان عليها وَطبين من لبن فاشربا منهما ما بدا لكما . (قال) فقال لهُ احدهما : ويحك انهض ياغلام فأتِ بذلك اللبن . فقال لهما : ان تكُ لكما حاجة فستأتيانها فتحدران الوطبين فتشربان . (قال) فقال احدهما : انك لغليظ الكلام قم فاسقنا . ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما (حيث قال لهُ احدهما : انك يا لئيم لغليظ الكلام) : اراكما والله ستلقيان هواناً وصغاراً . وسمعا ذلك منهُ فدنا احدهما فاهوى لهُ ضرباً بالسوط على عجزهِ وهو مضطجع . فتناول هلال يده فاجتذبهُ اليهِ ورماه تحت فخذه ثم ضغطهُ ضغطة فنادى صاحبهُ : ويحك اعنّي قد قتلني . فدنا صاحبهُ منهُ فتناولهُ هلال ايضاً فاجتذبهُ فرمى بهِ تحت فخذه الاخرى . ثم اخذ برقابهما فجعل يصكّ برؤوسهما بعضاً ببعض لا يستطيعان ان يمتنعا منهُ . فقال احدهما : كن هلالًا ولا نبالي ما صنعت . فقال لهما : انا والله هلال ولا والله لاتفلتان مني حتى تعطياني عهداً وميثاقاً لا تخيسـان بهِ . لتأتيان المِربَد اذا قدمتما البصرة ثم لتناديان باعلى اصواتكما بما كان مني ومنكما . فعاهداه واعطياه نَوطاً من التمر الذي معهمـا وقدما البصرة فاتيا المربد فناديا بما كان منهُ ومنهما

ابن مِسجَحٍ (*) والقرشيُّون وعبد الملك

حدَّث دحمان الاشقر قال: كنت عاملًا لعبد الملك بن مروان بمكة فنُمي اليهِ انَّ رجلًا اسود يقال لهُ سعيد بن مسجح افسد فتيان قريش وانفقوا عليهِ اموالهم. فكتب اليَّ ان: اقبض مالهُ وسيّرهُ. ففعلت. فتوجه ابن مسجح الى الشام فصحبهُ رجل لهُ جوار مغنيات في طريقهِ. فقال لهُ: اين تريد. فاخبرهُ خبره وقال لهُ: اريد الشام. قال لهُ: فتكون معي. قال: نعم. فصحبهُ حتى بلغا دمشق فدخلا مسجدها فسألا مَن أَخصُّ الناس بامير المؤمنين. فقالوا: هؤلاء النفر من قريش وبنو عمهِ فوقف ابن مسجح عليهم وسلم ثم قال: يافتيان هل فيكم من يضيف رجلًا غريبًا من اهل الحجاز. فنظر بعضهم الى بعض وكان عليهم موعد ان يذهبوا الى وليمة فتثاقلوا بهِ الّا فتًى منهم تذمم فقال: انا اضيفك. وقال لاصحابهِ: انطلقوا انتم وانا اذهب مع ضيفي. قالوا: لا بل تجيء انت وضيفك فذهبوا جميعًا فلما اتوا بالغداء قال لهم سعيد: اني رجل اسود ولعلَّ فيكم من يقذرني فانا اجلس وآكل ناحية. وقام. فاستحيوا منهُ وبعثوا اليهِ بما كل. فلما صاروا الى الشراب قال لهم مثل ذلك. ففعلوا بهِ واخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما فغنتا الى العشاء ثم دخلتا وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير وجلستا اسفل منها عن يمين السرير وشمالهِ. قال ابن مسجح: فتمثَّلتُ هذا البيت

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة بدت لك خلف السجف ام انت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت: أيضرب هذا الاسود بي الامثال. فنظروا اليَّ نظرًا منكرًا ولم يزالوا يسكِّنونها. ثم غنت صوتًا. فقال ابن مسجح: احسنتِ والله

(*) وفي نسخة: ابن مُسَجَّج

فغضب مولاها وقال: أمثل هذا الاسود يقدم على جاريتي. فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده: قمْ فانصرف الى منزلي فقد ثقَّلت على القوم. فذهبت اقوم فتذمم القوم وقالوا لي: بل أقمْ واحسن ادبك. فاقمت وغنتْ. فقلت: أخطأتِ والله ياخبيثة واسأْتِ ثم اندفعتُ فغنيت الصوت. فوثبت الجارية فقالت لمولاها: هذا والله ابو عثمان سعيد بن مسجح. فقلت: اني انا هو والله لا اقيم عندكم. فوثب القرشيون. فقال هذا: يكون عندي. وقال هذا: يكون عندي. وقال هذا: بل عندي. فقلت: والله لا اقيم الَّا عند سيدكم (يعني الرجل الذي انزلهُ منهم) ثم سالوهُ عمَّا اقدمهُ فاخبرهم الخبر. فقال لهُ صاحبهُ: اني اسمر الليلة مع امير المؤْمنين فهل تحسن ان تحدو. قال: لا ولكني استعمل حداء. قال: فان منزلي بحذاء منزل امير المؤْمنين فان وافقتَ منهُ طيبَ نفس ارسلتُ اليك. ومضى الى عبد الملك فلما رآهُ طيِّب النفس ارسل الى ابن مسجح واخرج راسهُ من وراء شُرف القصر ثم حدا:

انك ياممعاذ ياابن الفضلِ   ان زلزل الاقدام لم تزلزلِ
عن دين موسى والكتاب المنزلِ   تقيم اصداع القرون المُيَّلِ
للحق حتى ينتحوا للاعدلِ

فقال عبد الملك للقرشي: من هذا. قال: رجل حجازي قدم عليَّ. قال: احضرهُ. فاحضرهُ لهُ. وقال لهُ: احدُ مجدًّا. ثم قال لهُ: هل تغنى غناء الركبان. قال: نعم. قال: غنِه. فتغنى. فقال لهُ: فهل تغني الغناء المتقن. قال: نعم. قال: غنه. فتغنى. فاهتز عبد الملك طربًا. ثم قال لهُ: اقسم ان لك في القوم لاسمًا كثيرًا. من انت ويلك. قال لهُ: انا المظلوم المقبوض مالهُ المسيَّر عن وطنهِ سعيد بن مِسجَح قبض مالي عامل الحجاز ونفاني. فتبسَّم عبد الملك. ثم قال

لهُ: قد وضح عذر فتيـان قريش في ان ينفقوا عليك اموالهم. وأمّنه ووصله وكتب الى عامله بردّ مالهِ عليهِ وان لايعرض لهُ بسوء

موسى شهوات وسعيد بن خالد وسليمان بن عبد الملك

حدَّث الحرث بن سليمان الجهمي قال: شهدت مجلس امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك واتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان فقال: يا امير المؤمنين اتيتك مستدعياً. قال: ومن بك. قال: موسى شهوات. قال: وما لهُ. قال: سمع بي واستطال في عرضي. فقال: يا غلام عليَّ بموسى فأتني بهِ. فاتى بهِ. فقال: ويلك اسمعتَ بهِ واستطلت في عرضهِ. قال: ما فعلت يا امير المؤمنين ولكني مدحت ابن عمهِ فغضب هو. قال: وكيف ذلك. قال: علقتُ جارية لم يبلغ ثمنها جِدَتي فاتيتهُ وهو صديقي فشكوت اليـهِ ذلك فلم أُصب عندهُ شيئاً فاتيت ابن عمهِ سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن اسيـد فشكوت اليهِ ما شكوتهُ الى هذا فقال: تعود اليَّ. فتركتهُ ثلاثاً ثم اتيتهُ فسهل من اذني. فلما استقرّ بي المجلس قال: ياغلام قل لقيّمتي هاتي وديعتي. ففتح باباً بين بيتين واذا بجارية. فقال لي: أهذه بغيتك. قلت: نعم فداك ابي وامي قال: اجلس ثم قال: ياغلام قل لقيمتي هاتي ظبية نفقتي. فاتى بظبية فنثرت بين يديه فاذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها. فردّت في الظبية ثم قال: عتيدة طيبي. فاتى بها فقال: ملحفة فراشي. فاتى بها فصيَّرما في الظبية وما في العتيدة في حواشي الملحفة ثم قال: شأنَك بهواك واستعن بهذا عليهِ. فقال لهُ سليمان ابن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا: قال قلت:

أبا خالدٍ اعني سعيدَ بن خالد أخا العرف لااعني ابن بنت سعيدِ

ولكنني اعني ابن عائشةَ الذي   أبو ابويهِ خالد بن اسيدِ
عقيد الندى ما عاش يرضى بهِ الندى   فان مات لم يرضَ الندى بعقيدِ
دعوهُ دعوهُ انكم قد رقدتمُ   وما هو عن احسابكم برَقودِ

فقال سليمان: عليَّ ياغلام بسعيد بن خالد فاتى بهِ. فقال: أحق ما وصفك بهِ موسى. قال: وما ذاك يا امير المؤمنين. فاعاد عليهِ. فقال: قد كان ذلك يا امير المؤمنين. قال: فما طوقتك هذه الافعال. قال: دين ثلاثين الف دينار. فقال لهُ: قد امرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثلث مثلها. فحملت اليهِ مائة الف دينار. (قال) فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت لهُ: ما فعل المال الذي وصلك بهِ سليمان. قال: ما اصبحت والله أملك منهُ الّا خمسين ديناراً. قلت: ما اغتالهُ. قال: خلة من صديق او فاقة من ذي رحم

ابراهيم الموصلي يستوهب بالغناء ثمن ضيعة من البرامكة

حدَّث مُخارق قال: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح واصبحتِ السماء متغيمة تطشّ طشاً خفيفاً. فقلت: والله لاذهبنّ الى استاذي ابراهيم فاعرف خبرهُ ثم أعود. فامرت مَن عندي أن يسوّوا مجلساً لنا الى وقت رجوعي فجئت الى ابراهيم الموصلي فاذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبوّاب قاعد فقلت: ما خبر استاذي. فقال: ادخل. فدخلت فاذا هو جالس في رواق لهُ وبين يديه قدور تغرغر واباريق تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها واذا قدّامهُ طست فيهِ رطلية وكوز وكاس. فدخلت اترنم ببعض الاصوات. وقلت لهُ: ما بال الستارة لست اسمع من ورائها صوتاً. فقال: اقعد ويحك اني اصبحت على

الذي ظننتَ فاتاني خبر ضيعة تجاورني قد والله طلبتها زمانًا وتمنيتها فلم املكها وقد أُعطي بها مائة الف درهم. فقلت: وما يمنعك منها فوالله لقد اعطاك الله اضعاف هذا المال واكثر. قال: صدقت ولكن لست اطيب نفسًا ان اخرج هذا المال. فقلت: فمن يعطيك الساعة مائة الف درهم والله ما اطمع في ذلك من الرشيـد فكيف بمن دونه. فقال: اجلس خذ هذا الصوت. ونقر بقضيب معهُ على الدواة والقى عليَّ:

نام الخليُّون من همٍ ومن سقمٍ   وبتّ من كثرة الاحزان لم انم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدًا   اعمد ليحيي حليف الجود والكرمِ

فاخذتهُ فاحكمتـهُ. ثم قال لي: امضِ الساعة الى باب الوزير يحيي بن خالد فانك تجد الناس عليهِ وتجد الباب قد فتح ولم يجلس بعد. فاستأْذِن عليهِ قبل ان يصل اليهِ احد فانهُ سينكر عليك مجيئك ويقول: من اين اقبلتَ في هذا الوقت. فحدثهُ بقصدك اياي وما القيتُ اليك من خبر الضيعة واعلمهُ اني صنعت هذا الصوت واعجبني ولم ارَ احدًا يستحقهُ الّا فلانة جاريته واني القيتهُ عليك حتى احكمتهُ لتطرحهُ عليها فسيدعو بها ويامر بالستارة ان تنصب ويوضع لهُ كرسي ويقول لك: اطرحهُ عليها بحضرتي فافعل وائتي بالخبر بعد ذلك. (قال) فجئت باب يحيي فوجدتهُ كما وصف وسالني فاعلمتهُ ما امرني بهِ ففعل كل شيء. قالهُ لي ابراهيم واحضر الجارية فالقيتهُ عليها. ثم قال لي: تقيم عندنا يا ابا المهنأ او تنصرف. فقلت: انصرف اطال الله بقاءك فقد علمت ما اذن لنا فيهِ. قال: ياغلام احمل مع ابي المهنأ عشرة آلاف درهم واحمل الى ابي اسحق مائة الف درهم ثمن هذه الضيعة. فحُملت العشرة الآلاف الدرهم اليَّ واتيتُ منزلي. فقلت: اسرّ يومي هذا وأُسِرّ مَن عندي. ومضى الرسول اليـهِ بالمال فدخلت

منزلي ونثرت على من عندي من الجواري دراهم من تلك البَدرة وتوسَّدتها واكلت وشربت وطربت وسُررت يومي كله فلما اصبحت قلت : والله لآتين استاذي ولاعرفنَّ خبره فاتيتهُ فوجدت الباب كهيئتهِ بالامس ودخلت فوجدتهُ على مثل ما كان عليهِ فترنمت وطربت فلم يتلقَّ ذلك بما يجب . فقلت لهُ : ما الخبر الم يأتك المال . قال : بلى فما كان خبرك انت بالامس . فاخبرتهُ بما كان وهب لي وقلت : ما كان ينتظر من خلف الستارة . فقال: ارفع السجف فرفعتهُ فاذا عشر بِدَر . فقلت : واي شيء بقي عليك في امر الضيعة . قال: ويحك ما هو والله الا ان دخلت منزلي حتى شححت عليها فصارت مثل ما حويتُ قديمًا . فقلت : سبحان الله العظيم فتصنع ماذا . قال : قم حتى أُلقي عليك صوتًا صنعتهُ يفوق ذلك الصوت . فقمت وجلست بين يديه فالقى عليَّ :

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيفِ والرمح والنصلِ
وتنبسط الآمال فيــهِ لفضلهِ ولا سيما ان كان من ولد الفضلِ

فلما القى عليَّ الصوت سمعت ما لم اسمع مثــلهُ قط وصغُر عندي الاوَّل فاحكمتهُ . ثم قال : انهض الساعة الى الفضل بن يحيي فانك تجده لم ياذن لاحد بعد وهو يريد الخلوة مع اهلهِ اليوم فاستأذن عليهِ وحدّثهُ بحديثنا امس وما كان من ابيهِ الينا واليك . واعلمهُ اني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي ارفع منزلة من الصوت الذي صنعتهُ بالامس واني القيتهُ عليك حتى احكمتهُ ووجهت بك قاصدًا لتلقيهُ على فلانة جاريته . فصرت الى باب الفضل فوجدت الامر على ما ذكر . فاستأذنت فوصلت وسألني ما الخبر فاعلمتهُ بخبري في اليوم الماضي وما وصل اليَّ واليهِ من المال فقال : أخزى الله ابراهيم فما اجلهُ على نفسهِ ثم دعا خادمًا فقال: اضرب الستارة . فضربها فقال لي : أَلقهِ . فلما غنيتهُ

لم اتمّهُ حتى اقبل يجرّ مطرفه . ثم قعد على وسادة دون الستارة . وقال : احسن والله استاذك واحسنت انت يامخارق فلم اخرج حتى اخذتهُ الجارية واحكمتهُ فسرّ بذلك سروراً شديداً وقال : اقم عندي اليوم . فقلت : ياسيدي انما بقي لنا يوم واحد ولولا اني احب سرورك لم اخرج من منزلي . فقال : ياغلام احمل مع أبي المهنّا عشرين الف درهم واحمــل الى ابراهيم مائتي الف درهم . فانصرفت الى منزلي بالمال ففتحت بدرة فنثرت منهــا على الجواري وشربت وسررت انا ومن عندي يومنا . فلما اصبحت بكرت الى ابراهيم اتعرّف خبره واعرّفهُ خبري فوجدتهُ على الحال التي كان عليها اولا وآخرًا . فدخلت اترنم وأصفق فقال لي : ادنُ . فقلت : ما بقي . فقال : اجلس وارفع سجف هذا الباب . فاذا عشرون بدرة مع تلك العشرة فقلت : ما تنتظر الآن . فقال : ويحك ما هو والله الّا ان حصلتْ حتى جرت مجرى ما تقدَّم . فقلت : والله ما اظن احدًا نال في هذه الدولة ما نلتهُ فلم تبخل على نفسك بشيء . تمنيتهُ دهرًا وقد ملّــكك الله اضعافهُ . ثم قال : اجلس فخذ هذا الصوت . والقى عليّ صوتًا أنساني والله صوتيّ الاوّلين :

الى جعفر سارت بنا كل حرَّة　　طواها سُراها نحوهُ والتهجّرُ
الى واسع للمُجتدينَ فناؤُهُ　　تروح عطاياهُ عليهم وتبكرُ

ثم قال لي : هل سمعت مثــل هذا . فقلت : ما سمعت قط مثلهُ . فلم يزل يردّدهُ عليّ حتى اخذتهُ . ثم قال لي : امضِ الى جعفر فافعل بهِ كما فعلت باخيهِ وابيهِ . (قال) فمضيت ففعلت مثل ذلك وخبرتهُ ما كان منهما وعرضت عليهِ الصوت فسرّ بهِ ودعا خادمًا فأمرهُ بضرب الستارة واحضر الجارية وقعد على كرسي . ثم قال : هات يا مخارق . فاندفعت فالقيت الصوت عليها حتى اخذتهُ . فقال : أحسنت والله يا مخارق واحسن أُستاذك فهل لك في المقام عندنا اليوم .

فقلت : ياسيدي هذا آخر ايامنا وانما جئت لموقع الصوت مني حتى القينهُ على الجارية . فقال : ياغلام احمل معهُ ثلاثين الف درهم والى الموصلي ثلثمائة الف درهم . فصرت الى منزلي بالمال فأقمت ومن معي مسرورين نشرب بقية يومنا وطرب . ثم بكرت الى ابراهيم فتلقاني قائماً وقال لي : احسنت يا مخارق . فقلت : ما الخبر . فقال : اجلس . فجلست . فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما انتم فيهِ . ثم رفع السجف فاذا المال فقلت : ما خبر الضيعة . فادخل يده تحت مِسورة هو متكئ عليها فقال : هذا صك الضيعة . سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد . فاشتراها منهُ يحيي بن خالد وكتب اليَّ : قد علمت انك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها . وقد ابتعتها لك من مالي ووجهت لك بصكها . ووجّه اليَّ بصكها . وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال لي : يا مخارق اذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء واذا خنكرت فخنكر بمثل هؤلاء . هذه ستمائة الف وضيعةٌ بمائة الف وستون الف درهم لك حصلنا ذلك اجمع وانا جالس في مجلسي لم ابرح منهُ فمتى يُدركُ مثل هؤلاء

اسحق الموصِليّ وابراهيم بن المهدي في دار الرشيد

حدَّث حمّاد قال : قال لي ابي : كنت عند الرشيد يوماً وعندهُ ندماؤهُ وخاصته وفيهم ابراهيم بن المهدي . فقال لي الرشيد : يا اسحق تغنَّ

شربتُ مدامةً وسقيت اخرى   وراح المنتشون وما انتشيتُ

فغنيتهُ فاقبل عليَّ ابراهيم بن المهدي فقال لي : ما اصبتَ يا اسحق ولا احسنت . فقلت : ليس هذا مما تحسنهُ ولا تعرفهُ وان شئتَ فغنهِ فان لم اجدك

انك تخطئ فيهِ منذ ابتدائك الى انتهائك فدمي حلال. ثم اقبلت على الرشيد فقلت: يا امير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة ابي وهي التي قرّبتنا منك واستخدَمَتنا لك واوطأَتنا بساطك فاذا نازعَنا بها احد بلا علم لم نجد بدًّا من الايضاح والذَبّ. فقال: لاغرو ولا لوم عليك. فقام الرشيد لحاجة فاقبل ابراهيم ابن المهدي عليَّ وقال: ويلك يا اسحق أتجترئ عليَّ وتقول ما قلتَ يالئيم. فداخلني ما لم املك نفسي معهُ فقلت لهُ: انت تشتمني وانا لا اقدر على اجابتك وانت ابن الخليفة واخو الخليفة ولولا ذلك لكنت اشتمك. او ترى اني كنت لااحسن ان اشتمك ولكن قولي في ذمّك ينصرف جميعهُ الى خالك. إلّا علِم ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه. (قال اسحق: وكان بيطارًا). (قال) ثم سكتُّ وعلمت ان ابراهيم يشكوني وان الرشيد سوف يسأَل مَن حضر عمَّا جرى فيخبرونهُ فتلافيت ذلك ثم قلت: انت تظن ان الخلافة تصير اليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائرِ اولياء اخيك حسدًا لهُ ولولدهِ على الامر فانت تضعف عنهُ وعنهم وتستخف باوليائهم تشفّيًا وارجو ان لايخرجها الله عن يد الرشيد وولده وان يقتلك دونها. فان صارت اليك وبالله العياذ فحرامٌ عليَّ العيش يومئذٍ والموت اطيب من الحياة معك فاصنع حينئذٍ ما بدا لك. (قال) فلمّا خرج الرشيد وثب ابراهيم فجلس بين يديه فقال: يا امير المؤمنين شتمني وذكر امي واستخف بي. فغضب وقال: ما تقول ويلك. قلت: لا اعلَم فسلْ من حضر. فاقبل على مسرور وحسين فسالهما عن القصة فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد الى ان انتهيا الى ذكر الخلافة فسُري عنهُ ورجع لونهُ وقال لابراهيم: ما لهُ ذنب شتمتَهُ فعرّفك انهُ لايقدر على جوابك. ارجع الى موضعك وأمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بان لاابرح وخرج

كل من حضر حتّى لم يبقَ غيري . فساء ظني واهمتني نفسي . فاقبل عليَّ وقال : ويلك يا اسحق أتراني لم افهم قولك ومرادك قد والله سببتهُ ثلاث مرات أتُراني لاعرف وقاتك واقدامك . واين ذهبت ويلك لاتعد حدّثني عنك لو ضربك ابراهيم أكنتُ اقتص لك منهُ فاضربهُ وهو اخي . ياجاهل أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنتُ اقتلهُ بك . فقلت : يا امير المؤمنين قد والله قتلتني بهذا الكلام ولئن بلغهُ ليقتلني وما اشك في انهُ قد بلغهُ الآن . فصاح بمسرور الخادم وقال : عليَّ بابراهيم الساعة . فأُحضر وقال : قم فانصرف . وقلت لجماعة من الخدم وكلهم كان لي محبًا واليَّ مائلًا ولي مطيعًا : اخبروني بما يجرى . فاخبروني من غد انهُ لما دخل وبخهُ وجهّلهُ وقال لهُ : أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدم عليَّ وتستخف بمجلسي وحضرتي . هاه هاه تقدم على هذا وامثالهِ وأنت ما لك وللغناء وما يُدريك ما هو . ومن اخذ لحنه وطارحك اياه حتّى يتوهم انك تبلغ مبلغ اسحق الذي غُذِيَ بهِ وعلّمه وهو صناعتهُ . ثم تظن انك تخطئهُ فيما لاتدريه . ويدعوك الى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمهِ . أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الادب من دخولك فيما لايشبهك . وغلبة لذمك على مروّتك وشرفك . ثم اظهارك اياه ولم تحكمهُ وادّعائك ما لاتعلمهُ حتى ينسبك الناس الى الجهل المفرط . ألا تعلم ويلك ان هذا سوء ادب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطإ والتكذيب والرد القبيح . ثم قال : والله العظيم وحق رسوله . والّا فأنا نفيٌّ من المهدي . لئن أصابهُ احد بسوء او سقط عليهِ حجر من السماء او سقط من على دابتهِ او سقط عليهِ سقفهُ او مات فجأة لاقتلنك بهِ . فلا تعرض لهُ وانت اعلم . قم الآن فاخرج . فخرج

وقد كاد ان يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت اليهِ وابراهيم عندهُ فاعرضت عن ابراهيم وجعل ينظر اليهِ مرَّة والَيَّ مرَّة ويضحك ثم قال لهُ: اني لأعلم محبتك في اسحق وميلك اليهِ والى الاخذ عنهُ . وانِ هذا لايجيئك من جهته كما تريد الَّا بعد ان يرضى والرضا لايكون بكروه . ولكن أحسن اليهِ واكرمهُ واعرف حقــه وبِرَّهُ وصلهُ فاذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتهُ بيد منبسطة ولسان منطلق . ثم قال لي: قم الى مولاك وابن مولاك فقبل راسه . فقمت اليهِ وقام اليَّ واصلح الرشيد بيننا

احتيال محمَّد الزَّف (*) في سرقة غناء لابن جامع

ان الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيي: قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الامر فيها . فهلمَّ اقاسمك اياها واخايرك . فاقتسما المغنّينَ على ان جعلا بازاء كل رجل نظيره . وكان ابن جامع في حيز الرشيد وابراهيم في حيز جعفر ابن يحيي . وحضر الندماء لمحنة المغنين . وامر الرشيد ابن جامع فغنَّى صوتاً أحسن فيهِ كل الاحسان وطرب الرشيد غاية الطرب . فلما قطعهُ قال الرشيد لابراهيم: هات يا ابراهيم هذا الصوت فغنِّهِ . فقال: لا واللهِ يا امير المؤمنين ما اعرفهُ وظهر الانكسار فيهِ . فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد . ثم قال لاسمعيل ابن جامع: غنِّ يا اسمعيل . فغنَّى صوتاً ثانياً احسن من الاوَّل وارضى في كل حال . فلما استوفاه قال الرشيد لابراهيم: هاته يا ابراهيم وقال: ولا اعرف هذا . فقال: هذان اثنان . غنِّ يا اسمعيل . فغنَّى ثالثاً يتقدم الصوتين الاولين ويفضلهما . فلما اتى على آخره قال: هاته يا ابرهيم . قال: ولا اعرف هذا ايضــاً . فقال لهُ

(*) ويُروى في نسخةٍ: الزَّف

جعفر: أخزيتنا اخزاك الله. (قال) واتم ابن جامع يومه والرشيد مسرورٌ بهِ وأجازه بجوائز كثيرة وخلع عليهِ خلعاً فاخرة ولم يزل ابراهيم منخـذلاً منكسراً حتَّى انصرف. (قال) فمضى الى منزلهِ فلم يستقر فيهِ حتى بعث الى محمد المعروف بالزفّ. وكان محمد من المغنين المحسنين وكان اسرع مَن عُرف في ايامهِ في اخذ صوت يريد اخذه. وكان الرشيد قد وجد عليهِ في بعض ما يجده الملوك على امثالهِ فالزمهُ بيته وتناساه. فقال ابراهيم للزف: اني اخترتك على من هو أحب اليَّ منــك لامر لا يصلح لهُ غيرك فانظر كيف يكون. قال: ابلغ في ذلك محبتك ان شاء الله تعالى. فادى اليــهِ الخبر وقال: اريد ان تمضي الساعة الى ابن جامع فتعلمهُ انك صرت اليهِ مهنئاً بما تهيأً لهُ عليَّ وتنقصني وتثلبني وتشتمني وتحتال في ان تسمع منــهُ الاصوات وتأخذها منهُ ولك ما تحبهُ من جهتي من عَرض من الاعراض مع رضا الخليفة ان شاء الله. (قال) فمضى من عنده واستاذن على ابن جامع فاذن لهُ فدخل وسلم عليهِ وقال: جئتك مهنئاً بما بلغني من خبرك والحمد لله الذي اخزى ابن الجرمقانية على يدك وكشف الفضل في محلك من صناعتك. قال: وهل بلغك خبرنا. قال: هو اشهر من ان يخفى على مثلي. قال: ويحك انهُ يقصر عن العيان. قال: ايها الأُستاذ سرَّني بان اسمعهُ من فيك حتى ارويهُ عنك وأُسقط بيني وبينك الاسانيد. قال: أقم عندي حتَّى افعل. قال: السمع والطاعة. فدعا لهُ ابن جامع بالطعام فاكلا ودعا بالشراب ثم ابتدأَ فحدثهُ بالخبر حتى انتهى الى خبر الصوت الاوَّل. فقال لهُ الزف: وما هو ايهــا الاستاذ. فغنَّاه ابن جامع اياه فجعل محمد يصفق وينعر ويشرب وابن جامع مجتهد في شانهِ حتى اخذهُ عنهُ. ثم سالهُ عن الصوت الثاني. فغنَّاه اياه. وفعل مثل فعله في الصوت الاوَّل

ثم كذلك في الصوت الثالث. فلما اخذ الاصوات الثلاثة كلها واحكمها قال لهُ: يا استاذ قد بلغتُ ما أُحبُّ فتأذن لي في الانصراف. قال: اذا شئتَ. فانصرف محمد من وجهــهِ الى ابراهيم فلما طلع من باب داره قال لهُ: ما وراءكِ. قال: كل ما تُحب. ادع لي بعود. فدعا لهُ بهِ فضرب وغنَّاه الاصوات. قال ابراهيم: وأبيك هي بصورتها واعيانها. ردّدها عليَّ الآن. فلم يزل يرددها حتَّى صحت لابراهيم. وانصرف الرف الى منزلهِ وغدا ابراهيم الى الرشيد. فلما دعا بالمغنين دخل فيهم. فلما بصر بهِ قال لهُ. اَوَ قد حضرتَ اما كان ينبغي لك ان تجلس في منزلك شهرًا بسبب ما لقيتَ من ابن جامع. قال: ولِمَ ذلك يا امير المؤمنين جعلني الله فداءكِ. والله لئن اذنت لي ان اقول لاقولنَّ. قال: وما عساكِ ان تقول قُل. فقال: انهُ ليس ينبغي لي ولا لغيري ان يراكِ نشيطاً لشيء فيعارضك ولا ان تكون متعصباً لحيز وجنبة فيغالبك. والَّا فما في الارض صوت لااعرفهُ. قال: دع ذا عنك قد اقررتَ امس بالجهالة بمـا سمعت من صاحبنا فان كنت امسكت عنهُ بالامس على معرفة كما تقول فهاته اليوم فليس ههنا عصبيَّة ولا تميز. فاندفع فامرّ الاصوات كلها وابن جامع مصغٍ يسمع منهُ حتى اتى على آخرها. فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المحرّجة انهُ ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي الَّا من صنعتهِ ولم تخرج الى احد غيرهِ. فقال لهُ: ويحك فمـا احدثتَ بعدي. قال: ما احدثت حدثًا. فقال: يا ابراهيم بحياتي اصدقني. فقال: وحياتك لاصدقنك رميتهُ بحجره فبعثتُ اليــهِ بمحمد الرف وضمنت لهُ ضمانات اولها رضاك عنهُ. فمضى حتى احتال لي عليــهِ حتى اخذها عنــهُ ونقلتها حتى سقط الآن اللوم عني باقراره. لانهُ ليس عليَّ ان اعرف ما صنعهُ هو ولم يخرجهُ الى الناس وهذا باب من الغيب وانما يلزمني

ان لايعرف هو شيئاً من غناء الاوائل واجهلهُ انا والّا فلو لزمني ان اروي صنعتهُ للزمهُ أن يروي صنعتي ولزم كل واحد منا كسائر طبقته ونظرائهِ مثل ذلك . فمن قصر عنهُ كان مذموماً ساقطاً . فقال لهُ الرشيد : صدقت يا ابراهيم ونصحت عن نفسك وقمتَ بحجتك . ثم اقبل على ابن جامع فقال لهُ : يا اسمعيل أتيتَ اتيت . دُهيت دهيت . ابطلَ عليك الموصلي ما فعلتهُ بهِ امس وانتصف اليوم منك . ثم دعا بالرف فرضي عنهُ

علوية واسحق ويحيي بن خالد

حدَّث احمد بن يحيي المكي قال : دعاني الفضل بن الربيع ودعا علوية ومخارقاً وذلك في ايام المامون بعد رجوعهِ ورضاه عنـهُ الّا ان حالهُ كانت ناقصة متضعضعة . فلما اجتمعنا عنده كتب الى اسحق الموصلي يسألهُ ان يصير اليهِ ويعلمهُ الحال في اجتماعنا عنده فكتب اليهم : لا تنتظروني بالاكل فقد اكلت وانا اصير اليكم بعد ساعة . فاكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر ثم وافى اسحق فجلس وجاء غلامهُ بقطرميز نبيذ فوضعهُ ناحية وأمر صاحب الشراب باسقائهِ منـهُ وكان علوية يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحهُ الفضل عليهِ واعجبهُ وهو :

فان تعجبي أو تبصري الدهر طمني باحداثهِ طمّ المقصص بالجلمِ
فقد أترك الاضياف تندى رحالهم واكرمهم بالمحض والتامك السنمِ

فقال لهُ اسحق : اخطأت يا ابا الحسن في أداء هذا الصوت وانا اصلحـهُ لك . فجنّ علوية واغتاظ وقامت قيامته . ثم اقبل على علوية فقال لهُ : ياحبيبي

ما اردت الوضع منــك بما قلتهُ لك وانما اردتُ تهذيبك وتقويمك لانك منسوب الصواب والخطإِ الى ابي والىَّ . فان كرهتَ ذلك تركتك وقلت لك : احسنتَ واجملتَ . فقــال لهُ علوية : واللّه ما هذا اردت ولا اردت الَّا ما لاتتركهُ ابدًا من سوء عشرتك . اخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الامير وعرفك انهُ قد نشط للاصطباح ما حملك على الترفع عن مباكرتهِ وخدمتهِ مع صنائعهِ عندك . وما كان ينبغي ان يشغلك عنهُ شيء الَّا الخليفة . ثم تجيئهُ ومعك قطرميز نبيذ ترفعًا عن شرابهِ كما ترفعت عن طعامهِ ومجالستهِ الَّا كما تشتهي وحين تنشط كما تفعل الأكفاء بل تزيد على فعل الاكفاء . ثم تعمد الى صوت قد اشتهاه واقترحهُ وسمعهُ جميع من حضر فما عابهُ منهم احد فتعيبهُ ليتمّ تنغيصك اياه لذته . اما واللّه لولا الفضل بن يحيي واخوه جعفر دعاك الى مثل ما دعاك اليهِ الامير بل بعض اتباعهم لبادرتَ وباكرت وما تاخرت ولا اعتذرت . (قال) فامسكَ الفضل عن الجواب اعجابًا بما خاطب بهِ علوية اسحق . فقال لهُ اسحق : امَّا ما ذكرتهُ من تأخري عنهُ الى الوقت الذي حضرتُ فيهِ فهو يعلم اني لاتاخر عنهُ الَّا بعائق قاطع ان وثق بذلك مني والَّا ذكرت لهُ الحجة سرًّا من حيث لايكون لك ولا لغيرك فيــهِ مدخل . وامَّا ترفُّعي عنهُ فكيف أترفع عنهُ وانا انتسب الى صنائعه واستمنحه واعيش من فضلهِ مذ كنت وهذا تضريب لاابالي بهِ منــك . وامَّا حملي النبيذ معي فانَّ لي في النبيذ شرطًا من طعمهِ وريحهِ وان لم اجدهُ لم اقدر على الشرب وتنغّص عليَّ يومئــذٍ وإنما حملتهُ ليتم نشاطي وينتفع بي . وامَّا طعني على ما اختــارهُ فاني لم اطعن على اختياره وانما اردت تقويمك ولستَ واللّه تراني متتبعًا لك بعد هذا اليوم ولا مقوّمًا شيئًا من خطائك وانا اغني لهُ أعزّهُ اللّه

هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم مَن حضرَ انك اخطأت فيــهِ وقصَّرت . واما البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من ان اجحده واني لحَقيق فيهِ بالمعذرة وأحرى ان اشكرهم على صنيعهم وبأن اذيعــهُ وانشرهُ وذلك والله أقلّ ما يستحقونهُ مني . ثم اقبل على الفضل وقد غاظهُ مدحه لهم فقال: اسمع مني شيئاً اخبرك بهِ مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند ابي قبلي . فان وجدت لي عذرًا والَّا فلم . كنت في ابتداء امري نازلًا مع أبي في داره فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانهِ وجواريَّ وجواريه الخصومة كما يجرى بين هذه الطبقات فيشكونهم اليهِ فاتبيَّن الضجر والتنكُّر في وجهــهِ فاستأجرت دارًا بقربهِ وانتقلت اليها انا وغلماني وجواريَّ . وكانت دارًا واسعــة . فلم ارضَ ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل اليَّ من اخواني ان يروا مثلهُ عندي . ففكَّرت في ذلك وكيف أصنع وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الاحدوثة من نزول مثلي في دار بأُجرة واني لا آمن في وقتٍ أن يُستأذن عليَّ وعندي مَن احتشمهُ ولا يعلم حالي فيُقال: صاحبُ دارك: او يوجه في وقت فيطلب اجرة الدار وعنــدي من احتشمهُ . فضاق بذلك صدري ضيقًا شديدًا حتى جاوز الحــدَّ . فامرت غلامي بان يُسرج لي حمارًا كان عندي لامضي الى الصحراء اتفرَّج فيها مما دخل على قلبي . فاسرجه وركبت برداء ونعل . فأفضى بي السير وانا مفكِّر لا أُميِّز الطَّريق التي اسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيي بن خالد . فتــواثب غلمانه اليَّ وقالوا: اين هذا الطريق . فقلت: الى الوزير . فدخلوا فاستاذنوا لي وخرج الحاجب فامرني بالدخول وبقيت خجلًا قد وقعت في امرين فاضحَين . إن دخلت اليهِ برداء ونعل واعلمتهُ اني قصدتهُ في تلك الحال كان سوء ادبٍ . وإن قلت لهُ: كنت مجتازًا ولم اقصدك فجعلتك طريقًا كان قبيحًا .

ثم عزمت فدخلت. فلما رآني تبسّم وقال: ما هذا الزي يا ابا محمّد احتبسنا لك بالبر والقصد والتفقد. ثم علمنا انك جعلتنا طريقـاً. فقلت: لا والله ياسيدي ولكني اصدقك. قال: هات. فاخبرتهُ القصة من اولها الى آخرها. فقال: هذا حق مستورٍ أفهذا شغـلَ قلبك. قلت: اي والله. وزاد فقال: لاتشغل قلبك بهذا. يا غلام ردّوا حماره وهاتوا لهُ خلعة. فجاءوني بخلعة تامة من ثيابهِ فلبستها ودعا بالطعام فأكلت ووضع النبيذ فشربت وشرب فغنيتهُ. ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب اربع رِقاع ظننتُ بعضها توقيعاً لي بجائزة. فاذا هو قد دعا بعض وكلائهِ فدفع اليهِ الرقاع وسارَّه بشيء. فزاد طمعي في الجائزة. ومضى الرجل وجلسنا نشرب وانا انتظر شيئاً فلا اراهُ الى العتمة. ثم اتكأ يحيي فنام. فقمت وانا منكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري. فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي: الى اين تمضي. قلت: الى البيت. قال: قد والله بيعت دارك وأُشهد على صاحبها وابتيع الدرب كلّه ووُزن ثمنه والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك. واظنّهُ أشتُري ذلك للسلطان لاني رايت الامر في استعجالهِ واستحثاثهِ امرًا سلطانياً. فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي وجئت وانا لا ادري ما اعمل. فلما نزلت على باب داري اذا انا بالوكيل الذي سارَّه يحيي قد قام اليَّ. فقـال لي: ادخلْ أيدك الله دارك حتى ادخل الى مخاطبتك في امر أحتاج اليك فيهِ. فطابت نفسي بذلك ودخلت ودخل اليَّ فاقرأني توقيع يحيي: يُطلق لابي محمد اسحق مائة الف درهم يُبتاع لهُ بهـا داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها. والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل: قد أمرت لابي محمد اسحق بمائة الف درهم يُبتاع لهُ بها داره فأطلقْ اليهِ مثلَها لينفقها على اصلاح الدار كما يُريد وبنائها على ما يشتهي. والتوقيع الثالث الى جعفر:

قد امرت لابي محمد اسحق بمائة الف درهم يُبتاع لهُ بها منزل يسكنهُ وأمر لهُ اخوك بدفع مائة الف ينفقها على بنائها ومرمّتها على ما يريد. فأطلقْ لهُ انت مائة الف درهم يَبتاع بهـا فرشًا لمنزلهِ. والتوقيع الرابع الى محمد: قد أمرت لابي محمد اسحق انا واخواك بثلثمائة الف درهم لمنزل يبتاعهُ ونفقة ينفقها عليهِ وفرش يبتذلهُ فمر لهُ انت بمائة الف درهم يصرفها في سائر نفقتهِ. وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين الف درهم وهذه كتب الابتياعات باسمي والاقرار لك وهذا المال بُورِكَ لك فيـهِ فاقبضهُ. فقبضتهُ واصبحت احسن حالًا من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ولا والله ما هذا باكبر شيء. فملوه لي أفألام على شكر هؤلاء. فبكى الفضل بن الربيع وكلُّ مَن حضرهُ وقالوا: لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بان تقومهُ لهُ. فقال: أفعلُ. وغنّـاه فتبين علوية انهُ كمـا قال. فقام فقبل راسهُ وقال: انت استاذنا وابن استاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا مِن كل احد

ابراهيم الموصليّ وابليس

حدَّث ابراهيم قال: سألت الرشيد ان يهب لي يومًا في الجمعة لا يبعث فيهِ اليَّ بوجهٍ ولا بسببٍ لأخلو فيهِ باخواني فأَذِن لي في يوم السبت فقال: هو يوم استثقلهُ فالهُ فيهِ بما شئتَ. (قال) فاقمت في يوم السبت بمنزلي وتقدَّمتُ في اصطلاح طعامي وشرابي بما احتجت اليـهِ وأمرت بوّابي فأغلق الابواب

وتقدّمت اليهِ ألّا يأذَن عليَّ لأحد. فبينما انا في مجلسي اذا انا بشيخ ذي هيئة وجمال عليهِ خفَّان قصيران وقميصان ناعمان وعلى راسهِ قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة. وروائح المسك تفوح منهُ حتى ملأَ البيت والدار. فداخلَني بدخوله عليَّ مع ما تقدَّمتُ فيـهِ غيظٌ ما تداخلني قط مثلهُ وهممت بطرد بوَّابي ومن حجبني لاجله. فسلَّم عليَّ احسن سلام. فرددت عليـهِ وأمرتهُ بالجلوس فجلس ثم اخذ في احاديث الناس وايام العرب واحاديثها واشعارها حتى سلى ما بي من الغضب وظننتُ أنَّ غلماني تحرَّوا مسرَّتي بادخالهم مثلهُ عليَّ لادبه وظَرفه فقلت: هل لك في الطعام. فقال: لاحاجة لي فيـهِ. فقلت: هل لك في الشراب. فقال: ذلك اليك. فشربت وسقيته. فقال لي: يا ابا اسحق هل لك ان تغنّي لنا شيئًا من صنعتك وما قد نفقتَ بهِ عنـد الخاصّ والعامّ. فغاظني قولهُ. ثم سهّلت على نفسي امرَه فاخذت العود فجسستهُ ثم ضربت فغنَّيت. فقال: أحسنت يا ابراهيم. فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعلَهُ من دخولهِ عليَّ بغير اذن واقتراحه ان اغنّيهُ حتَّى سمَّاني ولم يكنِّني ولم يُجمل مخاطبتي. ثم قال: هل لك ان تزيدنا. فتذممت فاخذت العود وتغنَّيت فقال: أجدتَ يا ابا اسحق فاتِمَّ حتى نكافئك ونُغنيك. فاخذت العود وتغنَّيت وتحفظت وقمت بما غنيتهُ اياه تامًّا ما تحفظت مثلهُ ولا قمت بغناء كما قمت بهِ لهُ بين يدي خليفة قط ولا غيره لقوله لي اكافئك. فطرب وقال: احسنت يا سيدي. ثم قال: أتاذن لعبدك بالغناء. فقلت: شأنك واستضعفت عقله في ان يغنيني بحضرتي بعد ما سمعهُ مني فاخذ العود وجسَّهُ وحبسهُ. فوالله لخلتهُ ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعتهُ من صوته ثم تغنَّى:

ولي كبد مقروحة مَن يبيعني بها كبدًا ليست بذات قروح

أباها عليَّ الناس لايشترونها ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح

فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبهُ ويغني معـهُ من حسن غنائهِ حتى خِلت والله اني وعظامي وثيابي تجـاوبه وبقيت مبهوتًا لا استطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لِما خالط قلبي . ثم غنَّى :

صحا قلبي وراغ اليَّ عقلي واقصر باطلي ونسيتُ جهلي

فكاد والله عقلي أن يذهب طربًا وارتياحًا لِما سمعت . ثم غنَّى :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجدٍ لقد زادني مسراك وجدًا على وجدِ

ثم قال : ياابراهيم هذا الغناء الماخوري فخـذهُ وانحُ نحوه في غنائك وعلِّمهُ جواريك . فقلت : أعدهُ عليَّ . فقال : ليس تحتاج قد اخذتَهُ وفرغتَ منهُ . ثم غاب من بين يديَّ فارتعت وقمت الى السيف فجرَّدتهُ وعدوت نحو ابواب الحرم فوجدتها مُغلقة . فقلت للجواري : ايَّ شيء سمعتنَّ عندي . فقلنا : سمعنا احسن غناء سُمع قط . فخرجت متحيِّرًا الى باب الدار فوجدتهُ مغلقًا فسألت البوَّاب عن الشيخ . فقال لي : اي شيخ هو . والله ما دخل اليـك اليوم احد فرجعت لاتأمل أمري فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت : لا باس عليك ياابا اسحق انا ابليس وانا كنت جليسك ونديمك اليوم فلا ترُعْ . فركبت الى الرشيد وقلت لا اطرفهُ ابدًا بطرفة مثل هذه فدخلت اليـهِ فحدَّثتهُ بالحديث . فقال : ويحك تأَمَّل هذه الابيات هل اخذتَهـا . فاخذت العود امتحنها فاذا هي راسخة في صدري كانها لم تزل . فطرب الرشيد وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب وامر لي بصلة

الحُطَيئة وسعيد بن العاصي وعُتَيبَة بن النهاس

حدَّث ابو عبيدة قال: بينا سعيد بن العاصي يغشي الناس بالمدينــة والنـــاس يخرجون اولًا اولًا اذ نظر على بساطهِ الى رجل قبيح المنظر رثّ الهيئة جالساً مع اصحاب سمرة. فذهب الشُرَط يقيمونهُ فأبى ان يقوم وحانت من سعيــد التفاتة فقال: دعوا الرجل. فتركوه وخاضوا في احاديث العرب واشعارها مليًّا. فقال لهم الحطيئة: والله ما اصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب. فقال لهُ سعيد: أتعرف من ذلك شيئًا. قال: نعم. قال: فمن اشعر العرب. قال: الذي يقول:

لا اعدّ الإقتار عُدماً ولكن فُقْد مَن قد رُزِيتَهُ الاعدامُ

وانشدَها حتى اتى عليها. فقال لهُ: من يقولها. قال: أبو دؤاد الايادي. قال: ثم مَن. قال: الذي يقول:

ادركِ بما شئت فقد يُدرك م الجهل وقد يخادع الاريبُ

ثم انشدها حتى فرغ منها. قال: ومن يقولها. قال: عبيد بن الابرص. قال: ثم مَن. قال: والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة اذا رفعتُ احدى رجليَّ على الاخرى ثم عويت في اثر القوافي عواء الفصيل الصادي. قال: ومن انت. قال: الحطيئة. (قال) فرحب بهِ سعيد. ثم قال: أسأت بكتمانا نفسك منــذ الليلة ووصله وكساه. ومضى لوجهــه الى عتيبة بن النهاس العجلي فسألهُ. فقال لهُ: ما انا على عمل فاعطيك من عدده ولا في مالي فضلٌ عن قومي. قال لهُ: فلا عليك. وانصرف فقال لهُ بعض قومهِ: لقد عرضتنا ونفسك للشرّ. قال: وكيف. قالوا: هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجـاء. فقال: ردّوه. فردّوه

اليهِ . فقال لهُ : لِمَ كتمتَ نفسك كأنَّك كنتَ تطلب العلل علينا اجلسْ فلك عندنا ما يسرُّك . فجلس فقال لهُ : من اشعر الناس . قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتم يُشتمِ

فقال لهُ عتيبة : ان هذا من مقدَّمات افاعيك . ثم قال لوكيله : اذهب معهُ الى السوق فلا يطلب شيئاً الّا اشتريتهُ لهُ . فجعل يعرض عليهِ الخز ورقيق الثياب فلا يريدها ويُومئ الى الكرابيس والاكسية الغلاظ فيشتريها لهُ حتى قضى اربه ثم مضى . فلما جلس عتيبة في نادي قومهِ اقبل الحطيئة فلما رآهُ عتيبة قال : هذا مقام العائذ بك يا ابا مليكة من خيرك وشرك . قال : قد كنت قلت بيتين فاسمعهما . ثم انشأ يقول :

سألت فلم تبخل ولم تعطِ طائلًا فسيَّان لا ذمٌّ عليك ولا حمدُ
وانت امرؤٌ لا الجود منك سجية فتعطي ولا يعدى على النائل الوجدُ

ثم ركض فرسهُ فذهب

عُمر بن ابي رَبيعة وابن سُرَيج ويزيد بن عبد الملك

حدَّث ابن الكلبي قال : حجَّ عُمر بن ابي ربيعة في عام من الاعوام على نجيب لهُ مخضوب بالحناء مشهر الرحل بقراب منهب ومعهُ عبيد بن سريج على بغلة لهُ شقراء ومعهُ غلامه جناد يقود فرساً لهُ ادهم اغرّ محجلًا وكان عمر ابن ابي ربيعة يُسميه الكوكب في عنقهِ طوق ذهب . ومع عمر جماعة من حشمهِ وغلمانهِ ومواليه وعليهِ حلة موشَّاة يمانية وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان . فلم يمرّوا باحد الّا عجب من حسن هيئتهم وكان عمر من أعطر النـــاس

واحسنهم هيئةً . فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون مِنًى

ثم قال عمر لابن سريج : يا ابا يحيي اني فكرتُ في رجوعنا مع العشية الى مكة مع كثرة الزحام والغُبار وجلَبة الحاج فثقُل عليَّ . فهل لك ان تروح رَواحاً طيباً معتزِلاً فترى فيهِ من راح صادراً الى المدينة من اهلها ونرى اهل العراق واهل الشام ونتعلَّل في عشيتنا وليلتنا ونستريح . قال : وانَّى ذلك يا ابا الخَطَّاب . قال : على كثيب أَبي سجرة(١) المشرف على بطن ياجج(٢) بين مِنًى وسَرِفٍ فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا . قال ابن سريج : طيب والله يا سيدي . فدعا بعض خدمهِ فقــال : اذهبوا الى الدار بمكة فاعملوا لنا سفرة واحملوها مع شراب الى الكثيب حتى اذا أبردْنا ورمينا الجمرة صرنا اليــكم . (قال) والكثيب على خمسة اميال من مكة مشرف على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق وهو كثيب شامخ مشيد واعلاه منفرد عن الكثبان . فصارا اليهِ فاكلا وشربا فلما انتشيا اخذ ابن سريج الدُّفَّ فنقرهُ وجعل يغني وهم ينظرون الى الحاج فلما امسيا رفع ابن سريج صوتهُ فغنَّى في شعرٍ قالهُ عمر . فسمعهُ الركبان فجعلوا يصيحون بهِ : ياصاحب الصوت اما تتقي الله قد حبستَ النــاس عن مناسكهم . فيسكت قليــلاً حتى اذا مضوا رفع صوته وقد اخذ فيهِ الشراب فيقف آخرون . الى ان سرتْ قطعة من الليل فوقف عليهِ في الليل رجل على فرس عتيق عربي مرح مستنّ فهو كانَّهُ ثِمل حتى وقف باصل الكثيب وثنى رجله على قربوس سرجهِ ثم نادى : يا صاحب الصوت أيسهُل عليك ان تردّ شيئاً مما سمعتهُ . قال : نعم ونعمةُ عينٍ . على ان تنزل وتجلس معنا . قال : انا اعجل

---

(١) وفي نسخة : كثيب آل شجرة

(٢) وفي نسخةٍ : ماججٍ

من ذلك فان اجملتَ وانعمتَ اعدتهُ وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة . فاعاد . فقال لهُ : بالله انت ابنُ سريج . قال : نعم . قال : حيّاك الله . وهذا عمر ابن ابي ربيعة . قال : نعم . قال : حيّاك الله يا ابا الخطاب . فقال لهُ : وانت فحيّاك الله قد عرفتَنا فعرِّفنا نفسك . قال : لا يمكنني ذلك . فغضب ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال : انا يزيد بن عبد الملك . فوثب اليهِ عمر فاعظمهُ ونزل ابن سريج اليهِ فقبل ركابه . فقال لهُ : لولا اني اريد وداع الكعبة وقد تقدّمني ثقَلي وغلماني لأطلتُ المقام معك ولنزلت عندكم . ولكني اخاف ان يفضحني الصبح ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهُوينا . ولكن خذ حلتي هذه وخاتمي ولا تُخدَع عنهما فانّ شراءهما الف وخمسمائة دينار . فنزع حلته وخاتمه فدفعهما اليهِ ومضى يركض حتى لحق ثقله . فجاء بهما ابن سريج الى عمر فاعطاه اياهما وقال لهُ : انّ هذين بك اشبه منهما بي فاعطاه عمر ثلثمائة دينار وغدا فيهما الى المسجد . فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون كانَّهما والله حُلَّة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ويسالون عمر عنهما فيخبرهم ان يزيد بن عبد الملك كساهُ ذلك

غناء ابن سريج في مرضهِ

قال اسحق : حدَّثني شيخ من موالي المنصور قال : قدم علينا فتيان من موالي بني أُميَّة يريدون مكة فسمعوا معبدًا ومالكًا فأُعجبوا بهما . ثم قدموا مكة فسأَلوا عن ابن سريج فوجدوه مريضًا فاتوا صديقًا لهم فسأَلوه ان يُسمعهم غناءه فخرج معهم حتى دخلوا عليهِ فقالوا : نحن فتيان من قريش اتيناك مسلّمين

عليك واحببنا ان نسمع منك . فقال : انا مريض كما ترون . فقالوا : ان الذي نكتفي منك بهِ يسير . وكان ابن سريج اديباً طاهر الخُلق عارفاً باقدار الناس . فقال : ياجارية هاتي جِلبابي وعودي فاتتهُ خادمة بجامة . فسدلها على وجههِ . وكان يفعل ذلك اذا تغنّى لقبح وجههِ . ثم اخذ العود فغنّاهم وارخى ثوبه على عينيهِ وهو يُغني حتى اذا اكتفوا القى عوده وقال : معذرة . فقالوا : نعم قد قبل الله عذرك فاحسن الله اليك ومسح ما بك . وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا . فمرّوا بالمدينة منصرفين فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لايطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يطربون . فقال اهل المدينة : نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج . قالوا : أجل لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثلهُ قط ولقد بغّض إلينا ما بعده

ابن قيس الرُّقيَّات وعبد الملك

قال عبيد الله بن قيسٍ الرُقيَّات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغهُ شخوص عبد الملك بن مروان اليهِ . فلمَّا نزلَ مصعب بن الزبير بمسكِن ورأى معالم الغدر ممَّن معهُ دعاني ودعا بمال ومَناطق فملأَ المناطق من ذلك المال والبسني منها وقال لي : انطلق حيث شئتَ فاني مقتول . فقلت لهُ : لا والله لا أَريم حتى أَرى سبيلك . فاقمت معهُ حتى قُتل ثم مضيت الى الكوفة . فأوَّل بيت صرت اليهِ دخلتهُ فاذا فيهِ امرأة لها ابنتان كانهما ظبيتان . فرقيت في درجة لها الى مَشرَبة فقعدت فيها فامرتْ لي المرأة بما احتاج اليهِ من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء . فاقمت كذلك عندها اكثر من حول

تقيم لي ما يصلحني وتغدو عليَّ في كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة ولا تسألني مَن انا ولا اسالها مَن هي. وانا في ذلك اسمع الصياح فيَّ والجُعل. فلما طال بي المقام وفقدتُ الصياحَ فيَّ وغرِدت بكاني غدتْ عليَّ تسالني بالصباح والحاجة. فعرَّفتها أني قد غرِدت واحببت الشخوص الى اهلي. فقالت لي: نأتيك بما تحتاج اليهِ ان شاء الله تعالى. فلما امسيتُ وضرب الليل بارواقه رقيتْ اليّ وقالت: اذا شئتَ. فنزلتُ وقد اعدّتْ راحلتين عليهما ما احتاج اليهِ ومعهما عبد واعطت العبد نفقة الطريق وقالت: العبد والراحلتان لك. فركبتُ وركب العبد معي حتى طرقت اهل مكة فدققت منزلي. فقالوا لي: من هذا. فقلت: عبيدالله بن قيس الرقيات. فولولوا وبكوا وقالوا: ما فارقنا طلبك الّا في هذا الوقت. فاقمت عندهم حتى اسحرتُ ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة فجئت عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عند المساء وهو يعشي اصحابه. فجلست معهم وجعلت اتعاجم واقول: يا ريار بن طيار. فلما خرج اصحابه كشفت لهُ عن وجهي فقال: ابن قيس. فقلت ابن قيس. جئتك عائذاً بك. قال: ويحك ما اجدَّهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك. ولكني ساكتب الى امّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك ارقّ شيء عليها. فكتب اليها يسألها ان تشفع لهُ الى عمها وكتب الى ابيها يسالهُ ان يكتب اليها كتاباً يسالها الشفاعة. فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسالها هل من حاجة. فقالت: نعم لي حاجة. فقال: قد قضيتُ كلَّ حاجة لكِ الّا ابن قيس الرقيات. فقالت: لاتستثنِ عليَّ شيئاً. فنفح بيدهِ فاصاب خدّها. فوضعت يدها على خدّها. فقال لها: يابنتي ارفعي يدك فقد قضيتُ كل حاجة لكِ وان كانت ابن قيس الرقيات. فقالت: فانَّ حاجتي ابنَ قيس

الرقيات تؤمّنهُ . فقد كتب اليَّ أبي يسالني أن اسالك ذلك . قال : فهو آمن . مُريه يحضر مجلسي العشية . فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك . فأخَّر الإذن . ثم اذن للناس واخَّر اذن ابن قيس الرقيَّات حتى اخذوا مجالسهم . ثم اذن لهُ . فلما دخل عليهِ قال عبد الملك : يا اهل الشام أتعرفون هذا . قالوا : لا . فقال : هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نومي الى الفراش ولمَّا　　تشمل الشأم غارة شعواء

تُذهِل الشيخ عن بنيهِ وتُبدي　　عن خِدام العقيلة العذراء

فقالوا : يا امير المؤمنين اسقِنا دم هذا المنافق . قال : الآن وقد أمَّنتهُ وصار في منزلي وعلى بساطي . قد اخَّرتُ الاذن لهُ لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستاذنهُ ابن قيس الرقيات ان ينشدهُ مديحهُ فاذن لهُ . فانشدهُ قصيدتهُ التي مطلعها :

عاد لهُ من كثيرةَ الطربُ　　فعينهُ بالدموع تنسكبُ

حتى قال فيها :

ان الاغرَّ الذي أبوهُ أبو　　م العاصي عليهِ الوقار والحجبُ

يعتدل التــاج فوق مفرقهِ　　على جبين كانهُ الذهبُ

فقال لهُ عبــد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب :

انما مصعب شهــاب من　　الله تجلّت عن وجههِ الظلماء

ملكهُ ملك عزّة ليس فيــهِ　　جبَروت منــهُ ولا كبرياء

أمّا الأمان فقد سبق لك ولكن والله لا تاخذ مع المسلمين عطاء ابدًا . (قال) وقال ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني اماني . تُركتِ حيًا كميت لا آخذ مع الناس عطاء ابدًا . فقال لهُ عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ

قال : ستين سنة . قال : فعُمرُ نفسِك . قال : عشرين سنة من ذي قبل فذلك ثمانون سنة . قال : كم عطاؤك . قال : الفا درهم . فأمر لهُ باربعين الف درهم وقال : ذلك لك عليَّ الى ان تموت على تعميرك نفسك . فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر :

تعدَّت بي الشهباء نحو ابن جعفرٍ   سواء عليها ليلها ونهارُها
تزور امرءًا قد يعلم الله انَّهُ   تجود لهُ كفّ بعيد (١) غِرارُها
أتيناك نثني بالذي انت اهلهُ   عليك كما يثني على الروض جارُها
فوالله لولا ان أزور ابن جعفرٍ   لكان قليلًا في دمشق مزارُها
اذا متَّ لم يوصل صديق ولم تقُم   طريق من المعروف انت منارُها
ذكرتك ان فاض الفرات بارضنا   وفاض باعلى الرَّقَّتَين (٢) بحارُها
وعندي ممَّا خوَّل الله هجمةٌ   عطاؤك منها شولها وعشارُها
مباركة كانت عطاء مباركٍ   تمانح كبراها وتنمي صغارُها

الحرث الغسَّاني وزهير بن جَناب

حدّث أبو مسكين قال : كان للحرث بن مارية الغساني الجفني مُكرمًا لزهير بن جناب الكلبي ينادمهُ ويحادثهُ . فقدم على الملك رجلان من بني نهد ابن زيد يقال لهما حزن وسهل ابناء رزاح . وكان عندهما حديث من احاديث العرب . فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الاثير منهُ . فحسدهما زهير بن جناب

(١) ويُروى : قليل
(٢) وفي نسخة : الرقمتين . وكلاهما اسم مكان مختلف

فقال : ايها الملك هما والله عينٌ لذي القَرنين عليك وهما يكتبان اليهِ بعورتك وخلَلِ ما يَريان منك . قال : كلاَّ . فلم يزل بهِ زهير حتى أوغر صدره . وكان اذا ركب يبعث اليهما ببعيرين يركبان معهُ . فبعث اليهما بناقة واحدة . فعرفا الشرَّ . فلم يركب احدهما وتوقف . فقال لهُ الآخر :

فالَّا تجلّلها يعالوك فوقهـــا وكيف تَوقَّى ظهر ما انت راكبهْ

فركبها مع اخيهِ . ومضى بهما فقُتلا . ثم بحث عن امرهما بعـــد ذلك فوجدهُ باطلًا فشتم زهيرًا وطرده . فانصرف الى بلاد قومهِ . وقدم رزاح ابو الغلامين الى الملك وكان شيخًا عالمًا مجرّبًا . فاكرمهُ الملك واعطاه دِيَة ابنيه . وبلغ زهيرًا مكانُهُ فدعا ابنًا لهُ يقال لهُ عامر وكان من فتيان العرب لسانًا وبيانًا فقال لهُ : ان رزاحًا قد قدم على الملك فالحق بهِ واحتَل في ان تكفينيه وقال لهُ : اذمُمني عنـــد الملك ونَلْ مني . واثّر بهِ آثارًا . فخرج الغلام حتى قدم الشام فتلطَّف للدخول على الملك حتى وصل اليهِ فاعجبهُ ما رأى منهُ . فقال لهُ : من انت . قال : انا عامر بن زهير بن جناب . قال : فلا حيَّاك الله ولا حيَّي اباك الغـــادر الكذوب الساعي . فقال الغلام : نعم فلا حيَّاه الله . انظر ايهـــا الملك ما صنع بظهري . واراه آثار الضرب . فقبل ذلك منـــهُ وادخلهُ في ندمائهِ . فبينما هو يحدّثهُ يومًا اذ قال لهُ : ايها الملك انَّ أَبي وان كان مسيئًا فلست أَدَع ان اقول الحق . قد والله نصحك ابي . ثم انشأ يقول :

فيـــالك نصحة لَمَا نذُقهـــا اراها نصحة ذهبت ضلالا

ثم تركهُ اياماً . وقال لهُ بعد ذلك : ايها الملك ما تقول في حية قد قُطع ذنبها وبقي راسها . قال : ذاك ابوك وصنيعهُ بالرجلين ما صنع . قال : أَبيت اللعن والله ما قدم رزاح الَّا ليثأر بهما . فقال لهُ : وما آية ذلك . قال : اسقهِ الخمر ثم ابعث

اليهِ عيناً يأتيك بخبره. فلما انتشي صرفهُ الى قبته ومعهُ بنتٌ لهُ وبعث عليهِ عيوناً. فلمَّا دخل قبتهُ قامت اليهِ ابنته تسانده فقال:

دعيني من سِنادكِ انَّ حزناً　　وسهلًا ليس بعدهما رُقودُ
الا تَسَلِين عن شِبليكِ ماذا　　اصابهما اذا اهترش الاسودُ
فاني لو ثأرت المرء حزناً　　وسهلًا قد بدا لكِ ما اريدُ

فرجع القوم الى الملك فاخبروه بما سمعوا. فأمر بقتل النهدي رزاح وردَّ زهيرًا الى موضعهِ

طُرَيح بن اسمعيل الثقفي والوليد بن يزيد

اخبر المدائني قال: كان الوليد بن يزيد يكرم طريحًا وكانت لهُ منهُ منزلة قريبة ومكانة وكان يدني مجلسه وجعلهُ اوَّل داخل وآخر خارج ولم يكن يصدر الَّا عن رايهِ. فاستفرغ مَديحه كلَّه وعامَّة شعره فيهِ. فحسدهُ ناس من اهل بيت الوليد. وقدم حماد الراوية على التفيئة الشامَ. فشكوا ذلك اليهِ وقالوا: والله لقد ذهب طريح بامير المؤمنين فما نالنا منهُ ليل ولا نهار. فقال حماد: ابغوني مَن ينشد امير المؤمنين بيتين من شعر فأُسقط منزلتهُ. فطلبوا الى الخصيّ الذى كان يقوم على راس الوليد وجعلوا لهُ عشرة آلاف درهم على ان ينشدهما امير المؤمنين في خلوة. فاذا سألهُ: مِن قول مَن ذا قال: من قول طريح. فاجابهم الخصيّ الى ذلك وعلّموه البيتين. فلمَّا كان ذات يوم دخل طريح على الوليد وفتح الباب وأذن للناس فجلسوا طويلًا ثم نهضوا وبقي طريح مع الوليد وهو وليُّ عهد ثم دعا بغدائهِ فتغديا جميعاً. ثم انَّ طريحًا خرج

وركب الى منزلهِ وترك الوليد في مجلسهِ ليس معهُ احد. فاستلقى على فراشهِ واغتنم الخصيّ خلوته فاندفع ينشد:

سيري ركابي الى من تسعدين بهِ فقد اقمتِ بدار الهُون ما صلحا

سيري الى سيد سمح خلائقه ضخم الدسيعة قرم يحمل المِدَحا

فاصغى الوليد الى الخصيّ بسمعهِ. واعاد الخصيّ غير مرّة. ثم قال الوليد: ويحك ياغلام مِن قول مَن هذا. قال: من قول طريح. فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً ثم قال: وا لهفا على امّ لم تلدني قد جعلتهُ اوّل داخل وآخر خارج ثم يزعم ان هشاماً يحمل المِدَحا ولا احملها. ثم قال: عليَّ بالحاجب. فاتاه. فقال: لا اعلم ما اذنت لطريح ولا رأيتهُ على وجه الارض فان حاولك فاخطفهُ بالسيف. فلما كان بالمشي وصليت العصر جاء طريح للساعة التي كان يؤذن لهُ فيها فدنا من الباب ليدخل فقال لهُ الحاجب: وراءك. فقال: مالك هل دخل على وليّ العهد احد بعدي. قال: لا ولكن ساعة ولّيتَ من عنده دعاني فامرني ان لا آذن لك وان حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف. فقال: لك عشرة آلاف وأذن لي في الدخول عليهِ. فقال لهُ الحاجب: والله لو اعطيتني خراج العراق ما اذنت لك في ذلك وليس لك من خير في الدخول عليهِ فارجع. قال: ويحك هل تعلم من دهاني عنده. قال الحاجب: لا والله لقد دخلت عليهِ وما عندهُ احد ولكن الله يُحدث ما يشاء في الليل والنهار. (قال) فرجع طريح واقام بباب الوليد سنة لا يخلُص اليهِ ولا يقدر على الدخول عليهِ واراد الرجوع الى بلدهِ وقومهِ. فقال: والله ان هذا العجز بي ان ارجع من غير ان القى وليّ العهد فاعلم مَن دهاني عنده. ورأى اناساً كانوا لهُ اعداء قد فرحوا بما كان من امرهِ فكانوا يدخلون على الوليد ويحدّثونهُ ويصدر عن

رأيهم. فلم يزل يلطف بالحاجب ويمنّيه حتى قال لهُ الحاجب: امّا اذ اطلت المقام فاني اكره ان تنصرف على حالك هذه ولكنّ الامير اذا كان يوم كذا وكذا دخل الحمّام ثم أمرَ بسريره فأُبرزَ وليس عليهِ يومئذٍ حجاب. فاذا كان ذلك اليوم اعلمتكَ فتكون قد دخلتَ عليهِ وظفرتَ بحاجتك واكون انا على حال عذر. فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام وأمر بسريره فأُبرز وجلس عليهِ واذن للناس فدخلوا عليهِ والوليد ينظر الى مَن اقبل. وبعث الحاجب الى طريح فاقبل وقد تتامّ الناس. فلمّا نظر الوليد اليهِ من بعيد صرف عنهُ وجههُ واستحى ان يردّه من بين الناس. فدنا فسلم. فلم يردّ عليهِ السلام. فقال طريح يستعطفهُ ويتضرّع اليهِ:

نام الخليُّ من الهموم وبات لي ... ليلٌ اكابدهُ وهمٌّ مضلعُ
وسهرت لا أسري ولا في لذة ... أرَقي واغفلَ ما لقيتُ الهجّعُ
ابغي وجوه مخارجي من تهمة ... ازِمَتْ عليَّ وسدَّ منها المطلعُ
جزعاً لمعتبة الوليد ولم اكن ... من قبل ذاك من الحوادث اجزعُ
يا ابن الخلائف ان سخطك لامرئ ... امسيتَ عصمتهُ بلاءٌ مفظعُ
فلأَنزعنَّ عن الذي لم تهوه ... ان كان لي ورأيت ذلك منزعُ
فاعطف فداك ابي عليَّ توسعاً ... وفضيلة فعلى الفضيلة تتبعُ
فلقد كفاك وزاد ما قد نالني ... ان كنتَ لي ببلاءِ ضرٍ تقنعُ
سِمَةٌ لذاك عليَّ جسمٌ شاحب ... بادٍ تحسّرهُ ولونٌ اسفعُ

(قال) فقرّبهُ وادناه وضحك اليهِ وأعاد لهُ ما كان عليهِ

مُداعبة الأَحوَص لعبد الحكَم الجُمَحيّ

كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتَّخذ بيتاً فجعل فيـــهِ شطرنجات ونردات وقِرقات ودفاتر فيها من كل علم . وجعل في الجدار اوتادًا فمن جاء علَّق ثيابهُ على وتد منها ثم جرَّ دفترًا فقرأهُ او بعض ما يُلعَب بهِ فلعب بهِ مع بعضهم . (قال) فانَّ عبـــد الحكم يوماً لفي المسجد الحرام اذا فتى داخل من باب الحنَّاطين باب بني جُمَح عليهِ ثوبان معصفرانِ مدلوكان وعلى اذنهِ ضغث ريحان وعليهِ درع الخلوق فاقبل يشقّ الناسَ حتى جلس الى عبد الحكم .فجعل مَن رآهُ يقول : ماذا صبَّ عليهِ من هذا . الم يجدْ احدًا يجلس اليهِ غيره . ويقول بعضهم : فايّ شيء يقولهُ لهُ عبد الحكم . هو اكرمُ من ان يجبَه مَن يقعد اليهِ . فتحدَّث اليهِ ساعة . ثم اهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشقّ المسجدَ حتى خرج من باب الحناطين . (قال عبد الحكم) فقلت في نفسي : ماذا سلَّط الله عليَّ منك . رآني معك نصفُ النـــاس في المسجد ونصفهم في الحناطين . حتى دخل مع عبد الحكم بيته فعلّق رداءهُ على وتد وحلَّ ازرارهُ واجترَّ الشطرنج وقال : من يلعب . فبينما هو كذلك اذ دخل الابجر المغنّي فقال لهُ : أيْ زنديق ما جاء بك الى ههنا . وجعل يشتمهُ ويمازحهُ . فقال لهُ عبد الحكم : أتشتم رجلًا في منزلي . فقال : أتعرفهُ هذا الاحوص . فاعتنقهُ عبد الحكم وحيَّاه . فقال : امّا اذ كنتَ الاحوص فقـــد هان عليَّ ما فعلت

خبر المُطرَف

حدَّثَ عبد الله بن عيسى الماهاني قال: دخلت يوماً على اسحق بن ابراهيم الموصلي في حاجة فرأيت عليهِ مُطرف خز أسود ما رأيت قط احسن منـهُ. فتحدّثنا الى ان اخذنا في امر المطرف فقال: لقد كانت لكم ايام حسنة ودولة عجيبة فكيف ترى هذا. فقلت لهُ: ما رأيت مثله. فقال: انَّ قيمته مائة الف درهم ولهُ حديث عجيب. فقلت لهُ: ما اقوّمهُ الَّا نحوًا من مائة دينـار. فقال اسحق: اسمع حديثه. شربنـا يوماً من الايام فبتُّ وانا مُثخَن. فانتبهت لرسول محمد الامين فدخل عليَّ فقال لي: يقول لك امير المؤمنين عجِّـل اليَّ. وكان بخيلًا على الطعام. فكنت آكل قبل ان اذهب اليهِ. فقمت فتسوَّكت واصلحت امري. واعجلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليهِ وابراهيم بن المهدي جالس عن يمينهِ وعليهِ هذا المطرف وجبَّة خز دكناء. فقال لي محمد: يا اسحق تغدّيتَ. فقلتُ: نعم ياسيـدي. فقال: انك لَنهم أهذا وقت غداء. فقلت: أصبحتُ يا امير المؤمنين وبي خُمار فكان ذلك ممَّا جرَّأني على الاكل. فقال لهم: كم شربنا. فقالوا: ثلاثة أرطال فقال اسقوه مثلها. فقلت: ان رأيت ان تفرّقها عليَّ. فقال: تُسقى رطلين ورطلًا. فدُفِع اليَّ رطلان فجعلت اشربهما وانا اتوهم ان نفسي تسيل معهما. ثم دُفع اليَّ رطل آخر فشربتهُ فكأنَّ شيئًا انجلى عني فقال: غنِّني

كُليبٌ لعمري كان اكثر ناصرًا وايسر جرمًا منك ضُرِّج بالدم

فغنيتهُ. فقال: أحسنتَ. وطرب ثم قام فدخل. فقمت في اثر قيـامهِ فدعوت غلاماً لي فقلت: اذهب الى منزلي وجئني بِزُمَاوَرْدَتَيْنِ ولفّهما في منديل

واذهب ركضاً وعجّل. فمضى الغلام فجاءني بهما. فلمّا وافى الباب ونزل عن الدابة انقطع البِرذَون فنفق من شدّة ما ركضه. فادخل اليَّ الزُّماوَرْدَتَين فاكلتهما ورجعت الى نفسي وعدت الى مجلسي. فقال لي ابراهيم ان لي اليك حاجةً احب ان تقضيها لي. فقلت: انما انا عبدك وابن عبدك قل ما شئتَ قال: تردّ عليَّ:

« كليب لعمري كان اكثر ناصرًا » وهذا المطرف لك. فقلت: انا لا آخذ منك مطرفًا على هذا ولكني اصير اليك الى منزلك فالقيه على الجواري واردّه عليك مرارًا. فقال: أحب ان تردّهُ عليَّ الساعة وان تاخذ هذا المطرف فانهُ من لبسك ومن حاله كذا وكذا. فرددت عليهِ الصوت مرارًا حتى أخذهُ. ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس. ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا فغنّاه ابراهيم « كليب لعمري كان اكثر ناصرًا » فكأني والله لم اسمعهُ قبل ذلك حسنًا. وطرب محمد طربًا عجيبًا وقال: أحسنت والله ياعمّ. اعطِ ياغلام عشر بدر لعمّي الساعة. فجاءوا بها فقال: يا امير المؤمنين ان لي فيها شريكًا. قال: ومن هو. قال: اسحق. قال: وكيف. قال: انما اخذتهُ الساعة منهُ لمّا قمتَ. فقلت لهُ: ولِمَ. أضاقتِ الاموال على امير المؤمنين حتى يشركك فيما تُعطاه. قال: أمّا انا فاشركك وامير المؤمنين أعلم. فلمّا انصرفنا من المجلس اعطاني ثلاثين الفًا واعطاني هذا المطرف فهذا أخذ بهِ مائة الف درهم وهي قيمتهُ

الاقيشر وامّ حنين

كان الاقيشر لا يسأل احدًا اكثر من خمسة دراهم يجعل درهمين في كراء بغل الى الحيرة ودرهمين للشراب ودرهمًا للطعام. وكان لهُ جار يكنّى ابا المضاء لهُ بغل يكريه وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغلهُ فيركبهُ الى الحيرة حتى يأتي بيت الخمَّار فينزل عندهُ ويربطهُ بخامهِ وسرجهِ. فيقال انهُ أعطى ثمنهُ في الكراء. ثم يجلس فيشرب حتى يمسي ثم يركبهُ وينصرف. (قال) فاتى يومًا من الايام بيت الخمَّار الذي كان يأتيه فلم يصادفهُ. فجعل ينتظرهُ. ودخلت الدار امرأةٌ عِبادية فقال لها: ما فعل فلان. قالت: مضى في حاجةٍ وانا امرأتهُ فما تُريد. قال: نبيذًا. قالت: بكم. قال: بدرهمين. قالت: هلمَّ درهميك وانتظرني. قال: لا. قالت: فذلك اليك. ومضت وتبعها. فدخلت دارًا لها بابان وخرجتْ من احدهما وتركته. فلمّا طال جلوسه خرج اليهِ بعض اهل الدار. فقالوا: وما يجلسك. فاخبرهم. فقالوا لهُ: تلك امرأة محتالة من العباديين. فعلم انهُ قد خُدع فانصرف وانشأ يقول:

لم يُغرِّر بذات خفٍ سوانا ... بعد اخت العباد أمِّ حنينِ
وعدتنا بدرهمين نبيذًا ... أو طلاء معجلًا غير دَينِ
ثم ألوتْ بالدرهمين جميعًا ... يالقومي لضيعة الدرهمينِ

(قال) فجاء حنين الخمَّار فقال لهُ: يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء امي. قال: اخذتْ مني درهمين ولم تعطني شرابًا. قال: والله ما تعرفك امي ولا اخذت منك شيئًا قط فانظر الى امي فان كانت هي صاحبتك غرمتُ لك الدرهمين. قال: لا والله ما اعرف غير أمّ حنين. ما قالت لي الّا ذلك. ولا اهجو الّا امّ

حنين وابنها . فان كانت امّك فاياها اعني وان كانت ام حنين اخرى فاياها اعني . فقال : اذًا لايفرق النـاس بينهما . قال : فما عليَّ اذن . أترى درهمين يضيعان . فقال لهُ : هامٌ اذًا اغرمهما لك واقيم ما تحتاج اليـهِ . لابارك الله لك . ففعل

الحَفصي المعزِّف وعبد الله بن موسى الهادي

أخبرَ الحفصيّ المعزف قال : دعاني عبد الله بن موسى يومًا ودعاني اخوه اسمعيل . فآثرت اسمعيل لِما كان في عبد الله من العربدة . فلم نشعر الّا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على برذون اشهب متقلدًا سيفًا وهو سكران . فلمّا رايناهُ تطايرنا في الحُجَر . فنزل عن دابتهِ وجلس . وجثـا اسمعيل بين يديهِ اجلالًا لهُ وقال لهُ : ياسيّدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك اليَّ . قال : دعني من هذا . مَن عندك . قال : فلان وفلان . فعدَّ جماعةَ مَن كان عنده . قال لهُ : هاتهم . فدعا بنا فخرجنـا وقد متنا فزعًا . وأَقبل عليَّ من بينهم فقال لي : ياحفصي أبعثُ اليك ثلاثة ايام تباعـًا فتدعُني وتجيء الي اسمعيل . وضرب بيدهِ الى سيفهِ . فقـام اسمعيل بيني وبينهُ وقال : نعم يجيئني ويدعك لانَّهُ لاينصرف من عندك الّا بشجة او عربدة مع حِرمان . ولا ينصرف من عندي الّا ببرّ مع خلعة ووعدٍ محصَّل . أفتلومهُ على ذلك . فكفَّ عبد الله . وكان شديد العربدة وقام وانصرف

حِلم عبدالله بن موسى الهادي

حدَّث دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال: كنت انا وثقيف الخادم الاسود مولى الفضل بن الربيع نُضارب مولاي عبد الله بن موسى وقد اخذ النبيذ من الجماعة. فضرب عبدُ الله وثقيف صوتاً فاختلفا فيهِ وتشاجرا. فقال عبد الله: كذا اخذتهُ من منصور زلزل. وقال ثقيف: كذا اخذتهُ منـه. وطال تشاجرهما فيهِ. وكان ثقيف معربدًا يذهب عقلهُ من ادنى شيء يشربهُ وكان عبدالله ايضاً معربدًا. فغضب ثقيف ورفع العود وهو لايعقل فضرب بهِ راس عبد الله بن موسى فطوَّقهُ ايَّاه. وابتدر خدم عبد الله. فقـال لهم عبد الله بن موسى: لاتمسوهُ وأَخرجوا العود من عنقي. فاخرجوه. وكان عبدالله ابن موسى أشدَّ خلق الله عربدةً ايضاً. فرُزق في ذلك اليوم حلمًا لم يُرَ مثلهُ وقال لخدمهِ: ان قتلتهُ قتلت كلباً وتحدَّثَ الناس بذلك. ولكن اخلعوا عليـهِ وهبوا لهُ ولا يدخل منزلي ابدًا

المأمون في دار بعض الامويّين بدمشق

حدَّث محمد بن احمد المكي المرتجل قال: حدَّثني أَبي قال: دخلت الى علويَّة أعوده من علَّة اعتلها ثم عوفي منها. فجرى حديث المامون فقال: كدت علِمَ اللهُ اذهبُ دفعةً ذات يوم وانا معهُ لولا ان الله تعالى سلمني ووهب لي حلمه. فقلت: كيف كان السبب في ذلك. فقال: كنت معهُ لمَّا خرج الى الشام فدخلنا دمشق فطُفنا فيها وجعل يطوف على قصور بني أُميَّـة ويتَّبع آثارهم. فدخل صحناً من صحونهم فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كلُّهُ وفيهِ

بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصبُّ اليها. وفي البركة سمك وبين يديها بستان على اربعة زواياه أربع سروات كانهـا قُصَّتْ بمقراضٍ من التفافها أحسن ما رايت من السروات قط قدًّا وقدرًا. فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح وقال: هاتوا لي الساعة طعامًا خفيفًا. فأُتي بهِ بين ماء وورد. فاكل ودعا بشراب واقبل عليَّ وقال: غنِّني ونشطني. فكأنَّ الله عزَّ وجلَّ أنساني الغناء كله الَّا هذا الصوت:

لو كان حولي بنو أُميَّـة لم   تنطق رجالٌ أراهمُ نطقوا

فنظر اليَّ مغضبًا وقال: عليك وعلى بني أُميَّـة لعنة الله. ويلك أقلتُ لك سُؤْني أو سرَّني. الم يكن لك وقت تذكر فيهِ بني أُميَّة الَّا هذا الوقت تُعرِض بي. فتحيَّلت عليهِ وعلمت اني قد لغطت فقلت: أتلومني على ان اذكر بني أُميَّة. هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك لهُ ويملك ثلثمائة الف دينار وهبوها لهُ سوى الخيل والضياع والرقيق. وانا عندكم أموت جوعًا فقال: او لم يكن لك شيء تذكرني بهِ نفسك غير هذا. فقلت: هكذا حضرَني حين ذكرتُهم. فقال: اعدل عن هذا وتنبَّه على ارادتي. فأنساني الله كلَّ شيء أُحسنهُ الَّا هذا الصوت:

الحَيْن ساق الى دمشق ولم اكن   ارضى دمشق لاهلنا بلدا

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح. وقال: قم عنِّي الى لعنة الله وحرّ سقر. وقام فركب. فكانت والله تلك الحال آخر عهدي بهِ حتى مرض ومات. (قال) ثم قال لي: يااباجعفر كم تراني احسن اغنّي ثلاثة آلاف صوت اربعـة آلاف صوت خمسة آلاف صوت. انا والله اغنّي اكثر من ذلك. ذهب علِمَ اللهُ كلُّه حتى كأنّي لم اعرف غيرَ ما غنَّيت. ولقد ظننت انهُ لو

كانت لي الف روح ما نجت منـهُ واحدة منها . ولكنَّهُ كان رجلًا حليماً وكان في العمر بقيَّة

العود المشوَّش الأوتار

حدَّث علوية الاعسر قال: تناظر المغنُّون يوماً عند الواثق فذكروا الضُرَّاب وحذقهم . فقدَّم اسحقُ زلزلًا على ملاحظ . وللاحظ في ذلك الرئاسة على جميعهم . فقال لهُ الواثق : هذا حَيف وتعدٍ منك . فقال اسحق : يا امير المؤمنين اجمع بينهما وامتحنهما فانَّ الامر سينكشف لك فيهما . فأمر بهما فأُحضرا . فقال لهُ اسحق : ان للضرَّاب اصواتاً معروفة . أفأمتحنهما بشيء منها . قال أَجَل افعل . فسمَّى ثلاثة اصواتٍ كان اوَّلها « بكيت حذار البين علماً بمـا الذي » فضربا عليهِ . فتقدَّم زلزل وقصَّر عنهُ ملاحظ . فعجب الواثق من كشفهِ عمـا ادَّعاه في مجلس واحد . فقال لهُ ملاحظ : فمـا بالهُ يا امير المؤمنين يُحيلك على الناس ولِمَ لايضرب هو . فقال : يا امير المؤمنين انهُ لم يكن احد في زماني اضرب منّي . الَّا انكم أعفيتموني فتفلّتَ مني . وعلى ان معي بقيةً لا يتعلّق بهـا احد من هذه الطبقة . ثم قال : ياملاحظ شوّش عودك وهاتهِ . ففعل ذلك ملاحظ . فقال : يا امير المؤمنين هذا يخلط الاوتار تخليط متعنّتٍ فهو لا يألو ما أفسدها . ثم اخذ العودَ فجسهُ ساعةً حتى عرف مواقعـه فغنَّى ثم قال : يا ملاحظ غنِّ ايَّ صوتٍ شئتَ . فغنَّى ملاحظ صوتاً وضرب عليهِ اسحق بذلك العود الفاسد التسوية . فلم يُخرجهُ عن لحنـهِ في موضعٍ واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويدهُ تصعد وتحدر على الدساتين . فقال لهُ الواثق :

لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت بهِ. اطرح هذا على الجواري. فقال: هيهات يا امير المؤمنين هذا شيءٌ لاتعرفهُ الجواري ولا يصلح لهنَّ. انما بلغني انَّ الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسنَ فحسدهُ رجل من حُذاق اهل صنعتهِ فترقَّبهُ حتى قام لبعض شانهِ ثم خالفهُ الى عوده فشوَّش بعض اوتارهِ. فرجع فضرب وهو لايدري. والملوك لا تُصلَحُ في مجالسها العيدانُ. فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد الى ان فرغ ثم قام على رجلهِ فاخبر الملك بالقصة. فامتحن العودَ فعرف ما فيهِ ثم قال: زه وزه وزهانِ زه. ووصله بالصلة التي كان يصل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة. فلماً تواطأَتِ الرواية بهذا أَخذتُ نفسي ورُضتها عليهِ وقلت لاينبغي ان يكون الفهليذ اقوى على هذا مني. فما زلت استنبطهُ بضعَ عشرة سنة حتى لم يبقَ في الارض موضع على طبقة من الطبقات الَّا وانا اعرفُ نغمتهُ كيف هي والمواضع التي يخرج النغم كلُّها منهُ فيها من أَعاليها الى اسافلها وكل شيء منها يجانس شيئاً غيره كما اعرف ذلك في مواضع الدساتين. وهذا شيء لاتفني بهِ الجواري. قال لهُ الواثق: صدقت ولئِن متَّ لتموتنَّ هذه الصناعة معك. وامر لهُ بثلاثين الف درهم

هشام وحماد الراوية

قال حمَّاد الراوية: كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك. فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر اهلهِ من بني أُميـــة في ايام يزيد. فلماً مات يزيد وأَفضتِ الخلافة الى هشام خفتهُ فمكثتُ في بيتي سنةً لا اخرج الَّا لمن اثق بهِ من اخواني سرًّا. فلماً لم اسمع احدًا يذكرني سنةً أَمنتُ فخرجت فصلّيت

الجمعة ثم جلست عند باب الفيل . فاذا شُرَطيّانِ قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حماد أجبْ الاميرِ يوسف بن عمر . فقلت في نفسي : مِن هذا كنت احذر . ثم قلت للشرطيَّينِ : هل لكما ان تدَعاني آتي اهلي فأُودّعهم وِداعَ مَن لاينصرف اليهم ابدًا ثم اصير معكما اليهِ . فقالا : ما الى ذلك من سبيل . فاستسلمت في ايديهما وصرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر . فسلّمت عليهِ فردَّ عليَّ السلام ورمى اليَّ كتابًا فيهِ : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام امير المؤمنين الى يوسف بن عمر . امَّا بعدُ فاذا قرأتَ كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك بهِ غير مروَّعٍ ولا متعتعٍ وادفع اليهِ خمسمائة دينار وجملًا مَهريًّا يسير عليهِ اثنتَي عشرة ليلة الى دمشق . فاخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مرحول فوضعت رجلي في الغَرْز وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام . فاستأذنت فاذن لي فدخلت عليهِ في دارٍ قوراء مفروشة بالرخام وهو في مجلس مفروش بالرخام وبين كلّ رخامتين قضيب ذهب وحيطانهُ كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليهِ ثياب خز حُمر وقد تضمّخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مفتوت في اواني ذهب يقلبهُ بيدهِ فتفوح روائحهُ . فسلّمت فردَّ عليَّ واستدناني . فدنوتُ حتى قبّلت رجله . واذا جاريتان لم ارَ قبلهما مثلهما في أُذُني كلّ واحدة منهما حلقتانِ من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان . فقال لي : كيف انت ياحماد وكيف حالك . فقلت : بخير يا امير المؤمنين . قال : أتدري فيمَ بعثتُ اليك . قلت : لا . قال : بعثت اليكِ لبيتٍ خطر ببالي لم ادرِ مَن قالهُ . قلت : وما هو . فقال :

فدعَوا بالصَبوح يوماً فجاءت قينــة في يمينها ابريقُ

قلت: هذا يقولهُ عَدي بن زيد في قصيدة لهُ. قال فأنشدنيها فانشدتهُ:

فدعَوا بالصبوح يوماً فجاءت قينــة في يمينها ابريقُ
قدّمتهُ على عقــارٍ كعين الدّ يك صفَّى سلافَهــا الراوُوقُ
مُرَّةٌ قبــل مزجها فاذا ما مُزجتْ لذَّ طعمُها مَن يذوقُ
وطَفت فوقها فواقمُ كالدرّ م صِغارٌ يُثيرُها التصفيقُ
ثم كان المزاج ماء سماء غيرَ ما آجنٍ ولا مطروقُ

(قال) فطرب ثم قال: أحسنتَ والله يا حمَّاد. يا جارية اسقيــه. فسقتني شربةً ذهبتْ بثلث عقلي. وقال: أعِد. فاعدتُ فاستخفَّهُ الطربُ حتى نزل عن فرشهِ. ثم قال للجــارية الاخرى: اسقيه. فسقتني شربةً ذهبتْ بثلث عقلي. فقلت: ان سقتني الثالثة افتضحت. فقال: سَلْ حوائجك. فقلت: كائنــة ما كانت. قال: نعم. قلت: احدى الجاريتَين. فقال لي: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهُما. ثم قال للاولى: اسقيه. فسقتني شربةً سقطتُ معها فلم اعقل حتى أصبحتُ فاذا بالجاريتين عند راسي واذا عدَّةٌ من الخدم مع كلٍّ واحدٍ منهم بدرةٌ. فقال لي احدهم: امير المؤمنين يقرأُ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فانتفع بها. فاخذتها والجاريتين وانصرفت

ابن هَرْمة وعبد الواحد بن سليمان

حدَّث عبد الله بن ابراهيم الجمحي قال: قلت لابن هرمة: أتمدحُ عبــد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ بهِ غيرَهُ فتقول فيهِ هذا البيت:

وجدنا غالباً كانت جناحاً　　وكان ابوك قادمة الجناح

ثم تقول فيها:

اعبد الواحدِ الميمون اني　　أغصّ حذارَ سخطك بالقراحِ

فبأي شي. استوجبَ ذلك منك. فقال: إني اخبرك بالقصة لِتعذرني. اصابتني أزمَةٌ ومحنة بالمدينة فاستنهضتني بنتُ عمّي للخروج فقلت لها: ويحكِ انهُ ليس عندي ما يُقِلُّ جناحي. فقالت: انا أُنهضك بما امكنني. وكانت عندي نابٌ لي فنهضت عليها نهجد النُوّام ونؤذي السُمّار وليس من منزل انزلهُ الّا قال الناس: ابن هرمة. حتى دفعتُ الى دمشق فأويتُ الى مسجد عبد الواحد في جوف الليل. فجلست فيهِ انتظرهُ الى ان نظرتُ الى بزوغ الفجر. فاذا الباب ينفلق عن رجل كأنهُ البدر. فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين. وتأملتهُ فاذا هو عبد الواحد. فقمتُ فدنوت منهُ وسلّمت عليهِ. فقال لي: أبو اسحق. اهلًا ومرحباً. فقلت لَبّيك بأبي انت وامي وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانهِ. فقال: اما آن لك ان تزورنا فقد طال العهدُ واشتدّ الشوق. فما وراءك. قلت: لا تسلني بأبي انت وامي فان الدهر قد أخنَى عليَّ فما وجدتُ مستغاثاً غيرك. فقال لا ترُعْ فقد وردتَ على ما تحبُّ ان شاء الله. فوالله اني لأخاطبهُ فاذا بثلاثة فتيةٍ قد خرجوا كأنهم الاشطان. فسلّموا عليهِ فاستدنى الاكبر منهم فهمس اليهِ بشيء دوني ودون أخويهِ. فمضى الى البيت ثم رجع فجلس اليهِ فكلمهُ بشيء دوني ثم ولّى. فلم يلبثْ أنْ خرج ومعهُ عبد ضابط يحمل عِبئاً من الثياب حتى ضرب بهِ بين يديَّ. ثم همس اليهِ ثانية فعاد واذا بهِ قد رجع ومعهُ مثل ذلك فضرب بهِ بين يديَّ. فقال لي عبد الواحد: دنُ يا ابا اسحق فاني اعلم انك لم تصرْ الينا حتى تفاقمَ صدعُك فخذ هذا

وارجع الى عيالك فوالله ما سألنا لك هذا الّا من أشدلق عيالنا. ودفع اليَّ الف دينــار وقال لي: قم فارحل فأغث مَن وراءك. فقمت الى الباب فلما نظرتُ الى ناقتي ضقتُ. فقــال لي: تعال. ما ارى هذه مُبلِّغتك. يا غلام قدِّم لهُ جملي فلانًا. فوالله لقد كنت بالجمل أشدَّ سرورًا مني بكلّ ما نلتهُ. فهل تلومني ان أغصَّ حذارَ سخــط هذا بالقراح ووالله ما انشدتهُ ليلتئذٍ بيتًا واحدًا

حسَّان بن ثابت في مأدبة

أخبر عبد الرحمن بن أَبي الزناد عن ابيــهِ قال: سمعتُ خارجة بن يزيد يقول: دُعينا الى مأدبة في آل نبيط. قال خارجة: فحضرتها وحسَّان بن ثابت قد حضرها. فجلسنا جميعًا على مائدة واحدة وهو يومئذٍ قد ذهب بصرهُ ومعهُ ابنهُ عبد الرحمن. فكان اذا اتى طعامٌ سأل ابنــهُ أطعامُ يدٍ ام يدَينِ. يعني باليد الثريد وباليدين الشواء لانهُ ينهش نهشًا. فاذا قل: طعامُ يدَينِ أمسكَ يده. فلما فرغوا من الطعام اتوا بجاريتين احداهما رائقة والاخرى عزة فجلستا واخذتا بِزهرَيهما وضربتا ضربًا عجيبًا وغنَّتا بقول حسَّان:

انظرْ خليلي ببــاب جِلِّقَ هل تُبصرُ دون البلقاء من احد

فاسمع حسَّان يقول: قد أراني بها سميعًا بصيرًا » وعيناه تدمعانِ. فاذا سكتتا سكت عنهُ البكاء واذا غنَّتا بكى. فكنت أرى ابنهُ عبــد الرحمن اذا سكتتا يُشير اليهما ان تغنّيا فيبكي أبوهُ فيقول ماحاجته الى ابكاء ابيهِ. (قال) فلما انقلب حسَّان من مأدبة بني نبيط الى منزلهِ استلقى على فراشهِ ووضع احدى

رجليهِ على الاخرى وقال: لقد اذكرتني رائقة وصاحبتها أمرًا ما سمعتهُ اذناي بُعَيد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الايهم فتبسم ثم جلس فقال: لقد رأيت عشر قيان خمسٌ روميات يغنينَ بالرومية بالبرابط وخمس يغنين غناء اهل الحيرة وأهداهنَّ اليهِ اياس بن قبيصة. وكان يفِدُ اليهِ من يُغنّيه من العرب من مكة وغيرها. وكان اذا جلس للشرب فُرش تحتهُ الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب لهُ العنبر والمسك في صِحاف الفضة والذهب وأُتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة وأُوقد لهُ العود المندَّى ان كان شاتيًا. وان كان صائفًا بطن بالثلج وأُتي هو واصحابه بكساء صيفية ينفصل هو واصحابهُ بها في الصيف. وفي الشتاء الفراء الفنك وما اشبهه. ولا والله ما جلست معهُ يومًا قط الّا خلع عليَّ ثيابهُ التي عليهِ في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائهِ. هذا مع حلم عمّن جهل وضحك وبذل من غير مسألة. مع حسن وجه وحسن حديث. ما رأيت منهُ خنى قط ولا عربدة. ونحن يومئذٍ على الشِرك. فجاء الاسلام فمحا الكفرَ وتركنا الخمر وما كره. وانتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ من الزهو والرطب. فلا يشرب احدكم ثلاثة اقداح حتى يذهب بعقلهِ ودينهِ فلا تنتهون

زُفَر بن الحرِث يُجير خالد بن عتّاب

انَّ الحجّاج كان استعمل خالد بن عتاب على الرَّيّ وكانت امّه امّ وُلد. فكتب اليهِ الحجّاج يسبّ امهُ ويقول: انت الذي هربتَ عن ابيك حتى قُتل. وقد كان حلف ان لا يسبّ احدا امهُ الّا اجابهُ كائنا من كان. فكتب

اليهِ خالد: كتبتَ اليَّ تشتم امي وتزعم اني فررتُ عن أبي حتى قُتل. ولعمري لقد فررتُ عنـهُ ولكن بعد ان قُتل وحين لم اجدْ لي مُقاتلًا. ولكن أخبرْني عنك يالئيم حين فررتَ انت وابوك يوم الحرَّة على جمل ثقالٍ ايّكما كان امام صاحبه. فقرأ الحجّاج الكتاب وقال: صدق

انا الذي فررت يوم الحرَّه ثم ثنيت كرّة بفرّه
والشيخ لايفرّ الّا مرّه

ثم طلبهُ وهرب الى الشام وسلّم بيت المال ولم ياخذ منهُ شيئًا. وكتب الحجاج الى عبد الملك بما كان منهُ. وقدم خالد الشام فسأل عن خاصّة عبـد الملك فقيل لهُ: رَوح بن زنباع. فأتاه حين طلعتِ الشمس فقال: اني جئتك مستجيرًا فقـال: انني قد أجرتك الّا ان تكون خالدًا. قال: فاني خالد. فتغيّر وقال: انشدك الله الّاخرجتَ عنّي فاني لاآمن عبد الملك. فقال: انظرني حتى تغرب الشمس. فجعل روح يُراعيهـا حتى خرج خالد. فاتى زفر بن الحرث الكلابي فقال: اني جئتك مستجيرًا. قال: قد اجرتك. قال: انا خالد بن عتاب. قال: وان كنتَ خالدًا. فلمّا أصبح دعا ابنَين لهُ فتهادى بينهما وقد أسنَّ فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس. فلما رآه دعا لهُ بكرسي فجُعِل عند فراشه. فجلس ثم قال: يا امير المؤمنين اني قد أجرتُ عليك رجلًا فأجرْهُ. قال: قد أَجرتهُ الّا ان يكون خالدًا. قال: فهو خالد. قال: لا ولا كرامة. فقال زفر لابنيه: أنهضاني. فلمّا ولّى قال: يا عبد الملك أمَا والله لوكنتَ تعلمُ انَّ يدي تطيق حملَ القناة وراسَ الجواد لأجرتَ مَن أجرتُ. فضحك وقال: ياابا الهذيل قد أجرناهُ فلا أرَيَنّهُ. وارسل الى خالدٍ بألفي درهم فاخذها ودفع الى رسولهِ أربعـة آلاف درهم

زيد الخيل

أخبر شيخ من بني نبهان قال: اصابت بني شيبان سنةٌ ذهبت بالاموال. فخرج رجل منهم بعيالهِ حتى انزلهم الحيرة فقال لهم: كونوا قريباً من الملك يصبكنَّ من خيرهِ حتى ارجع اليكنَّ. وآلى أليَّة لايرجع حتى يكسبهنَّ خيرًا او يموت. فتزوَّد زادًا ثم مشى يوماً الى الليل فاذا هو بمهرٍ مُقيَّدٍ يدٍ ورجلٍ حول خباء فقال: هذا اوَّل الغنيمة فذهب يحلُّهُ ويركبهُ. فنودي خلِّ عنهُ واغنم نفسك. فتركهُ ومضى سبعة ايام حتى انتهى الى عَطَن ابل مع تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من ادَم. فقال في نفسهِ. ما لهذا الخباء بُدٌّ من اهلٍ وما لهذه القبة بُدٌّ من ربٍّ وما لهذا العطن بُدٌّ من ابل. فنظر في الخباء فاذا شيخ كبير قد اختلفت ترقوتاه كأنهُ نسر. (قال) فجلست خلفهُ فلما وجبتِ الشمس اذا فارس قد اقبل لم ارَ فارساً قط اعظم منهُ ولا اجسم على فرس مشرف ومعهُ اسودان يمشيان جنبيه. واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركت حوله. ونزل الفارس فقال لاحد عبدَيه: احلب فلانة ثم اسقِ الشيخ. فحلب في عسٍّ حتى ملأهُ ووضعهُ بين يدَي الشيخ وتنحَّى فكرع منهُ الشيخ مرَّةً او مرَّتين ثم نزع. فثرتُ اليهِ فشربتهُ. فرجع اليهِ العبد فقال: يا مولاي قد اتى على آخرهِ. ففرح بذلك وقال: احلب فلانة. فحلبها ثم وضع العسَّ بين يدي الشيخ. فكرع منهُ واحدة ثم نزع. فثرتُ اليهِ فشربتُ نصفه وكرهت ان آتي على آخره فأتهم. فجاء العبد فأخذهُ وقال لمولاه: قد شرب ورويَ فقال: دعهُ ثم أمر بشاة فذُبحت وشوى للشيخ منها. ثم اكل هو وعبداه. فأمهلتُ حتى اذا ناموا وسمعتُ الغطيط ثرتُ الى الفحل فحللت عقالهُ

وركبتهُ فاندفع بي وتبعتهُ الابل. فمشيت ليلتي حتى الصباح. فلما اصبحتُ نظرتُ فلم أرَ أحدًا فسللتها اذًا سلاًّ عنيفًا حتى تعالى النهارُ. ثم التفت التفاتة فاذا انا بشيءٍ كأنهُ طائرٌ. فما زال يدنو حتى تبيَّنتهُ. فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبي بالامس. فعقلتُ الفحل ونثلتُ كنانتي ووقفت بينــهُ وبين الابل. فقال: احلل عقال الفحل. فقلت: كلاًّ والله لقد خلّفتُ نُسيَّاتٍ بالحيرة وآليت اليَّــة لا ارجع حتى أُفيدهنَّ خيرًا او أموت. قال: فانَّك لميتٌ حلَّ عقالهُ لا امَّ لك. فقلتُ: ما هو الَّا ما قلت لك. فقال: انك لمغرورٌ انصب لي خِطامه واجعل فيهِ خمس عُجَرٍ. ففعلت. فقــال: اين تُريد أن اضعَ سهمي. فقلت: في هذا الموضع. فكأَنَّما وضعهُ بيدهِ ثم اقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة اسهم. فرددتُ نبلي وحططتُ قوسي ووقفت مستسلمًا. فدنا مني واخذ السيف والقوس ثم قال: ارتدف خلفي. وعرف اني الرجل الذي شربتُ اللبن عندهُ فقال: كيف ظنُّك بي. قلت: أحسن ظنّ. قال: وكيف. قلت: لِمَا لقيتَ من تعب ليلتك وقد اظفرك الله بي. فقال: اترانا كنَّا نهيجك وقد بتَّ تنــادمُ مُهَلهِلًا. قلت: أزيدُ الخيل أنتَ. قال: نعم انا زيد الخيل. فقلت: كنْ خيرَ آخذ. فقال: ليس عليك بأس. فمضى الى موضعه الذي كان فيــهِ ثم قال: اما لو كانت هذه الابل لي لسلَّمتها اليك ولكنها لبنت مهلهل فاقِمْ عليَّ فانّي على شرف غارة. فأقمت اياماً. ثم أغار على بني نمير بالمِلح فاصاب مائة بعير فقال: هذه أحبُّ اليك أم تلك. قلتُ: هذه. قال: دونكها وبعث معي خفراء من ماء الى ماء حتى وردوا بي الحيرة

حاتم في صغره

كان حاتم من شعراء العرب وكان جوادًا يشبه شعرَه جودُه ويصدق قولَه فعلهُ. وكان حيثما نزل عُرف منزله. وكان مظفَّرًا اذا قاتل غلَب واذا غنم أنهبَ واذا سُئل وهب واذا ضرب بالقداح فاز واذا سابق سبق واذا أسر أطلقَ وكان يقسم بالله ان لايقتلَ واحدَ أمّهِ. وكان اذا اهلَّ الشهرُ الاصمّ الذي كانت مُضر تُعظّمُهُ في الجاهلية ينحر في كل يوم عشرًا من الابل فاطعم الناس واجتمعوا اليهِ. فكان ممن ياتيه من الشعراء الحطيئة وبِشر بن أَبي حازم. فذكروا انَّ امّ حاتم أُتيتْ وهي حبلى في المنام فقيل لها: أَغلامٌ سمحٌ يقال لهُ حاتم احبُّ اليكِ ام عشرة غلمة كالناس. ليوثٌ ساعةَ الباس. ليسوا باوغال ولا انكاس. فقالت: حاتمٌ. فولدت حاتمًا. فلمّا ترعرع جعل يُخرج طعامهُ فان وجد من ياكلهُ معهُ اكل وان لم يجد طرحهُ. فلما رأى أَبوهُ انهُ يُهلك طعامهُ قال لهُ: الحق بالابل. فخرج اليها. ووهب لهُ جارية وفرسًا وفلوَها. فلمّا اتى الابل طفق يبغي الناس فلا يجدهم وياتي الطريق فلا يجد عليهِ احدًا. فبينا هو كذلك اذ بصر بركب على الطريق فأَتاهم. فقالوا: يا فتى هل من قرى. فقال: تسأَلوني عن القرى وقد ترَون الابل. وكان الذين بصر بهم عُبيد ابن الابرص وبشر بن أَبي خازم والنابغة الذبياني وكانوا يريدون النعمان. فنحر لهم ثلاثةً من الابل. فقال عبيد: انما أَردْنا بالقرى اللبن. وكانت تكفينا بكرةٌ اذا كنتَ لا بدَّ متكلِّفًا لنا شيئًا. فقال حاتم: قد عرفت ولكني رأَيت وجوهًا مختلفة والوانًا متفرّقة فظننت انَّ البلدانَ غير واحدة فأَردتُ ان يَذكرَ كلُّ واحد منكم ما رأَى اذا اتى قومه. فقالوا فيهِ اشعارًا امتدحوه بها وذكروا

فصله . فقال حاتم : أَردتُ ان أُحسنَ اليكم فكان لكم الفضل عليَّ . وانا اعاهدُ الله ان اضربَ عراقيبَ ابلي عن آخرها وتقدموا اليهـا فتقتسموها . ففعلوا فاصاب الرجلُ تسعة وتسعين بعيرًا ومضوا على سفرهم الى النعمان . وانَّ ابا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال لهُ : اين الابل . فقال : يا ابتِ طوَّقتك بها طوقَ الحمامةِ مجدَ الدهرِ وكرمًا لايزال الرجلُ يحمل بيتَ شعرٍ اثنى بهِ علينا عوضًا من ابلك . فلمَّا سمع أَبوهُ ذلك قال : أَبإبلي فعلتَ ذلك . قال : نعم . قال : والله لاأُساكنك ابدًا . فخرج ابوهُ باهلهِ وترك حاتمًا ومعهُ جاريته وفرسه وفلوُها . فقال يذكر تحوُّلَ ابيهِ عنهُ :

وانِّي لَعفٌّ الفقرِ مشتركُ الغنى ... وتاركُ (١) شكلٍ لايوافقهُ شكلي
واجعلُ مالي دونَ عرضيَ جُنَّةً ... لنفسي وأَستغني بما كان من فضلي
وما ضرَّني أَنْ سار سعدٌ (٢) باهلهِ ... وافردَني في الدار ليس معي اهلي
سيكفي ابتناءُ (٣) المجدِ سعدَ بن حشرجٍ ... واحملُ عنكم كلَّ ما ضاع من نقلِ (٤)
ولي مع بذل المالِ في المجد (٥) صولةٌ ... اذا الحربُ ابدت عن نواجذها العُصلِ

---

(١) وفي نسخة : وودّك

(٢) هذا الشعر يدل على ان جدَّهُ صاحب هذه القصة معهُ لا انها قصة ابيهِ . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ووصف ان ابا حاتم هلك وحاتم صغير فكان في حجر جدّه سعد بن الحشرج فلمَّا فتح يدهُ بالعطاء وانهب مالهُ ضيَّق عليهِ جدُّهُ ورحل عنـهُ باهلهِ وخلَّفهُ في دارهِ (لأَبي الفرج الاصبهاني)

(٣) وفي نسختةٍ : ابتناي ... (٤) وفي نسخة : ما حلَّ من أَزلي

(٥) وفي نسختة : مع بذل المال والباس

عمران بن حِطّان وروح بن زنباع وعبد الملك

ان عمران بن حِطّان خرج هارباً من الحجّاج فطلبهُ وكتب فيهِ الى عُمّالهِ والى عبد الملك فهرب ولم يزل يتنقّل في احياء العرب. ثم لحق بالشام فنزل بروح بن زنباع الجذامي. فقال لهُ روح: ممّن أنت. قال: من الازد ازد الشراة. (قال) وكان روح يسمر عند عبد الملك فقال لهُ ليلةً: يا امير المؤمنين انّ لي في اضيافك رجلًا ما سمعتُ منك حديثًا قط الّا حدّثني بهِ وزادني ما ليس عندي. قال: ممّن هو. قال: من الازد. قال: اني لأسمعك تصفُ صفة عمران ابن حطان لأني سمعتك تذكر لغةً نزاريّةً وصلاةً وزهدًا وروايةً وحفظاً وهذه صفته. فقال روح: وما انا وعمران. ثم دعا بكتاب الحجّاج فاذا فيهِ: أمّا بعد فانّ رجلًا من اهل الشقاق والنفاق قد كان أفسدَ على اهل العراق وخبّبهم بالشراية. ثم اني طلبتهُ فلما ضاق عليهِ عملي تحوّلَ الى الشام فهو يتنقل في مدائنها وهو رجل ضَربٌ طُوَالٌ أفوه أزرق. (قال) قال روح: هذه والله صفة الرجل الذي عندي. ثم انشد عبدُ الملك يومًا قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم لعنهُ الله بقتلهِ عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهِ:

يا ضربة من كريم ما اراد بها ... الّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لأذكره فيهِ ثم احسبهُ ... أوفى البرية عند الاهل ميزانا

ثم قال عبد الملك: من يعرف منكم قائلها. فسكت القوم جميعاً. فقال لروح: سَلْ ضيفكَ عن قائلها. قال: نعم انا سائلهم وما أراه يخفى على ضيفي ولا سألتهُ عن شيءٍ قط فلم اجده الّا عالمًا بهِ. وراح روح الى اضيافهِ فقال: ان امير المؤمنين سألنا من الذي يقول:

« يا ضربة من كريم ما أراد بها » ثم ذكر الشعر وسألهم عن قائله . فلم يكن عند احدٍ منهم علمٌ . فقال لهُ عمران : هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم قاتل عليّ بن أبي طالب . قال : فهل فيها غير هذين البيتين تُفيدنيه . قال : نعم

لله درُّ المراديّ الذي سَفكتْ كفاه مهجةَ شرّ الخلق انسانا

أمسى عشيّة غشّاهُ بضربتـهِ ممّا جناه من الآثام عريانا

صلوات الله على امير المؤمنين ولعنَ اللهُ عمران بن حطان وابن ملجم . فغدا روحٌ فأخبر عبد الملك . فقال : من اخبرك بذلك . فقال : ضيفي . قال : أظنّـهُ عمران بن حطان فاعلمْهُ اني قد أمرتك ان تاتيني بهِ . قال : افعلُ . فراح روح الى اضيافهِ فاقبل على عمران فقــال لهُ : اني ذكرتك لعبد الملك فأمرني ان آتيهُ بك . قال : كنت احبُّ ذلك منك وما منعني من ذكره الّا الحياء منك وانا مُتبعك فانطلقْ . فدخل روح على عبد الملك فقال لهُ : أين صاحبك . فقال : قال لي انا متبعك . قال : أظنك والله سترجع فلا تجده . فلما رجع روح الى منزلهِ اذا عمران قد مضى واذا هو قد خلّف رقعةً في كوة عند فراشهِ واذا فيها يقول :

يا روح كم من أخي مثوى نزلت بهِ قد ظن ظنك من لخم وغسانِ

حتى اذا خفتـهُ فارقت مـنزله من بعد ما قيل عمـران بن حطانِ

قد كنت ضيفك حولًا لا تروّعني فيـهِ الطوارق من انس ولا جانِ

حتى أردتَ بي العظمى فأوحشني ما اوحش الناس من خوف ابن مروانِ

فاعذر اخاك ابن زنبـاع فانَّ لهُ في الحـادثات هناتٍ ذات الوانِ

يوماً يمـانٍ اذا لاقيتُ ذا يمـنٍ وان لقيتُ معـديًّا فعـدناني

لو كنت مستغفرًا يومًا لطاغيــة كنتَ المقدم في سري واعلاني

لكن أبت ذاك آيات مطهرة عنـد التلاوة في طـهَ وعمران

مبارزة بين بطلَين

حدَّث محمد بن يزيد قال : جعل الرشيد قبل وصوله الى هِرَقْلة يفتح المدن والحصون ويخربها حتى اناخ على هرقلة وهي من أوثق حصن واعزّه جانبًا وامنعه ركنًا . فتحصّن اهلها وكان بابها يطلّ على وادٍ ولها خندق يطيف بها . فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطّوّعة ومُلازمي الثغور يقال لهُ علي بن عبد الله قال : حدَّثني جماعة ان الرشيد لما حصر اهل هرقلة وغمهم والحّ بالمجانيق والسهام والعرّادات فُتح الباب فاذا برجل من اهلها كأكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى : قد طالت مواقفتكم ايانا فليبرز اليَّ منكم رجلان . ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلًا فلم يُجِبهُ أحدٌ . فدخل واغلق باب الحصن . وكان الرشيد نائمًا فلم يعلم بخبرهِ الّا بعد انصرافهِ فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم انباهه وتأسّف لفوتهِ . فقيل لهُ : ان امتناع الناس منهُ سيغريه ويطغيه وأحرِ بهِ ان يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب . فطالت على الرشيد ليلته واصبح كالمنتظر لهُ . ثم اذا هو بالباب قد فُتح وخرج طالبًا للمبارزة وذلك في يوم شديد الحرّ وجعل يدعو بانهُ يثبت لعشرين منهم . فقال الرشيد : مَن لهُ . فابتدرهُ جلة القوّاد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن حازم واخيهِ عبد الله وداود بن يزيد واخيهِ . فعزم على اخراج بعضهم . فضجّت المطوعة حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه في المشورة فأذن لهم . فقال قائلهم : يا امير المؤمنين قوّادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلوّ الصوت ومداومة الحروب ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك . وان قتلهُ العلجُ كانت وضيعة على العسكر عجيبة

وثلمة لا تُسدّ. ونحن عامةٌ لم يرتفع لاحد منا صوت الّا كما يصلح للعامة. فان راى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلًا فنخرجهُ اليـهِ. فان ظفر علم اهل الحصن انّ أمير المؤمنين قد ظفر باعزّهم على يد رجل من العامة ومن أفناء الناس ليس ممن يوهن قتلهُ ولا يؤثر. وان قُتل الرجل فانما استشهد رجل ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمهُ وخرج اليهِ رجل بعده مثله حتى يقضي اليـهِ ما شاء. قال الرشيد: قد استصوبت رايكم هذا. فاختاروا رجلًا منهم يُعرف بابن الجزري وكان معروفًا في الثغر بالبأس والنجدة. فقـال الرشيد: أتخرج. قال: نعم واستعين الله. فقال: أعطوهُ فرسًا ورمحًا وسيفًا وترسًا. فقال: يا امير المؤمنين انا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس. فلبس سلاحهُ واستدناه الرشيد فودّعهُ واستتبعهُ الدعاء. وخرج معهُ عشرون رجلًا من المطوعة. فلما انقضّ في الوادي قال لهم العلج وهو يعدّهم واحدًا واحدًا: انما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلًا ولكن لاباس. فنادوه: ليس يخرج اليك منّا الّا رجل واحد. فلمّا فصل منهم الجزري تأمّلهُ الرومي وقد اشرف اكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرنَ حتى ظنوا انهُ لم يبقَ في الحصن أحد الّا أشرف فقال الرومي: أتصدقني عمّ استخبرك. قال: نعم. فقال: أنت بالله ابن الجزري. قال: اللهمّ نعم. فكفر لهُ. ثم اخذا في شانهما فاطّعنا حتى طال الامر بينهما وكاد الفرسان ان يقوما وليس يخدش واحد منهما صاحبه. ثم تحاجزا بشيء. فزجّ كل واحد منهما برمحـهِ وصلّتَ سيفه فتجالدا مليًا واشتدّ الحرُّ عليهما وتبلّد الفرسانِ وجعل ابن الجزري يضرب الروميَّ الضربةَ التي يرى انهُ قد بلغ فيها فيتّقيها الرومي وكان ترسـهُ حديدًا فيُسمع لذلك صوتٌ مُنكر. ويضربهُ الروميُّ ضرب مُعذِرٍ لانّ ترس ابن الجزري

كان درقة فكان العلج يخاف ان يعضّ بالسيف فيعطب . فلما يئس من وصول كل واحد منهما الى صاحبــهِ انهزم ابن الجزري . فدخلت المسلمين كآبةٌ لم يكتئبوا مثلها قط وعطعط الروم اختيالاً وتطاولاً . وانما كانت هزيمتــهُ حيلة منهُ . فاتَّبعهُ العلج وتمكَّن منهُ ابن الجزري فرماه بوهق فوقع في عنقهِ وما أخطأه وركض فاستلَّهُ عن فرسهِ ثم عطف عليهِ فما وصل الى الارض حيًّا حتى فارقهُ راسه . فكبَّر المسلمون أعلى تكبيرٍ وانخذل الروم و بادروا الباب يغلقونهُ . واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقوّاد : اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دفع . ففعلوا وجعلوا الكتَّان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ورموا بها السور فكانت النار تلصق بهِ وتأخذ الحجارة وقد تصدع فتتهافت . فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقبلين فقال الشاعر المكّي :

هوتْ هرقلةُ لمَّا أن رأتْ عجبًا   حوائمًا ترتمي بالنفط والنـــارِ
كأنَّ نيرانـــا في جنب قلعتهم   مصبَّغاتٌ على ارسان قصَّارِ

تمارض اشعب

حدَّثنـــا مصعب بن عبدالله عن مصعب بن عثمان قال : لقي اشعب سالم بن عبدالله بن عمر فقـــال : يا اشعب هل لك في هريس قد أُعدَّ لنا . قال : نعم بأبي انت وامي . قال : فصرْ اليَّ . فمضى الى منزلهِ فقالت لهُ أمرأتهُ : قد وجَّه اليك عبد الله بن عمرو . فقال لها : عبد الله في يديَّ متى شئتُ وسالمٌ انَّما دعوتُهُ للناس فلتةٌ وليس لي بدّ من المضيّ اليهِ . قالت : اذًا يغضب عبد الله . قال : آكل عندهُ ثم اصير الى عبد الله . فجاء الى سالم وجعل ياكل اكلَ

متعالل. فقال لهُ: كُلْ يا اشعب وابعثْ ما فضل عنك الى منزلك. قال: ذاك اردتُ بأبي انت وامي. فقال: يا غلام احمل هذا الى منزله. فحملهُ ومضى معهُ فجاء بهِ امرأتهُ فقالت لهُ: ثكلتك امّك قد حلف عبد الله ان لا يكلّمك شهرًا. قال: دعيني واياه هاتي شيئًا من زعفران. فاعطتهُ ودخل الحمَّام فمسح على وجههِ ويديه وجلس في الحمام حتى صفَّره ثم خرج متكئًا على عصًا يرعد حتّى اتى دارَ عبد الله بن عمرو. فلما رآه حاجبـهُ قال: ويحك بلغتِ العلةُ ما أرى. ودخل واعلم صاحبه. فاذن لهُ. فلما دخل عليـهِ اذا سالم بن عبد الله عنده. فجعل يزيدُ في الرعدة ويقـارب الخطوَ فجلس وما يقدر ان يستقل. فقال عبد الله: ظلمناك يا اشعب في غضبنا عليك. فقـال لهُ سالم: ما لك ويلك ألم تكنْ عندي آنفًا واكـلتَ هريسة. فقال لهُ: وايّ اكلٍ ترى بي. قال: ويلك الم اقلْ لك كيت وكيت وتقلْ لي كيت وكيت. قال لهُ: شبه لك. قال: لا حول ولا قوّة الّا بالله والله اني لا اظنّ الشيطان يتشبه بك. ويلك اجادٌّ انت. قال: عليَّ وعليَّ ان كنت خرجت منذ شهر. فقال لهُ عبد الله: اعزبْ ويحك أتبهتهُ لا امَ لك. قال: ما قلت الّا حقًا. قال: بحياتي اصدقني وانت آمنٌ من غضبي. قال: لا وحياتك لقد صدق. ثم حدَّثهُ بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه

عُوَيف القَوافي وطلحة

حدَّث غرير بن طلحة قال: حدَّثني غير واحدٍ من مشيخة قريش قالوا: لم يكنْ رجل من ولاة اولاد عبد الملك بن مروان كان انفس على قومهِ ولا احسد

لهم من الوليد بن عبد الملك. فاذن يوماً للناس فدخلوا عليهِ واذن للشعراء فكان اوّل من بدر بين يديهِ عويف القوافي الفَزاري فاستأذنهُ في الانشاد قال: ما بقّيتَ لي بعد ما قلتَ لاخي بني زهرة. قال: وما قلتُ لهُ مع ما قلتُ لامير المؤمنين. قال ألستَ الذي تقول:

يا طلحَ انت أخو الندى وحليفهُ ... انّ الندى من بعد طلحة ماتا
انّ الفَعال اليك أطلق رَحله ... فبحيث بتَّ من المنازل باتا

أَو لستَ الذي تقول:

اذا ما جاء يومك يا ابن عوفٍ ... فلا مَطرت على الارض السماء
ولا سار البشير بغنم جيشٍ ... ولا حملت على الطهر النساء
تساقى الناس بعدك يا ابن عوف ... ذريع الموت ليس لهُ شفاء

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليـــهِ لا والله لا اسمع منك شيئاً ولا انفعك بنافعة ابداً. أخرجوه عني. فلما أُخرج قال لهُ القرشيون والشاميون: وما الذي أعطاك طلحة حين استخرجَ هذا منك. قال: أما والله لقد اعطاني غيرهُ اكثر من عطيته ولكن لا والله ما اعطاني احدٌ قط أحلى في قلبي ولا ابقى شكراً ولا اجدر ان لا انساها. ما عرفت الصلات من عطيتهِ. قالوا: وما اعطاك. قال: قدمتُ المدينةَ ومعي بُضيّعة لي لا تبلغ عشرة دنانير أُريد ان ابتاع قَعوداً من قعدان الصدقة. فاذا برجل في صحن السوق على طنفسة قد طُرحتْ لهُ واذا النـــاس حولهُ واذا بين يديه ابل معقودة لهُ. فظننت انهُ عامل السوق فسلّمت عليهِ فأثبتني وجهلتهُ. فقلت: أيْ رحمك الله هل انت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعهُ لي. فقال: نعم أَو معك ثمنهُ. فقلت: نعم. فأهوى بيده اليّ فاعطيتهُ بضيعتي. فرفع طنفستهُ والقاها تحتها ومكث طويلًا

ثم قمت اليهِ فقلت : اي رحمك الله انظر في حاجتي . فقــال : ما منعني منك الّا النسيان . أمعك حبلٌ . قلت : نعم . قال : هكذا . افرجوا . فأفرجوا عنهُ حتى استقبل الابل التي بين يديه فقال : اقرنْ هذه وهذه وهذه . فما برحتُ حتى أمر لي بثلاثين بكرة ادنى بكرة منها (ولا دنيَّة فيها) خير مَن بضاعتي . ثم رفع طنفستهُ فقال : وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع اليهِ . فقلت : اي رحمك الله أتدري ما تقول . فما بقي عنده الّا مَن نهرَني وشتمني . ثم بعث معي نفرًا فاطّردوها حتى اطلعوها من راس الثنيَّة . فوالله لا انساه ما دمتُ حيًّا ابدًا

محمد الرف وابن جامع وابراهيم الموصلي

اخبرَ حماد عن ابيــهِ قال : محمد الرَّف اروى خلق الله للغناء وأسرعهم اخذًا لِمَا سمعهُ منهُ ليست عليهِ في ذلك كلفة وانّمــا يسمع الصوت مرَّةً واحدة وقد اخذهُ . وكنّا معهُ في بلاء اذا حضر . فـكان مَن غنَّى منّا صوتًا فسألهُ عدوٌّ لهُ أو صديقٌ أنْ يلقيه عليهِ فبخلَ ومنعهُ ايَّاه سألَ محمدًا الرفَّ أن يأخذه . فما هو الّا أن يسمعهُ مرَّةً واحدة حتى قد اخذهُ والقاه على مَن سألهُ . فكان أبي يبرُّه ويصلهُ ويُجديه من كل جائزة وفائدة تصل اليهِ . فكان غناؤه عندهُ حمىً مصونًا لا يقربهُ . ولم يكن طيِّب المسموع ولكنَّهُ كان اطيب الناس نادرةً وامْلحهم مجلسًا وكــان مُغرًى بابن جامع خاصةً من بين المغنّين لبخلهِ . فكان لايفتح ابنُ جامع فاه بصوتٍ الّا وضع عينهُ عليهِ واصغى سمْعهُ اليــهِ حتى يحكيه . وكان في ابن جامع بُخل شديد لا يقدر معهُ على ان يسعفهُ ببرٍّ ورفدٍ فغنَّى يومًا بحضرة الرشيد :

جسورٌ على هجري جبانٌ على وصلي كذوبٌ غدًا يستتبع الوعد بالمطلِ

فأحسن فيـهِ ما شاء وأجملَ. فغمزتُ عليهِ محمدًا الرَّفَّ وفطن لما أردتُ. واستحسنهُ الرشيدُ وشرب عليـهِ واستعادهُ مرتين او ثلاثًا. ثم قمتُ للصلاة وغمزتُ الرفَّ وجاءني وأومأتُ الى مخارق وعلوية وعقيد فجاءوني. فأمرتهُ باعادة الصوت فأعادهُ وأداه كأنهُ لم يزل يرويه. فلم يزل يكرّره على الجماعة حتى غنّوه ودارَ لهم. ثم عدتُ الى المجلس. فلما انتهى الدور اليَّ بدأتُ فغنيتهُ قبل كل شيء غنيتهُ. فنظر اليَّ ابن جامع محدّدًا نظرَهُ واقبل عليَّ الرشيد فقال: أكنتَ تروي هذا الصوت. فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله ما أخذهُ الَّا مني الساعةَ. فقلت: هذا صوت أرويه قديمًا وما فيمن حضر أحد الَّا وقد أخذه مني. واقبلتُ عليهِ فغنّاه علوية ثم عقيد ثم مخارق. فوثب ابن جامع فجلس بين يديهِ وحلف بحياتهِ وبطلاق امرأتهِ ان اللحن صنعهُ منذ ثلاث ليالٍ ما سُمع منهُ قبل ذلك الوقت. فأقبل عليَّ فقال بحياتي أصدقني عن القصة فصدقتهُ. فجعل يضحك ويصفق ويقول: لكل شيءٍ آفةٌ وآفةُ ابن جامع الرفُّ

رَبيعة الرَّقّي والعباس بن محمد والرشيد

امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بقصيدة لم يُسبق اليها حسنًا وهي طويلة يقول فيها:

واذا الملوكُ تسايروا في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنتَ هلالها

انَّ المكارم لم تزل معقولةً حتى حللتَ براحتيك عقالهـا

فبعث اليهِ بدينارين وكان يقدّر فيهِ ألفين . فلمّا نظر الى الدينارَين كاد يجنُّ غيظاً وقال للرسول : خذ الدينارَين فهما لك على ان تردَّ الرقعة اليَّ من حيث لا يدري العباس . ففعل الرسول ذلك . فأخذها ربيعة وأمر مَن كتبَ في ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المحلّى ... لتجري في الكرام كما جريتُ
فهبها مدحةً ذهبت ضياعاً ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فانت المرء ليس لهُ وفاء ... كأني ان مدحتك قد زنيتُ

ثم دفعها الى الرسول وقال لهُ : ضعها في الموضع الذي أخذتَها منهُ . فردّها الرسول . فلمّا كان من الغد أخذها العبّاس فنظر فيها فلما قرأ الابيات غضب وقام من وقتهِ فركب الى الرشيد وكان اثيرًا عنده يُجِلّهُ ويقدّمهُ وكان قد همَّ أن يخطب اليهِ ابنته . فرأى الكراهة في وجههِ فقال : ما شأنك . قال : هجاني ربيعة الرقي . فأُحضر فقال لهُ الرشيد : يا خبيث أتهجو عمي وآثر الخلق عندي لقد هممتُ أن أَضربَ عنقك . فقال : والله يا امير المؤمنين لقد مدحتهُ بقصيدة ما قال مثلها احد من الشعراء في احد من الخلفاء ولقد بالغتُ في الثناء واكثرت في الوصف فان رأى أمير المؤمنين أن يأمرهُ باحضارها . فلما سمع الرشيد ذلك منهُ سكن غضبهُ وأحبَّ ان ينظر في القصيدة . فأمر العبّاس باحضار الرقعة . فتلكّأ عليهِ العباس . فقال لهُ الرشيد : سألتك بحق امير المؤمنين الّا امرتَ باحضارها . فعلم العباس انهُ قد اخطأ وغلط . فأمر باحضارها فأُحضرت . فأخذها الرشيد واذا فيها القصيدة بعينها فاستحسنها واستجادها وأُعجب بها وقال : والله ما قال احد من الشعراء في احد من الخلفاء مثلها . لقد صدق ربيعة وبرّ . ثم قال للعباس : بمَ أثبتَهُ عليها . فسكت العبّاس وتغيّر

لونهُ وجرض بريقهِ. فقال ربيعة: اثابني عليها يا امير المؤمنين بدينارين. فتوهَّم الرشيدُ انهُ قال ذلك من المَوجِدة على العباس فقال: بحياتي يا رقي بكم أثابك. قال: وحياتك يا امير المؤمنين ما اثابني الّا بدينارين. فغضب الرشيد غضباً شديدًا ونظر في وجه العباس بن محمد وقال: سوأة لك أيُّ حالٍ قعدتْ بك عن اثابتهِ. ألاموال فوالله لقد موَّلتُك جهدي. أم انقطاعُ المادّة عنك فوالله ما انقطعتْ. أم اصلك فهو الاصل لا يُدانيه شيءٌ. ام نفسك فلا ذنب لي بل نفسك فعلتْ ذلك بك حتى فضحت آباءك واجدادك وفضحتني ونفسَك. فنكَّس العباس راسهُ ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام أعطِ ربيعة ثلاثين الف درهم وخلعة واحمله على بغلة. فلما حُمل المال بين يديه وأُلبس الخلعة قال له الرشيد: بحياتي يا رقي لا تذكره في شعرك تعريضاً ولا تصريحاً. وفتر الرشيد عمَّا كان همَّ بهِ ان يتزوج اليهِ وظهر منهُ له بعد ذلك جفاء كثير واطّراح له

محمد بن اميَّة وابو العتاهية

حدَّث محمد بن اميَّة قال: كنت جالساً بين يدَي ابراهيم بن المهدي فدخل اليهِ أبو العتاهية. وقد تنسَّك ولبس الصوف وترك قول الشعر الّا في الزهد. فرفعهُ ابراهيم وسُرَّ بهِ واقبل عليهِ بوجههِ وحديثهِ. فقال لهُ أبو العتاهية: ايها الامير بلغني خبرُ فتىً في ناحيتك ومن مواليك يُعرف بابن أُمية يقول الشعر وأُنشدتُ لهُ شعرًا اعجبني فما فعل. (قال) فضحك ابراهيم ثم قال: لعلَّهُ اقربُ الحاضرين مجلساً منك. فالتفت اليَّ فقال: انت هو فديتك. فتشوَّرتُ وخجلت وقلت لهُ: انا محمد بن امية جعلتُ فداءك. واما الشعر فانما انا شاب

أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشباب. فقال لي: فديتك ذاك والله زمان الشعر وإبّانهُ وما قيل فيهِ فهو غرره وعيونه. وما قصر من الشعر وقيل في المنى الذي تومئُ اليهِ ابلغ واملح. وما زال يُنشّطني ويؤنسني حتى رأى اني قد أنست بهِ. ثم قال لابراهيم بن المهدي: ان رأى الامير اكرمهُ الله ان يأمرهُ بانشادي ما حضر من الشعر. فقال لي ابراهيم: بحياتي يا محمد انشدهُ فأنشدتهُ:

ربَّ وعدٍ منك لا أنساهُ لي   أوجبَ الشكرَ وان لم تفعلِ
أقطعُ الدهر بظنٍّ حسنٍ   وأُجلّي غمرةً ما تنجلي
كلما أمّلتُ يوماً صالحاً   عرضَ المكروه لي في أملي
وأرى الايامَ لا تُدني الذي   ارتجي منك وتُدني اجلي

(قال) فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعهُ على لحيتهِ وجعل يُردّد البيت الاخير منها وينتحب وقام فخرج وهو يردّدهُ ويبكي حتى خرج الى الباب

نجاة قيسبة بن كلثوم من الاسر

ذكر ابن الكلبيّ عن أبيهِ قال: خرج قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكاً يُريد الحجَّ. وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض. فمرّ ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليهِ فأسروه واخذوا مالهُ وما كان معهُ والقوه في القدّ. فمكث فيهِ ثلاث سنين وشاع باليمن ان الجنّ استطارته. فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم اذ قال لها: أتأذنين لي ان آتي الاكمة فاتشرّق عليها فقد أضرّ بي القرُّ. فقالت لهُ: نعم. وكانت عليهِ جبَّة لهُ حبرة لم

يترك عليهِ غيرها. فتمشّى في اغلالهِ وقيودهِ حتى صعد الأكمة. ثم اقبل يضرب ببصرهِ نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى ثم رفع طرفهُ الى السماء وقال: اللهمَّ ساكن السماء فرّجْ لي ممّا أَصبحتُ فيهِ. فبينما هو كذلك اذ عرض لهُ راكب يسير. فأَشار اليهِ أَن أَقبلْ. فأَقبل الراكب. فلما وقف عليهِ قال لهُ: ما حاجتك يا هذا. قال: أَين تريد. قال: أُريد اليمن. قال: ومَن أَنت. قال: أَبو الطمحان القَيني. فاستعبر باكيًا. فقال لهُ أَبو الطمحان: مَن أَنت فاني ارى عليك سيما الخير ولباس الملوك وانت بدار ليس فيها ملك. قال: انا قَيسَبة بن كُلثُوم السكوني خرجت عام كذا وكذا اريد الحج فوثب عليَّ هذا الحيّ فصنعوا بي ما ترى وكشف عن أَغلالهِ وقيودهِ. فاستعبر أَبو الطمحان. فقال لهُ قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء. قال: ما أَحوجني الى ذلك. قل: فأَنِخْ. فأَناخ. ثم قال لهُ: أَمعك سكينٌ. قال: نعم. قال: ارفع لي عن رحلك. فرفع لهُ عن رحلهِ حتى بدت خشبة موخّره. فكتب عليها قيسبة بالمسند وليس يكتب بهِ غير أَهل اليمن:

بلّغا كندةَ الملوك جميعًا · حيث سارتْ بالاكرمين الجمالُ
أَنْ رِدوا العين بالخميس عجالًا · وأَصدُروا عنهُ والروايا ثقالُ
هزئتْ جارتي وقالت عجيبًا · اذ رأَتني في جيديَ الأَغلالُ
ان تريني عاري العظام اسيرًا · قد براني تضعضعٌ واختلالُ
فلقدْ أَقدمُ الكتيبةَ بالسيـ · ـف عليَّ السلاح والسربالُ

وكتبَ تحت الشعر الى أَخيهِ أَن يدفعَ الى أَبي الطمحان مائة ناقة. ثم قال لهُ: أَقرئْهُ هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء. فخرج تسير بهِ ناقتهُ حتى اتى حضرَموت. فتشاغل بما ورد لهُ ونسي امر قيسبة حتى فرغ من حوائجهِ.

ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين. فذكر امره فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لابيه وامّهُ فقال لهُ: ياهذا اني ادلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الابل. قال لهُ: فهي لك. فكشف عن الرحل. فلمَّا قرأه الجون أمرَ لهُ بمائة ناقة. ثم أتى قيس بن معدي كرب الكندي أبا الاشعث ابن قيس فقال لهُ: يا هذا ان أخي في بني عقيل أسير فسرْ معي بقومك. فقال لهُ: أتسير تحت لوائي حتى اطلب ثارك وانجدك والّا فامضِ راشداً. فقال لهُ الجون. مسُّ السماء أيسرُ من ذلك واهون عليَّ ممَّا خيّرتُهُ. وضجّتِ السكون. ثم فاءوا ورجعوا وقالوا لهُ: وما عليك من هذا هذا هو ابن عمّك ويطلب لك بثارك فأنعمْ لهُ بذلك. وسار قيس وسار الجون معـهُ تحت لوائه وكِندة والسكون معهُ فهو اوَّل يوم اجتمعت فيهِ السكون وكندة لقيس وبهِ أدرك الشرف. فسار حتى اوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة. وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تشتمونا اذ جلبنا لكم ... ألفي كميتٍ كلُّها سلهبهْ
نحن أبلنا الخيلَ في ارضكم ... حتى ثأرنا منكمُ قيسبهْ
واعترضتْ من دونهم مُذحجٌ ... فصادفوا من خيلنا مشغبهْ

ابن عائشة والمحبُّ الغناء

حدَّث محمد بن الحرث بن كليب قال: خرج ابن عائِشة المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه:

أبعدك معقلًا ارجو وحصنًا ... قد أعيتني المعاقل والحصونُ

(قال) فأطربهُ . فأمر لهُ بثلاثين الف درهم وبمثل كارة القصَّار كسوة . فبينما ابن عائشة يسير اذ نظر اليهِ رجلٌ من اهل وادي القُرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ . فدنا من غلامهِ وقال : من هذا الراكب . قال : ابن عائشة المغنّي . فدنا منهُ وقال : جُعلتُ فداءك انت ابن عائشة امّ المؤمنين . قال : لا انا مولى لقريش وعائشة امي وحسبك هذا فلا عليك ان تكثر . قال : وما هذا الذي أراهُ بين يديك من المال والكسوة . قال : غنّيتُ أمير المؤمنين صوتاً فأطربتهُ فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة . قال : جعلتُ فداءك فهل تمنّ عليَّ بأن تسمعني ما أسمعتهُ اياه . فقال لهُ : ويلك أمثلي يُكلَّم بمثل هذا في الطريق . قال : فما اصنع . قال : الحقني بالباب . وحرَّك ابن عائشة بغلةً شقراء كانت تحتهُ لينقطع عنهُ . فعدا معهُ حتى وافيا الباب كفرسَي رهانٍ . ودخل ابن عائشة فمكث طويلًا طمعاً في أن يضجر فينصرف . فلم يفعل . فلما أعياه قال لغلامه : أدخله . فلمَّا دخل قال لهُ : ويلك من أين صبَّك الله عليَّ . قال : أنا رجل من اهل وادي القرى اشتهي هذا الغناء . فقال لهُ : هل لك فيما هو انفع لك منهُ . قال : وما ذاك . قال : مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها الى اهلك . فقـال لهُ : جعلتُ فداءك والله انَّ لي لبُنيَّة ما في اذنها علمَ اللهُ حلقةٌ من الورق فضلًا عن الذهب . وانَّ لي لزوجة ما عليها يشهد الله قميص . ولو أعطيتني جميع ما أمر لك بهِ أمير المؤمنين على هذه الخلَّة والفقر اللذين عرَّفتكها وأضعفتَ لي ذلك لكان الصوت أعجب اليَّ . وكان ابن عائشة تائهـاً لا يغنّي الّا لخليفة أو لذي قدر جليل من اخوانهِ . فتعجب ابن عائشة منهُ ورحمـهُ ودعا بالأداة وكان يغني مرتجلًا فغنّاه الصوت . فطرب لهُ طرباً شديدًا وجعل يحرك رأسهُ حتى ظنَّ ان عنقهُ سينقصف . ثم خرج من عنده

ولم يرزأْهُ شيئًا. وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأَل ابن عائشة عنهُ. فجعل يَغيب عن الحديث. ثم جدَّ الوليد بهِ فصدَّقهُ عنهُ. وأَمر بطلب الرجل فطُلب حتى أُحضر. ووصلهُ صلة سنيَّة وجعلهُ في ندمائهِ ووكلهُ بالسقي. فلم يزل معهُ حتَّى مات

يزيد بن المُهلَّب في السجن

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلَّب السجنَ فأَنشدَه قولهُ:

أُغلِق دونَ السماحِ والجود م والنجدة بابٌ حديدهُ أَشِبُ
ابن ثلاثٍ وأَربعينَ مضتْ لا صرعٌ واهنٌ ولا نكِبُ
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نعَمٌ وصابرٌ في البلاء محتسبُ
برَّزتَ سبقَ الجواد في مَهَلٍ وقصَّرتْ دونَ سَعْيك العرَبُ

فقال: والله يا حمزة لقد أَسأْتَ اذ نوهتَ باسمي في غير وقت تنويه ولا منزل لك. ثم رفع مقعدًا تحتهُ فرمى اليهِ بخرقة مصرورة وعليهِ صاحب خبرٍ واقفٌ فقال: خذ هذا الدينار فوالله ما املك ذهبًا غيره. فأَخذهُ حمزة واراد أن يردَّه. فقال لهُ سرًّا: خذهُ ولا تُخدع عنهُ. (قال) فلما قال لي لا تخدع عنهُ قلت: والله ما هذا بدينارٍ. فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد. فقلت: أَعطاني دينارًا فأَردتُ ان أَردَّه عليهِ فانتهيت. فلما صرت الى منزلي حللت الصرَّة فاذا فيها فصٌّ ياقوت أَحمر كأَنهُ سقط زندٍ. فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق ليعلمنَّ اني أَخذتهُ من يزيد فيؤخذ مني. فخرجتُ بهِ الى خراسان فبعتهُ على رجل يهودي بثلاثين الفًا. فلما قبضتُ المال وصار الفص في يدهِ

قال: والله لو أبيتَ الّا خمسين الف درهم لاخذتهُ . فكأنما قذف في قلبي جمرةً . فلمّا رأى تغيُّر وجهي قال: اني رجل تاجر ولستُ اشكّ اني قد غممتك . قلتُ: بلى والله وقتلتني . فاخرجَ اليَّ مائة دينار وقال: انفقْ هذه في طريقك لتتوفَّر عليك تلك

محمد بن صالح العلوي يجير حمدونة بنت عيسى

حدَّث ابراهيم بن المدبّر قال: جاءني يوماً محمَّد بن صالح الحسني العلوي بعد ان أُطلقَ من الحبس فقال لي: اني اريد المقامَ عندك اليوم على خلوة لأبثّك من أمري شيئا لايصلحُ ان يسمعهُ غيرنا . فقلت: أفعلُ . فصرفتُ مَن كان بحضرتي وخلوت معهُ وأمرتُ بردّ دابته واخذ ثيابه . فلما اطمأنَّ واكلنا واضطجعنا قال لي: أُعلمك اني خرجتُ في سنة كذا وكذا ومعي اصحابي على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة . فبينا انا أحوزها وأُنيخ الجمال اذ طلعتْ عليَّ امرأة من العمارية ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً فقالت: يا فتى إن رأيتَ أَن تدعو لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيشِ . فقلت: قد رأيتِهِ وسمِعَ كلامكِ . فقالت: سألتك بحق الله وحق رسوله أنتَ هو . فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله اني لهو . فقالت: انا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرْبي . ولأبي محلٌّ من سلطانهِ ولنا نعمة ان كنتَ ممَّن سمع بها فقد كفاكَ ما سمعتَ وان كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري . ووالله لا استأثرتُ عنك بشيء املكهُ ولك بذلك عهد اللهُ وميثاقهُ عليَّ . وما اسألك الّا ان تصونني وتسترني وهذه الف دينار معي

لنفقتي فخذها حلالًا وهذا حَليّ عليّ من خمسمائة دينار فخذه. وضَمِنّي ما شئتَ بعده آخذه لك من تجّار المدينة أو مكة او اهل الموسم فليس منهم احد يمنعني شيئًا اطلبه. وادفعْ عني واحمِني من اصحابك ومن عارٍ يلحقني. فوقع قولها من قلبي موقعًا عظيمًا فقلتُ لها: قد وهب الله لكِ مالكِ وجاهكِ وحالك ووهب لكِ القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجتُ فناديت في اصحابي فاجتمعوا فناديت فيهم: اني قد أجرتُ هذه القافلة واهلها وخفرتها وحميتها. ولها ذمّة الله وذمّة رسولهِ وذمّتي فمن اخذ منها خيطًا أو عقالًا فقد آذنتهُ بحربٍ. فانصرفوا معي وانصرفت. فلما أُخذتُ وحبستُ بينما انا ذات يوم في محبسي اذ جاءني السجّان وقال لي: ان بالباب امرأتين تزعمان انهما من اهلك وقد حُظر عليّ أن يدخل عليك أحدٌ. الّا انهما اعطتاني دُمْلُج ذهب وجعلتاه لي ان أوصلتهما اليك وقد أذنت لهما وهما في الدهليز فاخرجْ اليهما ان شئتَ. ففكرتُ فيمن يجيئني في هذا البلد وانا بهِ غريب لا اعرف أحدًا. ثم قلت: لعلّهما من وُلد أبي أو بعض نساء اهلي فخرجت اليهما فاذا بصاحبتي. فلمّا رأتني بكت لِمَا رأت من تغيّر خلقي وثقل حديدي. فأقبلتْ عليها الاخرى فقالت: أهو هو. فقالت: إي والله انه لهو هو. ثم اقبلتْ عليّ فقالت: فداك أبي وامي والله لو استطعتُ ان أقيك ممّا أنت فيهِ بنفسي وأهلي لفعلتُ وكنتَ بذلك مني حقيقًا. ووالله لا تركتُ المعاونة لك والسعيَ في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعةٍ. وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعنْ بها على موضعك ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يفرّج الله عنك. ثم أخرجتْ اليّ كسوة وطيبًا ومائتي دينار. وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف ويتواصلُ برّها بالسجان فلا يمتنع من كل شيء أُريدهُ. فمنّ الله بخلاصي

ثم راسلتها فخطبتُها. فقالت: امّا من جهتي فانا لك متابعة مطيعة. والامر الى أبي. فأتيتهُ فخطبتها اليهِ. فردّني وقال: ما كنتُ لِأُحقِق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها وقد صيرتَنا فضيحة. فقمت من عنده مُنكّساً مستحياً. فقلت لهُ انّ عيسى صنيعة أخي وهو لي مطيعٌ وانا اكفيك أمرَهُ. فلما كان من الغد لقيتُ عيسى في منزلهِ وقلت لهُ: قد جئتك في حاجة لي. فقال: مقضيَّة. ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبُّهُ لأمرتني لجئتك وكان أسرَّ اليَّ. فقلت لهُ: قد جئتك خاطباً اليك ابنتك. فقال: هي لك أَمة وأنا لك عبدٌ وقد أجبتك. فقلت: اني خطبتها على مَن هو خيرٌ مني ابًا واماً واشرف لك صهرًا ومتصلًا محمد بن صالح العلوي. فقال لي: يا سيّدي هذا رجلٌ قد لحقتنا بسببهِ ظنَّة وقيلت فينا اقوال. فقلت: أفليست باطلة. قال: بلى والحمد لله. قلت: فكأنَّها لم تُقَلْ واذا وقع الزواج زال كل قولٍ وتشنيع. ولم ازلْ ارفق بهِ حتى أجاب. وبعثتُ الى محمد بن صالح فاحضرتهُ وما برحتُ حتى زوّجتهُ وسُقتُ الصِداق عنهُ

الكُمَيْت وقد فرَّ من الحبسُ واقامت امرأتهُ مكانهُ

حدّث المستهلّ بن الكميت قال: كان حكيم بن عباس الاعور الكلبيّ ولعًا بهجاء مُضر فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم. وكان الكميت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا: فأجبِ الرجلَ. قال: انّ خالد بن عبد الله القسريّ مُحسنٌ اليَّ فلا اقدر ان اردَّ عليهِ. قالوا: فاسمع باذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء. وأنشدوه ذلك. فحمِي الكميتُ لعشيرتهِ فقال المذهَّبة «ألا حييتِ عنّا يامدينا» فأحسن فيها . وبلغ خالدًا

خبرُها فقال: لا أبالي ما لم يجرِ لعشيرتي ذكرٌ . فأنشدوه قولهُ:

ومن عجب عليَّ لعمر امٍّ ... غذتك وغيرها تيـامينا(١)
تجاوزت المياه بلا دليل ... ولا علم تعسّف مخطئينا
فانك والتحول من معدّ ... كهيئة قبلنا والحالبينا
تخطت خيرهم حلبا ونسئا ... الى الوالي المغادر هاربينا
كعنز السوء تنطحُ عالفيها ... وترميهـا عِصِيُّ الذابحينا

فبلغ ذلك خالدًا فقال: فعلها. والله لاقتلنَّهُ. ثم اشترى ثلاثين جارية باغلى ثمن وتخيرهنَّ نهايةً في حسن الوجوه والكمال والادب فروَّاهنَّ الهاشميَّات ودسَّهنَّ مع نخَّاس الى هشام بن عبد الملك فاشتراهُنَّ جميعاً. فلمَّا أنس بهنَّ استنطقهنَّ فرأى فصاحةً وأدبًا فاستقراهنَّ القرآن فقرأْنَ واستنشدهنَّ الشعرَ فأنشدنهُ قصائد الكميت الهاشميات. فقال: ويلكنَّ مَن قائل هذا الشعر. قلنَ الكميت بن زيد الاسدي. قال: وفي ايِّ بلد هو. قلنَ: في العراق ثم بالكوفة. فكتب الى خالد وهو عاملهُ على العراق. ابعث اليَّ برأس الكميت بن زيد. فبعث خالد الى الكميت في الليل فأخذهُ واودعهُ السجنَ. ولمَّا كان من الغد أقرأ مَن حضرَهُ من مضر كتابَ هشـام واعتذر اليهم من قتله وآذنهم في انفاذ الامر فيهِ في غد. فقال لإبانِ بن الوليد البجلي وكان صديقًا للكميت: انظر ما ورد في صديقك. فقـال: عزَّ عليَّ والله بهِ. ثم قام ابان فبعث الى الكميت بغلام على بغلٍ وقال لهُ: أنت حرٌّ إن لحقتهُ والبغل لك. وكتب اليهِ: قد بلغني ما صرتَ اليهِ وهو القتلُ الَّا أن يدفع الله جلَّ وعزَّ. وأرى لك أن تبعث الى حبي يعني زوجة الكميت فاذا دخلتْ اليك تنقبتَ نقابها ولبستَ

(١) كذا في الاصل

ثيابها وخرجتَ فاني أرجو أن لا يُؤبَه لك . فأرسل الكميتُ الى أبي وضّاح حبيب بن بديل والى فتيان من بني عمهِ . فدخل عليــهِ حبيب فأخبرهُ الخبر وشاوره فيــهِ . فسدَّد رايه . ثم بعث الى حبى امرأتهِ فقصَّ عليها القصة وقال لها : أيْ ابنة عمّ انَّ الوالي لا يقدمُ عليكِ ولا يسلمك قومُكِ . ولو خفتــهُ عليكِ لما عرضتكِ لهُ . فالبستهُ ثيابها وازارها وخمرتهُ وقالت لهُ : أقبلْ وادبر . ففعل . فقالت : ما أُنكِرُ منك شيئاً الّا يبساً في كتفكَ فاخرُجْ على اسم الله . وأخرجت معهُ جاريةً لها . فخرج وعلى باب السجن ابو وضاح ومعهُ فتيان من أسد . فلم يؤبه لهُ . ومشى والفتيان بين يديه الى سكة شبيب بناحيــة الكناس . فمرَّ بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم : رجل وربّ الكعبة وأمر غلامه فاتَّبعهُ . فصاح بهِ أبو الوضاح : يا كذا وكذا لا اراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم . وأومأَ اليهِ بنعله . فولَّى العبدُ مدبرًا . وادخلهُ أبو الوضاح منزلهُ . ولما طال على السجّان الامر نادى الكميتَ فلم يجبهُ . فدخل ليعرف خبره . فصاحت بهِ المرأة : وراءك لا امَّ لك . فشقَّ ثوبهُ ومضى صارخًا الى باب خالد فأخبرهُ الخبر . فأحضر حبى فقال لها : يا عدوَّة الله احتلتِ على امير المؤمنين وأخرجتِ عدوَّه لأُمثلنَّ بكِ ولاصنعنَّ ولافعلنَّ . فاجتمعتْ بنو أسد اليهِ وقالوا : ما سبيلك على امرأة منّا خدعت . فخافهم فخلَّى سبيلها . (قال المستهل) وأقام الكميت مدة متواريًا حتى اذا أيقنَ ان الطلب قد خفَّ عنهُ خرج ليلًا في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معهُ صاعد غلامه . (قال) وأخذ الطريق على القطقطانة وكان عالمًا بالنجوم مهتديًا بهــا . فلمَّا صار سُحَيْرًا صاح بنا : هوّموا يا فتيان . فهوّمنا . وقام يصلّي (قال أبو المستهل) فرأيت شخصاً فتضعضعت لهُ . فقال : ما لك . قلت : أرى شيئاً مُقبلًا . فنظر اليــهِ فقال : هذا ذئب قد جاء

يستطعمكم. فجاء الذئب فربض ناحيةً فاطعمناه يد جزورٍ فتعرّقها. ثم اهوينا له باناء فيه ماء فشرب منهُ. وارتحلنا. فجعل الذئب يعوي. فقال الكميت: مالهُ ويلهُ ألم نطعمهُ ونسقيه. وما أعرفني بما يريد هو يُعلمنا انّا لسنا على الطريق. تيامنوا يا فتيان. فتيامنّا. فسكن عواؤه. فلم نزل نسير حتى جئنا الشام. فتوارى في بني أسد وبني تميم وأرسل الى اشراف قريش وكان سيدهم يومئذٍ عنبسة بن سعيد بن العاص. فمشت رجالات قريش بعضها الى بعض وأتوا عنبسة فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمة قد أتاك الله بها. هذا الكميت ابن زيد لسانُ مُضر وكان امير المؤمنين كتب في قتلهِ فنجا حتى تخلص اليك والينا. فمضى عنبسة فاتى مسلمة بن هشام فقال له: يا ابا شاكر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا ان اعتقدتها فان علمتُ انك تفي بها والّا كتمتها. قال: وما هي. فأخبرهُ الخبر وقال. انهُ قد مدحكم عامةً وإيّاك خاصةً بما لم يُسمع بمثلهِ. فقال: عليَّ خلاصهُ. وبلغ ذلك هشاماً فدعا بهِ. ثم قال: أتُجير على أمير المؤمنين بغير أمرهِ. فقال: كلاَّ ولكني انتظرت سكون غضبه. قال: احضرنيه الساعة فانهُ لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل ان امير المؤمنين أمرني باحضارك. قال: أتُسلمني يا أبا شاكر. قال: كلاَّ ولكني احتال لك. ثم قال له: انَّ معاوية بن هشام مات قريباً وقد جزع عليهِ جزعاً شديداً فاذا كان من الليل فاضربْ رواقك علىَ قبرهِ وانا ابعث اليك بنيه يكونون معك في الرواق. فاذا دعا بك تقدّمتَ اليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولوا: هذا استجار بقبر ابينا ونحن أحقّ من أجاره. فأصبح هشام على عادتهِ متطلعاً من قصره الى القبر فقال: من هذا. فقالوا: لعلهُ مستجير بالقبر. فقال: يُجار من كان الّا الكميت فانهُ لا جوار له. فقيل: فانهُ الكميت. قال: يُحضر

أعنفَ احضارٍ . فلمَّا دُعي بهِ ربط الصبيان ثيابهم بثيابهِ . فلما نظر هشام اليهم أغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظهُ من الدنيا فاجعلهُ هبةً لهُ ولنا ولا تفضحنا فيمن استجار بهِ . فبكى هشام حتى انتحب . ثم أقبل على الكميت فقال لهُ : يا كميت أنت القائل :

وان لا تقولوا غيرها تتعرَّفوا نواصيَها تردى بنا وهي شزَّبُ

فقال : لا والله ولا أتان من أُتن الحجاز وحشية . فحمد الله واثنى عليهِ وصلى على نبيهِ ثم قال : امَّا بعد فاني كنتُ أتدهدى في غمرة . وأعوم في بحر غواية . أخنى عليَّ خطَلها . واستفزَّني وهَلها . فتحيرت في الضلالة . وتسكعت في الجهالة . مهرعًا عن الحق جائرًا عن القصد أقول الباطل ضلالًا . وأفوه بالبهتان وبالًا . وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية . فاغسلْ عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة . واصفح عن الزلة واعفِ عن الجرمة ثم قال :

كم قال قائلكم لعًا لك عند عثرته لعاثرْ
وغفرتمُ لذوي الذنو ب من الاكابر والاصاغرْ
أبني امية انكم أهل الوسائل والاوامرْ
ثقتي لكلِّ ملمَّةٍ وعشيرتي دون العشائرْ
أنتم معادن للخلا قة كابرًا من بعد كابرْ
بالتسعة المتتابعين م خلائفًا وبخير عاشرْ
والى القيامة لا ترا ل لشافعٍ منكم وواترْ

ثم قطع الانشاد وعاد الى خطبتهِ فقال : اغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين بحبله مَن لا تحلّ حبوته لاساءة المذنبين . فضلًا عن

استشاطة غضبه بجهل الجاهلين. فقال له: ويلك يا كميت مَن زيَّن لك الغَواية ودلاك في العماية. قال: الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساهُ العهد فلم يجد لهُ عزماً. فقال: ايه انت القائل:

فقل لبني أُميَّة حيث حلُّوا ... وان خفت المهنَّد والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموهُ ... وأشبع من بجوركم أُجيعا
بمرضيِّ السياسة هاشميٍّ ... يكون حياً لأُمَّتهِ ربيعا

فقال: لا تثريب يا امير المؤمنين ان رأيتَ ان تمحو عني قولي الكاذب. قال: بماذا. قال: بقولي الصادق:

أورثتهُ الحصان امّ هشامٍ ... حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى بهِ ابن عائشة البد ... ر فأمسى لهُ رقيباً نظيرا
وكساه أبو الخلائف مروا ... نُ سناء المكارم المأثورا
لم تجهَّم لهُ البطاح ولكن ... وجدتْها لهُ معاناً ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال: هكذا فليكن الشعر (يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر وكان الى جانبهِ). ثم قال: قد رضيت عنك يا كميت. فقبَّل يده وقال: يا امير المؤمنين ان رأيتَ أن تزيد في تشريفي ولا تجعل لخالد عليَّ امارة. قال: قد فعلتُ. وكتب لهُ بذلك وأمر لهُ باربعين الف درهم وثلاثين ثوباً هشامية وكتب الى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين الفاً وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك

حاتم وماوية امرأته

انّ ابن عمّ لحاتم كان يقال لهُ مالك قال لماوية امرأة حاتم: ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد شيئًا ليتلفنَّهُ وان لم يجد ليتكلفنَّ وان مات ليتركنَّ ولدهُ عيالًا على قومك. فقالت ماوية: صدقتَ انهُ كذلك. وكان النساء أَو بعضهنَّ يطلقنَ الرجالَ في الجاهلية وكان طلاقهنَّ انهنَّ ان كنَّ في بيت من شعَرٍ حوَّلنَ الخباء. ان كان بابهُ قِبل المشرق حوَّلنه قبل المغرب وان كان بابهُ قبل اليمن حوَّلنه قبل الشام. فاذا رأى ذلك الرجل علم انهـا قد طلَّقتهُ فلم يأتِها. وانَّ ابن عمٍّ حاتم قال لماوية وكانت أَحسن نساء الناس: طلّقي حاتمًا وانا اتزوَّج بكِ وانا خيرٌ لكِ منهُ واكثر مالًا وأنا امسكُ عليكِ وعلى ولدكِ. فلم يزل بها حتى طلَّقتْ حاتمـًا. فأتاها حاتم وقد حوَّلت باب الخباء فقال: يا عدي ما ترى امك عدى عليها. قال: لا ادري غير انها غيَّرت باب الخباء وكأنهُ لم يلحن لما قال. فدعاه فهبط بهِ بطن وادٍ. وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخبـاء كما كانوا ينزلون فتوافوا خمسين رجلًا. فضاقت بهم ماوية ذرعًا وقالت لجاريتها: اذهبي الى مالك فقولي لهُ: ان اضيافًا لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلًا فأَرسلْ بنابٍ نَقرِهم ولبنٍ نَغبقهم. وقالت لجاريتها: انظري الى جبينـهِ وفمِهِ فان شافهك بالمعروف فاقبلي منهُ وان ضرب بلحيتهِ على زَوره وأَدخلَ يده في راسهِ فاقبلي ودعيه. وانّها لمّا أتت مالكًا وجدتهُ متوسدًا وطبـًا من لبنٍ وتحت بطنهِ آخر. فايقظتهُ. فادخل يدهُ في راسهِ وضرب بلحيته على زوره. فأبلغته ما ارسلتها بهِ ماوية وقالت: انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانهُ. فقال لها: اقرإي عليها السلام وقولي لها: هذا الذي أَمرتُك ان تطلّقي حاتمًا فيـهِ

فما عندي من كبيرة قد تركتِ العمل. وما كنتُ لأنحر صفيَّـــة غزيرة بشحم كلاها. وما عندي لبن يكفي اضياف حاتم. فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منهُ وما قال. فقالت: ائتي حاتمًا فقولي: انَّ اضيافك قد نزلوا الليلة بنا ولم يعلموا بمكانك فارسل الينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقيهم فانما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك. فأتت الجارية حاتمًا فصرخت بهِ فقال حاتم: لَبيكِ قريبًا دعوتِ. فقالت: ان ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: انَّ اضيافك قد نزلوا بنا الليلة فأرسل اليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقهم. فقال: نعم وأبي. ثم قام الى الابل فاطلق ثنيَّتينِ من عقاليهما ثم صاح بهما حتى اتى الخبــاء فضرب عراقيبهما. فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الذي طلَّقتك فيـهِ تترك ولدك وليس لهم شي.. فقال حاتم:

هل الدهر الَّا اليوم أو امس او غدُ كذاك الزمان بيننا يترددُ
يرد علينا ليلة بعـد يومهـا فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفدُ
لنا أجلٌ امَّا تناهى امامـهُ فنحن على آثارهِ نتوردُ (١)

شاعر البرامكة وابو نوءاس

حدَّث ابن مناذر قال: حجَّ الرشيد بعد ايقاعهِ بالبرامكة وحجَّ معهُ الفضل ابن الربيع وكان مضيفًا مملقًا. فهيَّأتُ فيهِ قولًا أجدتُ تميقهُ وتنوقت فيـهِ. فدخلت اليهِ في يوم التروية واذا هو يسأل عنّي ويطلبني. فبدرني الفضل بن الربيع قبل ان أتكلم فقال: يا أمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم.

---

(١) راجع هذه القصيدة مع ترجمة حاتم في كتاب شعراء النصرانية

وقد كان البشرُ ظهر لي في وجههِ لمّا دخلتُ. فتنكّر وعبس في وجهي. فقال الفضل: مُرْهُ يا امير المؤمنين أن ينشدك قولهُ فيهم «أتانا بنو الاملاك من آل برمك». فقال لي: انشدْ. فأبيتُ. فتوعّدني واكرهني. فانشدتهُ:

أتانا بنو الآمال من آل برمكٍ فيا طيب أخبارٍ ويا حسن منظرِ
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقتْ بيحيي وبالفضل بن يحيي وجعفرِ
فتُظلم بغداد وتجلو لنا الدُّجى بمكة ما حجُّوا ثلاثة اقمرِ
فما خُلقت الّا لجودٍ اكفُّهم وأقدامهم الّا لأعواد منبرِ
اذا راض يحيي الامرَ ذلّت صعابهُ وناهيك من راعٍ لهُ ومدبّرِ
ترى الناس اجلالًا لهُ وكأنهم غرانيق ماء تحت بازٍ مصرصرِ

ثم أتبعتُ ذلك بأنْ قلتُ: كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتُهم وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحلِل بهم نقمتك ولم اكن في ذلك مبتدعًا ولا خلا احد من نظرائي من مدحهم. وكانوا قومًا قد أظلّني فضلهم واغناني رفدهم فأثنيت بما أولوا. فقال: يا غلام الطمْ وجههُ. فلُطمتُ والله حتى سَدِرتُ وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس. ثم قال اسحبوه على وجههِ. ثم قال: والله لأحرمنّك ولا تركتُ احدًا يعطيك شيئًا في هذا العام. فسُحبت حتى أُخرجتُ وانصرفت وانا أسوأ الناس حالًا في نفسي وحالي وما جرى عليَّ. ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذٍ قوت عيالي لعيدهم. فاذا بشاب قد وقف عليَّ ثم قال: أعزز عليَّ والله يا كبيرنا بما جرى عليك. ودفع اليَّ صرّة وقال: تبلّغ بما في هذه. فظننتها دراهم فاذا هي ثلثمائة دينار. فقلت لهُ: من أنت جعلني الله فداءك. قال: انا أخوك أبو نواس فاستعنْ بهذه الدنانير اعذرني. فقبلتها وقلت: وصلك الله يا أخي وأحسنَ جزاءك

ذبح ابن أَشْعَب

حدَّث يحيي بن محمد بن أَبي قتيلة قال: غذى أشعب جديًا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ غاية. ثم جاء بهِ الى اسمعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله انهُ لأَبني قد رضع بلبن زوجتي حبوتك بهِ ولم أَرَ احدًا يستاهلهُ سواك. (قال) فنظر اسمعيل الى فتنة من الفتن فأَمر بهِ فذُبح وسُمِط. فأَقبل عليهِ اشعب فقال: المكافأة. فقال: ما عندي والله اليوم شيء ونحن مَن تعرف وذلك غير فائت لك. فلمَّا يئس منهُ قام من عنده فدخل على أَبيهِ جعفر بن محمد ثم اندفع يشهق حتى التقتْ اضلاعه. ثم قال: أَخلِني. قال: ما معنا احد يسمع ولا عين عليك. قال: وثب ابنك اسمعيل على ابني فذبحهُ وانا انظر اليهِ. (قال) فارتاع جعفر وصاح: ويلك وفيمَ وتريد ماذا. قال: أَمَّا ما أُريد فوالله ما لي في اسمعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع ابدًا بعدك. فجزاه خيرًا وأَدخلهُ منزله وأَخرج اليهِ مائتي دينار وقال لهُ: خذ هذه ولك عندنا ما تحبُّ. (قال) وخرج الى اسمعيل لا يبصر ما يطأ عليهِ. فاذا بهِ مترسل في مجلسهِ. فلمَّا رأَى وجد أَبيهِ نكر وقام اليهِ. فقال: يا اسمعيل أَو فعلتها باشعب قتلتَ ولده. (قال) فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا وخبَّرهُ الخبر. فأَخبرهُ أَبوهُ ما كان منهُ وصار اليهِ. (قال) فكان جعفر يقول لاشعب: رعبتَني رعبك الله. فيقول: روعة ابنك والله اياي في الجدي اكبر من روعتك انت في المائتي الدينار

عبد الله بن العباس وجدُّهُ والرشيد

حدَّث عبد الله بن العبَّاس الربيعي قال: كنت ارغب في الغناء فأظهرتُ لعمَّتي انني اشتهي ان أتعلَّم الغناء ويكون ذلك في سترٍ عن جدّي. وكان جدّي وعمتي في حالٍ من الرقّة عليَّ والمحبة لي لا نهاية وراءها لأنَّ أبي توفي في حيـاة جدّي الفضل. فقالت: يا بنيَّ وما دعاك الى ذلك. فقلت: شهوة غلبتْ على قلبي ان مُنعت منها متُّ غمًّا. وكان لي في الغنـاء طبع قويّ. فقالت لي: أنت أعلمُ وما تختاره. والله ما أحبُّ منعك من شي. واني لكارهة أن تحذقَ ذلك وتشهر بهِ فتسقط ويفتضح أبوك وجدُّك. فقلت: لا تخافي ذلك فانما آخذ منهُ مقدار ما ألهو بهِ. فكنت آخذ الغناء عن جارية لجدّي وعن صواحباتها حتى تقدمتُ الجماعة حذقًا واقررنَ لي بذلك وصرتُ ألازم مجلس جدّي. فكان يُسرُّ بذلك ويظنهُ تقرّبًا مني اليـهِ. وانما كان وكدي فيهِ اخذ الغناء. فلم يكن يمرُّ لاسحق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان ولا لغيرهم صوتٌ الّا اخذتهُ. فكنت سريع الاخذ وانما كنت اسمعـهُ مرّتين أو ثلاثًا وقد صحَّ لي. واحسستُ من نفسي قوّةً في الصناعة. فكان اوّل صوت صنعتهُ:

أتاني يُؤامرني في الصبو ح ليلًا فقلت لهُ غادِها

ثم صنعتُ في:

أقفر من بعد حلهِ سرفُ فالمنحنى فالعقيق فالجرف

وعرضتها على الجارية التي كنتُ آخذُ عنها وسألتها عمَّا عندها فيهما. فقالت: لا يجوز ان يكون في الصنعة شي. فوق هذا. وكان جواري الحرث بن بسخير

وجواري ابنه محمد يدخلنَ الى دارنا فيطرحنَ على جواري عمّتي وجواري جدّي ويأخذنَ ايضاً مني ما ليس عندهنَّ من غناء دارنا. فسمعني أُلقي هذين الصوتين على الجارية فأخذنهما مني وسألنَ الجارية عنهما. فاخبرتهنَّ انهما من صنعتي. فسألنها ان تصححهما لهنَّ ففعلتْ. وأخذنهما عنها. ثم اشتهرا حتى غُنّي الرشيد بهما يوماً فاستظرفهما وسأل اسحق: هل تعرفهما. فقال: لا وانهما لَمِن حسن الصنعة وجيّدها ومُتقنها. ثم سأل الجارية عنهما. فتوقفتْ خوفاً من عمّتي وحذرًا ان يبلغ جدّي انها ذكرتني. فانتهرها الرشيدُ. فأخبرته بالقصة. فوجّه من وقتهِ فدعا بجدّي. فلمّا أحضره قال لهُ: يا فضل أيكون لك ابنٌ يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنهُ معهُ ان يصنع صوتين يستحسنهما اسحق وسائر المغنّين ويتداولهما جواري القيان ولا تعلمني بذلك كأنّك رفعتَ قدره عن خدمتي في هذا الشأن. فقال لهُ جدّي: وحق ولائك يا امير المؤمنين ونعمتك والّا فانا نفيٌ منهما بريء من بيعتك وعليَّ العهد والميثاق والعتق والطلاق ان كنتُ علمت بشيء من هذا قط الّا منك الساعة. فمن هذا مِن ولدي. قال: عبد الله بن العباس هو. فأحضرنيه الساعة. فجاء جدّي وهو يكادُ ينشقُّ غيظاً فدعاني. فلمّا خرجت اليهِ شتمني وقال: يا كلب بلغ من أمرك ومقدارك ان تجسر على ان تتعلّم الغناء بغير اذني. ثم زاد ذلك حتى صنعتَ. ولم تقنع بهذا حتى القيتَ صنعتك على الجواري في داري. ثم تجاوزتهنَّ الى جوار الحرث بن بسخنير فاشتهرت وبلغ امرك امير المؤمنين فتنكّر لي ولامني وفضحتَ آباءك في قبورهم وسقطتَ الابدَ الّا من المغنين وطبقة الخناكرين. فبكيتُ غمّاً بما جرى وعلمت انهُ قد صدق. فرحمني وضمّني اليهِ وقال: قد صارت الآن مصيبتي في ابيك مصيبتين احدهما بهِ

وقد مضى وفات والاخرى بك وهي موصولة بحياتي ومصيبته باقية العار عليّ وعلى أهلي بعدي . وبكى وقال : عزّ عليّ يا بنيّ ان اراك أبدًا ما بقيتَ على غير ما أحبّ وليست لي في هذا الامر حيلة لانهُ امرٌ قد خرج عن يدي . ثم قال : جئني بعود حتى اسمعك وانظر كيف انت . فان كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة والّا جئتهُ بك منفردًا وعرّفتهُ خبرك واستعفيتهُ لك . فاتيتهُ بعود وغنّيتهُ غناء قديمًا . فقال : لا بل غنِّ صوتيك اللذين صنعتهما . فغنيتهُ اياهما . فاستحسنهما وبكى . ثم قال : بطلت والله يا بنيّ وخاب املي فيك فوا حزني عليك وعلى أبيك . فقلت لهُ : يا سيّدي ليتني متُّ من قبل ما انكرتهُ أو خرستُ وما لي حيلة ولكني وحياتك يا سيّدي والا فعليَّ عهدُ الله وميثاقه والعتق والطلاق وكلّ يمين يحلف بها حالف لازمة لي لا غنّيتُ ابدًا الّا للخليفة او وليّ عهدٍ . فقال : قد أحسنتَ فيما نبهت عليهِ من هذا . ثم ركب وأمرني فاحضرت فوقفت بين يديّ الرشيد وانا ارعدُ . فاستدناني حتى صرت أقرب الجماعة اليهِ ومازحني وأقبل عليَّ وسكن مني وأمر جدّي بالانصراف وأمر الجماعة فحدّثوني وسقيت الجماعة وغنّى المغنون جميعًا . فأومأ اليَّ اسحق الموصليّ بعينهِ ان . ابدأ فغنِّ اذا بلغتِ النوبةُ اليك قبل ان تؤمر بذلك ليكون ذلك أصلح وأجود بك . فلمّا جاءت النوبة اليَّ أخذت عودًا ممن كان الى جنبي وقمت قائمًا واستأذنت في الغناء . فضحك الرشيد وقال : غنِّ جالسًا . فجلست وغنيت لحني الأوّل فطرب واستعاده ثلاث مرّات وشرب عليهِ ثلاثة انصاف ثم غنّيت الثاني . فكانت هذه حالهُ وسكر فدعا بمسرور وقال لهُ : احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينــار وثلاثين ثوبًا من فاخر ثيابي وعَيبة مملوءة طيبًا . فحمل ذلك أجمع معي . ولم ازل كلما أرادَ وليُّ عهد أن يعلم مَن الخليفةُ

بعدَ الخليفةِ الوالي أهو أم غيره دعاني فأمرَني بأن أغني فأعرّفهُ بيميني فيستأذن الخليفةَ في ذلك. فإن أذن لي في الغناء عندهُ عرف انهُ وليّ عهد والّا عرف انهُ غيرهُ. حتى كان آخرهم الواثق فدعاني في ايام المعتصم وسألهُ ان يأذن لي في الغناء فأذن لي. ثم دعاني من الغد فقال: ما كان غناؤك الّا سبباً لظهور سرّي وسرّ الخلفاء قبلي ولقد هممتُ ان آمرَ بضرب رقبتك. لا يبلغني انك امتنعتَ من الغناء عند احدٍ. فوالله لئِن بلغني لاقتلنك. فأعتق من كنتَ تملكهُ يومَ حلفتَ وطلّقْ من كان يوجد عندك من الحرائر واستبدلْ بهنَّ. وعليَّ العوض من ذلك. وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة. فقمت وانا لا اعقل خوفاً منهُ فاعتقت جميعَ من كان بقي عندي من مماليكي الذين حلفت يومئذٍ وهم في ملكي. وتصدّقت بجملة واستفتيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها. وغنيتُ بعد ذلك اخواني جميعاً حتى اشتهر امري وبلغ المعتصم خبري فتخلصت منهُ. ثم غضب عليَّ الواثق لشيء انكرهُ. وولي الخلافة وهو ساخِط عليَّ. فكتبت اليهِ:

اذكر اميرَ المؤمنين وسائلي أيام ارهب سطوة السيفِ
ادعو الهي ان اراك خليفة بين المقام ومسجد الخيف

فدعاني ورضي عني

قوة هلال

حدَّث خالد عن كفيف بن عبد الله المازني قال: كنت يوماً مع هلال ونحن نبغي ابلًا لنا. فدفعنا الى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا وعطشنا

واذا نحن بفتية شباب عند ركيَّة لهم وقد وردت ابلهم. فلما رأوا هلالًا استهولوا خَلقه وقامته. فقام رجلان منهم اليهِ فقال لهُ احدهما: يا عبد الله هل لك في الصراع. فقال لهُ هلال: انا الى غير ذلك أحوج. قال: وما هو. قال: الى لبن وماء فانني لغبٌ ظمآن. قال: ما انت بذائق من ذلك شيئًا حتى تعطينا عهدًا تجيبنا الى الصراع اذا ارحتَ ورويتَ. فقال لهما هلال: انني لكم ضيفٌ والضيفُ لا يصارع ربَّ منزلهِ. وانتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم. اعمدوا الى اشدّ فحلٍ في ابلكم وأهيبه صولةً والى اشدّ رجلٍ منكم ذراعًا. فإنْ لم أقبض على هامة البعير وعلى يدِ صاحبكم فلا يمتنع الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخلَ يدَ الرجل في فم البعير فإن لم افعل ذلك فقد صرعتموني. وان فعلتهُ علمتم ان صراع أحدكم أيسرُ من ذلك. (قال) فعجبوا من مقالتهِ تلك وأومأُوا الى فحل في ابلهم هائج صائلٍ فطم. فأتاه هلال ومعهُ نفر من اولئك القوم وشيخ لهم. فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطةً جرجر الفحل واستخذى الفحل ورغى. وقال: ليعطني مَن أحببتم يدهُ أُولجها في فم هذا الفحل. (قال) فقال الشيخ: يا قوم تنكَّبوا هذا الشيطان فوالله ما سمعت فلانًا (يعني هذا الفحل) جرجر منذ بزل قبل اليوم فلا تعرضوا لهذا الشيطان. وجعلوا يتبعونهُ وينظرون الى خطوه ويعجبون من طول اعضائهِ حتى جازهم

عروة الصعاليك

كان عروة بن الورد في قوم اذا اصابتهم سنةٌ شديدة تركوا في دارهم المريضَ والكبيرَ والضعيف. وكان عروة بن الورد يجمع اشباه هولاء من دون

الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الاسراب ويكنف عليهم الكُنُف (١) ويُكسيهم. ومَن قوي منهم إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه أو ضعيفٌ تثوب قوته خرج بهِ معهُ فأغار وجعل لاصحابهِ الباقين في ذلك نصيباً. حتى اذا أخصب الناس وألبنوا وذهبتِ السنة ألحقَ كلَّ انسانٍ بأهلهِ وقسم لهُ نصيبهُ من غنيمة ان كانوا غنموها. فربما اتى الانسانُ منهم أهلَهُ وقد استغنى. فلذلك سُمّي عروة الصعاليك. فقال في بعض السنين وقد ضاقت حالهُ :

لعلَّ ارتيادي في البلاد وبغيتي وشدّي حيازيم المطية بالرحلِ
سيدفعني يوماً الى ربّ هجمةٍ يدافع عنها بالعقوق وبالبخلِ

فزعموا أن الله عزَّ وجلَّ قيَّض لهُ وهو مع قوم من هلال عشيرته في شتاء شديدٍ ناقتين دَهماوين. فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الاخرى وجعل ينتقل بهم من مكان الى مكان. وكان بين النَّقرَة والرَّبذَة فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال لهُ ماوان. ثم ان الله عزَّ وجل قيَّض لهُ رجلاً صاحب مائة من الابل قد فرَّ بها من حقوق قومهِ وذلك اوَّل ما ألبنَ الناسُ. فقتلهُ وأخذ ابلهُ وامرأته وكانت من أحسن النساء. فأتى بالابل اصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم. فقالوا: لا واللات والعزَّى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء اخذها. فجعل يهمُّ بأنْ يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الابل منهم ثم يذكر انهم صنيعتهُ وانهُ إن فعل ذلك أفسدَ ما كان صنع. فأفكر طويلاً ثم أجابهم الى ان يردّ عليهم الابل الّا راحلة يحمل عليها المرأة حتَّى

(١) الكنف جمع الكنيف وهو الحظيرة من الشجر تحظر عليهم كما تحظر على الابل فتقيهم من الريح والبرد

يلحق باهلهِ. فأبوا ذلك عليـه حتّى انتدب رجلٌ منهم فجعل لهُ راحلةً من نصيبهِ. فقال عروة في ذلك قصيدتهُ التي اوّلها:

ألا انَّ اصحاب الكنيف وجدتُّهم كما الناس لمَّا أمرعوا وتموّلوا
واني لمدفوعٌ اليَّ ولاؤهم بماوانَ اذ نمشي واذ نتململُ (١)
واني واياهم كذي الامّ اذ همت لهُ ماء (٢) عينيها تفدّي وتحملُ
فباتت تحـدُّ المرفقين كليهمـا توحوح مما نالهـا وتولولُ
تخـيَّرُ من أمرين ليسا بغبطةٍ هو الثكل الّا انها قد تجملُ

عروة الصعاليك والرجل ذو الصرامة والكماعة

حدَّث حرّ بن قطن أنَّ ثمامة بن الوليد دخل على المنصور فقال: يا ثمامة أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك ابن الورد العبسيّ. فقال: أي حديثهِ يا امير المؤمنين فقد كان كثير الحديث حسنه. قال: حديثهُ مع الهذلي الذي اخذ فرسهُ. قال: ما يحضرني ذلك فأرويه يا امير المؤمنين. فقـال المنصور: خرج عروة حتّى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلَين وقد جاع فاذا هو بارنب فرماها. ثم أورى نارًا فشواها واكلها. ودفن النار على مقدار ثلاثة اذرع وقد ذهب الليل وغارت النجوم. ثم اتى سرحة فصعدها وتخوَّف الطلب فلمَّا تغيب فيها اذا الخيل قد جاءت وتخوفوا البيات. (قال) فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتّى ركز رمحه في موضع النار وقال: لقد رأيت النار هاهنا. فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئًا. فأكبَّ

---

(١) وفي نسخة: نتملّل. (٢) وفي نسخة: ارهنت له ماء

القومُ على الرجل يعذلونهُ ويعيبون أمره ويقولون: عنيتنا في مثل هذه الليلة القرَّة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيهِ. فقال: ما كذبت ولقد رأيت النار في موضع رجي. فقالوا: ما رأيت شيئاً ولكن تحذلقك وتداهيك هو الذي حملك على هذا. وما نعجب الَّا لانفسنا حين اطعنا أمرك واتبعناك. ولم يزالوا بالرجل حتَّى رجع عن قولهِ لهم. فرجع الرجل ورجع القوم واتبعهم عروة حتى اذا وردوا منازلهم جاء عروة فكمن في كسر بيت. وجاء الرجل الى امرأته وقد اتاها عبد اسود بعلبة فيها لبن فقال. اشربي. فقالت: لا أو تبدأ. فبدأ الاسود فشرب وعروة ينظر. فقالت للرجل حين جاء: لعن الله صلبك عنيتَ قومك منذ الليلة. قال: لقد رأيت ناراً. ثم دعا بالعلبة ليشرب فقال حين ذهب ليكرع: ريح رجل وربِّ الكعبة. فقالت امرأتهُ: وهذه اخرى. وايّ ريح رجلٍ تجدهُ في اناءك غير ريحك. ثم صاحت فجاء قومها فأخبرتهم خبره فقالت يتهمني ويظن بي الظنون. فأقبلوا عليهِ باللوم حتى رجع عن قولهِ. فقال عروة: هذه ثانية. (قال) ثم اوى الرجل الى فراشهِ فوثب عروة الى الفرس يريد أن يذهب بهِ. فضرب الفرس بيدهِ ونخر. فرجع عروة الى موضعهِ. ووثب الرجل فقال: ما كنت لتكذبني فما لك. فأقبلت عليهِ امرأتهُ لوماً وعذلًا. (قال) فصنع عروة ذلك ثلاثاً والرجل يقوم ويكلم الفرس. ثم اوى الرجل الى فراشهِ وضجر من كثرة ما يقوم فقال: لا أقوم اليك الليلة. وأتاه عروة فجال في متنهِ وخرج ركضاً. وركب الرجل فرساً عنده انثى. (قال) فجعلتُ اسمعهُ خلفي يقول: الحقي فانك من نسله. فلما انقطع عن البيوت قال لهُ عروة بن الورد: ايها الرجل قِفْ فانك لو عرفتني لم تقدم عليَّ. انا عروة بن الورد وقد رأيتُ الليلة منك عجباً. فأخبرني بهِ واردّ اليك فرسك. قال: وما هو. قال:

جئتَ مع قومك حتى ركزتَ رمحك في موضع نار كنتُ قد أوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيتَ وقد صدقتَ . ثم اتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما . ثم شممتَ رائحة رجل في اناءك وقد رأيتُ انا الرجل حين آتوته زوجتك بالاناء وهو عبدك الاسود . فقلتَ : ريح رجل . فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيتَ . ثم خرجتُ الى فرسك فأردتهُ فاضطرب وتحرّك فخرجتَ اليهِ . ثم خرجتَ وخرجتَ . ثم اضربتَ عنهُ . فرأيتك في هذه الخصال اكمل الناس ولكنك تنثني وترجع . فضحك وقال : ذلك اخوالي السوء . والذي رأيتَ من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل . وما رأيت من كعاءتي فمن قبل اخوالي وهم بطن من خزاعة . والمرأة التي رأيتَ عندي امرأة منهم وانا نازل فيهم فذلك الذي يثنيني عن اشياء كثيرة . وانا لاحق بقومي وخارج عن اخوالي هولاء ومخلٍّ سبيل المرأة . ولولا ما رأيت من كعاءتي لم يقوَ على مناواة قومي احدٌ من العرب . فقال عروة : خذ فرسك راشدًا . قال : ما كنت لآخذهُ منك وعندي من نسلهِ جماعة مثله . فخذهُ مباركًا لك فيهِ . قال ثمامة : انَّ لهُ عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا لهُ بحديث هو اظرف من هذا

تطفّل اسحق الموصليّ

حدَّث اسحق قال : غدوتُ يومًا وأنا ضجرٌ من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرَّج . فقلت لغلماني : انْ جاء رسول الخليفة أو غيره فعرّفوه أني بكرت في بعض مهماتي

وأنكم لاتعرفون أين توجهتُ . ومضيت وطفت ما بدا لي . ثم عدت وقد حمي النهار . فوقفت في الشارع المعروف بالحرم في فناء ثخين الظلّ وجناحٍ رحبٍ على الطريق لأستريح . فلم ألبثْ أنْ جاء خادم يقودُ حمارًا فارهًا عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لاغاية بعدَهُ . ورأيت لها شمائل حسنة . فخرصتُ عليها أنها مغنّية . فدخلتِ الدار التي كنت واقفًا عليها . ثم لم ألبث أنْ جاء رجلان شابّان جميلان . فاستأذنا فاذن لهما . فنزلا ونزلتُ معهمـــا ودخلت . فظنّا أنّ صاحب الدار دعاني . وظنّ صاحب الدار أني معهما . فجلسنا وأُتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضع . وخرجت الجارية وفي يدها عود فغنّت وشربنـــا . وقمت قومةً . وسأل صاحب المنزل الرجلين عني . فأخبراه أنّهما لا يعرفاني . فقال : هذا طُفيليّ ولكنهُ ظريف فأجملوا عشرتَهُ . وجئت فجلست . وغنّتِ الجارية في لحن لي . فأدّتهُ أداء صالحًا . ثم غنّت اصواتًا شتّى . وغنت في أضعافها من صنعتي :

الطلول الدوارسُ فارقتها الاوانسُ
أوحشتْ بعد أهلها فهي قفرٌ بسابسُ

فكان أمرها فيهِ أصلح منهُ في الاوّل . ثم غنت أصواتًا من القديم والحديث وغنت في اثنائها من صنعتي

قلْ لمَن صدّ عاتبا ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذي أردتَ وان كنت لاعبا

فكان أصلح ما غنّتهُ . فاستعدتُهُ منها لاصحّحَهُ لها . فأقبـــلَ عليّ رجل من الرجلين وقال : ما رأيت طفيليًا أصفق وجهـــا منك لم ترضَ بالتطفيل حتى اقترحتَ وهذا غايةُ المثل : طفيلي مُقترح . فاطرقتُ ولم أُجبه . وجعل صاحبـــه

يكفُّهُ عنّي فلا يكفُّ . ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلًا . فأخذت عود الجارية ثم شددتُ طبقته وأصلحتهُ اصلاحًا محكمًا وعدت الى موضعي فصلّيت . وعادوا . ثم اخذ ذلك الرجل في عربدتهِ عليَّ وانا صامت . ثم أخذتِ الجارية العود فجسّتهُ وأنكرتْ حاله وقالت : من مسّ عودي . قالوا : ما مسّهُ أحد . قالت : بلى والله لقد مسّهُ حاذقٌ متقدِم وشدَّ طبقته وأصلحهُ اصلاح متمكّن من صناعتهِ . فقلت لها : انا أصلحتهُ . قالت : فبالله خذهُ واضرب بهِ . فأخذتهُ وضربت بهِ مبدأً صحيحًا ظريفًا عجيبًا صعبًا فيهِ نقَرات محرّكة . فما بقي احد منهم الّا وثب وجلس بين يديَّ . ثم قالوا : بالله يا سيّدنا أتغنّي . فقلت : نعم وأعرّفكم نفسي انا اسحق بن ابراهيم الموصلي ووالله اني لأتيهُ على الخليفة اذا كلّمني وأنتم تسمعونني ما اكره منذ اليوم لاني تملّحتُ معكم . فوالله لا نطقتُ بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغثَّ . فقال لهُ صاحبه : من هذا حذرتُ عليك . فأخذ يعتذر . فقلتُ : والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى يخرجَ . فأخذوا بيدهِ فأخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي . فقال لي الرجل : هل لك في خصلةٍ . قلت : ما هي . قال : تُقيم عندي شهرًا والجارية والحمار لك مع ما عليها من حليّ . قلت : افعلُ . فأقمت عنده ثلاثين يومًا لا يدري احد أين انا والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبرًا . فلمّا كان بعد ثلاثين يومًا أسلمَ اليَّ الجارية والحمار والخادم فجئت بذلك الى منزلي . وركبت الى المأمون من وقتي . فلمّا رآني قال : اسحق ويحك أين تكون . فأخبرتهُ بخبري فقال : عليَّ بالرجل الساعة . فدللتهم على بيتهِ فأُحضر . فسألهُ المأمون عن القصة فأخبرهُ . فقال لهُ : أنت رجل ذو مروءة وسبيلك ان تعاونَ عليها . وأمرَ لهُ بمائة الف درهم وقال :

لا تعاشرنَّ ذلك المعربد النذلَ البتة . وأمر لي بخمسين الف درهم وقـال : احضرْني الجارية . فأحضرتها فغنّتهُ . فقال لي : قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنّيني وراء الستارة مع الجواري . وأمر لها بخمسين الف درهم فربحت والله بتالك الركبة وأربحتُ

دحمان والجارية والوليد

كان دحمان جمّالًا يكري الى المواضع ويتجر وكانت لهُ مروءة . فبينما هو ذات يوم قد اكرى جمالهُ وأخذَ مالهُ اذ سمع رنّة . فقـام واتبع الصوت . فاذا جارية قد خرجت تبكي . فقال لها : أمملوكة أنتِ . قالت : نعم . فقال : لمن . فقالت : لامرأة من قريش وسمَّتها لهُ . فقال : أتبيعكِ . قالت : نعم . ودخلت الى مولاتها فقالت : هذا انسان يشتريني . فقالت : ائذني لهُ . فدخل فسامها حتى استقرَّ أمر الثمن بينهما على مائتي دينار . فنقدها اياها وانصرف بالجارية فأقامت عندي مدة اطرح عليها ويطرح عليها معبد والابجر ونظراؤهما من المغنين . ثم خرجت بها بعد ذلك الى الشام وقد حذقت . وكنت لا ازال اذا نزلنا انزلُ الاكرياء ناحية وأنزل معتزلًا بها ناحية في محمل واطرح على المحمل من اعبية الجمَّالين واجلس انا وهي تحت ظلّها فأُخرج شيئاً فنأكلهُ ونضع ركوةً لنا فيها لنا شرابٌ فنشرب وتتغنَّى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام . فبينما انا ذات يوم نازل وانا القي عليها لحني :

لو ردَّ ذو شفقٍ حمـامَ منيةٍ   لرددتُ عن عبد العزيز حماما

صلَّى عليك اللهُ من مستودعٍ   جاورتَ رمساً في القبور وهاما

(قال) فرددتهُ عليها حتى اخذتهُ واندفعتْ تغنيه . فاذا انا براكب قـد طلع

فسلّم علينا فرددنا عليهِ السلام. فقال: أتأذنوا لي ان انزل تحت ظلكم هذا ساعةً. قلنا: نعم. فنزل. وعرضتُ عليهِ طعامنا وشرابنا فأجاب. فقدّمنا اليهِ السفرة فأكل وشرب معنا واستعاد الصوت مرارًا. ثم قال للجارية: أتغنين لدحمان شيئًا. قالت: نعم. قال: فغنيني صوتًا من صنعته: فغنّتهُ أصواتًا من صنعتي. وغمزتُها ان لا تعرّفهُ أني دحمان. فطرب وامتلأ سرورًا وشرب أقداحًا والجارية تغنيه حتى قرب وقت الرحيل. فأقبلَ عليَّ وقال. أتبيعني هذه الجارية. فقلت: نعم. قال: بكم. قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار. قال: قد اخذتها بها فهلمّ دواةً وقرطاسًا. فجئتهُ بذلك. فكتب: ادفع الى حامل كتابي هذا حين تقرأهُ عشرة آلاف دينار واستوص بهِ خيرًا وأعلمني بمكانهِ. وختم الكتاب ودفعهُ اليَّ ثم قال: أتدفع اليَّ الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالك. فقلت: بل أدفعها اليك. فحملها وقال: اذا جئتَ النجراء فسلْ عن فلان وادفع كتابي هذا اليهِ واقبض منهُ مالك. ثم انصرفَ بالجارية. (قال) ومضيتُ. فلمَّا وردت النجراء سألتُ عن اسم الرجل فدُللتُ عليهِ. فاذا داره دار ملك. فدخلت عليهِ ودفعت اليهِ الكتاب. فقبّلهُ ووضعهُ على عينيهِ ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها اليَّ وقال: هذا كتابُ اميرِ المؤمنين. وقال لي. اجلس حتى أعلم اميرَ المؤمنين بك. فقلت لهُ: حيث كنتُ فأنا عبدك وبين يديك وقد كان أمر لي بانزال وكان بخيلًا فاغتنم ذلك. فارتحلت وقد كنت أُصبت بجملين وكانت عدَّة اجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر. (قال) وسأل عني الوليد فلم يدرِ القهرمان اين يطلبني. فقال لهُ الوليد: عدَّة جماله خمسة عشر جملًا فارددها اليَّ. فلم أُوجد لانهُ لم يكن في الرفقة مَن معهُ خمسة عشر جملًا ولم يعرف اسمي فيسأل عني. (قال) وأقامت الجارية عنده شهرًا

لا يسأل عنها. ثم دعاها بعد ان استُبرئت وأُصلح من شانها. قال لهـا: غنيني لدحمان. فغنت. وقال لها: زيديني. فزادت. ثم أقبلت عليه فقالت: يا امير المؤمنين أو ما سمعت غناء دحمان منهُ. قال: لا. قالت: بلى والله. قال: أقول لك لا فتقولين بلى والله. فقالت: بلى والله لقد سمعتهُ. قال: وما ذاك ويحك. قالت: ان الرجل الذي اشتريتني منهُ هو دحمان. قال: أو ذلك هو. قالت: نعم هو هو. قال: فكيف لم اعلم. قالت: غمزني بأن لا اعلمك فأمر فكتب الى عامل المدينة بان يحمل اليهِ دحمان فحمل فلم يزل عنده أسيرًا

جرير والفرزدق وراعي الابل

حدَّث ابو سعيد السكري قال: كان راعي الابل يقضي للفرزدق على جرير ويفضلهُ. وكان راعي الابل قد ضخم أمرهُ وكان من شعراء الناس. فلما اكثر من ذلك خرج جرير الى رجالٍ من قومهِ فقال: هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليَّ وهو يهجو قومه وانا امدحهم فضربتُ رأيي فيهِ. ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابتهُ وقال: والله ما يسرُّني ان اعلم احدًا. وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقــة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها. (قال) فخرجت اتعرّضُ لهُ لألقاهُ من حيال حيث كنتُ أراهُ يمرُّ اذا انصرف من مجلسهِ وما يسرُّني ان يعلم أحدٌ. حتى اذا هو قــد مرَّ على بغلة لهُ وابنــهُ جندل يسير وراءه على مهرٍ لهُ أحوى محذوف الذنب وانسان يمشي معهُ يسألهُ عن بعض السبب. فلماَّ استقبلتهُ قلت: مرحبًا بك يا أبا جندل. وضربت بشمالي على معرفة بغلتهِ. ثم قلت: يا أبا جندل ان قولك

يُتبع وانك تفضِّلُ الفرزدقَ عليَّ تفضيلًا قبيحًا وانا امدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي ويكفيك من ذاك اذا ذكرنا ان تقول: كلاهما شاعر كريم. ولا تحتمل مني ولا منهُ لائمة. (قال) فبينا انا وهو كذلك واقف عليَّ وما ردَّ عليَّ بذلك شيئًا حتى لحق ابنهُ جندل فرفع كرمانية معهُ فضرب بها عجز بغلته ثم قال: لا اراك واقفًا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منهُ شرًّا او ترجو منهُ خيرًا. وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعتْ منها قلنسوتي. فوالله لو يعوج عليَّ الراعي لقلت: سفيهٌ غويٌّ. ولكن لا والله ما عاج عليَّ. فأخذتُ قلنسوتي فمسحتها ثم اعدتها على راسي. فسمعت الراعي قال لابنهِ. أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة. ولا والله ما القلنسوة بأغيظ امره اليَّ لو كان عاج عليَّ. فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلَّى العشاء بمنزلهِ في عليّة لهُ قال: ارفعوا لي باطية من نبيذ واسرجوا لي. فأسرجوا لهُ وأتوه بباطية من نبيذ. (قال) فجعل يهمهم. فسمعت صوتهُ عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت اليهِ فاذا هو يحبو على الفراش لما هو فيهِ. فانحدرتْ فقالت: ضيفكم مجنون رأيت منهُ كذا وكذا. فقالوا لها: اذهبي لطيتك نحن أعلمُ بهِ وبما يمارس. فما زال كذلك حتى كان السحر. ثم اذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتًا في بني نمير. فلمَّا ختمها بقولهِ

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

كبَّر ثم قال: أخزيتهُ وربِّ الكعبة. ثم أصبحَ حتى اذا عرف ان الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسهُ ومجلس الفرزدق دعا بدهنٍ فادّهن وكفّ راسهُ وكان حسن الشعر. ثم قال: يا غلام أسرج لي. فأسرج لهُ حصانًا. ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان موقع السلام قال: يا غلام ولم يسلم قل لعبيد

أبعثك نسوتك تكسبهنَّ المال بالعراق . اما والذي نفس جرير بيده لترجعنَّ اليهم بمَيرٍ يسوءهنَّ ولا يسرُّهنَّ . ثم اندفع فيها فأنشدها . (قال) فنكس الفرزدق وراعي الابل وأزم القوم . حتى اذا فرغ منها سار وثبت راعي الابل ساعتئذٍ فركب بغلته بشرٍ وعرٍ وخلَّى المجلس حتى اتى الى المنزل الذي ينزلهُ ثم قال لاصحابهِ : ركابكم ركابكم . فليس لكم ههنا مقام فضحكم والله جرير . فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك . (قال) فما كان الَّا ترحلهم . (قال) فسرنا الى اهلنا سيرًا ما سارهُ احد وهم بالشريف وهو اعلى دار بني نمير . فيحلف بالله راعي الابل انا وجدنا في اهلنا « فغضَّ الطرف انك من نمير » . وأقسمَ بالله ما بلغهُ انسي قط وان لجرير لأشياعًا من الجنّ . فتشاءمت بهِ بنو نمير وسبُّوه وابنَه . فهم يتشاءمون بهِ الى الآن

حكم اعرابيٍ في اطيب طعام واشعر بيت

حدث عوانة قال: صنع عبد الملك بن مروان طعامًا فاكثرَ وأطاب . ودعا اليهِ الناس فاكلوا . فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعام . ما نرى ان احدًا رأى اكثر منهُ ولا اكل أطيب منهُ . فقال اعرابي من ناحية القوم . امَّا اكثر فلا . وامَّا أطيب فقد والله اكلت أطيب منـهُ . وطفقوا يضحكون من قولهِ . فأشار اليهِ عبد الملك فأدنى منهُ فقال : ما انت بمحقٍ فيما تقول الَّا ان تخبرني بما يبين بهِ صدقك . فقال : نعم يا امير المؤمنين . بينما انا بهجر في ترب احمر في اقصى حجر اذ توفي أبي وترك كلاًّ وعيالًا . وكان له نخل فكانت فيهِ نخلة لم ينظر الناظرون الى مثلها كأنَّ تمرها اخفاف الرباع لم يرَ تمر قط اغلظ ولا

اصلب ولا اصغر نوًى ولا احلى حلاوة منها. وكانت تطرقها أتان وحشيه قد القتها تاوي الليل تحتها. فكانت تُثبت رجليها في اصلها وترفع يديها وتعطو بفيها فلا تترك فيها ألّا النبذ والمتفرّق. فاعظمَني ذلك ووقع مني كل موقع. فانطلقتُ بقوسي واسهمي وانا اظنُّ اني ارجع من ساعتي. فمكثت يوماً وليلة لا أراها حتى كان السحر أقبلت. فتهيأتُ لها فرشقتها فاصبتها واجهزت عليها. ثم عمدت الى سرتها فافريتها. ثم عمدت الى حطب جزل فجمعتهُ الى رضف. وعمدت الى زندي فقدحت واضرمت النار في ذلك الحطب والقيت سرتها فيهِ. وأدركني نوم السبات فلم يُوقظني إلّا حرُّ الشمس في ظهري. فانطلقتُ اليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذًى أو سواد أو رماد. ثم قلبت مثل الملاءة البيضاء. فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزّعة والمنصَّفة فسمت لها أطيطاً كتداعي عامر وغطفان. ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي الى فمي. فبما أحلف اني ما اكلت طعاماً مثلهُ قط. فقال لهُ عبد الملك: لقد اكلتَ طعامًا طيّبًا فمن أنت. قال: انا رجل جانبتني عَنعَنة تميم وأسد وكسكسة ربيعة وحُوشيّ أهل اليمن وان كنتُ منهم. قال: من أيّهم انت. قال: من أخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس فهل لك علم بالشعر. قال: سلني عما بدا لك يا امير المؤمنين. قال أيُّ بيتٍ قالتهُ العرب امدحُ. قال: قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحِ

(قال) وجرير في القوم فرفع راسهُ وتطاول لها. ثم قال: فأيّ بيتٍ قالتهُ العرب أفخر. قال: قول جرير:

اذا غضبتَ عليكَ بنو تميمٍ حسبتَ الناس كلهمُ غضابا

(قال) فتحرَّكَ . ثم قال لهُ : فأيُّ بيتٍ أهجى . قال : قول جرير :

فغُضَّ الطرفَ انك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

(قال) فاستشرف لها جرير واهتزَّ وطرِب . ثم قال لهُ : فايُّ بيتٍ قالتهُ العرب أحسن تشبيهاً . قال : قول جرير :

سرى نحوهم ليلٌ كأنَّ نجومهُ قناديلُ فيهنَّ الذبالُ المفتَّلُ

فقال جرير : جائِزتي للعُذريَ يا امير المؤمنين . فقال لهُ عبـد الملك : ولهُ مثلها من بيت انال ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئـاً . وكانت جائزة جرير اربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة . فخرج العذري وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب

بثينة وجميل

حدَّثت بثينة وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفـة قالت : والله ما أرادني جميل رحمة الله عليـهِ بريبة قط ولا حدَّثتُ انا نفسي بذلك منهُ . وانَّ الحيَّ انتجعوا موضعاً . واني لفي هودج لي أسير اذا انا بهاتفٍ ينشد أبياتاً . فلم اتمالك ان رميتُ بنفسي وأهلُ الحيّ ينظرون . فبقيتُ اطلب المنشد فلم أقف عليهِ . فناديتُ : ايها الهاتف بشعر جميل ما وراءكَ منهُ . واني أحسبهُ قد قضى نحبه ومضى لسبيله . فلم يجبني مجيب . فناديت ثلاثاً وفي كل ذلك لا يردُّ عليَّ احد شيئاً . فقال صواحباتي : أصابكِ يا بثينة طائف من الشيطان . فقلت : كلاَّ لقد سمعتُ قائلاً يقول . قلنَ : نحن معكِ ولم نسمع . فرجعتُ فركبت مطيَّتي وانا حيرى والهة العقل كاسفـة البال . ثم سرنا . فلمَّا

كان في الليل اذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينهِ . فرميت بنفسي وسعيت الى الصوت . فلمَّا قربت منهُ انقطع . فقلت : ايها الهاتف ارحم حيرتي وسكّنْ عبرتي بخبر هذه الابيات فانَّ لها شأنًا . فلم يردَّ عليَّ شيئًا . فرجعتُ الى رحلي فركبت وسرت وانا ذاهبة العقل . وفي كل ذلك لا يخبرني صواحباتي أنهنَّ سمعنَ شيئًا . فلمَّا كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعهم ونامت كل عين . فاذا الهاتف يهتف بي ويقول : يا بُنية اقبلي اليَّ انبئك عمَّا تريدين . فأقبلتُ نحو الصوت فاذا شيخ كانهُ من رجال الحيّ . فسألتهُ عن اسمهِ وبيتهِ فقال : دعي هذا وخذي فيما هو أهمّ عليكِ . فقلت لهُ : وانَّ هذا لَمِمَّا يهمُّني . قال : اقنعي بما قلتُ لكِ . فقلت لهُ : أأنت المنشد الابيات . قال : نعم . قلت : فما خبر جميل . قال : نعم فارقتهُ وقد قضى نحبه وصار الى حفرته رحمة الله عليهِ . فصرخت صرخة آذيت منها الحيّ وسقطت لوجهي فأُغمي عليَّ . فكانَّ صوتي لم يسمعهُ أحدٌ وبقيتُ سائر ليلتي . ثم أفقتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي . ورفعت صوتي بالعويل والبكاء ورجعت الى مكاني . فقال لي اهلي : ما خبركِ وما شأنك . فقصصتُ عليهم القصة . فقالوا : يرحم الله جميلًا . واجتمع نساء الحيّ وأنشدتهنَّ الابيات فأسعدنَني بالبكاء . فلم نزل كذلك لا يفارقنني ثلاثًا . وتحزَّن الرجال ايضًا وبكوا ورثوه وقالوا كلهم : يرحمهُ الله فانهُ كان عفيفًا صدوقًا . فلم اكتحل بعدهُ بإثمِدٍ ولا فرقت راسي بخيط ولا مشط ولا دهنتهُ الَّا من صداعٍ خفتُ على بصري منهُ ولا لبست خمارًا مصبوغًا ولا ازارًا . ولا ازالُ كذلك أبكيه الى المات

ابن ابي دُواد يخلّص ابا دلف من يد الأفشين

قال أحمــد بن أبي طاهر: كان أبو دلف القاسم بن عيسى في جملة من كان مع الافشين حيدر بن كاوس لمَّا خرج لمحاربة بابك. ثم تنكَّر لهُ فوجَّه يوماً بمن جاء بهِ ليقتلهُ. وبلغ المعتصمَ الخبرُ فبعث اليهِ باحمد بن أبي دواد وقال لهُ: ادركهُ وما أراك تلحقهُ فاحتلْ في خلاصهِ منهُ كيف شئتَ. (قال) فمضيتُ ركضاً حتى وافيتهُ. فاذا أبو دلف واقف بين يديهِ وقد اخذ بيدهِ غلامان لهُ تركيان. فرميت بنفسي على البساط وكنت اذا جئتهُ دعا لي بمصلّي. فقال لي: سبحان الله ما حملك على هذا. قلتُ: أنت اجلستني هذا المجلس. ثم كلمتهُ في القاسم وسألتهُ فيــهِ وخضعت لهُ. فجعل لا يزداد الَّا غلظةً. فلمَّا رأيت ذلك قلت هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرفق بهِ فلم ينفع وليس الَّا أخذهُ بالرهبــة والصدق. فقمت فقلت: كم تراك قدرتَ تقتل أولياء امير المؤمنين واحداً بعد واحد وتخالف امرهُ في قائدٍ بعد قائدٍ. قد حملتُ اليك هذه الرسالة عن امير المؤمنين فهاتِ الجواب. (قال) فذلَّ حتَّى لصق بالارض وبان لي الاضطراب فيهِ. فلمَّا رأيتُ ذلك نهضت الى أبي دلف وأخذت بيدهِ وقلت لهُ: قد أخذتهُ بأمر امير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أبا عبد الله. فقلت: قد فعلت. وأخرجتُ القاسم فحملتهُ على دابَّة ووافيت المعتصم. فلمَّا بصر بي قال: بك يا أبا عبد الله وريتُ زنادي. ثم ردَّ عليَّ خبري مع الافشين حدساً بظنهِ ما اخطأَ فيهِ حرفاً. ثم سألني عمَّا ذكرهُ لي وهو كما قال. فأخبرتهُ انهُ لم يخطىء حرفاً

عُمر الميداني

حدَّث عليُّ بن أُميَّة قال: دخلتُ يوماً على عُمَر الميداني. وكان لهُ بقَّال على باب داره ينادمهُ ولا يفارقهُ ويقارضهُ اذا أعسرَ ويتصرَّف في حوائجهِ فاذا حصلت لهُ دراهم دفعها اليهِ يقبض منها ما رأى لا يسألهُ عن شيء. فوجدتُ عندهُ يومئذٍ هذا البقَّال فقال لنا عمر: معي أربعة دراهم تعطوني منها لِعلَف حماري درهماً والثلاث لكم فكلوا بها ما احببتم. وعندي نبيذ وانا أُغنيكم والبقال يُحضرنا من الابقال اليابسة ما في حانوتهِ. فوجَّهنا بالبقَّال فاشترى لنا بدرهم فاكهة وريحانًا وجاءنا من حانوتهِ بجوانح السكباج ونقلٍ. فبينما نحن نتوقع الفراغ من القدر اذا بفرانق يدقُّ الباب. فأدخلهُ عمر. فقال لهُ: أجبِ الامير اسحق بن ابراهيم. فحلف علينا عُمَر بالطلاق الّا نبرح ومضى هو. واكلنا السكباج وشربنا وانصرف عشاء. وبكَّر اليَّ رسولهُ في السحر أن: صِرْ اليَّ. فصرت اليهِ فقلت: أعطني خبرك من النعل الى النعل. قال: دخلتُ فوُضعت بين يديَّ مائدة كأنها جزعة يمانية قد فُرشت في عراصها الخبز. فأكلت وسُقيت رطلين. ودُفع اليَّ طنبور فدخلتُ الى اسحق فوجدتهُ في الصدر جالساً وخلفهُ ستارة وعن يمينهِ مخارق وعن يسارهِ علوية فقال لي: أنت عمر الميداني. فقلت: نعم. فقال: أأكلت. فقلت: نعم. قال: ههنا او في منزلك. فقلت: بل ههنا. قال: أحسنت فغنِّ بصوتك الذي صنعتهُ في «يا شبيه الهلال كلل في الافق انجما» فغنيتهُ. فضرب الستارة وقال: قولوه انتم. فقالوه. فقال لمخارق وعلوية: كيف تسمعان. فقالا: هذا والله ذا وذا ذاك. فرددتهُ مرارًا وشرب عليهِ وقال لي: انا اليوم على خلوة ولك عليَّ

دعوات فانصرفْ اليومَ بسلام . فخرجت ودفع الى الغلام خمسة آلاف درهم . فهي هذه والله لا استأثرتُ عليكم منها بدرهم . فلم تزل عندهُ تقصف حتى تقدت

أبو العبَّاس بن ثوابة

قال علي بن الحسين الاصبهاني : حضرت أبا عبد الله الباقطاني وهو يتقلَّد ديوان المشرق وقد تقلَّد ابن أبي السلاسل ماسندان ومهرجان قذف وجاءهُ يأخذ كتبه . فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العمَّال . فقال ابن أبي السلاسل : كأنك استكثرتَ هذا العمل ايضاً . قد كنتَ تكتب لابي العباس ابن ثوابة ثم صرتَ صاحب ديوان . فقال لهُ الباقطاني : يا جاهل يا مجنون لولا انهُ قبيح عليَّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير ايدهُ الله في أمرك حتَّى أزيل يدك . ومَن لي ان أجد مثل أبي ثوابة في هذا الوقت فاكتب لهُ ولا اريد الرئاسة . ثم أقبل علينا يحدّثنا فقال : دخلت مع أبي العباس بن ثوابة الى المهتدي وكان سليمان بن وهب وزيره . وكان يدخل اليهِ الوزير واصحاب الدواوين والعمَّال والكتَّاب فيعملون بحضرتهِ فيوقّع اليهم في الاعمال . فأمر سليمانَ أن يكتب عنهُ عشرة كتب مختلفة الى جماعة من العمَّال . فأخذ سليمانُ بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال لهُ : أنت اليوم أحدُّ ذهناً مني فهلمَّ نتعاون . فدخلا بيتاً ودخلتُ معهما . وأخذ سليمانُ خمسة انصافٍ وأبو العباس خمسة أنصافٍ أُخَر . فكتبا الكتبَ التي أمر بها سليمانُ ما احتاج احدهما الى نسخة . وقد اكمل كل واحد منهما ما كتب بهِ صاحبـهُ فاستحسنهُ وقرّظهُ . ثم وضع سليمان الكتب بين

يدي المهتدي . فقال لهُ وقد قرأها : أَحسنت يا سليمانُ ونِعمَ الرجلُ أَنت لولا المعجَّل والمؤجل . وكان سليمان اذا ولّى عاملًا اخذ منـهُ مالًا معجّلًا وأجّل لهُ مالًا الى ان يتسلّم عمله . فقال لهُ : يا امير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقًا أو باطلًا . فان كان باطلًا فليس مثلك من يقولهُ . وان كان حقًا وقد علمتَ ان الاصول محفوظة فما يضرُّ مَن يساهمني من عمّالي على بعض ما يصل اليهم من برّ من غير تحيُّف للرعية ولا نقص للاموال . فقال : اذا كان هكذا فلا بأس . ثم قال لهُ : اكتب الى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده وباقي ما عليهِ من المصادرة . فقـال لهُ أبو العباس ابن ثوابة : كلُّنا يا امير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب في حبلك وساعٍ فيما ارضاك وايَّد ملكك . أفنمضي ما تأمرُ بهِ على ما خُيِّلَتَ أَم نقول بالحق . قال : بل قل الحق يا احمد . فقال : يا امير المؤمنين الملك يقين والمُصادرة شك . أفترى ان أزيل اليقين بالشك . قال : لا . قال : فقـد شهدت للرجل بالملك وصادرتهُ عن شكٍّ فيما بينك وبينهُ وهل خانك أم لا فتجعل المصادرة صلحًا فاذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقين بالشك . فقال لهُ : صدقت ولكن كيف الوصول الى المال . فقال لهُ : انت لا بدّ لك من عمّال على اعمالك وكلهم يرتّق ويرتفق فيجوز رفقه ورزقه الى منزلهِ . فاجعلهُ احد عمالك ليصرف هذين الوجهين الى ما عليـهِ ويسعفهُ معاملوه فيتخلص بنفسهِ وضيعتهِ ويعود اليك مالك . فأمر سليمانَ بن وهب بان يفعل ذلك . فلمّا خرجا عن حضرة المهتدي قال لهُ سليمان : عهدي بهذا الرجل عدوّك وكل واحد منكما يسعى على صاحبهِ فكيف زال ذلك حتى ثبَّتَّ عنهُ في هذا الوقت نيابة أحييتهُ بهـا وتخلصت نفسهُ ونعمته . فقال : انما كنت اعاديه واسعى عليهِ وهو يقدر على

الانتصاف مني. فاما وهو فقير اليَّ فلا. فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة. فقال له سليمان : جزاك الله خيرًا اما والله لاشكرنَّ هذه النية لك ولاعتقدنَّك من اجلها أخًا وصديقًا ولاجعلنَّ هذا الرجل لك عبدًا ما بقي. ثم قال البلقطاني : فمَن كان هذا وزنه وفعله يُعاب مَن يكتب له

مان الموسوس ومحمَّد بن عبد الله بن طاهر

قال ابن البراء حدَّثني أبي قال : عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصبوح وعندهُ الحسن بن محمد بن طالوت فقال : لقد خطر ببالي رجل ليس علينا في منادمتهِ ثقل. قد خلا من ابرام الجالسين. وبرئ من ثقل المؤانسين. خفيف الوطأة اذا ادنيته. سريع الوثبة اذا أمرتهُ. قال : مَن هو. قال : مان الموسوس. قال : ما اسأتَ الاختيار. ثم تقدَّم الى صاحب الشرطة بطلبهِ واحضاره. فما كان باسرع من ان قبض عليهِ صاحب ربع الكرخ فوافى بهِ باب محمد بن عبد الله. فأُدخل ونُظِّف وأُخذ من شعرهِ وأُلبس ثيابًا نظافًا وأُدخل على محمد بن عبد الله. فلما مثل بين يديه سلَّم فردَّ عليهِ وقال له : أَما حان لك ان تزورنا مع شوقنا اليك. فقال له مان : اعزَّ الله الاميرَ الشوقُ شديدٌ. والودّ عتيد. والحجاب صعب والبواب فظّ. ولو تسهَّل لنا الاذنُ تسهلت علينا الزيارة. فقال له محمد : لقد لطفت في الاستئذان. وأمرهُ بالجلوس فجلس. وقد كان أُطعم قبل أن يدخل فأُتي محمد بن عبد الله بجارية لاحدى بنات المهديّ يقال لها منوس وكان يحبّ السماع وكانت تكثر ان تكون عنده. فكان اوَّل ما غنتهُ :

ولست بناسٍ اذ غدوا فتحمَّلوا   دموعي على الخدّين من شدَّة الوجدِ
وقولي وقد زالت بعيني حمولهم   بواكر تحدى لا يكنْ آخر العهدِ

فقال مان : أيأذن لي الامير. قال : فباذا. قال : في استحسان ما اسمع. قال : نعم. قال : أحسنتِ والله. فان رأيتِ أن تزيدي مع الشعر هذين البيتين :

وقمت افاجي الدمع والقلب حائرٌ   بمقلة موقوفٍ على الضرّ والجهدِ
ولم يعدني هذا الامير بعدلهِ   على ظالمٍ قد لجَّ في الهجر والصدّ

فقال لهُ محمد : ومن اي شيء استعديتَ يا مان. فاستحيا وقال : لا من ظلمٍ ايها الامير ولكن الطربُ حرَّك شوقًا كان كامنًا فظهر. فقال ابن طالوت : قد وجب شكرك يا مان. فساعدك دهرك. وعطف عليك إلفك. ونلت سرورك. وفارقت محذورك. والله يديم لنا ولك بقاء مَن ببقائهِ اجتمع شملنا وطاب يومنا. فقال مان :

مدمن التخفيف موصول   ومطيل اللبث مملول

فانا استودعكم الله. ثم قام فانصرف. فأمر لهُ محمد بن عبد الله بصلة. ثم كان كثيرًا ما يبعث بطلبهِ اذا شرب فيبرُّهُ ويصله ويقيم عنده

مان الموسوس والمؤذّن

حدّثَ أبو العبَّاس بن عمَّار قال : كان مان يألفني وكان مليح الانشاد حلوه رقيق الشعر غزله. فكان ينشدني الشي. ثم يخالط فيقطعهُ. وكان يومًا جالسًا الى جنبي فأنشدني للعريان البصري :

ما أنصفتك العيون لم تكِف   وقد رأيت الحبيب لم يقفِ

فابكِ ديارًا هلّ لحبيب بهــا   يُباع منهــا الجفاء باللطفِ

(قال) فسألتهُ ان عليها عليَّ ففعل . (قال) فبينما هو ينشد اذ نظر الى امام المسجد الذي كنّا بازائهِ قد صعد المأذنة ليؤذّن . فأمسك عن الانشاد ونظر اليهِ وكان شيخــاً ضعيف الجسم والصوت فأذّن اذانًا ضعيفًا بصوت مرتعش . فصعد اليهِ مان مسرعًا حتّى صار معــهُ في رأس الصومعة . ثم اخذ بلحيتهِ فصفعهُ في صلعتهِ صفعة ظننت انهُ قد قلع رأسهُ وجاء لها صوت منكر شديد . ثم قــال لهُ : اذا صعدتَ المنارة لتؤذّن فمطمطْ ولا تمطمطْ . ثم نزل ومضى يعدو على وجههِ . ولقيت عَنَتًا من عنت الشيخ وشكواه اياي الى أبي ومشايخ الجيران يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين فيكتب هذيانهم ويسلطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع اذا أذّنوا . حتّى صرتُ الى منزلهِ فاعتذرت وحلفت اني اثنا اكتبُ شيئًا من شعرهِ وما عرفت ما عملهُ ولا احيط بهِ علماً

ابن ابي معقِل ومُصعَب

قال ابن القداح : كان ابن أبي معقل كثير الاسفار في طلب الرزق . فلامتهُ امرأتهُ أمّ نهيك وهي ابنة عمــه على ذلك وقد قدم من مصر . فلم يلبث ان قال لها : جهزيني الى الكوفة الى المغيرة بن شعبة فانهُ صديقي وقد وليها . فجهزتهُ ثم قالت : لن تزال في اسفارك هذه حتّى تموت . فقال لها : أو أثري . ثم انشأ يقول :

أامّ نهيك ارفعي الطرف صاعدًا   ولا تيأسي ان يُثري الدهرَ بائسُ

ثم قدم المدينة فلم يزل مقيمًا بها حتّى ولي مصعب بن الزبير العراق . فوفد

اليهِ ابن أَبي معقل ولقيه . فدخل اليهِ يوماً وهو يندب الناس الى غزوة زرنج ويقول : مَن لها . فوثب عبد الله بن أَبي معقل وقال : انا لها . فقـال لهُ : اجلس . ثم ندب الناس . فانتدب لها مرَّةً ثانية . فقال لهُ مصعب : اجلس . ثم ندبهم ثالثة . فقال لهُ عبد الله : انا لها . فقال لهُ : اجلس . فقال لهُ : ادنني اليك حتَّى اكلمك . فأدناه فقال : قد علمتُ انهُ ما يمنعك منّي الَّا انك تعرفني ولو انتدب اليها رجلٌ ممن لا تعرفه لبعثته . فلعلك تحسدني ان اصبتُ خيرًا او أستشهد فاستريح من الدنيا وطلبها . فأعجبهُ قوله وجزالته فولَّاهُ . فأصاب في وجهِ ذلك مالًا كثيرًا . وانصرف الى المدينة فقال لزوجتـهِ : أَلم اخبرك في شعري :

سيغنيكِ سيري في البلاد ومطلبي   وبعلُ التي لم تحظَ في الحيّ جالسُ

فقالت : بلى والله لقد أخبرتني وصدق خبرك

بارك الله فيك وبارك الله عليك

حدث عمر بن شبة عن اسحق قال : كان بعض اهل نهيك قد تعاطى الغناء . فلما ظن انهُ قد أحكمهُ شاورني وأَبي حاضر . فقلت لهُ : ان قبلتَ مني فلا تغني فلستَ فيهِ كما أرضى . فصاح أَبي عليٌّ صيحة شديدة ثم قال لي : وما يدريك ياصبيّ . ثم أَقبل على الرجل فقال : أنت ياحبيبي بضدّ ما قـال وان لزمتَ الصناعة برعتَ فيها . فلما خلا بي قال لي : يا أَحمق ما عليك ان يخزي الله مائة الف مثل هذا . هولاء اغنياء ملوك وهم يعيرونا بالغناء فدعهم يتهتَّكوا بهِ ويُعيّروا ويفتضحوا ويحتاجوا الينا فننتفع بهم ويبـين فضلنا لدى الناس

بأمثالهم . (قال) ولزمهُ النهكي يأخذ عنــهُ ويبرهُ فيجزل . فكان لذا غنى فاحسنَ قال لهُ : بارك الله فيك . واذا أساء قال : بارك الله عليك . وكثر ذلك منهُ حتى عرف النهكي معناه فيهِ . فغنّى يوماً وأبي ساهٍ عنهُ فسكت ولم يقل لهُ شيئاً . فقال لهُ : جُعلت فداك يا أُستاذي أهذا الصوت من اصوات فيك أم عليك . فضحك أبي ولم يكنْ علم أبي انهُ قد فطن لقوله . ثم قال لهُ : والله لاقبلنَّ عليك حتى تصير كما تشتهي فانك ظريف أديب . وعني بهِ حتى حسُن غناؤه وتقدم . وفيه يقول أبي :

أوجب الله لك الحقّ م على مثلي بظرفكْ
لن تراني بعــد هذا ناطقــاً الّا بوصفكْ
وترى القوّة فيمــا تشتهيهِ بعد ضعفكْ

حيلة ابي احمد بن الرشيد مع اسحق

حدّث ينشو مولى أبي احمد بن الرشيد قال : اشتراني مولاي ابو أحمد ابن الرشيد واشترى رفيقي محموماً فدفعنا الى وكيل لهُ أعجميّ خراسانيّ وقال لهُ : انحدر بهذين الغلامين الى بغداد الى اسحق الموصلي . ودفع اليــهِ مائة الف درهم وشهريّاً بسرجهِ ولجامه وثلاثة ادراج من فضة مملوءة طيباً وسبعة تخوت من بزّ خراساني وعشرة أسفاط من بزّ مصر وخمسة تخوت وشي كوفي وخمسة تخوت خزّ سوسي وثلاثين الف درهم للنفقة وقال للرسول : عرّف اسحق ان هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان وجّه بهمــا اليهِ ليتفضّل ويعلّمهما اصواتاً اختارها وكتبها لهُ في درج . وقال لهُ : كلّمــا

علّمهما صوتاً ادفعْ اليهِ الف درهم حتى يتعلما بها مائة صوت . فاذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع اليهِ الشهري . ثم اذا علمهمـا الثلاثة التي بعد الصوتين فادفع اليهِ بكل صوت درجاً من الادراج . ثم لكل صوت بعد ذلك تختاً او سفطاً حتى ينفد ما بعثتُ بهِ معك . ففعل وانحدرنا الى بغداد فأتينا اسحق وغنينا بحضرتهِ وبلّغهُ الوكيل الرسالة . فلم يزل يلقي علينا الاصوات حتى اخذناها كما امرنا سيّدنا . ثم سرنا الى سرّ من رأى فدخلنا اليهِ وغنينـاه جميع ما أخذناه فسرّهُ ذلك . وقدم اسحق سرّ من رأى واقيه مولانا فدعا بنا وأوصانا بما اراد وغدا بنا الى الواثق وقال : انكما ستريان اسحق بين يديـه فلا تسلّما عليهِ ولا توهماه انكما رأيتماه قط . وألبسنا اقبية خراسانيّة ومضينا معهُ . فلما دخلنا على الواثق قال لهُ : ياسيدي هذان غلامان اشتُريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية . فقال : غنّيا . فضربنـا ضرباً فارسياً وغنينا غناء فهلذيا . فطرب الواثق وقال : أحسنتما فهل تغنيـان بالعربية . قلنـا : نعم واندفعنا نغني ما أخذناه عن اسحق وهو ينظر الينا ونحن نتغـافل عنهُ حتى غنينا اصواتاً من غنـائهِ . فقام اسحق ثم قال للواثق : وحياتك ياسيدي وبيعتك والّا كلُّ ملك لي صدقة وكل مملوك لي حرّ ان لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومن قصتهما كيت وكيت . فقال لهُ ابو أحمد : ما أدري ما تقول هذان اشتريتهما من رجل نخاس خراساني . فقال لهُ : بلغ ولعلك الى هذا . ونخاس خراساني من أين يحسن يختار مثل تلك الاغاني . فضحك ابو أحمد ثم قال : صدق أنِ احتلتُ عليهِ ولو رمت ان يعلمهما ما أخذاه منهُ اذا علم انهما لي بعشرة اضعاف ما اعطيتهُ لما فعل . فقال لهُ اسحق : قد تمّت عليّ حيلتهُ . وقال أبو احمد للواثق : ان أردتهما فخذهما . فقال : لا الجمك

بهما ياعمّ ولكن لاتمنعني حضورهما . فقال لهُ : قد بذلت لك الملك فلا تؤثرهُ أفتراني امنعك الخدمة . فكنا نخدمهُ بنوبة

الربعي وجعفر بن سليمان امير المدينة

حدَّث الربعي المغني قال : قال لنا جعفر بن سليمان وهو امير المدينة : اغدوا على قصري بالعقيق غدا . وكنت انا ودحمان وعطرد . فغدوت للموعد فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينـــة فاذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخانها واذا السماء تبغش . فأذكرتهما الموعد فقالا : أما ترى يومنا هذا مـا اطيبهُ اجلس حتى نأكل من هذا القدر ونصيب شيئًا ونستمتع من هذا اليوم فقال : ما كنت لافعل مع ما تقدم الامير بهِ اليَّ . فقالا لي : كأنَّا بالامير قـد انحل عزمهُ وأخذك المطر الى ان تبلغ ثم ترجع الينا مبتلًا فتقرع الباب وتعود الى ما سألناك حينئذٍ . (قال) فلم التفت الى قولها ومضيت . واذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب والقدور تنصب فلمَّا كنت بحيث يسمع تغنيت :

وأستصحب الاصحاب حتى اذا دنوا ومَلُّوا من الادلاج جئتكمُ وحدي

قال : وما ذاك . وأخبرتهُ . فقال : يا غلام هات اربعمائة دينار فانثرها في حجر الربعي . اذهب الآن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما اياها . فقلت : وما في يدي من ذلك . ياتيانك غدا فتلحقهما بي . قال : ما كنت لأفعل . قلت : فلا امضي حتى تحلف لي انك لا تفعل . فحلف . فمضيت اليهما فقرعت الباب . فصاحا وقالا : ألم نقل لك ان هذه تكون حالك . فقلت : كلا . فاريتهما الدنانير فقالا :

ان الاميرلجيٌّ كريم ونأتيه غدا فنعتذر اليهِ فيدعوه كرمه الى ان يلحقنا بك ٠ فقلت: كذبتكما انفسكما والله اني قد احكمت الامر ووكدت عليهِ الايمان ان لا يفعل ٠ فقالا: لا وصلتك رحم

الفرزدق والانصاري

أخبرَ أبو عبيدة قال : قدم الفرزدق المدينـة في امارة إبان بن عثمان ٠ فأتى الفرزدق وكُثَيِّر عزَّة ٠ فبينا هما يتناشدان الاشعار اذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الادمة في ثوبين ممصرين (١) فقصد نحونا فلم يسلم وقال : أيكم الفرزدق ٠ فقلت مخافة ان يكون من قريش : أهكذا تقول لسيّد العرب وشاعرها ٠ فقال : لوكان كذلك لم أقل هذا ٠ فقال لهُ الفرزدق : من انت لا امّ لك ٠ قال : رجل من الانصار ثم من بني النجار ثم انا ابن أبي بكر بن حزم ٠ بلغني انك تزعم انك اشعر العرب وتزعمهُ مضر ٠ وقد قال شاعرنا حسّان ابن ثابت شعرًا فأردت ان اعرضهُ عليك وأؤجلك سنة ٠ فان قلت مثلهُ فانت اشعر العرب كما قيل ٠ والّا فأنت منتحل كذّاب ٠ ثم انشدهُ : « ألم تسأل الربع الجديد التكلُّما » حتّى بلغ الى قولهِ :

وأبقى لنا مرّ الحروب ورزؤُهـا ... سيوفًا وادراعًا وجمـا عرمرما
متى ما تردنا من معـدٍ عصابةٌ ... وغسانَ نمنعْ حوضنـا أن يُهدَّما
لنا حاضر نعم وبادٍ كأنهُ ... شماريخ رضوى عزة وتكرما
بكل فتىً عاري الاشاجع لاحهُ ... قراع الكماة يرشح المسك والدمـا

---

(١) أي مصبوغين بصفرة غير شديدة

ولدنا بني العنقاء وابنَي محرّقٍ فأكرم بنا خالاً واكرم بذا ابنما
نسود ذا المال القليل اذا بدا مروءتهُ منا وان كان معدما
وانّا لنقري الضيف ان جاء طارقاً من الشحم ما امسى صحيحاً مسلّما
لنا الجفنات الغرّ يلمعنَ بالضحى وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دما

فأنشدهُ القصيدة وهي نيف وثلاثون بيتاً. وقال لهُ: قد اجلتك في جوابها حولاً. فانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه وما يدري انهُ طرفهُ حتى خرج من المسجد. فأقبل على كثير فقال لهُ: قاتل الله الانصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجتهم وأجود شعرهم. فلم نزل في حديث الانصار والفرزدق بقية يومنا حتى اذا كان من الغد خرجت من منزلي الى المسجد الذي كنت فيهِ بالامس فأتى كثير فجلس معي. وانّا لنتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعري ما صنع. اذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرتيهِ حتى جلس في مجلسهِ بالامس. ثم قال: ما فعل الانصاري. فنلنا منهُ وشتمناه. فقال: قاتلهُ الله ما منيت بمثلهِ ولا سمعت بمثل شعرهِ فارقتهُ واتيت منزلي فأقبلت اصعد واصوت في كل فنٍ من الشعر فكأني مفحم لم أقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي وأخذت بزمامها حتى اتيت ريانا (وهو جبل بالمدينة). ثم ناديت باعلى صوتي: أخاكم أخاكم (يعني شيطانهُ). فجاش صدري كما يجيش المرجل. فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً. فبينا هو ينشد اذ طلع الانصاري حتى اذا انتهى الينا سلم علينا ثم قال: اني لم آتك لاعجلك على الاجل الذي وقتهُ لك ولكني أحببت ان لا اراك الّا سألتك عمّا صنعت. فقال: اجلس وانشدهُ قوله:

عزفت باعشاش وما كنت تعزفُ وانكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

ولجَّ بك الهجران حتى كأنما ترى الموت في البيت الذي كنت تألفُ

حتى بلغ الى قولهِ:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا

وانشدها الفرزدق حتى بلغ الى آخرها. فقام الانصاري كئيباً. فلمَّا تواري طلع أبوهُ أبو بكر بن حزم في مشيخة من الانصار فسلَّموا عليهِ وقالوا: يا أبا فراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلعم. وقد بلغنا ان سفيهاً من سفهائنا ربما تعرَّض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلعم ووهبتنا لهُ ولم تفضحنا. قال محمد بن ابراهيم: فاقبلت عليهِ اكلمهُ فلمَّا اكثرنا عليهِ قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي

ابن سريج وعديّ بن الرِقَاع

ان الاحوص وابن سريج قدما المدينة فنزلا في بعض الخانات ليصلحا من شأنهما. وقد قدم عدي بن الرقاع وكانت هذه حالهُ فنزل عليهما. فلمَّا كان في بعض الليل أفاضوا في الاحاديث. فقال عدي بن الرقاع لابن سريج: والله لخروجنا كان الى امير المؤمنين أجدى علينا من المقام معك يا مولى بني نوفل. قال: وكيف ذلك. قال: لانك توشك ان تلهينا فتشغلنا عمَّا قصدنا لهُ. فقال لهُ ابن سريج: او قلة شكر ايضاً. فغضب عدي وقال: انك لتمنّ علينا ان نزلنا عليك. واني اعاهد الله ان لا يظلّني واياك سقف الَّا ان يكون بحضرة امير المؤمنين وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديتهِ فأذن لهما فدخلا. وبلغهُ خبر ابن الرقاع وما جرى بينهُ وبين ابن سريج. فأمر بابن سريج

فأُدخل في بيت . ودعا بعديّ فأدخلهُ . فأنشده قصيدة امتدحهُ بهـا . فلمّا فرغ أومأ الى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنّى في شعـر عدي بن الرقاع يمدح الوليد :

عرف الديار توهمـاً فاعتادها من بعد ما شمل البلى ابلادها

فطرب عدي وقـال : لا والله ما سمعت يا امير المؤمنين بمثل هذا قط ولا ظننت ان يكون مثله طيبـاً وحسناً ولولا انهُ في مجلس امير المؤمنين لقلت طائف من الجنّ . أيأذن لي امير المؤمنين ان اقول . قال : قل . قال : مثل هذا عند امير المؤمنين وهو يبعث الى ابن سريج يتخطى بهِ قبائل العرب فيُقال : ابن سريج المغني مولى بني نوفل بعث امير المؤمنين اليهِ . فضحك ثم قال للخادم : اخرجهُ . فخرج . فلما رآه عدي اطرق خجـلاً ثم قال : المعذرة الى الله واليك يا اخي فمـا ظننت انك بهذه المنزلة وانك لحقيقٌ أن تحتمل عليَّ كل هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سوّى بينهم فيهِ ونادمهم يومئذٍ الى الليل

الأعشى والمحلَّق

ذكر عليّ بن محمد النوفليّ ان اباهُ حدّثهُ عن بعض الكلابيّين من اهل البادية قال : كان لأبي المحلَّق شرف . فمات وقد اتلف مالهُ وبقي المحلق وثلاث اخوات لهُ ولم يترك لهم الَّا ناقة واحدة وحلّتي برود جيدة كان يسدّ بها الحقوق . فأقبل الاعشى من بعض اسفاره يريد منزله باليامة . فنزل المـاء الذي بهِ المحلق فقراه اهل الماء فأحسنوا قراه . فأقبلت عمـة المحلق فقالت : يا ابن أخي هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه اهل الماء والعرب تزعم انهُ لم يمدح قوماً

ألّا رفعهم ولم يهجُ قوماً الّا وضعهم فانظرْ ما اقول لك واحتلْ في زقّ من خمر من عند بعض التجار فارسل اليهِ بهذه الناقة والزقّ وبردَتي أبيك. فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفهِ ونظر الى عطفيه في البردتين ليقولنّ فيك شعرًا يرفعك بهِ. قال: ما املك غير هذه الناقة وانا اتوقّع رسلها. فأقبل يدخل ويخرج ويهمّ ولا يفعل. فكلما دخل على عمتهِ حضّتهُ. حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجل ومضى. قالت: الآن والله أحسن ما كان القرى تُتبعهُ ذلك مع غلام أبيك (مولى لهُ اسود شيخ). فحيثما لحقهُ أخبره عنك انك كنتَ غائبًا عن الماء عند نزوله اياه وانت لما وردت الماء فعلمت انهُ كان بهِ كرهت ان يفوتك قراه. فانّ هذا أحسن لموقعهِ عنده. فلم تزل تحضّهُ حتى أتى بعض التجّار فكلمهُ ان يقرضهُ ثمن زق خمر وأتاهُ بمن يضمن ذلك عنهُ. فأعطاه. فوجّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيهِ. فخرج يتبعهُ. فكلما مرّ بماء قيل: ارتحلَ امس عنهُ. حتى صار الى منزل الاعشى بمفتوحة اليمامة فوجد عندهُ عدّة من الفتيان قد غدّاهم بغير لحم وصبّ لهم فضيخاً. فهم يشربون منهُ اذ قرع الباب. فقال: انظروا مَن هذا. فخرجوا فاذا رسول المحلق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليهِ وقالوا: هذا رسول المحلق الكلابي اتاك بكيت وكيت. فقال: ويحكم أعرابيّ والذي أرسل اليَّ لا قدر لهُ. والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لاقولنّ فيهِ شعرًا لم أقل قط مثله. فواثبهُ الفتيان وقالوا: غبتَ عنّا فأطلتَ الغيبة ثم اتيناك فلم تطعمنا لحماً وسقيتنا الفضيخ. واللحم والخمر ببابك. لا نرضى بذا منك. فقال: ائذنوا لهُ. فدخل فأدّى الرسالة وقد اناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه. قال: اقرهِ السلام وقل لهُ: وصلتك رحم سيأتيك ثناؤنا. وقام الفتيان الى الجزور

فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما . فأقبلوا يشوون وصبُّوا الخمر فشربوا . وأكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر الى عطفيه فيهما فانشأ يقول :

« أرقت وما هذا السهاد المؤرِّق » حتى انتهى الى قولهِ :

أبا مسمع سار الذي قد فعلتم فأنجد اقوام بهِ ثم أعرقوا
بهِ تعقد الاجمال في كل منزل وتعقد اطراف الحبال وتطلقُ

قال فسار الشعر وشاع في العرب . فما اتت على المحلق سنة حتى زوَّج اخواتهِ الثلاث كل واحدة على مائة ناقة . فأيسر وشرف

مخارق يكيد اسحق عند الواثق

كان الواثق اذا أراد ان يعرض صنعتهُ على اسحق نسبها الى غيرهِ وقال : وقع الينا صوت قديم من بعض الحجاز ما سمعهُ أحدٌ . ويامر مَن يغنّيه اياه . وكان اسحق يأخذ نفسهُ في ذلك بقول الحق أشدّ اخذ . فان كان جيدًا من صناعتهِ قرّظهُ ووصفه واستحسنهُ . وان كان مطرحًا او فاسدًا او متوسطًا ذكر ما فيهِ . فربما كان للواثق فيهِ هوًى فيسألهُ عن تقويهِ واصلاح فساده . وربما اطّرحهُ بقول اسحق فيهِ . الى ان صنع لحنًا في قول الشاعر :

لقد بخلت حتى لو أنّي سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنّتِ

فأعجب بهِ واستحسنهُ وأمر المغنين فغنوا بهِ وأمر باشخاص اسحق اليهِ من بغداد ليسمعهُ . فكاده مخارق عندهُ وقال : يا امير المؤمنين ان اسحق شيطان خبيث داهية وان قولك لهُ فيما تصنعهُ : هذا صوت وقع الينا لايخفى عليهِ بهِ انَّ

الصوت لك ومن صنعتك ولا تُوقع في فهمهِ انهُ قديم . فيقول لك وبحضرتك ما يقارب هواك . فاذا خرج عن حضرتك قال لنا ضد ذلك . فاحفظ الواثق قولهُ وغاظهُ وقال لهُ : اريد على هذا القول منك دليلًا . قال : انا أُقيم عليهِ الدليل اذا حضر . فلما قدم بهِ وجلس في اوَّل مجلس اندفع مخارق يغني لحن الواثق « لقد بخلت حتى لو انّي سألتها » فزاد فيهِ زوائد أفسدت قسمتهُ فسادًا شديدًا وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مخارق في غنائهِ . فسألهُ الواثق عنهُ . فقال : هذا غناء فاسد غير مرضيّ عندي . فغضب الواثق وأمر باسحق فسُحب حتى أُخرج من المجلس . فلما كان من غد قالت فريدة للواثق : يا امير المؤمنين ان اسحق رجل يأخذ نفسهُ بقول الحق في صناعتهِ على كل حال ساءتهُ أو سرَّتهُ لا يخاف في ذلك ضررًا ولا يرجو نفعًا وما لك منهُ عوض . وقد كاده مخارق عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تُعرف وتركه في المصراع الثاني على حالهِ . ونقَّص من البيت الثاني . وقد تبيَّنتُ ذلك وانا اعرضهُ على اسحق واغنّيه ايَّاه على صحتهِ واسمع ما يقول . وما زالت تلطف للواثق حتى رضي عنهُ وأمر باحضارهِ . فغنتهُ اياه فريدة كما صنعهُ الواثق . فلما سمعهُ قال : هذا صوت صحيح الصنعة والقسمة والتجزئة وما هكذا سمعتهُ في المرَّة الاولى . ثم أخبر الواثق عن مواضع فساده وأبان ذلك لهُ بما فهمهُ . وغنتهُ فريدة عدَّة اصوات من القديم والحديث كلّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض . فاستحسن الواثق ذلك وأجازه يومئذٍ وحباه وجفا مخارقًا مدَّة لما فعله بهِ

صعصعة مُحيي المَوؤُودات

قال صعصعة : خرجتُ باغيًا ناقتين لي فارقتين (١) فرفعتْ لي نار فسرتُ نحوها وهممت بالنزول فجعلتِ النار تضيء مرّة وتخبو اخرى . فلم تزل تفعل ذلك حتى قلتُ : اللهمَّ لك عليَّ ان بلّغتني هذه النار أن لا اجد اهلها يوقدون لكربة يقدر احد من الناس ان يفرّجها الّا فرّجتها عنهم . (قال) فلم أسر الّا قليلًا حتى انتهينا . فاذا حيٌّ من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو ابن تميم . واذا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدّم بيتهِ والنساء قد اجتمعنَ الى امرأة ماخض قد حبستهنَّ ثلاث ليالٍ . فسلّمت . فقال الشيخ : مَن أنت . فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال . قال : مرحبًا بسيّدنا . ففيمَ انت يا ابن اخي . فقلت : في بغاء ناقتين لي فارقتين عمي عليَّ اثرهما . فقال : قد وجدتهما بعد أن احيا الله بهما اهل بيت من قومك رقد نتجناهما وعطفت احداهما على الاخرى وهما تانِك في أدنى الابل . (قال) قلت : ففيمَ توقد نارك منذ الليلة . قال : اوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليالٍ . وتكلمت النساء فقلنَ : قد جاء الولد . فقال الشيخ : ان كان غلامًا فوالله ما ادري ما اصنع بهِ . وان كانت جارية فلا اسمعنَّ صوتها الّي اقتلها . فقلت : يا هذا ذَرْها فانّها ابنتك ورزقها على الله . فقال : اقتلها . فقلت : أنشدك الله . فقال : اني اراك بها حفيًّا فاشترِها مني . فقلت : اني اشتريها منك . فقال : ما تعطيني . قلت : أُعطيك احدى ناقتيَّ . قال : لا . قلت : فأزيدك الاخرى . فنظر الى جملي الذي تحتي فقال : لا الّا ان تزيدني جملك هذا فاني اراه حسن اللون شابّ السنّ . فقلت :

---

(١) الفارق التي تفرق اذا ضربها المخاض تشذُّ على وجهها حتى تنتج

هو لك والناقتان على ان تبلّغني اهلي عليهِ. قال: قد فعلت. فابتعتُها منهُ بلقوحَين وجمل وأخذت عليهِ عهد الله وميثاقهُ ليحسننَّ برّها وصِلتها ما عاشت حتى تبِين منهُ أو يُدركها الموت. فلما برزت من عنده حدَّثتني نفسي وقلت: انَّ هذه لمكرُمة ما سبقني اليها احد من العرب. فآليت ان لا يئد أحد بنتًا لهُ الّا اشتريتها منهُ بلقوحين وجمل. فجاء الاسلام وقد فديتُ ثلثمائة موؤدة

أشعب والبخيل

حدَّث أشعب قال: وَلِيَ المدينة رجلٌ من ولد عامر بن لؤيّ وكان أبخل الناس وانكدهم. وأغراه الله بي يطلبني في ليلهِ ونهاره. فان هربت منهُ هجم على منزلي بالشُرط وان كنت في موضعٍ بعث الى مَن اكون معهُ أو عنده يطلبني منهُ فيطالبني بأن احدثهُ وأضحكهُ. ثم لا اسكت ولا ينام ولا يطعمني ولا يعطيني شيئًا. فلقيت منهُ جهدًا عظيمًا وبلاء شديدًا. وحضر الحجّ فقال لي: يا أشعب كن معي. فقلت: بأَبي انت وامي انا عليل وليست لي نيَّة في الحجّ. فقال: عليهِ وعليهِ. وقال: انّ الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لاودعنَّك الحبس حتى اقدم. فخرجت معهُ مكرَهًا. فلمَّا نزلنا المنزل أظهر انهُ صائم ونام حتى تشاغلتُ. ثم أكل ما في سفرتهِ وأمر غلامهُ أن يطعمني رغيفين بملحٍ. فجئت وعندي انهُ صائمٍ ولم ازل انتظر المغرب أتوقَّع إفطاره. فلمَّا صلَّيت المغرب قلت لغلامهِ: ما ينتظر بالاكل. قال: قد اكل منذ زمان. قلت: أو لم يكن صائمًا. قال: لا. قلت: أفأطوي انا. قال: قد أعدّ لك ما تاكلهُ فكلْ. وأخرج اليَّ الرغيفين والملح. فاكلتهما وبتُّ ميتًا جوعًا. وأصبحت

فسرنا حتى نزلنا المنزل فقال لغلامه. ابتع لنا لحماً بدرهم. فابتاعهُ. فقال: كبّب لي قطعاً. ففعل فاكلهُ ونصب القدر. فلما اغبرّت قال: اغرف لي منها قطعاً ففعل فاكلها ثم قال: اطرح فيها دُقَّــة واطعمني منها. ففعل. ثم قال: ألقِ توابلها واطعمني منها. ففعل وانا جالس انظر اليــهِ لا يدعوني. فلمّا استوفى اللحم كلّه قال: يا غلام اطعم أشعب. ورمى اليَّ برغيفين. فجئت الى القدر واذا ليس فيها الّا مرق وعظام. فاكلت الرغيفين. واخرج لهُ جرابًا فيهِ فاكهة يابسة فأخذ منها حفنة فأكلها وبقي في كفهِ كف لوز بقشره ولم يكن لهُ فيهِ حيلة. فرمى بهِ اليَّ وقال: كل هذا يا اشعب. فذهبت اكسر واحدة منها فاذا بضرسي قد انكسرت منهُ قطعة فسقطت بين يديَّ. وتباعدتُ اطلب حجرًا اكسرهُ بهِ فوجدتهُ فضربت بهِ لوزة فطفرت يعلم الله مقدار رميــة حجر. وغدوت في طلبها. فبينما انا في ذلك اذ أقبل بنو صعب (يعني ابن ثابت واخوتهُ) يلبون بتلك الحلوق الجمهورية. فصحت بهم: الغوث الغوث العياذ بالله وبكم يا آل الزبير الحقوني ادركوني. فركضوا اليَّ. فلمّا رأوني قالوا: أشعب ما لك ويلك. قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت. فحملوني معهم. فجعلت ارفرف بيديَّ كما يفعل الفرخ اذا طلب الزقّ من أبويه. فقالوا: ما لك ويلك. قلت: ليس هذا وقت الحديث زقوني مما معكم فقد متُّ ضرًّا وجوعاً منذ ثلاث. (قال) فأطعموني حتى تراجعت نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: اخبرنا بقصتك. فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة. فجعلوا يضحكون ويصفقون وقالوا: ويلك من أين وقعت على هذا. هذا من أبخــل خلق الله وادنسهم نفساً. فحلفت بالطلاق اني لا ادخل المدينة ما دام لهُ بهــا سلطان. فلم ادخلها حتى عُزل

العديل والعبد دابغ

كان للعديل ثمانية اخوة . وامهم جميعاً امرأة من بني شيبان . منهم (وكان شاعراً فارساً) اسود وسوادة وشملة . وكان للعديل واخوته ابن عمّ يسمى عمراً . فتزوج بنت عمّ لهم بغير أمرهم . فغضبوا ورصدوه ليضربوه . وخرج عمرو ومعهُ عبد لهُ يسمى دابغاً . فوثب العديل واخوته فأخذوا سيوفهم . فقالت امهم : اني أعوذ بالله من شرّكم . فقال لها ابنها الاسود : واي شيء تخافين علينا فوالله لو حملنا باسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى لقوا عمرًا . فلما رآهم ذُعر منهم وناشدهم فأبوا . فحمل عليهِ سوادة فضرب عمرًا ضربة بالسيف وضربهُ عمرو فقطع رجله . فقال سوادة :

ألا من يشتري رجلًا برجلٍ تأبّى للقيام فلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : اضرب وانت حرّ . فحمل دابغ فقتل منهم رجلًا . وحمل عمرو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم أربعةً وضرب العديل على راسهِ . ثم تفرّقوا وهرب دابغ حتى أتى الشام . فداوى ربضة بن النعمان الشيبانيّ للعديل ضربته ومكث مدّة . ثم خرج العديل بعد ذلك حاجًّا . فقيل لهُ : انّ دابغًا قد جاء حاجًّا وهو يرتحل فيأخذ طريق الشام وقد اكترى . فجعل العديل عليهِ الرصد . حتى اذا خرج دابغ ركب العديل راحلته وهو متلثّم وانطلق يتبعهُ حتى لقيهُ خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول :

يا دار سلمى اقفرت من ذي قار وهل باقفار الديار من عارِ
وقد كسينَ عرقًا مثل القار يخرجنَ من تحت خلال الاوبارِ

فحقهُ العديل فحبس عليهِ بعيره وهو لا يعرفهُ ويسير رويدًا ودابغ يمشي

رويدًا وتقدّمت ابله فذهبت وانما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين . ثم قال العديل : والله لقد استرخى حقب رحلي . أنزلُ فاغيّر الرحل وتعينني . فنزل فغيّر الرحل وجعل دابغ يعينهُ حتى اذا شدّ الرحل أخرج العديل السيف فضربهُ حتى برد . ثم ركب راحلته فنجا وأنشأ يقول :

ألم ترني جللت بالسيف دابغًا — وان كان ثأرًا لم يصبهُ غليلي
بوادي حنين ليلة البدر رعتهُ — بأبيض من ماء الحديد صقيلِ
وقلت لهم هذا الطريق امامكم — ولم آل اذ صاروا لهم بدليلِ

العديل والحجّاج

قال أبو عمرو الشيباني : لمّا لجّ الحجّاج في طلب العديل لفظتهُ الارض ونبا بهِ كلّ مُكان هرب اليهِ . فاتى بكر بن وائل وهم يومئذٍ بادرن جمعٌ منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر . فشكا اليهم أمره وقال لهم : انا مقتول أفتسلمونني هكذا وانتم اعزّ العرب . قالوا : لا والله ولكن الحجّاج لا يراغم ونحن نستوهبك منهُ فان أجابنا فقد كفيت وان حادنا في امرك منعناك وسألنا أمير المؤمنين ان يهبك لنا . فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل الى الحجّاج فقالوا لهُ : ايها الامير انا قد جنينا جميعًا عليك جناية لا يُغفر مثلها وها نحن قد استسلمنا وألقينا بايدينا اليك فأمّا وهبت فأهل ذلك انت وأمّا عاقبت فكنت المسلّط المالك العادل . فتبسّم وقال : قد عفوت عن كل جرم الّا جرم الفاسق العديل . فقاموا على ارجلهم فقالوا : مثلك ايها الامير لا يستثني على اهل طاعتهِ وأوليائه في شيء . فان رأيت ان لا تكدّر منّتك باستثناء

وأن تهب لنا العديل في أوّل من تهب. قال: قد فعلت فهاتوه فتحّهُ الله . فأتوه بهِ. فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

خليل أمير المؤمنين وسيفه ... لكل امامٍ صاحبٌ وخليلُ
بهِ نصر الله الخليفة منهمُ ... وثبّت ملكاً كاد عنهُ يزولُ
فانت كسيف الله في الارض خالد ... تصول بعون الله حين تصولُ
وجازيت اصحاب البلاء بلاءهم ... فما منهمُ عمّا تحبُّ نُكولُ
وصلت بمرّان العراق فأصبحت ... مناكبها للوطء وهي ذلولُ
أذقت الحمام ابني عباد فاصبحوا ... بمنزل موهون الجناح نَكولُ
ومن قطريٍّ نلت ذاك وحوله ... كتائبُ من رجّالةٍ وخيولُ
اذا ما اتت باب ابن يوسف ناقتي ... أتت خير مترول بهِ ونزيلُ
وما خفت شيئاً غير ربّي وحدهُ ... اذا ما انتحيت النفس كيفَ أقولُ
ترى الثقلَين الجنّ والانس اصبحا ... على طاعة الحجاج حين يصولُ

فقال لهُ الحجاج: أولى لك قد نجوت. وفرض لهُ وأعطاه عطاءه

مباراة في إطعام الطعام

حدَّث ابن عيّاش قال: كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيبانيّ وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف ويتباريان في اطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب. وكان حوشب يغلب عكرمة لسعة يدهِ. (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بحتر الفقيه بسفائن دقيق. فأتاه عكرمة فقال لهُ: الله الله فيَّ قد كاد حوشب ان يستعليني ويغلبني بمالهِ فبعني هذا الدقيق

بتأخيرٍ ولك فيهِ مثل ثمنه ربحاً. فقال: خذهُ. وأعطاه اياه . فدفعهُ الى قومهِ وفرّقهُ بينهم وأمرهم بعجنه كلّه فعجنوه كله . ثم جاء بالعجين كلّه فجمعهُ في هوّة عظيمة وأمر بهِ فغطي بالحشيش وجاء برَمَكة فقرّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأفلت . ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورّطا في العجين وبقيا فيهِ جميعاً . وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر يا معشر المسلمين ادركوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عكرمة. فخرج الناس تعجباً من ذلك أنْ تكون خميرة يغرق فيها فرس . فلم يبقَ في العسكر احد الّا ركب ينظر . وجاءوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبين منهُ الّا رأسهُ وعنقه فما أُخرج الّا بالعمد والحبال . وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب. فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ويفخر بهما :

وعكرمة الفياض فينا وحوشب ... هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما ... رئيسٌ ولا الاقيال من آل حميرا

قال : وفي حوشب يقول الشاعر :

وأجود بالمال من حاتم ... وأنحر للجزر من حوشبِ

الاعلم أحد العدّائين

حدّث عبد الله بن ابراهيم الجمحي قال: كان الأعلم أخو صخر الغيّ احد صعاليك هذيل وكان يعدو على رجليه عدوًا لا يلحق واسمهُ حبيب بن عبد الله. فخرج هو وأخواه صخر وصخير حتى اصبحوا تحت جبل يقال لهُ السطاع في يوم

من ايام الصيف شديد الحرّ وهو متأبط قربة لهم فيها ماء. فأيبستها السموم. وعطشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا من العطش. فقال الاعلم لصاحبهِ: اشرب من القربة لعلّي أن أرِد الماء وانتظرني مكانك. وكانت بنو عدى بن الديل على ذلك الماء (وهو ماء لاطوافهم) يتفيئون بنخل متأخر عن الماء قدر رمية سهم. فأقبل يمشي متلثماً وقد وضع سيفهُ وقوسه ونبله فيما بينهُ وبين صاحبه. فلما برز للقوم مشى رويداً مشتملاً. فقال بعض القوم: من ترون الرجل. فقالوا: نراهُ بعض بني مدلج بن مرّة. ثم قالوا لبعضهم: الق الفتى فاعرفهُ. فقال لهم: ما تريدون بذلك. الرجل آتيكم اذا شرب فدعوه فليس بخفيتنا. فأقبل يمشي حتى رمى براسهِ في الحوض مدبرًا عنهم بوجههِ. فلما روي أفرغ على راسهِ من الماء ثم أعاد نقابه ورجع في طريقهِ رويداً. فصاح القوم بعبدٍ لهم كان على الماء: هل عرفتَ الرجل الذي صدر. قال: لا. فقالوا: فهل رأيت وجهه. قال: نعم هو مشقوق الشفة. فقالوا: هذا الأعلم. وقد صار بينهُ وبين الماء مقدار رمية سهم آخر. فعدوا في اثرهِ وفيهم رجل يقال لهُ جذيعة ليس في القوم مثلهُ عدواً فأغروه بهِ. وطردوه فاعجزهم ومرّ على سيفهِ وقوسهِ ونبلهِ فاخذهُ. ثم مرّ بصاحبيه فصاح بهما: فصبرا معهُ فاعجزوهم

محمد بن عبد الملك الزيات (*) والمظلوم

حدَّث هارون بن محمد بن عبد الملك قال: جلس أَبي يوماً للمظالم.

(*) هو محمد بن عبد الملك بن ابان بن ابي حمزة الزيات واصلهُ من جيل ويكنى ابا جعفر. وكان ابوهُ تاجرًا من تجار الكرخ المياسير فكان يحثهُ على التجارة وملازمتها فيأبي الَّا الكتابة. وطلبها وقصد المعالي حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات وهو اول من تولى ذلك وتمَّ لهُ

فلما انقضى المجلس رأى رجلًا جالساً . فقال لهُ : ألك حاجة . قال: نعم تُدنيني اليك فاني مظلوم . فأدناه . فقال: اني مظلوم وقد أعوزني الانصاف . قال: ومن ظلمك. قال: انت ولست أصِل اليك فأذكر حاجتي . قال: ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولًا. قال: يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك وفصاحتك واطراد حجتك . قال : ففيمَ ظلَمتك. قال : ضيعتي الفلانية اخذها وكيلك غصباً بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديتهُ باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا اؤدي خراجها وهذا مما لم يسمع في الظلم مثلهُ . فقال محمد: هذا قول تحتاج عليهِ الى بيّنة وشهود واشياء . فقال لهُ الرجل: أيؤمّنني الوزير من غضبه حتى أُجيب . قال : قد أمّنتك . قال : البيّنة هم الشهود واذا شهدوا فليس يُحتاج معهم الى شيء . فما معنى قولك بيّنة وشهود واشياء أيش هذه الاشياء الّا العيّ والتغطرش . فضحك وقال: صدقت والبلاء موكّل بالمنطق واني لأرى فيك مصطنعاً . ثم وقّع لهُ بردّ ضيعتهِ وبأن يُطلق لهُ كرّ حنطة وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعتهِ وصيّرهُ من اصحابهِ واصطنعهُ

محمد بن عبد الملك الزيات وابراهيم بن المهدي

حدّث عُبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : لما وثب ابراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالًا . فأخذ من جدّي عبد الملك عشرة آلاف درهم . وقال لهُ : انا اردّها اذا جاءني مال ولم يتمّ أمره فاستخفى . ثم ظهر ورضي عنهُ المأمون . فطالبهُ الناس بأموالهم . فقال: انما اخذتها للمسلمين

واردت قضاءها من فيئهم والأمر الآن الى غيري. فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة فخاطب فيها المأمون ومضى بها الى ابراهيم بن المهدي فأقرأها اياه وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضتهُ من أبي لاوصلنَّ هذه القصيدة الى المأمون. فخاف ان يقرأها المأمون فيتدبر ما قالهُ فيوقع بهِ فقال لهُ: خذ مني بعض المال ونجّم عليَّ بعضهُ. ففعل أبي ذلك بعد أن حلّفهُ ابراهيم بأوكد الايمان أن لا يظهر القصيدة في حياة المأمون. فوفى لهُ أبي ذلك ووفى ابراهيم باداء المال كلّهِ. والقصيدة قوله

ألم ترَ أنَّ الشيء للشيء علّـةٌ … تكون لهُ كالنار تقدحُ بالزندِ
كذلك جرَّبت الامور وانما … يدلُّك ما قد كان قبل على البعدِ
وظنّي بابراهيم أنَّ مكانهُ … سيبعث يوماً مثل أيامهِ النكدِ

حتى قال:

فوالله ما من توبةٍ نزعتْ بـهِ … اليـك ولا ميل اليك ولا ودِّ
ولكنَّ اخلاص الضمير مقرِّبٌ … الى الله زُلفى لا تخيب ولا تكدي
أتاك بهـا طوعاً اليك بانفـهِ … على رغمـه واستأثر الله بالحمدِ
فلا تتركن للناس موضع شبهةٍ … فانك مجزيٌّ بحَسب الذي تسدي
فقد غلطوا للناس في نصب مثله … ومن ليس للمنصور بابنٍ ولا المهدي
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت … ببيعتهِ الركبان غوراً الى نجدِ
ومن سك تسليم الخلافة سمعَـهُ … ينادى بهِ بين السماطين من بعدِ
وايُّ امرىءٍ سمّى بها قط نفسهُ … ففارقهـا حتى يُغيَّبَ في اللحدِ
وتزعم هذي النابتيّـة انّهُ … إمامٌ لهـا فيما تُسِرّ ولا تُبدي
تقولون سنّيٌّ وأيَّة سنّـةٍ … تقوم بجون اللون صلّ القفا جعد

وقد جعلوا رخص الطعام بعهدِهِ زعيماً لهُ باليُمنِ والكوكبِ السعدِ
اذا ما رأَوا يوماً غــلاء رأيتهم يحنّون تحنــانًا الى ذلك العهدِ
واقبالهُ في العيـــد يوجف حولهُ وجيف الجياد واصطفاق القنى الجُردِ
ورجّالةٌ يمشون بالبيض قبلهُ وقـــد تبعوهُ بالقضيب وبالبردِ
فان قلت قـــد رام الخلافة غيره فلم يُؤتَ فيما كان حاول من جدِّ
فلم أجزهِ اذ خيّب الله سعيـهُ على خطإٍ اذ كان منهُ على عمدِ
ولم ارضَ بعـــد العفو حتى رفعتهُ وللعمّ أولى بالتغمُّد والرفدِ
فليس سواء خارجيٌّ رمى بهِ اليك سفاه الرأي والرايُ قد يُردي
تعادت لهُ من كلّ أوبٍ عصابةٌ متى يُوردوا لا يُصدروهُ عن الوردِ
ومن هو في بيت الخلافة تلتقي بهِ وبك الآباء في ذروة المجـدِ
فـــولاك مولاهُ وجندك جندهُ وهل يجمع القينُ الحسامَين في غمدِ
وقد رابني من أهل بيتك انني رأيت لهم وجدًا بهِ أيّمـا وجدِ
يقولون لا تبعدْ من ابن ملمّةٍ صبورٍ عليها النفس ذي مرّة جلدِ
فدانا وهانت نفسهُ دون ملكنا عليهِ لدى الحال التي قلّ من يفدي
على حين أعطى الناسُ صفوَ اكفهم عليٍّ بن موسى بالولاية والعهدِ
فما كان فينا من أبى الضيم غيره كريمٌ كفى ما في القبول وفي الردِّ
وجرّد ابراهـــيم للموت نفسهُ وأبدى سلاحاً فوق ذي ميعة نهدِ
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده فليس بمذموم وان كان لم يجدِ
فهذي امورٌ قد يخاف ذوو النُهى مغبّتها والله يُهديك للرشـــدِ

دِعبِل واحمد السرَّاج والمطَّلب بن عبد الله بن مالك

أخبرَ عبدالله بن أبي الشيص قال: حدَّثني دعبل قال: حججت انا وأخي رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولَّاها. فصرنا من مكة الى مصر. فصحبنا رجلٌ يعرف بأحمد بن فلان السرَّاج فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ويتولَّى خدمتنا كما يتولَّاها الرفقاء والاتباع. ورأيناه حسن الادب. وكان شاعرًا ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا لهُ. فعرضنا عليهِ ان يقول في المطلب قصيدة ننحلهُ اياها. فقال: ان شئتم. وأرانا بذلك سرورًا وتقبلًا لهُ. فعملنا قصيدة وقلنا لهُ: تنشدها المطلب وانَّك تنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر بهِ فدخلنا الى المطلب وأوصلنا اليهِ كتباً كانت معنا وانشدناه فسُرَّ بموضعنا. ووصفنا لهُ أحمد السرَّاج هذا وذكرنا لهُ أمره. فأذن لهُ فدخل عليهِ ونحن نظنُّ انهُ سينشد القصيدة التي نحلناهُ اياها. فلما مثل بين يديه عدل عنهُ وانشدهُ:

لم آتِ مطلباً الَّا بمطلب ... وهمةٍ بلغتْ بي غاية الرتبِ
افردتهُ برجاء ان تشاركهُ ... في الوسائل أو ألقاه في الكتبِ

(قال) وأشار الى كتبي التي اوصلتها اليهِ وهي بين يديه فكان ذلك اشد من كل شيءٍ مرَّ بي منهُ عليَّ. ثم أنشده:

رحَّلتُ عيسي الى البيت الحرام على ... ما كان من وصَبٍ فيها ومن نصَبِ
ألقي بها وبوجهي كلَّ هاجرةٍ ... تكاد تقدح بين الجلد والعصبِ
حتى اذا ما قضت نسكي ثنيت لها ... عطف الزمام فأمَّتْ سيِّد العربِ
فأمَّمتكَ وقد ذابت مفاصلُها ... من طول ما تعبٍ لاقت ومن نقَبِ

اني استجرت باستارَين مستلماً ركنين مطّلباً والبيتَ ذا الحجبِ
فذاك للآجل المأمول ألمسهُ وأنت للعاجل المرجوّ والطلبِ
هذا ثناني وهذي مصر سانحةٌ وانت أنت وقد ناديتُ من كثبِ

(قال) فصاح مطّلب: لبيّك لبيك. ثم قام اليهِ فأخذ بيدهِ وأجلسهُ معهُ وقال: يا غلمان البدر. فأُحضرت. ثم قال: الخلع فنُشرت. ثم قال: الدوابَّ. فقُيِّدت. فأمر لهُ من ذلك بما ملأَ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناهُ عليهِ. وكان حسدنا لهُ بما اتفق لهُ من القبول وجودة الشعر وغيظنا بكتمهِ ايانا نفسه واحتيالهِ علينا أكثرَ واعظم. فخرج بما أمر لهُ بهِ وخرجنا صفرًا

دِعبِل وابو سعد المخزومي

حدَّث عليُّ بن أبي عمرو الشيباني قال: جاءني اسمعيل بن ابراهيم بن ضمرة الخزاعي فقال لي: اني سألت دعبلًا ان أقرأ عليهِ قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مرّ الاربعينا

فقال لي اسمعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها اخبار وغريب فليكن معك رجل يقرأها عليَّ وانت معهُ فيكون اهون عليَّ منك. فقلت لهُ: لقد اخترت صديقًا لي يقال لهُ عليّ. فقال: أمن العرب هو. قلت: نعم. قال: من اي العرب. قلت: من بني شيبان. قال: شيبان كندة. فقلت: بل شيبان ربيعة. فقال لي: ويحك أتاتيني برجل أُسمعهُ ما يكره في قومهِ. فقلت لهُ: انهُ رجل يحتمل ويحب ان يسمع ما لهُ وعليهِ. فقال: في مثل هذا أريحية فأْتني بهِ. فصرنا اليهِ. فلمَّا لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررت بهِ أن كنت

رجلًا من العرب تحب ان تسمع ما لك وعليك لكيلا تُغبَن. فقرأنا عليهِ الشعر حتى انتهينا في القصيدة الى قولهِ :

من أيّ ثنيّةٍ طلعت قريشٌ وكانوا معشرًا متنبّطينا

فقال دعبل : معاذ الله ان يكون هذا البيت لي. ثم قال: لعنهُ الله وانتقم منهُ دسّهُ والله في هذا الشعر. وضرب بيدهِ الى سكين كانت معهُ فجرّد البيت بجدّها ثم قال لنا: أُحدثكم عنهُ بحديث ظريف: جاءني يومًا ببغداد أشدّ ما كان بيني وبينه من الهجاء وبين يديّ صحيفة ودواة وانا أهجوه فيها اذ دخل عليّ غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالباب. فقلت لهُ: كذبتَ. فقال وهو عارف بأبي سعد: بلى والله يا مولاي. فأمرتهُ برفع الدواة والجلد الذي كان بين يديّ وأذنت لهُ في الدخول وجعلتُ أحمدُ الله في نفسي فأقول: الحمد لله الذي اصلح بيني وبينه من هتك الاعراض وذكر القبيح وكان الابتداء منهُ. فقمت اليهِ وسلّمت عليهِ وهو ضاحك مسرور. فأبديت لهُ مثل ذلك من السرور بهِ ثم قلت: أصبحتُ والله حاسدًا لك. قال: على ماذا يا أبا عليّ. فقلت: بسبقك اياي الى الفضل. فقال لي: أنا اليوم في دعوة عندك. فقلت: قلْ ما أحببت. فقال: ان كان عندك ما تأكلهُ والّا ففي منزلي شيء معدٌّ. فسألت الغلمان. فقالوا: عندنا قدر أمسيّة. فقال: غاية واتفاق جيد. فهل عندك شيء نشربهُ والّا وجّهتُ الى منزلي ففيهِ شراب معدّ: فقلت لهُ: عندنا ما نشرب. فطرح ثيابه وردّ دابته وقال: أحبُّ أن لا يكون معنا غيرنا. فتغدّينا وشربنا. فلمّا أن اخذ الشرابُ منا قال: مرْ غلاميك يُغنّياني. فأمرت الغلامين فغنّياه. فطرب وفرح واستحسن الغناء حتى سرّني واطربني معهُ. ثم قال: حاجتي اليك يا ابا عليّ أن تأمرهما بأن يغنّياني في هجائك لي. وكان الغلامان

لكثرة ما يسمعانهِ مني في هجائهِ قد حفظا منـهُ اشياء ولحّناها. فقلت لهُ: سبحان الله يا ابا سعد قد طَفِئت الثائرة وذهبت العداوة بيننا وانقطع الشرّ فما حاجتك الى هذا. فقال لي: سألتك بالله الّا فعلت فليس يشقّ ذلك عليَّ. ولو كرهتهُ لما سألتهُ. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن عليَّ. يا غلمان غنّوه بما يريد. فقال: غنوه: «يا أبا سعد قوصره» فغنّوه وهو يحرّك رأسه وكتفيه ويطرب ويصفق. فما زلنا يومنا مسرورين. فلماَّ ثمل ودّعني وقام فانصرف. وأمرتُ غلماني فخرجوا معهُ الى الباب. فاذا غلامٌ منهم قد انصرف اليَّ بقطعة قرطاس وقال: دفعها اليَّ أبو سعد المخزومي وأمرَني ان ادفعها اليك. (قال) فقرأتها فاذا فيها:

عدوٌّ راح في ثوبي صديقٍ ... شريكٌ في الصبوح وفي الغبوقِ
لـهُ وجهان ظاهرهُ ابن عمٍّ ... وباطنهُ ابن خائنـةٍ عتيقِ
يسرُّك معلنًا ويسوك سرًّا ... كذاك يكون أبناء الطريقِ

فقال: ويلي على ابن اللئام. هاتوا جلدًا ودواة. (قال) فردّوهما عليَّ فعدت الى هجائهِ. ولقيتهُ بعد يومين أو ثلاثة فما سلّم عليَّ ولا سلّمتُ عليهِ

سوء خلق دعبل

حدثث محمد بن موسى الضبّي راوية العتابي وكان نديمًا لعبد الله بن طاهر قال: بينما هو ذات ليلة يذاكرنا بالادب وأهلهِ وشعراء الجاهليّة اذ بلغ الى ذكر المحدَثين حتى انتهى الى ذكر دعبل فقال: ويحكِ يا ضبي اني أريد أن أُحدّثك بشيء على أنْ تسترهُ طول حياتي. فقلت لـهُ: أصلحك الله انا

عندك في موضع ظنّهِ. قال: لا ولكن أطيبُ لنفسي أن توثّق لي بالايمان لأركن اليها ويسكن قلبي عندها فأحدّثك حينئذٍ. (قال) قلت: ان كنتُ عند الامير في هذه الحال فلا حاجة بهِ الى افشاء سرّه اليّ. واستعفيته مرارًا فلم يعفني. فاستحييت من مراجعتهِ وقلت: فلْيرَ الاميرُ رأيَه. فقال لي: يا ضبي قل: والله. قلت: والله. فأمرها عليّ غموسًا موكدة بالبيعة والطلاق وكلّ ما يحلف بهِ مسلمٌ. ثم قال: أشعرت ان دعبلًا مدخول النسب. وأمسكَ. فقلت: أعزَّ الله الامير أفي هذا أخذتَ العهود والمواثيق ومغلظ الايمان. قال: اي والله. فقلت: ولمَ. قال: لاني رجل لي في نفسي حاجة ودعبل رجلٌ قد حمل نفسهُ على المهالك وحمل جذعه على عنقه فليس يجد من يصلبهُ عليهِ وأخاف ان بلغه أن يقول فيَّ ما يبقى عليَّ عاره على الدهر. وقُصارايَ ان ظفرت بهِ وأسلمتهُ اليمن. وما اراها تفعل لانهُ اليوم لسانها وشاعرها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها. فاضربهُ مائة سوط وأُثقلهُ حديدًا واصيّرهُ في مطبق باب الشام. وليس في ذلك عوض ممّا سار فيَّ من الهجاء. وفي عقبي من بعدي. فقلت: ما اراه يفعل ويقدم عليك. فقال لي: يا عاجز اهون عليهِ ممّا لم يكن. أتراه أقدم على الرشيد والامين والمأمون وعلى أبي ولا يُقدم عليّ. فقلت: فاذا كان الامر كذا فقد وفق الامير فيما أخذهُ عليَّ. (قال) وكان دعبل صديقًا لي فقلت: هذا شيء قد عرفتهُ. فمن أين قال الامير انهُ مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة لا يتقدّمهم غير بني أهبان مكلم الذئب. فقال: اسمع. انهُ كان أيام ترعرع خاملًا لا يُؤبهُ لهُ وكان مسلم بن الوليد استاذه وهو غلامهُ يخدمهُ ودعبل حينئذٍ لا يقول شعرًا يفكر فيهِ حتى قال:

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيب برأسهِ فبكى

وغنّى فيهِ بعض المغنين وشاع. فغنّى بهِ بين يدي الرشيد إمّا ابن جامع او ابن المكي. فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر فقيل لهُ دعبل بن علي وهو غلام نشأ من خزاعة. فأمر باحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابهِ. فاحضر ذلك فدفعهُ مع مركب من مراكبهِ الى خادم من خاصتهِ وقال لهُ: اذهب بهذا الى خزاعة فاسأل عن دعبل بن عليّ فاذا دُللتَ عليهِ فأعطهِ هذا وقل لهُ ليحضر ان شاء. وان لم يحبّ ذلك فدعهُ. وأمر للمغنّي بجائزة. فسار الغلام الى دعبل واعطاه الجائزة وأشار عليهِ بالمسير اليهِ. فلمّا دخل عليهِ وسلّم أمرهُ بالجلوس فجلس واستنشده الشعر فانشده اياه فاستحسنهُ وأمره بملازمتهِ وأجرى عليهِ رزقاً سنيّاً. فكان أوّل من حرّضه على قول الشعر. فوالله ما بلغهُ ان الرشيد مات حتى كافأه على ما فعلهُ من العطاء السنيّ والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول باقبح مكافأة. وقال فيهِ من قصيدة مدح بها اهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد:

وليس حيٌّ من الاحياء نعلمهُ من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مضرِ
الّا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك ايسار على جزرِ
قتلٌ واسرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ فعل الغزاة بارض الروم والخزرِ
ارى اميّة معذورين ان قتلوا ولا ارى لبني العبّاس من عذرِ
إربع بطوس على القبر الذكيّ اذا ما كنتَ تربعُ من دينٍ الى وطرِ
قبران في طوس خير الناس كلّهمِ وقبرُ شرّهم هذا من العبرِ
ما ينفعُ الرجسَ من قرب الذكيّ ولا على الذكيّ بقرب الرجس من ضررِ
هيهات كل امرئٍ رهن بما كسبتْ لهُ يداهُ فخذ ما شئتَ او فذرِ

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليهِ السلام · فهذه واحدة · واما الثانية فانَّ المأمون لم يزل يطلبهُ وهو طائرٌ على وجههِ حتى دسَّ اليهِ قولهُ :

علمٌ وتحكيمٌ وشيب مفارقٍ　　تطميس ريعانِ الشبابِ الرائقِ
وأمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ　　كانت على اللذات اشغب عائقِ
أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ　　يرث الخلافة فاسقٌ عن فاسقِ
إن كان ابراهيم مضطلعاً بها　　فلتصلحنْ من بعدهِ لمخارقِ

فلمّا قرأها المأمون ضحك وقال: قد صفحت عن كل ما هجانا بهِ اذ قرن ابراهيم بمخارق في الخلافة وولّاه عهده. وكتب الى أبي ان يكاتبهُ بالامان ويحمل اليهِ مالاً وان شاء ان يقيم عندهُ او يصير الى حيث شاء فليفعل · فكتب اليهِ أبي بذلك وكان واثقاً بهِ · فصار اليهِ فحملهُ وخلع عليهِ وأجازه واعطاه المال وأشار عليهِ بقصد المأمون · ففعل · فلمّا دخل وسلّم عليهِ تبسم في وجههِ ثم قال: انشدني :

مدارس آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ　　ومنزل وحيٍ مُقفرُ العرصاتِ

فجزع · فقال لهُ: لك الأمان فلا تخف وقد رويتها ولكني أُحبُّ سماعها من فيك · فأنشدهُ ايّاها الى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيتهُ بدمعهِ · فوالله ما شعرنا بهِ الّا وقد شاعت لهُ أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانهِ اليهِ وأنسهِ بهِ حتى كان اوّل داخل وآخر خارج من عنده

مناظرة نحويَّة في حضرة المهدي

حدَّث أبو محمد اليزيدي (١) قال: كنَّا مع المهدي ببلدٍ في شهر رمضان قبل ان يستخلف باربعة اشهر. وكان الكسائي معنا. فذكر المهدي العربيـة وعنده شيبة بن الوليـد العبسيّ عمّ دفافة فقال المهدي: نبعث الى اليزيديّ والكسائيّ. وانا يومئذٍ مع يزيد بن منصور خال المهدي. والكسائي مع الحسن الحاجب. فجاءنا الرسولُ. فجئت انا فاذا الكسائي على الباب قد سبقني. فقال: يا أبا محمد أعوذ بالله من شرّك. فقلت: والله لا تؤتى من قبلي حتى أُوتى من قبلك. فلمَّا دخلنا عليهِ أقبل عليَّ وقال: كيف نسبوا الى البحرين فقالوا بحرانيّ ونسبوا الى الحصنين فقالوا حصنيّ ولم يقولوا حصناني كما قالوا بحراني. فقلت: أصلح الله الامير لو انهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحريّ لم يعرف أ إلى البحرين نسبوا أم الى البحر. فلما جاءوا الى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال لهُ الحصن ينسب اليـهِ غيرهما فقالوا حصنيّ. (قال أبو محمد) سمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع وكان حاضرًا: لو سألني الامير لأخبرتهُ فيها بعلَّة هي أحسن من هذه. قلت: أصلح الله الاميرانَّ هذا يزعم انك لو سألتهُ لأجاب باحسن ممَّا اجبت بهِ. قال: فقد سألتهُ. فقال الكسائي: لمَّا نسبوا الى الحصنين كانت فيهِ نونان فقالوا حصني اجتزاء باحدى النونـين عن الاخرى. ولم يكن في

---

(١) كان ابو محمد عالمًا باللغة والنحو راوية للشعر متصرِّفًا في علوم العرب. أخذ عن ابي عمرو بن العـلاء ويونس بن حبيب النحوي واكابر البصريّين وقرأ القرآن على ابي عمـرو بن العلاء وجوَّد قراءتهُ ورواها عنهُ وهي المعوَّل عليها في هذا الوقت. وكان بنوه جميعًا في مثل منزلتهِ من العلم والمعرفة باللغة وحسن التصرف في علوم العرب ولسائرهم علمٌ جيِّد (لابي الفرج الاصبهاني)

البحرين الّا نون واحدة فقالوا بحراني . فقلتُ : أصلح الله الامير فكيف تنسب رجلًا من بني جنان فانهُ يلزمهُ على قياسهِ ان يقول جنّي . انّ في جنان نونين . فإن قال ذلك فقد سوّى بينهُ وبين المنسوب الى الجنّ . (قال) فقال لي المهدي ولهُ : تناظرا في غير هذا حتى نسمع . فتناظرنا في مسائل حفظ فيها ولي وقولهُ . الى ان قلت لهُ : كيف تقول ان من خير القوم أو خيرهم نيّة زيد . (قال) فاطال الفكر لا يجيب . فقلت : لأن تجيب فتخطئ فتتعلّم أحسنُ من هذه الاطالة . فقال : انّ من خير القوم أو خيرهم نيةً زيدًا . (قال) فقلت : أصلح الله الامير ما رضي ان يلحن حتى لحن وأحال . قال : وكيف . قلتُ : لرفعهِ قبل ان يأتي باسم انّ ونصبهِ بعد رفعه . فقــال شيبة بن الوليد : أراد بأوْ بلْ فرفع . هذا معنًى . فقال الكسائي : ما أردتُ غير ذلك . فقلتُ : فقد اخطآ جميعًا ايها الامير . لو أراد بأوْ بل رفع زيدًا . لانهُ لايكون بل خيرُهم زيدًا . فقال المهدي : يا كسائي لقد دخلتَ عليّ مع مسلمة النحويّ وغيره فما رأيتُ كما اصابك اليوم . (قال) ثم قال : هذان عالمان ولا يقضي بينهما الّا اعرابي فصيح يُلقى عليهِ المسائل التي اختلفا فيها فيجيب . (قال) فبعث الى فصيح من فصحاء الاعراب . (قال أبو محمد) واطرقتُ الى ان يأتي الاعرابي . وكان المهدي محبًا لاخوالهِ ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر . فقلت : أصلح الله الامير كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الابيات :

يا ايهــا السائلي لاخبره عمّن بصنعاء من ذوي الحسبِ
حِمْــيرُ ساداتها تُقرُّ لهــا بالفضل طرًّا جحاجحُ العربِ
وانّ من خيرهم واكرمهم أو خيرَهم نيــةً أبو كــربِ

(قال) فقال لي المهدي : كيف تنشدهُ أنت : فقلت : أو خيرَهم نية أبو كرب

على اعادة أنَّ كانهُ قال : أو انَّ خيرهم نية أبو كرب . فقال الكسائي : هو والله قالها الساعة . (قال) فتبسم المهدي وقال : انك لتشهد لهُ وما تدري . (قال) ثم طلع الاعرابي الذي بعث اليهِ فألقيت عليهِ المسائل . فأجاب فيها كلها بقولي . فاستفزّني السرور حتى ضربت بقُلَنسِيَتي الارض وقلت: أنا أبو محمد . فقال لي شيبة : أتتكنّى باسم الامير . فقال المهدي : والله ما اراد بذلك مكروهـاً ولكنهُ فعل ما فعل للظفر وقد لعمري ظفر . فقلت: ان الله عزَّ وجلَّ انطقك ايهـا الامير بما انت أهلهُ وانطق غيرك بما هو أهلهُ . (قال) فلما خرجنا قال لي شيبة أتخطّئني بين يدي الامير . أما لتعلمنَّ . قلت : قـد سمعتُ ما قلتَ وأرجو ان تجد غبها . ثم لم اصبح حتى كتبتُ رقاعاً عدَّةً . فلم أدع ديواناً الَّا دسستُ اليهِ رقعة فيها أبيات قلتها فيهِ . فأصبح الناس يتناشدونها وهي :

عِشْ بجـدٍّ ولا يضرُّك نَوْكٌ إنَّمـا عيش مَن ترى بالجـدودِ
عشْ بجـدٍّ وكن هبنَّقة القيسيَّ م نوْكاً او شيبـة بن الوليـدِ
شيبَ يا شيب يا جديَّ بني القعقا م ع ما انت بالحليم الرشيـدِ
لا ولا فيـك خلّة من خلال م الخير أحرزتهـا لحزمٍ وجودِ
غـير ما انك المجيـد لتقطيع م غنـاء وضرب دفٍّ وعودِ
فعلى ذا وذاك يحتملُ الدهر م مجيـداً لهُ وغـير مجيـدِ

أبو محمد وعاصم الغسّاني ويحيى بن خالد

حدَّث أبو محمد قال: أمر لي الرشيد بمال. وحضر شخوصه الى السّن (١) فأتيت عاصماً الغساني وكان اثيرًا عند يحيى بن خالد فقلت لهُ: ان امير المؤمنين قد أمر لي بمال وقد حضر من شخوصه ما قد علمت فأُحبُّ ان تُذكّر أبا علي يحيى بن خالد أمرهُ ليعجّلهُ اليَّ. فقال: نعم. ثم عدتُ بعد ذلك بيومين فقال لي يتفخّم في لفظهِ: ما اصبت بحاجتك موضعاً. (قال) قلت: فاجعلها منك اكرمَكَ اللهُ ببالٍ. فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس فقال لي: يا أبا محمد اني لأربأُ بك ان تأتي هذا الكلب أو تسألهُ حاجة. قلت: وكيف. قال: سمعتهُ يقول وقد ولّيتَ: لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة. فقيل لهُ: ولِمَ ذاك اصلحك الله فانَّ لهُ قدرًا وعلماً. قال: لانهُ من مضر ما رأيت مضريًا قط يحبُّ اليمانية. (قال) فأحببتُ ان لا اعجّل. فعدت اليهِ من غد فقلت: هل كان منك اكرمك الله في الحاجة شيء. فقال: والله لكأنك تطلبنا بدَينٍ. فتحقّق عندي ما بلغني عنهُ فقلت لهُ: لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ولا قضى لي حاجة ابدًا ان سألتكها. والله لا سلّمتُ عليك مبتدئًا أبدًا ولا رددتُ عليك السلام ان بدأتني بهِ. ونفضت ثوبي وخرجت. فاني لأسير وافكر في الحيلة لحاجتي اذا براكبٍ يركض حتى لحقني فقال: بعثني اليك أبو علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك. فرجعت مع رسوله

---

(١) السِنّ ويقال لها سنُّ باريماً مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفي اهلها علماء وفيها كنائس وبيع للنصارى . وعند السنّ مصبّ الزاب الاسفل (معجم البُلدان لياقوت)

اليهِ فلقيتهُ وكان قريبًا فسلّمت عليهِ ثم سايرتهُ. فقال لي: انّ امير المؤمنين أمرني ان آمرك بطلب مؤدّبٍ لابنهِ صالح. فاني احدثك حديثًا حدّثني بهِ أبي خالد بن برمك: ان الحجاج بن يوسف أراد مؤدبًا لولده فقيل لهُ: ههنا رجل نصرانيٌّ عالم وههنا مسلم ليس علمهُ كعلم النصراني. قال: ادعوا لي المسلم. فلمّا أتاه قال: ألا ترى يا هذا انا قد دُللنا على نصراني قد ذكروا انهُ أعلم منك. غير اني كرهت ان اضمَّ الى ولدي من لا يُنبّههم للصلاة عند وقتها ولا يدلّهم على شرائع الاسلام ومعالمه. وانت ان كان لك عقل قادرٌ على ان تتعلّم في اليوم ما يعلّمهُ أولادي في جمعة وفي الجمعة ما يُعلّمهم في الشهر وفي الشهر ما يعلمهم في سنة. ثم قال لي يحيي: فينبغي يا أبا محمد أن تؤثر الدين على ما سواه. فقلت لهُ: قد اصبتُ من أرضاه. وذكرت لهُ الحسن بن المسوَر. فضمّهُ اليه. ثم سألني من أين أقبلتُ. فأخبرتهُ بخبر عاصم وما كان منهُ فقلت لهُ: قد حضر هذا المسير ولست أدري من أيّ وجهٍ اتقاضاه. فضحك وقال: ولِمَ لاتدري. القَ صديقك جعفرًا حتى يكلّم امير المؤمنين أو يذكّرني حاجتك فقد تركتهُ على المضيّ الساعةَ اليهِ. فانثنيتُ الى جعفر وقلت لهُ في طريقي:

يا سائلي عمّا اخبّرهُ   عن جعفرٍ كرمًا وعن شيمهْ
انّ ابن يحيي جعفرًا رجلٌ   سيط السماح بلحمهِ ودمِهْ
فعليهِ لا ابدًا محرّمة   وكلامه وقفٌ على نعمِهْ
وترى مُسابقهُ ليدركهُ   بمكانِ حذوِ النعل من قدمِهْ

فلمّا دخلت اليهِ أخبرتهُ الخبر وانشدتهُ الابيات وأعلمتهُ ما أمرني بهِ أبوهُ. فقال لي: قلْ بيتين تذكرهُ فيهما الى أن اجدّد طهرًا واكتبهما حتى يكونا معي

فاذكر بهما حاجتك. فقلت: نعم يا سيدي. وأخذت الدواة وكتبت:

أحقُّ مَن تُنجز موعودهُ　　خليفة الله على خلقهِ
ومن لهُ ارثُ نبيّ الهُدى　　بالحقّ لا يدفع عن حقّهِ
يُنسب في الهدى الى هديهِ　　برًّا وفي الصدق الى صدقهِ
ومَن لهُ الطاعة مفروضةٌ　　لانحةٌ بالوحي في رقّهِ
والراتقُ الفتق العظيم الذي　　لا يقدر الناس على رتقهِ

قال فأخذ الشعر ومضى الى الرشيد في حاجتي وأقرأه اياه. فصكّ اليَّ بالمال عليهِ وقبضتهُ بعد ذلك بيوم

كلاب بن أميَّة وأبواه

حدَّث عروة بن الزبير قال: هاجر كلاب بن امية بن الاسكر الى المدينه في خلافة عمر بن الخطَّاب فأقام بها مدة. ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما: ايُّ الاعمال افضل في الاسلام. فقالا: الجهاد. فسأل عمر فاغزاهُ في جيشٍ. وكان أبوهُ قد كبر وضعف. فلمَّا طالت غيبة كلاب عنهُ قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا　　كتاب الله لو قبل الكتابا
أناديه فيعرض في اباه　　فلا وأبي كلابٍ ما أصابا
اذا سجعتْ حمامة بطن وادٍ　　الى بيضاتها دعوًا كلابا
أتاهُ مهاجران تكنّفاهُ　　ففارق شيخهُ خطأً وطابا
تركتَ اباك مرعشةً يداهُ　　وامّك ما تسيغ لها شرابا

تمسّح مهرهُ شفقاً عليهِ وتجنبهُ أباعرها الصعابا
فانّكَ قد تركتَ اباك شيخاً يطارق أينقاً شرباً طرابا
فانّك والتماس الاجر بعدي كباغي الماء يتّبع السرابا

فبلغت أبياتهُ عمر فلم يردد كلاباً . وطال امية . فأهترّ امية وخلط جزعاً عليهِ . ثم أتاه يوماً وهو في مسجد الرسول وحوله المهاجرون والانصار فوقف عليهِ ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عذلت بغير قدرٍ ولا تدرين عاذل ما ألاقي
فاما كنت عاذلتي فردّي كلاباً اذ توجّه للعراقِ
فلم اقضِ اللبانة من كلاب غداةَ غدٍ واذّن بالفراقِ
فتى الفتيان في عسرٍ ويسرٍ بشديد الركن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليت وجدي ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وابقـائي عليك اذا شتونا وضمّك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤاد حطام وجدٍ لهـمّ سوادُ قلبي بانفلاقِ
سأستعدي على الفاروق ربّاً لهُ دفع الحجيج الى سياقِ
وادعو الله مجتهداً عليـهِ ببطن الاخشبين الى دفاقِ
انِ الفاروقُ لم يردد كلاباً الى شيخان هامهما زواقِ

قال فبكى بكاء شديداً وكتب بردّ كلاب الى المدينة . فلمّا قدم دخل اليـهِ فقال : ما بلغ من برّك بأبيك . قال : كنت أُوثرهُ واكفيه أمره . وكنت اعتمد اذا أردتُ ان أحلب لبناً أغزر ناقة في ابلهِ واسمنها فاسقيه . فبعث عمر الى اميّـة مَن جاء بهِ اليهِ . فأدخلهُ يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى . فقـال لهُ : كيف انت يا أبا كلاب . قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة .

قال: نعم اشتهي ان أرى كلاباً فأشمّهُ شمّة وأضمّهُ ضمّة قبل ان أموت. فبكى عمر ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبُّ ان شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلب لابيهِ ناقة كما كان يفعل ويبعث اليـه بلبنها. ففعل: فناولهُ عمر الاناء وقال: دونك هذا يا ابا كلاب. فلمّا أخذهُ وادناه الى فمِهِ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين اني لأشمّ رائحة كلاب من هذا الاناء. فبكى عمر وقال: هذا كلاب عندك حاضرًا قد جئناك بهِ. فوثب الى ابنهِ وضمّهُ اليهِ وقبّلهُ. وجعل عمر يبكي ومَن حضرهُ. وقال لكلاب: الزمْ أبوَيك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شانك بنفسك بعدهما. وأمر لهُ بعطائهِ وصرفهُ مع أبيهِ. فلم يزل معهُ مقيماً حتى مات أبوهُ

البُحتُريُّ وأبو تمّام

حدَّث عليّ بن العبَّاس النوبختيّ عن البحتريّ قال: اوَّل ما رأيت أبا تمَّام اني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحتهُ بقصيدتي:

أأفاق صبٌّ من هوًى فأُفيقا   أو خان عهدًا أو أطاع شفيقا

فسُرَّ بها أبو سعيد وقال: أحسنت يا فتى واجدتَ. (قال) وكان في مجلسهِ رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمسّ ركبته ركبته. فأقبل عليَّ ثم قال: يا فتى أما تستحي مني. هذا شعرٌ لي تنتحلهُ وتنشدهُ بحضرتي. فقال لهُ أبو سعيد: أحقًّا تقول. قال: نعم وانما علقهُ مني فسبقني بهِ اليك وزاد فيهِ. ثم اندفع فأنشد اكثر هذه القصيدة حتى شكّكني علمَ اللهُ في نفسي وبقيت متحيّرًا. فأقبل عليَّ أبو سعيد فقـال: يا فتى قد كان في قرابتك لنا وودّك لنا ما يُغنيك عن هذا. فجعلت أحلف لهُ بكلّ محرِّجةٍ من الايمان انَّ

الشعر لي ما سبقني اليهِ احد ولا سمعتهُ منه ولا انتحلتهُ . فلم ينفع ذلك شيئاً . وأطرق أبو سعيد وقطَّع بي حتى تمنَّيتُ اني سختُ في الارض . فقمت منكسر البال أجرّ رجليَّ فخرجت . فما هو الَّا ان بلغتُ الدارَ حتى خرج الغلمان فردّوني . فأقبل عليَّ الرجل فقال: الشعر لك يا بنيَّ والله ما قلتُهُ قط ولا سمعتُهُ الَّا منك ولكنَّني ظننتُ انك تهاونتَ موضعي فاقدمتَ على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرّفني الامير نسبك وموضعك . ولوَدَدتُ ان لا تلد ابدًا طائيَّةٌ الَّا مثلك . وجعل أبو سعيد يضحك . ودعاني أبو تمَّام وضمَّني اليهِ وعانقني وأقبل يقرّظني . ولزمتهُ بعد ذلك واخذت عنهُ واقتديت بهِ

ذكاء كاتبٍ من كُتَّاب المأمون

حدَّث ابراهيم بن رباح قال : كنت اتولَّى نفقات المأمون . فوَصفَ لهُ اسحق بن ابراهيم الموصلي عريب . فأمرهُ ان يشتريها . فاشتراها بمائة الف درهم . فأمرني المأمون بحملها وانَ احمل الى اسحق مائة الف درهم اخرى . ففعلت ذلك ولم ادرِ كيف أثبتها . فحكيت في الديوان ان المائة الالف خرجت في ثمن جوهرة والمائة الالف الاخرى أُخرجت لصائغها ودلّالها . فجاء الفضل بن مروان الى المأمون وقد رأى ذلك فأنكره . وسألني عنهُ فقلت: نعم هو ما رأيت . فسأل المأمونَ عن ذلك وقال: أوجب لدلّالٍ وصائغٍ مائة الف درهم . وغلّظَ القصةَ . فانكرها المأمونُ فدعاني ودنوت اليهِ واخبرتهُ المال الذي خرج في ثمن عريب وصِلة اسحق وقلت : أيّما أصوب يا امير المؤمنين ما فعلتُ او

أُثبتُ في الديوان لنها خرجت في صِلة مغنٍّ وثمن مغنيّةٍ . فضحك المأمون وقال : الذي فعلتَ أصوب . ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطيّ لا تعترض على كاتبي هذا في شيء .

المنصور والرجل الذي يسايره في المدينة

أخبرَ الحرميّ عن الزبير قال : حدَّثني عمّي انّ المنصور أمر الربيع لمّا حجّ ان يسايرهُ برجل يعرف المدينة واهلها وطرقها ودورها وحيطانها . فكان رجل من اهلها قد انقطع زماناً وهو رجل من الانصار . فقال لهُ : تهيأ فاني اظنّ جدّك قد تحرّك . ان امير المؤمنين قد أمرني ان اسايرهُ برجل يعرف المدينة واهلها وطرقها وحيطانها ودورها . فتحسن موافقتهُ ولا تبتدئهُ بشيء حتى يسألك . ولا تكتمهُ شيئاً ولا تسألهُ حاجة . فغدا عليهِ بالرجل . وصلّى المنصور فقال : يا ربيع الرجل . فقال : ها هوذا . فسار معهُ يخبرهُ عمّا سأل حتى ندر من أبيات المدينة . فأقبل عليهِ المنصور فقال : مَن انت اوّلاً . فقال : مَن لا تبلغهُ معرفتك . قال : ما لك من الاهل والولد . فقال : والله ما تزوّجت ولا لي خادم . قال : فأين منزلك . قال : ليس لي منزل . قال : فانّ امير المؤمنين قد أمر لك باربعة الاف درهم . فرمى بنفسه فقبّل رجله . فقال لهُ : اركب . فركبَ . فلمّا أراد الانصراف قال للربيع : يا أبا الفضل قد أمر لي امير المؤمنين . قال : ايه . قال : ان رأيتَ ان تنجزها لي . قال : هيهات . قال : فأصنعُ ماذا . قال : لا ادري والله . فقال الفتى : هذا همٌّ لم يكن في الحساب . فلبثتُ ايّاماً . ثم قال المنصور للربيع : ما فعل الرجلُ . قال : حاضر . قال : سايرنا بهِ الغداة . ففعل . وقال لهُ الربيع : انهُ

خارج بعد غد فاحتلْ لنفسك فانهُ والله ان فاتك فانهُ آخر العهد بهِ . فسار معهُ . فجعل لا يمكنهُ شيء . حتى انتهى الى مسيره ثم رجع وهو كالمعرض عنهُ . فلما خاف فوته أقبل عليهِ فقال: يا امير المؤمنين هذا بيت عاتكة . قال: الذي يقول فيهِ الاحوص « يا بيت عاتكة الذي أتعزلُ » قال: فمه . قال : انهُ يقول فيها :

انَّ أمرءًا قد نال منك وسيلة　　يرجو منافع غيرها لَمضلَّلُ
وأراك تفعلُ ما تقول وبعضهم　　مذقُ الحديث يقول ما لا يفعلُ

فضحك المنصور وقال : قاتلك الله ما اظرفك . يا ربيع أعطهِ الف درهم . فقال : يا امير المؤمنين انها كانت اربعة آلاف درهم . فقال : الف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل

اسحق وابراهيم بن أَبي سلَمَة

حدَّث حماد عن أبيهِ قال : جاء ابراهيم بن أبي سلمه الى الرشيد فقال لهُ : يا امير المؤمنين اني احب ان تشرّفني بان تكون نوبتي ونوبة اسحق الموصلي في مكان وان يكون دخولي اليك ودخولهُ في مكان فان رأيت ان تجعل ذلك كما سألت فعلت . قال: قد فعلت . ولم اكن حاضرًا لمسئلتهِ . فلما كان يوم دخولي عليهِ جاءني ابراهيم فدقّ بابي دقًا عنيفًا وعرَّفني الغلام خبرهُ فقلت لهُ : يدخل . فأبى وقال لهُ : قل لهُ اخرج أنت . فساء ظنّي واغتممت فخرجت اليهِ فقلت لهُ : ما الخبر . قال : ان امير المؤمنين يأمرك بالحضور ويامرك ان لا تدخل الدار الَّا معي بعد ان أُوجه اليك فتركب اليَّ وتمضي

معي . فمضيت معهُ على رغمي وانا منكسر وكنت بقية يومي على تلك الحال. ثم ركبت الى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك اليـهِ . فقال : ما أرى امير المؤمنين يحلك هذا المحلّ . تمّ بنا اليهِ . فقمت معهُ . فدخل الى الرشيد فقال لهُ: يا امير المؤمنين اسحق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى امير المؤمنين المهديّ . نضع مقداره ان تجعلهُ مضموماً الى ابراهيم بن أبي سلمة . قـال : لا والله ما فعلت هذا . قال : انهُ قد جاءني يبكي ويحلف ان جرى عليهِ هذا تاب من الغناء وتركهُ جملة ثم لو قتل لم يعد اليـهِ . فقال : ويحك والله ما جرى من هذا شيء . الَّا ان ابراهيم بن أبي سلمة جاء فقال : تشرّفني ان تجعل نوبتي مع نوبة اسحق ووصولي مع وصوله . ففعلت . فقل لهُ يجيء متى شاء وينفرد عنهُ ولا يجيء معهُ ولا كرامة . فأخبرني فرجعت. فلمَّا كانت نوبتي جاء ابراهيم اليَّ ففعل مثل فعلهِ . فقلت لغلامي : اخرج اليهِ فقل لهُ : ولا كرامة لك يا خبيث يا أبن الخبيثة لا أجي معك ولا ادعك تجيء معي ايضاً . وشتمهُ اقبح شتم . فخرج الغلام فأدّى اليهِ الرسالة . فعلم ان هذا لم يتجرأ عليهِ الَّا بعد توثق فخجل . فقال لهُ : قل لهُ : ومن اكرهك على هذا انما احببت ان نصطحب ونتأنس في طريقنا فان كرهت هذا فلا تفعلهُ . وانصرف ولم يعاودني بعدها

غضب المامون على اسحق ورضاه عنه

حدَّث حمَّاد عن أبيهِ قال : أقام المأمون بعد قدومهِ عشرين شهرًا لا يسمع حرفًا من الاغاني . فكان اوَّل من تغنَّى بحضرتهِ أبو عيسى بن الرشيد . ثم واظب على السماع متسترًا متشبهًا في اوَّل أمره بالرشيد . فاقام كذلك اربع

حجج. ثم ظهر الى الندماء والمغنين وكان حين أحبّ السماع سأل عني فخرجت بحضرته. وقال الطاعن عليّ: ما يقول امير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة. قال المأمون: ما بقَّى هذا من التيه شيئاً الّا استعملهُ. فأمسك عن ذكري وجفاني من كان يصلني لسوء رأيهِ الذي ظهر فيّ. فأضرّ ذلك بي. حتى جاءني علوية يوماً فقال لي: أتأذن لي في ذكرك فانّا قد دعينا اليوم. فقلت: لا ولكن غنّهِ بهذا الشعر فانهُ سيبعثهُ على ان يسألك لمن هذا. فاذا سألك انفتح لك ما تريد وكان الجواب اسهل عليك من الابتداء. فقال: هات. فالقيت عليهِ اللحن في شعري:

يا سرحة الماء قد سدّت موارده ُ … اما اليك طريق غير مسدودِ
لحائمٍ حام حتى لا حوامَ لهُ … محوَّلٍ عن طريق الماء مطرودِ

(قال) فمضى علوية. فلمَّا استقرَّ بهِ المجلس غناهُ بالشعر الذي أمرتهُ. فما عدا المأمون ان يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا علوية لمن هذا. قال: يا سيدي لعبد من عبيدك جفوتهُ وأطرحتهُ من غير جرم. فقال: أ إسحق تعني. قال: نعم. قال: يحضر الساعة. فجاءني رسولهُ فصرت اليهِ. فلمَّا دخلت عليهِ قال: ادنُ. فدنوت. فرفع يديه مادّهما. فانكببت عليهِ واحتضنني بيديه وأظهر من برّي واكرامي ما لو اظهرهُ صديق مؤانس لصديقهِ لبرّه

رجلان من هوازن ويزيد بن عبد المدان

قال ابن الكلبي: جاور رجلان من هوازن يقال لهما عمرو وعامر في بني مرَّة بن عوف بن ذبيان. وكانا قد أصابا دماً في قومهما. ثم انَّ قيس بن عاصم

المنقري أغار على بني مرّة بن عوف بن ذبيان . فأصاب عامرًا اسيرًا في عدّة أسارى كانوا عند بني مرّة . ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الموازني . فاستغاث أخوهُ بوجوه بني مرّة فلم يغيثوه . فركب الى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلًا فنادى :

دعوت سنانًا وابن عوفٍ وحارثًا وعاليت دعوى بالحصين وهاشمِ
أعيذهمُ في كلّ يومٍ وليلةٍ بترك أسيرٍ عند قيس بن عاصمِ
حليفهم الادنى وجار بيوتهم ومن كان عمًّا سرّهم غير نائمِ
فصمّوا واحداث الزمان كثيرةٌ وكم في بني العلّات من متصاممِ
فيا ليت شعري من لاطلاق غلمة ومن ذا الذي يحظى بهِ في المواسمِ

(قال) فسمع صوتًا من الوادي ينادي بهذه الابيات :

ألا أيّهذا الذي لم يجب عليك بحيٍّ يجلّي الكُرَبْ
عليك بذا الحيّ من مذحج فانهمُ للرضا والغضبْ
فنادِ يزيد بن عبد المدان وقيسًا وعمرو بن معدي كربْ
يفكّوا أخاك باموالهم واقلل بمثلهمِ في العربْ
اولاك الرؤوس فلا تعدُهم ومن يجعل الراس مثل الذنبْ

(قال) فاتّبع الصوت فلم يرَ احدًا . فغدا على المكشوح واسمهُ قيس بن عبد يغوث المرادي فقال لهُ : اني وأخي رجلان من بني جشم بن معاوية أصبنا دمًا في قومنا وان قيس بن عاصم أغار على بني مرّة وأخي فيهم مجاور فأخذهُ أسيرًا فاستغثت بسنان بن أبي حارثة والحرث بن عوف والحرث بن ظالم وهشام بن حرملة فلم يغيثوه . فأتيت الموسم لاصيب بهِ من يفك أخي فانتهيت الى منازل مَذحِج فناديت بكذا وكذا فسمعت من الوادي صوتًا أجابني بكذا

وكذا وقد بدأت بك لتفكّ أخي . فقال لهُ المكشوح : والله ان قيس بن عاصم لَرجل ما قارضتــهُ معروفًا قط ولا هو لي بجار . ولكن اشترِ أخاك منهُ وعليَّ الثمن ولا يمنعك غلاؤُهُ . ثم أتى عمرو بن معدي كرب فقــال لهُ مثل ذلك . فقــال : هل بدأت باحد قبلي . قال : نعم : بقيس بن المكشوح . قال : عليك بمن بدأتَ بهِ . فتركهُ وأتى يزيد بن عبد المدان فقال لهُ : يا أبا النضر اقصّ من قصتي كذا وكذا . فقال لهُ : مرحبًا بك واهلًا . ابعثُ الى قيس بن عاصم فان هو وهب لي أخاك شكرتهُ والَّا اغرت عليــهِ حتى يتقيني بأخيك . فان نلتها والَّا دفعت اليك كل اسيرٍ من بني تميم بنجران فأشتريت بهِ أخاك . قال : هذا الرضا . فارسل يزيد الى قيس بن عاصم بهذه الابيات :

يا قيس ارسل اسيرًا من بني جشمِ ... اني بكلّ الذي تأتي بهِ جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصّتهِ ... فاختر لنفسك احادي واعزازي
فافكك أخا منقرٍ عنهُ وقل حسنًا ... فيما سئلت وعقبــهُ بالجــازِ

(قال) وبعث بالابيات رسولًا الى قيس بن عاصم فأنشده اياها ثم قال : يا ابا عليّ انَّ يزيد بن عبــد المدان يقرأُ عليك السلام ويقول لك : ان المعروف قروض ومع اليوم غد فاطلق لي هذا الجشمي . فقد استعان باشراف بني جشم وبعمرو بن معدي كرب وبمكشوح بن مراد فلم يصب عندهم حاجته فاستجار بي ولو ارسلت اليَّ في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت حقك . فقال قيس ابن عاصم لمن حضره من بني تميم : هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيّد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد وهذه فرصة لكم فما ترون . قالوا : نرى ان تغلّيهُ عليهِ ونحكم فيهِ شططًا فانهُ لن يخذلهُ ابدًا ولو اتى ثمنهُ على ماله . فقال قيس : بئسما رأيتم أما تخافون سجال الحروب ودول الايام ومجــازاة القروض .

فلما أبوا عليهِ قال: بيعونيه . فأغلوه عليـه . فتركهُ في ايديهم وكان اسيرًا في يد رجل من بني سعد وبعث الى يزيد فأعلمهُ بما جرى وأعلمهُ انَّ الاسير لوكان في يدهِ او في يد منقر لأخذهُ وبعث بهِ ولكنهُ في يد رجل من بني سعـد . فأرسل يزيد الى السعدي ان : سِرْ اليَّ بأسيرك ولك فيـهِ حكمك . فأتى بهِ السعدي يزيد بن عبد المدان . فقال لهُ : احتكم . فقال: مائة ناقة ورعاؤُها . فقال لهُ يزيد: انك لقصير الهمة قريب الغنى جاهـل باخطار بني الحرث . اما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد ولقد كنت أخاف ان يأتي ثمنهُ على جلّ اموالنا . ولكنكم يا بني تميم قوم قصار الهمم . واعطاه ما احتكم . فجاورهُ الاسير وأخوهُ حتى ماتا عندهُ بنجران

بخل مروان بن ابي حفصة

كان المهديّ يعطي مروان وسَلْمًا الخاسر عطية واحدة . وكان سلْم ياتي باب المهدي على البرذون قيمتهُ عشرة آلاف درهم والسرج واللجام المقذوذين ولباسه الخزّ والوشي وما اشبه ذلك من الثياب الغالية الاثمان . ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منهُ . ويجيء مروان وعليهِ فروكبش وقميص كرابيس وعمامة كرابيس وخفا كبل وكساء غليظ منتن الرائحة وكان لا ياكل اللحم بخلًا حتى يقدم اليهِ . فاذا قدم أرسل غلامهُ فأشترى لهُ راسًا فاكلهُ . فقيل لهُ : نراك لا تاكل الَّا الرؤس في الصيف والشتاء فلمَ تختـار ذلك . قال : نعم الرأس أعرفُ سعرهُ ولا يستطيع الغلام ان يغبنني فيهِ وليس بلحم يطبخهُ الغلام فيقدر ان ياكل منهُ . إن مسّ عينًا او اذنًا او خدًّا وقفت عليهِ . فآكل منهُ الوانًا

آكل عينيه لونًا واذنيه لونًا وغلصمتهُ لونًا وأُكفى مؤونة طبخه . فقد اجتمعت لي فيهِ مرافق

غناء ابراهيم بن المهديّ

أخبر عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنا عِنـد ابراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كلَّ مطربٍ محسن من المغنين يومئذٍ وهو جالس يلاعب احدهم بالشطرنج . فترنَّم احدهم بصوت فريدة « قال لي أحمد ولم يدرِ ما بي » وهو متكئ . فلمّا فرغ منهُ ترنَّم بهِ مخارق فأحسن فيـهِ واطربنا وزاد على ابراهيم . فأعادهُ ابراهيم وزاد في صوته فعفا على غناء مخارق . فلمّا فرغ ردّه مخارق وغنّى فيهِ بصوتهِ كلّه وتحفَّظ فيهِ . فكدنا نطير سرورًا . واستوى ابراهيم جالسًا وكان متكئًا فغنَّاه بصوتهِ كلّه ووفاه نغمه وشذوره . ونظرت الى كتفيهِ تهتزّان وبدنه أجمع يتحرَّك حتى فرغ منهُ ومخارق شاخص نحوهُ يرعد وقد انتقع لونهُ وأصابعهُ تختلج فخُيِّل لي والله ان الايوان يسير بنا . فلمّا فرغ منهُ تقدم اليهِ مخارق فقبَّل يده وقال : جعلني الله فداك أين انا منك . ثم لم ينتفع مخارق بنفسهِ بقيَّة يومهِ في غنائهِ والله لكأنّما كان يتحدَّث

أبو دلامة في الحرب

حدث أبو دلامة قال : أُتي بي المنصور أو المهدي وانا سكران فحلف ليخرجني في بعث حرب . فأخرجني مع روح بن حاتم المهلّبي لقتال الشراة . فلما

التقى الجمعان قلت لروح: اما والله لو ان تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم اثرًا ترتضيه. فضحك وقال: والله العظيم لادفعنَّ ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما اليَّ ودعا بغيرهما فاستبدل به. فلمّا حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع قلت لهُ: ايها الامير هذا مقام العائذ بك وقد قلت بيتين فاسمعهما. قال: هات. فأنشدتهُ:

انى استجرتك أن اقدّم في الوغى ... لتطاعنٍ وتنازلٍ وضرابِ
فهب السيوف رأيتها مشهورة ... فتركتها ومضيت في الهرّابِ
ماذا تقول لما يجيء وما يرى ... من واردات الموت في النشّابِ

فقال: دع عنك هذا وستعلم. وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة. فقال: اخرجْ اليهِ يا أبا دلامة. فقلت: انشدك الله ايها الامير في دمي. قال: والله لتخرجنَّ. فقلت: ايها الامير فانهُ أوَّل يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا وانا والله جائع ما شبعتْ مني جارحة من الجوع فمُرْ لي بشيء آكلهُ ثمَّ أخرجُ. فأمر لي برغيفين ودجاجة. فأخذت ذلك وبرزت عن الصف. فلمَّا رآني الشاري أقبل نحوي عليهِ فرو قد أصابهُ المطر فابتلَّ وأصابتهُ الشمس فانفعل. وعيناه تقدان. فأسرع اليَّ. فقلت لهُ: على رسلك يا هذا كما انت. فوقف. فقلت: أتقتل من لا يقاتلك. قال: لا. قلت: أتقتل رجلًا على دينك. قال: لا. قلت: أفتستحلّ ذلك قبل ان تدعو من تقاتلهُ الى دينك. قال: لا. فاذهب عني الى لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة أو تعرفني بحال تحفظك عليَّ أو تعلم بين أهلي وأهلك وترًا. قال: لا والله. قلت: ولا انا والله لك الَّا جميل الراي واني لاهواك

وانتحل مذهبك وادين دينك وأُريد السوء لمن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيرًا فانصرف . قلت : انَّ معي زادًا احبُّ ان آكلهُ معك وأُحبُّ مواكلتك لتتأكد المودَّة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا . قال : فافعل . فتقدَّمت اليهِ حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا ارجلنا على معارفها والناس قد غُلبوا ضحكًا . فلمَّا استوفينا ودَّعني . ثم قلت لهُ : ان هذا الجاهل ان اقمتَ على طلب المبارزة ندبني اليك فتتعبني وتتعب . فان رأيت ان لا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت . فقلت لروح : اما انا فقد كفيتك قرني فقل لغيري ان يكفيك قرنه كما كفيتك . فامسك . وخرج آخر يدعو الى البراز فقال لي : اخرج اليهِ . فقلت :

اني أعوذ بروح أن يقدّمني ... الى البراز فتخزى بي بنو أسدِ
انَّ البراز الى الاقران أعلمهُ ... ممَّا يفرّق بين الروح والجسدِ
قد حالفتكَ المنايا ان صدمت لها ... وأصبحت لجميع الخلق بالرصدِ
ان المهلَّب حبَّ الموت أورثكم ... وما ورثتُ اختيار الموت عن أحدِ
لو انَّ لي مهجة أُخرى لجدتُ بها ... لكنَّها خلقت فردًا فلم اجدِ

فضحك وأعفاني

يزيد بن مزيد الشيباني في محاربة الوليد بن طريف

كان الوليد بن طريف الشيبانيّ رأس الخوارج وأشدّهم بأسًا وصولةً واشجعهم . فكان مَن بالشماسية لا يأمن طروقه . واشتدَّت شوكتهُ وطالت أيامه . فوجَّه اليهِ الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيبانيّ . فجعل يخاتلهُ ويماكره . وكانت

البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مزيد فأغروا بهِ امير المؤمنين وقالوا : انما يتجافى عنهُ للرحم والّا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعدهُ وينتظر ما يكون من أمره . فوجَّه اليهِ الرشيدُ كتاب مغضب يقول فيهِ : لو وجَّهت بأحد الخدم لقام باكثر مما تقوم بهِ ولكنك مداهن متعصّب . وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخَّرتَ مناجزة الوليد ليوجّهنَّ اليك من يحمل رأسك الى امير المؤمنين . فلقي الوليدَ عشية خميس في شهر رمضان . فيقالُ انَّ يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمهِ في فيهِ فجعل يلوكهُ ويقول : اللهمَّ انها شدَّة شديدة فاسترها . وقال لاصحابهِ : فداكم أبي وامي انَّما هي للخوارج ولهم حملة فاثبتوا لهم تحت التراس فاذا انقضت حملتهم فاحملوا فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال . حملوا حملةً وثبتَ يزيد ومن معهُ من عشيرتهِ وأصحابهِ . ثم حمل عليهم فانكشفوا . ويُقال انَّ أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيهِ جدًّا وكان لا يفصلُ بينهما الّا المتأمِل . وكان اكثر ما يباعدهُ منهُ ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعرهِ منحرفة على جبهتهِ . فكان أسد يتمنّى مثلها . فهوت لهُ ضربة فأخرجَ وجههُ من الترس فأصابتهُ في ذلك الموضع . فيقال انهُ لو خطت على مثال ضربة أبيهِ ما عدا جاءت كانّها هي . واتبع يزيدُ الوليدَ بن طريف فلحقهُ بعد مسافة بعيدة فأخذ راسهُ . وكان الوليد خرج اليهم حيث خرج وهو يقول :

انا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلى بناري

جوركمُ أخرجني من داري

فلمَّا وقع فيهم السيف وأُخذ راسُ الوليد صبحتهم اختهُ ليلى بنت طريف مستعدَّة عليها الدرع والجوشن . فجعلتْ تحمل على الناس . فعُرفتْ . فقال يزيد دعوها . ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال : اغربي غرَّب الله

عينيكِ فقد فضحتِ العشيرة • فاستحيت وانصرفت وهي تقول:

أيا شجر الخابور ما لكَ مورقًا كأنك لم تحزن على ابن طريفِ
فتى لا يحبُّ الزاد ألّا من التقى ولا المال ألّا من قنا وسيوفِ
ولا الذخر ألّا كل جرداء صلدم وكل رقيق الشفرتين خفيفِ

فلمّا انصرف يزيد بالظفر نُجب برأي البرامكة وأظهر الرشيدُ السخطَ عليهِ • فقال: وحق امير المؤمنين لأصيفنّ وأشتونّ على فرسي أو ادخل • فارتفع الخبرُ بذلك فأذن لهُ فدخل • فلمّا رآه امير المؤمنين ضحك وسرّ وأقبل يصيح: مرحبًا بالاعرابي حتّى دخل وأجلس وأُكرم وعُرف بلاؤهُ ونقاء صدره • ومدحهُ الشعراء بذلك فكان أحسنهم مدحًا مسلم بن الوليد فقال فيهِ قصيدتهُ التي يقول فيها:

يفترُّ عند افترار الحرب مبتسمًا اذا تغيَّر وجهُ الفارس البطلِ
موفٍ على مهجٍ في يوم ذي رهجٍ كأنهُ أجلٌ يسعى الى أملِ
ينال بالرفق ما يعيا الرجالُ بهِ كالموت مستعجلًا يأتي على مهلِ
لا يرحل الناسُ ألّا حول حجرتهِ كالبيت يفضي اليهِ ملتقى السُبُلِ
يَقري المنية ارواح العداة كما يقري الضيوف شحوم الكُوم والبزلِ
يكسو السيوف رؤوس الناكثين بهِ ويجعل الهام تيجان القنا الذبلِ
اذ انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالك الموت في الابدان والقللِ
لا تكذبنّ فانّ المجد معدنهُ وراثة في بني شيبان لم يزلِ
اذا الشريكيُّ لم يفخر على أحدٍ تكلّم الفخر عنهُ غير منتحلِ

معن بن زائدة وامرأته ويزيد بن مزيد

ان امرأة معن بن زائدة عاتبت معناً في يزيد وقالت: انك لتقدّمه وتؤخر بنيك وتشيد بذكره وتخمل ذكرهم. ولو نبهتهم لانتبهوا ولو رفعتهم لارتفعوا. فقال معن: ان يزيد قريب لم تبعد رحمه ولهُ عليَّ حكم الولد اذ كنت عمّهُ. وبعد فانهم الوط بقلبي وادنى من نفسي على ما توجبهُ واجبة الولادة للابوّة من تقديمهم. ولكني لا أجد عندهم ما أجده عندهُ. ولو كان ما يضطلع بهِ يزيد في بعيد لصار قريباً وفي عدوّ لصار حبيباً. وسأُريك في ليلتي هذه ما ينفسح بهِ اللوم عني ويتبيّن بهِ عذري. يا غلام اذهب فادعُ جساساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً. حتى اتى على اسماء ولده. فلم يلبث أن جاءوا في الغلائل المطيّبة والنعال السنديّة وذلك بعد هدأة من الليل فسلّموا وجلسوا ثم قال: يا غلام ادعُ لي يزيد. وقد اسبل ستراً بينهُ وبين المرأة. واذا بهِ قد دخل عجلًا وعليهِ السلاح كلّهُ. فوضع رمحه بباب المجلس ثم اتى يحضر. فلمّا رآه معن قال: ما هذه الهيئة أبا الزبير. وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد. فقال: جاءني رسول الامير فسبق الى نفسي انهُ يُريدني لوجهٍ فقلت ان كان مضيت ولم أُعرّج. وان يكن الامر على خلاف ذلك فنزعُ هذه الآلة أيسرُ الخطب. فقال لهم: انصرفوا في حفظ الله. فقالت المرأة قد تبين عذرك. فأنشد معنٌ متمثلًا:

نفس عصام سوّدت عصاماً وعوّدتهُ الكرّ والاقداما

وصيّرتهُ ملكاً هماما

عبد الله بن طاهر والحصنيّ

حدّث محمد بن الفضل الخراساني وكان من وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله وكان اديباً عاقلاً فاضلاً قال: لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدتهُ التي يفخر فيها بمآثر أبيهِ واهله ويفخر بقتلهم المخلوع عارضهُ محمد بن يزيد الامويّ الحصني وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك فأفرط في السبّ وتجاوز الحدّ في قبح الردّ وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصّب. فلمّا ولي عبد الله مصر وردّ اليهِ تدبير امر الشام علم الحصني انهُ لا يفلتُ منهُ ان هرب ولا ينجو من يدهِ حيث حلّ فثبت في موضعهِ وأحرز حرمه وترك امواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعهِ وفتح باب حصنهِ وجلس عليهِ. ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع بهِ. فلما شارفنا بلده وكنا على ان نصبحه دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بتْ عندي الليلة وليكن فرسك معدّاً عندك لا يردّ. ففعلت. فلمّا كان في السحر أمر غلمانه واصحابه ان لا يرحلوا حتى تطلع الشمس. وركب في السحر وانا وخمسة من خواصّ غلمانهِ فسار حتى صبح الحصني. فرأى بابهُ مفتوحاً ورآه جالساً مسترسلاً. فقصده وسلَّم عليهِ ونزل عندهُ وقال لهُ: ما أجلسك ههنا وحملك على ان فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسهِ عليك وما بلغهُ عنك. فقال: ان ما قلتَ لم يذهب عليَّ ولكني تأملت أمري وعلمت اني اخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرَّة الحداثة واني ان هربت منهُ لم أفتهُ فباعدت البنات والحرم واستسلمت بنفسي وكل ما املك. فانّا اهل بيت قد اسرع القتل فينا ولي بمن مضى أُسوة فاني أثق بانَّ الرجل اذا قتلني

وأخذ مالي شفى غيظهُ ولم يتجاوز ذلك الى الحرم ولا لهُ فيهنَّ ارب ولا يوجب جرمي اليهِ اكثر ممَّا بذلته. (قال) فوالله ما اتقاه عبد الله الَّا بدموعهِ تجري على لحيتهِ. ثم قال لهُ: أتعرفني. قال: لا والله. قال: انا عبد الله بن طاهر وقد امَّن الله تعالى روعتك وحقن دمك وصان حرمك وحرس نعمتك وعفا عن ذنبك. وما تعجَّلت اليك وحدي الَّا لتأمن من قبل هجوم الجيش ولئلَّا يخالط عفوي عنك روعة تلحقك. فبكى الحصني وقام فقبل رأسهُ. وضمَّهُ عبد الله وأدناه ثم قال لهُ: اما فلا بدَّ من عتاب يا اخي جعلني الله فداك قلتُ شعرًا في قومي أفخرُ بهم لم اطعنْ فيهِ على حسبك ولا ادَّعيتُ فضلًا عليك وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وان كان من قومك فهم القوم الذين ثارك عندهم. فكان يسعك السكوت او ان لم تسكت لا تغرق ولا تسرف. فقال: ايها الامير قد عفوتَ فاجعل العفو الذي لا يخلطهُ تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب. قال: قد فعلت فقم بنا ندخل الى منزلك حتى نوجب عليك حقًّا بالضيافة. فقام مسرورًا فادخلنا فأتى بطعام كان قد أعدَّهُ. فاكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف لهُ. وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن اتلقَّاهم فأُرحلهم ولا ينزل احد منهم الَّا في المنزل وهو على ثلاث فراسخ. ثم دعا بدواة فكتب لهُ بتسويغهِ خراجهُ ثلاث سنين وقال لهُ: ان نشطتَ لنا فالحقْ بنا والَّا فأَقمْ بمكانك. فقال: فانا اتجهز والحق بالامير. ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقهُ حتى رحل الى العراق فودَّعهُ وقام ببلده

مقتل عمرو بن عاصية

أخبر محمد بن الحسن بن دريد اجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: خرج عمرو بن عاصية السلمي ثم البهزي في جماعة من قومهِ فأغاروا على هذيل ابن مدركة. فصادفوا حيــاً من هذيل يقال لهم بنو سهم بن معاوية. فقالت امرأة رجلٍ من بني بهز لابنٍ لها: أي بُنيَّ انطلق الى اخوالك فأنذرهم بانَّ ابن عاصية السلمي قد أمسى يريدهم. وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير اليهم. فانطلق الغلام من تحت ليلتــهِ حتى أتى اخواله فأنذرهم فقال: ابن عاصية السلمي يريدكم فخذوا حذركم. فبدر القومُ واستعدُّوا. وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ فنزل قريباً لاصحابهِ على جبل. فاذا هم حذرون. فقال لاصحابهِ: ارى القوم حذرين انَّ لهم لشأناً ولقد أُنذروا علينا. فكمن في الجبل يطلب غفلتهم. فأصابهُ وأصحابه عطش شديد. فقال ابن عاصية لاصحابهِ: هل فيكم من يرتوي لاصحابهِ. فقال اصحابه: نخاف القوم. وأبى احد منهم ان يجيبهُ الى ذلك. (قال) فخرج على فرسٍ لهُ ومعهُ قربته. وقد وضعت هذيل على الماء رجلًا منهم رصدًا وعلموا انهم لا بدّ لهم من ان يردوا الماء. فمرَّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن لهُ شيخ وفتيان من هذيل. فلمّا نظروا اليهِ همَّ الفتيان ان يثاوراهُ. فقال الشيخ: مهلًا فانهُ لم يركما. فكفَّا. فانتهى ابن عاصية الى البئر فنظر يمينًا وشمالًا فلم يرَ احدًا. والآخرون يرمقونهُ من حيث لا يراهم. فوثب نحو قربتــهِ فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأُ القربة ويشرب. وأقبل الفتَيان والشيخ معهما حتى اشرفوا عليهِ وهو في البئر فقالوا: أخزاك الله يا ابن عاصية وأمكن منك. (قال) ورمى الشيخَ بسهمٍ فأصاب أخمصه فأنفذهُ فصرعه.

وشُغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ. ووثب ابن عاصية من البئر شدًّا نحو أصحابهِ وأدركهُ الفتيان قبل وصولهِ فاسراه. فقال لهما حين أخذاه: ارويانِي من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما. فلم يسقياه وتعاوراه باسيافهما حتى قتلاه. فقالت اخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها:

يا لهف نفسيَ لهفًا دائمًا ابدًا على ابن عاصية المقتول بالوادي
اذ جاء ينفض عن اصحابهِ طفلًا مشي السبنتى امام الآيكة العادي
هلاَّ سقيتم بني سهم اسيركمُ نفسي فداؤك من مستوردٍ صادي
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مضرجٌ بعد ما جادت بازبادِ

مجازاة النعمان بن المنذر

قال عمارة بن قابوس: لقيت أبا زبيد الطائي فقلت لهُ: يا أبا زبيد هل أتيتَ النعمان بن المنذر. قال: اي والله لقد أتيتهُ وجالستهُ. قلت: فصفهُ لي. فقال: كان احمر ازرق أبرش قصيرًا. فقلت لهُ: بالله اخبرني أيسرُّك انهُ سمع مقالتك هذه وان لك حمر النعم. قال: لا والله ولا سودها. فقد رأيت ملوك حمير في ملكها ورأيت ملوك غسّان في ملكها فما رأيت أحدًا قط كان أشدّ عزًّا منهُ. وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب اليهِ فقيل شقائق النعمان. فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأنَّ على رؤوسنا الطير وكأنهُ باز. فقام رجل من الناس فقال لهُ: أبيت اللعن اعطني فانّي محتاج. فتأملهُ طويلًا. ثم أمر بهِ فادني حتى قعد بين يديه. ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأُ بها في وجههِ حتى سمعنا قرع العظام وخضبت لحيته وصدره بالدم.

ثم أمر بهِ فنُحّي . ومكثنا مليًّا . ثم نهض آخر فقال لهُ : أَبيت اللعن اعطني . فتأمله ساعة ثم قال : اعطوه الف درهم . فأخذهـا وانطلق . ثم التفت عن يمينهِ ويسارهِ وخلفه فقال : ما قولكم في رجل أزرق أحمر يذبح على هذه الاكمة . أترون دمه سائلًا حتى يجري في هذا الوادي . فقلنـا لهُ : أنت ابيت اللعن أعلى برايك عينًا . فدعا برجل على هذه الصفة فأمر بهِ فذُبح . ثم قال : لا تسألوني عمَّا صنعت . فقلنا : ومَن يسألك أبيت اللعن عن أمرك وما تصنع . فقـال : أمَّا الأوّل فاني خرجت مع أبي نتصيَّد فمررت بهِ وهو بفنـاء بابهِ وبين يديه عسّ من شراب او لبن . فتناولتهُ لأشرب منهُ . فثار اليَّ فهراق الاناء فملأ وجهي وصدري . فأعطيت الله عهدًا لئِن امكنني منهُ لاخضبنَّ لحيته وصدره من دم وجههِ . وأمَّا الآخر فكانت لهُ عندي يدٌ كافأته بها ولم اكن اثبتهُ فتأملتهُ حتى عرفتـهُ . واما الذي ذبحتهُ فان عينًا لي بالشام كتب اليَّ : انَّ جبلة بن الايهم قد بعث اليك برجل صفتهُ كذا وكذا ليغتالك . فطلبتهُ ايامًا فلم اقدر عليهِ حتى كان اليوم

كِبر كُثيِّر

أخبر الزبير بن بكار قال : انَّ عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة فأقام بهـا شهرًا (قال) . ثم خرج الى مكة فخرج معهُ الاحوص واعتمرا . قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثيّر انه قال لما مرَّ بالروحاء : استتلياني . فخرجت اتلوهما حتى لحقتهما بالعرج عند رواحهما . فخرجنا جميعًا حتى وردنا ودّان فحبسهما . النصيب وذبح لهما واكرمهما . وخرجنا وخرج معنا النصيب . فلمَّا جئنا كليـة

عدلنا جميعًا الى منزل كثيّر . فقيل لنا هبط قديدًا . فذُكر لنا انهُ في خيمة من خيامها . فقال لي ابن أَبي ربيعة : اذهب فادعُهُ لي . فقال النصيب : هو أَحمق وأَشدّ كبرًا من ان يأتيك . فقال لي عمر : اذهب كما أقول فادعهُ لي . فجئتهُ فهشّ لي وقال : اذكر غائبًا تَرَهُ لقد جئتَ وأنا اذكرك . فأبلغتهُ رسالة عمر . فحدَّد اليّ نظره وقال : أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن أتياني بمثل هذه الرسالة . قلت : بلى والله ولكني سترت عليك فأبى الله الّا ان يهتك سترك . فقال لي : انك والله يا ابن ذكوان ما انت من شكلي فقل لابن أَبي ربيعة : ان كنتَ قرشيًّا فانا قرشيّ . فقلت لهُ : لا تتركُ هذا التلصق وانت تفرق عنهم كما تفرق الصمغة . فقال : والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سدوس . ثم قال : وقل لهُ : ان كنتَ شاعرًا فأنا أشعرُ منك . فقلت لهُ : هذا اذا كان الحكم اليك . فقال : والى مَن هو ومَن أولى بالحكم مني اليوم . فرجعتُ الى عمر فقال : ما وراءك فقلت : ما قال لك نصيب . فقال : وإنّ فأخبرتهُ . فضحك وضحك صاحباه ظهرًا لبطنٍ . ثم نهضوا معي اليهِ فدخلنا عليهِ في خيمة فوجدناه جالسًا على جلد كبش . فوالله ما أوسع للقرشيّ

النعمان يحثّ خالد بن مالك على الطلب بثار عمّه

قال ابن الاعرابي : قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابناه عبد الله عمًّا لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال لهُ عامر بن ربعي . وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذٍ ومعهُ الاسود بن يعفر . فالتفت النعمان يومًا الى خالد بن مالك فقال لهُ : أيّ فارسين في العرب تعرف

هما اثقلُ على الاقران وأخفُّ على متون الخيل . فقال لهُ : أبيت اللعن انت أعلم . فقال : خالا ابن عمك الاسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليّين وائلًا وسليطاً . فتغيَّر لون خالد بن مالك . وانما اراد النعمان أن يحثهُ على الطلب بثار عمهِ . فوثب الاسود فقال : أبيت اللعن اللئيم من رأى حق اخواله فوق حقّ اعمامه . ثم التفت الى خالد بن مالك فقال : يا ابن عمّ الخمرُ عليَّ حرام حتى اثأر لك بعمّك . قال : وعليَّ مثل ذلك . ونهضا يطلبان القوم وجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم . فأغارا بهم على كاظمة . وارسلا رجلًا من بني زيد بن نهشل بن دارم يُقال لهُ عبيد يتجسَّس لهم الخبر . فرجع اليهم فقال لهُ : جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجَّار وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش . فركبت بنو نهشل حتى أتوهم فنادوا : مَن كان حاجًّا فليمضِ لحجهِ ومَن كان تاجرًا فليمضِ لتجارتهِ . فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا . فقُتل وائل وسليط قتلهما هزان بن زهير بن جندل بن نهشل عادى بينهما . وادّعى الاسود بن يعفر انهُ قُتل وائل . ثم عاد الى النعمان فلما رآهُ تبسم وقال : اوفِ بنذرك يا اسود . قال : نعم ابيت اللعن . ثم اقام عنده مدّة ينادمهُ ويواكلهُ . ثم مرض مرضاً شديداً فبعث النعمان اليهِ رسولًا يسألهُ عن خبره وهول ما بهِ . فقال :

نفعٌ قليل اذا نادى الصدى أصلًا وحان منهُ لبرد الماء تغريدُ
وودّعوني فقالوا ساعة انطلقوا أودى فأودى الندى والحزم والجودُ
فما أبالي اذا ما متُّ ما صنعوا كل امرئٍ بسبيل الموت مرصودُ

خالد القسري والفرزدق

حدَّث محمد بن موسى قال: كتب خالد القسري الى مالك بن المنذر يامره بطلب الفرزدق ويذكر انهُ بلغهُ انهُ هجاه وهجا المبارك. (١) فأخذهُ وحبسهُ ومرّوا بهِ على بني مجاشع فقال: يا قوم اشهدوا انهُ لا خاتم بيدي. وذلك انهُ اخذ عمر بن يزيد بن أسيد ثم أمر بهِ فلويت عنقهُ. ثم أخرجوه ليلًا الى السجن. فجعل راسهُ يتقلّب والاعوان يقولون لهُ: قوّم راسك. فلمّا اتوا بهِ السجان قال: لا اتسلّمهُ منكم ميتًا. فأخذوا المفاتيح منهُ وأدخلوه الحبس. وأصبح ميتًا فسمعوا انهُ مصَّ خاتمه وكان فيهِ سمّ فمات. وتكلّم الناس في امرهِ. فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيهِ. فقال: يا بنيّ هل كان من خبر. قال: نعم عمر بن يزيد مصَّ خاتمهُ في الحبس وكان فيهِ سمّ فماتَ. فقال الفرزدق: والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمصنَّ أبوك خاتمه وقال:

أَلم يكُ قتلُ عبد الله ظلمًا ... أَبا حفص من الجرم العظام
قتيل عداوةٍ لم يجنِ ذنبًا ... يقطَّع وهو يهتف للامامِ

(قال) وكان عمر عارض خالدًا وهو يصف لهشام طاعة أَهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم. فصفق عمر بن يزيد احدى يديه على الاخرى حتى سمع لهُ في الايوان دويّ ثم قال: كذب والله يا امير المؤمنين ما اطاعت اليمانية ولا نصحت. أَليس هم اعداؤك واصحاب يزيد بن المهلّب وابن الاشعث. والله ما نعق ناعق الّا اسرعوا الوثبة اليهِ. فاحذرهم يا امير المؤمنين. ووثب رجل من بني أُميّة فقال لعمر بن يزيد: وصل الله رحمك وأَحسن جزاءك فلقد شدّدت

---

(١) وهو النهر الذي بواسط الذي كان اتخذهُ البراجم

من انفس قومك وانتهزت الفرصة ووقتها. ولكن أحسبُ هذا الرجل سيلي العراق وهو منكرٌ حسود وليس يخار لك ان ولي. فلم يرتدع عمر بقولهِ وظنَّ انهُ لا يقدم عليه. فلمّا ولي لم تكن لهُ همة غيره حتى قتلهُ .

(قال) ثم ان مالكاً وجّه الفرزدق الى خالد. فلمّا قدم بهِ عليهِ وجده قد حجَّ واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق . فحبسهُ أسد. ووافق عنده جريرًا فوثب يشفع لهُ وقال : ان رأى الامير أن يهبهُ لي. فقال اسد : أتشفع لهُ يا جرير. فقال: ان ذلك أذلّ لهُ أصلحك الله. وكلم اسدًا ابنةُ المنذر فخلّى سبيلهُ. فقال الفرزدق في ذلك قوله:

لا فضل الّا فضل أمّ ٍ على ابنها كفضل أبي الاشبال عند الفرزدقِ
تداركني من هوّة دون قعرها ثمانون باعًا للطوال العشنّق

وقال جرير يذكر شفاعتهُ له:

وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ فتطلق عنهُ عضَّ مسّ الحدائدِ
يعود وكان الخبثُ منك سجيةً وان قال اني منتهٍ غير عائدِ

الفرزدق يقدم المدينة في سنة جدبة

أخبر عثمان بن خالد العثماني ان الفرزدق قدم المدينة في سنة مجدبة . فمشى اهل المدينة الى عمر بن عبد العزيز فقالوا لهُ: ايها الامير انَّ الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي قد اهلكت عامة الاموال التي لاهل المدينة وليس عند احدٍ منهم ما يُعطيه شاعرًا. فلو أنَّ الامير بعث اليهِ فأرضاه ويقدم اليهِ ان لا يعرض لاحدٍ بمدحٍ ولا هجاء. فبعث اليهِ عمر: انك يا فرزدق

قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة وليس عند احدٍ ما يعطيه شاعراً وقد أمرتُ لك باربعة آلاف درهم.فخذها ولا تعرض لاحدٍ بمدح ولا هجاء. فأخذها الفرزدق. ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقيفة داره عليهِ مطرف خزّ أحمر وجبّة خزّ أحمر . فوقف عليهِ وقال :

اعبد الله أنت أحقّ ماشٍ   وساعٍ بالجماهير الكبارِ
نمــا الفاروقَ امُّك وابنُ اروى   أبوك فانت منصدع النهارِ
همــا قمر السماء وانت نجم   بهِ في الليــل يدلج كل سارِ

فخلع عليهِ الجبّــة والعمامة والمطرف وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم. فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عندهُ ورأى ما اعطاه ايّاه وسمع ما أمرهُ عمر بهِ من ان لا يعرض لاحد فدخل الى عمر بن عبد العزيز فأخبرهُ . فبعث اليهِ عمر: ألم اتقدّم اليك يا فرزدق ان لا تعرض لاحد بمدح ولا هجاء . اخرجْ فقد اجّلتك ثلاثاً . فان وجدتك بعد ثلاث نكلتُ بك فخرج وهو يقول :

فأجّلني وواعدني ثلاثاً   كما وعدت لمهلكها ثمود

(قال) وقال جرير فيهِ :

نفاك الاغرّ ابن عبد العزيز   ومثلك ينفى من المسجدِ
وشبهت نفسك اشقى ثمود   فقــالوا ضللت ولم تهتدِ

قيس بن عاصم ووعلة الجرمي

حدّثنا الاصمعي قال : خرج رجل من بني تميم يقال انهُ قيس بن عاصم يوم الكلاب يلتمس ان يصيب رجلًا من ملوك اليمن لهُ فداء. فبينما هو في ذلك

اذ ادركَ وعلة الجرمي وعليهِ مقطعات لهُ فقال لهُ: على يمينك. قال: على يساري اقصد لي. قال: هيهات منك اليمن. قال: العراق مني ابعــد. قال: انك لن ترَ أهلك العــام. قال: ولا اهلك اراهم. وجعل وعلة يركض فرسهُ فاذا ظنَّ انها قد اعيت وثب عنها فعدا معها وصاح بها فتجري وهو يجاريها فاذا أعيــا وثب فركبها حتى نجا. فسأل عنــهُ قيس فعرف انهُ وعلة الجرمي فأنصرف وتركهُ. فقال وعلة في ذلك:

نجوت نجــاء لم يرَ الناس مثلهُ كأني عقاب عنــد تيمن كاسرُ
ولمَّا رأيت الخيــل تدعو مقاعساً تنازعني من ثغرة النحو جائرُ
فان استطع لا تلتبس بي مقاعس ولا يرني ميدانهم والمحاضرُ
ولا تك لي جرادة مضرية اذا ما غدت قوت العيال تبادرُ

المؤمَّل والمهدي

حدَّثني المؤمَّل قال: قدمت على المهدي وهو بالريّ وهو اذ ذاك وليّ عهد. فامتدحتهُ بأبيات فأمر لي بعشرين الف درهم. فكتب بذلك صاحب البريد الى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام يخبرهُ أنَّ الامير المهدي أمر لشاعر بعشرين الف درهم. فكتب اليهِ يعذلهُ ويلومهُ ويقول لهُ: انما ينبغي ان تعطي بعد ان يقيم ببابك سنــةً أربعة آلاف درهم. وكتب الى كاتب المهدي ان يوجه اليهِ بالشاعر. فطلب ولم يقدر عليهِ وكتب الى أبي جعفر انهُ قد توجَّه مدينة السلام. فأجلس قائدًا من قوَّاده على جسر النهروان وأمرهُ ان يتصفح الناس رجلًا رجلًا. فجعل لا يمــرّ بهِ قافلة الَّا تصفح من فيها. ومرَّت بهِ القافلة

التي فيها المؤمل فتصفحهم. فلما سألهُ: مَن أنت. قال: انا المؤمل بن أميل المحاربي احد زوار الامير المهدي. فقال: اياك طلبتُ. (قالَ المؤمل) فكاد قلبي ان ينصدع خوفًا من أبي جعفر. فقبض عليَّ وأسلمني الى الربيع. فأدخلني الى أبي جعفر وقال لهُ: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين الفًا قد ظفرنا بهِ. فقال: ادخلوه اليَّ. فأُدخلت اليهِ فسلّمت تسليم مروَّع. فردَّ السلام وقال: ليس لي ههنا الّا خير. أنت المؤمل بن أميل. قلت: نعم أصلح الله امير المؤمنين انا المؤمل بن أميل. قال: أتيت غلامًا غرًّا فخدعتهُ. قلت: نعم أصلح الله الامير اتيت غلامًا غرًّا كريمًا فخدعتهُ فانخدع. (قال) فكأنَّ ذلك أعجبهُ. فقال: انشدني ما قلت فيهِ. فأنشدتهُ:

هو المهديُّ الّا انَّ فيهِ ... مشابه صورة القمر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما اذا ما ... أنارا مشكلان على البصيرِ
فهذا في الظلام سراج ليلٍ ... وهذا في النهار ضياء نورِ
ولكن فضَّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسريرِ
وبالملك العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزيرِ
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا ... أميرٌ عند نقصان الشهورِ
فيا ابن خليفة الله المصفَّى ... بهِ تعلو مفاخرة الفخورِ
لئن فتَّ الملوك وقد توافوا ... اليك من السهولة والوعورِ
لقد سبق الملوكَ ابوكَ حتى ... بقوا من بين كابٍ او حسيرِ
وجئت مصلّيًا تجري حثيثًا ... وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناس ما هذان الّا ... كما بينَ الخليق الى الجديرِ
لقد سبقَ الكبير فأهل سبقٍ ... لهُ فضل الكبير على الصغيرِ

اللصان أبو حردبة وشِظَاظ

حدّثني أبو الهيثم قال: اجتمع مالك بن الريب وأبو حردبة وشظاظ يوماً فقالوا: تعالوا نتحدَّث بأعجب ما عملناه في سرقتنا. فقال أبو حردبة: أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت اني صحبت رفقة فيها رجل على رحل فأعجبني فقلت لصاحبي: والله لأسرقنَّ رحله ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة. فرمقته حتى رأيتهُ قد خفق براسه فأخذت بخطام جمله فقدتهُ وعدلت به عن الطريق حتى اذا صيرتهُ في مكان لا يغاث فيه ان استغاث أنختُ البعير وصرعتهُ فأوثقت يديه ورجله وقدت الجمل فغيبتهُ . ثم رجعت الى الرفقة وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجعون. فقلت: ما لكم. فقالوا: صاحب لنا فقدناه. فقلت: أنا اعلم الناس بأثره. فجعلوا لي جعالة. فخرجت بهم اتبع الأثر حتى وقفوا عليه فقالوا: ما لك. قال: لا ادري نعست فانتبهت لخمسين فارساً قد اخذوني فقاتلتهم فغلبوني. (قال أبو حردبة) فجعلت اضحكُ من كذبه. وأعطوني جعالتي وذهبوا بصاحبهم. (وأعجب ما سرقت) انهُ مرَّ بي رجل معهُ ناقة وجمل وهو على الناقة. فقلت: لآخذنَّهما جميعاً. فجعلت اعارضهُ وقد رأيتهُ قد خفق براسه فدرتُ فأخذت الجمل فحللتهُ وسقتهُ فغيبتهُ في القصيم (وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه). ثم انتبه فالتفت فلم يرَ جملهُ. فنزل وعقل راحلته ومضى في طلب الجمل. ودرت. فحللت عقال ناقته وسقتها. فقالوا لأبي حردبة: ويحك فختامَ تكون هكذا. قال: اسكتوا. فكأنكم بي قد تبتُ وأشتريتُ فرساً وخرجت. فبينما انا واقف اذ جاءني سهم كأنهُ قطعة رشاء فوقع في نحري فمتُّ شهيداً. (قال) فكان كذلك. تاب وقدم البصرة فاشترى فرساً وغزا الروم

فأصابهُ سهم في نحـره فاستشهد. ثم قالوا لشظاظ : اخبرنا انت باعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها. فقال : نعم. كان فلان (رجل من اهل البصرة) لهُ بنت عمّ ذات مـال كثير وهو وليُّها. وكانت لهُ نسوة. فأبت ان تتزوّجهُ. فحلف ان لا يزوجها من احد ضرارًا لها. وكان يخطبها رجل غنيّ من أهل البصرة فحرضت عليهِ وأبى الآخر ان يزوّجها منهُ. ثم انَّ وليَّ الامر حجَّ حتى اذا كان بالدوّ على مرحلة من البصرة حذاءها قريب منهُ جبل يقال لهُ سنام (وهو منزل الرفاق اذا صدرت او وردت) مات الوليُّ فدفن برابية وشيد على قبرهِ. فتزوّجت الرجل الذي كان يخطبها. (قال شظاظ) وخرجت رفقة من البصرة معهم برٌّ ومتاعٌ. فتبصرتُهم وما معهم واتبعتهم حتى نزلوا. فلمَّا ناموا بيّتهم واخذت من متاعهم. ثم ان القوم أخذوني وضربوني ضربًا شديدًا وجرّدوني. (قال) وذلك في ليلة قرَّة. وسلبوني كلَّ قليل وكثير فتركوني عريانًا وتماوتُّ لهم. وارتحـل القوم. فقلت: كيف أصنع. ثم ذكرت قبر الرجل فأتيتهُ فنزعت لوحه ثم احتفرت فيهِ سربًا فدخلت فيهِ ثم سددتُّ عليَّ باللوح وقلت: لعلّي الآن ادفأُ فاتبعهم. (قال) ومرَّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرفقة. فمرَّ بالقبر الذي انا فيـه فوقف عليهِ وقال لرفيقهِ: والله لانزلنَّ الى قبر فلان حتى انظر هل يحمى الآن زيجة فلانة. (قال شظاظ) فعرفت صوته فقلعت اللوح ثم خرجت عليهِ بالسيف من القبر وقلت: بلى وربّ الكعبة لاحمينَّها. فوقع والله على وجههِ مغشيًّا عليهِ لايتحرَّك ولا يعقل. فجلست على راحلتهِ وعليها كل اداة وثياب ونقد كان معهُ. ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هاربًا من الناس فنجوت بهـا. فكنت بعد ذلك اسمعهُ يحدّث الناس بالبصرة ويحلف لهم ان الميت الذي كان منعهُ من تزويج المرأة خرج عليـهِ من قبره

بسلبهِ وكفنهِ فبقي يؤمُّهُ ثم هرب منهُ. والناس يعجبون منهُ فعاقلهم يكذبهُ والاحمق منهم يصدّقهُ. وانا اعرف القصة فاضحك منهم كالمتعجب. قالوا: فزدنا. قال: فأنا ازيدكم أعجب من هذا وأحمق من هذا. اني لأمشي في الطريق ابتغي شيئاً اسرقهُ. فلا والله ما وجدت شيئاً. قال وشجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيهِ ظلّ غيرها واذا انا برجل يسير على حمارٍ لهُ. فقلت لهُ: أتسمع قال: نعم. قلت: ان المقيل الذي تريد ان تقيلهُ يخسف بالدواب فيهِ فاحذرهُ. فلم يلتفت الى قولي. (قال) ورمقتهُ حتى اذا نام أقبلتُ على حماره فاستقتهُ حتى اذا برزت بهِ قطعت طرف ذنبه واذنيه وأخذت الحمار فخبأتهُ. وابصرتهُ حين استيقظ من نومهِ فقام يطلب الحمار ويقفو أثرهُ. فبينما هو كذلك اذ نظر الى طرف ذنبهُ واذنيه فقال: لَعمري لقد حُذّرتُ لو نفعني الحذر. واستمرّ هارباً خوف ان يخسف بهِ. فأخذت جميع ما بقي من رحلهِ فحملتهُ على الحمار واستمرّ فالحق باهلي. (قال أبو الهيثم) ثم صلب الحجّاج رجلاً من الشراة بالبصرة وراح عشياً لينظر اليهِ فاذا برجل بازائهِ مقبل بوجههِ عليهِ. فدنا منهُ فسمعهُ يقول للمصلوب: طال ما ركبت فاعقب. فقال الحجاج: مَن هذا. قالوا: هذا شظاظ اللصّ. قال: لا جرم والله ليعقبنّك. ثم وقف وأمر بالمصلوب فأُنزل وصلب شظاظاً مكانهُ

هند امرأة عبد الله بن عجلان تحذّر قومها

انّ بني عامر جمعوا لبني نهد. فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمس عشرة ناقة على ان تأتي قومي

فتنذرهم قبل ان يأتيهم بنو عامر. فقال: أفعلُ. فحملتهُ على ناقة لزوجها ناجية وزوَّدتهُ تمرًا ووطبًا من لبن. فركب فجدَّ في السير وفني اللبنُ. فأتاهم والحيُّ خلوف في غزو وميرة. فنزل بهم وقد يبس لسانهُ. فلمَّا كلموهُ لم يقدر على أن يجيبهم واومأ لهم الى لسانهِ. فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن فاسخن وسقاهُ اياه. فابتلَّ لسانهُ وتكلَّم وقال لهم: أُتيتم. انا رسول هند اليكم تنذركم. فاجتمعت بنو نهد واستعدَّت. ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل فاقتتلوا قتالًا شديدًا: فانهزمت بنو عامر. فقال عبد الله بن العجلان في ذلك:

أعاود عيني نصبها وغرورها ... أهمٌّ عناها أم قذاها يعورها
أم الدار امست قد تعفَّت كأنها ... زبور يمان رقشتهُ سطورها
ذكرت بها هندًا واترابها الاولى ... بها يكذب الواشي ويعصى اميرها
فما معول تبكي لفقد أليفها ... اذا ذكرتهُ لا يكفُّ زفيرها
بأغزر مني عبرةً اذ رأيتها ... يحثّ بها قبل الصباح بعيرها
ألم يأتِ هندًا كيفما صنعُ قومها ... بني عامر اذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا انَّا نحب لقاءكم ... وانَّا نحيّي ارضكم ونزورها
فقلنا اذًا لا ننكل الدهر عنكمُ ... بصم القنا اللائي الدماء تميرها
فلا غرو انَّ الخيل تنحطّ في القنا ... تمطَّر من تحت العوالي ذكورها
تأوه مما مسّها من كريهةٍ ... وتصغى لخدود والرماح تصورها
واربابها صرعى ببرقة اخرت ... يجرّرهم ضبعانها ونسورها
فابلغ أبا الحجاج عني رسالة ... مغلغلة لا يفلتنك بسورها
فانت منعت السلم يوم لقيتنا ... بكفيك تسدي غيَّة وتنيرها
فذوقوا على ما كان من فرط احنةٍ ... حلائبنا اذ غاب عنا نصيرها

وصف بلدة الحيرة

حدَّث سليمان بن بشر بن عبد الملك قال: كان بعض ولاة الكوفة يذمّ الحيرة في ايام بني أُميَّة. فقال لهُ رجل من اهلها وكان عاقلًا ظريفًا: أتعيبُ بلدةً بها يُضرب المثل في الجاهليَّة والاسلام. قال: وبماذا تُمدح. قال: بصحـة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها. تصلح للخفّ والظلف. سهلٌ وجبـلٌ وباديةٌ وبستان وبرٌّ وبحر. محلّ الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم. وقد قدمتَهـا أصلحك الله مخفًا فرجعتَ مثقلًا ودرتها مقلًا فاصارتك مُكثرًا. قال: فكيف نعرف ما وصفتهـا بهِ من الفضل. قلت: بأن تصير اليَّ ثم ادعُ ما شئتَ من لذات العيش فوالله لا أجوز بك الحيرة فيهِ. قال: فاصنع لنا صنيعًا واخرج من قولك. قلت: أفعلُ. فصنع لهم طعامًا واطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وأرانب وحبارى. وسقاهم ماءها في قلالهـا وخمرها في آنيتها. واجلسهم على رقمها (وكان يتخذ بها من الفرش اشياء ظريفة) ولم يستخدم لهم حرًّا ولا عبدًا الّا من مولديها ومولداتهـا من خدم ووصائف كانهم اللؤلؤ لغتهم لغة اهلها. ثم غنّاهم حُنين وأصحابه في شعر عديّ بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما. وحيَّاهم برياحينها ونقلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها. ثم قال لهُ: هل رايتني استعنت على شيء ممَّا رأيت واكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة. قال: لا والله ولقـد أحسنت صفة بلدك ونصرتهُ فأحسنتَ نصرتهُ والخروج ممـا تضمَّنتهُ. فبارك الله لكم في بلدكم

حُنَيْن وعُبيد الله بن سُرَيج

حدَّث ابو اسحق ابرهيم بن المهدي قال : كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العباديّ . فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ . فغنّاني عدّة اصوات لجدّهِ . فما استحسنتها لان الشيخ كان مشوَّه الخلق طنّ الغناء قليل الحلاوة الّا انهُ كان لا يفارق عمود الصوت ابدًا حتى يفرغ منهُ . فغنّاني صوت ابن سريج

فتركتهُ جزر السباع ينشنَهُ   ما بين قلّة رأسهِ والمعصمِ

فما أذكر اني سمعتهُ من أحدٍ قط أحسن مما سمعتهُ منهُ . فقلت لهُ : لقد أحسنت في هذا الصوت وما هو من أغاني جدك ولا من اغاني بلدك واني لأعجب من ذلك . فقال لي الشيخ : والصليب والقربان ما صُنع هذا الصوت الّا في منزلنا وفي سرداب لجدّي ولقد كاد أن يأتي على نفس عمي . فسألتهُ عن الخبر في ذلك فقال : حدّثني أبي أنَّ عبيد الله بن سريج قدم الحيرة ومعهُ ثلثمائة دينار . فأتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال : انا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر :

حنتني حانيات الدهر حتى   كأني خاتلٌ يدنو لصيدِ
قريب الخطو يحسب من رآني   ولستُ مقيّدًا أني بقيدِ

فخرجت بهذه الدنانير لانفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف الى منزلي . فسألهُ جدّي عن اسمه ونسبهِ فغيّرهما وانتمى الى بني مخزوم . فأخذ جدّي المال منهُ وقال : موفَّرٌ مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج اليهِ مثلك ما

نشطتَ للمقام عندنا . فاذا دعتك نفسك الى بلدك جهَّزناك اليهم ورددنا عليك مالك واخلفنا ما انفقتهُ عليك أنْ جئتنا . وأسكنهُ داراً كان ينفرد فيها . فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدّي ولا أحد من أهلنا انهُ يغنّي حتى انصرف جدّي من دار بشر بن مروان في يوم صائف مع قيام الظهيرة فصار الى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجدهُ مغلقاً . فارتاب بذلك ودقَّ الباب فلم يفتح لهُ ولم يجبهُ أحدٌ . فصار الى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنتهُ ولا جواريها ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج . مفتوحاً فانتضى سيفهُ ودخل الدار ليقتل ابنته . فلماَّ دخلها رأى ابنتهُ وجواريهــا وقوفاً على باب السرداب وهنَّ يُومينَ اليهِ بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت الى اشارتهنَّ لما تداخلهُ . الى أن سمع ترنُّم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يدهِ وصاح بهِ وقد عرفهُ من غير ان يكون رآهُ ولكن بالنعت والحذق : أبا يحيى جُعلت فداءك أتيتنا بثلثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا . فوحق المسيح لا خرجت منهــا الّا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى مــا جئت بهِ معك . ثم دخل اليهِ فعانقهُ ورحَّب بهِ ولقيهُ بخلاف ما كان يلقاهُ بهِ . وسألهُ عن هذا الصوت . فأخبرهُ انهُ صاغهُ في ذلك الوقت . فصار معهُ الى بشر بن مروان فوصلهُ بعشرة آلاف درهم أوَّل مرةٍ . ثم وصلهُ بعد ذلك بمثلها . فلماَّ أراد الخروج ردَّ عليهِ جدّي مالهُ وجهزهُ ووصلهُ بمقدار نفقته التي انفقها من مكة الى الحيرة . ورجع ابن سريج الى اهلهِ وقد أخذ جميع من كان في دارنا منهُ هذا الصوت

عبد الملك بن مروان وعاتكة وعمر بن بلال

كان عبد الملك بن مروان من اشدّ الناس حبًّا لعاتكة امرأته وهي ابنة يزيد بن معاوية وامّها امّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز وهي امّ يزيد بن عبد الملك . فغضبت مرّةً على عبد الملك وكان بينهما بابٌ فحجبتهُ وأغلقت ذلك الباب . فشقّ غضبها على عبد الملك وشكا الى رجلٍ من خاصتهِ يقال لهُ عمر بن بلال الاسديّ . فقال لهُ : ما لي عندك ان رضيَت . قال : حكمك . فأتى عمر بابها وجعل يتباكى وأرسل اليها بالسلام فخرجت اليهِ حاضنتها ومواليها وجواريها فقلنَ : ما لك . قال : فزعت الى عاتكة ورجوتها فقد علمتْ مكاني من امير المؤمنين معاوية ومن ابيها بعده . قلنَ : وما لك . قال : ابناي لم يكن لي غيرهما فقتل احدهما صاحبه فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل الآخر بهِ فقلت : انا الوليُّ وقد عفوتُ . قال : لا اعوّد الناس هذه العادة . فرجوتُ أن ينجي الله ابني هذا على يدها . فدخلنَ عليها فذكرنَ ذلك لها . فقالت : وكيف اصنع من غضبي عليهِ وما أظهرتُ لهُ . قلنَ : اذًا والله يُقتل . فلم يزلنَ حتى دعت بثيابها فأجمرتها ثم خرجت نحو الباب . فأقبل حُدَيج الخصيّ قال : يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قد أقبلت . قال : ويلك ما تقول قال : قد والله طلعت . فأقبلتْ وسلّمت . فلم يردّ . فقالت : أما والله لولا عمر ما جئتُ . انّ أحد ابنيهِ تعدّى على الآخر فقتلهُ فأردتّ قتل الآخر وهو الوليّ وقد عفا . قال : اني أكره ان اعوّد الناس هذه العادة . قالت : أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقد عرفت مكانه من امير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد وهو ببابي . فلم تزل بهِ حتى أخذت برجلهِ فقبّلتها . فقال : هو لكِ . ولم يبرحا حتى اصطلحا . ثم راح عمر بن بلال الى

عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيت . قال: رأينا أثرك. فهات حاجتك .
قال: مزرعةٌ بعُدَّتها وما فيها وألف دينار وفرائضٌ لولدي وأهل بيتي وعيالي .
قال: ذلك لك . ثم اندفع عبد الملك يتمثَّل بشعر كثيِّر

واني لأرعى قومها من جلالها وان اظهروا غشاً نصحتُ لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

مصارعة هلال لعبدٍ جبَّار

حدَّث مَن سمع هلالاً يقول: قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان . فلم أزل اضع عن ابلي وعليها احمال للتجار حتى أُخذ بيدي وقيل: أجب الأمير. (قال) قلت لهم: ويلكم ابلي واحمالي . فقيل: لا بأس على ابلك واحمالك . (قال) فانطلق بي حتى أُدخلت على الامير. فسلَّمت عليهِ ثم قلتُ: جُعلتُ فداك ابلي وأمانتي . (قال) فقال: نحن ضامنون لابلك وأمانتك حتى نؤديها اليك . (قال) فقلتُ عند ذلك: فما حاجة الامير اليَّ . جعلني الله فداه . فقال لي (والى جنبه رجل اصفر لا والله ما رأيت رجلاً قط اشدَّ خلقاً منهُ ولا أغلظ عنقاً ما أدري أطولهُ أكثر أم عرضهُ): ان هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عبداً يصارع الاَّ صرعهُ . وبلغني عنك قوَّة فأردتُ ان يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ما عنده من أوتار العرب . (قال) فقلتُ: جعلني الله فداء الامير اني لَغِبٌ نصبٌ جائع . فان رأى الامير ان يدعني اليوم حتى أضع عن ابلي وأؤدِّي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئهُ غداً فليفعل . (قال) فقال لأعوانهِ: انطلقوا معهُ فأعينوهُ على الوضع عن ابلهِ وأداء أمانته وانطلقوا بهِ الى

الطبخ فاشبعوهُ . ففعلوا جميع ما أمرهم بهِ . (قال) فظللتُ بقيَّة يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك باحسن حال شبعاً وراحةً وصلاح أمرٍ . فلمَّا كان من الغد غدوت عليهِ وعليَّ جبَّةٌ لي صوف وبتٌّ وليس عليَّ ازارٌ الَّا اني قد شددتُ بعمامتي وسطي . فسلَّمتُ عليهِ فردَّ عليَّ السلام وقال للاصفر : قم اليهِ فقد أرى الله اتاك بما يخزيك . فقال العبد : ائتزر يا اعرابي . فأخذتُ بتّي فاتزرتُ بهِ على جبَّتي . فقال : هيهات هذا لا يثبت . اذا قبضتُ عليهِ جاء في يدي . (قال) فقلتُ : والله ما لي من ازار . (قال) فدعا الامير بملحفةٍ ما رأيتُ قبلها ولا على جلدي مثلها . فشددت بها على حقوي وخلعتُ الجبَّة . (قال) وجعل العبد يدور حولي ويريد ختلي وأنا منهُ وَجِل ولا أدري كيف أصنع بهِ . ثم دنا مني دنوة فنفذ جبهتي بظفرهِ نقذةً ظننتُ انهُ قد شجَّني وأوجعني . فغاظني ذلك فجعلتُ أنظر في خلقهِ بمَ أقبض منهُ . فما وجدتُ في خلقهِ شيئاً أصغر من رأسهِ . فوضعتُ ابهامي في صدغهِ واصابعي الأُخَر في أصل اذنهِ الاخرى . ثم غمزتهُ غمزة صاح منها : قتلتني قتلتني . فقال الامير : اغمس رأس العبد في التراب . (قال) فقلتُ لهُ : ذلك لك عليَّ . (قال) فغمست والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغشيّ عليه . فضحك الامير حتى استلقى وأمر لي بجائزة وصلة وكسوة وانصرفتُ

الواثق وفريدة وابن بشخير

حدَّث ابن بشخير قال : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة اذا حضرتُ ركبتُ الى الدار . فان نشط أقمت عنده . وان لم ينشط انصرفت . وكان رسمنا ان لا يحضر أحد منَّا الَّا في يوم نوبتهِ . فاني لَفي منزلي في غير يوم نوبتي اذا

رُسُل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي: احضر. فقلتُ: ألخيرٍ. قالوا: خير. فقلت: انّ هذا يوم لم يُحضرني فيهِ أمير المؤمنين قط ولعلكم غلطتم. فقالوا: الله المستعان لاتطوّل وبادر فقد أُمرنا ان لا ندعك تستقرّ على الارض. فداخلني فزعٌ شديد وخفتُ ان يكون ساعٍ قد سعى بي أو بليَّة قد حدثت في رأي الخليفة عليّ. فتقدمتُ بما أردتُ وركبت حتى وافيت الدار فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل فمُنعت وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي الى ممرّاتٍ لا أعرفها. فزاد ذلك في جزعي وغمّي. ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم الى خدم حتى افضيت الى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب. ثم افضيت الى رواقٍ أرضهُ وحيطانهُ ملبسة بمثل ذلك. واذا الواثق في صدرهِ على سريرٍ مرصَّع بالجوهر وعليهِ ثيابٌ منسوجة بالذهب والى جانبهِ فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ. فلمَّا رآني قال: جوّدت والله يا محمد. الينا الينا. فقبّلت الارض ثم قلتُ: يا امير المؤمنين خيرًا. قال: خيرًا ما ترى. أنا طلبت والله ثالثًا يؤنسنا فلم أرَ أحقّ بذلك منك. فبحياتي بادر فكلْ شيئًا وبادر الينا. فقلت: قد والله يا سيدي أكلت وشربت ايضًا. قال: فاجلس. فجلست. وقال: هاتوا لمحمد رطلًا في قدح. فأُحضرت ذلك. واندفعتْ فريدة تغنّي:

أهابك اجلالاً وما بكِ قدرةٌ عليَّ ولكن ملء عين حبيبها

فجاءت والله بالسحر. وجعلتْ تغني الصوت بعد الصوت واغنّي أنا في خلال غنائها. فمرّ لنا أحسن ما مرّ لاحد. فأنا لكذلك اذ رفع رجله فضرب بها صدرَ فريدة ضربة تدحرجتْ منها من أعلى السرير الى الارض وتفتّت عودُها ومرّت تعدو وتصيح وبقيتُ أنا كالمنزوع الروح. فأطرق ساعةً الى الارض متحيرًا

وأطرقتُ اتوقّع ضرب العنق . فاني لكذلك اذ قال لي : يا محمد . فوثبتُ . فقال : ويحك أرأيت اغرب مما تهيأ علينا . فقلتُ : يا سيدي الساعة والله تخرج روحي . فعلى مَن اصابنا بالعين لعنة الله . فما كان السبب . ألذنبٌ . قال : لا والله ولكن فكرتُ ان جعفرًا يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني الى ما رأيت . فسُري عني وقلتُ : بل يقتل الله جعفرًا ويحيا أمير المؤمنين أبدًا . وقبلتُ الارض وقلتُ : يا سيدي الله الله ارحمها ومرّ بردّها . فقال لبعض الخدم الوقوف : مَن يجيءُ بها . فلم يكن باسرع من ان خرجتْ وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلمّا رآها لاطفها . فبكت وجعل هو يبكي واندفعتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي : وبايّ شيءٍ استوجبت هذا . فاعاد عليها ما قالهُ وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا وأرحت قلبك من الهمّ بي . وجعلت تبكي ويبكي . ثم مسحا اعينهما ورجعتْ الى مكانهـا . وأومأ الى خدمٍ وقوف بشيءٍ لا أعرفهُ . فمضوا وأحضروا اكياسًا فيها عين وورق ورزمًا فيها ثياب كثيرة . وجاء خادمٌ بدرجٍ ففتحهُ وأخرج منهُ عقدًا ما رأيتُ قط مثل جوهرٍ كان فيهِ . فألبسها ايّاهِ وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يديَّ وخمسة تخوت فيها ثياب . وعدنا الى أمرنا والى أحسن ممّا كنّا . فلم نزل كذلك الى الليل . ثم تفرّقنا وضرب الدهر ضربهُ

عربدة فُليح

اخبر زياد بن ابي الخطاب كاتب مسرور خادم الرشيد قال: سمعتُ محبوب بن المفتيّ يحدّث ابي قال: دعاني محمد بن سليمان بن عليّ فقال لي: قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن عَتّاب فصر اليهِ فاعلمهُ انهُ ان جاءني قبل أن يدخل الى الرشيد خلعت عليهِ خلعة سريّة من ثيابي ووهبتُ لهُ خمسة آلاف درهم. فمضيتُ اليهِ فخبرتهُ بذلك. فأجابني اليهِ اجابة مسرور بهِ نشيط لهُ وخرج معي فعدل الى حمّام كان بقربهِ فدعا القيّم فأعطاهُ درهمين وسألهُ ان يجيئهُ بشيء يأكلهُ ونبيذٍ يشربهُ. فجاءهُ برأس كأنهُ رأس عجلٍ ونبيذ دوشاني غليظ مسحوري رديء. فقلتُ لهُ: لا تفعل وجهدتُ بهِ أن لا يأكل ولا يشرب الّا عند محمد بن سليمان. فلم يلتفت اليَّ. فأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه وغنّى وغنّى القيم معهُ مليًّا. ثم خاطب القيم بما أغضبهُ وتلاحيا وتواثبا. فأخذ القيم شيئًا فضربهُ بهِ على رأسهِ فشجّهُ حتى جرى دمه. فلمّا رأى الدم على وجههِ اضطرب وجزع وقام يغسل جرحه ودعا بصوفةٍ محرقة وزيتٍ وعصبه. وتعمم وقام معي. فلمّا دخلنا دار محمد بن سليمان ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام فرأى سروره بهِ وطيبهُ وحضر النبيذ وآلته ومُدّت الستائر وغنّى الجواري أقبل عليَّ وقال: يا مجنون سألتك بالله أيّما أحقّ بالعربدة وأولى مجلس القيم أم مجلس الامير. فقلتُ: وكأنهُ لا بدَّ من عربدة. قال: لا والله ما لي منها بدّ. فأخرجتها من رأسي هناك. فقلتُ: امّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجود. فسألني محمد عمّا كنا فيهِ. فأخبرتهُ. فضحك ضحكًا كثيرًا وقال: هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء. وخلع عليهِ وأعطاهُ خمسة آلاف درهم.

ابن جامع وأبو يوسف القاضي

قدم ابن جامع قدمة لهُ من مكة على الرشيد وكان ابن جامع حسن السمت كثير الصلاة قد أخذ السجودُ جبهته وكان يعتمّ بعمامةٍ سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حمارًا مريسيًّا في زيّ أهل الحجاز. فبينا هو واقفٌ على باب يحيي بن خالد يلتمس الاذن عليهِ فوقف على ما كان يقف الناس عليهِ في القديم حتى يأذن لهم او يصرفهم. فأقبل أبو يوسف القاضي بأصحابهِ أهل القلانس. فلمّا هجم على الباب نظر الى رجلٍ يقف الى جانبهِ ويحادثهُ. فوقعت عينهُ على ابن جامع فرأى سمتهُ وحلاوة هيئتهِ فجاء فوقف الى جانبهِ. ثم قال لهُ: امتعَ الله بك. توسمتُ فيك الحجازية والقرشية. قال: اصبت. قال: فمن ايّ قريشٍ أنت. قال: من بني سهم. قال: فايّ الحرمين منزلك. قال: مكة. قال: ومَن لقيت من فقهائهم. قال: سَل عمن شئتَ. ففاتحهُ الفقه والحديث فوجد عنده ما أحبَّ فأعجب بهِ. ونظر الناس اليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغنّي. وأبو يوسف لا يعلم انهُ ابن جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه. ثم قالوا: لا لعله لا يعود الى مرافقته بعد اليوم فلا نغمهُ. فلمَّا كان الاذن الثاني ليحيي غدا عليهِ الناس وغدا عليهِ أبو يوسف. فنظر يطلب ابن جامع فرآهُ فذهب فوقف الى جانبهِ فحادثهُ طويلًا كما فعل في المرّة الاولى. فلمّا انصرف قال لهُ بعض اصحابهِ: ايها القاضي أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث. قال: نعم رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابنُ جامع المغنّي. قال: انّا لله. قالوا: ان الناس قد شهروك بمواقفتهِ وأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الاذن الثالث جاء ابو يوسف ونظر اليهِ فتنكّبهُ. وعرف ابن جامع انهُ

قد أُنذر بهِ فجاء فوقف فسلَّم عليهِ . فردَّ السلام عليهِ أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاهُ بهِ ثم انحرف عنهُ . فدنا منهُ ابن جامع وعرف الناس القصَّة . وكان ابن جامع جهيرًا فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ما لك تنحرف عني . أيّ شيء أنكرتَ . قالوا لك اني ابنُ جامع المغني فكرهتَ موافقتي لك . أسألك عن مسئلة ثم اصنع ما شئت . ومال الناس فاقبلوا نحوهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف لو ان اعرابيًا جلفًا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانهِ وقال :

يا دار ميَّة بالعلياء فالسندِ   أقوت وطال عليها سالف الأمدِ

أكنتَ ترى بذلك بأسًا . قال : لا قد رُوي عن النبيّ (صلعم) في الشعر قول ورُوي في الحديث . قال ابن جامع : فان قلتُ أنا هكذا . ثم اندفع يتغنى فيهِ حتى أتى عليهِ . ثم قال : يا أبا يوسف رأيتني زدتُ فيهِ او نقصتُ منهُ . قال : عافاك الله أعفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف أنتَ صاحب فُتيا ما زدتهُ على ان حسَّنتهُ بالفاظي فحسن في السماع ووصل الى القلب . ثم تنحَّى عنهُ ابن جامع

سوء حفظ رجل وجهلهُ بالقراءة

حدَّث محمد بن اسحاق قال : قيل لعمر بن عبد العزيز انَّ بالمدينة مخنَّثًا قد افسدها . فكتب الى عاملهِ بالمدينة أن يحملهُ . فادخل عليهِ فاذا شيخٌ خضيب اللحية والاطراف معتجر بسبنيَّةٍ قد حمل دفًّا في خريطتهِ . فلمَّا وقف بين يدي عمر صعد بصرهُ فيهِ وصوَّبهُ وقال : سوأة لهذه الشيبة وهذه القامة . أتحفظ القرآن . قال : لا والله يا أبانا . قال قبَّحك الله . وأشار اليهِ من حضرهُ فقالوا : اسكت . فسكت .

فقال لهُ عمر: أتقرأُ من المُفَصَّل شيئاً. قال: وما المفصل. قال: ويلك أتقرأُ من القرآن شيئاً: قال: نعم اقرأُ الحمد لله وأُخطئُ فيها في موضعين أو ثلاثة وأقرأُ قُل أعوذُ بربِ الناس وأُخطئُ فيها. وأقرأُ قُل هو الله أحدٌ مثل الماء الجاري. قال ضعوهُ في الحبس ووكلوا بهِ معلماً يعلمهُ القرآن وما يجب عليهِ من حدود الطهارة والصلاة وأجروا عليهِ في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلمهِ ثلاثة دراهم أُخر ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن اجمع. فكان كلما علم سورة نسي التي قبلها. فبعث رسولاً الى عمر: يا أمير المؤمنين وجه اليَّ من يحمل اليك ما أتعلمهُ أولاً فأولاً فاني لا أقــدر على حملهِ جملةً واحدة. فيئس عمر من فلاحهِ وقال: ما أرى هذه الدراهم الّا ضائعة ولو أطعمناها جائعاً وأعطيناها محتاجاً وكسوناها عرياناً لكان أصلح. ثم دعا به. فلماَّ وقف بين يديهِ قال لهُ: اقرأْ قُل يا أيها الكافرون. قــال: أسأل الله العافية. أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شرَّ ما فيهِ واصعبه. فأمر بهِ فوجئت عنقه ونفاه. فاندفع يغني وقد توجهوا بهِ. فلماَّ سمع الموكلون بهِ حسن ترنمهِ خلوهُ وقالوا لهُ: اذهب حيث شئت مصاحباً بعد استاعهم منهُ طرائف غنائهِ سائر يومهم وليلتهم

عبد الملك بن مروان ورجل من جديلة

اخبر محمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة ولم يسندهُ الى احد انَّ عبد الملك بن مروان لماَّ قدم الكوفة بعد قتلهِ مصعب بن الزبير جلس لعرض احياء العرب. فقــام اليهِ معبد بن خالد الجدليّ وكان قصيراً دميماً. فتقدَّمهُ اليهِ رجل مناَّ حسن الهيئة. (قال معبد) فنظر عبد الملك الى

الرجل وقال: ممّن أنت. فسكت ولم يقل شيئاً. وكان منّا. فقلتُ من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة. فأقبل على الرجل وتركني فقال: من ايكم ذو الاصبع. قال الرجل: لا أدري. قلتُ كان عدوانياً. فأقبل على الرجل وتركني وقال: لِمَ سُمّي ذا الاصبع. قال الرجل: لا أدري. فقلتُ نهشتهُ حيّة في اصبعهِ فيبست. فأقبل على الرجل وتركني فقال: وبمَ كان يسمّى قبل ذلك. قال الرجل: لا أدري. قلتُ كان يُسمّىَ حرثان. فأقبل على الرجل وتركني فقال: من أيّ عدوان كان. فقلتُ من خلفهِ: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمّا بنو ناجٍ فلا تذكرّنهم ولا تتبعنْ عينيك ما كان هالكا
إذا قلتُ معروفاً لاصلحَ بينهم يقول وهيبٌ لا أُسالمُ (١) ذلكا
فأضحى كظهر الفحل جبَّ سنامه يدبُّ الى الاعداء احدب باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال: أنشدني قوله: «عذيرَ الحيّ من عدوان». قال الرجل: لست أرويها. قلتُ: يا أمير المؤمنين ان شئتَ أنشدتك. قال: ادنُ مني فاني أراك بقومك عالماً. فأنشدتهُ:

وليس المرء في شيءٍ من الابرام والنقضِ
إذا أبرمَ أمراً خا لهُ يُقضى وما يقضي
يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضي
عذيرَ الحيّ من عدوا نَ كانوا حيّةَ الارضِ
بغى بعضهمُ بعضاً فلم يُبقوا على بعضِ

---

(١) ويروى: لا أسلم

فقد صاروا أحاديث بِرفع القول والخفضِ
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرضِ
ومنهم حَكَمٌ يقضي فلا يُنقض ما يقضي
ومنهم مَن يُجيز النا س (١) بالسنّةِ والفرضِ
وهم مَن ولدوا شبّوا بسرّ الحسَب المحضِ
وممّن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرضِ
وهم بوّوا ثقيفاً دا ر لا ذلٍ ولا خفضِ

فأقبلَ على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك. فقال: ألفان. فأقبل عليَّ فقال: كم عطاؤك. فقلتُ: خمسمائة. فأقبل على كاتبهِ وقال: اجعل الالفين لهذا والخمسمائة لهذا. فانصرفتُ بها

بشّار بن بُرْد

حدّث أبو عبيدة قال: كان برد أبو بشار طيّاناً حاذقاً بالتطيين. وولد لهُ

(١) قولهُ: (ومنهم من يجيز الناس) فان اجازة الحاج كانت لخزاعة. فأخذتها منهم عدوان فصارت الى رجل منهم يقال لهُ أبو سيارة أحد بني قايش بن يزيد بن عدوان. ولهُ يقول الراجز:

خلوا السبيل عن أبي سياره وعن مواليهِ بني فزاره
حتَّى يجيز سالماً حماره مستقبل الكعبة يدعو جاره

(قال) وكان أبو سيارة يجيز الناس في الحج بان يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول اللهمَّ اصلح بين نسائنا. وعادِ بين رعائنا. واجعل المال في سمحائنا. أوفوا بعهدكم. واكرموا جاركم. واقروا ضيفكم. ثم يقول: أشرف ثبير كيما نغير. وكانت هذه اجازتهُ. ثم ينفر ويتبعهُ الناس

بشّار وهو أعمى . فكان يقول : ما رأيت مولودًا أعظم بركةً منهُ ولقد وُلد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم . ولم يمت برد حتى قال بشار الشعر . وكان لبشار أخوان يقالُ لاحدهما بشر وللآخر بشير وكانا قصّابين . وكان بشار بارًّا بهما على انهُ كان ضيّق الصدر متبرمًا بالناس . فكان يقول : اللهمَّ اني كنت قد تبرمتُ بنفسي وبالناس جميعًا . اللهمَّ فارحمني منهم . وكان اخوته يستعيرون ثيابه فيوسخونها وينتنون ريحها . فاتخذ قميصًا لهُ جيبان وحلف أن لا يعيرهم ثوبًا من ثيابهِ . فكانوا يأخذونهـا بغير اذنهِ . فاذا دعا بثوبهِ فلبسهُ فأنكر رائحته فيقول اذا وجد رائحةً كريهـة من ثوبهِ : أينما أتوجه ألقَ سعدًا . فاذا أعياهُ الامر خرج الى الناس في تلك الثياب على نتنها ووسخهـا فيقال لهُ : ما هذا يا أبا معاذ فيقول هذه ثمرة صلة الرحم . (قال) وكان يقول الشعر وهو صغير . فاذا هجا قومًا جاءوا الى أبيهِ فشكوهُ فيضربهُ ضربًا شديدًا . فكانت امه تقول : كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه . فيقول : بلى والله اني لارحمه . ولكنهُ يتعرَّض للناس فيشكونهُ اليَّ . فسمعهُ بشار فطمع فيهِ فقال لهُ : يا أبتِ ان هذا الذي يشكونهُ مني اليك هو قول الشعر واني ان ألممتُ عليهِ أغنيتك وسائر أهلي . فان شكوني اليك فقل لهم : أليس الله يقول ليس على الأعمى حرج . فلمَّا عاودوه شكواه قال لهم برد ما قالهُ بشار . فانصرفوا وهم يقولون فقه بردٍ أغيظ لنا من شعر بشار

وحدَّث محمد بن الحجاج قال : كنا مع بشار فأتاه رجل فسألهُ عن منزل رجل ذكرهُ لهُ . فجعل يفهّمهُ ولا يفهم . فاخذ بيده وقام يقوّمهُ الى منزل الرجل وهو يقول :

أعمى يقودُ بصيرًا لا ابا لكمُ   قد ضلَّ من كانت العميان تهديهِ

حتى صار بهِ الى منزل الرجل . ثم قال لهُ: هذا هو منزله يا أعمى

بشار وروح بن حاتم

حدَّث نصر بن عبد الرحمن العجليّ قال: هجا بشار روحَ بن حاتم . فبلغهُ ذلك فقذفهُ وتهدده . فلمَّا بلغ ذلك بشارًا قال فيهِ :

تهدَّدني أبو خلفٍ وعن أوتارهِ ناما
بسيفٍ لابي صفرة م لا يقطع ابهاما
كأنَّ الورس يعلوهُ اذا ما صدرهُ قاما

(قال) فبلغ ذلك روحًا فقال : كل مالي صدقة ان وقعت عيني عليهِ لأضربنَّهُ ضربةً بالسيف ولو أنهُ بين يدي الخليفة . فبلغ ذلك بشارًا فقام من فورهِ حتى دخل على المهدي . فقال لهُ : ما جاء بك في هذا الوقت . فأخبرهُ بقصة روح وعاذ بهِ منهُ . فقال : يا نصير وجّه الى روح مَن يحضرهُ الساعة . فأرسل اليهِ في الهاجرة . وكان ينزل الحَرِم . فظنَّ هو وأهله انهُ دُعي لولاية . قال : يا روح اني بعثت اليك في حاجةٍ . فقال لهُ : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشار فاني حلفت في أمرهِ يمين غَمُوس . قال : قد علمتُ وأيّاهُ اردت . قال لهُ : فاحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين . فاحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربهُ ضربةً على جسمهِ بعرض السيف . وكان بشار وراء الخيش فأُخرج وأُقعد . واستلَّ روح سيفهُ فضربهُ ضربةً بعرضهِ . فقال : أوه . بسم الله . فضحك المهدي وقال لهُ : ويلك هذا وانما ضربك بعرضهِ وكيف لو ضربك بحدّهِ

هجو بشار لرجلٍ من بني زيد

حدَّث عيسى بن اسمعيل عن محمد بن سلام قال : وقف رجل من بني زيد شريف لا أُحبُّ أن اسميه على بشار فقال لهُ : يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم الى الانتفاء منّا وترغبهم في الرجوع الى اصولهم وترك الولاء وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الاصل . فقال لهُ بشار : والله لأصلي اكرم من الذهب ولفرعي أزكى من عمل الابرار . وما في الارض كلب يودّ ان نسبك لهُ بنسبهِ . ولو شئت ان أجعل جواب كلامك كلامًا لفعلت . ولكن موعدك غدًا بالمربد . فرجع الرجل الى منزلهِ وهو يتوهم انّ بشارًا يحضر معهُ المربد ليفاخره . فخرج من الغد يريد المربد فاذا رجل ينشد «شهدت على الزيديّ انّ . . .»

فسأل عمَّن قال هذا البيت . فقيل لهُ : هذا لبشار فيك . فرجع الى منزلهِ من فوره ولم يدخل المربد حتى مات . قال ابن سلام : وأنشد رجل يومًا يونس في هذه القصيدة وهي :

بلوت بني زيد فما في كبارهم ... حلوم ولا في الاصغرين مطهَّرُ
فابلغ بني زيد وقل لسراتهم ... وان لم يكن فيهم سراة توقَّرُ
لِأُمكم الويلاتُ ان قصائدي ... صواعق منهـا منجد ومغوّرُ
أجدهمُ لا يتَّقون دنيـة ... ولا يؤثرون الخير والخير يؤثرُ
يريدون مسعاتي ودون لقائها ... قناديل ابواب السموات تزهرُ
فقل في بني زيد كما قال معرب ... قوارير حجـام غدًا تتكسرُ

فقال يونس للذي أنشده : حسبك حسبك . مَن هيَّج هذا الشيطـان عليهم . قيل : فلان . فقال : رُبَّ سفيهِ قوم قد كسب لقومه شرًّا عظيمًا

موت بشّار

حدث عليُّ بن حمّاد النوفليّ عن ابيه قال : خرج بشّار الى المهدي ويعقوب بن داود وزيره فمدحه ومدح يعقوب . فلم يحفل بهِ يعقوب ولم يعطهِ شيئاً . ومرّ يعقوب ببشّار يُريد منزله . فصاح بهِ بشار : « طال الثواء على رسوم المنزلِ » . فقال يعقوب : « فاذا تشاء أبا معاذ فارحلِ » . فغضب بشار وقال يهجوه :

بني أُميّة هبُّوا طال نومكمُ ان الخليفة يعقوب بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزقّ والعودِ

(قال النوفلي) فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليهِ وكان من عادة بشار اذا أراد ان ينشد أو يتكلم أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق باحدى يديه على الاخرى . ففعل ذلك وأنشد :

يعقوب قد ورد العفاة عشية متعرّضين لسَيبك المنتابِ
فسقيتهم وحسبتني كمُّونةً نبتت لزارعها بغير شرابِ
مهلًا لديك فانني رَيحانة فاشمم بانفك واسقها بذنابِ
طال الثواء عليَّ تنظر حاجةً شمطت لديك فمن لها بخضابِ
تعطي الغزيرة درّها فاذا أبت كانت ملامتها على الحلَّابِ (١)

(قال) فلم يعطف ذلك يعقوب عليهِ وحرمه . فانصرف الى البصرة

---

(١) يقول ليعقوب : انت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي اذا لم يوصل الى درّها فليس ذلك من قبلها انما هو من منع الحالب منها . وكذلك الخليفة ليس من قبله لسعة معروفه انما هو من قبل السبب اليه

مغضباً فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء . وذلك كله على يدي يعقوب . فلم يعطِ بشارًا شيئًا من ذلك . فجاء بشّار الى حلقة يونس النحوي فقال: هل ههنا أحد يحتشم . قالوا لهُ: لا . فأنشأ بيتًا يهجو فيهِ المهدي . فسعى بهِ أهل الحلقة الى يعقوب

فدخل يعقوب على المهدي فقال لهُ: يا أمير المؤمنين انَّ هذا الاعمى الملحد الزنديق قد هجاك . فقال: بايّ شي . فقال: بما لا ينطق بهِ لساني ولا يتوهمهُ فكري . قال لهُ: بحياتي الّا انشدتني . فقال: والله لو خيرتني بين انشادي اياه وبين ضرب عنقي لأخترت ضرب عنقي . فحلف عليه المهدي بالايمان التي لا فسحة فيها أن يخبره . فقال: أمَّا لفظاً فلا ولكني اكتب ذلك . فكتبهُ ودفعه اليه . فكاد ينشقُّ غيظاً . وعمد على الانحدار الى البصرة للنظر في امرها وما وكزه غير بشار . فانحدر فلما بلغ الى البطيحة سمع أذاناً في وقت ضحى النهار فقال: انظروا ما هذا الاذان . فاذا بشار يؤذن سكران . فقال لهُ: يا زنديق عجبت أن يكون هذا غيرك أتلهو بالاذان في غير وقت صلاة وأنت سكران . ثم دعا بابن نهيك فأمر بضربه بالسوط . فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها . فكان اذا أوجعهُ السوط يقول حِسِّ (١) . فقال لهُ بعضهم انظر الى زندقتهِ يا أمير المؤمنين يقول حسّ ولا يقول بسم الله . فقال: ويلك أطعام هو فاسمّي الله عليه . فقال لهُ الآخر: أفلا قلتَ الحمد لله . قال: أو نعمة هي حتى احمد الله عليها . فلما ضربه سبعين سوطاً بانَ الموت فيه . فألقي في سفينة حتى مات . ثم رمي به في البطيحة . فجاء بعض اهله فحملوه الى البصرة فدُفن بها

---

(١) وهي كلمة تقولها العرب للشيء اذا اوجع

عمرو بن معاوية والامير سليمان وطارق بن المبارك

اخبر طارق بن المبارك عن أبيه قال: جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة فقال لي: يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السنّ كثير العيال منتشر المال فما أكون في قبيلة الّا شُهر أمري وعُرفتُ. وقد اعتزمتُ على ان أفدي حرمي بنفسي. وأنا صائر الى باب الامير سليمان بن عليّ. فصر اليّ. فوافيتهُ فاذا عليهِ طيلسان مطبق ابيض وسراويل وشي مسدول. فقلت: يا سبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها. أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تُريد لقاءهم فيهِ. فقال: لا والله ولكنه ليس عندي ثوب الّا أشهر من هذه. فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانهُ ولويت سراويله الى ركبتيه. فدخل ثم خرج مسروراً. فقلت لهُ: حدثني ما جرى بينك وبين الامير. قال: دخلت اليهِ ولم نتراءَ قط فقلت: أصلح الله الامير لفظتني البلاد اليك ودلّني فضلك عليك. فإما قتلتني غانماً وامّا رددتني سالماً. فقال: ومَن أنت فأعرفك. فانتسبت لهُ. فقال: مرحباً بك اقعد فتكلم آمنا غانماً. ثم أقبل عليّ فقال. ما حاجتك يا ابن اخي. فقلت: انّ الحرم اللواتي أنت أقرب الناس اليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدنا قد خفن لخوفنا. ومن خاف خيف عليهِ. فوالله ما أجابني الّا بدموعه على خدّيهِ. ثم قال: يا ابن اخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفّر عليك مالك ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتني رقاعك (قال) فكنت والله أكتب اليهِ كما يكتب الرجل الى ابيه وعمه. (قال)

فلما فرغ من الحديث رددت عليهِ طيلسانه . فقال : مه فانَّ ثيابنا اذا فارقتنا لن ترجع الينا

ابن هرمة والغفاري ويوسف بن موهب

حدّث ابو سلمة الغفاري عن ابيه قال : وفدت على المهدي في جماعة من اهل المدينة . وكان فين وفد يوسف بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل . وكان معنا ابن هرمة . فجلسنا يوماً على دكان قد هُيّئ لمسجد ولم يُسقَّف في عسكر المهدي . وقد كنّا نلقى الوزراء وكبراء السلطان وكانوا قد عرفونا . واذا حيال الدكَّان رجل بين يديه ناطف يبيعهُ في يوم شاتٍ شديد البرد . فأقبل اذ ضربه بفأسه فتطاير جفوفاً . فأقبل ابن هرمة علينا فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله (صلعم) أما معك درهم نأكل بهِ من هذا الناطف . فقال لهُ : متى عهدتني أحمل الدراهم . (قال) فقلت لهُ : لكني أنا معي . فأعطيتهُ درهماً خفيفاً فاشترى بهِ ناطفاً على طبق للناطفيّ . فجاء بشيء كثير . فأقبل يتمضَّغهُ وحده ويحدّثنا ويضحك . فما راعنا الّا موكب أحد الوزيرَين أَبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلت المُطرِقة . فقلنا : مالك قاتلك الله يهجم علينا هذا وأصحابه فيرون الناطف بين أيدينا فيظنُّون انّا كنا نأكل معك . قال : فوالله ما أحد أولى بالستر على اصحابه وتقلُّد البليَّة منك يا ابن عم رسول الله . فضعه بين يديك . قال : اعزبْ قبَّحك الله . قال : فأنت يا ابن أَبي ذرّ . فزبرتُه . (قال) فقال : قد علمت انهُ لا يُبتلى بهذا الّا ظريف .

ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقَّى بهِ الموكب . فما مرَّ بهِ أحد لهُ نباهة الّا مازحه حتى مضى القوم جميعاً

ابن هرمة ومحمد بن عمران

حدث عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال : حدثني عمي عمران ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : وافينا الحج في عام من الاعوام الخالية . فاصبحت بالسيالة : فاذا ابراهيم بن عليّ بن هرمة يأتينا . فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز . فأذن لهُ . فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ألا أُخبرك ببعض ما تستظرف . قال : بلى وربما فعلتَ يا أبا اسحق . قال : فانهُ أصبح عندنا ههنا منذ أيام محمد بن عمران واسمعيل بن عبد الله بن جبير وأصبح ابن عمران بجملين لهُ ظالعين . فاذا رسوله يأتيني أن : أجبْ . فخرجت حتى أتيتهُ . فأخبرني بظلع جمليه وقال لي : أردت أن ابعث الى ناضحين لي بعَمْق لعلّي أُوتى بهما الى ههنا لأمضي عليهما ويصير هذان الظالعان الى مكانهما . ففرّغ لنا دارك واشترِ لنا علفاً وأستلنهُ بجهدك . فانَّا مقيمون ههنا حتى يأتينا جمالنا . فقلت : في الرحب والقرب والدار فارغة وزوجته طالق ان اشتريتَ عود علف عندي حاجتك منه . فأنزلته ودخلت الى السوق فما أبقيت فيهِ شيئاً من رِسْل ولا جداء ولا طرفة ولا غير ذلك الّا ابتعت منهُ فاخره وبعثت بهِ اليه مع دجاج كان عندنا . (قال) فبينما أنا أدور في السوق اذ وقف عليَّ عبد لاسمعيل بن عبد الله يساومني بجمل علف لي . فلم ازل أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم وذهب بهِ فطرحه لظهره . وخرجت عند الرواح

أتقاضى العبد ثمن حملي فاذا هو لاسمعيل بن عبد الله ولم أكن دريتُ. فلمّا رآني مولاه حياني ورحّب بي وقال: هل من حاجة يا أبا اسحق. فاعلمه العبد أن العلف لي. فأجلسني فتغدّيت عنده. ثم امر لي مكان كل درهم منها بدينار. وكانت معهُ زوجته فاطمة بنت عباد فبعثتْ اليَّ بخمسة دنانير. (قال) وراحوا وخرجت بالدنانير ففرّقتها على غرماني وقلت: عند ابن عمران عوض منها. (قال) فأقام عندي ثلاثاً. وأتاه جمّاله فما فعل بي شيئاً. فبينا هو يترحّل وفي نفسه مني ما لا أدري بهِ اذ كلّم غلاماً لهُ بشيء. فلم يفهم. فأقبل عليَّ فقال: ما أقدر على افهامه مع قعودك عندي قد والله اذيتني ومنعتني ما أردتُ. فقمتُ مغتمّاً بالذي قال. حتى اذا كنت على باب الدار لقيني انسان فسألني هل فعل اليَّ شيئاً. فقلت: أنا والله بخير اذ تلف مالي ورجحت بدني. (قال) وطلع عليَّ وأنا أقولها فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي. وزعم ان لولا احرامه لضربني وراح وما أعطاني درهماً. فقلت:

يا مَن يعين على ضيفٍ ألمَّ بنا ليس بذي كرم يُرجى ولا دينِ
أقام عندي ثلاثاً سُنَّة سلفت أغضيت منها على الاقذاء والهونِ
مسافة البيت عشر غير مشكلة وأنت تأتيه في شهرٍ وعشرينِ
لست تبالي فوات الحج ان نصبت ذات الكلال وأسمنت ابن حرقينِ
تحدّث الناس عمّا فيك من كرمٍ هيهات ذاك لضيفان المساكينِ
أصبحت تخزن ما تحوي وتجمعهُ أبا سليمان من أشلاء قارونِ
مثل ابن عمران آباء لهُ سلفوا يجزون فعل ذوي الاحسان بالدونِ
ألا تكون كاسمعيل انّ لهُ رأياً أصيلاً وفعلاً غير ممنونِ
أو مثل زوجته فيما الم بها هيهات من أُمها ذات النطاقينِ

فلمّا انشدها قال لهُ محمد بن عبد العزيز : نحن نعينك يا أبا اسحق لقوله «يامن يعين» . قال : قد رفعك الله عن العون الذي أُريده . ما أردت الّا رجلًا مثل عبد الله بن خنزيرة وطلحة اطباء الكلبة يمسكُونه لي وآخذ خوط سلم فأُوجع بهِ خواصره وجواعره . (قال) ولمـّا بلغ في انشاده الى قولهِ «مثل ابن عمران آباء لهُ سلفوا» أقبل عليَّ فقال : عذرًا الى الله تعالى واليكم اني لم أعنِ من آبائه طلحة بن عبيد الله . (قال) ونزل اليهِ اسمعيل بن جعفر بن محمد وكان عندنا فلم يكلمهُ حتى ضرب أنفهُ وقال لهُ : فعنيت من آبائهِ أبا سليمان محمد بن طلحة يا دعيّ . (قال) فدخلنا بينهما وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهُ الى ابن هرمة يدعوه . فذهب اليهِ . فقال لهُ : ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان . والله لا ارضى حتى تحلف ان لا تقول لهُ ابدًا الّا خيرًا وحتى تلقاه فترضاه اذا رجع وتحتمل كل ما زلّ اليك وتمدحهُ . قال : أفعلُ بالحبّ والكرامة . قال : واسمعيل بن جعفر لا تعرضَ لهُ الّا بخير . قال: نعم . (قال) فأخذ عليهِ الايمان فيهما وأعطاه ثلاثين دينارًا . وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها . (قال) واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران :

ألم ترَ أنَّ القول يخلص صدقهُ　　وتأبى فما تزكو لباغ بواطلهْ
ذممت امرءًا لم يطبع الذمّ عرضهُ　　قليلًا لدى تحصيله من يشاكلهْ
فما بالحجاز من فتى ذي امارةٍ　　ولا شرف الّا ابن عمران فاضلهْ
فتىً لا يطور الذمّ ساحة بيتهِ　　وتشقى بهِ ليل التمام عواذلهْ

حكَم الوادي ويحيى بن خالد والجارية دنانير

قال حكم الوادي: دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي: يا أبا يحيى ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت. قلت: ومن لي بها. قال: تلقى لحنك في "ذكرتك ان فاض الفرات بارضنا" على دنانير. فها هي ذه. وهذا سلام واقف معك ومُخرجها اليك. وانا راكب الى امير المؤمنين ولست انصرف من مجلس المظالم الى وقت الظهر. فكدّها فيه. فاذا أحكمتهُ فلكَ خمسمائة. فقالت دنانير: يا سيدي ابو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وانا أبقى معك أُقاسيك عمري كلهُ. فقال لها: ان حفظتيه فلكِ ألف دينار. وقام فمضى. فقلتُ لها: ياسيدتي أشغلي نفسك بذا. فانكِ أنتِ تهبين لي الخمسمائة الدينار بحفظك اياه وتفوزين بالالف الدينار. والّا بطل هذا. فلم ازل معها اكدّها ونفسي وتغنيني حتى انصرف يحيى. فدعا بماء وطست. ثم قال: يا ابا يحيى غنّ الصوت كما كنت تغنيه. فقلت: هلكتُ. يسمعه مني وليس هو ممن يخفى عليهِ ثم يسمعهُ منها فلا يرضاه. فلم اجد بدًّا من الغناء. ثم قال: غنيهِ أنت الآن. فغنت. فقال: والله ما ارى الّا خيرًا. فقلتُ: جعلت فداءك انا امضغُ هذا منذ اكثر من خمسين سنة كما امضغ الخبز وهذه أخذتهُ الساعة وهو يذلّ لها بعدي وتجترئ عليهِ وتزداد حسنًا في صوتها. فقال: صدقتَ. هاتِ يا سلام خمسمائة دينار ولها الف دينار. ففعل. فقالت لهُ: وحياتك يا سيدي لأشاطرنَّ استاذي الالف الدينار. قال: ذلك اليك. ففعلت. فانصرفتُ وقد اخذت بهذا الصوت الف دينار

حمزة بن عبد الله والي البصرة

حدَّث المدائني قال: لما قدم حمزة بن عبد الله البصرة والياً عليها وكان جواداً شجاعاً مخلطاً يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكهُ الأوهبهُ ويمنع احياناً ما لا يمنع من مثله فظهرت منهُ بالبصرة خفة وضعف . وركب يوماً الى فيض البصرة فلماَّ رآه قال: ان هذا الغدير ان رفقوا بهِ ليكفينَّهم صيفتهم هذه . فلماَّ كان بعد ذلك ركب اليه فوافقهُ جازرًا فقال: قد رأيته ذات يوم فظننت ان لن يكفيهم . فقال لهُ الاحنف: ان هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود . ثم انهُ سمع بذكر الجبل بالبصرة . فدعا بعامله فقال لهُ: ابعث فأتنا بخراج الجبل . فقال لهُ: ان الجبل ليس ببلدٍ فآتيك بخراجهِ . وبعث الى مردانشاه فاستحثهُ بالخراج . فأبطأ بهِ . فقام اليهِ بسيفه فقتلهُ . فقال لهُ الأحنف: ما أحدَّ سيفك ايها الامير . وهمَّ بعبد العزيز بن شبيب بن خيَّاط ان يضربهُ بالسياط . فكتب الى ابن الزبير بذلك وقال لهُ: اذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها وأعد اليها مصعباً . ففعل ذلك . وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبهُ بقوله في امر الماء الذي رآه قد جزر:

يا ابن الزبير بعثتَ حمزة عاملًا   ياليتَ حمزة كان خلف عمانِ
ازرى بدجلة حين عبَّ عبابها   وتقاذفت بزواخر الطوفانِ

يحيي بن الحكم والمخنَّثين

خرج يحيي بن الحكم وهو امير على المدينة فبصر بشخص بالسَبَخة مماَّ

يلي مسجد الاحزاب . فلماً نظر الى يحيي بن الحكم جلس . فاستراب بهِ فوجّه اعوانهُ في طلبهِ . فأُتي بهِ كانهُ امرأة في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب . فقال لهُ اعوانهُ : هذا ابن نغاش المخنَّث . فقال لهُ : ما احسبُك تقرأُ من كتاب الله عزَّ وجلَّ شيئاً . اقرأ أُمَّ القرآن . فقال : يا أَبانا لو عرفتُ أُمَّهنَّ عرفت البنات . فقال لهُ : أَتهزأُ بالقرآن لا أُمَّ لك . وأَمر بهِ فضربت عنقهُ . وصاح في المخنثين من جاء بواحد منهم فلهُ ثلثمائة درهم . (قال زرجون المخنث) فخرجت بعد ذلك أُريد العالية فاذا بصوت دفّ أَعجبني فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آنسُ بهم . ففتحتهُ ودخلت . فاذا بطويس قائم في يده الدفُّ يتغنَّى . فلماً رآني قال لي : ايه يا زرجون قتل يحيي بن الحكم ابنَ نغاش . قلت : نعم . قال : وجعل في المخنثين ثلثمائة درهم . قلت : نعم . فاندفع يغنّي

ما بال أهلك يا ربابُ خزرًا كانهمُ غضابُ
ان زرت أهلك أَوعدوا وتهرُّ دونهم كلابُ

ثم قال لي : ويحك أَفما جعل فيَّ زيادة ولا فضَّلَني عليهم في الجعل بفضلي

التقاء الاحوص بآل الزبير

حدَّث الزبير بن حبيب عن ابيهِ حبيب بن ثابت قال : خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير الى العمرة . فانَّا لبقرب قُدَيدٍ اذ لحقنا الاحوص الشاعر على جمل برحل فقال : الحمد لله الذي وفقكم لي . ما أُحبُّ أَنكم غيركم . وما زلت احرّك في آثاركم مذ رفعتم لي فقد ازددتُ بكم غبطة .

فأقبل عليهِ محمد وكان صاحب جدّ يكره الباطل واهلهُ فقال: لكنَّا والله ما اغتبطنا بك ولا نحبُّ مسايرتك فتقدَّم عنـاً او تأخر. فقال: والله ما رأيتُ كاليوم جواباً. قال: هو ذاك. (قال) وكان محمد صاحب جدّ فأشفقنا مما صنع ومعهُ عدّة من آل الزبير فلم يقدر أحد منهم أن يردَّ عليهِ. (قال) وتقدَّم الاحوص ولم يكن لي شأن غير أن اعتذر اليهِ. فلما هبطنا من المشلّل على خيمتَي امّ معبد سمعتُ الاحوص يهمهمُ بشيءٍ. فتفهَّمتهُ فاذا هو يقول: خيمتي أمّ معبدٍ... محمدٍ. كأنهُ يهيّئ القوافي. فامسكت راحلتي حتى جاءني محمد فقلت: اني سمعت هذا يهيّئ لك القوافي. فاما اذنتَ لنا ان نعتذر اليهِ ونرضيه واما ان خليت بيننا وبينهُ فنضربهُ فانَّا لا نصادفهُ في أخلى من هذا المكان. قال: كلاً ان سعد بن مصعب قد أخذ عليهِ ان لا يهجو زبيريًّا أبداً. فان فعل رجوتُ ان يخزيه الله. دعهُ

حبس الاحوص بدَهْلَك

حدّث مصعب بن عثمان قال: كان الاحوص ينسب بنساء ذوات اخطار من اهل المدينة ويتغنّى في شعرهِ معبدٌ ومالكٌ ويشيع ذلك في الناس. فنهي فلم ينتهِ. فُشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه اليهِ. ففعل ذلك. فكتب سليمان الى عامله يأمره أن يضربهُ مائة سوط ويقيمهُ على البَلَس للناس ثم يصيّره الى دهلك. ففعل ذلك بهِ. فثوى هناك سلطانَ سليمانَ بن عبد الملك. ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب اليهِ يستأذنهُ في القدوم ويمدحه. فأبى ان يأذن لهُ. وكتب

فيما كتب اليهِ بهِ :

ايا راكبًا امَّا عرضت فبلّغنْ ... هُديتَ اميرَ المؤمنين رسائلي

وقل لابي حفص اذا ما لقيتَهُ ... لقد كنت نفّاعًا قليل الغوائلِ

وكيف ترى للعيش طيبًا ولذةً ... وخالك امسى موثقًا في الحبائلِ

(قال) فأتى رجالٌ من الانصار عمرَ بن عبد العزيز فكلّموه فيهِ وسألوه أن يقدمه وقالوا لهُ: قد عرفت نسبهُ وموضعهُ وقديمهُ وقد أُخرج الى ارض الشوك فنطلب اليك ان تردّه الى حرم رسول الله (صلعم) ودار قومهِ. فقال لهم عمر: انه لَفاسق والله لا أَردّه ما كان لي سلطان. (قال) فمكث هناك بعد ولاية عمر صدرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك. (قال) فبينما يزيد وجاريته حبابة ذات ليلة على سطح تغنيهِ بشعر الاحوص قال لها: من يقول هذا الشعر. قالت: لا وعينيك ما أدري. (قال) وقد كان ذهب من الليل شطره. فقال: ابعثوا الى ابن شهاب الزُهريّ فعسى ان يكون عنده علم من ذلك. فأُتي الزهري فقُرع عليهِ بابهُ. فخرج مروّعًا الى يزيد. فلمَّا صعد اليهِ قال لهُ يزيد: لا ترعْ لم ندعُكَ الّا لخير اجلسْ. من يقول هذا الشعر. قال: الاحوص بن محمد يا امير المؤمنين. قال: ما فعل. قال: قد طال حبسه بدهلك. قال: قد عجبتُ لعُمَر كيف اغفلهُ. ثم أمر بتخلية سبيلهِ ووهب لهُ أربعمائة دينار. فأقبل الزهري من ليلته الى قومه من الانصار فبشّرهم بذلك

ابو سعيد مولى فائد ومحمد بن عمران

حدَّث ابو اسحق ابراهيم بن المهدي قال: حدَّثني دنية المدنيّ صاحب

العبّاسة بنت المهدي وكان آدب من قدم علينا من اهل الحجاز انّ أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لابي جعفر وكان مقدّماً لابي سعيد . فقال لهُ ابن عمران التيمي : يا ابا سعيد أنت القائل

لقد طفت سبعاً قلت لمـا قضيتها　　ألا ليت هذا لا عليَّ ولا ليا

فقال : اي لعمرُ أبيك . واني لادمجه ادماجا من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادتهُ في ذلك المجلس . وقام ابو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف ان لا يشهد عنده ابدًا . فانكر اهل المدينة على ابن عمران ردّه شهادتهُ وقالوا : عرّضت حقوقنا للتواء واموالنا للتلف لأنّا كنّا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليهِ والقضاة قبلك من الثقة بهِ وتقديمه وتعديله . فندم ابن عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ووجّه اليـهِ يسألهُ حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادتهِ . فامتنع وذكر انهُ لا يقدر على حضور مجلسهِ ليمينٍ لزمته ان حضره حنث . (قال) فكان ابن عمران بعد ذلك اذا ادّعى أحد عنده شهادة ابي سعيد صار اليـهِ الى منزلهِ او مكانهِ من المسجد حتى يسمع منهُ ويسألهُ عمّا يشهد بهِ فيخبرهُ . وكان محمد بن عمران كثير اللحم عظيم البطن كبير العجيزة صغير القدمين دقيق الساقين يشتدّ عليهِ المشي . فكان كثيرًا ما يقول : لقد اتعبني هذا الصوت « لقد طفت سبعاً » وأضرَّ بي ضررًا طويلًا شديدًا . وانا رجل ثقال بتردّدي الى أبي سعيد لأسمع شهادتهُ

ابراهيم بن المهدي وابو سعيد مولى فائد

حدّث ابن جبر قال : سمعت ابراهيم بن المهدي يقول : كنت بمكّة في المسجد

الحرام فاذا شيخ قد طلع وقد قلب احدى نعليـهِ على الاخرى وقام يصلي. فسألتُ عنـهُ فقيل لي: هذا ابو سعيد مولى فائـد. فقلت لبعض الغلمان: احصبهُ. فحصبهُ فأقبـل عليهِ وقال: ما يظنُّ احدكم اذا دخل المسجد الّا انهُ لهُ. فقلت للغلام: قل لهُ يقول لك مولاي: ابلغني. فقـال ذلك لهُ. فقال لهُ ابو سعيد: من مولاك حفظهُ الله. قال: مولاي ابرهيم بن المهدي. فمن انت. قال: انا ابو سعيد مولى فائد. وقام فجلس بين يديَّ وقال: لا والله بأبي انت وامي ما عرفتك. فقلت: لا عليك. أخبرني عن هذا الصوت:

أَفاض المدامع قتـلى كدا   وقتلى بكثوة لم ترمسِ (١)

قال: هو لي. قلت: وربِّ هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه. قال: وربِّ هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه. (قال) ثم قلب احدى نعليه وأخذ بعقب الاخرى وجعل يقرع بجرفها على الاخرى ويغنيهِ حتى أتى عليهِ فأخذته منهُ

والشعر الذي غنى فيهِ ابو سعيد هو للعبلي واسمهُ عبد الله بن عمر ويكنى ابا عديّ. حدَّثَ سليمان بن العباس السعديّ قال: جاء عبد الله بن عمر العبلي الى سويقة وهو طريد بني العباس وذلك بعقب آخر أيام بني امية وابتداء خروج

---

(١) حدث المرزبـان قال: كنّا عند ابن الاعرابي وحضر معنا ابو هفان. فانشدنا ابن الاعرابي عمن انشده قال: قال ابن ابي سبة العبلي:

افاض المدامع قتلى ـــكذا   وقتـلى بكبوة لم ترمسِ

فغمز ابو هفان رجلًا وقال لهُ: قل لهُ ما معنى «ـــكذا». قال: يريد كثرتهم. فلما قمنا قال لي ابو هفان: اسمعت الى هذا المعجب الرقيع صحف اسم الرجل هو ابن ابي سنة «فقال ابن ابي سبة» وصحف في بيت واحد موضعين فقال «قتلى ـــكذا» وهو «كدا» و «قتلى بكبوة» وهو «بكثوة». واغلظُ عليَّ من هذا انهُ يفسّر تصحيفـهُ بوجه وقاح

ملكهم الى بني العباس . فقصد عبد الله وحسنا ابني الحسن بن الحسن بسويقة فاستنشده عبد الله بن حسن شيئاً من شعره فأنشده . فقال لهُ : أُريد ان تنشدني شيئاً مما رثيت بهِ قومك . فأنشده قولهُ

تقول امامة لما رأت ... نشوزي عن المضجع الأنفسِ
وقلّة نومي على مضجعي ... لدى هجعة الاعين النُّعَّسِ
أبي ما عراك فقلتُ الهموم ... عرونَ اباكِ فلا تبلسي
عرون أباكِ فحبّسنهُ ... من الذل في شرّ ما محبسِ
لفقدِ الاحبة اذ نالها ... سهام من الحدث المبئسِ
رمتها المنون بلا نكل ... ولا طائشات ولا نكسِ
باسهمها المتلفات النفوس ... متى ما تصب مهجة تخلسِ
فصرّعنهم في نواحي البلاد ... م ملقىً بارض ولم يرمسِ
تقيٌّ أصيب واثوابهُ ... من العيب والعار لم تدنسِ
وآخر قد دُسّ في حفرة ... وآخر قد طار لم يحسسِ
اذا عنّ ذكرهمُ لم ينم ... أبوكِ وأوحش في المجلسِ
فذاك الذي غالني فاعلمي ... ولا تسألي بامرىءٍ متعسِ
أذلّوا قناتي لمن رامها ... وقد الصقوا الرغم بالمعطسِ
افاض المدامع قتلى كدا ... وقتلى بكثوة لم ترمسِ
وقتلى بوجّ وباللأبتين ... م من يثرب خير ما انفس
وبالزابيين نفوسٌ ثوت ... وأُخرى بنهر ابي بطرس
أُولئك قومي أناخت بهم ... نوائب من زمن مُتعسِ
اذا ركبوا زينوا الموكبين ... وان جلسوا الزين في المجلسِ

فما أنس لا انسَ قتلاهمُ ولا عاش بعدهمُ من نسي

(قال) فرأيت عبدالله بن حسن وان دموعهُ لتجري على خده

الشاة الحلوبة

حدَّث ابراهيم بن سكرة جار ابي ضمرة قال: جلس ابن هرمة مع قوم على شراب فذكر الحكم بن المطلب فأطنب في مدحه. فقالوا لهُ: انك لتكثر ذكر رجل لو طرقتهُ الساعة في شاة يُقال لها غزْراء تسألهُ اياها لردَّك عنها. فقال: أهو يفعل هذا. قالوا: اي والله. وكانوا لقد عرفوا ان الحكم بها معجب وكانت في داره سبعون شاة تحلب. فخرج وفي رأسهِ ما فيهِ. فدقَّ الباب فخرج اليهِ غلامهُ. فقال لهُ: أعلم أبا مروان بمكاني. وكان قد أمر أن لا يحجب ابراهيم بن هرمة عنهُ. فاعلمه بهِ. فخرج اليهِ متشحًا فقال: أفي مثل هذه الساعة يا ابا اسحق. فقال: نعم جُعلت فداك. وُلد لاخٍ لي مولود فلم تدرَّ عليهِ امّه. فطلبوا لهُ شاة حلوبة فلم يجدوها. فذكرت شاة عندك يُقال لها غزّاء فسألني ان اسأَلكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة والله لا تبقى في الدار شاة الّا انصرفت بها. سقهنَّ معهُ يا غلام. فساقهنَّ. فخرج بهنَّ الى القوم. فقالوا: ويحك اي شيْ صنعت. فقصَّ عليهم القصة. (قال) وكان فيهنَّ ما ثمنهُ عشرة دنانير وأكثر من عشرة

معاوية والوليد بن عقبة

حدَّث عيسى بن يزيد قال: وفد الوليد بن عقبة وكان جوادًا على

معاوية . فقيل لهُ : هذا الوليد بن عقبة بالباب . فقال : والله ليرجعنّ معطياً غير معطىً فانهُ الآن قد أتانا يقول: عليَّ دين وعليَّ كذا وكذا . يا غلام ائذن لهُ . فاذن لهُ . فسأله وتحدّث معهُ . ثم قال : اما والله ان كنّا لنحبّ ايثار مالك بالوادي وقد أعجب امير المؤمنين فان رأيت ان تهبه ليزيد فعلت . فقال الوليد : هو ليزيد . ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية اياماً . فقال لهُ يوماً : انظر يا امير المؤمنين في شأني فان عليَّ مؤنة وقد ارهقني دين . فقال لهُ معاوية : ألا تستحي لحسبك ونسبك تأخذ ما تاخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً . فقال لهُ الوليد : افعلُ . ثم انطلق مكانه فصار الى الجزيرة فقال :

فاذا سئلتَ تقول لا　　　واذا سألتَ تقول هاتِ
تأبى فعال الخير لا　　　تروى وانت على الفراتِ
أفلا تميل الى نعم　　　او تركِ لا حتى المماتِ

(قال) فبلغ معاوية مقدمهُ الجزيرة فخافه وكتب اليهِ أن : أقبل اليَّ . فكتب اليهِ :

أعفُّ واستغني كما قد أمرتني　　　فأعطِ سواي ما بدا لك وانحلِ
سأحدو ركابي عنك انّ عزيمتي　　　اذا نابني امرٌ كسلّة منصلِ
واني امرؤٌ للرأي مني تطرُّفٌ　　　وليس شبا قفل عليَّ بمقفلِ

ورحل الى الحجاز . فبعث اليهِ معاوية بجائزة

ابراهيم الموصلي والرشيد

أخبر حماد بن اسحاق قال : كان ابي يحـدّث ان الرشيد اشترى من جدي جارية بستة وثلاثين الف دينار فاقامت عنـده ليلة . ثم ارسل الى الفضل بن الربيع : انّا اشترينا هذه الجارية من ابراهيم ونحن نحسب انها من بابتنا وليست كما ظننتها . وقد ثقل عليَّ الثمن . وبينكَ وبينهُ ما بينكما فاذهب فسلهُ ان يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار . (قال) فصار الفضل اليهِ فاستأذن . فخرج جدّي فتلقَّاه . فقـال : دعني من هذه الكرامة التي لامؤنة بيننا فيها لست ممَّن يخدع وقد جئتكَ في أمرٍ اصدقك عنهُ . ثم أخبره الخبر كلـهُ . فقال لهُ ابراهيم : انهُ اراد ان يبلو قدرك عندي . قال : ذاكَ اراد . قال : فمالي كلهُ صدقة في المساكين ان لم اضعفه لك قد حططت اثني عشر الف دينار . فرجع الفضل اليهِ بالخبر . فقال : ويلك ادفع الى هذا ماله فما رأيت سوقة قط أنبل نفساً منـهُ . قال ابي : وكنت اتيت جدَّكَ فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنىً وما هو بقليل . فتغـافل عني وقال : أنت احمق انا اعرف الناس بهِ والله لو أخذت المال منهُ كملًا ما أخذتهُ الّا وهو كاره ويحقد ذلك عليَّ وكنت اكون عنـده صغير القدر . وقد مننت عليهِ وعلى الفضل وانبسطت نفسه ونشط وعظم قدري عنده . وانما اشتريت الجارية باربعين الف درهم وقد اخذت بها اربعة وعشرين الف دينار . فلما حمل المال اليـهِ بلا حطيطة دعاني فقال لي : كيف رأيت يا أسحق مَن البصير أنا أم أنت . فقلت : بل أَنت جعلني الله فداك

المنصور وابن هرمة

حدّث محمد بن سليمان بن المنصور قال : وجّه المنصور رسولًا قاصدًا الى ابن هرمة ودفع اليهِ الف دينار وخلعة ووصفهُ لهُ وقال : امضِ اليهِ فانك تراهُ جالسًا في موضع كذا من المسجد فانتسبْ لهُ الى بني اميَّة أو مواليهم وسلهُ ان ينشدك قصيدتهُ الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا وكان أبوك قادمة الجناحِ

فاذا انشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه . وان انشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع اليهِ الالف الدينار والخلعة وما اراه ينشدك غيرها ولا يعترف بالحائية . (قال) فاتاه الرسول فوجده كما قال المنصور . فجلس اليهِ واستنشده قصيدته في عبد الواحد فقال : ما قلت هذه القصيدة قطّ ولا اعرفها وانما نحلها اياي من يعاديني . ولكن ان شئتَ أنشدتك احسن منها . قال : قد شئتُ فهات . فانشده : « سرى ثوبهُ عنك الصبا المتخايل » حتى اتى على آخرها . ثم قال لهُ : هات ما أمرك امير المؤمنين بدفعهِ اليَّ . فقال : ايّ شيءٍ تقول يا هذا وايّ شيءٍ دفع اليّ . فقال : دَعْ ذا عنك فوالله ما بعثك الّا امير المؤمنين ومعك مال وكسوة اليّ وأمرك ان تسألني عن هذه القصيدة فان انشدتك اياها ضربت عنقي وحملت رأسي اليهِ وان انشدتك هذه اللامية دفعت اليَّ ما حملك اياه . فضحك الرسول ثم قال : صدقت لعمري . ودفع اليهِ الالف الدينار والخلعة . فما سمعنا بشيءٍ اعجب

من حديثهما . والقصيدة التي مدح بها ابن هرمة عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً . ويقول فيها :

اعبـد الواحد المحمود اني | اغصّ حذار سخطك بالقراحِ
فشلّت راحتايَ وجال مهري | فألقـاني بمشتجر الرماحِ
واقعدني الزمان فبتُّ صفراً | من المال المغرب والمراحِ
اذا فخّمت غيرك في ثنائي | ونصحي في المغيبة وامتداحي
كانّ قصائدي لك فاصطنعني | كرائم قد عضلنَ عن النكاحِ
فان اكُ قد هفوت الى امير | فعن غير التطوُّع والسماحِ
ولكن سقطة عيّت علينـا | وبعض القول يذهب في الرياحِ
لعمـرك انني وبني عديّ | ومن يهوى رشادي أو صلاحي
اذا لم ترض عني او تصلني | لفي حين اعالجه متـاحِ
وانك ان حططت اليك رحلي | بغربيّ الشراة لذو ارتياحِ
هششتَ لحاجة ووعدت اخرى | ولم تبخل بناجزة السراحِ
وجدنا غالباً خلقت جناحاً | وكان ابوك قادمة الجناحِ
اذا جعل البخيل البخل ترساً | وكان سلاحهُ دون السلاحِ
فانّ صلاحك المعروف حتى | تفوز بعرض ذي شيم صحاحِ

جرير والاخطل في دار عبد الملك بن مروان

حدّث عمارة بن عقيل عن ابيهِ قال : وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والاخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم يلقَ احدهما صاحبـه . فلما

استأذنوا لجرير اذن لهُ فسلَّم وجلس وقد عرفهُ الاخطل . فطمح بصر جرير اليهِ فقال لهُ : من أنت . فقال : انا الذي منعت نومك وهضمت قومك . فقال لهُ جرير : ذاك اشقى لك كائناً من كنت . ثم اقبل على عبد الملك فقال : من هذا يا امير المؤمنين . فضحك وقال : هذا الاخطل يا أبا حزرة . فردّ بصره اليه وقال : فلا حيَّاك الله يا ابن النصرانية . امَّا منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيرًا لكَ . واما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممَّن ضربت عليهِ الذلَّة والمسكنة وباء بغضب من الله . ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية . فقال : لا يكون ذلك بين يديَّ . فوثب جرير مغضباً . فقال عبد الملك : قم يا اخطل واتبع صاحبك فانما قام غضباً علينا فيك . فنهض الاخطل . فقال عبد الملك لخادم لهُ . انظر ما يصنعان اذا برز لهُ الاخطل . فخرج جرير فدعا بغلام لهُ فقدَّم اليهِ حصاناً لهُ أدهم فركبهُ وهدر والفرس يهتزُّ من تحته . وخرج الاخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفهُ ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير . فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبرهُ . فضحك وقال : قاتل الله جريرًا ما افحله اما والله لو كان النصراني برز اليهِ لأكله

عبد الملك وزُفر بن الحرث والاخطل

حدَّث معن بن خلاد عن ابيهِ قال : لما استنزل عبد الملك زفر بن الحرث الكلابي من قرقيسيا أقعده معه على سريره . فدخل عليه ابن ذي الكلاع . فلما نظر اليهِ مع عبد الملك على السرير بكى . فقال لهُ : ما يُبكيك . فقال : يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في

طاعتهم لك وخلافه عليك . ثم هو معك على السرير وانا على الارض . قال : اني لم اجلسه معي أن يكون اكرم عليَّ منك ولكن لسانهُ لساني وحديثهُ يعجبني . فبلغت الاخطل وهو يشرب فقال : أما والله لاقومنَّ في ذلك مقاماً لم يقمهُ ابن ذي الكلاع . ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلما ملأَ عينهُ منهُ قال :

وكأس مثل عين الديك صرفٌ   تنسّي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً   بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشيَّة لا شكّ فيها   وارخى من مآزره الفضولا

فقال لهُ عبد الملك : ما اخرج هذا منك يا ابا مالك الَّا خطة في رأسك . قال : أجل والله يا امير المؤمنين حين تجلس عدوّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(قال) فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال : أذهبَ الله حزازات تلك الصدور. فقال: انشدك الله يا امير المؤمنين والعهد الذي اعطيتني . فكان زفر يقول : ما أيقنت بالموت قطّ الَّا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال

عبد الملك ورجل عراقيّ

اخبر المدائني قال : نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس . فجلس رجلٌ من اهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر اليهِ خادم لعبد

الملك فانكره فقال لهُ : أعراقي أنت . قال : نعم . قال : أنت جاسوس . قال : لا . قال : بلى . قال : ويحكَ دعني أتهنَّأ بزاد لامير المؤمنين ولا تنغصني بهِ . ثم انَّ عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال : من القائل

اذا الارطى توسَّد أبرديهِ خدود جوازئٍ بالرمل عِينِ

وما معناه . ومَن اجاب فيهِ اجزناه . والخادم يسمع . فقال العراقي للخادم : أتحبُّ ان اشرح لك قائله وفيمَ قاله . قال : نعم . قال : يقولهُ عديّ بن زيد في صفة البطيخ الرمبي . فقال ذلك للخادم . فضحك عبد الملك حتى سقط . فقال لهُ الخادم : أخطأتُ أم اصبتُ . فقال : بل أخطأت . فقال : يا امير المؤمنين هذا العراقي فعل الله بهِ وفعلَ لقننيهِ . فقال : ايُّ الرجال هو . فاراه اياه . فعاد اليهِ عبد الملك وقال : انت لقنتهُ هذا . قال : نعم . قال : افخطأً لقنتهُ ام صوابًا . قال : بل خطأً . قال : ولمَ . قال : لاني كنت متحرمًا عائدتك فقال لي كيت وكيت فاردت ان اكفهُ عني واضحكك . قال : فكيف الصواب . قال يقولهُ الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جُزئت بالرطب عن الماء . قال : صدقتَ . واجازه ثم قال لهُ : حاجتك . قال : تنحّي هذا عن بابك فانهُ يشينه

جميلة وعبد الله بن جعفر

قال سياط : جلست جميلة يومًا للوفادة عليها وجعلت على رؤوس جواريها شعورًا مسدلة كالعناقيد الى اعجازهنَّ والبستهنَّ انواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهنَّ بانواع الحليّ ووجهت الى عبد الله بن جعفر

تستريه وقالت لكاتب أملت عليه : بأبي انت وأمي قدرك يجلّ عن رسالتي ولكن كرمك يحتمل زلتي . وذنبي لاتقال عثرته . ولا تُغفر حوبته . فان صفحت فالصفح لكم معشر اهل البيت يؤثر . والخير والفضل فيكم مدّخر . ونحن العبيد وانتم الموالي . فطوبى لمن كان لكم مقاربًا . والى وجوهكم ناظرًا . وطوبى لمن كان لكم مجاورًا . وبعزكم قاهرًا . وبضيائكم مبصرًا . والويل لمن جهل قدركم . ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم . فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم . وكبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورة عليكم . وبالكتاب نسألك . وبحق الرسول ندعوك . ان كنت نشيطًا لمجلس هيأتهُ لك . لايحسن الّا بك . ولا يتمّ الّا معك . ولا يصلح ان ينقل عن موضعه . ولا يسلك بهِ غير طريقه . فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : انّا لنعرف تعظيمها لنا . واكرامها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمت انها قد آلت أليّة ان لا تغني احدًا الّا في منزلها . وقال للرسول : والله قد كنت على الركوب الى موضع كذا وكذا وكان في عزمي المرور بها . فاما اذ وافق ذلك مرادها فاني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها . فلما صار الى بابها ادخل بعض من كان معهُ اليها وصرف بعضهم . فنظر الى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة فاعجبه ووقع من نفسه فقال : ياجميلة لقد أُوتيتِ خيرًا كثيرًا . ما احسن ما صنعتِ . فقالت : ياسيدي ان الجميل للجميل يصلح ولك هيأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر . وقامت على رأسه وقامت الجواري صفّين . فأقسم عليها فجلست غير بعيد . ثم قالت : ياسيدي الا أُغنيك . قال : بلى . فغنت

بني شيبة الحمد الذي كان وجههُ يضيء ظلام الليل كالقمر البدرِ
كهولهمُ خير الكهول ونساهم كنسل الملوك لا يبور ولا يجري

أبو عُتبَـةَ الملقي اليك جمـالهُ   أغرُّ هجان اللون من نفر زهر
لساقي الحجيج ثم للخير هاشم   وعبد مناف ذلك السيد الغَمر
أبوكم قُصَيٌّ كان يدعى مجمِّعاً   بهِ جمع الله القبـائل من فِهر

فقال عبد الله : احسنتِ يا جميلة وأحسن حذاقة ما قال . بالله اعيديهِ عليَّ. فأعادتهُ فجـاء الصوت احسن من الارتجـال . ثم دعت لكل جارية بعود وأمرتهنَّ بالجلوس على كراسي صغار قد اعدتهـا لهنَّ . فضربنَ وغنت عليهنَّ هذا الصوت وغنَّى جواريها على غنائها . فلما ضربنَ جميعاً قال عبـد الله : ما ظننتُ ان مثل هذا يكون وانهُ لما يفتن القلب ولذلك كرههُ كثيرٌ من الناس لما علموا فيهِ . ثم دعا ببغلتهِ فركبها وانصرف الى منزلهِ . وقد كانت جميلة اعدَّت طعاماً كثيرًا وكان اراد المقام فقال لاصحابه : تخلَّفوا للغداء . فتغدوا وانصرفوا مسرورين

عمر بن العبد العزيز والشعراء

حدَّث الرياشي عن حمـاد الراوية قال : دخلت المدينة التمس العلم . فـكان اوَّل من لقيت كُثَيِّرعزَّة فقلت : يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي . قال : عندي ما عند الاحوَص ونصيب . قلت : وما هو . قال : هما أحقُّ باخبارك . فقلت لهُ : أنَّا لم نحث المطيَّ نحوكم شهرًا نطلب ما عندكم الَّا ليبقى لكم ذكر وقلَّ من يفعل ذلك . فأخبرني عمَّا سألتك ليكون ما تخبرني بهِ حديثًا آخذه عنك . فقـال : انهُ لما كان من امر عمر بن عبد العزيز ما كان قدمت انا ونصيب والاحوَص وكل واحد منَّا يدلُّ بسابقتهِ عنـد عبد العزيز

واخائه لعمر . فكان اوّل من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب وكل واحد منا ينظر في عطفيهِ لايشكّ انهُ شريك الخليفة في الخلافة . فاحسن ضيافتنا واكرم مثوانا ثم قال : أما علمتم ان امامكم لايعطي الشعراء شيئاً. قلنا: قد جئنا الآن فوجّه لنا في هذا الامر وجهاً . فقال : ان كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم ويفعل بكم ما انتم لهُ اهل . فأقمنا على بابه اربعة اشهر لا نصل اليهِ. وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن . فقلت : لو اتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً. فأتيت المسجد . فانا اوّل من حفظ كلامهُ . سمعتهُ يقول في خطبة لهُ : لكل سفر زاد لا محالة. فتزودوا من الدنيا الى الآخرة التقوى . وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله لهُ من ثوابه وعقابه فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يطولنّ عليكم الامد فتقسُوا قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم . واعلموا انهُ انما يطمئنُّ بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة . فاما من لا يداوي جرحاً الاَّ اصابه جرح من ناحية أُخرى فكيف يطمئنُّ بالدنيا . اعوذ بالله أنْ آمركم بما انهى نفسي عنه . فتخسر صفقتي . وتبدو عيلتي . وتظهر مسكنتي . يوم لاينفع فيهِ الاَّ الحق والصدق . فارتجّ المسجد بالبكاء . وبكى عمر حتى بلّ ثوبه حتى ظننّا انهُ قاضٍ نحبه . فبلغتُ الى صاحبيَّ فقلت : جدّدا لعمر من الشعر غير ما اعددناه فليس الرجل بدنيويّ . ثم ان مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ما أذن للعامة . فدخلنا فسلمنا عليهِ بالخلافة . فردّ علينا . فقلت لهُ : يا امير المؤمنين طال الثواء . وقلّت الفائدة . وتحدّثت بجفائك ايانا وفود العرب . فقال : يا كثير أما سمعت الى قول الله عزّ وجلّ في كتابه : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم

وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السَبيــل فريضة من الله والله عليم حكيم . أفمن هؤلاء أنت . فقلت لهُ وانا ضاحك : انا ابن سبيل ومنقطع بهِ . قال . أو لست ضيف ابي سعيد . قلت : بلى . قال : ما أحسب من كان ضيف ابي سعيد ابنَ سبيل ولا منقطعًا بهِ . ثم استأذنتهُ في الانشاد . فقال : قُل ولا تقل الّا حقًّا فان الله سائلك . فقلت :

وليت ولم تشتم عليًا ولم تخف　　بذيًا ولم تتبع مقــالة مجرمِ
وقلتَ فصدَّقت الذي قلت بالذي　　فعلتَ فاضحى راضيًا كلُّ مسلمِ
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغــهِ　　من الاود الباقي ثقاف المقوّمِ
لقد لبست لبس الملوك ببابهــا　　وأبدت لكَ الدنيا بكفٍّ ومعصمِ
وتومض احيانًا بعين مريضــةٍ　　وتبسم عن مثل الجمان المنظَّمِ
فاعرضتَ عنها مشمئزًا كانما　　سقتكَ مدوفًا من سمام وعلقمِ
وقد كنت من اجبالها في ممنع　　ومن بحرها في مزبد الموج مفعمِ
وما زلت سبّــاقًا الى كل غايةٍ　　صعدت بها أعلى البناء المقدَّمِ
فلما اتاك الملــك عفوًا ولم يكن　　لطالب دنيا بعدهُ من تكلّمِ
تركت الذي يفنى وان كان مونقًا　　وآثرت ما يبقى برأيٍ مصممِ
فاضررت بالفاني وشمَّرت للذي　　امامك في يوم من الهول مظلمِ
وما لك ان كنت الخليفة مانعٌ　　سوى الله من مال رغيب ولا دمِ
سما لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّق　　صعدتَ بهِ أعلى المعالي بسلّمِ
فما بين شرق الارض والغرب كلها　　منادٍ ينادي من فصيحٍ واعجمِ
يقول امير المؤمنين ظلمتني　　باخذٍ لدينارٍ ولا اخذ درهمِ
ولا بسط كفٍّ لامرئٍ ظالم لهُ　　ولا السفك منهُ ظالمًا ملءَ محجمِ

فلو يستطيع المسلمون تقسَّموا ... لك الشطر من اعمارهم غير ندَّم
فعشت بهِ ما حجَّ لله راكبٌ ... مغذّ مطيف بالمقام وزمزم
فأربح بها من صفقةٍ لمبائعٍ ... واعظم بها اعظم بها ثم اعظمِ

فقال لي : يا كثير ان الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدم اليهِ الاحوص فاستأذنهُ . فقال : قُل ولا تقل الّا حقًّا فان الله سائلك . فانشده :

وما الشعر الّا خطبة من مؤلف ... بمنطق حقّ او بمنطق باطلِ
فلا تقبلنّ الّا الذي وافق الرضا ... ولا ترجعنّا كالنساء الاراملِ
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنةً ... ولا يسرة فعل الظلوم المجادلِ
ولكن اخذت القصد جهدك كلهُ ... وتقفو مثال الصالحين الاوائلِ
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ... ومن ذا يردُّ الحقّ من قول عادلِ
ومن ذا يردّ السهم بعد صدوفهِ ... على فوقه ان عاد من نزع نابلِ
ولولا الذي قد عوَّدتْنا خلائفٌ ... غطاريف كانت كالليوث البواسلِ
لما وخدتْ شهرًا برحليَ جَسْرَةٌ ... تقلّ متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي بهِ ... صرفنا قديمًا من ذويك الافاضل
فان لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وان كان مثل الدرّ من قول قائلِ
وكانَ مصيبًا صادقًا لا يعيبهُ ... سوى انهُ يبني بناء المنازلِ
فانّ لنا قربي ومحض مودَّةٍ ... وميراث آباء مشَوا بالمناصلِ
فذادوا عدوّ السلم عن عقر دارهم ... وأرسوا عمود الدين بعد تمايلِ
فقبلك ما اعطى الهنيدة جلّةً ... على الشعر كعبًا من سديس وبازلِ
رسول الأله المصطفى بنبوة ... عليهِ سلام بالضحى والاصائلِ
فكل الذي عددتُ يكفيك بعضهُ ... ونيلك خير من بحورِ السوائلِ

فقال له عمر: يا احوص ان الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدم اليهِ نصيب فاستأذن في الانشاد. فأبى ان يأذن لهُ وغضب غضباً شديداً. وأمر بالحاق بدابق وأمر لي وللاحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهماً

عمر بن عبد العزيز ودكين

حدَّث المدائني قال: قال دكين الراجز: امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة. فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم فكرهت ان ارمي بهنَّ الفجاج ولم تطب نفسي ببيعهنَّ. فقدمت علينا رفقة من مصر فسألتهم الصحبة. فقالوا: ذاك اليك ونحن نخرج الليلة. فاتيتهُ فودَّعته وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يادكين انَّ لي نفساً توّاقة فان صرت الى اكثر مما انا فيهِ فائتني ولك الاحسان. قلت: اشهد لي بذلك. قال: اشهد الله بهِ. قلت: ومن خلقه. قال: هذين الشيخين. فأقبلت على احدهما فقلت: من أنت أعرفك. قال: سالم بن عبد الله بن عمر. فقلت لهُ: لقد استسمنت الشاهد. وقلت للآخر: من أنت. قال: ابو يحيي ولي الامير فخرجت الى بلـدي بهنَّ. فرمى الله في اذنابهنَّ بالبركة حتى اعتقدت منهنَّ الابل والعبيد. فاني لبصحراء فلج اذ ناعٍ ينعي سليمان. قلت: فمن القائم بعده. قال: عمر بن العبد العزيز. فتوجهت نحوهُ. فلقيني جرير منصرفاً من عنده. فقلت: يا ابا حزرة من اين. فقال: من عنـد من يعطي الفقراء ويمنع الشعراء. فانطلقت فاذا هو في عرصة دار وقد احاط الناس بهِ فلم اخلص اليهِ. فناديت:

يا عمر الخـيرات والمكارم وعمر الدسائع العظـائم

اني امرؤ من قطن بن دارم طلبت ديني من أخ مكارم
اذ نتحي والله غـير نائم عند ابي يحيي وعند سالم

فقام ابو يحيي فقال : يا امير المؤمنين لهذا البدوي عندي شهادة عليك . فقال : اعرفها ادنُ يا دكين انا كما ذكرت لك ان نفسي لم تنل شيئاً قطّ الّا تاقت لما هو فوقه وقد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق الى الآخرة والله ما رزأت من اموال الناس شيئاً ولا عندي الّا الفا درهم فخذ نصفها . (قال) فوالله ما رأيت الفاً كان اعظم بركة منهُ . (قال) ودكين الذي يقول :

اذا المرءُ لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يرفع عن اللوم نفسه فليس الى حسن الثناء سبيلُ

مطيع بن اياس والمنصور

اخبر محمد بن الفضل السكوني قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور ان مطيع بن اياس زنديق وانهُ يعاشر ابنهُ جعفرًا وجماعة من اهل بيته ويوشك ان يفسدوا اديانهم وينسبوا الى مذهبه . فقال لهُ المهدي : انا بهِ عارف . امَّا الزندقة فليس من اهلها ولكنهُ خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم . قال : فأحضرهُ وانهه عن صحبة جعفر وسائر اهله . فاحضرهُ المهدي وقال لهُ : يا خبيث يا فاسق قد افسدت اخي ومن تصحبه من اهلي . والله لقد بلغني انهم يتقارعون عليك ولا يتمُّ لهم سرور الّا بكَ . فقد غررتهم وشهرتهم في الناس . ولولا اني شهدت لك عند امير المؤمنين بالبراءة مما نُسبت اليـهِ بالزندقة لقد كان أمر بضرب

عنقك. وقال للربيع: اضربه مايتي سوط واحبسه. قال: ولمَ يا سيّدي. قال: لانك سكير خمير. قد افسدت اهلي كلهم بصحبتك. فقال لهُ: ان أذنت وسمعت احتججت. قال: قُل. قال: أنا امرؤ شاعر. وسوقي انما تنفق مع الملوك وقد كسدت عندكم وانا في ايامكم مُطَّرح وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة اخيك لا يتبع ذلك عشيرة. واصفيته على ذلك شكري وشعري. فان كان ذلك عائبًا عندك تبت منهُ. فاطرق ثم قال: قد رفع اليَّ صاحب الخبر انك تماجن على السؤَّال وتضحك منهم. قال لا والله. ما ذلك من فعلي ولا شأني ولا جرى مني قط الَّا مرة. فان سائلًا اعمى اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي وظنني من الجند. فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللهمَّ سخر الخليفة لان يعطي الجند ارزاقهم فيشتروا من التجار الامتعة ويربح التجار عليهم فتكثر اموالهم فيجب فيها الزكاة عليهم فيصَّدقوا عليَّ منها. فنفرت بغلتي من صياحه ورفعه عصــاه في وجهي حتى كدت اسقط في الماء فقلت: يا هذا ما رأيت اكثر فضولًا منك. سل الله ان يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج اليها فان هذه الوسائل فضول. فضحك الناس منــهُ ورفع عليَّ في الخبر قولي لهُ هذا. فضحك المهدي وقال: خلُّوهُ ولا يُضرب ولا يحبس. فقال لهُ: أدخلُ عليك الموجدةُ واخرج عن رضًى وتبرأ ساحتي من عضيهة وانصرف بلا جائزة. قال: لا يجوز هذا. اعطوهُ مائتي دينار ولا يعلم بها الامير فيتجدد عنده ذنوبه. (قال) وكان المهدي يشكر لهُ قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لابيهِ في انهُ المهدي. فقال لهُ: اخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك امير المؤمنين غدًا. فقال لهُ: فأَين اقصد. قال: اكتبُ لك الى سليمان بن عليّ فيولّيك عملًا ويحسن اليك. قال: قد رضيت. فوفد الى

سليمان بكتاب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن ابي هند فعزله بهِ

متمم بن نُويرة واخوهُ مالك

هو مُتمم بن نُوَيرَة ويكنى ابا نهشل ويكنى اخوه مالك ابا المغوار . وكان مالك يقال لهُ فارس ذي الخمار قيل لهُ ذلك بفرس كان عنده يقال لهُ ذو الخمار وفيهِ يقول وقد احمده في بعض وقائعه :

جرى بي فلاي ذو الخمار وضيعتي   بما فات اطواء بنيَّ الاصاغرِ

اخبر محمد بن سلام قال : كان مالك بن نويرة شريفًا فارسًا شاعرًا . وكانت فيهِ خيلاء وتقدُّم . وكان ذا لمة كبيرة . وكان يقال لهُ الجفول . وكان مالك قُتل في الردَّة قتلهُ خالد بن الوليد بالبطاح في خلافة ابي بكر . وكان مقيمًا بالبطاح . فلما تنبأت سجاح اتبعهـا ثم أظهر انهُ مسلم . فضرب خالد عنقه صبرًا . فطعن عليهِ في ذلك جماعة من الصحابة منهم عمرو بن الخطاب وابو قتادة الانصاري لانهُ تزوَّج امرأة مالك بعده

حدَّث محمد بن الحكم البجلي عن الانصاري قال : صلَّى متمم بن نويرة مع ابي بكر الصبح ثم انشد :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت   تحت الازار قتلت يا ابن الازورِ (١)
ادعونهُ بالله ثم قتلتـهُ   لو هو دعاك بذمـة لم يغـدرِ

فقال ابو بكر : والله ما دعوتهُ ولا قتلتهُ . فقال :

---

(١) قال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرَّار بن الازور . ويقال : بل عبد الازور الاسديّ

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلوٌ شمائلهُ عفيف المئزرِ
ولنعم حشو الدرع انت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنوّرِ

(قال) ثم بكى حتى سالت عينهُ ثم انخرط على سية قوسه يعني مغشيًّا عليه

حدَّث صخر بن خلخلة قال : ذكر متمم بن نويرة اخاه في المدينة . فقيل لهُ : انك لتذكر اخاك فما كانت صفتهُ أوصفه لنا . فقال : كان يركب الجمل الثقال في الليلة الباردة يرتمي لاهله بين المزادتين المضرجتين عليهِ الشملة الفَلُوت يقود الفرس الجزور ثم يصبح ضاحكاً

حدَّث الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره انَّ المنهال (رجلًا من بني يربوع) مرَّ على اشلاء مالك بن نويرة لما قتلهُ خالد فأخذ ثوباً وكفَّنهُ فيهِ ودفنه . ففيهِ يقول متمم :

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جزع مما اصاب فأوجعا
لقد كفَّن المنهال تحت ردائهِ فتًى غير مبطان العشيات أروعا

حدَّث احمد بن عمران العبدي وكان من العلم بموضع قال : حدثني ابي عن جدّي قال : صليت مع عمر بن الخطاب الصبح . فلما انفتل من صلاته اذا هو برجل قصير اعور متنكباً قوساً وبيده هراوة . فقال : من هذا . فقال : متمم بن نويرة . فاستنشده قوله في اخيهِ فانشده : « لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ » حتى بلغ الى قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ولوددت اني احسن الشعر فأرثي اخي زيدًا بمثل ما رثيتَ بهِ اخاك . فقال متمم : لو ان اخي مات على ما مات عليهِ اخوك

ما رثيتهُ . وكان قتل باليمامة شهيداً واميرالجيش خالد بن الوليد . فقال عمر : ما عزّاني أحد عن اخي بمثل ما عزاني بهِ متمم . (قال) وكان عمر يقول : ما هبت الصبا من نحو اليمامة الّا خيّل اليَّ ان اشمّ ريح اخي زيد (قال) وقيل لمتمم : ما بلغ من وجدك على اخيك . فقال : أُصبت باحدى عينيَّ فما قطرت منها دمعة عشرين سنة . فلما قُتل اخي استهلّت فما ترقأُ

وقال عمر لمتمم بن نويرة : هل كان مالك يحبك مثل محبتك اياه وهل كان مثلك . فقال : واين انا من مالك وهل ابلغ ما لكاً . والله يا امير المؤمنين لقد أسرَني حيٌّ من العرب فشدُّوني وثاقاً بالقدّ وألقوني بفنائهم . فبلغه خبري فاقبل على راحلته حتى انتهى الى القوم وهم جلوس في ناديهم . فلما نظر اليَّ أعرض عني ونظر القوم اليهِ فعدل اليهم . وعرفت ما اراد . فسلّم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم . فوالله ان زال كذلك حتى ملأهم سروراً . وحضر غداؤهم فسألوهُ ليتغدّى معهم . فنزل وأكل . ثم نظر اليَّ وقال : انهُ لقبيح بنا ان نأكل ورجل ملقيٌّ بين ايدينا لا يأكل معنا . وأمسك يده عن الطعام . فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدّي حتى لان وحلّوني ثم جاؤوا بي فاجلسوني معهم على الغداء . فلما اكلنا قال لهم : أما ترون تحرُّم هذا بنا واكله معنا . انهُ لقبيح بكم ان تردّوهُ الى القدّ . فخلوا سبيلي . فكان كما وصفت وما كذبت في شيءٍ من صفته الّا اني وصفته خميص البطن وكان ذا بطن

واخبر محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ قال : بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة اذ عرض لهما اعرابيّ . فوقفا ليمضي . فوقف . فتعجّلا ليسبقاه . فتعجل . فقالا : ما اعجلك يا اعرابي تعجلنا لنسبقك فتعجلت . فوقفنا لتمضي فوقفت . فقال : لا اله الّا الله مغني اعدى الناس أغدر باصحاب محمد

(صلعم) . هبــاني خفت الضلال فاحببت ان استــدلّ بكما . او خفت الوحشة فأحببت ان استأنس بكما . فقال طلحة : من انت . قال : انا متمم بن نويرة . فقال طلحة : واسوأتاه لقد مالنا غير مملولٍ . هات بعض ما ذكرت في اخيك من البكاء . فزوّجوه ام خالد . فبينا هو واضع رأسهُ على فخذها اذ بكى . فقالت : لا اله الّا الله أما تنسى أخاك . فأنشأ يقول :

اقول لها لما نهتني عن البكا أَفي مالك تلحينني امَّ خالدِ
فان كان اخواني أُصيبوا واخطأَت بني املك اليوم لحتوف الرواصد (١)
فكلّ بني امٍ سيمسون ليلةً ولم يبقَ من اعيانهم غير واحدِ

اسحق والتيمي الشاعر والفضل بن يحيي

هو عبد الله بن ايوب ويكنى ابا محمَّد مولى بني تيم . حدث اسحق قال : كنت على باب الفضل بن يحيي فاتاني التيمي الشاعر بقصيدة في قرطاس وسألني ان اوصلها الى الفضل فنظرتِ فيها ثم خرقت القرطاس . فغضب ابو محمد وقال لي : أما كفاك ان استخففت بحاجتي منعتني ان ادفعها الى غيرك . فقلت لهُ : انا خير لك من القرطاس . ثم دخلت الى الفضل فلما تحدثنا قلت لهُ : معي هدية وصاحبها بالباب وانشدتهُ . فقال : وكيف حفظتها . قلت : الساعة دفعها اليَّ على الباب فحفظتها . فقــال : دع الآن . فقلت لهُ : فأدخلهِ . فأُدخل . فسألهُ عن القصة فأخبره . فقال : انشدني شيئاً من شعرك . ففعل . وجعلت اردد اياته وجعلت أُشيعها بالاستحسان . ثم خرج التيمي . فقلت : خذ في حاجة الرجل .

---

(١) هذا من سناد الاقواء .

فقال : اما اذ عنيت بهِ فقد أَمرت لهُ بخمسة آلاف درهم . فقلت لهُ : أَمَّا اذ أَقللتها فعجلها . فأَمر بها فأُحضرت . فقلت لهُ : أَليس لاعناتك ايَّاي ثمن . قال : نعم . قلت : فهاته . قال : لا ابلغ بكَ في الاعنات ما بلغتَ بالشاعر في المديح . فقلت : فهات ما شئتَ . فأَمر بثلثة آلاف درهم فضممتها الى الخمسة الآلاف ووجهت بها اليهِ

ابو مسلم ورُؤْبة بن العجَّاج

اخبر رؤْبة بن العجاج قال : بعث اليَّ ابو مسلم لما أَفضت الخلافة الى بني هاشم . فلما دخلت عليهِ رأَى مني جزعًا فقال : اسكن فلا بأْس عليك ما هذا الجزع الذي ظهر عليك . قلت : اخافك . قال : ولِمَ . قلت : لانهُ بلغني انك تقتل الناس . قال : انما اقتل من يقاتلني ويريد قتلي أَفأَنت منهم . قلت : لا . قال : فهل ترى بأْسًا . قلت : لا . فأَقبل على جلسائهِ ضاحكًا فقال : اما ابو العجاج فقد رخص لنا ثم قال : أَنشدني قولك «وقاتم الاعماق خاوي المخترق» . فقلت : أَو أُنشدك اصلحك الله أَحسن منهُ . قال : هات . فأَنشدتهُ :

قلت ونسجي مستجد حوكا   لبيك اذ دعوتني لبيكا

أَحمد ربًّا ساقني اليكا

قال : هات كلمتك الاولى . قلت : أَو أُنشدك احسن منها . قال : هات فانشدتهُ :

ما زال يبني خندقًا ويظلمهْ   ويستجيش عسكرًا ويهزمهْ

ومغنمًا يجمعهُ ويقسمهْ   مروان لما ان تهاوت انجمهْ

وخانه في حكمه مُنجّمهْ

قال : دع هذا وأنشدني « وقاتم الاعماق » . قلت : أو أحسن منـــهُ . قال: هات . فانشدتهُ قوله :

رفعت بيتاً وخفضت بيتا   وشدت ركن الدين اذ بنيتا
في الاكرمين من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه . فانشدته :

ما زال يأتي الامر من أقطارهِ   عن اليمــين وعلى يسارهِ
مشمرًا لا يصطلى بنـــارهِ   حتى أقرَّ الملك في قرارهِ
ومرَّ مروان على حمارهِ

فقال : ويحك هات ما دعوتك لهُ وأمرتكَ بانشاده « وقاتم الاعماق خاوي المخترق » . فلما صرت الى قوله « يرمي الجلاميد بجلمود مدق » . قال : قاتلك الله لشدّ ما استصلبت الحافر . ثم قال : حسبك انا ذاك الجلمود المدق . (قال) وجيءَ بمنديل فيهِ مال فوضع بين يديَّ . فقال ابو مسلم : يا رؤبة انك اتيتنا والاموال مشفوهة (١) وان لك الينا لعودة وعلينا معولاً والدهر أطرق مستتبّ فلا يجعل بيننا وبينك الأسدَّة . (قال رؤبة) فأخذت المنديل منهُ وتالله ما رأيت اعجمياً افصح منهُ وما ظننت ان احدًا يعرف هذا الكلام غيري وغير ابي

وصف ابي تمَّام

ابو تمام حبيب بن أوس الطائي من نفس طيٍّ صليبة . مولده ومنشؤه

---

(١) قال ابو عثمان الاشناندانى بن ابي عُبيدة : يقال اشتفَّ ما في الاناء وشفهَهُ اذا اتى عليهِ . وانشد :

وكاد المال يشفهه عيالي   وصادف عُيَّلي من لا اَعولُ

بناحية منبج بقرية منها يقال لها جاسم. شاعر مطبوع لطيف الفطنــة دقيق المعاني غوّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره. ولهُ مذهب في المطابق هو كالسابق اليهِ جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوهُ قبلهُ وقالوا القليـل منهُ فانَّ لهُ فضل الاكثار فيهِ والسلوك في جميع طرقه. والسليم من شعره النادر شي. لا يتعلّق بهِ احد. ولهُ اشياء متوسطة ورديئة رذلة جدًّا. وفي عصرنا هذا من يتعصّب لهُ فيفرط حتى يفضِّله على كل سالف وخالف. واقوام يتعمدون الرديْ من شعره فينشرونهُ ويطوون محاسنه ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الّا بادب فاضل وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب بهِ كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببًا للترفُّع وطلبــًا للرئاسة. وليست اساءة مَن اساء في القليـــل واحسن في الكثير مسقطة احسانه ولو كثرت اساءته ايضًا ثم احسن لم يُقلْ لهُ عند الاحسان اسأتَ ولا عند الصواب اخطأتَ. والتوسط في كل شي. اجملُ والحق أحق ان يُتبع. وقد روي عن بعض الشعراء ان أبا تمام انشده قصيدة لهُ احسن في جميعها الّا في بيت واحد. فقال لهُ: يا ابا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال لهُ: انا والله اعلم منهُ مثلما تعلم. ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلُّهم حلو في نفسه. فهو وان احبّ الفاضل لم يبغض الناقص وان هوى بقاء المتقدّم لم يهوَ موت المتأخر. واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف بهِ نفسه في مدحه الواثق حيث يقول:

جاءتكَ من نظم اللسان قلادة ... سمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ
احذاكها صنع اللسان يمــدُّهُ ... جفر اذا نضب الكلام معينُ

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن　　هو بابنـهِ وبشعرهِ مفتونُ

فلو كان يسيء بالاساءة ظنًّا ولا يفتتن بشعره كنا في غنى عن الاعتذار لهُ. وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشقُّ الطاعنون عليهِ غباره ولا يدركون وان جدّوا آثاره. وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا لهُ في جده نظيرًا ولا شكلًا. ولولا ان الرواة قد اكثروا في الاحتجاج لهُ وعليـهِ واكثر متعصبوهُ الشرح لجيـد شعره وافرط معادوه في التسطـير لرديئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منهُ طرفًا. ولكن قد آتي من ذلك ما لا مزيد عليهِ

ابو تمام وعبد الله بن طاهر

اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدَّثنـا عمي الفضل قال: لما شخص ابو تمام الى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك. فاستثقل البلد وقد كان عبد الله وجد عليهِ وابطأ بجائزتهِ لانهُ نثر عليهِ الف دينار فلم يمسسها بيده ترفعًا عنها. فاغضبه وقال: يحتقر فعلي ويترفّع عليَّ. فكان يبعث اليهِ بالشيء بعد الشيء كالقوت. فقال ابو تمام:

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طلـلُ　　ولا قشيب فيستكسى ولا سمَـلُ
عدل من الدمع ان يبكى المصيف كما　　يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزلُ
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت　　يسراه وهي لنا من بعدها بدلُ

فبلغت الابيات ابا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر فأتى ابا تمام واعتذر اليهِ لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليهِ من اجله وتضمن لهُ ما يحبُّه. ثم دخل الى عبد الله فقال: ايها الامير أتتهاون بمثل ابي تمام وتجفوهُ فوالله لو

لم يكن لهُ ما لهُ من النباهة في قدره والاحسان في شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شرّه والتوقي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته . فكيف ولهُ بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقدًا بكَ امله مُعملًا اليك ركابه متعبًا فيك فكره وجسمه . وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيًا ولو لم يأتِ بفائده ولا سُمع فيك منهُ ما سمع الّا قوله :

تقول في قومس صحبي وقد اخذت ... منا السرى وخطي المهرية القودِ
امطلع الشمس تبغي ان تؤمَّ بنا ... فقلت كلاً ولكن مطلع الجودِ

فقال لهُ عبد الله : لقد نبهت فاحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولابي تمام العتبى . ادعهُ يا غلام فدعاه . فنادمه يومه وأمر لهُ بالفي دينار وما يحملهُ من الظهر وخلع عليهِ خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته (١) الى آخر عمله

ابو نُخَيلة

ابو نخيلة اسمهُ لا كنيته . ولهُ كنيتان ابو الجنيد وابو العرماس . وهو ابن عدن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربي . وكان عاقًا بابيهِ . فنفاه ابوهُ عن نفسه . فخرج الى الشام واقام هناك الى ان مات ابوهُ . ثم عاد وبقي مشكوكًا في نسبه مطعونًا عليهِ . وكان الاغلب عليهِ الرجز . ولهُ قصيد ليس بالكبير . ولما خرج الى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدًا بعد واحد واستماحهم لهُ . فاغنوه . وكان بعد ذلك قليل

(١) البذرقة الخفارة

الوفاء لهم. انقطع الى بني هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم فمدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني امية فاكثر. وكان طامعاً فحمله ذلك على ان قال في المنصور ارجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي . فوصله المنصور بألفي درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منهُ. وبعث في طلبه مولًى لهُ فأدركهُ في طريق خُراسان فذبحه وسلخ جلده

اخبر يحيى بن نجيم قال : لما انتفى ابونخيلة من ابيهِ خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدبَ بالبادية حتى شعُر وقال رجزًا كثيرًا وقصيدًا صالحًا وشُهر بهما وسار شعره في البدو والحضر ورواه الناس. ثم وفد الى مسلمة بن عبد الملك فمدحهُ ولم يزل بهِ حتى اغناه. (قال يحيى بن نجيم) فحدثني ابو نخيلة قال : وردت على مسلمة فمدحتهُ وقلت لهُ :

أمسلم اني يا ابن كلّ خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الارضِ
شكرتكَ ان الشكر حبل من التقى . وما كل من اوليتهُ نعمةً يقضي
وألقيت لما ان اتيتكَ زائرًا عليَّ لحافًا سابغ الطول والعرضِ
واحييت لي ذكري وما كان خاملًا ولكنَّ بعض الذكر أنبه من بعضِ

(قال) فقال لي مسلمة : ممَّن أنت. فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وانما حظكم في الرجز . (قال) فقلت لهُ : انا والله ارجز العرب . قال : فانشدني من رجزك . فكأني والله لما قال ذلك لم اقل رجزًا قطّ انسانيه الله كلهُ. فما ذكرت منهُ ولا من غيره شيئًا الّا ارجوزة لرؤبة قد كان قالها في تلك السنة. فظننت انها لم تبلغ مسلمة فأنشدتهُ اياها. فنكس وتتعتعتُ . فرفع رأسهُ اليَّ وقال : لا تتعب نفسك فانا اروى لها

منك (١) . (قال) فانصرفت وانا اكذب الناس عنده واخزاهم عند نفسي . حتى استضلعت بعد ذلك ومدحته برجز كثير فعرفني وقرَّبني . وما رأيت ذلك فيهِ يرحمهُ الله ولا قرَّعني بهِ حتى افترقنا

هشام وابو نخيلة

اخبر الاصمعي قال : قال ابو نخيلة : وفدتُ على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات وكنت باخلاق هشام غِرًّا وانا غريب . فسألت عن أخصّ الناس بهِ . فذكر لي رجلان احدهما من قيس والآخر من اليمن . فعدلت الى القيسيّ بالتُّؤدة فقلت : هو أقربهما اليَّ واجدرهما بما احبّ . فجلست اليهِ ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت لهُ : اني مستثنيك لتمسّني رحمك انا رجل غريب شاعر من عشيرتك وانا غير عارف باخلاق هذا الخليفة وأحببت ان ترشدني الى ما اعمل فينفعني عنده وعلى ان تشفع لي وتوصلني اليه . فقال : ذلك كلهُ لك عليَّ وفي الرجل شدَّة . لا كن غاهدت من اهله . واذا سئل وخلط مدحه بطلبٍ حرم الطالب فأخلص لهُ المدح فاذا أجدر أن ينفعك . واغدُ اليهِ غدًا فاني منتظرك بالباب حتى اوصلك والله يمينك . فصرت من غد

(١) وحدث ابو عبيدة قال : دخل ابو نخيلة على عمر بن هبيرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر . فانشد ابو نخيلة مديحه لهُ . ثم قال ابن هبيرة : يا ابا نخيلة اي شيء احدثت بعدنا . فاندفع ينشده ارجوزة لرؤبة . فلما توسطها كشف رؤبة الستر واخرج راسه من تحته فقال له : كيف انت يا ابا نخيلة ألم ننهك ان لا تعرض لشعري اذا كنت حاضرًا فاذا ما غبت فشانك بهِ . فضحك ابو نخيلة وقال : هل انا الّا حسنة من حسناتك وتابع لك وحامل عنك . فعاد رؤبة الى موضعه فاضطجع ولم يراجعه حرفًا . والله اعلم

الى باب هشام . فاذا بالرجل منتظر لي فادخلني معهُ واذا بابي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله :

الى هشام والى مروان بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفاك بالجود تباريان كما تبارى فرسا رهانِ
مال عليّ حدب الزمان وبيع ما يغلو من الغلمانِ
بالثمن الوكس من الاثمان والمهر بعد المهر والحصانِ

(قال) فاطال فيها واكثر المسألة حتى ضجر هشام وتبيَّنت الكراهة في وجهه . ثم استأذنت . فأذن لي فأنشدته :

وقلت للعيس اعتلي وجدّي فهي تخدّي أبرحَ التخدّي
كم قد تعسّفت بها من نجدِ ومجرهدٍ بعد مجرهدِ
قد ادّرعنَ في مسيرٍ سمدِ ليلًا كاون الطيلسان الجردِ
الى امير المؤمنين المجدي ربّ معدٍّ وسوى معدِّ
ممن دعا من اصيد ونجدِ ذي المجد والتشريف بعد المجدِ
في وجههِ بدرٌ بدا في السعدِ أنت الهمام القرم عقد الجدِّ
طوّقتها مجتمع الاشدِّ فانهلّ لما قمت صوب الرعدِ

(قال) حتى اتيت عليها وهممت ان اسأَلهُ ثم عزفتْ نفسي وقلت : قد استنصحت رجلًا واخشى ان اخالفه فأُخطئ . وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقًا . فلما فرغت اقبل على جلسائهِ فقال : الغلام السعديُّ اشعر من الشيخ العجليّ . وخرجت . فلما كان بعد ايام اتتني جائزته . ثم دخلت عليهِ بعد ذلك وقد مدحتهُ بقصيدة . فألقى عليَّ جبة خزّ من جبابه مبطنة بسمور . ثم دخلت عليهِ يوماً آخر فكساني درّاجًا كان عليهِ من خزّ احمر مبطن

بسمور . ثم دخلت عليهِ يوماً ثالثاً . فلم يأمر لي بشيء . فحملتني نفسي على ان قلت لهُ :

كسوتنيها فهي كالتجفاف   من خزك المصونة الكثافِ

كأنني فيها وفي اللحافِ   من عبد شمسٍ او بني منافِ

والخزّ مشتاق الى الافوافِ

(قال) فضحك وادخل يده فيها ونزعها ورمى بها اليَّ وقال : خذها فلا بارك الله لك فيها . (قال محمد بن هشام) فلما افضت الخلافة الى السفاح نقلها اليهِ وغيرها وجعلها فيهِ يعنى الارجوزة الدالية فهي الآن تنسب في شعره الى السفاح

ابو نخيلة وابو العباس

اخبر ابو الفياض سوار بن ابي شراعة قال : حدثني ابي عبد الصمد المعذل قال : دخل ابو نخيلة على ابي العباس . (قال) وكان لا يجترئ عليهِ مع ما يعرفه بهِ من اصطناع مسلمة اياه وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم انهُ قد عفا عن اكثر محلًا من القوم واعظم جرماً منهُ . فلما وقف بين يديه سلَّم عليه ودعا لهُ واثنى . ثم استأذنه في الانشاد . فقال لهُ : ومَن انت . قال : عبدك يا امير المؤمنين ابو نخيلة الحماني . فقال : لا حياك الله ولا قرب دارك يا نضو السوء . ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك بالامس :

أمسلم يا من ساد كلّ خليفة   ويا فارس الهيجا ويا قمر الارضِ

والله لولا اني قد امنت نظراءك لما ارتدَّ اليك طرفك حتى اخضبك بدمك . لا حاجة لنا في شعرك انما تنشدنا فضلات بني مروان . فقال : يا امير المؤمنين

كنا اناساً نرهب الاملاكا ... اذ ركبوا الاعناق والافلاكا
قد ارتجينا زمناً اباكَ ... ثم ارتجينا بعدهُ اخاكَ
ثم ارتجينا بعدهُ اياكَ ... وكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كفَّر هذا ذاكا

فتبسَّم ابو العباس ثم قال لهُ: أنت شاعر وطالب خير وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم. والتوبة تكفّر الخطيئة. والظفر يزيل الحقد. وقد عفونا عنك واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا. فاتّسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان. فقد كفَّر هذا ذاكَ كما قلت

تحضيض ابي نخيلة المنصورَ على تولية المهدي العهدَ

اخبر عبد الله بن ابي سليم مولى عبد الله بن الحرث قال: بينا انا اسير مع ابي الفضل (يعني سليمان بن عبد الله) وحدي بين الحيرة والكوفة وهو يريد المنصور وقد همّ بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى وهو يروض ذاك اذا هو بابي نخيلة الشاعر ومعهُ ابنان لهُ وعبد وهم يحملون متاعه. فقال لهُ: يا أبا نخيلة ما هذا الذي أرى. قال: كنت نازلاً على القعقاع بن معبد احد ولد معبد بن زرارة. فقلت شعراً فيما عزم عليهِ امير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى فسألني التحوّل عنهُ لئلاَّ يناله مكروه من عيسى اذ كان صنيعته. فقال سليمان: يا عبد الله اذهب بابي نخيلة فأنزلهُ منزلاً وأحسن نزله وردّهُ. ففعلت. ودخل سليمان الى المنصور فأخبره الخبر. فلما كان يوم البيعة جاء بابي نخيلة فأدخله على المنصور. فقام فانشد الشعر على رؤوس الناس وهي قصيدته التي يقول فيها:

ليس وليُّ عهدنا بالاسعدِ عيسى فزحلفها الى محمَّدِ
من عند عيسى معهدًا عن معهدِ حتى تؤدّى من يدٍ الى يدِ

(قال) فاعطاه المنصور عشرة آلاف درهم. (قال) وبايع لمحمد بالعهد. فانصرف عيسى بن موسى الى منزله. (قال) فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال: جمعنا ابي فقال: يا بنيَّ قد رأيتم تأخري فأيما أحبّ اليكم ان يقال لكم يا بني المخلوع أو يقال لكم يا بني المفقود. فقلنا: لا بل يا بني المخلوع. فقال: وفقتم يا بنيّ. ومما قاله ابو نخيلة في قصيدته:

الى امير المؤمنين فاعمدِ الى الذي يندى ولا يندى ندِ
سيري الى بحر البحار المزبدِ الى الذي ان نفدت لم ينفدِ
اذ أثمدت اشراعها لم يثمدِ

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الابيات التي مضت في صدر الخبر:

فقد رضينا بالغلام الامردِ وقد فرغنا غير ان لم نشهدِ
وغير انّ العقد لم يؤكدِ فلو سمعنا قولك امددِ امددِ
كانت لنا كدعكة الورد الصدي فناد للبيعة جمعاً نحشدِ
في يومنا الحاضر هذا أو غدِ واصنع كما شئت وردّ يردد
وردّهِ منك رداء يرتدِ فهو رداء السابق المقلَّدِ
وكان يروى انها كأن قدِ عادت ولو قد نقلت لم تردِدِ
اقول في كرى احاديث الغدِ لله درّي من اخٍ ومنشدِ
لو نلت حظّ الحبشيّ الاسودِ (١)

حدث المدائني ان ابا نخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم

---

(١) يعني ابا دلامة

والخاصة وتناشدتها العامة . فبلغت المنصور فدعا بهِ وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه فأنشده اياها وأنصت لهُ حتى سمعها الى آخرها . (قال ابو نخيلة) فجعلت أرى فيهِ السرور . ثم قال لعيسى بن موسى : ولئن كان عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاتهِ اقصى ما يبلغهُ الولد البار السار . فقال عيسى : لقد ضللت اذًا وما انا من المهتدين (قال) اخبرني ابو نخيلة : فلما خرجت لحقني عقال بن شبة فقال : اما أنت فقد سررت امير المؤمنين ولئن تمَّ الامر فلعمري لتصيبنَّ خيرًا ولئن لم يتمَّ فابتغِ نفقًا في الارض او سلَّمًا في السماء . فقلت لهُ : « عِلقتْ معالقها وصرَّ الجندبُ »

واخبر علي بن ابي نخيلة : ان ابا المنصور أمر أبا نخيلة ان يهرب الى خراسان فأخذهُ قطري وكتفه فاضجعه . فلما وضع السكّين على أوداجه قال : ايه ياخبيث ألست القائل : علقت معالقها وصرَّ الجندب . الان صرَّ جندبك . فقال : لعن الله ذاك جندبًا ما كان اشأم ذكره . ثم ذبحه قطري وسلخ وجههُ وألقى جسمه الى النسور واقسم لا يريم مكانه حتى تمزّق السباع والطيور لحمه . فاقام حتى لم يبقَ منهُ الّا عظامه ثم انصرف

عيينة بن حصن وعمرو بن معدي كرَب

قدم عيينة بن حصن الكوفة فاقام بها اياماً . ثم قال : والله ما لي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط (يعني عمرو بن معد يكرب) اسرجْ لي يا غلام . فأسرج لهُ فرسًا انثى من خيله . فلما قرَّبها اليهِ قال لهُ : ويحك أرأيتني ركبت انثى في الجاهلية فأركبها في الاسلام . فاسرج لهُ حصانًا فركبه واقبل الى محلّة بني زُبيد . فسأل عن محلة عمرو فأُرشد اليها . فوقف ببابه ونادى : اي أبا ثورٍ اخرج

الينا . فخرج اليهِ موتّزرًا كأنما كسر وجُبر . فقال : أنعم صباحاً أبا مالك . فقال : أوليس قد ابدلنا الله تعالى بهذا : السلامُ عليكم . قال : دعنا مما لا نعرف . انزل فان عندي كبشاً سياحاً . فنزل فعمد الى الكبش فذبحه . ثم كشف عنه وعضاه والقاه في قدر جماع وطبخه حتى اذا ادرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها فأكفأ القدر عليها . فقعدا فأكلاه . ثم قال لهُ : ايُّ الشراب أحبّ اليك أللبن أم ما كنا نتنادم عليهِ في الجاهلية . قال : أوليس قد حرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الاسلام . قال : أنت اكبر سنًّا أم انا . قال : أنتَ . قال : فأنت اقدم اسلاماً ام انا . قال : انتَ . قال : فاني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً الّا انه قال : فهل انتم منتهون . فقلنا : لا . فسكت وسكتنا . فقال لهُ : انت اكبر سنًّا وأقدم اسلاماً فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران ايام الجاهلية حتى امسيا . فلما اراد عيينة الانصراف قال عمرو : لئن انصرف ابو مالك بغير حباء انهُ لوصمة عليَّ . فأمر بناقة لهُ ارحبية كأنها حبيرة لجين فارتحلها وحملهُ عليها ثم قال : يا غلام هات المزود . فجاء بمزود فيهِ اربعة آلاف درهم فوضعها بين يديهِ . فقال : اما المال فوالله لاقبلتهُ . قال : والله انهُ لمن حباء عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ . فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول :

وانت لنا والله ذي العرش قدوةٌ   اذا صدّنا عن شربها المتكلفُ
جُزيتَ ابا ثور جزاء كرامة   فنعم الفتى المزدار والمتضيّفُ
قريتَ فاكرمت القرى وافدتنا   تحية علم لم تكن قطُّ تُعرفُ
وقلتَ حلالٌ ان تدير مدامة   كلون انعقاق البرق والليل مسدفُ
وقدّمت فيها حجّة عربية   تردُّ الى الانصاف من ليس ينصفُ

يقول ابو ثور أُحلُّ حرامهـا وقول ابي ثور أسدّ وأعرفُ(١)

ابو حية النميري

ابو حية الهيثم بن الربيع شاعر مجيد مقدم من مخضرميّ الدولتين الامويَّة والعباسيَّة وقد مدح الخلفـاء فيهما جميعاً . وكان فصيحاً مقصداً راجزاً من ساكني البصرة . وكان اهوج جباناً بخيلاً كذاباً معروفاً بذلك اجمع . وكان ابو العلاء يقدمهُ . حدَّث عبد الرحمن قال : سمعت عمي يقول : ابو حية في الشعراء كالرجل الربعة لا يعدُّ طويلاً ولا قصيراً

اخبر ابراهيم بن ايوب عن ابي قتيبة قال : كان لابي حية سيف يسميه لعاب المنية ليس بينهُ وبين الخشبة فرق . وكان من اجبن الناس . (قال) فحدَّثني جارٌ لهُ قال : دخل ليلة الى بيته كلب فظنهُ لصًّا . فاشرفت عليهِ وقد انتضى

(١) هكذا ورد في كتاب الاغاني . وجاء في الصفحة ٦٢٣ و ٦٢٤ من المجلد الثاني في باب حدّ الشرب من كتاب كفاية شرح الهداية المطبوع بكلكتَّه (لمحمود بن عبيد الله بن محمود تاج الشريعة مؤلّف الوقاية) ما نصهُ : « قوله : (ومن سكر من النبيذ حُدَّ) اي النبيذ الذي غلا واشتدَّ . فاسم النبيذ يقع على نبيذ التمر والزبيب . فما دام حلوًا يحـلّ شربه . واذا غلا واشتدَّ وقذف بالزبد يُحرَّم . واذا طبخ ادنى طبخة يحـلّ شربه ما دام حلوًا . واذا غلا واشتدَّ وقذف بالزبد على قولـ ابي حنيفة رحمة الله عليهِ وقول ابي يوسف رحمهُ الله الآخر يحلّ شربهُ ما دون السكر . وعنـد محمد والشافعيّ رحمهما الله لا يحلّ » . وفي مقدمة ابن خلدون (الصفحة ١٤ و١٦) بحروفه : « واما ما تُموّه بهِ الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر النـدمان فحاشا لله ما علمنا عليهِ من سوء .... وحالُ ابن اكثم والمـامون فى ذلك من حال الرشيد . وشرابهم انما كان النبيذ ولم يكن محظوراً عندهم واما السكر فليس من شانهم » هذا ولا حاجة الى القول ان السكر مأثمة يحرّمها العقل فضلاً عن الدين

سيفه لعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : ايها المغترّ بنا والمجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك . خير خليل . وسيف صقيل . لعاب المنيّة الذي سمعت به . مشهورة ضربته . لا تخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك قبل ان ادخل بالعقوبة عليك . اني والله ان ادعُ قيساً اليك لا تقم لها . وما قيس . تملأُ والله الفضاء خيلًا ورجلًا . سبحان الله ما اكثرها واطيبها . فبينا هو كذلك اذا الكلب قد خرج . فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً

وحدّث عبد الله بن مسلم قال : كان ابو حية النميري من اكذب الناس . فحدث يوماً انهُ يخرج الى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء . فقيل لهُ : يا أبا حية أفرأيت ان اخرجناك الى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع . قال : ابعدها الله اذاً . (قال) وحدث يوماً قال : عنَّ لي ظبي يوماً فرميتهُ . فراغ عن سهمي . فعارضهُ السهم . ثم راغ فعارضه . فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات

عبد الله بن فضالة وعبد الله بن الزبير

حدّث ابن غزالة قال : اتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الاسديّ من بني اسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير فقال : نفدت نفقتي ونقبت راحلتي . قال : احضرها . فاحضرها . فقال : اقبل بها ادبر بها . ففعل . فقال : ارقعها بسبتٍ واخصفها بهُلبٍ وأنجد بها يبرد خفُّها وسر البردين تصحْ . فقال ابن فضالة : اني أتيتكَ مستحملًا ولم آتك مستوصفاً . فلعن الله

ناقة حملتني اليك . قال ابن الزبير : انَّ وراكبها (١) . فانصرف عنهُ ابن فضالة وقال :

اقول لغلمتي شدوا ركابي اجاوز بطن مكة في سوادِ
فما لي حين اقطع ذات عرقٍ الى ابن الكاهلية من معادِ
سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الاداوي والمزادِ
وكل معبد قد اعلمتهُ مناسمهنَّ طلاَّع النجادِ
ارى الحاجات عند ابي خُبَيبٍ(٢) نُكدنَ ولا امية بالبلادِ
من الاعياص(٣) او من آل حربٍ أغرُّ كغرَّة الفرس الجوادِ

جود سعد بن العاص

حدَّث ابو هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسألهُ فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولكن اكتبُ عليَّ بهِ . فيكتب عليهِ كتابًا فيقول : أترون اخذت منهُ ثمن هذا ولكن يجيءُ فيسألني فينزو دم وجههِ في وجهي فاكره ان أردَّهُ . فاتاهُ مولًى لقريش بابن مولاة وهو غلامٌ

(١) قال اليزيدي : « انَّ » هاهنا بمعنى نعم . كانهُ اقرار بما قال . ومثله قول ابن قيس الرقيَّات :

ويَقُلنَ شيبٌ قد علا كَ وقد كبرتَ فقلت إنَّه

(٢) ابو خُبيب عبد الله بن الزُبير كان يكنى ابا بكر. وخُبيبٌ ابن لهُ هو اكبر ولده . ولم يكُ يكنيهِ بهِ الَّا من ذمَّهُ يجعله كاللقب لهُ

(٣) الاعياص العاص وابو العاص والعيص وابو العيص والعويص . ومنهم العنابس وهم حرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان وعمروٌ وابو عمرو . وانما سموا العنابس لانهم ثبتوا مع اخيهم حرب بن أُميَّة بعكاظ وعقلوا انفسهم وقاتلوا قتالاً شديدًا فشبهوا بالأسد والأُسد يقال لها العنابس وواحدها عنبسة

فقال : ان أبا هذا هلك وقد اردنا تزويجه • فقال : ما عندي ولكن خذ في امانتي • فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل الى عمرو بن سعيد فقال: اني اتيت اباك بابن فلان واخبره القصة • فقال لهُ عمرو : فكم أخذت • قال : عشرة آلاف • فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى اعجز من هذا • يقول لهُ سعيد : خذ ما شئت في امانتي فيأخذ عشرة آلاف • لو أخذ مائة الف لاديتها عنهُ

واخبر عروة بن الزبير انَّ سعيد بن العاص لما حضرتهُ الوفاة وهو في قصرهِ قال لهُ ابنهُ عمرو : لو نزلت الى المدينة • فقال : يا بنيّ ان قومي لن يضنُّوا عليَّ بان يحملوني على رقابهم ساعة من نهارٍ • فاذا انا متّ فآذنهم • فاذا واريتني فانطلق الى معاوية فانعني لهُ وانظر في دَيني واعلم انهُ سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليهِ قصري هذا فاني انما اتخذتهُ نزهة وليس بمال • فلما مات آذن بهِ الناس • فحملوهُ من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد مناخةٌ • فعزّاه الناس على قبره وودّعوه • فكان اوّل من نعاهُ لمعاوية • فتوجع وترحم عليهِ ثمَّ قال : هل ترك ديناً • قال : نعم ثلاث مائة الف • قال : هي عليَّ • قال : قد ظنَّ ذلك وأمرني ان لا اقبلهُ منك وأن اعرض عليك بعض مالهِ فتبتاعهُ فيكون قضاء دينهِ منهُ • قال : فاعرض عليَّ • قال : قصره بالعَرصة • قال : قد اخذتهُ بدينه • قال : هولك على ان تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافية • قال : نعم • فحملها لهُ الى المدينة وفرَّقها في غرمائه وكان اكثرها عداتٍ • فاتاه شابٌ من قريش بصكّ فيهِ عشرون الف درهم بشهادة سعيد على نفسهِ وشهادة مولًى لهُ عليهِ • فارسل الى المولى فاقرأه الصكّ • فلما قرأهُ بكى وقال : نعم هذا خطُّهُ وهذه شهادتي عليهِ • فقال لهُ عمرو : من اين يَكون لهذا الفتى عليهِ عشرون الف درهم وانما هو صعلوك من

صعاليك قُريش . قال : اخبرك عنهُ . مرّ سعيدٌ بعد عزلِهِ فاعترض لهُ هذا الفتى فمشى لهُ حتى صار الى منزله . فوقف لهُ سعيد فقال لهُ : ألكَ حاجة . قال : لا الّا انني رأيتك تمشي وحدك فأحببت ان اصل جناحك . فقال : ائتني بصحيفة . فأتيتهُ بهذه . فكتب لهُ على نفسه هذا الدين وقال : انك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا فاذا جاءنا شيء فائتنا . فقال عمرو : لا جرم والله لا ياخذها الّا بالوافية . اعطِهِ اياها . فدفع اليهِ عشرين الف درهم وافية

والى قصر سعيد بن العاص يشير ابو قطيفة الشاعر في قصيدة لهُ . حدَّث محمد بن يونس بن الوليد قال : كان ابن الزبير قد نفى ابا قطيفة مع من نفاه من بني امية عن المدينة الى الشام . فلما طال مقامه بها قال :

ليت شعري واين منيَ ليتٌ　　أعلى العهد يلبن فبرامُ
ام كعهدي العقيق ام غيَّرتهُ　　بعدي الحادثات والايامُ
وبأهلي بُدّلتُ عكّاً ولخماً　　وجُذاماً وأين مني جذامُ
وتبدَّلتُ من مساكن قومي　　والقصور التي بها الآطامُ
كلّ قصرٍ مشيَّدٍ ذي أواسٍ　　يتغنّى على ذراهُ الحمامُ(١)
أقرِ مني السلام ان جئت قومي　　وقليلٌ لهم لديَّ السلامُ
اقطع الليل كلهُ باكتئابٍ　　وزفيرٍ فما اكاد انامُ

---

(١) يَلْبَنٌ وبرام موضعان . والآطام جمع أطم وهي القصور والحصون . وقال الاصمعيّ : الآطام الدور المسطَّحة السقوف . وفي رواية ابن عمَّار : «ذي آواش» كأنهُ اراد بهِ ان هذه القصور موشيَّة او منقوشة . ورواه اسحاق آواس . وقال : واحدها اسيٌّ وهو الاصل . (قال) ويقال : فلان في أسيِّهِ اي في اصله . والأُسيُّ والاساس واحد . وذُرى كل شيء اعلاه . وهو جمع واحدته ذروة

نحو قومي اذ فرّقت بيننــا الدارُ م وحالت عن قصدها الاحلامُ
خشيةً ان يصيبهُ عنت الدهرِ م وحربٌ يشيب فيهــا الغلامُ
فلقــد حان ان يكون لهــذا م الدهر عنا تباعدٌ وانصرامُ(١)

فلما بلغ ابن الزبير شعر ابي قطيفة هذا قال : حنّ والله ابو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله . من لقيه فليخبره انهُ آمنٌ فليرجع . فأُخبر بذلك . فانكفأَ الى المدينة راجعاً فلم يصل حتى مات

معبد في بعض حمامات الشام

قال معبد : ارسل اليَّ الوليد بن يزيد فاشخصت اليهِ . فبينا انا يوماً في بعض حمامات الشام اذ دخل عليَّ رجلٌ لهُ هيبة ومعهُ غلمانٌ لهُ . فاطّلى واشتغل بهِ صاحب الحمام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أُطلع هذا على بعض ما عندي لأكوننَّ بزجر الكلب . فاستــدبرتهُ حيث يراني ويسمع مني . ثم ترنمت . فالتفت اليَّ وقال للغلمان : قدموا اليهِ ما هنا . فصار جميع ما كان بين يديه عندي . ثم سألني ان اسير معهُ الى منزله فاجبتــه . فلم يدع من البرّ والاكرام شيئاً الّا فعله . ثم وضع النبيــذ فجعلت لا آتي بحسنٍ الّا خرجتُ الى ما هو احسن منهُ . وهو لا يرتاح ولا يحفل لما رأى مني . فلما طال عليــهِ امري قال : يا غلام شيخنا شيخنا . فأُتي بشيخ . فلما رآهُ هشَّ اليه . فاخذ الشيخ العــود ثم اندفع يغني :

(١) حدَّث المدائني ان امرأة من اهل المدينة تزوَّجها رجل من اهل الشام . فخرج بها الى بلده على كرهٍ منها . فسمعت منشدًا يُنشد شعر ابي قطيفة هذا . فشهقت شهقة وخرَّت على وجهها ميتة

سِلَوَّر (١) في القدرْ ويلي علوَّهْ　　جاء القطْ اكلهْ ويلي عَلَوَّهْ

(قال) فجعل صاحب المنزل يصفق ويضرب برجليهِ طربًا وسرورًا . (قال) ثم غنّاه

ويرميني الخليل بالدرَاقنْ (٢)　　ويحسبني الخليل لا اراهُ

(قال) فكاد ان يخرج من جلده طربًا . (قال) وانسللت منهم فانصرفت ولم يعلم بي . فما رأيت مثل ذلك اليوم قطّ غناء اضيع ولا شيخًا اجهل

الوليد بن عبد الملك وابن سُريج

اخبر الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيهِ عن جدّه قال : كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة أن : اشخص اليّ ابن سريج . فاشخصه . فلما قدم مكث اياماً لا يدعو بهِ ولا يلتفت اليهِ . ثم انهُ ذكره وطرب لهُ . فقال : ويحكم اين ابن سريج . قالوا : حاضر . قال : عليَّ بهِ . قالوا : اجب امير المؤمنين . فتهيأ ونلبس واقبل حتى دخل على الوليد فسلّم . فاشار اليهِ ان : اجلس . فجلس بعيدًا . فاستدناهُ فدنا حتى كان قريبًا منهُ . فقال : ويحك يا عبيد قد بلغني عنك ما حملني على الوفادة من كثرة ادبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة منطقك . قال : جُعلت فداك يا امير المؤمنين تسمع بالمُعَيديّ . قال : اني لأرجو أن تكون أنت ذاكَ . هات ما عندك . واندفع ابن سريج يغني بشعر الاحوص « امنزلتَي سلمى على القدم اسلما » . حتى قال :

---

(١) السلوّر السمك الجريّ بلغة اهل الشام

(٢) الدُّراقن اسم الخوخ بلغة اهل الشام

فدعها واخلف للخليفة مدحةً ترِل عنك بؤسى او تزيدك انعما
فانَّ بكفيهِ مفاتيح رحمةٍ وغيث حيًا تحيي بهِ الناس مذ هما
امامٌ اتاه الملك عفوًا ولم يُشِب على ملكهِ مالًا حرامًا ولا دما
تخيَّرهُ ربُّ العباد لخلقهِ وليًا وكان الله بالناس اعلما
فلما قضاه الله لم يدعُ مسلمًا لبيعتهِ الّا اجاب وسلّما
ينال الغنى والعزَّ من نال ودَّهُ ويوهب موتًا عاجلًا من تشاما

فقال الوليد : احسنت واحسن الاحوص . ثم قال : يا عبيد هيهِ . فغنَّى بشعر عديّ بن الرِقاع العاملي يمدح الوليد :

طار الكرى وألمَّ الهمّ فاكتنعا وحيل بيني وبين النوم فامتنعا
كان الشباب قناعًا استكنُّ بهِ وأستظلُّ زمانًا ثُمَّتَ انقشعا
واستبدل الرأس شيبًا بعد داجيةٍ فينانةٍ ما ترى في صدغها نزعا

الى ان قال :

صلى الذي الصلوات الطيبات له والمؤمنون اذا ما جمّعوا الجمعا
على الذي سبق الاقوام ضاحيةً بالاجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمن امَّتهُ على يديهِ وكانوا قبلهُ شيعا
عذنا بذي العرش ان نحيا ونفقده وان نكون لراعٍ بعدهُ تبعا
ان الوليد امير المؤمنين لهُ ملكٌ عليهِ أعان الله فامتنعا
لا يمنع الناس ما اعطى الذين لهم بهِ عبيدٌ لا يعطون من منعا

فقال لهُ الوليد : صدقتَ يا عبيد انَّى لكَ هذا . قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو كان غير هذا لاحسنت ادبك . قال ابن سريج : ذلك فضل الله يوتيهِ من يشاء . قال الوليد : يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج :

هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر. قال الوليد : علمك والله اكثر واعجب اليَّ من غنائك. غني. فغناه بشعر عديّ بن الرقاع يمدح الوليد :

عرف الـديار توهمًا فاعتادها من بعد ما شمل البلا ابلادها

حتى قال :

صلى الاله على امرءٍ ودَّعتــهُ واتمَّ نعمتــهُ عليهِ وزادهــا
واذا الربيع تتابعت انواؤُهُ فسقى خناصرة الاحصّ وجادها
نزل الوليد بها فكان لاهلها غيثًا اغاث انيسهــا وبلادهــا
أوَلا ترى ان البريَّة كلها القت خزائمهــا اليهِ فقــادها
ولقد اراد الله اذ ولّاكها من امَّةٍ اصلاحها ورشادهــا
اعمرتَ ارض المسلمين فاقبلت وكففت عنها من اراد فسادها
واصبت في ارض العدوّ مصيبةً عمت اقاصي طرفها ونجــادها
ظفرًا ونصرًا ما تناول مثلــهُ احدٌ من الخلفــاء كان ارادها
واذا نشرت لهُ الثنــاء وجدتهُ جمع المكارم طِرفها وتِلادها

فاشار الوليد الى بعض الخدم . فغطوهُ بالخلع ووضعوا بين يديهِ كيسة الدنانير وبِدَر الدراهم . ثم قال الوليد: أمولى نوفل بن الحرث لقــد اوتيتَ امرًا جايلًا . فقال ابن سريج : وانت يا امير المؤمنين فقد آتاك الله ملكًا عظيمًا وشرفًا عاليًا وعزًّا بسط يدك فيهِ فلم يقبّضه ولا يفعل ان شاء الله. فأدام الله لكَ ما ولّاك . وحفظك فيما استرعاك. فانك اهل لما اعطاك ولا نزعهُ منك اذ رآك موضعًا لما استرعاك. قال: انوفليٌّ وخطيب ايضًا . قال ابن سريج : عنك نطقتُ. وبلسانك تكلمتُ. وبعزّك اثنيت

مفاخرة اسحق الموصلي اباه بالغناء

اخبر اسحق قال : لما صنع ابي لحنه في «ليت هنداً» خاصمتهُ وعبتهُ في صنعته وقلت لهُ : اما بازائك من ينتقد انفاسك ويعيب محاسنك وانت لا تفكر تجيء الى صوت قد عمل فيهِ ابن سريج لحناً فتعارضه بلحن لا يقاربه . والشعر اوسع من ذلك . فدع ما قد اعتورتهُ صناعة القدماء وخذ في غيره . فغضب . وكنت لا ازال افاخره بصنعتي واعيب ما يعاب من صنعته . فان قبل مني فذلك . وان غضب داريتهُ وترضَّيته . فقال لي : ما يعلم الله اني أدعك او تفاخرني بخير صوت صنعته في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت . فلما رأيت الجدَّ منهُ اخترت صنعتي في هذا اللحن :

قــل لمن صدَّ عاتباً ونأى عنــك جانبا
قد بلغتَ الذي اردتَ وان كنت لاعبا

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير خارجين الى الصحراء نقطع فضلة خمارينــا . فقال : من تحبّ ان يحكم بيني وبينك . فقلت : من ترى ان يحكم ههنــا . قال : أوّل من يطلع اغنيه لحني وتغنيهِ لحنك . فطمعت فيهِ وقلت : نعم . فأقبل شيخ نبطيّ يحمل شوكاً على حمار لهُ . فأقبل عليهِ ابي فقال : اني وصاحبي هذا قد تراضينا بكَ في شيء . قال : واي شيء هو . فقلنا : زعم كل واحد منا انهُ احسن غناء من صاحبه . فتسمع مني ومنهُ وتحكم . فقال : على اسم الله . فبدأ ابي فغنّى لحنه . وتبعته فغنيت لحني . فلما فرغت اقبل عليَّ فقال لي : قد حكمت عليك عافاك الله . ومضى . فلطمني ابي لطمة ما مرَّ بي مثلها منهُ

قط . وسكتُّ فما اعدت عليهِ حرفًا ولا راجعتهُ بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا

نصيحة جعفر بن يحيي لابراهيم الموصلي

حدَّث حماد عن ابيهِ قال : قال ابي : قال جعفر بن يحيي يومًا وقد علم ان الرشيد اذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذٍ صرْ اليَّ حتى اهبك شيئًا حسنًا . فصرت اليهِ . فقال لي : ايما احبّ اليك أهب لكَ الشيء الحسن الذي وعدتك بهِ او ارشدك الى شيء تكسب بهِ الف الف درهم . فقلت : بل يرشدني الوزير اعزَّهُ الله الى هذا الوجه فانهُ يقوم مقام اعطائهِ اياي هذا المال . فقال : ان امير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمَّة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره . فاذا سمع فيهِ غناء اطربه اكثر مما يطرب به غيره مما لا يحفظ شعره . فاذا غنيتهُ فاطربتهُ وأمر لكَ بجائزة فقم على رجليك قائمًا وقبل الارض بين يديه وقل لهُ : حاجة لي غير هذه الجائزة اريد ان اسألها امير المؤمنين وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضرُّه ولا ترزؤه . فانهُ سيقول لكَ : ايُّ شيء حاجتك . فقل : قطيعة تقطعنيها سهلة عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لاحد . فاذا اجابك الى ذلك فقل لهُ : تقطعني شعر ذي الرمَّة أُغني فيهِ ما اختاره وتحظر على المغنين جميعًا ان لا يداخلوني فيهِ . فاني احبُّ شعره وأستحسنه فلا احبُّ ان ينغّصه عليَّ احد منهم . وتوثَّق منهُ في ذلك . فقبلت ذلك القول منهُ . وما انصرفت من عنده بعد ذلك الَّا بجائزة . وتوخيت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتهُ فقمت فسألت كما قال لي وتبينت السرور في وجههِ

وقال : ما سألت شططاً وقال : اقطعتكَ سؤلتكَ . فجعلوا يتضـاحكون من قولي ويقولون : لقد استضخمت القطيعة . وهو ساكت . فقلت : يا امير المؤمنـين اتأذن لي في التوثّق . قال : توثق كيف شئت . فقلت : بالله وبحق رسوله وبتربة امير المؤمنين المهدي الّا جعلتني على ثقة من ذلك بانك لا تعطي احداً من المغنين جائزة على شيء يغنيهِ في شعر ذي الرمة فان ذلك وثيقتي . فحلف مجتهداً لهم لئن غناه احد منهـم في شعر ذي الرمة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناءه . فشكرت فعله وقبلت الارض بين يديه وانصرفنا . فغنيت مائة صوت وزيادة عليها في شعر ذي الرمة . فكان اذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربه ووصلني فاجزل . ولم ينتفع بهِ احد منهم غيري . فاخذت منهُ والله بها الف الف درهم والف الف درهم

غِنى ابراهيم الموصليّ وجوده

قال حماد : قال لي ابي : نظرت الى ما صـار الى جدك من الاموال والغلاّت وثمن ما باع من جواريهِ فوجدتهُ اربعة وعشرين الف الف درهم (١) سوى ارزاقه الجـارية وهي عشرة آلاف درهم (٢) في كل شهـر وسوى غلاّت ضياعه وسوى الصلات النزرة التي لم يحفظها . ولا والله ما رأيت أكمل مروّة منه . كان لهُ طعام معدّ في كل وقت . فقلت لابي : اكان يمكنه ذلك . فقال : كان لـهُ في كل يوم ثلاث شياه واحدة مقطعـة في القدور واخرى

---

(١) اعني ثمانمائة الف فرنك وستة عشر الف الف فرنك

(٢) ما يساوي سبعة آلاف فرنك

مسلوخة ومعلقة واخرى حيّة . فاذا اتاه قوم طعموا ما في القدور . فاذا فرغت قُطِّعت الشاة المعلقة ونصبت القدور وذبحت الحية فعلقت وأُتي باخرى فجعلت وهي حية في المطبخ . وكانت وظيفتهُ لطعامه وطيبه وما يتخذ لهُ في كل شهر ثلاثين الف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته . ولقد اتفق عندنا مرةً من الجواري الودائع لاخوانه ثمانون جارية ما منهنَّ واحدة الَّا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يجري لاخصّ جواريه . فاذا رُدَّت الواحدة منهنَّ الى مولاها وصلها وكساها . ومات وما في ملكه الَّا ثلاثة آلاف دينار وعليهِ من الدين سبعمائة دينار قضيت منها

كبر نفس ابراهيم الموصلي ونُبله

اخبر مخارق قال : اتى ابراهيم الموصلي محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان . فسألهُ محمد ان يُقيم عنده . فقال : ليس يمكنني لانَّ رسول امير المؤمنين قاعد . قال : فتمرّ بنا اذا انصرفت ولك عندي كل ما يُهدى اليَّ اليوم . فقال : نعم . وترك في المجلس صديقاً لهُ يحصي ما يبعث اليهِ . (قال) فجاءت هدايا عجيبة من كل ضرب . (قال) وأُهدي اليهِ تمثال فيل من ذهب عيناه ياقوتتان . فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعث بهِ الى فلانة . ففعل . وانصرف ابراهيم اليهِ فقال : احضرني ما أُهدي لك . فاحضره ذلك كلهُ الَّا التمثال وقال : لا بدَّ من صدقك كان من الامر كذا وكذا . فقال : لا الَّا على الشريطة وكما ضمنت . فجيء بالتمثال . فقال ابراهيم : اليس الهدية لي فأعمل فيها ما اريد . قال : بلى . قال : فردَّ التمثال على الجارية . وجعل

يفرق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من اخوانه وغلمانه وعلى من في دور الخدّام من جواريه حتى لم يبق منها شيء . ثم اخذ من المجلس تفاحتين لما اراد الانصراف وقال : هذا اليّ . وانصرف . وجعل محمد يعجب من كبر نفسه ونبله

ابن جامع في دار الرشيد

حدّث اسمعيل بن جامع السهمي قال : ضنني الدهر ضماً شديداً بمكة فانتقلت منها بعيالي الى المدينة . فاصبحت يوماً وما املك الّا ثلاثة دراهم . فهي في كمي اذا انا بجارية حمراء على رقبتها جرّة تريد الرُكِيّ تسعى بين يديّ وترنّم بصوت شجي تقول :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لانّ النوم يغشى عيونهم سراعاً وما يغشى لنا النوم اعينا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

(قال) فأخذ الغناء بقلبي ولم يدرْ لي منهُ حرف . فقلت : يا جارية لقد اعجبني والله حسن غنائكِ فلو شئتِ اعدتِ . قالت : حبّاً وكرامةً . ثم اسندت ظهرها الى جدار قرب منها ورفعت احدى رجليها فوضعتها على الاخرى ووضعت الجرّة على ساقها ثم انبعثت تغنيهِ . فوالله ما دار لي منهُ حرف . فقلت : احسنتِ فلو شئتِ اعدتيهِ مرّة اخرى . ففطنت وكلّحت وقالت : ما اعجب امركم احدكم لا يزال يجيء الى الجارية عليها الضريبة فيشغلها . فضربت بيدي الى الثلاثة الدراهم فدفعتها اليها وقلت : اقيمي بها وجهكِ اليوم

الى ان نلتقي . (قال) فاخذتها كالكارهة وقالت : انت الآن تريد ان تأخذ مني صوتاً احسبك ستأخذ بهِ الف دينار والف دينار والف دينار . (قال) وانبعثت تغني . فاعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته وانصرفت مسروراً الى منزلي اردّده حتى خفّ على لساني . ثم اني خرجت اريد بغداد فدخلتها . فنزل بي المكاري على باب محول . فبقيت لا ادري اين اتوجّه ولا من اقصد . فذهبت امشي مع الناس حتى اتيت الجسر فعبرت معهم ثم انتهيت الى شارع المدينة فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً . فقلت : مسجد قوم سراة . فدخلته وحضرت صلاة المغرب واقمت بمكاني حتى صلّيت العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف اهل المسجد وبقي رجل يصلي خلفهُ جماعة خدم وفحول ينتظرون فراغهُ . فصلّى ملياً . ثم انصرف فرآني فقال : احسبك غريباً . قلت : اجل . قال : فمتى كنت في هذه المدينة . قلت : دخلتها آنفاً وليس لي بها منزل ولا معرفة وليست صناعتي من الصنائع التي يُمتّ بها الى اهل الخير . قال : وما صناعتك . قلت : اتغنّى . (قال) فوثب مبادراً ووكل بي بعض من معهُ . فسألت الموكل بي عنهُ . فقال : هذا سلام الابرش . (قال) واذا رسول قد جاء في طلبي . فانتهى بي الى قصر من قصور الخلافة وجاوزني مقصورة الى مقصورة . ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز ودعا بطعام . فاتيت بمائدة عليها من طعام الملوك . فاكلت حتى امتلأت . فاني لكذلك اذ سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل . قيل : هو هذا . قال : ادعوا لهُ بغسول وخلعة وطيب . ففعل ذلك بي . فحملت على دابة الى دار الخليفة وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران . فجاوزت مقاصير عدَّة حتى صرت الى دار قوراء فيها اسرَّة في وسطها قد أُضيف

بعضهـا الى بعض . فامرني الرجل بالصعود فصعدت . واذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجورهنّ العيدان وفي حجر الرجل عود . فرحب الرجل بي . واذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم ألبث ان خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل : تغنَّ . فانبعث يغني بصوت لي وهو :

لم تمش ميلًا ولم تركب على قتب ... ولم ترَ الشمس الّا دونها الكللُ
تمشي الهوينا كأنّ الريح ترجعها ... مشي اليعافير في جيآتها الوهلُ

فغنّى بغير اصابة واوتار مختلفة ودساتين مختلفة . ثم عاد الخادم الى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تغني . فغنت ايضًا بصوت لي كانت فيه احسن حالًا من الرجل . وهو قوله :

لئن مصر فاتتني بما كنت ارتجي ... واخلفني فيها الذي كنت آملُ
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ... ولا كل ما يرجو الفتى هو نائلُ

ثم عاد الى الثانية . واحسبه اغفلها وما تغنت بهِ . ثم عاد الخادم الى الجارية التي تليها فانبعثت تغني بصوت لحكم الوادي وهو:

تعيّرنا انّا قليل عديدنا ... فقلت لها ان الكرام قليلُ
وما ضرّنا انّا قليل وجارنا ... عزيز وجار الاكثرين ذليلُ
وانّا لقوم ما نرى القتل سبّةً ... اذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا ... وتكرههُ آجالهم فتطولُ

(قال) وتوقعت مجيءَ الخادم اليَّ فقلت للرجل : بأبي انت خذ العود فشدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحط دستان كذا . ففعل ما أمرتهُ . وخرج الخادم فقال لي : تغني عافاك الله . فتغنيت بصوت الرجل الاول على غير ما غنّاه . فاذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا الى الاسرّة وقالوا : ويحك

لمن هذا الغناء . قلت لي : فانصرفوا عني بتلك السرعة . وخرج اليّ الخادم وقال : كذبت هذا الغناء لابن جامع . ودار الدور فلما انتهى الغنـــاء اليَّ قلت للجـارية التي تلي الرجل : خذي العود . فعلمت ما أريد فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني . فتغنيتُ بِهِ . فخرجت اليَّ الجماعة الاولى من الخـــدم فقالوا : ويحك لمن هذا . قلت : لي . فرجعوا وخرج الخادم فتغنيت بصوت لي فلا يعرف الّا بي . وسقوني فتزيدت وهو :

وما لي لا ابـكـي واندب ناقتي اذا صدر الرعيان ورد المناهل
وكنت اذا ما اشتدّ شوقي رحلتها فسـارت بمحزونٍ كثيرِ البلابلِ

(قال) فتزلزلت والله الـدار عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحـك لمن هذا الغناء . قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبت هذا غناء ابن جامع . فقلت : فانا اسمعيل ابن جامع . فما شعرت الّا واميرالمؤمنين وجعفر بن يحيي قد اقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منهُ الخادم . فقال لي الفضـل بن الربيع : هذا اميرالمؤمنين قد اقبل اليك . فلما صعـد السرير وثبت قائماً فقال لي : ابن جامع . قلت : ابن جامع جعلني الله فداك يا امير المؤمنين . قال : ويحك متى كنت في هذه البلدة . قلت : آنفاً دخلتها في الوقت الذي علم بي اميرالمؤمنين . قال : اجلس ويحك يا ابن جامع . ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس وقال لي : ابشر وابسط املك . فدعوت لهُ . ثم قال : غني يا ابن جامع : فخطر بقلبي صوت للجارية للحميراء فأمرت الرجل باصلاح العود على ما اردت من الطبقـــة . فعرف ما اردت فوزن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الاوتار ولخذت الدساتين مواضعها وانبعثت أُغني بصوت للجارية للحميراء . فنظر الرشيد الى جعفر وقال : أَسمعت كذا قط . فقال :

لا والله ما خرق مسامعي قطّ مثلهُ . فرفع الرشيد رأسهُ الى خادم بالقرب منهُ فدعا بكيس فيهِ الف دينار . فجاء بهِ فرمى بهِ اليَّ . فصيَّرتهُ تحت فخذي ودعوت لامير المؤمنين . فقال : يا ابن جامع رد على امير المؤمنين هذا الصوت . فرددتهُ وتزيَّدت فيهِ . فقال لهُ جعفر : يا سيدي أما تراه كيف يتزيد في الغناء هذا خلاف ما سمعناه اولاً وان كان الامر في اللحن واحداً . (قال) فرفع الرشيد رأسهُ الى ذلك الخادم فدعا بكيس فيهِ الف دينار . فجاءني بهِ فصيرتهُ تحت فخذي . وقال : تغنَّ يا اسمعيل ما حضرك . فجعلت اقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني انهُ يشتري عليهِ الجواري فاغنيهِ . فلم ازل افعل ذلك الى ان عسعس الليل . فقال : اتعبناك يا اسمعيل هذه الليلة بغنائك فأعد على امير المؤمنين الصوت (يعني صوت الجارية) . فتغنيت . فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيهِ الف دينار . (قال) فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسَّمت . ولحظني فقال : ويحك مما تبسمت . فجثوت على ركبتي وقلت : يا امير المؤمنين الصدق منجاة . فقال لي بانتهار : قل . فقصصت عليهِ خبر الجارية . فلما استوعبهُ قال : صدقت قد يكون هذا . وقام . ونزلت من السرير ولا ادري اين اقصد . فابتدرني فرَّاشان فصارا بي الى دار قد أمر بها امير المؤمنين ففُرشت وأُعدّ فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ومن كل آلة وخَوَل الى جوار ووصفاء . فدخلتها فقيرًا واصبحت من جلّة اهلها ومياسيرهم

معبد والغريض

حدث معبد قال : خرجت الى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائهِ في لحنه :

وما أنسَ مِل اشياء لا أنسَ شادنًا   بمكة مكحولًا اسيلًا مدامعهْ

وقد كان بلغني انهُ اول لحن صنعهُ وان الجنّ نهتهُ ان يغنيهِ لانهُ فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من اجل حسنه . فلما قدمت مكة سألت عنهُ فدُللت على منزله فاتيتهُ . فقرعت الباب . فما كلمني احد . فسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار احد . فقال لي : نعم فيها الغريض . فقلت : اني قد اكثرت دقّ الباب فما اجابني احد . قالوا : ان الغريض هناك . فرجعت فدققت الباب . فلم يجبني احد . فقلت : ان نفعني غنائي يوماً نفعني اليوم . فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل . فوالله ما سمعت حركة الباب . فقلت : بطل سحري وضاع سفري وجئت اطلب ما هو عسيرٌ عليّ واحتقرت نفسي وقلت : لم يتوهمني لضعف غنائي عنده . فما شعرت الَّا بصائح يصيح يا معبد المغنّي . افهم وتلقّ عني . شعر جميل الذي تغني . فيهِ ياشقيّ البخت وغني : وما انس مل اشياء لا أنس قولها . . . . »

(قال) فلقد سمعت شيئاً لم اسمع احسن منهُ وقصرالي نفسي وعلمت فضيلته عليّ بما احسّ من نفسه وقلت : انهُ لحريّ بالاستتار من الناس تنزيهاً لنفسه وتعظيماً لقدره وان مثله لا يستحق الابتذال ولا ان تتداولهُ الرجال . فاردت الانصراف الى المدينة راجعاً . فلما كنت غير بعيد اذا بصائح يصيح بي : يا معبد انظر اكلمك . فرجعت . فقال لي : ان الغريض يدعوك .

فأسرعت فرحاً فدنوت من الباب . فقال لي : أتحب الدخول . فقلت: وهل الى ذلك من سبيل . فقرع الباب فَفُتح . فقال لي : ادخل ولا تطل الجلوس . فدخلتُ . فاذا شمس طالعة في بيت . فسلمتُ فردّ السلام ثم قال : اجلس . فجلست . فاذا أنبل الناس واحسنهم وجهاً وخَلقاً وخُلقاً . فقال : يا معبد كيف طرأت الى مكة . فقلت: جعلت فداءك وكيف عرفتني . فقال : بصوتك . فقلت : وكيف وانت لم تسمعهُ قطّ . قال : لما غنيت عرفتك بهِ وقلت : ان كان معبد في الدنيا فهذا . فقلت : جعلت فداك فكيف اجبتني بقولك: « وما انسَ مل اشياء لا أنس قولها » . فقال : قد علمت انك تريد ان اسمعك صوتي :

وما انس مل اشياء لا أنس شادناً بمكة مكحولاً اسيلاً مدامعه

ولم يكن الى ذلك سبيل لانهُ صوت قد نهيت ان اغنيهِ فغنيتكَ هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيتَ . فقلت : والله ما عدوتَ ما اردتُ فهل لكَ حاجة . فقال لي : يا أبا عباد لولا ملالة الحديث وثقل اطالة الجلوس لاستكثرت منك فاعذر . فخرجت من عنده وانهُ لاجلُّ الناس عندي ورجعت الى المدينة . فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته فما رأيت انساناً الّا وهو اجلُّ منهُ في عيني

طويس وعبد الرحمن بن حسان

حدّث المدائني قال : كان عبد الله بن جعفر معهُ اخوان لهُ في عشية من عشايا الربيع . فراحت عليهم السماء بمطر جود فانسال كل شيء . فقال

عبد الله : هل لكم في العقيق . وهو متنزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر . فركبوا دوابهم . ثم انتهوا اليهِ فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مدّ الفرات . فانهم لينظرون اذ هاجت السماء . فقال عبد الله لاصحابه : ليس معنا جنّة نستجنُّ بها وهذه سماء خليقة ان تبلّ ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانهُ قريب منا فنستكنّ فيهِ ويحدثنا ويضحكنا . وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر . فقال لهُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداءك وما تريد من طويس عليهِ غضب الله مخنّث شائنٌ لمن عرفه . فقال لهُ عبد الله : لا تقل ذلك فانهُ مليح خفيف لنا فيهِ انس . فلما استوفى طويس كلامهم تعجّل الى منزله فقال لامرأته : ويحكِ قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس فما عندكِ . قالت : نذبح هذه العناق وكانت عندها عنيقة قد ربتها باللبن وأختبز خبزًا رقاقًا . فبادر فذبحها وعجنت هي . ثم خرج فتلقاه مقبلًا اليهِ . فقال لهُ طويس : بابي انت وامي هذا المطر فهل لك في المنزل فتستكنّ فيهِ الى ان تكفّ السماء . قال : اياك اريد . قال : فامضِ يا سيدي على بركة الله . وجاء يمشي بين يديهِ حتى نزلوا . فتحدثوا حتى ادرك الطعام . فقال : بابي انت وامي تكرمني اذ دخلت منزلي بان تتعشى عندي . قال : هات ما عندكَ . فجاءهُ بعناق سمينة ورقاق . فاكل واكل القوم حتى تملأوا فاعجبه طيب طعامه فلما غسلوا ايديهم قال : بابي انت وامي اتمشّى معك واغنيك . قال : افعل يا طويس . فاخذ ملحفة فاتزر بها وارخى لها ذنبين ثم اخذ المربع فتمشى وانشأ يغني :

يا خليلي نابني سهدي لم تنم عيني ولم تكدِ

فطرب القوم وقالوا : احسنت والله يا طويس . ثم قال : يا سيدي اتدري لمن

هذا الشعر . قال : لا والله ما ادري لمن هو. الّا اني سمعت شعرًا حسنـًا .
قال : هو لقارعة بنت ثابت اخت حسان بن ثابت في عبد الرحمن بن الحرث
بن هشام المخزومي . فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو
شُقَّت الارض لهُ لدخل فيها خالدًا

الفرزدق وجرير على باب الحجاج

حدث شيخ من هذيل كان خالاً للفرزدق من بعض اطرافه قال : سمعت
بالفرزدق وجرير على باب الحجاج فقلت : لو تعرضت ابن اختنا . فامتطيت اليهِ
بعيرًا حتى وجدتهما قبل ان يخلصا ولكل واحد منهما شيعة . فكنت في
شيعة الفرزدق . فقام الآذن يومًا فقال : اين جرير . فقال جرير : هذا ابو فراس .
فاظهرتْ شيعتـه لومه واسرّته . فقالَ الآذن : اين الفرزدق . فقـام
فدخل . فقالوا لجرير: أتنـاويه وتهاجيهِ وتشاخصه ثم تُبدَّى عليه فتـأبى
وتبدّيه . قضيتَ لهُ على نفسك . فقال لهم : انهُ تزر القول ولم ينشب ان
ينفد ما عنده وما قال فيهِ فيفاخره ويرفع نفسه عليهِ . فما جئت بهِ بعـد
حُمدت عليهِ واستُحسن . فقال قائلهم: لقد نظرتَ نظرًا بعيدًا . (قال) فما
نشبوا ان خرج الآذن فصاح : اين جرير . فقام جرير فدخل . (قال) فدخلت .
فاذا ما مدحه بهِ الفرزدق قد نفد واذا هو يقول :

اين الذين بهم تسامي دارماً ... ام من الى سفلى طهيَّة تجعلُ

(قال) وعمامته على راسه مثل المنسف . فصحت من ورائه :

هذا ابن يوسف فاعلموا وتفهموا ... برح الخفاء فليس حين تناجي

من سدَّ مطلع النفــاق عليكمُ　　ام من يصول كصولة الحجاجِ
قل للجبــان اذا تأخر سرجهُ　　هل أنت من شرَك المنية ناجِ

قال : وما تشبيبها . وطرب . فقال جرير :

لجَّ الهوى بفؤادك المجـاجِ　　فاحبس بتوضح باكر الاحداجِ

وامرّها . (أو قال : امضاها) . فقال : اعطوهُ كذا وكذا . فاستقللت ذلك . (فقال الهذلي) وكان جرير عربيًا قرويًا فقال للحجاج : قد أمر لي الامــير بما لم يُفهم عنهُ فلو دعا كاتبًا وكتب بما أمر بهِ الامير . فدعا كاتبًا واحتاط فيهِ باكثر من ضعفهِ . واعطى الفرزدق ايضاً . (قال الهذلي) فجئت الفرزدق فأمر لي بستين دينارًا وعبد . ودخلت على رواتهِ فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره فاخذت من شعره ما اردت . ثم قلت لهُ : يا ابا فراس من اشعر الناس . قال : اشعر الناس بعدي ابن المراغة . قلت : فمن انسب الناس . قال : الذي يقول :

ومريحةٌ همّي عليَّ كانني　　حتى الصباح معلّقٌ بالفرقدِ

قلت : ذاك الاحوَص . قال : ذاك هو . (قال الهذلي) ثم اتيت جريرًا فجعلت استقلّ عنده ما اعطاني صاحبي أستخرجُ بهِ منه . فقــال : كم اعطاك ابن اختك . فاخبرتهُ . فقال : ولك مثله . فاعطاني ستين دينارًا وعبدًا . (قال) وجئت رواته وهم يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيهِ من السنــاد . فاخذت منهُ ما اردت . ثم قلت : يا ابا حزرة من أنسب الناس . قــال : الذي يقول :

ياليت شعري عمَّن كلفت بهم　　من خثعم اذ نأيتُ ما صنعوا
قوم يحلّــون بالسـديـ　　ـر وبالحيرة منهم مرأًى ومستمعُ
ان شطَّت الدار عن ديارهمِ　　أأمسكوا بالوصــال أم قطعوا

بل هم على خير ما عهدت وما ذلـك الّا التأميـل والطمعُ

قلت: ومن هو . قــال: الاحوص . فاجتمعا على ان الاحوَص أنسب الناس

ضرب الوليد بن عقبة الحدَّ لشربهِ الخمر

اخبر ابو الضحاك قال: كان ابو زينب الازديّ وابو مزرع يطلبان عثرة الوليد بن عقبة . فجاءا يوماً فلم يحضر الصلاة . فسألا عنهُ وتلطَّفا حتى علما انهُ يشرب . فاقتحما عليهِ الدار فوجداه يقيءُ . فاحتملاه وهو سكران فوضعاه على سريره واخذا خاتمــه من يده . فأفاق فافتقد خاتمــه فسأل عنهُ . فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك . فقال: صفوهما لي . فقالوا: احدهما آدم طويل حسن الوجه والآخر عريض مربوع عليه خميصة . فقال: هذا ابو زينب وابو مزرع . ولقي ابو زينب وصاحبه عبدَ الله بن حبيش الاسديّ وعلقمة بن يزيد البكريّ وغيرهمــا فاخبراهم . فقالوا: اشخصوا الى امير المؤمنين فاعلموه . فقال بعضهم: لا يقبل قولنا في اخيــهِ . فشخصوا اليهِ وقالوا: انَّا جئناك في امرٍ ونحن مخرجوهُ اليك عن اعناقنا وقد قلنا انك لا تقبله . قال: وما هو . قالوا: رأينا الوليــد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه اخذناه وهو لا يعقل . فارسل الى عليّ رضيَ الله تعالى عنــهُ فشاوره . فقال: ارى ان تشخصه فان شهدوا عليهِ بمحضرٍ منهُ حددتهُ . فكتب عثمان رضيَ الله تعالى عنهُ الى الوليد بن عقبة . فقدم عليهِ . فشهد عليــهِ ابو زينب وابو مزرع وجندب الاسديّ وسعد بن مالك الاشعريّ ولم يشهد عليهِ

الايمان . فقال عثمان لعليّ : قم فاضربه . فقال عليّ للحسن : قم فاضربه . فقال الحسن : مالك ولهذا يكفيك غيرك . فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه . فضربه بمخصرة فيها سير له رأسان . فلما بلغ اربعين قال له عليّ : حسبك

اسحق الموصليّ وجاريته دمن

حدَّث محمد بن موسى اليزيديّ قال : حدثتني دمن جارية اسحق الموصليّ وكانت من كبائر جواريهِ واحظى من عنده ولقيتها فقلت لها : ايّ شيء اخذتِ عن مولاكِ من الغناء . فقالت : لا والله ما اخذت انا عنهُ ولا واحدة من جواريه صوتاً قط . كان البخل بذلك . وما اخذت منهُ قط الّا صوتاً واحداً . وذلك انهُ انصرف من دار الخليفة وهو مثخن سكران فدخل الى بيت كان ينام فيهِ فرأى عوداً معلقاً كان يكون في بيت منامه فاخذه بيده وقال لخادمه : يا غلام صحْ لي بدمن . فجاءني الغلام فخرجتُ . فلما بلغت الباب اذا هو مستلقٍ على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده وقد استخفر في نغمه وتنوّق فيها حتى استقام لهُ وهو :

أبى ليلي أن يذهبْ ونيط الطرفُ بالكوكبْ
وهذا الصبح لا ياتي ولا يدنو ولا يقربْ

فلما سمعتهُ علمت اني ان دخلت اليهِ امسك . فوقفت استمعه حتى فرغ منهُ واخذتهُ عنهُ . فلما فرغ منهُ وضع العود من يده وذكر انهُ قد طلبني فقال : يا غلام اين دمن . فقلت : ها أنذا . فارتاع وقال : مذ كم انت واقفة .

فقلت : منذ ابتدأْتَ بالصوت وقد اخذتهُ بغير حمدك . فنظر اليَّ نظر مغضب أَسف . ثم قال : غنّيه . فغنيته حتى استوفيته وهو يكاد يتميز غيظاً . ثم قال لي وقد فتر وخجل : قد بقيت عليكِ فيهِ بقية انا اصلحها لكِ . فقلت : لست احتاج الى اصلاحك اياه فأصلحه لنفسك وقد والله اخذتهُ على رغمك . فاضطجع في فراشه ونام وانصرفت . فمكث اياماً اذا رآني قطب وجهه

حاجز بن عوف

هو احد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب وممن كان يعدو على رجليهِ عدوًا يسبق بهِ الخيل . حدث العباس بن هشام ان عوف بن الحرث الازدي قال لابنه حاجز : اخبرني يا بنيَّ باشدّ عدوك . قال : نعم . افزعتني خثعم فنزوت نزوات استفزّتني الخيل واصطفَّ لي ظبيان . فجعلت انهنُهما بيدي عن الطريق لضيقه ومنعاني ان اتجاوزهما في العدو لضيق الطريق . حتى اتسع واتسعت بنا فسبقتهما . فقال لهُ : فهل جاراك احد في العدو . قال : ما رأيت احدًا جاراني الَّا أُطيلس أُغيبر من البقوم (١) . فانَّا عدونا معاً فلم اقدر على سبقه . (قال) واغار عوف بن الحرث بن الاخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم فقال لاصحابه : انزلوا حتى اعتبر لكم . فانطلق حتى اتى صرماً من بني هلال . وقد عصب على يد فرسه عصاباً ليظلع فيطمعوا فيهِ . فلما اشرف عليهم استرابوا بهِ فركبوا في طلبه . وانهزم من بين ايديهم وطمعوا فيهِ . فهجم بهم على اصحابه بني سلامان . فأُصيب يومئذٍ بنو هلال وملأ القوم ايديهم من الغنائم

(١) البقوم بطن من الازد من ولد ناقم واسمهُ عامر بن خواله بن الحيق بن الازد

(وقال ابو عمرو) بينما حاجز في بعض غزواتهِ اذ احاطت بهِ خثعم . وكان معهُ بشير ابن اخيه . فقال لهُ : يا بشير ما تشير . قال : دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويعضوا وعضي معهم فيظنونا بعضهم . ففعلا . وكانت في ساق حاجز شامة . فنظرت اليها امرأة من خثعم فصاحت : يا آل خثعم هذا حاجز . فطاروا يتبعونه . فقالت لهم عجوز منهم كانت ساحرة : اكفيكم سلاحه أو عدوَه . فقالوا : لا نريد ان تكفينا عدوه فان معنا عوفًا وهو يعدو مثلــه . ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه . وتبعهُ عوف بن الاغرّ الخثعمي حتى قاربه . فصاحت بهِ خثعم . يا عوف ارمِ حاجزًا . فلم يقدم عليــهِ وجبن . فغضبوا وصاحوا : يا حاجز لك الذمام فاقتل عوفًا فانهُ قد فضحنا . فنزع في قوسهِ ليرميه فانقطع وتره لان المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه . فاخذ قوس بشير ابن اخيهِ فنزع فيها فانكسرت . وهربا من القوم ففاتاهم . ووجد حاجز بعيرًا في طريقه فركبهُ فلم يسر في الطريق الذي يريده ونجا به نحو خثعم . فنزل حاجز عنهُ فرّ فنجا وقال في ذلك :

فدى لكما رحلي أُميَّ وخالــتي ... بسعيكما بين الصفــا والاثائبِ
أوان سمعت القوم خلفي كانهم ... حريق اباءٍ شتَّ في الريح ثاقبِ
سيوفهمُ تغشى الجبان ونبلهم ... يضيءُ لدى الاقوام نار الحباحبِ
فغير قتالي في المضيق اغاثني ... ولكن صريح العدو غير الاكاذب
نجوت نجاء لا أبيك تبثــهُ ... وينجو بشير نحو ازعر خاضبِ
وجدت بعيرًا هاملًا فركبتهُ ... فكادت تكون شرَّ ركبة راكب

قال ابو عمر : وخرج حاجز من اسفاره فلم يعد ولا عرف لهُ خبر . فـكانوا يرون انهُ مات عطشًا او ضلَّ فقالت اختهُ ترثيه:

أحيٌّ حاجزٌ أم ليس حيٌّ ... فيسلك بين خِندِفَ واليمِ
ويشرب شربةً من ماء ترجٍ ... فيصدر مشية السبع الكليمِ

الواثق وقلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب احدى المغنيات المحسنات المتقدمات . فغُنّي بين يدي الواثق لحنٌ لها في شعر محمد بن كناسة قال :

فيَّ انقباضٌ وحشمة فاذا ... صادفتُ اهل الوفاء والكرمِ
ارسلتُ نفسي على سجيّتها ... وقلتُ ما قلتُ غير محتشمِ

فسأل لمن الصنعة فيهِ . فقيل : لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب . فبعث الى محمد بن عبد الملك الزيات فاحضره . فقال : ويلكَ من صالح بن عبد الوهاب هذا . فأخبره . قال : اين هو . قال : أبعث فاشخصهُ واشخص معهُ جاريته . فقدما على الواثق . فدخلت عليهِ قلم . فامرها بالجلوس والغناء فغنت . فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها . فقال صالح : ابيعها بمائة الف دينار وولاية مصر . فغضب الواثق من ذلك وردَّ عليهِ . ثم غنّى بعد ذلك زرزر الكبير في مجلس الواثق صوتاً الشعر فيهِ لاحمد بن عبد الوهاب اخي صالح والغناء لقلم وهو :

أَبت دار الاحبّة ان تبينا ... اجدَّكَ ما رأيت لها معينا

فسأل لمن الغناء . فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث الى ابن الزيات : اشخص صالحاً ومعهُ قلم . فلما اشخصهما دخلت على الواثق فأمرها ان تغنيهِ هذا الصوت . فغنتهُ . فقال لها : الصنعة فيهِ لكِ . قالت : نعم يا امير المؤمنين .

قال : بارك الله عليكِ . وبعث الى صالح فأُحضر فقال : اما اذا وقعت الرغبة فيها من امير المؤمنين فما يجوز ان املك شيئاً لهُ فيهِ رغبة وقد أهديتها الى امير المؤمنين فان من حقها عليَّ اذا تناهيت في قضائهِ ان أصيّرها ملكه فبارك الله لهُ فيها . فقال لهُ الواثق : قد قبلتها . وأمر ابن الزيات ان يدفع اليهِ خمسة آلاف دينار وسمّاها احتياطاً . فلم يعطهِ ابن الزيات المال ومطله بهِ . فوجّه صالح الى قلم مَن اعلمها ذلك . فغنّت الواثق وقد اصطبح صوتاً . فقال لها : بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيدي ومانفع من رباني مني الّا التعب والغرم عليَّ والخروج مني صفرًا . قال . اولم آمر لهُ بخمسة آلاف دينار . قالت : بلى ولكن ابن الزيات لم يعطهِ شيئاً . فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقّع الى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار اليهِ وخمسة آلاف دينار اخرى معها . (قال صالح) فصرت مع الخادم اليه بالكتاب فقرّبني وقال : اما الخمسة آلاف الاولى فخذها فقد حضرت . والخمسة الآلاف الاخرى انا ادفعها اليك بعد جمعة . فقمت . ثم تناساني كانهُ لم يعرفني . وكتبت اقتضيهِ . فبعث اليَّ : اكتب لي قبضاً بها وخذها بعد جمعة . فكرهت ان اكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء . فاستترت وهو في منزل صديق لي . فلما بلغهُ استتاري خاف ان اشكوهُ الى الواثق فبعث اليَّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي : امرني اميرالمؤمنين ان اصير اليك فأسالك هل قبضت المال . قلت : نعم قد قبضتهُ . (قال صالح) وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منهُ لشيء بعدها

المهاجر بن خالد

هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة . وكان الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش وجواداً من اجوادها . وكان يلقب بالوحيد وامه صخرة بنت الحرث بن عبد الله بن عبد شمس امرأة من بجيلة ثم من قيس . ولما مات الوليد بن المغيرة ارّخت قريش بوفاته لاعظامها اياه . حتى كان عام الفيل جعلوهُ تاريخاً . (هكذا ذكر ابن دأب) . واما الزبير بن بكار فذكر عن عمر بن ابي بكر الموصلي انها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة سبع سنين الى ان كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرّخوا بها

ولخالد بن الوليد آثار في قتال اهل الردّة في ايام ابي بكر رضي الله عنهُ مشهورة يطول ذكرها . وهو فتح الحيرة بعث اليهِ اهلها عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة فكلّمهُ خالد فقال لهُ : من اين اقبلت . قال : من ورائي . قال : واين تريد . قال : امامي . قال : ابن كم أنت . قال : ابن رجل واحد وامرأة . قال : فاين اقصى اثرك . قال : منتهى عمري . قال : أتعقل . قال : نعم واقيد . قال : ما هذه الحصون . قال : بنيناها نتقي بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لامرٍ ما اختارك قومك . ما هذا في يدك . قال : سمّ ساعة . قال : وما تصنع بهِ . قال : اردت ان انظر ما تردني بهِ فان بلغت ما فيهِ صلاح لقومي عدت اليهم والّا شربتهُ فقتلت نفسي ولم ارجع الى قومي بما يكرهون : قال لهُ خالد : أرنيهِ . فناولهُ اياه . فقال خالد : بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم . ثم اكلهُ . فتجلّتهُ غشية ثم افاق يمسح العرق عن وجهه . فرجع ابن نفيلة الى قومه فأخبرهم بذلك وقال :

ما هؤلاء القوم الّا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما تريدون . ففعلوا

حدث محمد بن الضحاك عن ابيهِ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ كان اشبه الناس بخالد بن الوليد . فخرج عمر سحرًا . فلقيهُ شيخ فقال لهُ : مرحبًا بك يا ابا سليمان . فنظر اليهِ عمر فاذا هو علقمة بن علاثة فردّ عليهِ السلام . فقال لهُ علقمة : عزلك عمر بن الخطاب . فقال لهُ عمر : نعم . قال : ما يشبع لا أشبعَ الله بطنه . قال لهُ عمر : فما عندك . قال : ما عندي الّا السمع والطاعة . فلما اصبح دعا بخالد وحضر علقمة بن علاثة . فأقبل على خالد فقال لهُ : ماذا قال لكَ علقمة . قال : ما قال لي شيئًا . فقال : اصدقني . فحلف خالد بالله ما لقيهُ ولا قال لهُ شيئًا . فقال لهُ علقمة : حلا أبا سليمان . فتبسم عمر . فعلم خالد ان علقمة قد غلط فنظر اليهِ . وفطن علقمة فقال : قد كان ذلك يا امير المؤمنين فاعفُ عني عفا الله عنك . فضحك عمر فأخبره الخبر .

حدث ابو سهيل ان معاوية لما اراد ان يظهر العقد ليزيد قال لاهل الشام : ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ودقّ عظمه واقترب أجله ويريد ان يستخلف عليكم . فمن ترون . قالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت واضمرها ودسّ ابن أثال الطبيب اليهِ . فسقاه سمًّا فمات . وبلغ ابن اخيهِ خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة . وكان أسوأ الناس رأيًا في عمه لانّ اباه المهاجر كانَ مع عليّ عليهِ السلام بصفّين . وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية وكان خالد بن المهاجر على رأي ابيهِ هاشميّ المذهب دخَل مع بني هاشم الشعبَ فاضطغن ذلك ابن الزبير عليهِ فألقى عليهِ زقّ خمر وصبّ

بعضهُ على رأسه وشُجّ عليهِ انهُ وجده ثملًا من الخمر فضربه الحدّ . فلما قتل عمه عبد الرحمن مرّ بهِ عروة بن الزبير فقال له : يا خالد أتدع ابن أثال يفني أوصال ابن عمك بالشام وأنت بمكة مسبل ازارك تجرّه وتخطر فيه متخايلًا . فحمي خالد ودعا مولًى لهُ يدعى نافعًا فأخبره الخبر وقال لهُ : لا بدّ من قتل ابن أثال وكان نافع جلدًا شهمًا . فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يمسي عند معاوية . فجلس لهُ في مسجد دمشق الى اسطوانة وجلس غلامه الى اخرى حتى خرج . فقال خالد لنافع : اياك ان تعرض لهُ فاني اضربه . ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي فان رابك شيء تراه من خلفي فشأنك . فلما حاذاه وثب عليهِ خالد فقتله . وثار اليه من كان معهُ . فصاح بهم نافع فانفرجوا . ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معهُ . فلما غشوهما حملا عليهم فتفرّقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقًا ضيقًا ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر . اقلبوا الزقاق الذي دخل فيهِ . ففتش عليهِ فأُتي بهِ . فقال : لا جزاك الله من زائر خيرًا قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور وبقي الآمر . فقال لهُ : عليك لعنة الله اما والله لو كان تشهد مرّة واحدة لقتلتك بهِ . امعك نافع . قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت الا بهِ . ثم أمر بهِ فطلب فوجد فأُتي بهِ فضربه مائة سوط . ولم يهج خالدًا بشيء اكثر من ان حبسه والزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر الف درهم أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم . واخذ ستة آلاف درهم . ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه واثبت الذي يدخل بيت المال . ولمّا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في السجن :

اما خطـــاي تقاربت مشي المقيَّد في الحصارِ
فــبما امشي في الاباطح م يقتفي اثري ازاري
دع ذا ولكن هــل ترى نارًا تشبّ بذي مزارِ
مــا ان تشبّ لقرة بالمصطلين ولا قتــارِ
ما بال ليلك ليس ينقص م طولهُ طول النهارِ
أتقــاصر الايام ام عرض الاسير من الاسارِ

(قال) فبلغت أبياته معاوية فرقّ لهُ واطلقهُ • فرجع الى مكة • فلما قدمها لقي عروة بن الزبير • فقــال لهُ : اما ابن أثال فقد قتلتهُ وهذا ابن جرموز يفني أوصال الزبير بالبصرة فاقتله ان كنت ثائرًا • فشكاه عروة الى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام • فاقسم عليهِ ان يمسك عنهُ • ففعل

ابو دلف وجميفران الموسوس

حدَّث عليّ بن يوسف قال : كنت عند أبي دلف القــاسم بن عيسى العجليّ • فاستأْذن عليهِ حاجبه لجميفران الموسوس • فقال لهُ : أيّ شيءٍ أصنع بموسوس • قد قضينا حقوق العقلاء • وبقي علينا حقوق المجانين • فقلت لهُ : جعلتُ فداء الامير موسوس أفضل من كثيرٍ من العقلاء • وانّ لهُ لسانًا يُتَّقى وقولًا مأثورًا يبقى • فالله الله أن تحجبهُ • فليس عليك منهُ أذًى ولا ثقل • فأذن لهُ • فلما مثل بين يديهِ قال :

يا أكرم العــالم موجودا ويا لَأعزّ النــاس مفقودا
لما سألت الناس عن واحدٍ أصبح في الامّــة محمودا

قالوا جميعًا انهُ قاسم أشبه آباء لهُ صيدا
لو عبدوا شيئًا سوى ربهم أصبحتَ في الأمة معبودا
لازلت في نُعمى وفي غبطةٍ مكرَّمًا في الناس معدودا

(قال) فأمر لهُ بكسوة وبألف درهم. فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة وقال: تأمر القهرمان ان يعطيني الباقي مفرقًا كلما جئت لئلا يضيع مني. فقال للقهرمان: أعطه المال وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا. فبكى عند ذلك جيفران وتنفَّس الصعداء وقال:

يموت هذا الذي أراه وكلّ شيءٍ لهُ نفادُ
لو غير ذي العرش دام شيءٌ لدام ذا المفضل الجوادُ

ثم خرج. فقال أبو دلف: أنت كنت أعلم بهِ مني. (قال) وغبرعني مدة. ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن ما فعل أميرنا وسيدنا وكيف حالهُ. فقلت: بخير وعلى غاية الشوق اليك. فقال: أنا والله يا أخي أشوق. ولكني أعرف أهل العسكر وشرَّههم وإلحاحهم. والله ما أراهم يتركونهُ من المسئلة ولا يتركهم ولا يتركه كرمهُ أن يخليهم من العطية حتى يخرج فقيرًا. فقلت: دع هذا عنك وزره فانَّ كثرة السؤال لا تضرّ بماله. فقال: وكيف. أهو أيسر من الخليفة. قلت: لا. قال: والله لو تبذَّل لهم الخليفة كما يتبذل أبو دلف وأطمعهم في ماله كما يطمعهم لأفقروه في يومين. ولكن اسمع ما قلتهُ في وقتي هنا. فقلت: هاته يا أبا الفضل. فأنشأ يقول:

أبا حسن بلِّغنْ قاسمًا بأنّيَ لم أجفه عن قلا
ولا عن ملال لاتيانهِ ولا عن صدود ولا عن عنا
ولكن تعفَّفت عن مالهِ وأصفيتهُ مدحتي والثنا

أبو دلف سيدٌ مـاجدٌ سنيُّ العطيّة رحب الفنا
كريم اذا انتابه المعتفون عمّهمُ بجـزيل الحبـا

(قال) فأبلغتها أبا دلف وحدثتهُ بالحديث الذي جرى . فقال لي : قد لقيتهُ منذ ايام فلما رأيتهُ وقفت لهُ وسلمت عليهِ وتحفَّيت بهِ . فقال لي : سِرْ أيها الامير على بركة الله . ثم قال لي :

يا ممدي الجود على الاموالِ ويا كريم النفس في الفعالِ
قد صنتني عن ذلّة السؤالِ بجودك الموفي على الآمـالِ
صانك ذو العزّة والجـلالِ من غِيَرِ الايام والليـالي

(قال) ولم يزل يختلف الى أبي دلف ويبرُّه حتى افترقا

القتّال الكلابيّ

القتـال لقب غلب عليهِ لتمرّده وفتكه واسمهُ عبد الله بن المضرحي بن عامر . وكان فارساً شاعرًا شجاعاً . حدّث شيخ من بني ابي بكر بن كلاب يُكنى ابا خالد قال : كان القتال اغاظ ابن عمّ لهُ . فحلف هذا لئن رآه ليقتلنهُ . فلما كان بعد ذلك بايام رآه فأخذ السيفَ . وبصر بهِ القتـال فخرج هاربا . وخرج في أثره . فلما دنا منهُ ناشده القتال بالله والرحم . فلم يلتفت اليهِ . فبينا هو يسعى وقد كاد يلحقهُ وجد رمحًا مركوزًا فأخذه وعطف على زياد فقتلهُ وقال :

نهيت زيادًا والمهـامه بيننا وذكّرتهُ بالله حولًا محرما
فلما رأيت أنهُ غير منتـهٍ ومولاي لا يزداد الّا تقدما
أملتُ لهُ كفّي بابيض صارمٍ حسام اذا ما صادف العظم صمّما

بكفّ امرىءٍ لم تخدم الحيَّ امّهُ   أخي نجداتٍ لم يكن متهضّما

ثم خرج هاربًا وأصحاب القتيل يطلبونهُ . فمرّ بابنة عمّ لهُ تُدعى زينب متنحّية عن الماء . فدخل عليها . فقالت لهُ : ويحك ما دهاك . قال : ألقي عليَّ ثيابكِ . فألقت عليهِ ثيابها وألبستهُ برقعها . وكانت تمسّ حناء . فأخذ الحناء فلطخ بها يديهِ . وتنحّت عنهُ . وجدَّ الطلبُ . فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنّون انهُ زينب : أين الخبيث . فقال لهم : أخذ ههنا لغير الوجه الذي أراد أن يأخذَه . فلما عرف ان قد بعدوا أخذ في وجهٍ آخر فلحق بعماية (١) فاستتر فيهِ . وقال في ذلك :

فمن مبلغ فتيـان قوميَ انني   تسمّيت لما شبّت الحرب زينبا

وأرخيت جلبابي على نبت لحيتي   وأبديت للناس البنان المخضبا

وقال فيها :

جزى الله عنّا والجـزاء بكفّهِ   عمايةَ خيرًا امّ كلّ طريدِ

فما يزدهيها القوم ان نزلوا بها   وان أرسل السلطان كل بريدِ

حمتني منها كلُّ عنقاء عيطلٍ   وكل صفًا جمّ القُلات كؤودِ

فمكث بعماية زمانًا يأتيهِ أخ لهُ بما يحتاج اليهِ . فأقام في شِعب من شعابهِ وكان يأوي الى ذلك الشعب نمر . فراح اليهِ كعادتهِ . فلما رأى القتّال كشّر عن أنيابه . فجرّد القتّال سيفهُ من جفنهِ . فربض بازائهِ وأخرج براثنه . فسلّ القتال سهامهُ من كنانته . فضرب بيده وزأر . فأوتر القتال قوسهُ وانبض وترها . فسكن النمر وألفهُ . فقال ابن الكلبي في هذا الخبر ووافقهُ عمر بن شبة في روايته : كان النمر يصطاد الاروى فيجيء بما يصطاده فيلقيهِ بين يدي القتّال فيأخذ منهُ ما يتقوّتهُ

(١) عماية جبل بالبحرين . وسُمّي عماية لانّ الناس يضلّون فيهِ

ويُلقي الباقي للنمر فيأكلهُ. وكان القتال يخرج فيجرح الوحش بنبله فيصيب منهُ الشيء بعد الشيء. فيأتي بهِ الكهف فيأخذ لقوته بعضه ويُلقي الباقي للنمر. وكان القتال اذا ورد الماء قام عليهِ النمر حتى يشرب ثم يتنحّى عنهُ. ويرد النمر فيقوم عليهِ القتال حتى يشرب. فقال القتال في ذلك من قصيدة لهُ :

ولي صاحب في الغار يعدل صاحباً أبا الجَون (١) الَّا انَّهُ لا يعلّلُ
كلانا عدوٌّ لا يرى في عدوّهِ مهزًا وكل في العداوة مجملُ
اذا ما التقينا كان أُنسَ حديثنا صماتٌ وطرف كالمعابلِ أكحلُ
لنا موردٌ صافٍ بأرض مضلّةٍ شريعتنا لا ايُّنا جاء اوّلُ
تضمَّنت الاروى لنا بقبولنا كلانا لهُ منها سديف مخردلُ
فأُعلمهُ في صنعة الودّ أنني أُميط الاذى عنهُ وما ان يهلّلُ(٢)

ثم أُخذ القتال فحُبس زمانًا في السجن. وكان بين ابن هَبَّار القرشيّ وبين ابن عمّ لهُ من قريش إحنة. فبلغ ابن عمه ان القتال محبوس بالمدينة. فاتاه فقال لهُ: أرأيت ان أنا اخرجتك أتقتل ابن عمي المعروف بابن هبار. قال: نعم. قال: فاني سأرسل اليك بحديدة في طعامك فعالج بها قيدك حتى تفكّهُ ثم البسهُ حتى لا تُنكر. فاذا خرجت الى الوضوء فاهرب من الحرس فاني جالسٌ لك ومخلصك ومعطيك فرسًا تنجو عليهِ وسيفًا تمتنع بهِ. فان خلصك ذلك والّا فأبعدك الله. فقال: قد رضيت. (قال) وكان اهل المدينة يُخرجون المحتبسين اذا أمسوا للوضوء ومعهم الحرس. ففعل ما امره بهِ. واتاه القرشي فخلصهُ وآواه حتى أمسك

(١) ابو الجون صديق لهُ كان يانس بهِ فشبههُ بهِ. وفي رواية عمر بن شبة: « اخي الجون ». فانّ القتال كان لهُ اخ اسمهُ الجون فشبههُ بهِ

(٢) اي ما يسمّي الله عليهِ عند صيده

عنهُ الطلب . ثم جاء بهِ واعطاه سيفاً . فقتل ابن عمه المعروف بابن هبار .
ووهب لهُ نجيباً فنجا عليهِ وقال :

تركت أبن هبار لدى الباب مسندًا واصبح دوني شابةٌ واروم
بسيف امرئٍ لا أخبر الناس باسمهِ ولو أجهشت نفسي اليَّ هموم

عبث الحسن باشعب

حدث عبيدة بن اشعب عن ابيهِ قال : كان الحسن بن الحسن يعبث بابي اشد عبث . وربما اراه في عبثهِ انهُ قد ثمل وانهُ يعربد عليهِ . ثم يخرج بسيف مسلول ويُريه انهُ يريد قتله . فيجري بينهما في ذلك كلُّ مستبع . فهجره ابي مدة طويلة . ثم لقيه يوماً فقال لهُ : يا أشعب هجرتني وقطعتني ونسيت عهدي . فقال لهُ : بابي انتَ وامي لو كنت تعربد بغير السيف ما هجرتك ولكن ليس مع السيف لعب . فقال لهُ : فانا اعفيك من هذا فلا تراه مني ابدًا . وهذه عشرة دنانير ولك حماري الذي تحتي احملك عليهِ وصر اليَّ ولك الشرط ان لا ترى في داري سيفاً . قال : لا والله أو تخرج كل سيف في دارك قبل ان تأكل . قال : ذلك لك . (قال) فجاءهُ ابي ووفى لهُ بما قال من الهبة واخراج السيوف . وخلّف عنده سيفاً في الدار . فلما توسط الامر قام الى البيت فاخرج السيف مشهورًا ثم قال : يا أشعب انما أخرجت هذا السيف لخير اريده بكَ . قال : بابي انت وامي وايُّ خير يكون مع السيف . ألست تذكر الشرط بيننا . قال لهُ : فاسمع ما اقولهُ لك . لست اضربك بهِ ولا يلحقك منهُ شيء تكرهه . وانما اريد ان اضجعك واجلس على صدرك ثم

آخذ جلدة حلقك باصبعي من غير ان اقبض على عصب ولا ودج ولا مقتل فاحزّها بالسيف . ثم اقوم عن صدرك واعطيك عشرين دينارًا . فقال : نشدتك الله يا ابن رسول الله ان لا تفعل بي هذا . وجعل يصرخ ويبكي ويستغيث . والحسن لا يزيده على الحلف لهُ انهُ لا يقتله ولا يتجاوز بهِ ان يحزّ جلده فقط . ويتوعّده مع ذلك بأنّهُ ان لم يفعله طائعًا فعله كارهًا . حتى اذا طال الخطب بينهما واكتفى الحسن من المزح معه أراه انهُ يتغافل عنـهُ وقال لهُ : أنت لا تفعل هذا طائعًا ولكن اجيءُ بحبل فاكتفك بهِ . ومضى كانهُ يجيءُ بحبل . فهرب اشعب وتسوّر حائطًا بينهُ وبين عبد الله بن حسن اخيهِ فسقط الى داره فانفكت رجله وأُغمي عليهِ . فخرج عبد الله فزعًا فسألهُ عن قصتـه . فاخبره . فضحك منهُ وأمر لهُ بعشرين دينارًا واقام في منزله يعالجـه ويموله الى ان صلحت حاله . (قال) وما رآه الحسن بن الحسن بعدها

وحدث الزبير بن بكّار قال : دعا الحسن بن الحسن اشعب فاقام عنده . فقال لاشعب يومًا : انا اشتهي كبد هذه الشاة لشاةٍ عنده عزيزة عليه فارهة . فقـال لهُ اشعب : بابي انت وامي اعطنيهـا وانا اذبح لك اسمن شاة بالمدينة . فقال : أُخبرك اني اشتهي كبد هذه وتقول لي اسمن شاة بالمدينة . اذبح يا غلام . فذبحها وشوى لهُ من كبدها واطايبها فاكل . ثم قال لاشعب من الغد : يا اشعب انا اشتهي من كبد نجيبي هذا النجيبِ كان عنده ثمنه الوف دراهم . فقال لهُ اشعب : يا سيدي في ثمن هذا والله غناي فاعطنيه وانا والله اطعمك من كبد كل جزور بالمدينة . فقـال : اخبرك اني اشتهي من كبد هذا وتطعمني من غيره . يا غلام انحر . فنحر النجيب وشوى كبده فاكلا . فلما كان اليوم الثالث قال لهُ : يا اشعب انا والله اشتهي ان آكل من كبدك .

فقال لهُ : سبحان الله أتأكل من اكباد الناس . قال : قد اخبرتك . فوثب اشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله . فقيل لهُ : ويلك اظننت انهُ يذبحك . فقال : والله لو ان كبدي وجميع اكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها . وانما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث باشعب

حيلة المغيرة بن شعبة في شراء الخمر

قال المغيرة بن شعبة : اوَّل ما عرفني بهِ العرب من الحزم والدهاء اني كنت في ركب من قومي في طريق لنا الى الحيرة . فقالوا لي : قد اشتهينا الخمرة وما معنا الَّا درهم زائف . فقلت : هاتوهُ وهلمُّوا زقَّين . فقالوا : وما يكفيك لدرهم زائف زقٌّ واحد . قلت : اعطوني ما طلبت وخلاكم ذمٌّ . ففعلوا وهم يهزأُون من قولي . فصببت في احد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت الى خمَّار فقلت لهُ : كِلْ لي ملْء هذا الزق . فملأَه . فاخرجت الدرهم الزائف فاعطيتهُ اياه . فقال : انَّ ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً وهذا درهم زائف . فقلت : انا رجل بدويّ وظننت ان هذا يصلح كما ترى . فان صلح والَّا فخذ شرابك . فاكتال مني ما كالهُ وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيهِ من الماء . فافرغتهُ في الزقّ الآخر وحملتهما على ظهري وخرجت . فصببت في الزقّ الاول ماء ودخلت الى خمار آخر فقلت : اني اريد ملْء هذا الزق خمرًا فانظر الى ما معي منهُ فان كان عندك مثلهُ فأَعطني . فنظر اليهِ . وانما اردت ان لا يستريب بي اذا رددتُ الخمر عليهِ . فلما رآهُ قال : عندي اجود منهُ . قلت : هات . فأَخرج اليَّ شرابًا . فاكلته في الزق الذي فيهِ الماء ثم

دفعت اليهِ الدرهم الزائف . فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك . فاخذ ما كان لي وهو يرى اني خلطتهُ بالشراب الذي اريتــه اياه . وخرجت فجعلتــه مع الخمر الاول . ثم لم ازل افعــل ذلك بكل خمّار في الحيرة حتى ملأت زقي الاول وبعض الآخر . ثم رجعت الى اصحابي فوضعت الزقين بين ايديهم ورددت درهمهم . فقالوا : ويحك ايّ شيءٍ صنعت . فحدثتهم . فجعلوا يعجبون . وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم

نوح برصوما الزامر على ابراهيم الموصلي

حدث اسحق الموصلي قال : قال لي برصوما الزامر : اما في حقّي وخدمتي وميلي اليكم وشكري لكم ما استوجبُ بهِ ان تهب لي يوماً من عمرك تفعل بهِ ما اريد ولا تخالفني في شيء . فقلت : بلى ووعدتهُ بيوم . فأتاني فقــال : مرْ لي بخلعة . ففعلت وجعلت فيها جبة وشي . فلبسها ظاهرة وقال : امضِ بنا الى المجلس الذي كنت آتي اباك فيه . فمضينا جميعاً اليهِ وقد خلّقتهُ وطيّبتهُ . فلما صار على باب المجلس رمى بنفســه الى الارض فتمرّغ في التراب وبكى واخرج نايه وجعل ينوح في زمره ويدور في المجلس ويقبّــل المواضع التي كان ابو اسحق يجلس فيها ويبكي ويزمر حتى قضى من ذلك وطرًا . ثم ضرب بيده الى ثيابه يشقّها . وجعلت اسكته وابكي معهُ . فما سكن الّا بعد حين . ثم دعا بثيابه فلبسها وقال : انما سألتكَ ان تخلع عليّ لئلاَّ يقال انّ برصوما انما خرّق ثيابه ليخلع عليهِ هو خيرًا منها . ثم قال : امضِ بنا الى منزلك فقد اشتفيت مما اردت . فعدت الى منزلي واقام عندي يومه وانصرف بخلعــة مجدّدة

جنازة معبد

حدث كردم بن معبد المغنّي مولى ابن قطن قال : مات ابي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وانا معهُ . فنظرت حين اخرج نعشهُ الى سلامة القسّ جارية يزيد بن عبد الملك وقد أضرب الناس عنهُ ينظرون اليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تندب ابي وتقول :

قد لعمري بتُّ ليلي   كأخي الداء الوجيعِ
ونجيّ الهمّ مني   بات ادنى من ضجيعِ
كلما ابصرت ربعاً   خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيدٍ كان   م لنا غير مضيعِ
لا تلمنا ان خشعنا   او هممنا بخشوعِ

قال كردمٌ : وكان يزيدُ امر ابي ان يعلمها هذا الصوت فعلمها اياه فندبتهُ بهِ يومئذٍ (قال) فلقد رأيت الوليد بن يزيد والغمر اخاه متجردين في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد لانهُ تولّى امرهُ واخرجه من داره الى موضع قبره

وقوف صديقين لابن سريج على قبره

حدّث اسحق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن ابيهِ قال : انّا لبفناء دار عمر بن عثمان بالابطح في صبح خامسةٍ من الثماني يعني ايام الحج فما ان دريت الّا برجلين على راحلتين قد جنبا اليها فرساً وبغلاً . فوقفا عليّ وسألاني . فانتسبت لهما عثمانيا . فنزلا وقالا : رجلان من اهلك اقدمتنا حاجةٌ نحبُّ ان تقضيها قبل ان نُشدهَ بامر الحجّ . فقلت : حاجتكما . قالا : نريد انسانًا يوقفنا

على قبر عبيد بن سريج . (قال) فنهضتُ بهما حتى بلغت بهما محلَّة بني قارة من خُزاعة بمكة وهم موالي عبيد بن سريج . فالتمست لهما انساناً يصحبهما حتى يوقفهما على قبره بدسمٍ . فوجدت ابن ابي دُباكل فانهضتهُ معهما . فاخبرني بعدُ انهُ لما أوقفهما على قبره نزل احدهما فحسر عمامته عن وجهه فاذا هو عبد الله ابن سعيد بن عبد الملك بن مروان فعقر ناقته واندفع يندبه بصوت شجٍ ويقول:

وقفنا على قبرٍ بدسمٍ فهاجنا　　وذكَّرنا بالعيش اذ هو مصحبُ
فجالت بارجاء الجفون سوافحٌ　　من الدمع تستغني الذي يتعقَّبُ
اذا ابطأت عن ساحة الخد ساقها　　دمٌ بعد دمعٍ اثرهُ يتصببُ
فان تسعدا تندب عبيدًا بعولةٍ　　وقلَّ لهُ منَّا البكا والتحبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته . وقال لهُ القرشيُّ : خذ في صوت ابي يحيى . فاندفع يغني :

أسعداني بعبرةٍ اترابي　　ودموعٍ كثيرة التسكابِ
انَّ اهل الحصاب قد تركوني　　مولعاً مولهًا باهل الحصابِ
اهل بيتٍ تتابعوا للمنايا　　ما على الموت بعدهم من عتابِ
فارقوني وقد علمت يقيناً　　ما لمن ذاق ميتةً من ايابِ
كم بذاك الحجون من حيٍّ صدقٍ　　وكهولٍ اعفَّةٍ وشبابِ
سكنوا الجزع جزع بيت ابي موسى م الى النخل من صفيّ السبابِ
فليَ الويل بعدهم وعليهم　　صرت فردًا وملَّني اصحابي

(قال ابن ابي دباكل) فوالله ما تم صاحبهُ منها ثلاثًا حتى غشي على صاحبه . وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير معرَّج عليهِ . فسألتهُ من هو . فقال : رجلٌ من جُذامٍ . قلت : بمن تعرف . قال : بعبد الله بن ابي المنتشر .

(قال) ولم يزل القرشيّ على حاله ساعة ثم افاق . فجعل الجذامي ينضح الماء على وجههِ ويقول كالمعاتب لهُ : أنت ابداً مصبوب على نفسك من كلفك ما ترى . ثم قرّب اليهِ الفرس . فلما علاه استخرج الجذاميّ من خرج على البغـل قدحاً وادواة ماء . فجعل في القدح تراباً من تراب قبر ابن سريج وصبَّ عليهِ من ماء الادارة . ثم قال : هاك فاشرب هذه السلوة . فشرب . ثم فعل هو مثل ذلك وركب البغل واردفني . فخرجنا لا والله ما يعرّضان بذكر شيء مما كانا فيه ولا ارى في وجوههما شيئاً مما كنت ارى قبل ذلك . فلما اشتمل علينـا ابطحُ مكة قالا : انزل يا خزاعي . فنزلتُ . فأومأ الفتى الى الجذامي بكلام . فمد يده اليَّ وفيها شيء . فأخذتهُ فاذا هو عشرون ديناراً . ومضيا . فانصرفت الى قبره ببعيرينِ فاحتملتُ عليهما اداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتهما بثلاثين ديناراً

الحكم في الغناء

حدث ابراهيم الشـافعي قال : جاء سُندة الخيـاط المغنّي الى الأقلح المخزوميّ وكان يوصف بعقل وفضل . فقال لهُ : من اين اقبلت والى اين تمضي . قال : اليك قصدت من مجلس لبعض القرشيّين اقبلت محاكماً اليك . قال : فيماذا . قال : كنت عند هذا الرجل وحضرتْ مجلسه رقطاء الحبَطيّـة وصفراء العلقميين فتناولتا بينهما رمل ابن سريج :

ليت شعري كيف ابقى ساعةً مَعَ ما ألقى اذا الليـل حضرْ
من يذق نومـاً ويهدأ ليلـةُ فلقـد بذّلت بالنوم السهرْ

فغنتاهُ جميعاً. فاختلفنا في تفضيلهما . ففضَّل كل فريق منّا احداهما. فرضينا جميعاً بحكمك. (قال) فوجم ساعة. واهل الحجاز اذا ارادوا ان يحكموا تأملوا ساعةً ثم حكموا فاذا حكم المحكم مضى حكمهُ كائناً ما كان فُضِّل من فضَّلهُ وأُسقط من اسقطه اذا تراضى الخصمان بهِ. فكره الاقلح ان يُرضي قوماً ويُسخط الآخرين . فقال لسندة : صفهما انت كيف كانتا اذ غنتا واشرح لي منهجهما فيهِ كما سمعت ثم انا احكم بعد ذلك . فقال سندة : اما جارية الحبطيّين فانها كانت تلوك لحنهُ كما يلوك الفرس العتيق لجامه ثم تلقيهِ في هامةٍ لدنة ثم تخرجهُ من منخرٍ أغنّ. والله ما ابتدأتهُ فتوسطتهُ وانا أغفلُ ولا فرغتْ منهُ فأفقت الّا وانا اظنّ اني رأيتهُ في نومي. واما صفراء العلقمية فانها احسنهما خلقاً وأصحهما صوتاً وألينهما تثنياً والله ما سمعها احدٌ قطّ فانتفع بنفسه ولا دينه. فهذا ما عندي فاحكم انت يا أخا بني مخزوم. فقال : قد حكمت بانهما بمنزلة العينين في الرأس بأيهما نظرتَ ابصرت. ولو كان في الدنيا من عبيد بن سريج خلفٌ لكانتا. (قال) فانصرفوا جميعاً راضين بحكمهِ

وقال مالك بن ابي السمح : سألت ابن سريج عن قول الناس فلانٌ يُصيب وفلان يخطئ وفلان يحسن وفلان يسيء. فقال : المصيبُ من المغنين هو الذي يُشبع الألحان. ويملأ الانفاس. ويُعدل الاوزان. ويُفخِّم الالفاظ. ويعرف الصواب. ويقيم الاعراب. ويستوفي النغم القصار. ويُصيب اجناس الايقاع ويختلس مواضع النبرات. ويستوفي ما يشا كلها من الضرب من النقرات. فعرضت ما قال على معبد. فقال : لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء الّا هكذا

اعرابي في عرس

حدث الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال : كان ناهض بن ثومة الكلابيّ يفد على جدّي قثم . فيمدحه ويصله جدي وغيره . وكان بدويًّا جافيًا كانهُ من الوحش . وكان طيب الحديث . فحدثهُ يومًا انهم انتجعوا ناحية الشـام . فقصد صديقًا لهُ من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب . فاذا نزل نواحيها اتاه فمدحه وكان برًّا بهِ . (قال) فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلاليّ فرأيت دورًا متباينة وخصاصًا قد ضمّ بعضها الى بعض . واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون عليهم ثيـاب تحكي الوان الزهر . فقلت في نفسي : هذا احد العيدين الاضحى او الفطر . ثم ثاب اليّ ما عزب عن عقلي فقلت : خرجت من اهلي في بادية البصرة في صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك فما هذا الذي ارى . فبينـا انا واقف متعجب اتاني رجل فاخذ بيدي فادخلني دارًا قوراء وادخلني منها بيتًا قد نُجِّد في وجههِ فرش ومهدت وعليها شاب ينال فروع شعره منكبيهِ والنـاس حوله سماطان . فقلت في نفسي : هذا الامير الذي حكي لنا جلوسه على النـاس وجلوس الناس بين يديه . فقلت وانا ماثل بين يديه : السلام عليك ايهـا الامير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجل بيدي وقال : اجلس فان هذا ليس بامير . قلت : فما هو . قال : عروس . فقلت : وا ثكل اماه لربّ عروسٍ رأيتـهُ بالبادية اهون على اهله . فلم أنشب ان دخل رجال يحملون هنات مدورات . امّا ما خفّ منها فيحمل حملًا وامّا ما كبر وثقل فيُدحرج . فوُضع ذلك امامنا وتحلّق القوم عليهِ حلقًا . ثم أُتينا بخرق بيض فالقيت بين ايدينا . فظننتها ثيابًا

وهممت ان اسأل القوم منها خرقاً أقطعها قيصاً . وذلك اني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين لهُ سدًى ولا لحمة . فلما بسطهُ القوم بين ايديهم اذ هو يتمزق سريعاً . واذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفهُ . ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض وحارّ وبارد . فاكثرت منهُ وانا لا اعلم ما في عقبه من التخم والبشم . ثم أُتينا بشراب احمر في غُثاء شنّ . فقلت : لا حاجة لي فيهِ فاني اخاف ان يقتلني . وكان الى جنبي رجل ناصح لي احسن الله جزاءهُ فانهُ كان ينصح لي من بين اهل المجلس . فقال : يا اعرابي انك قد اكثرت من الطعام وان شربتَ الماء همّا بطنك . فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً أوصاني بهِ ابي والاشياخ من اهلي قالوا : لا تزال حيّاً ما زال بطنك شديداً فاذا اختلف فأوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى بهِ وجعلت اكثر منهُ فلا املُّ شربهُ . فتداخلني من ذلك صلف لا أعرفهُ من نفسي . وبكاء لا أعرف سببهُ ولا عهد لي بمثله واقتدار على امر اظنّ معهُ اني لو اردت نيلَ السقف لبلغته ولو شاورت الاسد لقتلته . وجعلت التفت الى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم اسنانه وهشم انفه . واهمُّ احياناً ان اشتمه . فبينا نحن كذلك اذ هجم علينا شياطين اربعة . احدهم قد علّق في عنقهِ جعبة فارسية مسيَّجة الطرفين دقيقة الوسط مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً . ثم بدر الثاني فاستخرج من كمهِ هنة سوداء كخرطوم الفيل . فوضعها في فيهِ وصوّت بها صوتاً لم اسمع وبيت الله اعجب منهُ . فاستتمّ بها امرهم . ثم حرّك اصابعه على أجحرة فيها فأخرج منها اصواتاً ليس كما بدأ ولكنهُ اتى منها لما حرّك اصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضهُ لبعض كانهُ علم الله ينطق . ثم بدأ ثالث كزّ مقيت عليهِ قميص وسخ معهُ مرآتان . فجعل

يصفق بهما بيديه احداهما على الاخرى . فخالطت بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدأ رابع عليهِ قميص مَصون وسراويل مصون وخفَّان اجذمان لا ساق لواحد منهما . فجعل يقفز كأنهُ يثب على ظهور العقارب . ثم التبط بهِ على الارض . فقلت : معتوه وربِّ الكعبة . ثم ما برح مكانهُ حتى كان اغبط القوم عندي . ورأيت القوم يحذفونهُ بالدراهم حذفاً منكراً . ثم ارسل النساء الينا ان : امتعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم . وجعلنا نسمع اصواتهم من بُعد . وكان معنا في البيت شاب لا أبه لهُ فعلت الاصوات بالثناء والدعاء عليه . فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها فيها خيوط اربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف اذنه ثم عرك آذانها وحرَّكها بخشبة في يده . فنطقت ورب الكعبة واذا هي احسن قينة رأيتها قطّ . وغنَّى عليها فاطربني حتى استخفَّني من مجلسي . فوثبت فجلستُ بين يديهِ وقلت : بابي أنت وامي ما هذه الدابة فلستُ اعرفها للاعراب وما اراها خُلقت الَّا قريباً . فقال : هذا البَرْبط . فقلت : بابي انت وامي فما هذا الخيط الاسفل . قال : الزِير . قلت : فالذي يليهِ . قال : المَثنى . قلت : فالثالث . قال : المثلث . قلت : فالاعلى . قال : البمّ . فقلت : آمنت بالله اولاً وبكَ ثانياً وبالبربط ثالثاً و بالبم رابعاً . (قال) فضحك ابي والله حتى سقط . وجعل ناهض يعجب من ضحكه . ثم كان بعد ذلك يستعيدهُ هذا الحديث ويطرف بهِ اخوانه فيعيده ويضحكون منهُ .

تمَّ الجزء الاول بحولهِ تعالى

فهرس

كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ احد الاباء اليسوعيين

الجزء الثاني
في
الروايات الادبيّة

المطبعة الكاثوليكية

للآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٨

برخصة معارف ولاية بيروت الجليلة ٦٨

كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ احد الآباء اليسوعيّين

الجزء الثاني

في

الروايات التأريخيّة

المطبعة الكاثوليكيّة
للآباء المرسلين اليسوعيّين في بيروت
سنة ١٨٨٨

كِتَابُ

رَنَّاتِ ٱلْمَثَالِثِ وَٱلْمَثَانِي

فِي

رِوَايَاتِ ٱلْأَغَانِي

نزول اليهود ثم الأوس والخزرج بيثرِب

اخبر جعفر بن سعد عن العماري قال: كان ساكنو المدينة في اوّل الدهر قبل بني اسرائيل قوماً من الامم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرّقوا في البلاد وكانوا أهل عزّ وبغي شديد. فكان ساكني المدينة منهم بنو هَفّ وبنو سعد وبنو الازرق وبنو مطروق وكان ملك الحجاز منهم رجل يُقال لهُ الارقم ينزل ما بين تيماء الى فَدَك. وكانوا قد ملأُوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزروع. وكان موسى بن عمران عليهِ السلام قد بعث الجنود الى الجبابرة من اهل القرى يغزونهم. فبعث موسى عليهِ السلام الى العماليق جيشاً من بني اسرائيل وأمرهم ان يقتلوهم جميعاً اذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا منهم احداً. فقدم الجيش الحجاز فاظهرهم الله عزّ وجل على العماليق فقتلوهم أجمعين الّا ابناً للأرقم فانهُ كان وضيئاً جميلاً فضنّوا بهِ على القتل وقالوا: نذهب بهِ الى موسى

*

فيرى فيهِ رأيه . فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى عليهِ السلام قد تُوفي . فقالت لهم بنو اسرائيل : ما صنعتم . فقالوا اظهرنا الله جلَّ وعزَّ عليهم فقتلناهم ولم يبقَ منهم احد غير غلام كان شابًا جميلًا فنفسنا بهِ عن القتل وقلنا نأتي بهِ موسى عليهِ السلام فيرى فيهِ رايه . فقالوا لهم : هذه معصية . قد أُمرتم ان لا تستبقوا منهم احدًا . والله لا تدخلون علينا الشام ابدًا

فلمَّا صنعوا ذلك قالوا : ما كان خيرًا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز . نرجع اليهم فنقيم بها . فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها وكان ذلك الجيش اوَّل سكنى اليهود المدينة . فانتشروا في نواحي المدينة كلها الى العالية فاتخذوا بها الآطام والاموال والمزارع . ولبثوا بالمدينة زمانًا طويلًا (١)

ثم ظهرت الروم على بني اسرائيل جميعًا بالشام فوطأُوهم وقتلوهم . فخرج بنو النضير وبنو قُرَيظة وبنو بهدل هاربين منهم الى مَن بالحجاز من بني اسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام . فلمَّا فصلوا عنها باهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردَّهم فأعجزوهُ . وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز . فلمَّا بلغ طلب الروم الثَّمَد انقطعت اعناقهم عطشًا فماتوا وسُمّي الموضع الروم ثمد فهو اسمهُ الى اليوم

فلمَّا قدم بنو النَضير وقُرَيظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وبيئة فكرهوها وبعثوا رائدًا أمروه ان يلتمس لهم منزلًا سواها . فخرج حتى اتى العالية وهي بُطحانُ ومهزورٌ واديانِ من حَرَّة على تلاع ارض عذبة بها مياه

(١) فكان ممن يسكن المدينة حتى نزلها الاوس والخزرج من قبائل بني اسرائيل بنو عِكرِمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو الفصيص

عذبة تنبت حُرّ الشجر . فرجع اليهم فقال: قد وجدتُ لكم بلدًا طيّبًا نزهًا الى حرّة يصبّ منها واديان على تلاع عذبة ومدرة طيّبة في متأخر الحرّة ومدافع الشّرج . (قال) فتحوّل القوم اليهـا من منزلهم ذلك فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان . وكانت لهم ابل نواعم فاتخذوها أموالًا . ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور فكانت لهم تلاعه وما سقي من بُعاث وسموات . فكان يسكن يثرب جماعة من ابناء اليهود فيهم الشرف والثروة والعزّ على سائر اليهود . وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ولهم كان الاطم الذي يقال له الخال وكان معهم من غير بني اسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرمان حيٌّ من اليمن وبنو مرثد حيٌّ من بلي وبنو نيف من بلي ايضًا وبنو معاوية حيّ من بني سليم ثم من بني الحرث بن بُهثة وبنو الشظية حي من غسان وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود الكاهنان (١)

فلمّا ارسل الله سيل العرم على اهل مأرب وهم الأزد قام رائدهم فقال: من كان ذا جمل مغنٍ ووطب مدنٍ وقربة وشنّ فلينقلب عن بقرات النعم فهذا اليوم يومُ همّ وليلحق بالثني من شنّ (٢) . فكان الذين نزلوه أزد شَنُوءة . ثم قال لهم : ومن كان ذا فاقة وفقر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مَرّ . فكان الذين سكنوه خُزاعة . ثم قال لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير

(١) نسبوا بذلك الى جدّهم الذي يقال لهُ الكاهن كما يقال العمران والحسنان والقمران . قال كعب بن سعد القرظي :

بالكاهنين قررتم في دياركمُ جمًّا ثواكم ومن اجلاكمُ جدبا

وقال العبّاس بن مرداس السُلَمي يردّ على خوّات بن جبير لمّا هجاه :

هجوت صريح الكاهنين وفيكمُ لهم نِعَمٌ كانت مدى الدهر ترتبي

(٢) فيقال وهو بالشراة

والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببُصرى والحفير وهي من ارض الشام فكان الذين سكنوه غسان. ثم قال لهم: ومن كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عُمان المشيد. فكان الذين نزلوه ازد عمان. ثم قال: ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل. فكان الذين نزلوها الاوس والخزرج. فلمَّا توجهوا الى المدينة ووردوها نزلوا في صرار ثم تفرَّقوا. وكان منهم من لجأ الى عفاء من ارض لا ساكن فيه فنزلوا بهِ. ومنهم من لجأ الى قرية من قراها فكانوا مع اهلها. فأقامت الاوس والخزوج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا باصحاب ابل ولا شاء لانّ المدينة ليست بلاد نعم. وليسوا باصحاب نخل ولا زرع. وليس للرجل منهم الَّا الاعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من ارض موات والاموال لليهود. فلبثت الاوس والخزرج بذلك حيناً

مكر أبي جُبَيلة باليهود ومقتلهم

ثم ان مالك بن العجلان وفد الى أبي جُبَيلة الغساني وهو يومئذٍ ملك غسان فسأَلهُ عن قومهِ وعن منزلتهم. فأخبره بحالهم وضيق معاشهم. فقال له أبو جبيلة: والله ما نزل قوم منَّا بلدًا الَّا غلبوا أهلهُ عليهِ فما بالكم. ثم أمرهُ بالمضي الى قومهِ وقال لهُ: اعلمهم اني سائر اليهم. فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود: ان الملك يريد زيارتكم فأعدّوا نزلًا فأعدّوه. وأقبل أبو جبيلة سائرًا من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حُرُض ثم ارسل الى الاوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم لهُ وأجمع

يكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم واشرافهم. وخشي ان لم يكر بهم ان يتحصنوا في آطامهم فيمنعوا منهُ حتى يطول حصاره اياهم. فأمر ببنيان حائر واسع فبُني ثم أرسل الى اليهود: انَّ ابا جبيلة الملك قد أحبَّ أن تأتوهُ. فلم يبقَ وجه من وجوه القوم الَّا أتاه وجعل الرجل يأتي معهُ بخاصتهِ وحشمهِ رجاء ان يحبوهم. فلمَّا اجتمعوا ببابهِ أمر رجالًا من جندهِ أن يدخلوا الحائر الذي بني ثم يقتلوا كلَّ من يدخل عليهم من اليهود. ثم أمر حُجَّابه ان يأذنوا لهم في الحائر ويدخلوهم رجلًا رجلًا. فلم يزل الحُجَّاب يأذنوا لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم. فقالت سارة القريظية ترثي مَن قتل منهم أبو جبيلة تقول:

بنفسي أمة (١) لم تغنِ شيئًا ... بـذي حرض تعفّيها الرياحُ
كهولٌ من قريظـةَ أتلفتهم ... سيوف الخزرجيَّة والرمـاحُ
رزئنـا والرزية ذات ثقـل ... يمرّ لاهلهـا الماء القراحُ
ولو أربوا بامرهم لجـالت ... هنالك دونهم جأوى رداحُ (٢)

وقال الرمق وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمـرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني:

لم يقضِ دينك في الحسا ... ن وقد غَنيتَ وقد غنينا
الراشقـات المرشقـا ... ت لجازيات بما جَزينـا
أمثـال غزلان الصرا ... ئم يأتزرنَ ويرتدينـا
الرّيط والديبـاج والـ ... زرد (٣) المضاعف والبرينا
وأبو جبيلة خير من ... يمشي واوفاهم يمينـا

---

(١) وفي نُسخة: بأهلي رِمَّةٌ (٢) وفي رواية: ولو اذنوا بامرهم لحالت هنالك دونهم حرب رداحُ (٣) وفي نسخة: والحَلي

وأبرّهم برًّا وأ م علمهم بفضل الصالحينـا
ابقت لنا الايام والحرب م المهمّـة تعترينـا
كبشًا لنا ذكـرًا يفلّ م حسامهُ الذكر السينا (١)
ومعاقلًا شمًّا واسيـا م فًا يقمنَ وينحنينا
ومحلّةً زوراء تر حف بالرجال المِصلتينا

فلمّا انشدوا أبا جبيلة ما قال الرمق ارسل اليهِ فجيء بهِ. وكان رجلاً ضئيلاً غـير وضي.. فلما رآه قال: عسل طيّب ووعاء سوء. فذهبت مثلاً. وقال للاوس والخزرج: ان لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من اشراف اهلها فلا خير فيكم. ثم رحل الى الشام. وقال الصامت بن أصرم النوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود:

سائل قريظة من يقسم سبيها (٢) يوم العريض ومن افـاء المغنما
جاءتهم الخاء تخفق ظلّهـا وكتيبة خشناء تدعو سلما
عمّي الذي جلب الهمام لقومـهِ حتى أحلّ على اليهود الصيلما

قال أبو المنهال احد بني المعلّى: انهم اقاموا زمنًا بعد ما صُنع ويهود تعترض عليهم وتُناويهم. فقال مالك بن عجلان لقومهِ: والله ما أثخنا يهود غلبةً كما نريد. فهل لكم ان اصنع لكم طعامًا ثم ارسل في مائة من اشراف من بقي من اليهود فاذا جاءوني فاقتلوهم جميعًا. فقالوا: نفعل. فلمًّا جاءهم رسول مالك قالوا: والله لا نأتيهم ابدًا وقد قتل أبو جبيلة منًّا من قتل. فقال لهم مالك: ان ذلك كان على غـير هوًى منًّا وانما اردنا ان نمحوهُ وتعلموا حالكم عندنا.

---

(١) وفي نسخة: كبشًا له زرٌّ يفلّ متوضا الذكر السنينا
(٢) يعني بقولهِ: (من يقسم سبيها) نسوة سباهنَّ أبو جبيلة من بني قريظة

فأجابوه. فجعل كلما دخل عليهِ رجل منهم أمر بهِ مالك فقُتل. حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلًا. ثم ان رجلًا منهم أقبل حتى قام على باب مالك. فتسمَّع فلم يسمع صوتًا. فقال: أرى اسرع ورد وابعد صدر. فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا فلم يأتِ منهم احد. (قال) وصوّرتِ اليهود مالكًا في بِيَعهم وكنائسهم فكانوا يلعنونهُ كلما دخلوها. (قال) فلما قتل مالك من يهود مَن قتل ذلُّوا وقلّ امتناعهم وخافوا خوفًا شديدًا وجعلوا كلما هاجهم احد من الاوس والخزرج بشيء. يكرهونهُ لم يمشِ بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهود الى جيرانه الذي هو بين أظهرهم فيقول: انما نحن جيرانكم ومواليكم. فكان كل قوم من يهود قد لجأوا الى بطن من الاوس والخزرج يتعززون بهم

محاربة الاوس والخزرج

قال أبو المنهال عتيبة بن المنهال: بعث رجلٌ من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان الي يثرب بفرسٍ وحُلَّةٍ مع رجلٍ من غطفان وقال: ادفعهما الى اعزّ اهل يثرب (١). (قال) فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَيْنُقاع فقال ما أُمر بهِ. فوثب اليهِ رجل من غطفان كان جارًا لمالك بن العجلان الخزرجي يقال لهُ كعب الثعلبيّ فقال: مالك بن العجلان أعزُّ أهل يثرب. وقام رجل آخر فقال: بل أُحيحة بن الجُلاح أعزّ اهل يثرب. وكثر الكلام. فقبل

(١) وقيل ان الباعث بهما عبد ياليل بن عمرو الثقفيّ. وقيل بل الباعث بهما علقمة بن عُلاثة

الرسول الغطفاني قول الثعلبيّ الذي كان جارًا لمالك بن العجلان ودفعهما الى مالك . فقـال كعب الثعلبيّ : ألم أقل لكم انّ حليفي أعزّكم وافضلكم . فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال لهُ سُمَيْر فرصد الثعلبي حتى قتلهُ . فأخبر مالك بذلك . فأرسل الى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الاوس: انكم قتلتم منا قتيلاً فارسلوا الينا بقاتله . فلمّا جاءهم رسول مالك تراموا بهِ . فقالت بنو زيد : انما قتلته بنو جحجبا . وقالت بنو جحجبا انما قتلته بنو زيد . ثم ارسلوا الى مالك : انهُ قد كان في السوق التي قُتل فيها صاحبكم ناس كثير ولا يدرى ايّهم قتلهُ . فأمر مالك أهل تلك السوق ان يتفرّقوا . فلم يبقَ فيها غير سمير وكعب . فأرسل مالك الى بني عمرو بن عوف بالذي بلغهُ من ذلك وقال : انما قتلهُ سمير فارسلوا بهِ اليَّ اقتلهُ . فارسلوا اليهِ : انهُ ليس لك ان تقتل سميرًا بغـير بيّنة . وكثرت الرسل بينهم في ذلك يسألهم مالك ان يعطوه سميرًا ويأبون ان يعطوهُ اياه . ثم انَّ بني عمـرو بن عوف كرهوا ان ينشبوا بينهم وبين مالك حربًا فأرسلوا اليهِ : انَّ صاحبكم حليف وليس لكم فيهِ الّا نصف الدية . فغضب مالك وأبى ان ياخذ فيـهِ الّا الدية كاملة أو يقتل سميرًا . فأبت بنو عمرو بن عوف ان يعطوه الّا دية الحليف وهي نصف الدية . ثم دعوه ان يحكم بينهم وبينهُ عمرو ابن امرئ القيس أحد بني الحرث بن الخزرج وهو جدّ عبـد الله بن رواحة . ففعل . فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحرث بن الخزرج . فقضى على مالك بن العجلان انهُ ليس لهُ في حليفهِ الّا دية الحليف . وأبى مالك ان يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر قبائل الخزرج . فأبت بنو الحرث ابن الخزرج ان تنصرهُ غضبًا حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس . فقال مالك ابن العجلان يذكر خذلان بني الحرث بن الخزرج لهُ وحدب بني عمرو بن عوف

على سمير ويحرّض بني النجار على نصرتهِ

انَّ سميرًا أرى عشيرتــه قد حدبوا دونهُ وقــد انفوا
ان يكن الظنُّ صادقًا ببني م النجار لا يطعموا الذي علفوا
لا يسلمونا لمعشرٍ ابدًا ما دام منــا ببطنها شرفُ
لكن مواليَّ قد بدا لهــمُ رأيٌ سوى ما لديَّ أو ضعفوا
بين بني جحجبا وبين بني زيد فأنَّى تخــاذل اللففُ
يمشون في البيض والدروع كما تمشي جمــال مصاعبٌ قطُفُ
كما تمشي الاسود في رهج م الموت اليــهِ وكلهم لهفُ

وقال درهم بن زيد بن ضبيعة أخو سمير في ذلك:

يا قوم لا تقتلوا سميرًا فانَّ م القتل فيــهِ البوار والاسفُ
ان تقتلوه ترنَّ نسوتكــم على كريمٍ ويفزع السلفُ
اني لعمر الذي يحجُّ لهُ م الناس ومن دون بيتهِ سَرِفُ
يمين برٍّ بالله مجتهــدٍ يحلف ان كان ينفع الحلفُ
لا نرفع العبــد فوق سنّتهِ ما دام منا ببطنها شرفُ
انك لاقٍ غدًا غواة بني عمّيَ فانظرْ ما انت مزدهفُ
فأبدِ سماكَ (١) يعرفوك كما يبدون سيماهمُ فتعترفُ

وقال درهم بن زيد في ذلك:

يا مالِ(٢) ما تبغيا ظلامتنا يا مال انَّا معاشرٌ أنفُ
يا مال والحقُّ ان قنعتَ بهِ فيــهِ وفينا لأمرنا نصفُ

---

(١) معنى قوله: (فابد سيماك) انَّ مالك بن العجلان كان اذا شهد الحرب يغيّر لباسهُ ويتنكّر لئلا يُعرف فيُقصد (٢) مالِ: ترخيم مالك

انَّ بجيرًا عبــد فخذ ثمنــاً فالحقُّ يوفى بهِ ويعترفُ
ثم اعلما ان أردت ضيم بني زيد فاني ومن لهُ الحلفُ
لأصبحا داركم بذي لجبٍ جون لهُ عن أمامــه عزفُ
البيض حصن لهم اذا فزعوا وسابغات كأنها النطفُ
والبيض قد ثلّمت مضاربها بها نفوس الكماة تختطفُ
كأنها في الأكُفّ اذ لمعت وميض برق يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخَطيم الظفريّ أحد بني النبيت في ذلك (ولم يدركهُ وانما قالهُ بعد هذه الحرب بزمان):

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم ريث يضحّي جمالهُ السلفُ

وهي طويلة يقول فيها:

ابلغ بني جحجبا واخوتهم زيدَ بأنّا وراءهــم انفُ
انّا وان قلّ نصرنا لهمُ اكبادنا من ورائهم تجفُ
لمّا بدت نحــونا جباههمُ حنّت الينا الارحام والصحفُ
نفلي بحــدّ الصفيح هامهمُ وفلينا هامهم بهــا جنفُ
يتبعُ آثارهــا اذا اختلجت سخن عبيط عروقهُ تكفُ
انّ بني عمّنــا طغوا وبغوا ولجّ منهم في قومهم سرفُ

فردّ عليهِ حسان بن ثابت (ولم يدرك ذلك):

ما بال عينيك دمعهــا يكفُ من ذكر خودٍ شطت بها قذفُ
بانت بهــا غربة تؤمّ بهــا أرضاً سوانا والشكل مختلفُ
ما كنت ادري بوشك بينهم حتى رأيت الحدوج تنقذفُ

دع ذا وعدّ القريض في نفرٍ يرجون مدحي ومدحيَ الشرفُ
ان تدعُ قومي للمجد تلفهمُ أهل فعال يبدو اذا وصفوا
انّ سميرًا عبدٌ طغى سفهاً ساعدهُ أعبدٌ لهم نطفُ

(قال) ثم أرسل مالك بن العجلان الى بني عمرو بن عوف يؤذنهم بالحرب ويعدهم يومًا يلتقون فيهِ . وأمر قومهُ فتهيَّأوا للحرب وتحاشد الحيَّان وجمع بعضهم لبعض . وكانت يهود قد حالفت قبائل الاوس والخزرج الّا بني قريظة وبني النضير فانهم لم يحالفوا احدًا منهم . حتى كان هذا الجمع فأرسلت اليهم الاوس والخزرج كلٌّ يدعوهم الى نفسهِ . فأجابوا الاوس وحالفوهم . والتي حالفت قريظة والنضير من الاوس اوس الله وهي خطمة وواقف وأُمية ووائل . فهذه قبائل اوس الله . ثم زحف مالك بمَن معهُ من الخزرج . وزحفت الاوس بمَن معها من حلفائها من قريظة والنضير . فالتقوا بفضاء كان بين بني سالم وقُباء وكان اول يوم التقوا فيهِ فاقتتلوا قتالًا شديدًا . ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعًا . ثم التقوا مرّةً أُخرى عند أُطم بني قينقاع فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم . وكان الظفر يومئذٍ للاوس على الخزرج . فقال أبو قيس بن الاسلت في ذلك:

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما همّوا بتكذيبِ
ألا فِدًى لهمُ امي وما ولدتْ غداة يمشون ارقال المصاعيبِ
بكل سلهبة كالايم ماضية وكل ابيض ماضي الحدّ مخشوبِ(١)

(قال) فلبث الاوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين . وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ . فلما رأت الاوس طول الشرّ وانّ مالكًا لا يفرغ قال لهم سويد بن صامت الاوسيّ وكان

(١) اصل المخشوب الحديث الطبع ثم صار كل مصقولٍ مخشوبًا . فشبهها بالحية في انسلالها

يقال لهُ الكامل في الجاهلية: (١) يا قوم ارضوا هذا الرجل من حليفهِ ولا تقيموا على حرب اخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيركم وان حملتم على انفسكم بعض الحمل. فأرسلت الاوس الى مالك بن العجلان يدعونهُ الى ان يحكم بينهُ وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت (٢) فأجابهم الى ذلك. فخرجوا حتى اتوا ثابت بن المنذر وهو في البئر التي يقال لها سُميحة فقالوا: انا قد حكّمناك بيننا. فقال: لا حاجة لي في ذلك. قالوا: ولِمَ. قال: أخاف أن تردّوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس. قالوا: فانَّا لا نردُّ حكمك فاحكم بيننا. قال: لا احكم بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيت بهِ ولتسلمُنَّ لهُ. فاعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم. فحكم بان يؤدي حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنَّة فيهم بعده على ما كانت عليهِ في الصريح على ديتهِ والحليف على ديتهِ وان تُعدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يعطوا الدية لمن كان لهُ فضل في القتلى من الفريقين. فرضي بذلك مالك وسلَّمت الاوس وتفرّقوا على ان على بني النجار نصف دية جار مالك معونة لاخوتهم وعلى بني عمرو بن عوف نصفها. فرأت بنو عمرو بن عوف انهم لم يُخرجوا الّا الذي كان عليهم. ورأى مالك انهُ قد ادرك ما كان يطلب. وودّى جارهُ دية الصريح

---

(١) وكان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سموه الكامل وكان سويد احد الكَمَلة

(٢) ويقال بل الحاكم المنذر ابو ثابت

قيس بن الخطيم يأخذ بثأر ابيه وجدّه

كان من حديث قيس بن الخطيم ان جدَّهُ عدي بن عمرو قتلهُ رجل من بني عمرو بن عامر يقال لهُ مالك. وقتل اباهُ الخطيمَ بن عدي رجلٌ من بني عبد القيس ممَّن يسكن هجر. وكان قيس يوم قُتـل أبوهُ صبيا صغيرًا وقُتل الخطيم قبل ان يثأرَ بأبيهِ عدي. فخشيت ام قيس على ابنها ان يخرج فيطلب بثأر أبيهِ وجدّه فيهلك فعمدت الى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها احجارًا وجعلت تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجدّك. فكان قيس لا يشكّ انَّ ذلك على ذلك. ونشأ شديد الساعدين. فنازع يومـًا فتىً من فتيان بني ظَفَر. فقال لهُ ذلك الفتى: والله لو جعلتَ شدة ساعديك على قاتل ابيك وجدّك لكان خيرًا لك من ان تخرجها عليَّ. فقال: ومَن قاتل أبي وجدّي قال: سَلْ امّك تخبرك. فأخذ السيف ووضع قائمهُ على الارض وذبابهِ بين ثدييه وقال لامّهِ: اخبريني من قتل أبي وجدّي. قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء. فقال: والله لتخبرينّي مَن قتلهما او لأتحاملنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. فقالت: امّا جدّك فقتلهُ رجل من بني عمرو بن عامر ابن ربيعة يقال لهُ مالك. وامّا أبوك فقتلهُ رجل من بني عبـد القيس ممَّن يسكن هجر. فقال: والله لا انتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي. فقالت: يا بنيَّ انَّ مالكًا قاتل جدّك من قوم خِداش بن زهير ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر فأتِهِ فاستشرهُ في أمرك واستعنهُ يعنكَ. فخرج قيس من ساعتهِ حتى أتى ناضحه وهو يسقي نخله. فضرب الجرير بالسيف فقطعهُ فسقطتِ الدلو في البئر واخذ برأس الجمل فحمل عليهِ غرارتين من تمر وقال: من يكفيني أمر

هذه العجوز (يعني امَّهُ) . فان متُّ أنفقَ عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم هو له وان عشتُ فمالي عائد اليَّ ولهُ منهُ ما شاء ان يأكل من تمرهِ . فقال رجل من قومهِ : انا لهُ . فأعطاهُ الحائط : ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليهِ بمرّ الظهران . فصار الى خبائهِ فلم يجدهُ فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافهُ . ثم نادى امرأة خداش : هل من طعام فاطلعت اليهِ فأعجبها جمالهُ وكان من أحسن الناس وجهاً فقالت : والله ما عندنا من نزل نرضاه لك الّا تمرًا . فقال : لا أبالي فاخرجي ما كان عندك . فأرسلت اليهِ بقباع فيهِ تمر . فأخذ منهُ تمرة فاكل شقَّها وردَّ شقها الباقي في القباع . ثم أمر بالقباع فأُدخل على امرأة خداش بن زهير . ثم ذهب لبعض حاجاتهِ . ورجع خداش فأخبرتهُ امرأته خبر قيس . فقال : هذا رجل متحرّم . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رطباً فلمَّا رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك . قالت : نعم . قال : كأنَّ قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي . فلمَّا دنا منهُ قرع طنب البيت بسنان رمحهِ واستأذن . فأذن لهُ خداش . فدخل اليهِ . فنسبهُ فانتسب اليهِ وأخبرهُ بالذي جاء لهُ وسألهُ أن يعينهُ وان يشير عليهِ في أمره . فرحَّب بهِ خداش وذكر نعمة أبيهِ عنده وقال : ان هذا الامر ما زلتُ اتوقَّعهُ منك منذ حين . فامَّا قاتل جدك فهو ابن عمٍّ لي وأنا اعينك عليهِ . فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبهِ وتحدَّثتُ معهُ . فاذا ضربتُ فخذه فثبْ اليهِ فاقتلهُ . (فقال قيس) فاقبلتُ معهُ نحوه حتى قمت على راسه لمَّا جالسهُ خداش . فحين ضرب فخذهِ ضربتُ راسهُ بسيفٍ يقال لهُ ذو الخرصين . فثار اليَّ القوم ليقتلوني فحال خداش بينهم وبيني وقال : دعوه فانهُ واللهِ ما قتل الّا قاتل جدّه . ثم دعا خداش بجمل من ابله فركبهُ وانطلق مع قيس الى العبدي الذي قتل أباه . حتى اذا كانا

قريبـاً من هجر أشار عليهِ خداش ان ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيهِ فاذا دُلَّ عليهِ قال لهُ: انَّ لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي فسألت مَن سيِّد قومهِ فدُللتُ عليك فانطلقْ معي حتى تاخذ متاعي منهُ. فان اتَّبعك وحدهُ فستنال ما تريد منهُ. وان أخرجَ معك غيره فاضحكْ. فان سألك ممَّ ضحكتَ فقلْ: انَّ الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ اذا دُعي الى اللصّ من قومهِ انما يخرج وحدهُ بسوطهِ دون سيفه فاذا رآه اللصّ أعطاهُ كل شيء أخذهُ هيبةً لهُ. فان أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك وان أبي الّا ان يمضوا معـهُ فأتني بهِ فاني أرجو أن تقتلهُ وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظلّ شجرة وخرج قيس حتى أتى العبديّ فقال لهُ ما أمرهُ خداش فأحفظهُ. فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس. فلمَّا طلع على خداش قال لهُ: اختر يا قيس امَّا ان أُعينك واما ان اكفيك. قال: لا اريد واحدة منهما ولكن ان قتلني فلا يلفتنَّك. ثم ثار اليـهِ فطعنهُ قيس بالحربة في خاصرتهِ فانفذها من الجانب الآخر فمات مكانه. فلمَّا فرغ منهُ قال لهُ خداش: انَّا ان فررنا الآن طلبنا قومُه ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتلهِ فانَّ قومه لا يظنون انك قتلتهُ وأقمتَ قريباً منهُ ولكنهم اذا افتقدوه اقتفوا أثره فاذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه فاذا يئسوا رجعوا. (قال) فدخلا في دارات من رمال هناك. وفقـد العبديَّ قومُه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا. فكان من امرهما ما قال خداش. وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا فلم يتكلَّما حتى أتيا منزل خداش ففارقهُ عنده قيس بن الخطيم ورجع الى اهلهِ. ففي ذلك يقول قيس:

ثأرتُ عديًّا والخطيم فلم اضع ولاية(١) أشياخٍ جعلتُ ازاءها
ضربت بذي الزُّجين ربقةَ مالك فأُبتُ بنفسي قد اصبتُ شفاءها
وساعدني فيها ابن عمرو بن عامرٍ خداش فأدّى نعمة وأفاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ لها نفذٌ لولا الشعاع اضاءها
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائمٌ من دونها ما وراءها

فلمّا هدأت حرب الاوس والخزرج تذكرتِ الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايته فيهم فتوامروا وتواعدوا قتلهُ . فخرج عشية من منزلهِ في ملاءتين يريد مالاً لهُ بالشَّوط حتى مرّ بأُطم بني حارثة . فرُمي من الاطم بثلاثة اسهم فوقع أحدها في صدرهِ فصاح صيحة سمعها رهطه . فجاءوا فحملوهُ الى منزلهِ فلم يروا لهُ كفوءا الّا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري . فأندسَّ اليهِ رجلٌ حتى أغتالهُ في منزلهِ فضرب عنقهُ واشتمل على راسه فأتى بهِ قيساً وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد ادركت بثأرك . فقال : لا أُبالي ان كان غير أبي صعصعة . فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأسَ . فلم يلبث قيس بعد ذلك أنْ مات

السموأل

السموأل بن غريض بن عادياء كان صاحب الحصن المعروف بالابلق بتَيماء وهو المشهور بالوفاء (٢) وكان هذا الحصن لجدّهِ عادياء واحتفر فيهِ بئرًا رويّة عذبة . وقد ذكرتهُ شعراء في اشعارها . قال السموأل :

---

(١) وفي رواية : وصيّة (٢) قيل ان امّهُ كانت من غسّان

فبالأبلق الفرد بيتي بـهِ ‏ ‏ ‏ وبيت النضير سوى الابلقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصنَ:

بنى لي عاديا حصنـاً حصيناً ‏ ‏ ‏ وماء كلّما شئت استقيتُ

وكانت العرب تنزل بهِ فيضيفها وتمتـار من حصنهِ وتُقيم هناك سوقاً . وبهِ يضرب المثل في الوفاء لاسلامه ابنه حتى قُتل ولم يخُن أمانته في ادراعٍ أُودعها وكان السبب في ذلك ان امرء القيس بن حُجر لما صار الى الشام يُريد قيصر نزل على السموءل بن عادياء بحصنهِ الابلق بعد ايقاعهِ ببني كِنانة على انهم بنو أبيهِ وكراهة اصحابه لفعلهِ وتفرّقهم عنـهُ حتى بقي وحدهُ واحتاج الى الهرب فطلبهُ المنذر بن ماء السماء ووجّه في طلبـهِ جيوشاً من اياد وبهرا وتنوخ وجيشاً من الاساورة أمره بهم أنوشروان وخذلتهُ حمير وتفرّقوا عنـهُ لجأ الى السموءل ومعهُ ادراع كانت لأبيهِ خمسة الفَضفاضة والضافية والمُحصِنَة والخِرّيق وامّ الذيول كانت للملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك . ومعهُ بنتهُ هند وابن عمـهِ يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح ومال كان بقي معهُ ورجل من بني فزارة يقال لهُ الربيع بن ضَبع شاعر . فقال لهُ الفزاريُّ: قلْ في السموءل شعرًا تمدحهُ بهِ فانّ الشعر يعجبهُ . وأنشدهُ الربيعُ شعرًا مدحهُ بهِ وهو قولهُ:

ولقد اتيت بني المصاص مفاخرًا ‏ ‏ ‏ والى السموءل زرتهُ بالابلـقِ

فأتيت افضـل من تحمّل حاجة ‏ ‏ ‏ ان جئتهُ في غارم او مرهقِ

عرفتْ لهُ الاقوام كلَّ فضيلة ‏ ‏ ‏ وحوى المكارم سابقـاً لم يسبقِ

(قال) فقال امرؤ القيس فيهِ قصيدته:

طرقتكَ هندٌ بعد طول تجنب ‏ ‏ ‏ وهنًا ولم تكُ قبل ذلك تطرقُ

(قال) وقال الفزاريّ : انّ السموءل يمنع منها حتى يرى ذات عينك وهو في حصن حصين ومال كثير. فقدم بهِ على السموءل وعرّفهُ اياه وأنشداه الشعر. فعرف لهما حقّهما وضرب على هند قبــة من أدم وأنزل القوم في مجلس لهُ براح فكانت عنده ما شاء الله. ثم ان امرء القيس سألهُ ان يكتب لهُ الى الحرث بن أبي شَمِر الغسّاني ان يوصلهُ الى قيصر. ففعل. واستصحب معهُ رجلًا يدلّهُ على الطريق واودع بنيهِ وماله وادراعه السموءلَ ورحل الى الشام وخلّف ابن عمهِ يزيد بن الحرث مع ابنتهِ هند. (قال) ووجّه المنذر بالحرث بن ظالم (١) في خيل وأمرهُ باخذ مال امرئ القيس من السموءل. فلمّا نزل بهِ تحصّن منهُ. وكان لهُ ابن قد يفع وخرج الى قنص لهُ. فلمّا رجع أخذهُ الحرث بن ظالم ثم قال للسموءل: أتعرف هذا. قال: نعم هذا ابني. قال: أفتسلم ما قبلك أم اقتلهُ. قال: شأنك بهِ فلستُ اخفر ذمتي ولا اسلم مال جاري. فضرب الحرث وسط الغلام فقطعهُ قطعتين وانصرف عنهُ فقال السموءل في ذلك :

وفيتُ بادرع الكنديّ اني ... اذا ما ذمَّ أقوام وفيتُ
واوصى عاديا يومــًا بان لا ... تهدّم يا سموأل ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصنــًا حصينًا ... وماء كلما شئت استقيتُ
رفيعــًا تزلقُ العِقبــانُ عنه ... اذا مــا نابني ضــيمٌ أبيتُ

---

(١) ويقال : بل نزل الحرث بن ظالم في بعض غاراتهِ بالأبلق . ويُقال : بل هو الحرث ابو شمر الغسّاني

الأَعشَى وشُرَيح بن السموءَل

قال الاعشي يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح بن السموءِل من رجل كلبي كان الاعشى هجاه ثمّ ظفر بهِ فأسره وهو لا يعرفه فنزل بشريح بن السموءل واحسن ضيافته ومرّ بالأسرى فناداه الاعشى :

شريحُ لا تُسْلِمنّي بعد ما علقتْ   حبالك اليوم بعد القيد اظفاري
قد سرت ما بين بلقاء الى عدنٍ   وطال في العجم تكراري وتسياري
فكان اكرمهم عهدًا وأوثقهم   عقدًا ابوك بعُرف غير انكارِ
كالغيث ما استمطروهُ جاد وابله   وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
كن كالسموءل اذ طاف الهمام بهِ   في جحفل كسواد الليلِ جرّارِ
اذ سامهُ خطّتي خسفٍ فقال لهُ   قُل ما تشاء فاني سامعٌ جارِ
فقال غدرٌ وثكل انت بينهما   فاختر وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكّ غير طويلٍ ثم قال لهُ   اقتل اسيرك اني مانعٌ جاري
انا لهُ خَلَفٌ ان كنتَ قاتلهُ   وان قتلت كريمًا غير غوّارِ
وسوف يعقُبنيهِ ان ظفرتَ بهِ   ربٌّ كريم وقوم اهل اطهارِ
فاختار ادراعهُ كي لا يُسبَّ بها   ولم يكن وعدهُ فيها بختّارِ

فجاء شريح الى الكلبي فقال : هذا الاسير المنصور . فقال : هو لكَ . فاطلقهُ وقال لهُ : أقِم عندي حتى اكرمك واحبوك . فقال لهُ الاعشى : انَّ تمام احسانك اليَّ ان تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة . فاعطاه ناقة ناجية . فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي ان الذي وهب لشريح الاعشى فارسل الى

شريح : ابعث اليَّ الاسير الذي وهبتُ لك حتى احبوه واعطيه . فقال : قد مضى . فارسل الكلبي في اثره فلم يلحقه

معاوية وشعبة بن غريض

حدثني احمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال : حجَّ معاوية حجتين في خلافته وكانت لهُ ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريهِ . (قالَ) فحج في احداهما فرأى شخصاً يصلّي في المسجد الحرام عليهِ ثوبان ابيضان فقال : من هذا . قالوا : شعبة بن غريض وكان من اليهود . فارسل اليهِ يدعوهُ فاتاهُ رسولهُ فقال : اجبْ امير المؤْمنين . قال : او ليس قد مات امير المؤْمنين قبلِ فأَجب معاوية . فاتاه فلم يسلم عليهِ بالخلافة . فقال لهُ معاوية : ما فعلتْ ارضكَ التى بتيماء . قال : يكسى منها العاري ويردّ فضلها على الجار . قال : أفتبيعها . قال : نعم . قال : بكم . قال : بستين الف دينار ولا خلة اصابت الحي لم ابعها . قال : لقد اغليتَ . قال : اما لو كانت لبعض اصحابك لاخذتها بستمائة الف دينار ثم لم تُبلِ . قال : اجل واذ بخلت بارضك فانشدني شعر ابيك يرثي نفسه . قال : فقال ابي :

ياليت شعري حين اندب هالكاً	ماذا تؤَبنني بهِ انواحي
ايقلن لا تبعد فربَّ كريهةٍ	فرَّجتها ببشارةٍ وسماحِ
ولقد ضربت بفضل مالي حقهُ	عند الشتاء وهبةِ الارواحِ
ولقد اخذت الحقّ غير مخاصم	ولقد رددتُ الحقّ غير ملاحِ
واذا دعيت لصعبةٍ سهلتها	أُدعى بافلح مرةٍ ونجاحِ

فقال : انا كنتُ بهذا الشعر اولى من ابيك . قال : كذبتَ ولؤمتَ . قال : أما كذبت فنعم واما لؤمت فلِمَ . قال : لانك كنت ميتَ الحقِّ في الجاهلية . وميتهُ في الاسلام . وما أنت والخلافة وأنت طليق ابن طليق . فقال معاوية : قد خرف الشيخ فأقيموهُ . فأخذ بيده فأُقيم . وشعبة هذا هو الذي يقول :

يا دار سعدى باقصى تلعة النعمِ حييتِ داراً على الإقواء والقدمِ
وما بجزعك الّا الوحش ساكنة وهامدٌ من رماد القدر والحممِ
عجنا فما كلمتنا الدار اذ سُئلت وما بها عن جوابٍ خلت من صممِ

أُحَيحة بن الجُلاح وعاصم بن عمرو

كان أُحيحة سيّد قومهِ من الاوس وكان رجلًا صنيعاً للمال شحيحاً عليهِ يتبع بيع الربا بالمدينــة حتى كاد يحيط باموالهم . وكان لهُ تسع وتسعون بعيراً كلها ينضح عليها . وكان لهُ بالجُرْف أصوار من نخل قلَّ يومٌ يمرّ بهِ الّا يطلع فيهِ . وكان لهُ اطهانِ أُطم في قومهِ يُقال لهُ المستظِلّ وهو الذي تحصَّن فيــهِ حين قاتل تُبَّعاً اسعد أبا كَرِب الحميريّ . وأُطمهُ الضَّحْيان (١) بالعصبة في ارضهِ التي يُقال لها الغابة (٢) بناه بحجارة سود وبنى عليهِ نَبْرة بيضاء مثل الفضة ثم جعل عليها مثلهــا يراها الراكب من مسيرة يوم او نحوه . وكانت الآطام هي عزّهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرّزون فيها من عدوّهم . ويزعمون انهُ لمّا بناه اشرف هو وغلام لهُ ثم قال : لقد بنيت حصنا حصيناً ما بنى مثلهُ رجل من العرب

(١) الضحيان : البارز من كلّ شيء للشمس
(٢) وفي نسخة : القُبابة

أمنع ولا اكرم ولقد عرفت موضعَ حجرٍ منهُ لو نُزع لوقع جميعاً. فقال غلامه: أنا أعرفهُ. فقال: فأرِنيه يا بنيَّ. قال: هو هذا. وصرف اليهِ رأسه. فلمَّا رأى أُحيحة انهُ قد عرفهُ دفعهُ من رأس الاطم فوقع على راسهِ فمات. وانما قتلهُ ارادة ان لا يعرف ذلك الحجرِ احد. ولمَّا بناه قال:

بنيت بعد مستظِلٍّ ضاحياً بنيتهُ بعصبة من ماليا
للستر ممَّا يتبع القواضيا اخشى ركيباً او رجيلًا عاديا

وكان أُحيحة اذا أمسى جلس بحذاء حصنهِ الضحيان ثم ارسل كلاباً لهُ تنبح دونه على من يأتيه ممَّن لا يعرف حذرًا من ان يأتيه عدوٌّ يصيب منهُ غرَّة.

ثم ان رجلًا من بني مازن بن النجَّار يقال لهُ كعب بن عمرو تزوَّج امرأة من بني سالم بن عون وكان يختلف اليها. فقعد لهُ رهط من بني جَحْجَبا برصد فضربوه حتى قتلوه او كادوا. فادركهُ القوافل فاستنقذوه. فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معهُ بنو النجار. وخرج أُحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عَوف. فالتقوا بالرُّحابة فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فقتل أخا عاصم يومئذٍ أُحيحةُ بن الجلاح فأصابهُ في اصحابهِ حين انهزموا. وطلب أُحيحة حتى انتهى الى البيوت فأدركهُ عاصم عند باب داره فزجَّهُ بالرمح. وتقفل أُحيحة الباب ووقع الرمح في الباب. ورجع عاصم واصحابه. فمكث أياماً. ثم ان عاصمًا طلب أُحيحةَ ليلًا ليقتلهُ في داره. فبلغ ذلك أُحيحة وقيل لهُ: ان عاصمًا قد زوى عن الضحيان والغابة. فأقبل يريدهُ في مجلسهِ ذلك ليقتلهُ بأخيهِ وقد أخذ معهُ تمرًا. فلمَّا نبحتهُ الكلاب حين دنا منهُ القى لها التمر. فوقفت. فلمَّا رآها أُحيحة قد سكتت حذر فقام فدخل حصنه. ورماه عاصم بسهمٍ فأحرزهُ منهُ الباب فوقع السهم بالباب. فلمَّا سمع أُحيحة وقع السهم صرخ في قومهِ. فخرج عاصم بن عمرو فأعجزهم حتى أتى

قومَه . ثم ان أُحيحة جمع لبني النجار فأراد ان يغترّهم . فواعدهُ قومه لذلك . وكانت عنـد أُحيحة سُلمى بنت عمرو احدى نساء بني عديّ بن النجار . فلمّا أجمع أُحيحة بالغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أُحيحة وهو يومئذٍ فطيم أو دون الفطيم وهو مع أُحيحة في حصنهِ عمدت الى ابنها فربطتهُ بخيط حتى اذا اوجعت الصبيَّ تركتهُ . فبات يبكي وهي تحملهُ . وبات أُحيحة معها ساهرًا يقول : ويحكِ ما لابني . فتقول : والله ما ادري ما له . حتى اذا ذهب الليل اطلقت الخيط عن الصبيّ فنام . فلمّا هدأ الصبي قالت : وا رأساه . فقـال : أُحيحة هذا والله ما لقيتِ من سهر هذه الليلة . فبات يعصّب لهـا رأسها ويقول : ليس بكِ بأس . حتى اذا لم يبقَ من الليل الّا اقلّهُ قالت لهُ : قم فنمْ فاني اجد فيَّ صالحةً . قد ذهب عني ما كنت اجدهُ . وانما فعلت بهِ ذلك ليثقل رأسه وليشتدّ نومه على طول السهر . فلما نام قامت وأخذت حبلاً شديدًا واوثقتهُ برأس الحصن ثم تدلّت منهُ وانطلقت الى قومها فانذرتهم وأخبرتهم بالذي اجمع هو وقومه من ذلك . فحذر القوم وأعدّوا واجتمعوا . فأقبل أُحيحـة في قومهِ فوجد القوم على حذر قد استعدّوا . فلم يكن بينهم كبير قتال . ثم رجع أُحيحة فرجعوا عنهُ وقد فقدها أُحيحة حين اصبح . فلمّا رأى القوم على حذر قال : عمل سلمى خدعتني حتى بلغتْ ما ارادت . وسمّاها قومها المتدلّية لتدلّيها من رأس الحصن . فقال في ذلك أُحيحة وذكر ما صنعت بهِ سلمى :

تفهّم ايهـا الرجل الجهولُ ولا يذهب بكَ الرأي الوبيلُ
فانّ الجهل محملهُ خفيفٌ وان الحلم محملهُ ثقيلُ
اذا باتت اعصّبها فنامت عليَّ مكانهـا الحمّى الشمولُ
لعلّ عصابهـا يبغيك حربًا ويأتيهم بعورتكَ الدليلُ

وقــد أعددتُ للحدثان اصلاً　　لو أنّ المرء ينفعهُ العقولُ

وقال فيها وفيما صنعت به:

اخلق الربع من سعاد فأمسى　　ربعهُ مخلقًا كدرس الملاةِ

باليًا بعــد حاضرٍ ذي انيس　　من سُلَيمى اذ تغتدي كالمهاةِ

الحرب بين مُضاض بن عمرو والسَّميدَع

حدَّثنا محمد بن عبــد الله الازرقي قال: حدَّثني جدّي ان ثابت بن اسمعيل وليَ البيت بعد أبيــهِ. ثم توفّي. فولي مكانه جدّه لامه مضاض بن عمرو الجرهمي فضمّ ولد ثابت بن اسمعيل اليهِ ونزلت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكّة ونزلت قطوراء مع ملكهم السميدع أجياد أسفل مكة. وكان هذان البطنان خرجا سيارة من اليمن. وكذلك كانوا لا يخرجون الّا مع ملك يملكونهُ عليهم. فلما رأوا مكة رأوا بلدًا طيبًا وماء وشجرًا. فنزلوا ورضي كل واحد منهما بصاحبهِ ولم ينازعهُ. فكان مضاض يعشّر من جاء مكة من أعلاها. وكان السميدع يعشّر مَن جاءها مِن اسفلها ومن كُدًى لا يدخل احدهما على صاحبهِ في امرهِ. ثم انّ جُرهمـًا وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه. فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم. وكانت ولاية البيت الى مضاض دون السميدع. فخرج مضاض من بطن قُعَيقِعان مع كتيبتهِ في سلاح شاكٍ يتقعقع. (١) وخرج السميدع من شِعب أجياد في الخيل الجياد(٢)

---

(١) فيقال ما سميت قعيقعان الّا بذلك. ومن قعيقعان الى مكة اثنا عشر ميلًا

(٢) ويقال ما سميت اجيادًا الّا بذلك

والرجال حتى التقوا بفاضح. فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فقُتل السميدع وفُضحت (١) قطورا.. ثم تداعى القوم الى الصلح فصاروا حتى نزلوا المطابخ شعبًا بأعلى مكة (٢) فاصطلحوا هناك وسلّموا الامر الى مضاض. فلمّا اجتمع لهُ امر مكه وصار ملكها دون السميدع نحر للناس فطبخوا هناك لجزر فاكلوا وسمّي ذلك الموضع المطابخ. فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب:

نحن قتلنا سيد الحيّ عنوةً ... فأصبح منها وهو حيران موجعُ (٣)
وما كان يبغي ان يكون سواؤُنا ... بها ملكًا حتى أتانا السميدعُ
فذاق وبالًا حين حاول ملكنا ... وحاول منا غصةً تتجرّعُ
ونحن عمرنا البيت كنّا ولاتَهُ ... نضارب عنهُ مَن أتانا وندفعُ
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرنا ... ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثمَّ يمنعُ
وكنّا ملوكًا في الدهور التي مضت ... ورثنا ملوكًا لا تُرام فتوضعُ

بغي جرهم وطردهم من مكة

قال عثمان بن ساج: حدثني بعض اهل العلم ان سيلًا جاء فدخل البيت فانهدم فاعادتهُ جُرهُم على بناء ابراهيم بناه لهم رجل منهم يقال لهُ ابو الجدَرَة واسمهُ عمر الجارود. (٤) (قال) ثم استخفّت جرهم بحق البيت وارتكبوا فيهِ امورًا

---

(١) ويقال ما سمي فاضحًا الّا بذلك
(٢) وهو الذي يقال لهُ الآن شعب ابن عامر
(٣) يعني ان الحي اصبح حيران موجعًا
(٤) وسمي بنوه الجدرة

عظاماً واحدثوا فيهِ أحداثاً قبيحة . وكانت للبيت خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيها الحُليُّ والمتاع الذي يُهدى لهُ وهو يومئذٍ لأسقفٍ عليهِ . فتواعد عليه خمسة من جرهم ان يسرقوا كل ما فيهِ . فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم . واقتحم الخامس فجعل الله عزَّ وجلَّ أعلاه أسفله وسقط منكساً فهلك . وفرَّ الاربعة الآخرون

(قالوا) فلمَّا كثر بغي جرهم بمكَّة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحرث ابن مضاض فقال : يا قوم احذروا البغي فانهُ لا بقاء لاهلهِ وقد رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحرم ولم يُعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرَّقوا في البلاد . فلا تستخفُّوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا مَن دخله وجاءهُ مُعظِّماً لحرماتهِ او خائفاً او رغب في جواره . فانكم ان فعلتم ذٰلكم تخوَّفتُ ان تخرجوا منهُ خروج ذلٍ وصِغار حتى لا يقدر احد منكم ان يصل الى الحرم ولا الى زيارة البيت الذي هو لكم حرزٌ وأمنٌ والطير تأمن فيهِ . فقال قائل منهم يقال لهُ مجدع : ومَن الذي يخرجنا منهُ ألسنا أعزَّ العرب واكثرهم مالًا وسلاحاً . فقال مضاض : اذا جاء الامر بطل ما تذكرون . فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق . (قالوا) وقد كانت العماليق بغتْ في الحرم فسلط الله عزَّ وجلَّ عليهم الذرَّ فاخرجهم منهُ . ثم رُموا بالجدب من خلفهم حتى ردَّهم الله الى مساقط رؤوسهم . فلمَّا رأى مضاض ابن عمرو بغيهم ومقامهم عليهِ عمد الى كنوز الكعبة وهي غزلان من ذهب واسياف قلعية فحفر لها ليلًا في موضع زَمزَم ودفنها . فبينا هم على ذلك اذ سارت القبائل من اهل مأرب وعليهم مُزَيقياء وهو عمرو بن عامر . فلمَّا انتهوا الى مكة واهلها أرسل اليهم عمرو ابنه ثَعلَبة فقال لهم : يا قوم انَّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل

بلدة افسح اهلها لنا وتزحزحوا عنّا. فنقيم معهم حتى نرسل روّادًا فيرتادوا لنا بلدًا يحملنا. فأفسِحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادًا الى الشأم والى الشرق فحيثما بلغنا انهُ أمثل لحقنا بهِ. وارجو ان يكون مقامنا معكم يسيرًا. فأبت ذلك جرهم اباء شديدًا واستكبروا في انفسهم وقالوا: لا والله ما نحبُّ ان ينزلوا فيضيّقوا علينا مرابعنا ومواردنا فارحلوا عنّا حيث احببتم فلا حاجة لنا بجواركم. فأرسل اليهم: انهُ لا بدّ من المقام بهذا البلد حولًا حتى ترجع اليَّ رسلي التي أرسلت. فان انزلتموني طوعًا نزلتُ وحمدتكم وآسيتكم في الرعي والماء. وان أبيتم أقمتُ على كرهكم ثم لم ترعوا معي الّا فضلًا ولا تشربوا الّا رنقًا. وان قاتلتموني قاتلتكم. ثمَّ ان ظهرتُ عليكم سبيتُ النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرم ابدًا. فأبت جرهم ان تُنزلهُ طوعًا وتعبت لقتالهِ. فاقتتلوا ثلاثة ايام أُفرغ عليهم فيها الصبر ومُنعوا النصر. ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم الّا الشريد. وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يعنهم في ذلك وقال: قد كنت أُحذّركم هـذا. ثم رحل هو وولده واهل بيتهِ حتى نزلوا قَنَونا وما حوله. فبقايا جرهم بهِ الى اليوم. وفني الباقون أفناهم السيف في تلك الحروب. (قالوا) فلمّا حازت خزاعة امر مكة وصاروا اهلها جاءهم بنو اسمعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك. فسألوهم السكنى معهم وحولهم. فأذنوا لهم. فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحرث وقد كان اصابهُ من الصبابة الى مكة امرٌ عظيم ارسل الى خُزاعة يستأذنها ومَتَّ اليهم برأيهِ وتوزيعهِ قومه عن القتال وسوء العشرة في الحرم واعتزاله الحرب. فأبت خزاعة ان يقرّوهم ونفوهم عن الحرم وقالوا: من دخله منهم فـدمهُ هدر. فنزعت ابل لمضاض بن عمرو من قنونا تريد مكة. فخرج في طلبها حتى وجدها

قد دخلت مكة . فمضى الى الجبال نحو اجياد حتى ظهر على ابي قُبَيس يتبصَّر الابل في بطن وادي مكة فأبصر الابل تُنحر وتؤكل لا سبيل له اليها . فخاف ان هبط الوادي ان يُقتل فولّى منصرفاً الى اهله وانشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحَجُون الى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يتربَّع واسطاً فجنوبه ... الى المنحنى من ذي الاراكة حاضرُ
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثرُ
وأبدلنا ربّي بها دار غربةٍ ... بها الذئب يعوي والعدوّ المخامرُ
اقول اذا نام الخليُّ ولم انمْ ... أذا العرشِ لا يبعد سهيلٌ وعامرُ
وبُدّلتُ منهم أوجهاً لا اريدها ... وحمير قد بدِّلتها والبحائرُ (١)
فان تملْ الدنيا علينا بكلكلٍ (٢) ... ويصبح شرٌّ بيننا وتشاجرُ
فنحن ولاة البيت من بعد نابتٍ ... نُسقّي به والخير اذ ذاك ظاهرُ
وأنكحَ جدّي خير شخصٍ علمتهُ ... فابناؤهُ منَّا ونحن الاصاهرُ
واخرجنا منها المليك بقدرةٍ ... كذلك يا للناس تجري المقادرُ
فصرنا احاديثاً وكنّا بغبطةٍ ... كذلك عضّتنا السنون الغوابرُ
وسحّت دموع العين تبكي لبلدةٍ ... بها حرَمٌ أمنٌ وفيها المشاعرُ (٣)
ويا ليت شعري من باجياد بعدنا ... أقام بمفضى سيلهُ والظواهرُ

---

(١) وفي نسخة : والجابرُ
(٢) وفي رواية : بكلها
(٣) ويروى بعد هذا البيت :

بوادٍ انيسٍ ليس يؤذى حمامهُ ... ولا منفرًا يوماً وفيها العصافرُ
وفيها وحوش لا تراب انيسة ... اذا خرجت منها فما ان تغادرُ

فبطنُ مِنًى امسى كأن لم يكن بهِ مضاضٌ ومن حيٍّ عديٍّ عمائرُ (١)
فهل فرجٌ آتٍ بشيءٍ تحبُّهُ وهل جزع منجيك مما تحاذرُ

(قالوا) وقال ايضاً :

يا ايها الحيُّ سيروا ان قصركمُ أن تصبحوا ذات يومٍ لا تسيرونا
أنّا كما انتمُ كنّا فغيّرنا دهرٌ بصرفهِ كما صرنا تصيرونا
أزجوا المطيَّ وازجوا من أزمّتها قبل الممات وقضُّوا ما تقضُّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم اهلكنا بالبغي فيهِ فقد صرنا افانينا (٢)
كنّا زمانًا ملوك الناس قبلكمُ نأوي بلادًا حرامًا كان مسكونا

يوم بُعاث

قال هشام بن الكلبيّ كانت الاوس قد اسندوا امرهم في يوم بعاث الى ابي قيس بن الأسلَت الوائلي فقام في حربهم وآثرها على كل امرٍ حتى شحب وتغيّر. ثم انهُ جاء ليلة فدقَّ على امرأته ففتحت لهُ فاهوى اليها بيده فدفعتهُ وانكرتهُ. فقال: انا ابو قيس. فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمتَ .
فقال في ذلك ابو قيس هذه القصيدة واولها :

---

(١) وفي رواية : فيا ليت شعري هل تُعمّر بعدنا جيادٌ فَمُمضى سيلهُ فالظواهرُ
فبطن مِنًى وحشٌ كأن لم يسر بهِ مضاضٌ ومن حيِّ عديٍّ عمائرُ

(٢) وفي رواية بعد هذا البيت ما نصهُ :
قضُّوا اموركمُ بالحزم ان لها امورُ رُشدٍ رشدتم ثم مسنونا
واستخبروا في صنيع الناس قبلكمُ كما استبان طريق عنده الهونا

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلًا فقد ابلغت اسماعي
استنكرتْ لونًا لهُ شاحبًا والحرب غول ذات اوجاعِ
من يذق الحرب يجد طعمها مرًّا وتتركهُ بجعجاعِ
قد حصَّت البيضة رأسي فما أطعم نومًا غير تهجاعِ
أسعى على جلّ بني مالكٍ كلّ امرئ في شأنهِ ساعِ
لا نألم القتلَ ونجزي بهِ م الاعداء كيلَ الصاع بالصاعِ

فاما السبب في هذا اليوم وهو يوم بعاث: ان الاوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج . فبعث اليهم ان الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزنا ان نستعين باعدادكم واكثر منكم من العرب فان ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون . وان ظفرتم لم ننم عن الطلب ابدًا فتصيروا الى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما انتم الآن منهُ خالون . واسلم لكم من ذلك ان تدعونا وتخلوا بيننا وبين اخواننا . فلما سمعوا ذلك علموا انهُ الحق فارسلوا الى الخزوج : انهُ قد كان الذي بلغكم والتمست الاوس نصرنا وما كنا لننصرهم عليكم ابدًا . فقالت لهم الخزرج : فان كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون في ايدينا . فبعثوا اليهم اربعين غلامًا منهم . ففرّقهم الخزرج في دورهم . فمكثوا بذلك مدة

ثم ان عمرو بن النعمان البَيَاضيّ قال لقومهِ بياضة : ان عامرًا اترلكم منزل سوء بين سَبَخَة ومفازة . وانهُ والله لا يمسّ رأسي غسل حتى اترككم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل . ثم راسلهم : إمَّا ان تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها . واما ان نقتل رهنكم . فهمُّوا ان يخرجوا من ديارهم . فقال لهم الكَعْب بن أَسَد القرظيّ : يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن. والله ما هي الّا

ليلة حتى يولد للرجل غلام مثل احد الرهن . فاجتمع رأيهم على ذلك . فأرسلوا الى عمرو بأن : لا نسلم لكم دورنا وانظروا الذي عاهدتمونا عليهِ في رهننا فقوموا لنا بهِ . فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن اطاعهُ من الخزرج فقتلوهم . وابى عبد الله بن أُبَيّ وكان سيدًا حليمًا وقال : هــذا عقوق ومأثم وبغي فلست معينًا عليهِ ولا احد من قومي اطاعني . وكان عنده في الرهن سليمان بن أسد القرظيّ وهو جدّ محمد بن كعب القرظيّ فخلى عنهُ واطلق ناسٌ من الخزرج نفرًا فلحقوا باهليهم . فناوشت الاوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئًا من قتــال غير كبير واجتمعت قريظة والنضير الى كعب بن اسد اخي بني عمرو بن قريظة . ثم تآمروا ان يعينوا الاوس على الخزرج . فبعث الى الاوس بذلك . ثم اجمعوا عليهِ على ان ينزل كل اهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضــير . فنزلوا معهم في دورهم وارسلوا الى النبيت يأمرونهم باتيــانهم وتعاهدوا الّا يسلموهم ابدًا وان يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم احد . فجــاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم ثم ارسلوا الى سائر الاوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج . فاجابوهم الى ذلك . فاجتمع الملأ منهم واستحكم امرهم وجدّوا في حربهم . ودخلت معهم قبائل من اهل المدينة منهم بنو ثَعْلَبــة وهم من غسّان وبنو زعوراء وهم من غسان

فلما سمعت بذلــك الخزرج اجتمعوا . ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضيّ وعمرو بن الجَمُوح السَلَميّ حتى جاءوا عبد الله بن أُبَيّ وقالوا لهُ : قد كان الذي بلغك من امر الاوس وامر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا . وانّا نرى ان نقاتلهم . فان هزمناهم لم يحرز احد منهم معقله ولا ملجــأه حتى لا يبقى منهم احد . فلما فرغوا من مقالتهم قام عبد الله بن ابيّ خطيبًا

وقـال : ان هذا بغي منكم على قولكم وعقوق ووالله ما احبّ انّ رِجلًا من جراد لقيناهم . وقد بلغني انهم يقولون : هؤلاء قومنا منعونا الحياة افيمنعونـا الموت . والله اني ارى قومـاً لا ينتهون او يُهلكوا عامتكم . واني لأخاف ان قاتلوكم ان يُنصروا عليكم لبغيكم عليهم . فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم فاذا ولّوا فخلّوا عنهم . فاذا هزموكم فدخلتم ادنى البيوت خلّوا عنكم . فقال لهُ عمرو ابن النعمان : انتفخ والله سحرُك يا ابا الحرث حين بلغك حلف الاوس قريظة والنضير . فقال عبد الله : والله لا حضرتكم ابدًا ولا احد اطاعني ابدًا . ولكأني انظر اليك قتيلًا تحملك اربعة في عباء . وتابعَ عبد الله بن أبي رجال من الخزرج منهم عمرو بن الجموح الحرامي . واجتمع كلام الخزرج على ان رأسوا عليهم عمرو ابن النعمان البياضي وولّوهُ امر حربهم

ولبثت الاوس والخزرج أربعين ليـلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم لبعض ويرسلون الى حلفائهم من قبائل العرب . فارسلت الخزرج الى جُهَيْنـة وأشجع . فكـان الذي ذهب الى اشجع ثابت بن قيس بن شمّاس . فاجابوه واقبلوا اليهم . واقبلت جهينة اليهم ايضاً . وارسلت الاوس الى مُزَيْنة وذهب حُضَيْر الكتائب الأشهليّ الى ابي قَيس بن الاسلت فأمرهُ ان يجمع لهُ أوس الله . فجمعهم لهُ أبو قيس . فقام حضير فاعتمد على قوسه وعليهِ نَمِرة . فحرضهم وأمرهم بالجدّ في حربهم وذكر ما صنعت بهم الخزرج من اخراج النبيت واذلال من تخلّف من سائر الاوس في كلام كثير . فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويحمى . فاجابتهُ اوس الله بالذي يحبّ من النصرة والموازرة والجدّ في الحرب . (قال هشام) فحدّثني عبد المجيـد بن ابي عيسى عن اشياخ من قومه انّ الاوس اجتمعت يومئذٍ الى حضير بموضع يقال

لهُ الحياة . فاجالوا الرأي . فقالت الاوس : ان ظفرنا بالخزرج لم نبقِ منهم احدًا ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم . فقال حُضَير : يا معشر الاوس ما سُمّيتم الاوس الّا لانكم تؤسون الامور الواسعة . ثم قال :

يا قوم قد اصبحتم دوارا   لمعشر قد قتلوا الخيارا

يوشك ان يستأصلوا الديارا

(قال) ولما اجتمعوا بالحياة طرحوا بين ايديهم تمرًا وجعلوا يأكلون وحُضَير الكتّائب جالس وعليهِ بردة لهُ قد اشتمل بها الصماء وما يأكل معهم ولا يدنو الى التمر غضبًا وحنقًا . فقال : يا قوم اعقدوا لابي قيس بن الاسلت . فقال لهم ابو قيس : لا اقبل ذلك فاني لم أرأس على قوم في حرب قط الّا هزموا وتشاءموا برئاستي . وجعلوا ينظرون الى حضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيهِ من امر الحرب فاذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل استشاط غيظًا وغضبًا . واذا رأى منهم ما يحبّ من الجـدّ والتشمير في الحرب سكن . واجابت الى ذلك أوس مناة وجدّوا في الموازرة والمظاهرة . وقدمت مزينة على الاوس فانطلق حضير وابو عامر الراهب ابن صيفي الى ابي قيس بن الاسلت فقالوا : قد جاءتنا مزينة واجتمع الينا من اهل يثرب ما لا قبل للخزرج بهِ . فما الرأي ان نحن ظهرنا عليهم ألانجاز ام البقية . فقال ابو قيس : بل البقية . فقال ابو عامر : والله لوددتُ لو أنَّ مكانهم ثعلبًا ضباحًا . فقال ابو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزابزا (كلمة كانوا يقولونها اذا غُلبوا) . فتشاجروا في ذلك . واقسم حضير الّا يشرب الخمر او يظهر ويهدم مزاحمًا أُطم عبد الله بن ابيّ

فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون . ثم التقوا ببعاث . (وبعاث من اموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى . فلذلك تدعى بعاث الحرب) . وتخلّف

عن الاوس بنو حارثة بن الحرث فبعثوا الى الخزرج : انّا والله ما نريد قتالكم. فبعثوا اليهم ان : ابعثوا الينا برهن منكم يكونون في ايدينا . فبعثوا اليهم اثني عشر رجلًا منهم خديج ابو رافع بن خديج . وحشد الحيّان . فلم يتخلّف عنهم الّا مَن لا ذكر لهُ . ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيهِ . فلما رأت الاوسُ الخزرجَ أعظموهم وقالوا لحضير : يا أبا أُسَيد لو حاجزت القوم وبعثت الى من تخلّف من حلفائك من مزينة . فطرح قوساً كانت في يده ثم قال : أنتظرُ مزينة وقد نظر اليَّ القوم ونظرت اليهم . الموتُ قبل ذلك . ثم حمل وحملوا فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فانهزمت الاوس حين وجدوا مسَّ السلاح فولّوا مصعدين في حرّة قَورَى نحو العُرَيض وذلك وجه طريق نجد . فنزل حضير وصاحت بهم الخزرج : اين الفرار ألا ان نجدًا سنة (اي مجدب) يعيّرونهم. فلما سمع حضير طعنَ بسنان رمحه فخذه ونزل وصاح : وا عقراه . والله لا اريمُ حتى أُقتل . فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا . فتعطفت عليهِ الاوس وقام على رأسهِ غلامان من بني عبد الأشهَل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة وهما يومئذٍ معرسان ذوا بطش فجعلا يرتجزان ويقولان :

اي غلامي ملكٍ ترانا ... في الحرب اذ دارت بنا رحانا

وعدّد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قُتلا . واقبل سهم حتى اصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله . لا يُدرى مَن رمى بهِ الّا ان بني قريظة تزعم انهُ سهم رجل يقال لهُ ابو لبابة فقتلهُ . فبينا عبد الله بن ابيّ يتردّد على بغلة لهُ قريبًا من بُعاث يتجسّس اخبار القوم اذ طلع عليهِ بعمرو بن النعمان ميتًا في عباءة يحمله أربعة الى داره . فلما رآهُ عبد الله بن ابيّ قال : مَن هذا . قالوا : عمرو بن النعمان . قال : ذُق وبال

العقوق . وانهزمت الخزرج ووضعت الاوس فيهم السلاح وصاح صائح : يا معشر الاوس أسجحوا ولا تُهلكوا اخوتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب . فتناهت الاوس وكفت عن سلبهم بعد اثخان فيهم . وسلبتهم قريظة والنضير . وحملت الاوس حضيرًا من الجراح التي بهِ وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبة زيَّنها مولاها   لا كهلها هدٌّ ولا فتاها

وجعلت الاوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . فخرج سعد بن معاذ الاشهلي حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم واموالهم جزاء لهم بيوم الرعل . (١) وأقسم كعب بن اسد القرظي ليذلنَّ عبد الله بن ابيّ وليحلقنَّ راسهُ تحت مُزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله . فقال لهُ عبد الله : انشدك الله وما خذلت عنكم . فسأل عمَّا قال فوجده حقًّا فرجع عنهُ . واجمعت الاوس على ان تهدم مزاحمًا أطم عبد الله بن أُبيّ . وحلف حضير ليهدمنَّهُ . فكلم فيهِ فأمرهم ان يريثوا فيهِ فحفروا فيهِ كوَّة . وأفلت يومئذٍ الزبيرُ بنُ اياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شماس اخا بني الحرث بن الخزرج . وهي النعمة التي كافأهُ بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة . وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى اتيا ابا قيس ابن الاسلت بعد الهزيمة . فقال لهُ حضير : يا ابا قيس ان رأيت ان نأتي الخزرج قصرًا قصرًا ودارًا دارًا نقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم احد . فقال ابو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سميتم الاوس الَّا لانكم

---

(١) كان للخزرج على الاوس يوم يقال لهُ يوم مُعبِّس (ويروى مغلّس) ومضرّس . وكان سعد ابن معاذ حُمل يومئذٍ جريحًا الى عمرو بن الجموح الحرامي . فمنَّ عليهِ واجاره واخاه يوم رعل وهو على الاوس من القطع والحرق . فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث

تؤسون الامر أوساً ولو ظفرتْ منّا الخزرج بمثلها ما أقالوناها. ثم انصرف الى الاوس فأمرهم بالرجوع الى ديارهم. وكان حضير جُرح يومئذٍ جراحةً شديدة. فذهب بهِ كليب بن صيفي بن عبد الاشهل الى منزله في بني امية بن يزيد. فلبث عنده اياماً. ثم مات من الجراحة التي كانت بهِ. فقبرهُ اليوم في بني أُمية ابن يزيد

(قال) وكان يهوديّ أعمى من بني قريظة يومئذٍ في اطم من آطامهم. فقال لابنة لهُ: اشرفي على الاطم فانظري ما فعل القوم. فاشرفت فقالت: اسمع الصوت قد ارتفع في اعلى قورى واسمعُ قائلًا يقول: اضربوا يا آل الخزرج. فقال: الدولة اذًا على الاوس لا خير في البقاء. ثم قال: ماذا تسمعين. قالت: اسمع رجالًا يقولون يا آل الاوس ورجالًا يقولون يا آل الخزرج. قال: الآن حميَ القتالُ. ثم لبث ساعة. ثم قال: اشرفي فاسمعي. فاشرفت فقالت: أسمع قوماً يقولون: «نحن بنو صخرة اصحاب الرعل» قال تلك بنو عبد الاشهل (١). ظفرت والله الاوس. ثم وثب فرحاً نحو باب الاطم. فضرب رأسهُ بجاق بابه وكان من حجارة فسقط فمات

وكان ابو عامر قد حلف ليركزنّ رمحه في اصل مُزاحم أُطم عبد الله بن ابيّ. فخرجت جماعة من الاوس حتى احاطوا بهِ وكانت امرأة أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن ابيّ (وهي امّ حنظلة الغسيل بن ابي عامر). فاشرف عليهم عبد الله فقال: اني والله ما رضيت هذا الامر ولا كان عن رأيي وقد عرفتم كراهتي لهُ فانصرفوا عني. فقال ابو عامر: لا والله لا انصرف حتى اركز لوائي في اصل اطمك. فلما رأى حنظلة انهُ لا ينصرف قال لهم: ان

(١) صخرة امهم بنت مرّة بن ظفر ام بني عبد الاشهل

ابي شديد الوجد بي فاشرفوا بي عليه ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنا لنرمينَّ برأسهِ اليك . فقالوا ذلك له . فركز رمحهُ في اصل الاطم ليمينه ثم انصرف عنهم . فذلك قول قيس بن الخطيم :

صبحنا بهِ الآطام حول مزاحمٍ قوانس اولى بيضنا كالكواكبِ

وأسر ابو قيس بن الاسلت يومئذٍ مخلّد بن الصامت الساعدي ابا مسلمة بن مخلد . واجتمع اليهِ ناس من قومه من مزينة ومن يهود فقالوا : اقتلهُ . فأبى وخلَّى سبيله وانشأ يقول :

اسرت مخلداً فعفوت عنهُ وعند الله صالح ما اتيتُ
مزينة عنده ويهود قورى وقومي كل ذلكم كفيتُ

وقال خفاف بن نُدبة يرثي حضير الكتائب وكان نديمه وصديقه :

لو أنّ المنايا حدنَ عن ذي مهابة لهبنَ حضيرًا يوم أغلق واقما
أطاف بهِ حتى اذا الليل جنَّه تبوَّأ منهُ منزلًا متناعما

وقال ايضاً يرثيه :

اتاني حديثٌ فكذَّبتهُ وقيل خليلكَ في المرمسِ
فيا عين ابكي حضير الندى حضير الكتائب والمجلسِ
ويوم شديد اوار الحديد تقطع منهُ عُرى الانفسِ
صليت بهِ وعليك الحديد ما بين سلع الى الاعرسِ
فأودي بنفسك يوم الوغى ونقَّى ثيابك لم تدنسِ

حسّان بن تبّع (*)

حدّث ابن الكلبي وغيره قال: كان حسّان بن تبع أحول اعسر بعيد الهمة شديد البطش. فدخل اليه يوماً وجوه قومه وهم الاقيال من حمير. فلما اخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم:

ايها الناس ان رأيي يريني　　وهو الرأي طوفةٌ في البلادِ
بالعوالي وبالقنابل تردى　　بالبطاريق مشية العوّادِ
وبجيشٍ عرمرمٍ عربيّ　　جحفلٍ يستجيب صوت المنادي
من تميمٍ وخندفٍ وأيادٍ　　والبهاليل حمير ومرادِ
فاذا سرت سارت الناس خلفي　　ومعي كالجبال في كل وادِ
سقّني ثم سقِّ حمير قومي　　كأس خمر اولى النُهى والعمادِ

ثم قال لهم: استعدوا لذلك. فلم يراجعهُ احد لهيبته. فلما كان بعد ثلثة خرج وتبعهُ الناس حتى وطئ ارض العجم. وقال: لأَبلغنّ من البلاد حيث لم يبلغ احد من التبابعة. فجال بهم في ارض خراسان. ثم مضى الى المغرب حتى بلغ رومية وخلف عليها ابن عمّ لهُ. واقبل الى ارض العراق حتى اذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حمير: ما لنا نفني اعمارنا مع هذا نطوف في الارض كلها ونفرق بيننا وبين بلدنا واولادنا وعيالنا واموالنا فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا. فكلموا اخاه عمرًا وقالوا لهُ: كلّم اخاك في الرجوع الى

(*) وتُبَّع ابو حسان هو تُبَّع الاوسط واسمهُ اسعد ابو كَرِب او اسعد تِبَّان بن كُليكَرِب بن تُبَّع الاكبر. وهو من اشهر التبابعة وملك من السنة ٢٠٠ الى ٢٣٦ للمسيح في عهد اردشير بن بابك ملك الفرس. امَّا حسَّان فانهُ ملك في عهد سابور بن اردشير

بلده وملكه . قال : هو اعسر من ذلك وانكر . فقالوا : فاقتله وغلكك علينا فانت أحقّ بالملك من اخيك وانت اعقل واحسن نظرًا لقومك . فقال : اخاف ان لا تفعلوا وأكون قد قتلت اخي وخرج الملك عن يدي . فواثقوهُ حتى ثلج الى قولهم واجمع الرؤساء على قتل اخيهِ كلهم الاّ ذا رُعَين فانهُ خالفهم وقال : ليس هذا برأي يذهب الملك من حمير . فشجّعهُ الباقون على قتل اخيهِ . فقال ذو رعين : ان قتلتهُ باد ملكك . فلما رأى ذو رعين ما اجمع عليهِ القوم اتاه بصحيفة مختومة فقال : يا عمرو اني مستودعك هذا الكتاب فضعهُ عندك في مكان حريز وكتب فيهِ :

ألا مَن يشتري سهرًا بنومٍ سعيدٌ من يبيت قرير عينِ

فان تكُ حميرٌ غدرت وخانت فمعذرة الاله لذي رعينِ

ثم ان عمرًا اتى حسّان اخاه وهو نائم على فراشه فقتلهُ واستولى على ملكه . (١) فلم يُبارك فيهِ وسُلّط عليهِ السهر وامتنع منهُ النوم(٢) . فسأل الاطباء والكهان والعياف . فقال لهُ كاهن منهم : انهُ ما قتــل اخاهُ رجلٌ قطّ الاّ منع نومه . فقال عمرو : رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا الى بلادهم ولم ينظروا اليَّ ولا لاخي . فجعل يقتل من اشار عليهِ منهم بقتله . فقتلهم رجلًا رجلًا حتى خلص

---

(١) وقيل لعمرو الموثبان اشارةً الى تقاعده عن الغزو لانّ «وثب» في لغة حمير تضمَّن معنى القعود على الوسادة . وقيل بل لُقِّب الموثبان لانهُ وثب على اخيهِ فقتلهُ

(٢) وتواترت بعمرو المذكور الاسقام حتى كان لا يخرج الّا محمولًا على نعش فسمي ذا الاعواد لذلك . وقال صاحب الاغاني في ترجمة ذي الاصبع المدواني ان ذا الاعواد هو ربيعة بن مخاشن وانهُ لُقّب بذي الاعواد لانهُ اوّل مَن جلس على منبر او سرير وتكلّم . وفيهِ يقول الاسود بن يَعفُر :

ولقد علمتُ لو انّ علمي نافعي انّ السبيل سبيل ذي الاعوادِ

الى ذي رُعين وايقن بالشرّ . فقال لهُ ذو رعين : ألم تعلم اني اعلمتك ما في قتله ونهيتك وبينت هذا . قال : وقيم هو . قال : في الكتاب الذي استودعتك . فدعا بالكتاب فلم يجدهُ . فقال ذو رعين : ذهب دمي على اخذي بالحزم فصرت كمن اشار بالخطإ . ثم سأل الملك ان ينعم في طلبه . ففعل فأتى بهِ فقرأهُ فاذا فيهِ البيتان . فلما قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم . قال : اني خشيت ما رأيتك صنعت باصحابي

(قال) وتشتت امر حمير حين قتل اشرافها واختلفت عليهِ حتى وثب على عمرو لخنيعة ينوف (١) ولم يكن من اهل بيت المملكة : فقتله واستولى على ملكه . وكان يقال لهُ ذو شناتر (٢) الحميري وكان فاسقًا . فمكث بذلك زمانًا حتى نشأ زُرعة ذو نوّاس وكانت لهُ ذؤابة وبهِ سمي ذو نوّاس . فلما نشأ ذو نواس اخذ سكينًا لطيفًا خفيفًا وسمّهُ وجعل لهُ غلافًا . فلما دعا بهِ لخنيعة جعلهُ بين اخمصه ونعله واتاه على ناقة لهُ يقال لها سراب فاناخها وصعد اليهِ . فلما اقبل عليهِ زُرعة اخذ زُرعة السكين فوجأ بها بطنهُ فقتلهُ واحتزّ رأسهُ فجعل السواك في فيهِ واطلعه من الكوّة . فرفع الحرس رؤوسهم فرأوهُ . ونزل زُرعة وجاء الى ناقته فركبها . فلما رأى الحرس اطلاع الرأس صعدوا اليهِ فاذا هو قد قتل . فاتوا زرعة فقالوا : ما ينبغي ان يملكنا غيرك بعد ان ارحتنا من هذا الفاسق . واجتمعت حمير اليه . وهو الذي تهوّد وتسمى يوسف وهو صاحب الاخدود بنجران وكانوا نصارى . فخوفهم وحرق الانجيل وهدم الكنائس . ومن اجله غزت الحبشة اليمن لانهم نصارى . فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر واقتحمه على فرس فغرق

---

(١) او ينوف كما يُقرأ في النقوش الحميريّة (٢) اي الاقراط . قيل لهُ ذلك لأقراط كان يتحلّى بها

خبر طَسْم وجَدِيس

اخبر ابن الاعرابي عن المفضل انّ عمليقاً ملك طسم وجديس (وكانت منازلهم في موضع اليامة) كان في اوّل مملكته قد تمـادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحقّ. وان امرأة من جديس كان يقال لها هُزَيلة وكان لها زوج يقال لهُ ماشق فطلقها واراد أخذ ولدها منها فخاصمتهُ الى عمليق فقالت: يا ايها الملك اني حملتهُ تسعاً ووضعتهُ دفعاً وارضعتهُ شَفعاً حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان يأخذه مني كرهاً ويتركني من بعده ولهاً. فقال لزوجها: ما حجتك. قال: حجتي ايها الملك اني قد اعطيتها المهر كاملًا. ولم اصب منهـا طائلًا. الّا وليداً خاملًا. فافعل ما كنت فاعلًا. فأمر بالغلام ان ينزع منهما جميعاً ويجعل في غلمانهِ. وقال لهزيلة: ابغيه ولداً. ولا تنكحي احداً. واجزيه صفداً. فقالت هزيلة: أمّا النكـاح فانما يكون بالمهر. واما السفاح فانما يكون بالقهر. ومالي فيهما من أمر. فلما سمع ذلك عمليق امر بان تباع هي وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها. فأنشأت تقول:

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا ... فانفذ حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورّعاً ... ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما
ندمت ولم اندم واني بعثرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمـع عمليق قولها اغتاظ وزاد في الظلم. فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً. حتى زوجت الشموس وهي عُفَيْرة بنت غِفار (١) اخت الاسود. فأساء اليها عمليق ووجأها بجديدة فأدماها. فقالت تحرّض قومها فيما أتى اليها:

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم ... وانتم رجال فيكمُ عدد الرملِ

(١) وفي نسخة: بنت عباد. وهو غلط

أيجمل تمشي في الدماء عفيرة صبيحة زفت في النساء الى بعلِ
ولو اننا كنا رجالًا وكنتمُ نساء لكنا لا نقرُّ بذا الفعل
فموتوا كرامًا او اميتوا عدوكم ودِبُّوا لنار الحرب بالحطب الجزلِ
والّا فخلُّوا بطنها وتحمَّلوا الى بلد قفر وموتوا من الهزلِ
فَللبين خير من تماد على اذًى وللموت خير من مقام على الذلِ
وان انتمُ لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تُعاب من الكحلِ
ودونكمُ طيب العروس فانما خلقتم لاثواب العَروس وللغسلِ
فبعدًا وسحقًا للذي ليس دافعًا ويختال يمشي بيننا مشية الفحلِ

فلما سمع الاسود اخوها ذلك وكان سيدًا مطاعًا قال لقومه : يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا باعزّ منكم في داركم الّا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم . ولولا عجزنا وادهاننا ما كان لهُ فضل علينا وعليكم . ولو امتنعنا لكان لنا منـهُ النصف . فاطيعوني فيما آمركم بهِ فانهُ عزُّ الدهر وذهاب ذلّ العمر . واقبلوا رأْيي (قال) وقد احمى جديسًا ما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك ولكن القوم اكثر واحمى واقوى . قال : فاني اصنع للملك طعامًا ثم ادعوهم لهُ جميعـًا فاذا جاءوا يرفلون في الحلل ثُرنا الى سيوفنـا وهم غازون فاهمدناهم بها . قالوا : نفعل . وصنع طعامًا كثيرًا وخرج بهِ الى ظهر بلدهم ودعا عمليقًا وسأَلهُ ان يتغدَّى عنده هو واهل بيته . فاجابهم الى ذلك وخرج اليهِ مع اهله يرفلون في الحُليّ والحلل حتى اذا اخذوا مجـالسهم ومدُّوا ايديهم الى الطعام اخذوا سيوفهم من تحت اقدامهم فشدَّ الاسود على عمليق فقتلهُ وكل رجل منهم على جليسـه حتى اماتوهم . فلما فرغوا من الاشراف شدّوا على السفلة فلم يدَعوا منهم احدًا . فقال الاسود في ذلك :

ذوقي ببغيك يا طسم مجللةً　　فقد اتيتِ لعمري اعجبَ العجبِ
انّا اتينا فلم ننفكّ نقتلهم　　والبغي هيَّج منّا سورة الغضبِ
ولن يعود علينا بغيهم ابدًا　　ولن يكونوا كذي انفٍ ولا ذنبِ
وان رعيتم لنا قربى موّكدةً　　كنا الاقارب في الارحام والنسبِ

ثم ان بقية طسم (١) لجأوا الى حسان بن تبع . فغزا جديساً فقتلهـا واخرب بلادها . فهرب الاسود قاتل عمليق فاقام بجبل طيء قبل نزول طيء اياه

خبر زرقاء اليمامة

ان الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلًا . فغزا قوم من العرب اليمامة فلما قربوا من مسـافة نظرها قـالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء . فاجتمع رأيهم على ان يقتلعوا شجرًا تستر كل شجرة منها الفارس اذا حملها . فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها . فأشرفت كما كانت تفعل . فقال قومها : ما ترين يا زرقاء . وذلك في آخر النهار . قالت : ارى شجرًا يسير . فقالوا : كذبتِ أو كذبتكِ عينكِ واستهانوا بقولها . فلما اصبحوا صبحهم القوم فاكتسحوا اموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا الزرقاء فقلعوا اعينها فوجدوا فيهـا

(١) وكان ممّن لجأ الى حسّان بن تُبَّع رباح بن مُرّة وهو اخو زرقـاء اليمامه . وكانت زرقاء اليمامة تزوجت برجل جديسي فلذا تراها مع جديس . ويقال لرباح القاشر وفيهِ يُضرَب المثَل في الشوْم فيقـال : اشأم من قاشر . وقيـل غير ذلك في قاشر

عروقاً سوداً . فسئلت عنها فقالت : اني كنت اديم الاكتحال بالاثمد فلعلَّ هذا منهُ . وماتت بعد ذلك بايام (١)

مقتل الأَسود بن غِفار

كانت طيٌ تسكن الجُرف من ارض اليمن وهو اليوم محلة مُراد وهمدان وكان سيّدهم يومئذٍ أُسامة بن لُؤَيّ بن الغَوث بن طيٍ . وكان الوادي مسبعة . وهم قليل عددهم . وقد كان ينتابهم بعير في ازمان الخريف ولم يُدرَ اين يذهب ولم يروه الى قابل . وكانت الازد قد خرجت من اليمن ايام العرم فاستوحشت طيٌ لذلك وقالت : قد ظعن اخواننا فصاروا الى الارياف . فلما هُمّوا بالظعن قالوا لاسامة : ان هذا البعير يأتينـــا من بلد ريف وخصب وانّا لنرى في بعره النوى . فلو اننا نتعهّده عند انصرافهِ فنشخصنــا معهُ لكنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فاجمعوا امرهم على ذلك . فلما كان الخريف جاء البعير فاختلط في ابلهم . فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون بسـيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين(٢) . فهجمت طيٌ على النخل في الشِعاب وعلى مواشٍ

(١) قال صاحب الاغاني بعد ذكر زرقاء اليمامة : « وبلغ هنداً (بنت النعمان) خبرها فترهّبت ولبست المسوح وبنَت ديراً يُعرف بدير هند الى الآن . فاقامت فيهِ حتى ماتت » ونظن ان هذا سهو . لان زرقاء اليمامة التي سمل عينيها حسّان بن تُبَّع هي غير زرقاء اليمامة صاحبة هند بنت النعمان المعروفة بحُرَقَة . فهذه عاشت في القرن السادس للمسيح . اما الاولى واسمها اليمامة فكانت في اواسط القرن الثالث بعد المسيح . ولُقبت بالزرقاء لزرقة عينيها . وفيها يُضرَب المثل فيُقالـــ : ابصر من زرقاء اليمامة . وقيـــل انها هي المسماة بحذامِ واليها يشير الشاعر بقولهِ :

اذا قالت حَذَامِ فصدقوها   فانَّ القول ما قالت حَذَامِ

(٢) هذان الجبلان هما اجأ وسَلْمَى

كثيرة واذا هم برجل في شعب من تلك الشعاب وهو الاسود بن غِفار فهالهم ما رأَوا من عظم خلقه وتخوَّفوهُ وقد نزلوا ناحية من الارض واستبروها هل يرون بها احدًا غيره فلم يروا . فقال اسامة بن لؤي لابن لهُ يقال لهُ الغوث : أَيْ بُنيَّ ان قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأْس والرمي . فان كفيتنا هذا الرجل سُدتَ قومك آخر الدهر وكنت الذي انزلتنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أَتى الرجل فكلمهُ وسأَلهُ . فعجب الاسود من صغر خلق الغوث فقال لهُ : من اين اقبلتم . قال : من اليمن واخبره خبر البعير ومجيئهم معهُ وانهم رهبوا ما رأَوا من عظم خلقه وصغرهم عنهُ . وشغلوه بالكلام . فرماه الغوث بسهم فقتلهُ . واقامت طيٌّ بالجبلين بعده . فهم هنالك الى اليوم

مقتل نصارى نجران وقدوم الحبشة الى اليمن

كان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزَن الى كسرى يستنجده عليهم ان ملكًا من ملوك اليمن يقال لهُ ذو نواس غزا اهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم . ثم انهُ ظفر بهم فخدَّد لهم الاخاديد واعرضهم على اليهودية . فامتنعوا من ذلك . فحرقهم بالنار وحرق الانجيل وهدم بيعتهم . ثم انصرف الى اليمن . وافلت منهُ رجل يقال لهُ دوس ثعلبان على فرس فركضهُ حتى اعجزهم في الرمل . ومضى دوس الى قيصر (١) ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ومن قتل من النصارى وانهُ خرب كنائسهم

(١) وقيصر هذا هو يوستينوس الاول . وفي دوس يضرب المثل في الشؤْم فيقال : لا كدوس ولا كاعلاق رحله

وبقر النساء وهدم الكنائس فما فيها ناقوس يضرب بهِ. فقال لهُ قيصر: بعدت بلادي عن بلادكم ولكن ابعث الى قوم من اهل ديني اهل مملكتي قريب منكم فلينصرونكم. قال دوس ثعلبان: فذاك اذاً. قال قيصر: ان هذا الذي اصنعه بكم اذلُّ للعرب ان يطأها سودان ليس الوانهم على الوانهم ولا السنتهم على السنتهم. فقال: الملك انظرُ لاهل دينه انما هم خَوَلهُ. فكتب الى ملك الحبشة ان: انصرْ هذا الرجل الذي جاء يستنصرني واغضب للنصرانية فأوطئ بلادهم الحبشة. فخرج دوس ثعلبان بكتاب قيصر الى ملك الحبشة. فلما قرأ كتابهُ امر ارياطاً وكان عظيماً من عظمائهم ان يخرج معهُ فينصره. فخرج ارياط في سبعين الفاً من الحبشة وقوَّد على جنده قواداً من رؤسائهم وأقبلَ بفيلهِ. وكان معهُ أبرَهَة بن الصبَّاح. وكان في عهد ملك الحبشة الى ارياط: اذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وخرّب ثلث بلادها وابعث اليَّ بثلث نسائها

فخرج ارياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر وعبر بهم حتى ورد اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة فرأى اهل اليمن جنداً كثيراً. فلما تلاحقوا اقام ارياط في جنده خطيباً فقال: يا معشر الحبشة قد علمتم انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابداً. هذا البحر بين ايديكم ان دخلتموهُ غرقتم وان سلكتم البرّ هلكتم واتخذتكم العرب عبيداً. وليس لكم الّا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم. فجمع ذو نواس جمعاً ثم سار اليهم. فاقتتلوا قتالاً شديداً. فكانت الدولة للحبشة. فظفر ارياط وقتل اصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه. فلما تخوَّف ذو نواس ان سيؤسر ركض فرسهُ واستعرض بهِ البحر وقال: الموت بالبحر احسن من اسار اسود. ثم اقحم فرسهُ لجةَ البحر فمضى بهِ فرسهُ وكان آخر

العهد بهِ. ثم خرج اليهم ذو جَدَن (١) الهمداني في قومه فناوشهم وتفرقت عنه همدان. فلما تخوَّف على نفسهُ قال: ما الامر الّا ما صنع ذو نواس فاقحم فرسه البحر فكان آخر العهد بهِ

ودخل ارياط اليمن فقتل ثلثًا وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة وخرب ثلثًا وملك اليمن وقتل اهلهـا وهدم حصونها. وكان مما خرب من حصونهم سلحين وبينون (٢) وغمدان (٣) حصونًا لم يرَ مثلها . فقال الحميري وهو يذكر ما دخل على حمير من الذلّ :

---

(١) واسمه علس ولُقّب ذا جدن لحسن صوته. والجدن الصوت بلغة حِمْيَر. ويقال انه اوّل مَن تغنّى باليمن (٢) بينون اسم حصن عظيم كان باليمَن قرب صنعاء وهـو من بناء بعض التبابعة ولهُ ذكر في اخبار حميَر واشعارهم . قال ذو جدَن الحميري :

يا بنت قيل مَعـافرٍ لا تسخري ... ثم اعذريني بعد ذلك او ذَري
اَوَلا ترينَ وكل شيءٍ هـالكٌ ... بينـونُ هالكة كان لم تُعمَرِ
اَوَلا ترين وكل شيءٍ هـالكٌ ... سلحين مـدبرة كظُهرِ الادبرِ
اَوَلا ترين ملوك ناعِطٍ اصبحـوا ... تُسفي عليهم كل ريحٍ صرصرِ
اَوَما سمعتِ بحميرٍ وبيوتهم ... اَمست معطّلـةً مساكن حميرِ
فابكيهم اوما بكيتِ لمعشرٍ ... لله درُّكِ حميرًا من معشرِ

(٣) غمدان حصن بين صنعاء وطيوة بناه لِيَشْرَح بن يحصب على اربعة اوجه وجه ابيض ووجه احمر ووجه اصفر ووجه اخضر وبنى في داخله قصرًا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعًا . وكان ظلهُ اذا طلعت الشمس يرى على عينان وبينها ثلاثة اميال. وجعل في اعلاه مجلسًا بناه بالرخام الملوَّن. وجعل سقفهُ رخامة واحدة. وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم ما يكون من الأُسد. فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من مؤخره وخرجت من فيهِ فيُسمع لهُ زئير كزئير السباع. وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلًا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فاذا اشرف على الانسان من بعض الطرق

هوّنكَ اين تردّ العين ما فاتا   لاتهلكنّ اسفًا في اثر مَن ماتا
ابعدَ بينونَ لاعينٌ ولا اثرٌ   وبعد سلحين يبني الناس ابياتا

(قال) فلما ظفر ارياط اخذ الاموال واظهر العطاء في اهل الشرف. فغضبت الحبشة حين اعطى اشرافهم وترك اهل الفقر منهم واستذلهم واجاعهم واعراهم واتعبهم في العمل وكلفهم ما لا يطيقون . فجزع من ذلـك الفقراء وشكا ذلك بعضهم الى بعض وقالوا: ما زلنا الّا اذلّة اشقياء اينما كنا. ان كان قتال قدمنا في نحور العدوّ. وان كان قتل قُتلنا. وان كان عمل فعلينا. والبلايا علينا. والعطايا لغيرنا مع ما يقصينا ويجفونا . فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشـة يقال له ابرهة من قواد ارياط: لو انّ رجلًا غضب لغضبكم اذًا لأسلمتموه حتى يُذبح كما تذبح الشاة. قالوا: لا والمسيح ما كنا نسلمـه ابدًا. فواثقوهُ بالانجيل لا يسلموه حتى يموتوا عن آخرهم. فنادى مناديهِ فيهم فاجتمعوا اليهِ. فبلغ ذلك ارياط ابا اصحم ان ابرهة جمع لك الجموع ودعا الناس الى قتالك قال: أَوَقد فعل ذلك ابرهة وهو ممّن لا بيت له في الحبشـة. وغضب ارياط غضبًا شديدًا وقال: هو ادنى من ذلك نفسًا وبيتًا هذا باطل. قالوا: فارسلْ اليهِ فان اتاك فهو باطل وان لم يأتك فاعلم انهُ كما يقال. فارسل اليـهِ: اجبِ الملك ارياط. فجثا ابرهة على ركبتيهِ وخرّ لوجهه واخذ عودًا من الارض

ظنهُ برقًا او مطرًا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح . وفيهِ يقول ذو جدَن الهمداني:

وهـذا المال ينفد كل يومٍ   لنزل الضيف او صلـة الحقوقِ
وغمدانُ الذي حُدّثتِ عنهُ   بنـاه مشيـدًا في رأس نيقِ
بمرمرةٍ واعـلاه رخـامٌ   تحـامٌ لا يغيَّب بالشقوقِ
مصابيح السليط يلُحنَ فيهِ   اذا يُمسي كتومـاض البروقِ
فاضحى بعد جدَّتهِ رمادًا   وغيّر حسنهُ لهب الحـريقِ

فجعلهُ في فيهِ وقال للرسول : اذهب الى الملك فأخبره بما رأيت مني. انا اخلعه انا اشدُّ تعظيماً له من ذلك. وأنا آتيه على اربع قوائم بحساب البهيمة . فرجع الرسول الى الملك فأخبره بالخبر . فقال: ألم أقل لكم . قالوا : الملك اعقل واعلم منّا

فلما ولّى الرسول من عند ابرهة وتوارى عنهُ صاح ابرهة في الفقراء من الحبشة فاجتمعوا اليهِ معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن المعاول والكرازين والمساحي . ثم صفوا صفاً وصفوا خلفه آخر بازائهِ . فلما ابطأ ابرهة على الملك وهو يرى انهُ يأتيهِ على اربع قوائم كما قال وأتى ارياط فاخبره بما صنع ابرهة فركب في الملوك ومن تبعه من اتباعهم فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة وكان معهُ سبعة فيلة . حتى اذا دنا بعضهم من بعض برز ابرهة بين الصفين فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة الله ربُّنا والانجيل كتابنا والنجاشي ملكنا . علامَ يقتل بعضنا بعضاً في مذهب النصرانية . هذا رجل وانا رجل فخلُّوا بيني وبينهُ فان قتلني عاد الملك الى ما كان عليهِ من اثرة الاغنياء وهلاك الفقراء . وان قتلتهُ سلمتم وعملت فيكم بالانصاف بينكم ما بقيتُ . فقال الملوك لارياط : قد اخبرناك انهُ صنع ما قد ترى وقد أبنت أحسن الرأي فيهِ وقد أنصفك . وكان ارياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلاً . وكان ابرهة قصيرًا ذميًا قبيحاً منكر الجُثّة . فاستحيا ارياط من الملوك ان يجبن فبرز بين الصفين ومشى احدهما الى صاحبه . وحمل عليهِ ارياط فضرب ابرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامّة انفـه ووقع بين رجلي ارياط . فعمد ابرهة الى عمامته فشدَّ بها وجههُ فسكن الدم والتأم الجرح واخذ عودًا وجعلهُ في فيهِ وقال : ايها الملك انما انا شاة فاصنع ما اردت فقد ابصرت

امري . ففرح ارياط بما صنع .. وكان ابرهة قد سمَّ خنجرًا وجعلهُ في بطن فخذهِ كانةً خافية تُسر . فلما رأى ابرهة ان ارياط قد افلت عنهُ وهو ينظر يمينًا وشمالًا لئلا تراهُ ملوك الحبشة استلَّ خنجره فطعنهُ طعنة في فرج درعه اثبتهُ وخرَّ ارياط على قفاه وقعد ابرهة على صدره فأجهز عليهِ . فسُمي ابرهة الاشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وانفه

فملك ابرهة عشرين سنة . ثم ملك بعد ابرهة ابنه يكسوم . ثم اخوه مسروق بن ابرهة وامهُ ريحانة امرأة ذي يزَن ام سيف بن ذي يزَن الحميريّ . فكلَّموهُ في الخروج وقالوا : انَّا نجد في هاروت عن خبر لسطيح انهُ يوشك ان هذا البلاء يفرج بيد رجل من اهل بيتك ابن ذي يزن وقد رجونا ان تدرك بثأرنا . فأنعم لهم . فخرج الى قيصر (١) ملك الروم فكلمهُ ان ينصره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على ديني ودين اهل مملكتي وانتم على دين يهود . فخرج من عنده يائسًا . فخرج عامدًا الى كسرى (٢) فانتهى الى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليهِ فأخبره بما لقي قومه من الحبشة . فقال : أَقِمْ فان لي على الملك كسرى اذنًا في كل سنة وقد حان ذلك . فلما خرج أخرج معهُ سيف ابن ذي يزن فادخلهُ على كسرى فقال : غُلبنا على بلادنا وغلب الاحابيش علينا وانا اقرب اليك منهم لاني ابيض وانت ابيض وهم سودان . فقال : بلادك بلاد بعيدة ولا ابعث معك جيشًا في غير منفعة ولا أمر اخافه على ملكي . فلما أيأسهُ من النصر أمر لهُ بعشرة آلاف درهم وافٍ . وكساه كُسًى . فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصبيان والعبيد . فرأى ذلك اصحاب

---

(١) وقيصر هذا هو يوستينيانوس او يوستينوس الثاني

(٢) كسرى انوشروان

كسرى فقالوا ذلك له . فارسل اليه : لِمَ صنعت بجائزة الملك تنثرها للصبيان والناس . فقال سيف : وما اعطاني الملك . جبال ارضي ذهب وفضة . جئت الى الملك ليحميني من الظلم ولم آتِهِ ليعطيني الدراهم . ولو اردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيرًا . فقال كسرى : أنظر في امرك . فخرج سيف على طمع ولقام عنده . فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له . فجمع له كسرى مرازبته وقال : ما ترون في هذا العربي وقد رأيته رجلًا جلدًا . فقال قائل منهم : ان في السجون قومًا قد سجنهم الملك في موجدة عليهم فلو بعثهم الملك معهُ فان قُتلوا استراح منهم وان ظفروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأحضروا . فوجد ثمانمائة رجل . فولّى امرهم رجلًا معهم يقال له وهرز وكان راميًا شجاعًا مع مكانه في الفرس . وجهّزهم واعطاهم سلاحًا وحملهم في البحر في ثماني سفن . فغرقت سفينتان وبقي من بقي وهم ستمائة رجل . فأرسوا الى ساحل عدن . فلما ارسوا قال وهرز لسيف : ما عندك فقد جئنا بلادك . فقال : ما شئتَ من رجل عربي وقوس عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعًا او نظفر جميعًا . قال وهرز : أنصفت . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ثم رجعوا الى مسروق ابن ابرهة وقد سمع بهم مسروق وبتعبيتهم . فجمع اليه جنده من الحبشة وسار اليهم والتقى العسكران وجعلت امداد اليمن تثوب الى سيف . وبعث وهرز ابنًا له كان معهُ على جريدة خيل فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر قتالهم . فناوشهم ابنهُ وناوشوه شيئًا من قتال . ثم تورّط ابنهُ في هلكة لم يستطع التخلص منها . فاشتملوا عليهِ فقتلوه . فازداد وهرز عليهم حنقًا وسيء العرب وفرحت الحبشة فاظهروا الصليب . فوتر وهرز قوسه وكان لا يقدر ان يوترها

عيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا اين ترون ملكهم . قال سيف : اري رجلًا قاعدًا على فيل تاجهُ على راسه . بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . قال وهرز : اتركوه . ثم وقف طويلًا . ثم قال : انظروا هل تحوَّل . قالوا : قد تحوَّل على فرس . قال : هذا منهُ اختلاط . ثم وقف طويلًا وقال : انظروا هل تحوَّل . قالوا : قد تحوَّل على بغلة . فقال : ابنة الحمار . ذلَّ الاسود وذلَّ ملكه . ثم قال لاصحابه : قتلتهُ في هذه الرمية تأملوا النشابة . واخذ النشابة وجعل فوقها في الوتر ثم نزع فيها حتى ملأها وكان ايدًا ثم ارسلها . فصكَّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق فتغلغلت النشـابة في راسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس فانهزمت الحبشة في كل وجه . وجعلت حِمير تقتل مَن ادركوا منهم وتجهز على جريحهم . واقبل وهرز يريد ان يدخل صنعـاء وكان موضعهم الذي التقوا فيهِ خارج صنعاء (١) . وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منـهُ . فلما دنا وهرز من باب المدينة رآهُ صغيرًا فقـال : لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب . فهُدم باب صنعاء ودخل ناصبًا رايتهُ وسير بها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع اليهم ابدًا . فملك وهرز اليمن وقهر الحبشـة وكتب الى كسرى يخبره : اني قد ملكت للملك اليمن وهي ارض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم . وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهو جلود لها رائحة طيبة . فكتب كسرى يامره ان يملّك سيفًا ويقدم وهرز الى كسرى . فخلّف على اليمن سيفًا . فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعـل يقتل

(١) وكان اسم صنعاء ازال (وفي نسخة ايال وهو غلط) فلما قدمت الحبشة بنوها واحكموها فقالت صنعته فسُميت صنعاء

رجالها ويبقر نساءهــا عما في بطونها حتى افناها الَّا بقايا منها اهل ذلة وقلة فاتخذهم خولاً واتخذ منهم جمازين بحرابهم بين يديه . فمكث كذلك غير كثير . وركب يوماً وتلك الحبشة معهُ ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى اذا كان وسطاً منهم مالوا عليهِ بحرابهم فطعنوهُ بها حتى قتلوه

وكان سيف قــد آلى الَّا يشرب الخمر حتى يدرك ثارهُ من الحبشة . فجعلت لهُ حلتان واسعتان فأتزر بواحدة وارتدى الاخرى وجلس على رأس غمدان يشرب وبرَّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلتهُ الحبشــة . وكان ملك ارياط عشرين سنة . وقال امية بن ابي الصلت الثقفيّ يمدح ابن ذي يزن :

لا يطلب الثأر الَّا كابن ذي يزَنٍ ... في البحر خيَّم للاعداء احوالا
أتى هرقلَ وقــد شالت نعامتــهُ ... فلم يجد عندهُ النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعــد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمــالا
حتى اتى ببني الاحرار (١) يقدمهم ... تخالهم فوق متن الارض أجبالا
لله درهم من فتيــة صبروا ... ما ان رأيت لهم في الناس امثالا
بيضٌ مرازبةٌ غلبٌ اســاورةٌ ... أسد تربَّت فيَ الغيضات اشبالا
فالقط من المسك اذ شالت نعامتهم ... وأسبــل اليوم في برديكَ اسبالا
واشرب هنيئًا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارًا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبانِ من لــبنٍ ... شيبــا بماء فعــادا بعدُ ابوالا

(١) بنو الاحرار الذي عناهم امية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم الى الآن يسمَّون بني الاحرار بصنعاء ويسمون باليمَن الابناء وبالكوفة الاحامرة وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة (للاصبهاني)

خبر جَذِيمة الابرش (*)

ذكر ابن الكلبي عن ابيهِ والشرقي وغيرهُ من الرواة انَّ جذيمة الابرش (واصله من الازد وكان اوَّل من ملك قضاعة بالحيرة واوَّل من حذا النعال وادلج من الملوك وصنع لهُ الشمع) قال يوماً لجلسائهِ : قد ذكر لي عن غلام من لخم مقيم في اخواله من اياد له ظرف ولب فلو بعثت اليهِ يكون في ندماني ووليتهُ كأسي والقيام بمجلسي كان الرأي . فقالوا : الرأي ما رأى الملك فليبعث اليهِ . ففعل . فلما قدم فعل بهِ ما اراد لهُ . فمكث كذلك مدة طويلة . ثم اشرفت عليهِ يوماً رَقَاشِ اخت جذيمة الملك فقالت لهُ : يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم واسقِ الملك صرفاً . فاذا اخذتَ منهُ الخمر فاخطبني اليهِ فانهُ يزوّجك وأشهد القوم عليهِ ان هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوّجهُ . وانصرف الغلام بالخبر اليها . فقالت : عرّس باهلك ففعل . فلما اصبح غدا مضرجاً بالخلوق . فقال لهُ جذيمة : ما هذه الآثار يا عدي . قال : آثار العرس . قال : ايّ عرس . قال : عرس رقاش . قال : فنخر واكب على الارض . ورفع عدي جراميزه . فأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقيل انهُ قتلهُ . فنقل جذيمة اختهُ اليهِ وحصنها في قصره فولدت غلاماً

(*) وانما قيل لهُ الابرش والوضاح لبرص كان بهِ . وكان يعظم ان يسمّى بذلك فجمل مكانهُ الابرش والوضاح . وكان جذيمة الملك شاعراً وهو الذي يقول :

والملك كان لذي برا ... ش حولهُ يزري بجابرْ
بالسابغات وبالقنا ... والبيض تبرق والمغافرْ
ازمان لا ملك بحيـ ... ـيرة ولا ذمام لمن يجاورْ
أودى جم غَيَر الزما ... ن فمُنجدٌ منهم وغائرْ

وسمّتهُ عمراً وربتهُ . فلما ترعرع حلتهُ وعطرتهُ والبستهُ كسوة مثله ثم أرتهُ خاله . فاعجب بهِ والقيت عليهِ منهُ محبة ومودة . حتى اذا وصب خرج الغلمان يجتنون الكمأة في سنة قد اكمأت وخرج معهم وقد خرج جذيمة فبسط لهُ في روضة . فكان الغلمان اذا اصابوا الكمأة الطيبة اكلوها . واذا اصابها عمرو خبأها . ثم اقبلوا يتعادون وهو معهم يقدمهم ويقول :

هذا جناي وخيـاره فيهِ   اذ كل جانٍ يدهُ الى فيـهِ

فالتزمهُ جذيمة وحباه وقرب من قلبـه وحلّ منهُ بكل مكان . ثم ان الجنّ استطارته . فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع لهُ بخبر فكفّ عنهُ . ثم اقبل رجلان يقال لاحدهما عقيل والآخر مالك ابنا فالج وهما يريدان الملك بهديّة . فنزلا على ماء ومعهما قينة يقـال لها امّ عمرو فنصبت قدراً واصلحت طعاماً . فبينما هما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث أغبر قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب . فمدَّ يدهُ فناولتهُ شيئاً فأكلهُ . ثم مدّ يده . فقالت : ان يعطَ العبد كراعاً يتسع ذراعاً فارسلتها مثـلاً . ثم ناولت صاحبيها من شرابها واوكأت دنّها . فقال عمرو بن عديّ :

صددتِ الكأس عنّا امّ عمرٍو   وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شرّ الثلاثة امّ عمرٍو   بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقال الرجلان : ومن انتَ . فقال :

ان تنكراني لن تنكرا نسبي   فانّي انا عمرو وعديّ ابي

فقاما اليهِ فلثماه وغسلا رأسهُ وقلّما اظفاره وقصّرا من لمته والبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كنا لنهدي الى الملك هديّة انفس عنده ولا هو عليها أحسن صنعاً من ابن اخته فقد ردّه الله عزّ وجلّ اليهِ . فخرجا حتى اذا رفعا الى

باب الملك بشراه بهِ . فصرفه الى امه فالبستهُ ثياباً من ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقاً كانت تلبسهُ اياه وهو صغير وأمرتهُ بالدخول على خاله . فلما رآه قال : شبَّ عمرو عن الطوق فارسلها مثلاً . وقال للرجلين اللذين قدما بهِ : احكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما مُتَمّم بن نُوَيْرَة وضربت بهما الشعراء المثل . قال ابو خِراش الهُذَليّ :

ألم تعلمي ان قد تفرَّق قبلنا ‏ ‏ خليلا صفاء مالكٌ وعقيلُ

(قال ابن حبيب في خبره) وكان جذيمة من افضل الملوك رأياً وأبعدهم مغاراً واشدهم نكاية وهو اوّل من استجمع لهُ الملك بارض العراق . وكانت منازلهُ ما بين الأنبار وبقَّة وهيت وعين التمر واطراف البرّ والقُطْقُطانيّة والحيرة . فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حيَّان بن اذينة بن السميدع بن هويز العامليّ من عاملة العماليق . فجمع عمرو جموعهُ ولقيهُ . فقتلهُ جذيمة وفضّ جموعهُ وانفلّوا وملكوا عليهم ابنتهُ الزبَّاء وكانت من احزم الناس . فخافت ان تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطىء الفرات وسكرت الفرات في وقت قلَّة الماء وبنت ازجاً من الآجرّ والكلس متصلاً بذلك النفق وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلاً بمدينة لاختها ثم اجرت الماء عليهِ . فكانت اذا خافت عدوّاً دخلت النفق . فلما اجتمع لها امرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بابيها . فقالت لها اختها وكانت ذات رأي وحزم : انكِ ان غزوت جذيمة فانهُ امرؤٌ لهُ ما بعدهُ فان ظفرتِ اصبتِ ثأركِ وان ظفر بكِ فلا بقية لكِ . والحرب سجال ولا تدرين كيف تكونين ألكِ ام عليكِ . ولكن ابعثي اليهِ فأعلميهِ انكِ قد رغبت في ان تتزوجيهِ وتجمعي ملككِ الى ملكه وسليهِ ان يجيبك لذلك فانهُ ان اغترَّ فعل ظفرتِ بهِ بلا مخاطرة . فكتبت الزباء في ذلك

الى جذيمة تقول له انها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وانها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وانها لم تجد كفوءا غيره وتسأله الاقبال عليها وجمع ملكها الى ملكه. فلماً وصل ذلك اليه استخفهُ وطمع فيه. فشاور أصحابه. فكلٌ صوّب رأيهُ في قصدها واجابتها الّا قَصِير بن سعد بن عمرو بن جذيمة ابن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم فقال: هذا رأي فاتر. وغدر حاضر. فان كانت صادقة فلتقبلْ اليك والّا فلا تمكّنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أبيها. فلم يوافق جذيمة ما قال وقال لهُ: أنت امرؤ. ورأيك في الكِنّ لا في الضحّ. ورحل. فقال لهُ قصير في طريقه: انصرف ودمك في وجهك. فقال جذيمة: ببقّة قضي الامر فارسلها مثلًا. ومضى حتى اذا شارف مدينتها قال لقصير: ما الرأي. قال: ببقة تركت الرأي. قال: فما ظنك بالزباء. قال: القول رداف. والحزم عثراته تخاف

واستقبله رسلها بالهدايا والالطاف فقال: ياقصير كيف ترى. قال: خطر يسير. في خطب كبير. وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة صادقة. وان أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون. فلقيته الخيول فأحاطت بهِ. فقال له قصير: اركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق (يعني فرسا له كانت تجنب) قبل ان يحولوا بينك وبين جنودك. فلم يفعل. فجال قصير في ظهرها فمرّت بهِ تعدو في أوّل أصحاب جذيمة. ولما أُحيط بجذيمة التفت فرأى قصيرًا على فرسه العصا في اول القوم فقال: لحازم ما يجري العصا في اوّل القوم. فذكر ابو عبيدة والاصمعي انها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلًا ثم وقفت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمّى العصا. وأُخذ جذيمة فأُدخل على الزباء. فاستقبلتهُ. ثم قالت لجواريها: خذنَ بعضد سيدكنَّ. ففعلنَ. ثم

دعتْ بنطع فاجلسنهُ عليهِ وأمرت برواهشــه (١) فقطعت في طست من ذهب يسيل دمهُ فيهِ وقالت لهُ : يا جذيم لا يضيعنَّ من دمك شيء. فاني أريده للخبل (٢). فقال لها: وما يحزنكِ من دم اضاعهُ اهله. وانما كان بعض الكهان قال لها: ان نقط من دمه شيء في غير الطست ادرك بثأره. فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف. فتحرّك فنقطت من دمه نقطة على اسطوانة رخام ومات. (قال) وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها. ومضى قصير الى عمرو بن عبد الجنّ التنوخي فقال لهُ: اطلب بدم ابن عمك والّا سبّبتك بهِ العرب. فلم يحفل بذلك. فخرج قصير الى عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة فقال: هل لكَ في ان اصرف الجنود اليك على ان تطلب بثأر خالك. فجعل ذلك لهُ. وأتى القادة والاعلام فقــال لهم: انتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال والكنوز. فانصرف اليــهِ منهم بشر كثير. فالتقى بعمر التنوخي فلمّا صافوا القتال تابعه التنوخي ومالك ابن عمرو بن عدي. فقال لهُ قصير: انظر ما وعدتني في الزبّاء. فقال: وكيف وهي امنع من عقاب الجوّ. فقال: اما اذ أبيت فاني جادع انفي واذني ومحتال لقتلها فأعنّي وخلاك ذمّ. فقال لهُ عمرو: وأنت أبصر. فجدع قصير انفه. ثم انطلق حتى دخل على الزبّاء. فقالت: مَن

---

(١) الراهشان عرقان في باطن الذراعين. وعليهِ قول عمرو بن عديّ اللخمي حين قتلت الزباء الغسانية ملكة الجزيرة خاله جذيمة الابرش :

وحكمتِ الحديد براهشيه ... فألفى قولها كذباً ومَينــا

او الرواهش عروق ظواهر الكفّ

(٢) قال : والعرب تتحدث ان في دماء الملوك شفاء من الخبل. قال المتلمس :

من الدارميين الذين دماؤهم ... شفاء من الداء المَجنَّة والخبل

انت . قال : انا قصير . لا وربِّ البشر ما كان على ظهر الارض احد انصح لخدمته مني ولا اغشّ لملكٍ حتى جدع عمرو بن عدي انفي واذني فعرفت اني لن اكون مع احد أثقل عليهِ منكِ . فقالت : أي قصير نقبل ذلك منك ونصرفك في بضاعتنا . واعطتهُ مالًا للتجارة . فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منهُ بأمر عدي ما ظنَّ انهُ يرضيها وانصرف اليها بهِ . فلما رأت ما جاء بهِ فرحت وزادته . ولم يزل حتى أنست بهِ . فقال لها : انهُ ليس من ملك ولا ملكة الّا وقد ينبغي لهُ ان يتخذ نفقاً يهرب اليهِ عند حدوث حادثة يخافها . فقالت : أما اني قد فعلت واتخذت نفقاً تحت سريري هذا يخرج الى نفق تحت سرير اختي . وأرتهُ اياه . فاظهر لها سرورًا بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل . وعرف عمرو بن عدي ما فعلهُ فركب عمرو في ألفي دارع على الف بعير في الجوالق حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير يسبق الابل ودخل على الزبَّاء فقال لها : اصعدي في حائط مدينتكِ فانظري الى مالكِ وتقدَّمي الى بوابكِ فلا يعرض لشيء من أعكامنا فاني قد جئت بمال صامت . وقد كانت أمنتهُ فلم تكن تتهمه ولا تخافه . فصعدت كما أمرها . فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت (وقيل انهُ مصنوع منسوب اليها) :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلًا يحملنَ أم حديدا
ام صَرفانًا باردًا شديدا أم الرجال جثَّماً قعودا

فلما دخل آخر الجمال نخس البوَّاب عكماً من الاعكام بنخسة معهُ . فاصابت خاصرة رجل فصرخ . فقال البواب : شرٌّ والله عكمتم بهِ في الجواليق . فثاروا باهل المدينة ضربًا بالسيف . فانصرفت راجعة فاستقبلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها . وقيل : بل مصَّت خاتمها وقالت : بيدي لا بيد عمرو . وخُربت المدينة وسُبيت الذراري وغنم عمرو كل شيء كان لها ولابيها واختها . وقال

الشعراء في ذلك تذكر ما كان من قصير في مشورته على جذيمة وفي جدعة انفه فأكثروا . قال عدي بن زيد :

ألا يا ايها المثري المرجّى   ألم تسمع بخطب الاوّلينا
دعا بالبقـة الامراء يوماً   جذيمة ينتحي عصباً ثُبينـا
فطاوع امرهم وعصى قصيرًا   وكان يقول لو سمع اليقينا

وهي طويلة . وقال المتلمس يذكر جدع قصير انفه :

ومن حذر الايام ما حزَّ انفه   قصير وخاض الموت بالسيف بيهسُ (١)

غزو كسرى إيادًا (*)

حدَّث الشرقي بن القطامي قال : كان سبب غزو كسرى ايادًا ان بلادهم اجدبت فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد ونواحيها . فاقاموا بها دهرًا حتى اخصبوا وكثروا . وكانوا يعبدون صنمًا يقال لهُ ذو الكعبين وعبدته بكر بن وائل من بعدهم . فانتشروا ما بين سنداد الى كاظمة والي بارق والخورنق واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة . ولم يزالوا يُغيرون على اهـاليهم من ارض السواد ويغزون ملوك آل نَصر حتى أصابوا امرأة من اشراف العجم كانت عروسـاً قد هُديت الى زوجها . فولي ذلك منها سفهاؤهم واحداثهم . فسار اليهم من كان

---

(١) ومنهُ المثل . لمكرٍ ما جدع قصير انفه

(*) كسرى هذا هو سابور الثاني الملقب بذي الاكتاف . كان اليهِ الملك عند ولادته وفُوّض تدبير الأمر الى امه لحداثة سنّه . وكان ذلك داعياً لان تغزو العرب بلاد العجم وتعيث فيها . فلما ان ترعرع سابور وشبّ وقوي على حمل السلاح رغب في الانتقام وغزا العربَ واذاقهم مرّ النكال . وذلك نحو السنة ٣٣٠ للمسيح

يليهم من الاعاجم . فانحازت اياد الى العراق وجعلوا يعبرون ابلهم في القراقير ويقطعون بها الفرات . وجعل راجزهم يقول :

بئس مناخ الحلقات الدهمِ في ساحة القرقور وسط اليمِّ

وعبروا الفرات وتبعهم الاعاجم . فقالت كاهنة من اياد تسجع لهم : ان يقتلوا منكم غلاماً سِلماً . او يأخذوا منكم شيخاً هِمّاً . تخضبوا نحورهم دماً . وتروروا منها سيوفاً ظماً . فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحْجَن . فلقيتهُ الاعاجم فقتلوه واخذوا الابل . ولقيتهم اياد في آخر النهار فهزمت الاعاجم (قال) وحدثني اهل بعض العلم ان ايادًا بيّتت ذلك الجمع حين عبروا شطّ الفرات الغربي . فلم يفلت منهم الّا القليل . وجمعوا بهِ جماجهم واجسادهم فكانت كالتلّ العظيم وكان الى جانبهم دير فسُمّي دير الجماجم . (١) وبلغ كسرى الخبر فبعث مالك بن حارثة احد بني كعب بن زهير بن جُشَم في آثارهم . ووجّه معهُ اربعة الاف من الاساورة . فكتب اليهم لقيط : (٢)

يا دار عمرة من محتلّها الجزعا هاجت لي الهمّ والاحزان والوجعا

وفيها يقول :

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرًا على نسائكمُ كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي تبقى مذلّتهُ ان طار طائرهم يوماً وان وقعا
هو الفناء الذي يجتثُّ اصلهمُ فمن رأى مثل ذا يوماً ومن سمعا

---

(١) دير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البرّ للسالك الى البصرة

(٢) هو لقيط بن بكر شاعر جاهليّ قديم مقلّ ليس يعرف لهُ شعر غير هذه القصيدة وقطَع من الشعر متفرّقة

فقلّدوا امركم لله درُّكمُ — رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفًا ان رخي العيش ساعده — ولا اذا حلَّ مكروه بـه خشعا
لا يطعم النوم الّا ريث يبعثهُ — همٌّ يكاد حشاه يقطع الضلعا
مسهَّر النوم تعنيهِ اموركمُ — يروم منها على الاعداء مطلعا
ما انفكَّ يحلب هذا الدهر اشطره — يكون متبعًا طورًا ومتبعا
فليس يشغلهُ مال يثمّرهُ — عنكم ولا ولد يبغي لهُ الرفعا
حتى استمرَّ على شزرٍ مريرتهِ — مستحكم السنّ لا قحمًا ولا ضرعا
كمالكِ بن سنانٍ او كصاحبهِ — زين القتاعين لاقى الحارثين معا
اذ عابهُ عائب يومًا فقال لهُ — دمّث لجنبك قبل الليل مضطجعا
فشاوروه فالفوهُ اخا عللٍ — في الحرب لا عاجزًا نكسًا ولا ورعا
عبل الذراع ابيًّا ذا مزابنة — في الحرب يختتل الرئبال والسبعا
مستنجدًا يتحدى الناس كلهمُ — لو صارعوهُ جميعًا في الورى صرعا
هذا كتابي اليكم والنذير لكم — لمن رأى الرأي بالابرام قد نصعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل — فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا

وجعل عنوان الكتاب :

كتاب في الصحيفة من لقيطٍ — الى من بالجزيرة من ايادِ
بانَّ الليث كسرى قد اتاكم — فلا يحبسكم شوق النقادِ

(قال) وسار مالك بن حارثة التغلبي بالاعاجم حتى لقي اياد وهم غارّون لم يلتفتوا الى قول لقيط وتجزيه اياهم ثقةً بان كسرى لا يقدم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال لهُ الاكم . فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فظفر بهم وهزمهم وأنقذ ما كانوا اصابوا من الاعاجم يوم الفرات . ولحقت اياد باطراف الشام

ولم تتوسطها خوفاً من غسّان يوم الحارثين ولاجتماع قضاعة وغسّان في بلد خوفاً من ان يصيروا يداً واحدة عليهم . فاقاموا حتى أمنوا . ثم انهم تطرفوهم الى ان لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية انقرة . ففي ذلك يقول الشاعر :

حلُّوا بأنقرةَ يسيل عليهمِ   ماء الفرات يجيءُ من اطوادِ

مقتل كليب وحرب البسوس

كان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره ابو عبيدة عن مقاتل الاحول بن سنان . ونسخت بعضهُ من رواية الكلبي . واخبرنا بهِ محمد بن العباس اليزيدي عن عمهِ عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل . جمعت من رواياتهم ما احتيج الى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى

ان كليباً كان قد عزَّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً . وكان هو الذي يُنزلهم منازلهم ويُرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الَّا بامره . فبلغ من عزّه وبغيه انهُ اتخذ جرو كلبٍ فكان اذا نزل منزلاً بهِ كلأٌ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعى احد ذلك الكلأ الّا باذنه . وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يرِدُها احد الّا باذنه او من أذن بحرب . فضُرب بهِ المثل في العزَّة فقيل : أعزّ من كليب وائل . وكان يحمي الصيد ويقول : صيدُ ناحيةِ كذا وكذا في جواري . فلا يصيد أحد منهُ شيئاً . وكان لا يمرّ بين يديه احد اذا جلس ولا يحتبي احد في مجلسه غيره . وكان لِمُرَّة بن ذُهل بن شَيبان بن ثعلبة عشرة

بنين جسّـاس اصغرهم. وكانت اختهم امرأة كليب (١) . وخالة جساس البسوس (٢) وهي التي يقال لها اشأم من البسوس. فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس فكانت جارة لبني مرّة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوّارة (٣) من نعم بني سعد ومعها فصيل . فبينا اخت جساس تغسل رأس كليب زوجها وتسرّحه ذات يوم اذ قال : من اعزّ وائل . فصمتت . فاعاد عليها . فلما اكثر عليها قالت : اخواي جساس وهمّام . فنزع رأسهُ من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرّة فقتله . فأغمضوا على ما فيهِ وسكتوا على ذلك . ثم لقي كليب ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم . قال : قتلته واخليت لنا لبن امه . فاغمضوا على هذه ايضاً . ثم انّ كليباً أعاد على امرأتهِ فقال : من اعزّ وائل . فقـالت : اخواي . فأضمرها وأسرّها في نفسه وسكت حتى مرّت بهِ ابل جسّاس فرأى الناقة فأنكرها فقال: ما هذه الناقة . قالوا :لخالة جساس. فقال : او قد بلغ من امر ابن السعدية ان يُجير عليّ بغير اذني. ارم ِ ضرعها يا غلام . (قال فراس) فاخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها . وراحت الرعاة على جساس فاخبروهُ بالامر . فقال . احلبوا لها مكيالَي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً . ثم اغمضوا عليها ايضاً . (قال مقاتل) حتى اصابتهم سماء فغدا في غبّها يتمطر . وركب جساس بن مرّة وابن عمّه عمرو بن الحرث بن ذهل (٤) . فرّت بكر بن وائل على نهي ٍ يقال

---

(١) واسمها جليلة

(٢) وقال ابو برزة :البسوسة

(٣) واسم الناقة سراب وفيها يُضرب المثل في الشوءم فيُقال :اشأم من سراب

(٤) وقال ابو برزة بل عمرو بن ابي ربيعة

لهُ شُبَيث . فنفاهم كليب عنهُ وقال : لا يذوقون منهُ قطرة . ثم مرّوا على نهيٍ آخر يقال لهُ الأحصّ. فنفاهم عنهُ وقال : لا يذوقون منهُ قطرة . ثم مروا على بطن الجريب . فنعهم اياه . فضوا حتى نزلوا الذنائب . واتبعهم كليب وحيُّه حتى نزلوا عليـهِ . ثم مرّ عليهِ جسّاس وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردت اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعنـاهم من ماء الّا ونحن لهُ شاغلون . فضى جساس ومعـهُ ابن عمه المزدلف (وقال بعضهم) بل جساس ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي . فقال لهُ : أوَقد ذكرتها . أما اني لو وجدتها في غير ابل مُرَّة لاستحللتُ تلك الابل بها . فعطف عليه جساس فرسهُ فطعنهُ برمح فأنفذ حضنيه . فلما تداءمهُ الموت قال : يا جساس اسقني من الماء . قال : ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك امّك الّا ساعتك هذه (١) . (قال ابو برزة) فعطف عليهِ المزدلف بن عمرو

---

(١) ويروى ان جساساً قال لكليب : تجاوزت شُبَيثاً والاحصّ . وفي ذلك يقول عمرو بن الاهتم :

وان كليبـاً كان يظلم قومهُ　　فادركـهُ مثلَ الذي تريانِ
فلماً حشاه الرمح كفُّ ابن عمهِ　　تذكر ظلم الاهل ايّ اوانِ
وقال لجسـاس اغثني بشربة　　والّا فخـبّر من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الاحصّ وماءهُ　　وبطن شبيث وهو غير زوانِ

وقال النابغة الجعدي يخـاطب عقالَ بن خُوَيلد وقد اجار بني وائل ابنُ مَعن وكانوا قتلوا رجلًا من بني جعدة فحذّرهم مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء :

فابلغ عقـالًا ان غاية داحس　　بكفّيك فاستأخر لها او تقدمِ
تجيرُ علينـا وائلًا بدمائنـا　　كانك عمّاً ناب اشياعنـا عمِ
كليب لعمري كان اكثر ناصرًا　　وايسر جرماً منك ضرّج بالدمِ
رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة　　كحـاشية البرد اليماني المسهَّمِ

ابن ابي ربيعة فاحتزَّ رأسهُ (١) (قال ابو برزة) فلما قتلهُ أمال يده بالفرس حتى انتهى الى اهلهِ (قال). وتقول اختهُ حين رأتهُ لابيها: ان ذا الجساس أتى خارجاً ركبتاه. قال: والله ما خرجت ركبتاه الا لأمر عظيم (قال). فلما جاء قال: ما وراءك يابنيَّ. قال: ورائي اني قد طعنت طعنة لتشغلنَّ بها شيوخ وائل زمناً. قال: أقتلت كليباً. قال: نعم. قال: وددتُ أنك واخوتك كنتم متُّم قبل هذا ما بي الّا أن تتشاءم بي ابناء وائل. (وزعم مقاتل) ان جساساً قال لاخيهِ نضلة بن مرّة وكان يقال لهُ عضد الحمار:

واني قد جنيتُ عليك حرباً … تغصُّ الشيخ بالماء القراحِ
مذكرة متى ما يصحُ عنها … فتًى نشبت بآخر غيرِ صاحِ
تنكل عن ذناب الغيّ قوماً … وتدعو آخرين الى الصلاحِ

فاجابهُ نضلة:

فان تك قد جنيت عليَّ حرباً … فلا وانٍ ولا رثّ السلاحِ

(وزعم مقاتل) ان هماماً كان آخى مهلهلاً (٢) وكان عاقده ان لا يكتمهُ

وقال لجساس اغثني بشربة … تفضّل بها طولاً عليَّ وانعمِ
فقال تجاوزت الاحصّ وماءهُ … وبطن شُبَيث وهو ذو مترشمِ

(١) وامّا مقاتل زعم انّ عمرو بن الحرث بن ذهل الذي طعنهُ فقصم صلبهُ وفيهِ يقول المهلهل:

قتيلٌ ما قتيل المرء عمرو … وجساس بن مرة ذو ضرير

(قال) ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلجة مصعد الى مكة وقبرهُ بالذنائب وفيهِ يقول المهلهل: ولو نبش المقابر عن كليب … فتخبر بالذنائب ايّ زيرِ

(٢) اسم المهلهل عديّ بن ربيعة. وانمّا قيل لهُ المهلهل لانهُ اوّل من هلهل الشعر اي ارقّهُ

شيئاً . فكانا جالسين فمرّ جساس يركض بهِ فرسهُ مخرجاً فخذيهِ . فقال همام : ان لهُ لامرًا والله ما رايتهُ كاشفاً فخذيهِ قط في ركض . فلم يلبث الّا قليلاً حتى جاءته الخادم فسارّتهُ ان جساساً قتل كليباً . فقال لهُ مهلهل : ما اخبرتك . فقال : أخبرتني ان اخي قتل اخاك . قال : هو اقصر يداً من ذلك . وتحمّل القوم وغدا مهلهل بالخيل

حرب البسوس

قال المفضل في خبره : فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم . فانطلق رهط من اشرافهم وذوي اسنانهم حتى اتوا مرّة بن ذُهْل فعظموا ما بينهم وبينهُ وقالوا لهُ : اختر منّا خصالاً اما ان تدفع الينا جسّاساً ونقتلهُ بصاحبنا فلم نظلم من قتل قاتله . واما أن تدفع الينا هماماً . واما ان تقيدنا من نفسك . فسكت وقد حضرتهُ وجوه بني بكرٍ بن وائل فقالوا : تكلم غير مخذول . فقال : اما جساس فغلام حديث السن ركب راسهُ فهرب حين خاف فلا علم لي بهِ . واما همام فابو عشرة واخو عشرة ولو دفعتهُ اليكم لصيَّح بنوه في وجهي وقالوا : دفعت ابانا للقتل بجريرة غيره . واما انا فلا اتعجل الموت وهل تزيد الخيل على ان تجول جولة فأكون اوّل قتيل . ولكن هل لكم في غير ذلك . هؤلاء بنيَّ فدونكم احدهم فاقتلوه بهِ . وان شئتم فلكم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل . فغضبوا وقالوا : انا لم نأتك لتؤدّي لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن . فتفرّقوا ووقعت الحرب . وتكلم في ذلك عند الحرث بن عباد . فقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل وهو أوّل من قالها وارسلها مثلاً

(قالوا جميعاً) كانت حربهم أربعين سنة فيهنَّ خمس وقعات مزاحفات. وكانت تكون بينهم مغاورات. وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا وكان أوّل تلك الايام يوم عُنَيْزة وهي عند فلجة. فتكافأوا لا لبكرٍ ولا لتغلب. وتصديق ذلك قول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مديرِ
ولولا الريح أُسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكورِ

فتفرّقوا. ثم غبروا زماناً. ثم التقوا يوم واردات. وكان لتغلب على بكر وقتلوا بكراً أشدّ القتل وقتلوا بُجيرًا وذلك قول مهلهل:

فاني قد تركت بواردات بجيرًا في دم مثل العبيرِ
هتكت بهِ بيوت بني عباد وبعض الغشم أشفى للصدورِ

(قال مقاتل) انهُ انما التقط توًّا (١) وسيجيء حديثهُ اسفل من هذا. (قال أبو برزة) ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة ورأَّسوا على انفسهم الحرث بن عُباد. فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب. (قال مقاتل) ثم التقوا يوم بطن السرد وهو يوم القصيبات (٢) لبني تغلب على بكر حتى ظنت بكر ان سيُقتلوا معاً. (قال مقاتل) وقتلوا يومئذٍ همَّام بن مرّة. ثم التقوا يوم قِضَّة وهو يوم التحالق. ويوم الثنيَّة ويوم قضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب

وكان من حديث مقتل همام انهُ وجد غلاماً مطروحاً فالتقطهُ وربَّاه وسماه ناشرة. فكان عنده لقيطاً. فلما شبَّ تبيَّن أنهُ من بني تغلب. فلما التقوا

---

(١) حديثهُ «التوّ» الفرد. يقال: وجدتهُ توًّا اي وحدهُ

(٢) وربما قيل يوم القصيبة وهي القصبات

يوم القصبات جعل همام يقـاتل فاذا عطش رجع الى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحهُ . فوجد ناشرة من همام غفلة فشدَّ عليهِ بالعنزة فأقصده فقتـلهُ ولحق بقومهِ تغلب. فقال باكي همام :

لقد عيل الاقوام طعنة ناشره　　أناشرَ لا زالت يمينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر

(وقال فراس) كان رئيس بكر بعد همام الحرث بن عباد . (قال مقاتل) وكان الحرث بن عبـاد قد اعتزل يوم قتل كليب وخذل بكرًا عن تغلب واستعظم قتل كليب لسودده في ناقة. فقال سعد بن مالك يحضض الحرث ابن عباد :

يـا بؤس للحرب التي　　وضعت أراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لجـا　　حمها التخيـل والمراحُ
الّا الفتى الصبار في النجـدات　　والفرس الوقـاحُ

فلما أخذ بجير بن الحرث بن عباد توًّا بواردات (وانما سلّ ولم يؤخذ في مزاحفة) قال لهُ مهلهل : من خالك يا غلام وبوّأ نحوه الرمح . فقـال لهُ امرؤ القيس بن ابان التغلبي وكان على مقدمتهم في حروبهم : مهلًا يا مهلهل فان اهل بيتهِ قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نـكره . والله لئن قتلتهُ ليقتلنَّ بهِ رجل لا يسأل عن نسبه . فلم يلتفت مهلهل الى قولهِ وشدَّ عليهِ فقتلهُ وقال : بؤ بشسع نعل كليب (١) . فقال الغلام : ان رضيتْ بهذا بنو تغلب فقد رضيتهُ . فلما بلغ الحرث قتلُ بجير ابنه قال : نعمَ الغلام غلام اصلح بين ابنَي وائل وباء

(١) وقال مهلهل:　كل قتيل في كليب حلامْ　　حتى ينال القتل آل همامْ
وقال ايضاً:　كل قتيل في كليب غرَّه　　حتى ينال القتل آل مرَّه

بكلب. فلما سمعوا قول الحرث قالوا لهُ: ان مهلهلًا لما قتلهُ قال لهُ: بؤ بشسع كليب. فغضب الحرث عند ذلك فنادى بالرحيل. (قال مقاتل) وقال الحرث ابن عُباد:

قرّبا مربط النعامة (١) مني ... لقحتْ حرب وائل عن حيالِ
لا بجير أغنى قتيلًا ولا رهط ... كليب تزاجروا عن ضلالِ
لم أكن من جناتها علم الله ... واني بحرّها اليوم صالِ

(قال مقاتل) فكان حكم بكر بن وائل يوم قضة للحرث بن عباد وكان الرئيس الفند وكان فارسهم جحدر وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضُبَيْعة وكان الذي سدّ الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة وكان عوف أنبه من أخيهِ سعد

(قال أبو برزة) اتبعت تغلب بكرًا فقطعوا رملات خزازى والرغام ثم مالوا لبطن الحمارة. فوردت بكر قضّة فسقت واسقت ثم صدرت وحلّأُوا تغلب ونهضوا في نجعة يقال لها موبية لا يجوز فيها الّا بعير بعير. فلحق رجل من الاوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودًا لهُ فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعهُ فقال: تحدبي امّ البوّ على بوّك. فرآه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال: أنفذوا جمل أسماء ابنته فانهُ أمضى جمالكم وأجودها منفذًا فاذا نفذ تبعته النعم. فوثب الجمل في الموبية حتى اذا نهض على يديهِ وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيهِ وقطع بطان الظعينة فوقع فسدّ الثنية. ثم قال عوف: أنا البُرَك أبرك حيث ادرك. فسُمي البرك. ووقع الناس الى الارض لا يرون مجازًا وتحالفوا لتعرفهم النساء. فقال جحدر بن ضبيعة بن

(١) فرس الحرث

قيس ابو المسامعة واسمهُ ربيعة (١) : لا تحلقوا رأسي فاني رجل قصير لا تشينوني ولكني اشتريهِ منكم بأوّل فارس يطلع عليكم من القوم . فطلع ابن عناق فشدّ عليهِ فقتلهُ . فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع بن مالك بذلك :

يا ابن الذي لما حلقنا اللمما ابتاع منا رأسهُ تكرّما
بفارس اوّل من تقدما

وقال البكري :

ومنا الذي فادى من القوم راسهُ بمستلئم من جمعهم غير اعزلا
فأدّى الينا بزَّه وسلاحهُ ومنفصلًا من عنقهِ قد تزيلا

(قال) وكان جحدر يرتجز يومئذٍ ويقول :

ردّوا عليَّ الخيل ان أَلمّت ان لم اقاتلهم فجزّوا لمتي

وقال البكري :

ومنا الذي سدّ الثنية غدوة على حلقة لم يبق فيها تحللا
بجهد يمين الله لا يطلعونها ولما نقاتل جمعهم حين اسهلا

فاسر الحرث بن عباد عديًا وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفهُ فقال لهُ : دلّني على المهلهل . قال : ولي دمي . قال : ولك دمك . قال : ولي ذمّتك وذمة ابيك (٢) . قال : نعم ذلك لك . قال : فانا مهلهل . قال : دلّني

---

(١) (قال) وانما سمي جحدرًا لقصرهِ

(٢) وزعم حجر انَّ مهلهلًا قال : لا والله او يعهد لي غيرك . قال الحرث : اختر من شئت . قال : اختار الشيخ القاعد عوف بن محلم . قال الحرث : ياعوف اجره . قال : لا حتَّى يقعد خلفي . فاجرهُ فقعد خلفهُ فقال : انا المهلهل . واما مقاتل فقال : انما اخذهُ في دور الرحى وحومة القتال ولم يقعد احد بعد فكيف يقول «الشيخ القاعد»

على كفوء لبجير. قال : لا اعلمه الّا امرأ القيس بن أبان هذاك علمه . فجزّ ناصيتهُ وقصد قصد امرئ القيس فشدّ عليهِ فقتلهُ. فقال الحرث في ذلك :

لهف نفسي على عديّ ولم اعرف م عديًّا اذ امكنتني اليدانِ
طلّ من طلّ في الحروب ولم أوتر م بجيرًا أبأتهُ ابن أبانِ
فارس يضرب الكتيبة بالسيف م وتسمو أمامهُ العينانِ

(قال مقاتل) وشدّ عليهم جحدر فاعتوره عمرو وعامر التغلبيّان. فطعن عمرًا بعالية الرمح وطعن عامرًا بسافلته فقتلهما عداء وجاء بيزهما. (قال) وقتل جحدر أيضًا أبا مكنف . (قال مقاتل) فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والاسر الى أهلهِ جعل النساء والولدان يستخبرونهُ تسأل المرأة عن زوجها وابيها واخيها والغلام عن أبيهِ واخيهِ. فقال :

ليس مثلي يخبّر الناس عن آ بائهم قُتلوا وينسى القتالا
لم أرُمْ عرصة الكتيبة حتى أنعلَ الورد من دماء نعالا
عرفتهُ رماح بكر فما يأ م خذنَ الا لباته والقذالا
غلبونا ولا محالة يومًا يقلب الدهر ذاك حالًا فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن فكان في جنب . فخطب اليهِ أحدهم بنته . فأبى أن يفعل. فاكرهوه فانكحها اياه. فقال في ذلك مهلهل :

انكحها فقدها الاراقم في جنب وكان الخباء من ادمِ
لو بأبانين جاء يخطبها ضرّج ما انف خاطبٍ بدمِ
أصبحتُ لا منفسًا اصبت ولا أبت كريمًا حرًّا من الندمِ
هان على تغلبٍ بما لقيتْ اخت بني المالكين من حشمِ
ليسوا باكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلةٍ ولا عدمِ

ثم ان مهلهلًا انحدر فاخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة . فطلب اليهِ اخوالهُ بنو يشكر (وامّ مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن عبد اليشكرية واختها امية بنت ثعلبة حيّ من وائل وكان الجلل بن ثعلبة خالها) فطلب الى عمرو ان يدفعهُ اليهِ فيكون عنده . ففعل . فسقاه خمرًا فلما طابت نفسهُ تغنى : « طفلة ما ابنة الجلل بيضاء » حتى فرغ من القصيدة . فأدّى ذلك مَن سمعه من المهلهل الى عمرو . فحوّلهُ اليهِ واقسم ان لا يذوق عنده خمرًا ولا ماء ولا لبنًا حتى يرد ربيب الهضاب (جمل لهُ كان اقلّ وروده في الصيف الخمس) . فقالوا لهُ يا خير الفتيان أَرسل الى ربيب فلتوثتَ بهِ قبل وروده . ففعل فأوجره ذنوبًا من ماء . فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة وهو اوبأُ ماء رأيتهُ فمات . (قال مقاتل) ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بآخرة . ثم جاء ناس من لجيم يوم قضة مع الفند . وفي ذلك يقول سعد بن مالك :

ان لجيمًا قد ابت كلها ان يرفدونا رجلًا واحدا
ويشكر أضحت على نأيها لم تسمع الآن لها حامدا
ولا بنو ذهل وقد اصبحوا بها حلولًا خلقًا ماجدا
القائدي الخيل لارض العدا والضاربين الكوكب الوافدا

وقال البكريّ :

وصدّت لجيم للبراءة اذ رأت أهاضيب موت تمطر الموت معضلا
ويشكر قد مالت قديمًا وارتمت ومنت بقرباها اليهم لتوصلا

قال مهلهل يصف هذه الايام :

أليلتنا بذي حسم أنيري اذا أنت انقضيت فلا تحوري

فان يكُ بالذنائب طال ليلي فقد ابكي من الليل القصيرِ
فلو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذنائب ايّ زيرِ
بيوم الشعثمين اقرّ عينًا وكيف لقاء من تحت القبورِ
واني قد تركت بواردات بجيرًا في دم مثل العبيرِ
هتكت بهِ بيوت بني عباد وبعض الغشم اشفى للصدورِ
على ان ليس يوفى من كليب اذا برزت مخبَّأة الخدورِ
وهمام بن مرّة قد تركنا عليهِ القشعمان من النسورِ
ينوء بصدره والرمح فيهِ ويخلجهُ خِدبٌ كالبعيرِ
فلولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكورِ
فدى لبني شقيقة يوم جاؤُوا كأُسد الغاب لجت في الزئيرِ
كأنّ رماحهم أشطان بئرٍ بعيد بين جاليها جرورِ
غداة كأننا وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مديرِ
تظل الخيل عاكفة عليهم كأنّ الخيل ترحض في غديرِ

القتلى في حرب البسوس

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتلى تُعدُّ ولا تُذكر الّا ثمانية نفر من تغلب واربعة من بكر عدّهم مهلهل في شعرهِ . والدليل على انّ القتلى كانوا قليلًا انّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب فعدُّوهم وعدُّوا بنيهم وبني بنيهم فان كانوا خمسمائة فقد صدقوا . فكم عسى ان يبلغ عدد القتلى والقبائل . فقال مسمع : ان أخي مجنون وكيف يحتج بشعر المهلهل

وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة فلم يذكر في شعرهِ . وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكرهُ في الشعر . وقُتل حبيب يوم واردات . وقتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر . فهولاء اربعة . وقال البكري :

تركنا حبيباً يوم أرجف جمعه   صريعاً بأعلى واردات مجدّلا

وقال مهلهل ايضاً :

لست ارجو لذّة العيش ما   أزمت أجلاد قدّ بساقي

جللوني جلد حرف فقد   جعلوا نفسي عند التراقي

وقال آخر يوم واردات :

ومهراق الدماء بواردات   تبيد المخزيات وما تبيدُ

فقلت لعامر : ما بال مسمع وما احتجّ بهِ من هولاء الاربعة . فقال عامر : وما اربعة ان كنت لأعقلهم فيما يقولون انهم قتلوا يوم كذا وكذا ثلاثة آلاف ويوم كذا وكذا أربعة آلاف . والله ما اظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً . فهاتوا فعدّوا اسماء القبائل وابنائهم وأنزلوا معهم أبناء ابنائهم فكم عسى ان يكونوا

مقتل جساس

حدّث ابو عبيدة أنّ آخر من قُتل في حرب بكر وتغلب جساس بن مرّة بن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت اختهُ امرأة كليب . فقتلهُ جساس وهي حامل فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب فكان من الفريقين ما كان . ثم صاروا الى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان . فولدت اخت جساس غلاماً سمّتهُ الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف أباً غيره .

فزوجهُ ابنتــه فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام. فقال لهُ البكري : ما انت بمنتهٍ حتى نلحقك بأبيك. فأمسك عنهُ ودخل الى امهِ كئيباً. فسألتــهُ عمَّا بهِ . فأخبرها الخبر . فلما اوى الى فراشه ونام تنفَّس تنفُّسةً أحسَّت منهــا امرأتهُ لهيب نارٍ فقامت فزعة قد أقلتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليهِ قصة الهجرس . فقــال جساس : ثائرٌ وربِّ الكعبة . وبات جساس على مــثل الرضف حتى اصبح فأرسل الى الهجرس فأتاه . فقال لهُ : انما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت وقد زوّجتك ابنتي وانت معي وقد كانت الحرب في أبيك زمــانًا طويلًا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنــا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيهِ الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا وعلى قومنا. فقال الهجرس . انا فاعل ولكن مثــلي لا يأتي قومه الَّا بلأمته وفرسه . فحملهُ جســاس على فرس وأعطاه لأمة ودرعاً . فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقصَّ عليهم جساس ما كانوا فيهِ من البلاء وما صاروا اليهِ من العافية ثم قال : وهذا الفتى ابن اختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيهِ ويعقد فيما عقدتم . فلما قرَّبوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال : وفرسي واذنيهِ ورمحي ونصليهِ وسيفي وغراريهِ لا يترك الرجل قاتل أبيهِ وهو ينظر اليهِ. ثم طعن جساساً فقتلهُ ثم لحق بقومهِ. فكان آخر قتيل في بكر بن وائل

يوم أُوارة (*)

كان من حديث يوم اوارة ان عمرو بن المنـــذر بن ماء السماء (١) كان عاقد هذا الحي من طيء على ان لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا . وانَّ عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع مُنفِضاً فمرّ بطيء . فقال لهُ زُرارَة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أبيت اللعن أصبْ من هذا الحي شيئاً . قال لهُ : ويلك ان لهم عقدًا . قال : وان كان . فلم يزل بهِ حتى أصاب نسوة واذوادًا . فقال في ذلك الطائي وهو قيس بن جروة أحد الاحيّين (٢) . قال :

ألا حيِّ قبل البين من انت عاشقه ... ومن انت مشتاق اليهِ وشائقهْ
ومن لا تواتي داره غير فينـــة ... ومن أنت تبكي كل يوم تفارقهْ
وتعدو بصحراء الثوية نـــاقتي ... كعدو النحوص قد أحَنَّت نواهقهْ
الى الملك الخير ابن هند تزوره ... وليس من الفوت الذي هو سابقهْ
وأنَّ نساءهنَّ ما قال قـــائل ... غنيّة سوء بينهنَّ مهـــارقهْ
ولو نيل في عهد لنا لحم ارنب ... رددنا وهذا العهد انت معالقهْ
فهبك ابن هندٍ لم تعقْك أمانة ... وما المرء الا عقده ومواثقـــهْ
وكنا اناساً خافضين بنعمة ... يسيل بنا تلع الملا وأبارقـــهْ
فأقسمت لا احتـــلّ الّا بصهوة ... حرام عليَّ رمـــله وشقـــائقهْ
وأقسم جهدًا بالمنازل من منًى ... وما خبَّ في بطحانهنَّ درادقهْ

(*) اوارة اسم ماء او جبل لبني تميم بناحية البحرَين

(١) وهو عمرو بن هند يُعرف باسم امهِ هند بنت الحرث الملك المنصور بن حجر آكل المرار الكِندي وهو الذي يقال لهُ مضرط الحجارة (٢) ويروى الاجئيّن

لئن لم تغيّر بعض ما قد فعلتمُ　　لانتحينَّ العظم ذو أنت عارقهْ

فسُمي عارقًا بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند. فقال لهُ زرارة ابن عدس: أَبيت اللعن انهُ يستوعدك. فقال عمرو بن هند لترملة بن شعاث الطائي وهو ابن عم عارق: أيهجوني ابن عمك ويتوعّدني. قال: والله ما هجاك ولكنهُ قد قال:

والله لو كان ابن جفنة جاركم　　ما ان كساكم غصّة وهوانا
وسلاسلًا يبرقنَ في أعناقكم　　واذًا لقطّع تلكمُ الاقرانا
ولكان غارتهُ على جيرانه　　ذهبًا وريطًا رادعًا (١) وجفانا

وانما أراد ترملة أن يذهب سخيمته. فقال: والله لاقتلنّهُ. فبلغ ذلك عارقًا فأنشأ يقول:

من مبلغ عمرو بن هندٍ رسالةً　　اذا استحقبتها العيس تَنضى على البعدِ
أيوعدني والرمـــل بيني وبينهُ　　تبين رويدًا ما امامة من هندِ
ومما اجادوني رعان كانها　　قبائل خيل من كميت ومن وردِ
غدرت بامر أنت كنت احتذيتنا　　عليهِ وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهـدِ
فقد يترك الغدرَ الفتى وطعامهُ　　اذا هو أمسى حلبة من دم الفصدِ

فبلغ عمرو بن هند شعره هذا فغزا طيئًا فأسر اسرى من طيْ بن أخزم وهم رهط حاتم بن عبد الله فيهم رجل من الاحيّين يقال لهُ قيس بن جحدر وهو جد الطرمّاح بن حكيم وهو ابن خالة حاتم. فوفد حاتم فيهم الى عمرو بن هند وكذلك كان يصنع فسأله اياهم فوهبهم لهُ الَّا قيس بن جحدر لانهُ كان من الاحيين من رهط عارق. فقال حاتم:

---

(١) (قالوا) الرادع المصبوغ بالزعفران

فككت عديا كلها من اسارها ... فأنعمْ وشفّعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي والامّهات امّهـاتنا ... فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

فأطلقهُ (قال) وبلغنا ان المنذر بن ماء السماء وضع ابنًا لهُ صغيرًا ويقال بل كان أخًا لهُ صغيرًا يُقال لهُ مالك عند زرارة . وانهُ خرج ذات يوم يتصيَّد فأخفق ولم يُصب شيئًا . فرجع فمرّ بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم يُقال لهُ سويد بن ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم . وكانت عند سويـد ابنة زرارة بن عدس فولدت لهُ سبعة غلمة . فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم . فلما انتبه شدّ على مالك بعصاً فضربهُ بها فأمّه ومات الغلام . وخرج سويد هاربًا حتى لحق بمكة . وعلم انهُ لا يأمن فحالف بني نوفل بن عبد مناة واختط بمكة (١) . وكانت طيّئ تطلب عثرات زرارة وبني أبيهِ حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك فأنشـأ عمرو بن ثعلبة بن ملقط الطائي يقول :

من مبلغ عمرًا بان المرء ... م لم يخـلق صبـارَهْ

وحوادث الأيـام لا ... تبقى لها الّا الحجـارهْ

انّ ابن عجزة (٢) امه ... بالسفح أسفل من أُوارهْ

تسفى الرياح خلالـهُ ... سحيًا (٣) وقد سلبوا ازارهْ

فاقتـل زرارة لا أرى ... في القوم أفضل من زرارهْ

فلما بلغ هذ الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عينـاه . وبلغ الخبر

---

(١) فمن ولده اهاب من عزيز بن قيس بن سويد

(٢) قال هشام : اول ولد المرأة يقال لهُ زكمة والآخر عجزة

(٣) ويروى : تسفي الرياح خلال كشحيه

زرارة فهرب . وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليهِ . فأخذ امرأتهُ وهي حبلى فقال أذكرٌ في بطنكِ ام انثى . قالت : لا علم لي بذلك . قال : ما فعل زرارة الغادر الفاجر . قالت : ان كان ما علمت الطيب العرق . السمين المرق . ويأكل ما وجد . ولا يسال عمَّا فقد . لا ينام ليلة يخاف . ولا يشبع ليلة يضاف . فبقر بطنها . فقال قوم زرارة لزرارة : والله ما قتلتَ أخاه فائتِ الملك فاصدقهُ الخبر . فاتاه زرارة فأخبره الخبر . فقال : جئني بسويد . فقال : قد لحق بمكة . قال : فعليَّ ببنيهِ السبعة وأُمهم بنت زرارة غلمةٌ بعضهم فوق بعض . فأمر بقتلهم . فتناولوا احدهم فضربوا عنقهُ . وتعلق بزرارة الآخرون فتناولوهم . فقال زرارة : يا بعضي ضغ بعضًا فذهبتْ مثلًا . وقُتلوا . وآلى عمرو بن هند بأليَّــة ليحرقنَّ من بني حنظلة مائة رجل . فخرج يريدهم وبعث على مقدمتهِ الطائي عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن ملقط . فوجدوا القوم قد نذروا . فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلًا بأسفل أُوارة من ناحية البحرين فحبسهم . ولحقهُ عمرو بن هند حتى انتهى الى اوارة فضربت قبته . فأمر لهم بأخدود فحفر لهم ثم أضرمهُ نارًا . فلما احتدمت وتلظَّت قذف بهم فيها فاحترقوا (١) . واقبل راكب من البراجم (٢) وهم بطن من بني حنظلة عند المساء ولا يدري بشيءٍ مما كان يوضع لهُ بعيره . فاناخ . فقال لهُ عمرو بن هند : ما جاء بك . قال : حبّ الطعام

---

(١) ولذا سمَّت العرب عمرو بن هند محرّقًا

(٢) البراجم خمسة رجال من بني تميم قيس وعمرو وغالب وكُلفة والصليم بنو حنظلة بن مالك بن زيدمناة بن تميم اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف فغلب عليهم . والبراجم لغة رؤُوس السلاميَات من ظهر الكفّ اذا قبض الشخص كفــهُ نشزت وارتفعت . الواحدة بُرْجُمة

قد أقويتُ ثلاثاً لم اذق طعاماً . فلما سطع الدخان ظننتهُ دخان طعام . فقال لهُ عمرو بن هند : ممن انت . قال : من البراجم . قال عمرو : ان الشقيّ وافدُ البراجم فذهبت مثلًا . ورمى بهِ في النار فعجت العرب تميّا بذلك . فقال ابن الصعق العامري قولهُ :

الا أبلغ لديك بني تميم ‏ ‏ ‏ باية ما يحبُّون الطعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى احدًا . فقيل لهُ : أبيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلًا . فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها : من أنتِ . قالت : أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم . فقال : اني لاظنكِ أعجمية . فقالت : ما أنا باعجمية ولا ولدتني العجم

اني لبنت ضمرة بن جابرِ ‏ ‏ ‏ ساد معدًّا كابر عن كابرِ
اني لاخت ضمرة بن ضمرةِ ‏ ‏ ‏ اذا البلاد لفعت بجمرةِ

قال عمرو : أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : أما والذي أسالهُ أن يضع وسادك . ويخفض عمادك . ويسلبك ملكك ما قتلت الّا نساء ذوات ميسم ودين . قال : اقذفوها في النار . فالتفتت فقالت : ألا فتًى يكون مكان عجوز . فلما أبطأُوا عليها قالت : كانَّ الفتيان حمَى فذهبت مثلًا . فأحرقت . وكان زوجها يقال لهُ حوذة بن جرول بن نهشل بن دارم . فقال لقيط بن زرارة يعيّر بني مالك بن حنظلة في أخذ مَن أخذ منهم الملك وقتلهِ اياهم وتروّلهم معه :

لمن دمنة أقفرت بالجنابْ ‏ ‏ ‏ الى السفح بين الملا بالهضابْ
بكيت لعرفان آياتها ‏ ‏ ‏ وهاج لك الشوق نعب الغرابْ
فأبلغ لديك بني مالك ‏ ‏ ‏ مغلغلة وسراة الربابْ

فـانّ امرءًا أنتم حولـهُ تحفون قينتـهُ بالقبـابْ
يهين سراتكمُ عـامدًا ونقتلكم مثل قتل الكلابْ
فلو كنتمُ إبـلًا أملحت لقد كرعت للميـاه العذابْ
ولكنكم غنم تصطفى ويترك سـائرها للذبـابْ
لعمر أبيك الى الخير ما أردت بقتلهم من صوابْ
ولا نعمـة انّ خير الملوك م أفضلهم نعمـة في الرقابْ

وفيها يقول الطرمّاح بن حكيم ويذكر هذا :

واسأل زرارة والمأمون ما فعلتْ قتلى أوارة من رعلان واللددِ
ودارمًا قد قتلنا منهمُ مائـة في جاحم النار اذ يلقون بالخددِ
ينزون بالمشتوي منها ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تقدِ

فلما حضر زرارة الموت جمع بنيهِ وأهل بيته ثم قـال : انهُ لم يبقَ لي عند أحد من العرب وترٌ الّا وقد أدركته غير تحضيض الطائي ملقط الملك علينا حتى صنع ما صنع . فأيكم يضن لي طلب ذلك من طيّ . قال عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عمّ . ومات زرارة . فغزا عمرو بن عمرو جديلة بن طيّ فقاتوهم . وأصاب ناسًا من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثمامة وقال في ذلك شعرًا .

لقيط بن زرارة

كان زرارة بن عدس بن زيد رجلًا شريفًا . فنظر ذات يوم الى ابنه لقيط رأى منهُ خيلاء ونشاطًا وجعل يضرب غلمانهُ وهو يومئذٍ شاب . فقال

لهُ زرارة : لقد اصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هجان ابن المنذر بن ماء السماء أو تزوجت بنت ذي الجدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليّ أن لا يمسّ رأسي غسل ولا آكل لحماً ولا اشرب خمرًا حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعهُ ابن خال لهُ يقال لهُ القراد بن اهاب . وكلاهما كان شاعرًا شريفًا . فسارا حتى أتيا بني شيبان فسلّما على ناديهم . ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذي الجدَّين وكان سيد ربيعة يومئذٍ . قالوا : نعم . قال : فأيكم هو . قال قيس : أنا قيس فما حاجتك . قال : جئتك خاطب ابنتك . وكانت على قيس يمين ان لا يخطب اليهِ أحد ابنته علانية الا أصابهُ بشرّ وسمع بهِ . فقال لهُ قيس : ومن أنت . قال : أنا لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد . قال قيس : عجبًا منك يا ذا القصة هلاَّ كان هذا بيني وبينك . قال : لمَ يا عمّ فوالله انك لرغبة وما بي من نضاة (١) ولئن ناجيتك لا أخدعك . ولئن عالنتك لا افضحك . فأعجب قيساً كلامهُ وقال : كفوٌ كريم . اني قد زوّجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مصابرة ولا ناب ولا كزوم . ولا تبيت عندنا عزبًا ولا محرومًا . ثم أرسل الى امّ الجارية : اني قد زوّجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور فاصنعيها واضربي لها ذلك البلَق فانّ لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزبًا . وجلس لقيط يتحدَّث معهم . فذكروا الغزوَ . فقال لقيط : أمَّا الغزوُ فارداها للعيال وأهزلها للجمال . واما المقام فأسمنها للجمال وأحبها للعيال . فأعجب ذلك قيساً . وامر لقيطاً فذهب الى البلق فجلس فيهِ . وبعثت اليهِ امّ الجارية بمجمرة وبخور وقالت للجارية : اذهبي بها اليهِ فوالله لئن ردّها ما فيهِ خير . فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردّها عليها . فلما رجعت الجارية اليها

(١) اي ما بي عار

خبرتها بما صنع . فقالت : انهُ لخليق للخير . فلما أمسى لقيط أُهديت الجارية اليهِ . فمازحها بكلام اشمأزّت منهُ فلماً نام وطرح عليهِ طرف خميصة انسلّت فرجعت الى امها . فانتبه لقيط فلم يرها . فخرج حتى اتى ابن خاله قرادًا وهو في أسفل الوادي . فقال : ارحلْ بعيرك واياك أن يُسمع رغاؤها . فتوجها الى المنذر بن ماء السماء . وأصبح قيس ففقد لقيطاً . فسكت ولم يدرِ ما الذي ذهب بهِ . ومضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيهِ وقوله . فاعطاه مـائة من هجائنهِ . فبعث بها مع قراد الى أبيهِ زرارة . ثم مضى الى كسرى فكساه وأعطاه جوهرًا . ثم انصرف لقيط من عند كسرى فاتى اباه فاخبره خبره وأقام يسيرًا . ثم خرج هو وقراد حتى جاء محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا . فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل فقال لقيط :

انظر قراد وهاتا نظرة جزعًا ... عرض الشقائق هل بينت اظعانا
فيهنّ أُترجة نضخ العبير بهـا ... تكسى ترائبهـا شذرًا ومرجانا

فخرجا حتى اتيا قيس بن خالد فجهزها أبوها . فلما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية كوني لزوجك امة يكن لك عبدًا . وليكن اكثر طيبك المـاء فانك انما يذهب بك الى الاعداء . واراكِ ان ولدتِ فستلدين لنا غيظاً طويلًا . واعلمي انّ زوجك فارس مضر وانهُ يوشك ان يقتل أو يموت فلا تخمشي عليهِ وجهاً ولا تحلقي شعرًا . قالت لهُ : اما والله لقد ربيتني صغيرة وأقصيتني كبيرة . وزوّدتني عند الفراق شرّ زاد . وارتحل بها لقيط فجعلت لا تمرّ بحيّ من العرب الّا قالت : يا لقيط أهؤلاء قومك . فيقول : لا حتى طلعت على محلة بني عبد الله ابن دارم فرأت القباب والخيل العراب قالت : يا لقيط أهولاء قومك . قال : نعم . فاقام اياماً يطعم وينحر . فاقامت عنده حتى قُتـل يوم جَبَلَة . فبعث اليها

أبوها أنا لها فحُملت . فلما ركبت اقبلت حتى وقفت على نادي بني عبدالله بن دارم فقالت : يا بني دارم أوصيكم بالغرائب خيرًا . فوالله ما رايتُ مثل لقيط لم تخمش عليهِ امرأة وجهًا ولم تحلق عليهِ شعرًا . فلولا اني غريبة لخمشت وحلقت . فحبب الله بين نسائكم . وعادى بين رعائكم . فاثنوا عليها خيرًا . ثم مضت حتى قدمت على ابيها فزوّجها من قومهِ . فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطًا وتحزن عليهِ . فقال لها : اي شيء رايتِ من لقيط احسن في عينك . قالت : خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب . فطرد البقر فصرع منها ثم اتاني وبهِ نضح دماء . فلم ارَ منظرًا كان احسن من لقيط . فمكث عنها حتى كان يوم دجن شرب وتطيَّب . ثم ركب فطرد البقر . ثم اتاها وبهِ نضح دم والطيب وريح الشراب فقال لها : كيف ترين أأنا أحسن أم لقيط . فقالت : ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فذهبت مثلًا (١)

تحاكم تغلب وبكر عند عمرو بن هند

ذكر ابن الكلبي عن أبيهِ انَّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء . وكان قد شرط ايَّ رجل وُجد قتيلًا في دار قوم فهم ضامنون لدمه . وان وجد بين محلّتين قِيسَ ما بينهما فينظر اقربهما اليهِ فتضمن ذلك القتيل . وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرّة ابن همام . ثم ان المنذر أخذ من الحيّين اشرافهم وأعلامهم فبعث بهم الى مكة . فشرط بعضهم على بعض وتوافقوا على ان لا يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلة ولا يطلبهُ بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلًا من

(١) صداء ركية ليس في الارض ركية أطيب منها

بني تميم يقال لهُ العلاق . وفي ذلك يقول الحرث بن حلزة :

فهلاً سعيت لصلح الصديق　　كصلح ابن مارية الاقصمِ (١)
وقيس تدارك بكر العراق　　وتغلب من شرها الاعظمِ
وبيت شراحيل في وائل　　مكان الثريا من الانجمِ
فأصلح ما أفسدوا بينهم　　كذلك فعل الفتى الأكرمِ

فلبثوا كذلك ما شاء الله وقد أخذ المنذر من الفريقين رهنًا باحداثهم فمتى التوى احد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن . فسرَّح النعمان بن المنذر رِكبًا من بني تغلب الى جبل طيّئ في أمرٍ من أمره . فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات . فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة فمات القوم عطشًا . فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر وقالوا : غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء . وقالت بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك قذفتمونا بالعضيهة وسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادّعائكم الباطل علينا . قد سقيناهم اذ وردوا وحملناهم على الطريق اذ خرجوا . فهل علينا اذ حار القوم وضلّوا . ويصدّق ذلك قول الحرث بن حلزة :

لم يغرّوكم غرورًا ولكن　　يرفع الآلُ جرمهم والضَّحاء

قال ابو عمرو الشيباني : أنّ عمرو بن هند الملك وكان جبارًا عظيم الشأن والملك لما جمع بكرًا وتغلب بني وائل وأصلح بينهم أخذ من الحيّين رهنًا من كل حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض . فكان أولئك الرهن يكونون معهُ في مسيره ويغزون معهُ . فاصابتهم سَموم في بعض مسيرهم فهلك عامّة التغلبيّين

---

(١) ابن مارية هو قيس بن شراحيل . ومارية امّهُ بنت الصباح بن شيبان من بني هند

وسلم البكريون . فقالت تغلب لبكر : أعطونا ديات أبنائنا فانّ ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو : أرى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلع أصمّ من بني يشكُر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر . وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال النعمان : وعلى مَن أظلت السماء كلّها يفخرون ثم لا ينكر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم لهُ : أما والله لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها . فقال لهُ النعمان : والله لو فعلت ما أفلت بها قيس ابن ابيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر فقال : يا حارثة أعطهِ لحنًا بلسان انثى اي شبيه بلسانك . فقال : ايها الملك أعطِ ذلك أحبَّ أهلك اليك . فقال : يا نعمان أيسرُّك اني أبوك . قال : لا ولكن وددت انك امي . فغضب عمرو بن هند غضبًا شديدًا حتى همَّ بالنعمان . وقام الحرث بن حِلِزَة فارتجل قصيدته المشهورة ارتجالًا توكأً على قوسه وأنشدها واقتطم كفهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . (قال ابن الكلبي) أنشد الحرث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان بهِ وضح . فقيل لعمرو بن هند : انَّ بهِ وضحًا . فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر . فلما تكلّم أعجب بمنطقهِ . فلم يزل عمرو يقول : أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح الستر وأقعده معهُ قريبًا منهُ لاعجابه به (١)

(١) وذكر الاصمعي نحوًا من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلامًا من كل حي وأصلح بينهم بذي المجاز . وذكر ان الغلمان من بني تغلب كانوا معهُ في حرب فأصيبوا . او قال في خبره : انَّ الحرث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته «وقفي قبل التفرّق يا ظعينا» . وغير الاصمعي ينكر ذلك وينكر انهُ السبب في قول عمرو بن كلثوم

مقتل عمرو بن هند

قال ابن الكلبي: حدثني أبي وشرافيُّ بن القطامي وأخبرنا ابرهيم بن ايوب عن ابن قتيبة ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائهِ: هل تعلمون احداً من العرب تأنف امّه من خدمة أمي. فقالوا: نعم امُّ عمرو بن كلثوم. قال: ولِمَ. قالوا: لانّ أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل أعزّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند الى عمرو ابن كلثوم يستزيره ويسألهُ ان يزير امّهُ امّهُ. فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تغلب. وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب. وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات. وأرسل الى وجوه أهل مملكتهِ فحضروا في وجوه بني تغلب. فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق. وكانت هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر. وكانت امّ ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي امّ امرئ القيس وبينهما هذا النسب. وقد كان عمرو بن هند أمر امّهُ ان تنحّي الخدم اذا دعا بالطُرَف وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف. فقالت هند: ناوليني يا ليلى ذلك الطبق. فقالت ليلى: لتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها فاعادت عليها وألحّت. فصاحت ليلى: وا ذلّاه يالتغلب. فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه. ونظر اليهِ عمرو بن هند فعرف الشرّ في وجهه. فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب بهِ رأس عمرو بن هند. ونادى في بني تغلب. فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبهُ وساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو

ابن كلثوم :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة وبني تغلب تعظمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجوا بذلك . قال بعض شعراء بكر ابن وائل :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يروونها أبدًا مذ كان اوّلهم يا للرجال لشعرٍ غير مسؤومِ

وقال أفنون بن صريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة لهُ :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم امّي امهُ بموفقِ
فقام بن كلثوم الى السيف مصلتاً فأمسك من ندمانه بالمخنَّقِ
وجلله عمرو على الرأس ضربة بذي شطب صافي الحديدة رونقِ

(قال) وكان لعمرو أخ يقال لهُ مرّة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه . واياه عنى الاخطل بقولهِ لجرير :

أبني كليب انّ عمّيَّ اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال لهُ عباد وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس . ولعمرو بن كلثوم عقب باقٍ ومنهم كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر صاحب الرسائل

اسر عمرو بن كلثوم

أخبر ابن الاعرابي قال: اغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم. ثم مرَّ من غزوه ذلك على حيّ من بني قيس بن ثعلبة فملأ يديهِ منهم وأصاب أسارى وسبايا. وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي. ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة وفيهم أُناس من عجل . فسمع بها أهل حجر . فكان أوّل من أتاه من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

من عاذ مني بعدها فلا اجتبرْ ولا سقى الماء ولا أرعى الشجرْ
بنو لجيم وجعـاسيس مضرْ بجـانب الدوّ يُديهون العكرْ

فانتهى اليهِ يزيد بن عمرو فطعنهُ فصرعه عن فرسه وأسره . وكان يزيد شديدًا جسيمًا فشدّه في القدّ وقال لهُ: أنت الذي تقول :

متى تعقد قرينتنا بحبل نجدّ الحبل أو نقص القرينا

أمَا اني ساقرنك الى ناقتي هذه فأطردكما جميعًا. فنادى عمرو بن كلثوم: يا لربيعة أُمُثلةٌ. (قال) فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ولم يكن يريد ذلك بهِ. فسار بهِ حتى اتى قصرًا بحجر من قصورهم وضرب عليهِ قبّة ونحر لهُ وكساه وحملهُ على نجيبهِ وسقاهُ الخمر . فلما اخذت برأسهِ تغنّى :

أأجمع صحبتي السحر ارتحالا ولم اشعر ببينٍ منك هالا
ولم ارَ مثل هالة في معدٍ اشبّـه حسنها الّا الهلالا
ألا ابلغ بني جشم بن بكر وتغلبَ كلما اتيا حلالا
بانّ الماجد القرم بن عمرو غداة نُطاع قد صدق القتالا

كتيبةٌ ململمة رداح اذا يرمونهـا تفني النبـالا
جزى الله الاغرّ يزيد خيرًا ولقّـاه المسرّة والجمـالا
بمأخذه ابن كلثوم بن عمرو يزيد الخـير نازلهُ نزالا
بجمع من بني قرّان صيد يجيلون الطعـان اذا اجالا
يزيد يقدّم السفراء حتى يروّي صدرها الاسل النهالا

مقتل شاس بن زُهَيْر

قال ابو عبيدة: حدّثني رجلٌ يُخَيَّلُ اليَّ أنهُ ابو يحيي الغنويّ قـال: ورد شاس وقد حباه الملك بجبوة فيها قطيفة حمراء ذات هدب وطيب. فورد منعجًا وعليهِ خباء ملقىً لرياح بن الأَسَكّ فيهِ اهله في الظهيرة. فألقى ثيابهُ بفنائهِ ثم قعد يهريق عليهِ الماء. فناداه الغنوي: استتر. فلم يحفل. (قال) فقال: استتر ويحك البيوت بين يديك. فلم يحفل. فقال رياح لامرأتهِ: انطيني قوسي. فمدّت اليهِ قوسهُ وسهمًا وانتزعت المرأة نصله لئلاَّ يقتلهُ. فأهوى عجلان اليهِ فوضع السهم في مستدقّ الصلب بين فقارتـين ففصلها وخرَّ ساقطًا. وحفر لهُ حفرًا فهدمهُ عليهِ ونحر جمله واكله (١) وأولج متاعه بيته

(قال) ونشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذكره على مَنْعِج وسط غنيّ. ثم أصابت الناس جائحة وجوع. فنحر زهير ناقته فاعطى امرأة شطّيها فقال: اشتري لي الهدب والطيب. فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعهُ حتى دفعت الى امرأة رياح فقالت: انَّ معي شحمًا ابيعهُ في الهدب والطيب. فاشترت المرأة منها.

(١) وقال عبد الحميد: اكل ركوبته

فأتت المرأة زهيرًا بذلك فعرف المدب فأتى زهير غنيًّا. فقالوا: نعم قتلهُ رياح ابن الاسك ونحن براء منهُ وقد لحق بخالهِ من بني الطماح وبني اسد بن خزيمة فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان اذا أحسّ الصبح يرمي الاروى

فلما استبان لزهير بن جذيمة ان رياحًا ثأرهُ قال يرثي شاسًا :

بكيت لشاس حين خُبّرت انهُ ... بماء غنيٍّ آخر الليل يسلبُ
لقد كان مأتاهُ الرداء لحتفـهِ ... وما كان لولا غرّة الليل يغلبُ
قتيل غنيّ ليس شكل كشكلهِ ... كذاك لعمري الحين للمرء يجلبُ
سأبكي عليهِ ان بكيت بعبرةٍ ... وحقّ لشاس عبرة حين تسكبُ
وحزن عليهِ ما حييت وعولة ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ
اذا سيم ضيمًا كان للضيم منكرًا ... وكان لدى الهيجاء يُخشى ويرهبُ
وان صوّت الداعي الى الخير مرّةً ... أجاب لما يدعو لهُ حين يكربُ
ففرّج عنـهُ ثم كان وليّـهُ ... فقلبي عليهِ لو بدا القلب ملهبُ

وقال زهير بن جذيمة حـين قتل شاس : شاس وما شاس . والباس وما الباس . لولا مقتل شاس لم يكن بيننـا باس . (قال) ثم انصرف الى قومهِ . فكان لا يقدر على غنويّ الّا قتلهُ . (قال) ثم غزت بنو عبس غنيًّا قبل ان يطلبوا قودًا أو ديةً مع اخي شاس الحصين بن زهير بن جذيمة والحصـين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير . فقيل ذلك لغنيّ . فقالت لرياح : انجُ لعلّنـا نصـالح على شيءٍ او نرضيهم بدية وفداء . فخرج رياح رديفـًا لرجل من بني كلاب (١) . وكان معهما صحيفة فيهـا أدأب لحم لا يريان الّا انهما قد خالفا وجهة القوم . فأوجفا ايديهما في الصحيفة . فأخذ كلٌّ واحدٍ منهما وضرة

---

(١) وزعم ابو حية النميري انهُ من بني جعد

ليأكلها مترادفين لا يقدران على النزول . (قال) فمرّ فوق رؤوسهما صرد فصرصر . فالقيا اللحم وأمسكا بايديهما وقالا : ما هذا . ثم عادا الى مثل ذلك فاخذ كل واحد منهما عظماً . ومرَّ الصرد فوق رؤوسهما فصرصر . فالقيا العظمين وأمسكا بايديهما وقالا : ما هذا . ثم عادا الثالثة . فاخذ كل واحد منهما قطعة . فمرَّ الصرد فوق رؤوسهما فصرصر . فالقيا العظمين . حتى فعلا ذلك ثلاث مرّات . فاذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلام (١) . وقد كانا يظنّان انهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبهُ لرياح : اذهب فاني آتي القوم فاشاغلهم عنك وأحدّثهم حتى تجزهم . ثم ماضٍ ان تركوني . فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ ادراجهُ وعدا اثر الراحلة حتى أتى ضفّة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب فولج فيهِ . ثم أخذ نعليهِ فجعل احداهما على سرّتهِ والاخرى على ركبتيه ثم شدَّ عليهما العمامة . ومضى صاحبهُ حتى لقي القوم . فسألوه فحدَّثهم وقال : هذه غنيّ كاملة وقد دنوت منهم . فصدّقوه وخلّوا سربه . فلما ولّى رأوا مركب الرجل خلفهُ فقالوا : من الذي كان خلفك . فقال : لا مكذبة ذلك رياح في الاوّل من السرات . فقال الحصينان لمن معهما : قفوا علينا حتى نعلم علمهُ فقد أمكننا الله من ثأرنا . ولم يريدا ان يشركهما فيهِ احدٌ . فمضيا ووقف القوم عنهما . (قالوا) قال رياح : فاذا هما ينقلان فرسيهما فما زالا يريغاني فابتدراني . فرميت الاوّل فبترت صلبهُ وطعنني الآخر قبل ان ارميه وأراد السرّة فاصاب الربلة . ومرَّ الفرس يهوي بهِ . فاستدبرتهُ بسهم فرشقت بهِ صلبهُ فانفقر منحنى الاوصال وقد بترت صلبيهما . (قال) وندَّ فرساهما فلحقتا بالقوم . (قال رياح) فاخذت رمحيهما فخرجت بهما حتى اتيت رملة فسندت فغرزت

---

(١) اي ادنى شيء .

الرحين فيها ثم انحدرت . (قال) وطلبهُ القوم حتى اذا رفع لهما الرحان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا اثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد ردهة عليها بيت انار بن بغيض وفيهِ امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل لها راتعَ في الجبل وقد مات رياح عطشاً . فلما رأتهُ يستدمي طمعت فيهِ ورجت ان يأتيها ابناها . فقالت لهُ : استأثر . فقال لها : دعيني ويحك اشرب . فأبت . فاخذ حديدة اما سكيناً واما مشقصاً فجذم بهِ رواهشها فماتت . وعبَّ في الماء حتى نهل . ثم توجه الى قومهِ . فقال رياح فيها وفي الحصينَين :

قالت ليَ استأثر لتكفني حيناً ويعلو قولها قولي
ولأنت اجرأ من اسامة او مني غداة وقفت للخيل
اذا الحصين لدى الحصين (١) كما عدل الرجازة جانب الميل (٢)

مقتل زُهَير بن جَذيمة العبسيّ

قتلهُ خالد بن جعفر بن كلاب . قال ابو عبيدة : قال ابو حية النميري : كان بين انصراف حديث شاس وحديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة الى الثلاثين سنة . وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة الّا ربَّا . (قال) وهوازن يومئذٍ لا خير فيها وانما هم رعاء

---

(١) يعني حُصَين بن زهير بن جذيمة وحصين بن أُسيد بن جذيمة وهو ابن عمهِ

(٢) قال الاثرم : الرجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها فاذا مال احد الجانبين وضعتهُ في الناحية الاخرى ليعتدل

الشاء في الجبال. (قال) وكان زهير يعزّهم وكان اذا كان ايام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجهٍ فتأتيهِ هوازن بالاتاوة التي كانت لهُ في أعناقهم فيأتونهُ بالسمن والاقط والغنم وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم. ثم اذا تفرّق الناس من عكاظ نزل زهير بالنفرات. فأتتهُ عجوز من هوازن بسمن في نِحْيٍ واعتذرت اليهِ وشكت السنين التي تتابعن على الناس. فذاقهُ فلم يرضَ طعمهُ. فدعّها بقوس في يدهِ عطل في صدرها. فاستلقت لحلاوة القفا. فغضب من ذلك هوازن وأصمدت عليهِ الى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن وأوحرها من الحسد. (قال) وتذامرت عامر بن صعصعة يومئذٍ فآلى خالد بن جعفر فقال: والله لاجعلنَّ ذراعي وراء عنقهِ حتى أُقتل أو يُقتل. (قال) وفي ذلك يقول خالد بن جعفر ابن كلاب

اديروني أداتكمُ فاني وحذفة كالشجا تحت الوريدِ
مقرَّبة أُسوِيها بجزءٍ وألحفها ردائي في الجليدِ
وأُوصي الراعيين ليؤثراها لها لبن الخليَّة والصعودِ
تراها في الغزاة وهنَّ شعثٌ كقلب العاج في الرسغ الجديدِ
يبيت رباطها بالليل كفي على عود الحشيش وغير عودِ
لعلَّ الله يقردني عليها جهارًا من زهير أو أسيدِ
فامَّا تثقفوني فاقتلوني فإن أثقفْ فليس الى خلودِ
وقيسٌ في المعارك غادرتهُ قناتي من فوارسَ كالاسودِ
ويربوع بن غيظٍ يوم ساقٍ تركناهم لجاريةٍ وبيدِ
تركت بها نساء بني عصيمٍ أرامل ما تجنُّ الى وليدِ

يلذنَ بجرثٍ جزعاً عليهِ ... يقلنَ لحرث لولا تسودِ
ومني بالطويلم قارعاتٌ ... تبيد المخزيات ولا تبيدِ
وحكّت بَرْكها ببني جحاشٍ ... وقد أجروا اليها من بعيدِ
تَركت بني جذيمة في مكرٍّ ... ونصرًا قد تركت لها شهودي

(قال الاصمعي) فضرب الزمان ضربانهُ . فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي . فقال خالد لزهير : أما ان لك ان تشتفي وتكفَّ (قال الاصمعي) يعني مما قتل بشاس . (قال) فاغلظ لهُ زهير وحقرهُ . (قال الاصمعي) وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيَّب ان ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش . فلما حقرهُ زهير وسبهُ قال خالد : عسى ان كان يتهددهُ . ثم قال : اللهمَّ أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعنّي عليهِ . فقال زهير : اللهمَّ أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زهير . فقال : انكم والله الذين لا علم لكم

قال ابو عبيدة : اخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيهِ قال : كانت بنو عامر بالجريبة وزهير بالنفراوات وكانت تُماضر بنت عمرو السُلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي ام ولده . فمرَّ بها اخوها الحرث بن عمرو . فقال زهير لبنيهِ : ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاوثقوه . فقالت اختهُ لبنيها : أيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه . فخلّوه . فقالت تماضر لاخيها الحرث : انهُ ليريبني ما قال زهير فانهُ رجل نذارة وعيد ان شنأوه . (قال) ثم حلبوا لهُ وطبًا وأخذوا منهُ يمينًا ان لا يخبرعنهم ولا ينذر بهم احدًا . وزعم ابو حيّة انهُ لما اتوه بقِراهم أراهم انهُ يشربهُ في الظلمة وجعل يهوي بهِ الى جيبهِ فيصبُّهُ بين سربالهِ وصدرهِ أسفًا وغيظًا .

(قال) وكان الذي حلب الوطب وقراه الحرث بن زهير وبه سُمي. (قال) فخرج يطير حتى أتى عامر عند ناديهم فأتى حاذة أو شجرة غيرها. فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال: أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمهُ. فقال أهل المجلس: هذا رجل مأخوذ عليهِ وهو يخبركم خبرًا. فأتوه فاذا هو الحرث بن عمرو. وذاقوا اللبن فاذا هو حلو لم يقرص بعد. فقالوا: انهُ ليخبرنا ان طلبنا قريب. فركب معهُ ستة فوارس (١) لينظروا ما الخبر. فاقتصوا أثر السير حتى اذا رأوا ابل بني جذيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: انَّا لنرى خرجة من عضاة او غابة رماح بمكان لم نكن نرى بهِ شيئًا. ثم راحت الرعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. (قال) وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة اسيدًا بمثل ذلك. فأتى اسيد اخاه زهيرًا فأخبرهُ بما اخبرتهُ به الراعية وقال: انها رأت خيل بني عامر ورماحها. فقال زهير: كل ازبَّ (٢) نفور فذهبت مثلًا. وأين بنو عامر. امَّا بنو كلاب فكالحيَّة ان تركتها تركتك وان وطئتها عضَّتك. واما بنو كعب فانهم يصيدون اللأى (٣). واما بنو نمير فانهم يرعون ابلهم في رؤوس الجبال. واما بنو هلال فيبيمون العطر. (قال)

---

(١) هم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة وحُندُج بن البكاء ومعاوية بن عُبادة ابن عقيل فارس الهرَّار وهو الاخيل جدّ ليلى الاخيلية. والاخيل هو معاوية (قال) وهو يومئذٍ غلام لهُ ذؤابتان وكان اصغر من ركبَ . وثلاثة فوارس من سائر بني عامر ليس على احدهم درع غير خالد كانت عليهِ درع اعاره اياها عمرو بن يربوع الغنوي وكانت درع ابن الاجلح المراري كان قتلهُ فأخذها منهُ وكان يقال لها ذات الازمة وانما سميت بذلك لانها كانت لها عري تعلق فضولها بها اذا اراد ان يشمرها

(٢) كان أسيد كثير الشعر خناسيًّا

(٣) يريد الثور الوحشي

فتحمل عامّة بني رواحة وآلى زهير لا يبرح مكانهُ حتى يصبح. وتحمل من كان معهُ غير ابنيـهِ ورقاء والحرث. (قال) وكان لزهير ربيئة من الجنّ تحدّثهُ ببعض امرهم حتى اصبح. وكانت لهُ مظلّة دوح يربط فيها افراسهُ لا تريعـهُ حذرًا من الحوادث. (قال) فلما اصبح صهلت فرس منها حين أحسّت بالخيل وهي القصاء. فقال زهير: ما لها. فقال ربيئتهُ: أحسّت الخيل فصهلت اليهم. فلم تؤذنهم بهم الّا والخيل دواس محاضر بالقوم غدية. فقـال زهير وظنّ انهم اهل اليمن: يا اسيد ما هولاء. فقال: هولاء الذين تعمّى حديثهم منذ الليلة. (قال) وركب اسيد فمضى ناجيًا. (قال) ووثب زهير وكان شيخًا نبيلًا فتدثر القصـاء فرسهُ وهو يومئذٍ شيخ قد بدن وهو يومئذٍ عقوق متهم. واعروري ورقاء والحرث ابناه فرسيهما. ثم خالفوا جهة مالهم ليُعمّوا على بني عامر مكان مالهم فلا ياخذوه. فهتف هاتف من بني عامر: يا ليحامر يريد يحامر وهو شعار لاهل اليمن لان يُعمّي على الجنيّين من القوم. فقال زهير: هذه اليمن قد علمتُ انها اهل اليمن. وقال لابنهِ ورقـاء: انظر ياورقاء ما ترى. قال ورقاء: أرى فارسًا على شقراء يجهدهـا ويكدّها بالسوط قد ألحّ عليها يعني خالدًا. فقال زهير: شيئًا ما يريد السوط الى الشقراء فذهبت مثلًا. وقال في المرّة الثانية: شيئًا ما يطلب السوط الى الشقراء. وهي حذفة فرس خالد بن جعفر والفارس خالد بن جعفر. (قال) وكانت الشقراء من خيل غنيّ. (قال) وتمرّدت القصاء بزهير وجعل خالد يقول: لا نجوت ان نجا مجدّع يعني زهيرًا. فلما تمطّت القصاء بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد لمعاوية الاخيل بن عبادة وكان على الهرّار حصان عرج: ادرك معاوي. فادرك معاوية زهيرًا. وجعل ابناه ورقاء والحرث يوطّشان عنهُ اي عن ابيهما.

(قال) فقال خالد : اطعن يا معاوية في نَسَاها . فطعن في احدى رجليها فانخذلت القصباء بعض الانخذال وهي في ذلك تمعط . فقال زهير : اطعن الاخرى . يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها . فتحامل . فناداه خالد : يا معاوية أَفذَّ طعنتك (١) . فشعشع الرمح في رجلها فانخذلت . (قال) ولحقهُ خالد على حذفة فجعل يده وراء عنق زهير فاستخفَّ بهِ عن الفرس حتى قلبهُ . وخرَّ خالد فوقع فوقهُ ورفع المغفر عن رأس زهير وقال : يا لعامر اقتلونا معاً . فعرفوا انهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا انقطاع ظهراه انها لبنو عامر سائر اليوم . (قال) ولحق حندج بن البكاء (٢) وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال : نحِّ راسك يا أبا جزء لم يجز يومك . (قال) فنحَّى خالد راسهُ وضرب حندج رأس زهير وضرب ورقاء بن زهير راس خالد بالسيف وعليهِ درعان وكان اسحم العينين ازبَّ اقمر مثل الفالج . فلم يغنِ شيئاً . (قال) واجهض ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعاه مرتثًّا . فقال خالد حين استنقذ زهيرًا ابناه : وا لهفتاه قد كنت اظنُّ ان هذا الخرج سينفعكم ولام حندجاً . فقال حندج وكان لجلالتهِ غصة اذا تكلم : السيف حديد والساعد شديد وقد ضربتهُ ورجلاي متمكنتان في الركائب وسمعت السيف قال قَبْ حين وقع براسهِ ورأيت على ظُبتهِ مثل ثمر المرار وذقتهُ فكان حلوًا . فقال خالد : قتلتَهُ بأبي انت . ونظر بنو زهير فاذا الضربة قد بلغت الدماغ . ونهى بنو زهير ان يسقوا اباهم الماء . فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهك عطشاً . (قال وذلك ان المأموم يخاف عليهِ الماء) . حتى بلغهُ العطش فجعل يهتف : أُميَّة انا عطش وينادي : ياورقاء (قال أبو حيَّة : فجعل ينادي : يا شاس) . فلما رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة . فقال ورقاء بن زهير :

---

(١) اي اطعن مكاناً واحداً (٢) وفي نسخةٍ : جندح

رأيت زهيرًا تحتَ كلكلِ خالدٍ　　فأقبلت أسعى كالعجول أُبادرُ
الى بطلين ينهضان كلاهما　　يريغان نصل السيف والسيف نادرُ
فشلّت يميني اذ ضربت ابن جعفرٍ　　واحرزهُ مني الحديد المظاهرُ
فيا ليتني من قبل ايام خالدٍ　　ويوم زهيرٍ لم تلدني تماضرُ
لعمري لقد بشرت بي اذ ولدتني　　فماذا الذي ردّت عليك البشائرُ

وقال خالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتلهِ زهيرًا ويصدّق الحديث :

بل كيف تكفرني هوازن بعدما　　اعتقتهم فتوالدوا احرارا
وقتلت ربّهمُ زهيرًا بعد ما　　جدع الانوف واكثر الاوزارا
وجعلت حزن جبالهم وبلادهم　　أرضًا فضاء سهلة وعشارا
وجعلت مهر بناتهم ودمائهم　　عقل الملوك هجائنًا ابكارا

وقال ورقاء بن زهير :

أمّا كلاب فانّا لا نسالمها　　حتى يسالم ذئب الثلّة الراعي
بنو جذيمة حاموا حول سيدهم　　الّا اسيدًا نجا اذ ثوّب الداعي

مقتل خالد بن جعفر

قتلهُ الحرث بن ظالم المرّي . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج الامر بين الحرث بن ظالم وخالد بن جعفر انّ خالد بن جعفر أغار على رهط الحرث بن ظالم من بني يربوع بن غَيظ بن مرّة وهم في وادٍ يقال لهُ حُراض فقتل الرجال حتى أُسرع والحرث يومئذٍ غلام وبقيت النساء . وزعموا ان ظالمًا هلك في

تلك الواقعة من جراحة اصابتهُ يومئذٍ . وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم . فلما بقينَ بغير رجال طفقنَ يدعون لحرث فيشدّ عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهنَّ ويبكي لحرث معهنَّ . فنشأ على بغض . وأردف ذلك قتل خالدٍ زهير بن جذيمة فاستحقّ العداوة في غطفان

(قال أبو عبيدة) فمكث خالد بن جعفر برهة من دهرهِ حتى اذا كان من أمرهِ وأمر زهير بن جذيمة ما كان وخالد يومئذٍ رأس هوازن فلما استحق عداوة عبس وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدرهُ عنده وأتاه بفرس فألفى عنده لحرث بن ظالم قد اهدى لهُ فرساً فقال : أبيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني قرّة فلن نؤتى بفرس يشقّ غباره ان لم تنسبهُ انتسب كنت ارتبطهُ لغزو بني عامر بن صعصعة . فلما أكرمتَ خالداً اهديته اليك . وقام الربيع بن زياد العبسي فقال : أبيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباهُ عشرين سنة لم يخفق في غزوة ولم يعتلك في سفر وفضلهُ على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . (قال) فغضب النعمان عند ذلك وقال : يامعشر قيس أيّ خيلكم اشباهنا . أين اللواتي كانّ أذنابها شقاق أعلام وكانّ مناخرها وجار الضباع . رقاق المستطعم تعالك اللجم في اشداقها تدور على مذاودها كأنما يقضمن حصًى . قال خالد : زعم لحرث أبيت اللعن انَّ تلك الخيل خيلهُ وخيل آبائهِ . فغضب النعمان عند ذلك على لحرث بن ظالم . فلما أمسوا اجتمعوا يشربون فقال خالد لقينةٍ تغنّي :

دار لهندٍ والرباب وفرتني ولبئس قول حوادث الايامِ

وهنَّ خالات لحرث بن ظالم . فغضب لحرث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً

وقال: ما تزال تتبع أولى بآخرة. (قال أبو عبيدة) ثم ان النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمرًا. فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحرث. فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر: أبيت اللعن انظر الى ما بين يدي الحرث بن ظالم من النوى فما ترك لنا تمرًا الّا اكله. فقال الحرث: أمّا انا فأكلت التمر وألقيت النوى. وأما أنت يا خالد فأكلتهُ بنواه. فغضب خالد وكان لا يُنازَع. فقال: أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيمًا في حجور النساء. فقال الحرث: ذلك يوم لم أشهدهُ وأنا مغنٍ اليوم بمكاني. فقال خالد: فهلاَّ تشكر لي اذ قتلت زهير ابن جذيمة وجعلتك سيد غطفان. قال: بلى اشكرك على ذلك. فخرج الحرث بن ظالم الى بنت عَفْزَر فشرب عندها وقال لها تغنّي:

تعلمْ أبيت اللعن أنيَ فاتكٌ من اليوم او من بعدهِ بابن جعفرِ
أخالد قد نبّهتني غير نائم فلا تأمنْ فتكي مدى الدهر واحذرِ
أعيّرتني ان نلت منّا فوارسًا غداة حُراضٌ مثل جنات عبقرِ
أصابهمُ الدهر الخَتور بختره ومن لا يقي الله الحوادث يعثرِ
فعلّك يومًا ان تنوء بضربةٍ بكفّ فتًى من قومهِ غير جيدرِ
يعضُّ بها عليا هوازن والمنى لقاء أبي جزء بأبيض مبترِ

(قال) فبلغ خالد بن جعفر قولهُ فلم يحفل به. فقال عبد الله بن جعدة وهو ابن اخت خالد وكان رجل قيس رأيًا لابنهِ: يابنيَّ انتِ أبا جزء فاخبرهُ أن الحرث ابن ظالم سفيه موتور فأخفِ مبيتك الليلة فانهُ قد غلبهُ الشراب. فان أبيتَ فاجعل بينك وبينهُ رجلًا ليحرسك. فوضعوا رجلًا بإزائهِ. ونام ابن جعدة دون الرجل وخالد من خلف الرجل. وعرف ان عروة وابن جعدة يحرسان خالدًا.

فأقبل الحرث فانتهى الى ابن جعدة فتعدّاه ومضى الى الرجل وهو يحسبهُ خالدًا فعجنهُ بكلكلهِ حتى كسرهُ وجعل يكلّمهُ لايعقل . فخلّى عنهُ والرجل تحتهُ ومضى الى خالد وهو نائم فضربهُ بالسيف حتى قتلهُ . فقال لعروة : أخبر الناس اني قتلت خالدًا . وقال في ذلك :

ألا سائل النعمان ان كنت سائلًا وحيَّ كلاب هل فتكتُ بخالدِ
عشوت اليـهِ وابن جعدة دونهُ وعروة يكلا عمّـهُ غير راقدِ
وقد نصبا رجلًا فباشرت جوزهُ بكلكل مخشيّ العداوة حاردِ
فاضربـهُ بالسيف يافوخَ راسهِ وصمم حتى نال نيـط القـلائدِ
وأفلت عبــد الله مني بذعرهِ وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

فلما أبت غطفان ان تجيرهُ غضبت لذلك بنو عبس . وبعث اليهِ قيس بن زهير ابن جذيمة بهذه الابيات :

جزاكَ الله خـيرًا من خليلٍ شفى من ذي تبولتهِ الخليلا
ازحت بها جوًى ودخيل حزنٍ تمخ اعظمي زمنـًا طويلا
كسوت الجعفريَّ ابا جزيءٍ ولم تحفل بهِ سيفـًا صقيلا
أبأت بهِ زهـير بني بغيضٍ وكنت لمثلهـا ولهـا حمولا
كشفت لهُ القنـاع وكنت ممن يجلّي العـار والامر الجليلا

فاجابهُ الحرث بن ظالم :

أتاني من قيس بني زهيرٍ مقـالة كاذب ذكر التبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم لقاتل ثاركم حرزًا أصيـلا
ولكن قلتمُ جاوز سوانا فقد جللتنا حدثـًا جليـلا
ولو كانوا هم قتلوا اخاكم لما طردوا الذي قتل القتيلا

(قال أبو عبيدة) فلما منعتـه غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجاره ووعده أن يمنعهُ من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانهُ في بني تميم فساروا في عليـاء هوازن . فلما كانوا قريباً من القوم في أوّل وادي من أوديتهم خرج رجل من بني غنيّ يبعض البوادي فاذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة . فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرتهُ بمكان الحرث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصرتهِ ومنعه . فانطلق بها الغنويّ الى رحلهِ فانسلّت في وسط من الليل . فأتى الغنوي الاحوص بن جعفر فأخبرهُ ان المرأة قد ذهبت وقال : هي منذرة عليك . وتبع المرأة عمرو بن مالك يقصّ اثرها حتى انتهى الى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : اخبريني أيّ قوم . أخذوكِ . قالت : أخذني قوم يقبلون بوجوه الظبـاء ويدبرون باعجاز النساء . قال : اولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني ما في القوم . قالت : رأيتهم يغدون على شيخ كبير لاينظر بماقيهِ حتى يرفعوا لهُ من حاجبيـهِ . قال : ذلك الاحوص بن جعفر . قالت : ورأيت شاباً شديد الخلق كأنّ شعر ساعديهِ حلق الدرع يعذم القوم بلسانهِ عذم الفرس العضوض . قال : ذلك عُتبة بن بشير بن خالد . قالت : ورأيت كهـلاً اذا أقبل معهُ فَتيان يشرف القوم اليهِ فاذا نطق أنصتوا . قال : ذلك عمرو بن خويلد والفتيان ابناه زرعة ويزيد . قالت : ورأيت شاباً طويلاً حسناً اذا تكلم بكلمة أنصتوا لها ثم يزولون اليهِ كما تزول الشّول الى الفحل . قال : ذلك عامر ابن مالك . (قال أبو عبيدة) فدعا حاجب الحرث بن ظالم فأخبرهُ برأيهِ وخبر القوم وقال : يا ابن ظالم هؤلاء بنو عامر قد أتوك فما أنت صانع . قـال الحرث : ذلك اليك فان شئت أقمت فقاتلت القوم وان شئت تحيّت . قال حاجب : تنحَّ عني غير ملوم . فغضب الحرث من ذلك وقال :

لعمري لقد جاورت في حيّ وائلٍ ومن وائل جاورت في حيّ تغلبِ
فأصبحت في حيّ الاراقم لم يقل لِيَ القوم يا حارِ بن ظالم اذهبِ
وقد كان ظنّي اذ عدلت اليكمُ بني عدس ظنّي باصحاب يثربِ
غداة أتاهم تُبَّعٌ في جنودهِ فلم يُسلموا المرءينِ من حي يحصبِ
فان تكُ في عليا هوازن شركة تخاف ففيكم حدّ نابٍ ومخلبِ
وان يسلم المرء الزراريّ جارهُ فأعجب بها من حاجبٍ ثم أعجبِ

فغضب حاجب وقال:

لعمر أبيك الخير يا حارِ انني لأمنع جارًا من كليب بن وائلِ
وقد علم الحيّ المعدّيّ اننا على ذاك كنا في الخطوب الاوائلِ
وأنّا اذا ما خافَ جارٌ ظلامةً لبهنا له ثوبَي وفاء ونائلِ
وأنّ تميمًا لم تحارب قبيلةً من الناس الّا أولعت بالكواهلِ
ولو حار بتنا عامرٌ يا ابن ظالمٍ لعضّت علينا عامرٌ بالانامل
ولاستيقنتْ عليا هوازن اننا سنوطئها في دارها بالقبائلِ
ولكنّني لا ابسّ الحرب ظالمًا ولو هجتُها لم ألفَ شحمة آكلِ

(قال) فتنحّى الحرث بن ظالم عن بني زرارة فلحق بعروض اليمامة. ودعا حاجب معبدًا ولقيطًا ابني زرارة فقال: سيرا في الظعن فموعدكما رحرحان فانّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر. وخرج عامر بن مالك الى قومه بالخبر. فقالوا: ما ترى. قال: أن ندعهم بمكانهم ونسبقهم الى الظعن. (قال) فلقوها برحرحان. فاقتتلوا قتالًا شديدًا فاصابوها وأُسر معبد وجُرح لقيط. فبعثوا بمعبد الى رجل بالطائف كان يعذّب الاسرى. فقطعهُ اربا اربًا حتى قتلهُ. وقال عمرو بن مالك يردّ على حاجب قولهُ:

أ لكنني الى الزراري حاجب ... رئيس تميم في الخطوب الاوائل
وفارسها في كل يوم كريهة ... وخير تميم بين حافٍ وناعل
لعمري لقد دافعت عن حيّ مالك ... سبائب من حربٍ تلقح حائل
على كل جرداء السُراء طمرّةٍ ... وأجردِ خوّار العنان مناقل
نصحت له اذ قلت ان كنت لاحقًا ... بقوم فلا تعدل بابناء وائل
ولو ألجأته عصبة تغلبيّة ... لسرنا اليهم بالقنا والقنابل
ولو رمتمُ أن تمنعوهُ رأيتمُ ... هناك امورًا غيُّها غير طائل
لشاب وليد الحيّ قبل مشيبهِ ... وعضّت تميمٌ كلها بالانامل
وقامت رجال منكمُ خندفية ... ينادون جهرًا ليتنا لم نقاتل

فلما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هاربًا حتى اتى صديقًا له من كندة يحلُّ شعبي . فلما ألحّ الاسود في طلب الحرث قال له الكنديُّ : ما أرى لك نجاة الّا ان أُلحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل اليك . فسار معهُ يومًا وليلة فلما غرّبه قال : انني انقطع ببلاد اليمن فاغترب بها وقد برئت منك خفارتي . فرجع حتى اتى ارض بكر بن وائل فلجأ الى بني عجل ابن لجين . فنزل على زبان . فأجاره وضرب عليه قبّة . وفي ذلك يقول العجليّ :

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالم ... فظلّ يغني آمنًا في خبائنا

(قال أبوعبيدة) فجاءتهُ بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا : أخرج هذا المشئوم من بين اظهرنا لا يغرّنا بشرّ فانا لا طاقة لنا بالمجا (١) . فأبت عجل ان تخفره : فقاتلوه فامتنعت بنو عجل . فقال الحرث بن ظالم في الكنديّ وفيهم :

---

(١) المجا كتيبة الاسود

يكلفني الكندي سير تنوفة أكابد فيها كل ذي ضبّة(١) مثري
واقبل دوني جمع ذهل كأنني خلاة لذهل والزعانف من عمرو
ودوني ركب من لجيم مصمم وزبان جاري والحفير على بكر
لعمري لا أخشى ظلامة ظالم وسعد بن عجل مجمعون على نصري

(قال أبوعبيدة) ثم قال لهم الحرث : اني قد شهر امري فيكم ومكاني وأنا راحل عنكم . فارتحل فلحق بطي . . فقال الحرث في ذلك :

لعمري لقد حلّت بي اليوم ناقتي الى ناصر من طي. غير خاذلِ
فأصبحت جارًا للمجرّة منهم على باذخ يعلو على المتطاولِ

(قال أبوعبيدة) وحدّثني أبو حيّة انّ الاسود حين قتل الحرث خالدًا سأل عن أمرٍ يبلغ منهُ . فقال لهُ عروة بن عتبة : انّ لهُ جارات من بلى بن عمرو ولا أراك تنال منهُ شيئًا أغيظ لهُ من اخذهنّ وأخذ أموالهنّ . فبلغ ذلك الحرث فخرج في الحين فانساب في غُمار النـاس حتى عرف موضع جاراتهِ ومرعى ابلهنّ . فأتى الابل فوجد حالبَين يحلبان ناقة لهنّ يقال لها اللفاع وكانت لبونًا كاغزر الابل اذا حلبت اجترّت ودمعت عيناها وأصغت برأسها وتفاجّت وهجمت في المحلب هجمًا حتى تسنّمهُ وتجاوبت احاليلها (٢) بالشخب هشا وهشيمـا حتى تُصفّ بين ثلاثة محالب . فصـاح الحرث بهما ورجز فقـال :

اذا سمعتِ حنّة اللِفاع فادعي أبا ليـلى ولا تراعي
ذلك راعيكِ فنعمَ الراعي يُجيبك رحب الباع والذراعِ
منطقًا بصارم قطاعِ

(١) الضبّة قطعة من الغنم او بقية منها (٢) الاحليل مخرج اللبن من الثدي

خلّيا عنها . فعرفاه فصرخ البائن (١) . ثم عمد الحرث الى اموال جاراتهِ والى جاراتهِ فجمعهنَّ وردَّ اموالهنَّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنَّ (٢) ولحق الحرث ببلاد قومهِ مختفيًا . وكانت اختهُ سلمى بنت ظالم عند سنان بن أَبي حارثة المرّي . (قال ابوعبيدة) وكان الاسود بن المنذر قد تبنّى سنان بن أَبي حارثة للمرّي ابنهُ شرحبيل . فكانت سلمى امرأة سنان بن أَبي حارثة المرّي ترضعهُ وهي أم هرم . وكان هرم غنيًا يقدر على ما يعطي سائليهِ . فجاء الحرث وكان قد اندسَّ في بلاد غطفان فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان وهم تزول بالشَربَّة . فأتى بهِ سلمى بنت ظالم فقال : يقول لكِ بعلك ابعثي بابن الملك مع الحرث حتى استأمن لهُ ويتخفر بهِ . وهذا سرجهُ آية اليكِ . فزيّنتهُ ثم دفعتهُ الى الحرث . فأتى بالغلام ناحية من الشربة فقتلهُ ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمعا أَخبركما اذ سألتما ... محارب مولاهُ وثكلان نادمُ (٣)
أَ نَعلَي حمارٍ بات يكدم نجمةً ... أَ تؤكل جاراتي وجارك سالمُ
غنيتهُ جهرًا على غير ريبةٍ ... أَحارث ظلمًا انما انتَ حالمُ
فان تكُ أذواد أُصبنَ ونسوةٌ ... فهذا ابن سلمى رأسهُ متفاقمُ
علوت بذي الحيّات مفرق رأسهِ ... وكان سلاحي تحتويهِ الجماجمُ
فتكت بهِ كما فتكت بخالد ... ولا يركب المكروه الّا الا كارمُ

---

(١) قال الاثرم : البائن الحالب الايمن . والمستعلي الحالب الايسر

(٢) اي انقذهنَّ

(٣) «ثكلان نادم» يعني الاسود لانهُ قتل ابنهُ شرحيل . «محارب مولاه» يعني الحرث نفسهُ . «مولاه» يعني سنان

بدأت بتلك واثنيت بهـذهِ وثالثة تبيضُ منها المقادمُ (١)
شفيت عليك الصدر منهُ بضربة كذلك يأبى المغضبون القماقمُ

(قال أبوعبيدة) وهرب الحرث . فغزا الاسود بني ذبيان اذ نقضوا العهد وبني اسد بشطّ أريك (٢) لدفع الاسدية سلمى ابنهُ الى الحرث . فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق أموالهم . وفي ذلك يقول :

وشيوخ صرعى بشطَّي أريك ونسـاء كأنهنَّ السعالي
من نواصي دودان اذ نقضوا العهد م وذبيان والهجـان الغوالي
ربَّ وفد هرقتـهُ ذلك اليوم م وأسرى من معشر أقتـالِ
هؤلاء ثم هؤلاء كلاً آحذيت م نعـالاً محـذوة بمثـال
وأرى من عضاك اصبح مخذولاً م وكعب الذي يطيعك عالي

(قال) ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ وهو من الشربة في بني محارب بن حفصة بن قيس عيلان . (قال) فأحمى لهم الاسود الصفا التي بصحراء اضاخ وقال لهم : اني أحذيكم نعالاً . فامشاهم على الصفا المُحمى . فتساقط لحم

---

(١) ففي ذلك يقول عقيل بن علفة في الاسلام (وهو من بني يربوع بن غيظ ابن مرَّة) لما هاجى شبيب بن البرصاء وابوهُ يزيد وهو من بني نشبة بن غليظ بن مرَّة ابن عمّ سنان بن آبي حارثة . فيعيرهُ بقتل الحرث بن ظالم شرحبيل لانهُ ربيب بني حارثة فعيرهُ نشبة بن غيظ رهط شبيب ففي ذلك يقول عقيل :

قتلنـا شرحيلاً ربيب ابيكمُ بناحية المنلوب ضاحيـة غضبا
فلا تنكروا ان يغمز القوم جاركم باحدى الدواهي ثم لم تطلموا نقبا

(٢) هما اريكان الاسود والابيض . ولا يدرى بأيّهما كانت الوقعة

أقدامهم (١)

(قال ابوعبيدة) وأخذ الاسود سنان بن أبي حارثة . فأتاهُ الحرث بن سفيان أحد بني الصادر وهو الحرث بن سفيان بن مرّة أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاريّ لامّهِ فاعتذر الى الاسود ان يكون سنان بن أبي حارثة علم او اطّلع . ولقد كان اطرد الحرث من بلاد غطفان وقال : عليَّ دية ابنك الف بعير دية الملوك . فحمّلها اياه وخلّى عن سنان . فأدّى الى الاسود منها ثمانمائة بعير . ثم مات . فقال سيار بن عمرو اخوه لامّهِ : انا اقوم بما بقي مقام الحرث بن

---

(١) فلما كان الاسلام قتل جوشن الكنديّ رجلًا من بني محارب فأُقيد بهِ جوشن بالمدينة. وكان الكندي من رهط عباس بن يزيد الكندي فهجا بني محارب فعيرهم بتحريق الاسود اقدامهم فقال :

على عهد كسرى تملّكتم ملوكنا   صفا من أضاخ حاميًا يتلهّبُ

(قال ابو عبيدة) وصار ذلك مثلًا يتوعد بهِ الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل ذلك . ومن ذلك ان ابن عتاب الكلبيّ ورد على بني النوس من جديلة طيّ . فسرقوا سهامًا لهُ . فقال يحذرهم :

بني النوس ردُّوا أسهمي ان اسهمي   كنعل شرحبيل الذي في محاربِ

وقال في الجاهلية ابن ام كهف الطائي في مدحهِ لمالك بن حماد الشمخي فذكر نعل شرحبيل فقال :

ومولاك الذي قتل ابن سلمى   علانية شرحبيل بن نعلِ

لانهُ لولا النعل لم يُعرف وانما عرف بما صنع ابوه ببني محارب من اجل نعله التي وُجدت في بني محارب

سفيان . فلم يرضَ بهِ الاسود . فرهنهُ سيار قوسهُ . فأدَّى البقيَّة (١)

(قال ابوعبيدة) فلما قتل الحرث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ الى بني ضمرة . (قال) وبنو عبد الله بن دارم يقولون : بل جاور معبد بن زرارة فأجارهُ . فجرَّ جوارهُ يومَ رحرحان وجرَّ يومُ رحرحان يومَ جبلة . وطلبهُ الاسود بن المنذر بخفرتهِ . فلما بلغهُ نزولهُ ببني دارم ارسل فيهِ اليهم أن يسلموه . فأبوا . فقال عمرو على بني قطن بن نهشل بن دارم بما كان من النعمان بن المنذر في أمر بني

---

(١) فلما مدح قراد بن حبش الصادري بني فزارة جعل الحمالة كلها لسيار ابن عمرو فقال :

ونحن رهنَّا القوس ثمت فُوديت ... بألف على ظهر الفزاريّ أقرعا
بعشر ملوك للملوك سفالها ... ليوفي سيار بن عمرو فاسرعا
رمينا صفاهُ بالمئين فاصبحت ... ثناياهُ للساعين في المجد مهيعا

(قال) ويُقال بل قالها ربيع بن قعنب . فردَّ عليهِ قراد فقال :

ما كان تغلب ذي عاجٍ ليحملها ... ولا الفزاريّ جوفان بن جوفانِ
لكن تضمَّنها ألفًا فأخرجها ... على تكاليفها حارِ بن سفيانِ

وقال عويف القوافي بن عيينة في الاسلام يفخر على ابي منظور الوبري حين هاجاه أحد بني وبر بن كلاب :

فهل وجدتم حاملًا كحاملي ... اذ رهن القوس بألفٍ كاملِ
بديَّة ابن الملك الحلاحلِ ... فافتكَّها من قبل عامٍ قابلِ
سيار الموفي بها ذو النائلِ

رشية وهي رميلة (١) حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى استنقذهم.
فقال الاسود بن المنذر في ذلك :

كأيِّن لنا من نعمةٍ في رقابكم ... بني قطن فضلًا عليكم وأنعُما
وكم منَّةٍ كانت لنا في بيوتكم ... وقتل كريمٍ لم تعدُّوه مغرما
فانكمُ لا تمنعون ابن ظالمٍ ... ولم يمس بالايدي الوشيج المقوّما

فاجابهُ ضمرة بن ضمرة فقال :

سنمنع جارًا عائذًا في بيوتكم ... باسيافنا حتى يؤُوب مسلما
اذا ما دعونا دارمًا حال دونهُ ... عوابس يعلكن الشكيم المجما
ولو كنت حوّامًا وردت طويلعًا ... ولا حومة الّا خميسًا عرمرما
تركت بني مـاء السماء وفعلهم ... وأشبهت تيسًا بالحجاز مزنّما
ولن اذكر النعمان الّا بصالحٍ ... فانّ لهُ فضلًا علينا وأنعُما

(قال) وبلغ ذلك بني عامر فخرج الاحوص غازيًا لبني دارم طالبًا بدم أخيهِ خالد بن جعفر حين انطووا على الحرث وقاموا دونهُ. فغزاهم فالتقوا

---

(١) رشية امة كانت لزرارة بن عديّ بن زيد المشاجعي. فتزوج بها رجل من بني نهشل. فولدت لهُ الاشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرهما. وكان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلمة التي ولدت. فكانوا يُسمعونهُ ما يكره فيرجع الى ولده فيقول: اسمعني بنو عمّي خيرًا. وقالوا: سنبعث بهم اليك عاجلًا. حتى مات زرارة فقام لقيط ابنهُ بامرهم. فلما آتاهم أسمعوه ما كره ووقع بينهم شرّ. فذهب النهشليُّ الى الملك فقال: ابيت اللعن لا تصلني وتصل قومي بافضل من طلبتك الى لقيط الغلمة لتكفّ عني. فدعاه فشرب معهُ ثم استوهبهم منهُ فوهبهم لهُ. فقال الاسود بن المنذر في ذلك ما قال

برحرحان فهزمت بنو دارم وأسر معبــد بن زرارة فانطلقوا بهِ حتى مات في أيديهم . وحديثــهُ في يوم رحرحان يأتي بعد . ثم أسر بنو هزان الحرث ابن ظالم

يوم رحرحان (*)

قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن الحبيب عن أبي عبيدة قال : كان من خبر رحرحان الثاني ان الحرث بن ظالم المرّي لما قتل خالد ابن جعفر بن كلاب غدرًا عند النعمان بن المنذر بالحيرة هرب فأتى زرارة بن عدس فكان عندهُ . وكان قوم الحرث قد تشاءموا بهِ فلاموه وكره ان يكون لقومهِ زعم عليــهِ (١) فلم يزل في بني تميم عند زرارة حتى لحق بقريش . وكان يقــال ان مرّة بن عوف من لؤيّ بن غالب . وهو قول الحرث بن ظالم ينتمي الى قريش :

رفعت السيف اذ قالوا قريش   وبيَّنت الشمائل والعتــابا
فما قومي بثعلبــة بن سعدٍ   ولا بفزارة الشعر الرقابا

وأتاهم لذلك النسب . فكان عند عبد الله بن جدعان . فخرجت بنو عامر الى الحرث بن ظالم حيث لجأ الى زرارة وعليهم الاحوص بن جعفر والتقوا برحرحان واسر يومئذٍ معبد بن زرارة اسرهُ عامر بن مالك واشترك في اسرهِ طفيل

(*) رحرحان اسم جبل قريب عكاظ خلف عرفات . قيل هو لغطفان . وكان فيهِ يومان للعرب اشهرهما الثاني

(١) الزعم المنّة

ابن مالك ورجل من غني يقال له أبو عمية وهو عصمة بن وهب وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة . وكان معبد بن زرارة أغار على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رجب وكانت مضر تدعوه الاصمّ لانهم كانوا لا يتنادون فيه : يا لفلان ويا لفلان ولا يتغازون ولا يتنادون فيه بالثارات . وهو ايضاً مُنصِل الألّ (والأل الاسنَّة . كانوا اذا دخل رجب انصلوا الاسنة من الرماح حتى يخرج الشهر) . وسأل لقيط عامراً أن يطلق أخاه . فقال : اما حصَّتي فقد وهبتها لك ولكن أرضِ أخي وحليفي اللذين اشتركا فيهِ . فجعل لقيط لكلّ واحد مائة من الابل . فرضيا وأتيا عامراً فاخبراه . فقال عامر للقيط : دونك أخاك فاطلق عنهُ . فلما أُطلق فكر لقيط في نفسهِ فقال : اعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليَّ بعد ذلك . لا والله لا أَفعل ذلك . ورجع الى عامر فقال : انَّ أَبي زرارة نهاني ان أزيد على مائة دية مُضَر . فان أنتم رضيتم اعطيتكم مائة من الابل . فقالوا : لا حاجة لنا في ذلك . فانصرف لقيط . فقال لهُ معبد : مالي يخرجني من أيديهم . فأبى ذلك عليهِ . فقال : اذا يقتسم العرب بني زرارة . فقال معبد لعامر بن مالك : ياعامر أنشدك الله لما خلَّيت سبيلي فانما يريد ابن الحمراء ان ياكل كل مالي . ولم تكن امهُ ام لقيط . فقال لهُ عامر : أبعدك الله ان لم يشفق عليك اخوك فانا أحقُّ ان لا اشفق عليك . فعمدوا الى معبد فشدّوا عليهِ القدّ وبعثوا بهِ الى الطائف . فلم يزل بهِ حتى مات . فذلك قول شريح بن الاحوص :

لقيط وانت امروءٌ ماجد ولكنَّ حلمك لا يهتدي
ألمَّا امنت وساغ الشراب م واحتلّ بيتك في ثهمدِ
رفعت برجليك فوق الفراش م تهدي القصائد في معبدِ

واسلمتهُ عند جدّ القتال ... وتبخل بالمـال ان يفتدي

وقال في ذلك عوف بن عطيَّة بن الجزع التيمي يعيّر لقيط بن زرارة :

هلاَّ فوارس رحرحان هجرتهم ... عشرًا تناوح في سرارة وادِ

لا تاكل الابل الفراث نباتهُ ... ما ان يقوم عمادهُ بعمـادِ

هلاَّ كررت على اخيك معبد ... والعـامري يقودهُ بصفـادِ

وذكرت من لبن المحلّق شربةً ... والخيل تعدو بالصفاح بدادِ (١)

لو كنت اذ لا يستطيع فديتهُ ... بهجـان آدم طارف وتـلادِ

لكن تركتـهُ في عميق قعرها ... جزرًا لخامعـةٍ وطير عوادِ

لو كنت مستحيًا لعرضك مرَّةً ... قاتلـتَ او لفديت بالازوادِ

وفيها يقول نابغة بني جعدة :

هلاَّ سألت بيومَي رحرحان وقد ... ظنَّت هوازن انَّ القرّ قد زالا

وفيهـا يقول مقدام اخو عدس بن يزيد في الاسلام وقتلت بنو طهية ابنـًا للقعقاع بن معبد فتنادوا فاجابت بنو طهية منهم الفضل :

وأنتم بني ماء السماء رغمتمُ ... ومات أبوكم يا بني معبد هزلا

وقال المخبل السعدي يذكر معبدًا :

فان تكُ نالتنا كليب بقرَّة ... فيومك فيهم بالمصيفة أبردُ

همُ قتلوا يوم المصيفة مالكًا ... وشاط بايديهم لقيطٌ ومعبدُ

وفيهما يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيد في الاسلام :

---

(١) بداد متفرقة . والصفاح موضع . والمحلق موسومة بحلق على وجوهها . يقول ذكرت لبنها يعني ابلهُ

ونحن أسرنا معبداً يوم معبدٍ فما افتكَّ حتى مات من شدّة الاسرِ
ونحن قتلنا بالصفا بعد معبدٍ أخاهُ باطراف الردينيَّـة السمرِ

هرب الحرث بن ظالم ومقتله

قال ابوعبيدة : خرج الحرث من عند بني دارم فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحيةٍ من بلاد ربيعة ووضع سلاحهُ وهو في فلاة ليس فيها أحد ونام . فمرَّ بهِ نفرٌ من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عنزة وهو نائم . فاخذوا فرسهُ وسلاحهُ . ثم أوثقوه . فانتبه وقد شدّوه ولم يملك من نفسهِ شيئاً . فسألوه : من أنت . فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر . فضربوهُ ليقتلوه على ان يخبرهم من هو . فلم يفعل . فاشتراه القيسيُّون من الهزانيّين بزقّ خمر وشاة(١) . ثم انطلقوا بهِ الى بلادهم فقالوا لهُ : من أنت وما حالك . فلم يخبرهم . فضربوه ليموت . فأبى . (قال) وهو قريب من اليمامة . (قال) فبينما هم على تلك الحال وهم يريعونهُ ضرباً مرَّةً وتهدداً اخرى وليناً مرَّة ان يخبرهم بحالهِ وهو يأبى حتى ملّوه فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً فتوجه نحو اليمامة وهو قريب منهُ . فلقي غلمة يلعبون . فنظر الى غلام منهم اخلقهم للخير عنده فقال : من أنت . قال : أنا بجير بن أبجر العجليّ . ولهُ ذؤَابة يومئذٍ وأُمُّهُ امرأَة قُتادة بن مسلمة الحنفي . فأتاه وأخذ بحقويهِ والتزمهُ وقال : انا لك جار . فيقال انَّ عجلاً اجارتهُ في هذا اليوم لا في اليوم الاوَّل الذي ذكرناه في اول الحديث . فأتى الغلام

---

(١) ويقال اشتراهُ رجل من بني سعد بافلاق بكرة وعشرين من الشاء

اباه فأخبرهُ واجاره وقال: ائت عمَّك قتادة بن مسلمة الحنفيّ فاخبرهُ. فأتى قتادة فاخبرهُ فاجارهُ

(قال ابوعبيدة) وأما فراش فزعم انهُ أفلت من بني قيس فاقبل شدًّا حتى اتى اليمامة. وتبعوهُ حتى انتهى الى نادي بني حنيفة وفيهِ قتادة بن مسلمة. فلما رأوهُ يهوي نحوهم قال: انَّ هذا لخائف. وبصر القومَ من خلفهِ فصاح بهِ: الحصنَ الحصن. فاقبل حتى ولج الحصن. وجاءت بنو قيس. فحال دونهُ وقال: لو اخذتموه قبل دخولهِ الحصن لا اسلمتهُ اليكم. فاما اذ تحرَّم بي فلا سبيل اليهِ. (قال) فقالوا: اسيرنا اشتريناه باموالنا وما هو لك بجار ولا تعرفهُ وانما أتاك هاربًا من أيدينا ونحن قومك وجيرتك. قال: امَّا ان اسلمهُ ابدًا فلا يكون ذلك ولكن اختاروا مني ان شئتم فانظروا ما اشتريتموه بهِ فخذوه مني. وان شئتم اعطيتهُ سلاحًا كاملًا وحملتهُ على فرس ودَعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينهُ ثم دونكموه. فقالوا: رضينا. فقال ذلك للحرث. فقال: نعم. فالبسهُ سلاحًا كاملًا وحملهُ على فرسهِ وقال لهُ: ان افلتهم فردّ اليَّ الفرس والسلاحُ لك. (قال) فخرج وتركوهُ حتى جاز الوادي ثم اتبعوه ليأخذوه. فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير وهو قريب من اليمامة أيضًا بينهما أقلّ من يوم. فلما صار الى بلاد بني قشير يئسوا منهُ فرجعوا عنهُ. وعرفهُ بنو قشير فاطوا عليهِ وأكرموه وردّ الى قتادة بن مسلمة فرسه وارسل اليهِ مائة من الابل لا أدري أأعطاه اياها بنو قشير من أموالهم ليكافئ بها قتادة أم كانت لهُ. لم يفسر ابوعبيدة أمرها ولا سألتهُ عنها. فقال الحرث بن ظالم في ابني حلاكة (١) وهما من الذين باعوهُ من القيسيين. وفيما كان من امره:

(١) قال ابو عبيدة: ويُقال اسرهُ راعيان من بني هزان يقال لهما ابنا حلاكة

أبلغ لديك بني قيس مغلغلة ... اني اقتسم في هزّان ارباعا
ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن ... وباع ذو آل هزّان بما باعا
يا ابني حلاقة لمَّا تأخذا ثمني ... حتى اقسم افراسًا وادراعا
قتادة الخير نالتني حذيّتهُ ... وكان قدمًا الى الخيرات طلاَّعا

وقال في ذلك ايضًا :

همّت عكابة ان تضيم لجيّمًا ... فأبت لجيم ما تقول عكابهْ
فاسقي بجيرًا من رحيق مدامة ... واسقي الخفير وطهّري اثوابهْ
جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر ... كلاًّ وجدنا أربيــاء ذؤابهْ

وزعم ابو عبيدة ان الحرث لما هزمت بنو تميم يوم رحرحان مرَّ برجل من بني أسد بن خزيمة . فقال: يا حارِ انك مشئوم وقد فعلت ما فعلت فانظر اذا كنت بمكان كذا وكذا من برقة رحرحان فان لي بهِ جملًا أحمر فلا تتعرض لهُ . وانما يعرّض لهُ ويكره ان يصرّح فيبلغ الاسودَ فياخذهُ . فلما كان الحرث بذلك المكان اخذ الجمل فنجا عليهِ . واذا لا يساير من امامهُ ولا يسبق من وراءه . فبلغ ذلك الاسودَ فاخذ الاسودُ الاسديَّ وناسًا من قومهِ وبلغ ذلك الحرث ابن ظالم فقال كأنهُ يهجوهم لئلاَّ يتهمهم الاسودُ :

أراني الله بالنعم المبدّى ... ببرقة رحرحان وقد أراني
لحيّ الانكدين وحيّ عبس ... وحيّ نعــامة وبني غدانِ

(قال) فلما بلغ قولهُ الاسود خلَّى عنهم ولحق الحرث بمكة وانتمى الى قريش . وذلك قولهُ :

وما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي ان سألتَ بنو لؤيٍّ ... بمكَّة علّموا مضر الضرابا

(قال) فزوّده وحمله رواحة الجمحي على ناقة . فذلك قوله :

وهشّ (١) رواحة الجمحيّ رحلي ... بناجيـة ولم يطلـب ثوابا
كأنّ الرحل والأنسـاع فيها ... ومبترتي كُسـينَ أقبّ جابا

(قال) فلحق الحرث بالشام بملك من ملوك غسان يقال النعمان ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني فأجاره . وكانت للملك ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وصرّة ملح . وانما يختبر بذلك رعيته هل يجترئ عليـه أحد منهم . ومع الحرث امرأتان . فوحمت احدى امرأتيه . (قال ابو عبيدة) واصابت الناس سنة شديدة . فطلبت الشحم اليـه . قال : وانّى لي بالشحم . فألحّت عليه . فعمد الى الناقة فادخلها الى بطن وادٍ فلبّ في سَبَلتها (٢) . فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عُكّتها . (قال) وفقدت الناقة فوجدت نحيرًا لم يؤخذ منها الّا السنام . فأعلموا ذلك الملك وخفي عليهم مَن فعـله . فارسل الى الخِمس التغلبيّ وكان كاهنًا فقال : من نحر الناقة . فذكر ان الحرث نحرها . فتذمّم الملك وكذّب عنه . فقال : ان اردتَ تعلم علم ذلك فدسّ امرأة تطلب الى امرأته شحمًا . ففعل . فدخل الحرث وقد أخرجت امرأتهُ اليها شحمـًا فعرف الرأي فقتلهـا ودفنها في بيته . فلما فقدت المرأة قال الخمس : غالها ما غال الناقة فان كره الملك ان يفتشهُ عن ذلك فليأمر بالرحيل فاذا ارتحل بحث بيتهُ . ففعل واستأثر الخمس مكان بيته . فوثب عليه الحرث فقتلهُ . فأخذ الحرث فحبس . فاستسقى ماء فأتاه رجل بماء فقال : أتشرب . فانشأ الحرث يقول :

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي ... وقد حيل دون الميش هل أنت شاربُ

---

(١) يروى حشّ وهشّ وهما لغتان . وحشّ سوّى (٢) اي طعن

وددت باطراف البنان لو أنني   بذي أرونا ترمي وراني الثعالبُ(١)

(قال) فأمر الملك بقتلهِ . فقال: انك قد اجرتني فلا تغدرني . فقال: لا ضير ان غدرت بك مرّة فقد غدرت بي مرار . فأمر مالك بن الخمس التغلبيّ ان يقتلهُ بابيهِ . فقال: يا ابن شرّ الاطماء أنت تقتلني . فقتلهُ . وقال ابن الكلبيّ: لما قام ابن الخمس الى الحرث ليقتلهُ . قال: من أنت . قال: ابن الخمس . قال: أنت ابن شرّ الاطماء . قال: وانت ابن شرّ الاسماء . فقتلهُ

واخذ ابن الخمس سيف الحرث بن ظالم المعلوب فأتى بهِ سوق عكاظ في الحرم . فجعل يعرضهُ على البيع ويقول: هذا سيف الحرث بن ظالم . فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة . فاراه اياه . فعلاه بهِ حتى قتلهُ في الحرم . فقال قيس بن زحك يرثي الحرث بن ظالم:

ما قصرت من حاضن ستر بيتها   أبرّ وأوفى منك حار بن ظالمِ
أعزّ وأحمى عند جار وذمـةٍ   وأضرب في كأب من النقع قاتمِ

هذه رواية أبي عبيدة والبصريّين . وأما الكوفيون فانهم يذكرون ان النعمان بن المنذر هو الذي قتلهُ

اخبرني بذلك علي بن سليمان الاخفش قال: حدثنـا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل قال: لما هرب الحرث الى مكة أسف النعمان بن المنذر على فوتهِ اياه . فلطف لهُ وراسلهُ واعطاه الامان واشهد على نفسهِ وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن انهُ لا يطلبهُ بذَحْل ولا يسوءهُ في حال . وارسل بهِ مع جماعة ليسكن الحرث اليهم . وأمرهم ان يتكلفوا لهُ

---

(١) الثعالب من مرّة وهم رماة . أرونا مكان . وقال مرّة اخرى: الثعالب بنو ثعلبة . يقول كانوا يرمون عني ويقومون بامري

بالوفاء ويضمنوا لهُ عنهُ انهُ لا يهيجهُ . ففعلوا ذلك . وسكن اليهِ الحرث فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل فقال للحاجب : استأذن لي . والناس يومئذٍ عند النعمان متوافرون . فاستأذن لهُ . فقال النعمان : ائذن لهُ وخذ سيفهُ . فقال لهُ : ضع سيفك وادخل . فقال الحرث : ولِمَ اضعهُ . قال : ضعهُ فلا بأس عليك . فلما ألحّ عليهِ وضعهُ ودخل ومعهُ الامان . فلما دخل قال : أنعم صباحاً أبيت اللعن . قال : لا أنعم الله صباحك . فقال الحرث : هذا كتابك . قال النعمان : كتابي والله ما انكرهُ انا كتبتهُ لك وقد غدرتَ وفتكت مراراً . فلا ضير ان غدرتُ بك مرّةً . ثم نادى : من يقتل هذا . فقام ابن الخمس التغلبيّ وكان الحرث فتك بابيهِ . فقال : أنا أقتلهُ . وذكر باقي الخبر في قصتهِ مع ابن الخمس ما ذكر أبو عبيدة

خبر الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة

وانما ذكر هنا لاتصالهِ بمقتل خالد بن جعفر ولانَّ فيما تناقضا من الاشعار اغاني صالح ذكرها في هذا الموضع . (قال أبو عبيدة) كان عمرو بن الاطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز . ولما بلغهُ قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر وكان خالد مصافياً لهُ غضب لذلك غضباً شديداً وقال : والله لو لقي الحرث خالداً وهو يقظان لما نظر اليهِ ولكنهُ قتلهُ نائماً . ولو أتاني لعرف قدره . ثم دعا بشرابهِ ووضع التاج على رأسهِ ودعا بقيانهِ فتغنينَ لهُ :

عَلِلاني وعَلِلا صاحبيَّا ... واسقياني من المروّق ريّا
وفتًى يضرب الكتيبة بالسيف ... م اذا كانت السيوف عصيّا

اننا لا نسر في غير نجد ان فينا بها فتى خزرجيا
يدفع الضيم والظلامة عنها فتجافي عنهُ لنا يامنيا
أبلغ الحرث بن ظالم الرعديد م والناذر النذور عليا
انما يقتل النيام ولا يقتل م يقظانَ ذا سلاح كميا
ومعي مشتكي معابل كالجمر م وأعددت صارماً مشرفيا
لوهبطت البلاد أنسيتك القتل م كما ينسى النسيُّ النسيا

(قال) فلما بلغ الحرث شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً. فسار حتى ديار بني الخزرج ثم دنا من قبَّة عمرو بن الاطنابة ثم نادى: أيها الملك أغثني فاني جار مكثور وخذ سلاحك. فاجابهُ وخرج معهُ حتى اذا برز لهُ عطف عليهِ الحرث وقال: انا أبو ليلى. فاعتركا مليًّا من الليل. وخشي عمرو ان يقتلهُ الحرث فقال لهُ ياحار اني شيخ كبير واني تعتريني سِنة. فهل لك في تأخير هذا الامر الى غد. فقال: هيهات ومَن لي بهِ في غد. فتجاولا ساعة. ثم القى عمرو الرمح من يدهِ وقال: ياحار ألم أُخبرك ان النعاس يغلبني. قد سقط رمحي فاكفف. فكفَّ. قال: أنظرني الى غد. قال: لا افعل. قال: فدعني آخذ رمحي. قال: خذه. قال: اخشى ان تعجلني عنهُ او تفتك بي اذا اردت أخذه. قال: وذمة ظالم لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذهُ. قال: وذمة الاطنابة لا آخذهُ ولا أُقاتلك. فانصرف الحرث الى قومهِ وقال مجيباً لهُ:

اعزفا لي بلذَّة قينتيا قبل ان يبكر المنون عليا
قبل ان يبكر العواذل اني كنت قدماً لامرهنَّ عصيا
ما أُبالي اذا اصطبحت ثلاثاً أرشيدًا حسبتني أم غويا
بعد ان لا اصرّ لله اثماً في حياتي ولا أخون صفيا

من سلاف كأنها دمُ ظبيٍ   في زجاج تخــالهُ رازقيّــا
بلغتنــا مقــالة المرء عمرو   فأنفنــا وكان ذاك بديــاً
قد هممنا بقتلــهِ اذ برزنا   ولقيناه ذا سلاح كمياً
غير ما نائم تعلّل بالحلم   م معدّاً بكفهِ مشرفيّــا
فمننّا عليــه بعد عــلوّ   بوفاء وكنت قدماً وفيّا
ورجعنا بالصفح عنهُ وكان   م المنُّ منّاً عليــهِ بعد تليّاً

يوم شِعْب جَبَلَة (*)

(قال ابو عبيدة) وأمّا يوم جبلة وكان من عظــام ايام العرب . وكان عظام ايام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم جبــلة ويوم ذي قار . وكان الذي هاج يوم جبلة انّ بني عبس بن بغيض حيث خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلذذين . فقال الربيع بن زياد العبسي أما والله لارمينّ العرب بحجرها . اقصدوا بني عامر . فخرج حتى نزل مضيقــاً من وادي بني عامر . ثم قال : امكثوا . فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحرث بن خلف

(*) جبلة هضبة حمراء بنجد بين الشُريف والشرَف . والشريف ماء لبني نُميّر والشرف لبني كلاب . وجَبَلَة جبل عظيم واسع لهُ شعب طويل لايرقى الجبل الّا من قبل الشعب . والشعب متقارب وداخلهُ متّسع وبهِ عرَينة بطن من بجيلة . وقال ابو زياد . جبلة هضبة طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة نصف يوم وليس فيها طريق الّا طريقان فطريق من قبل مطلع الشمس وهو اسفل الوادي الذي يجيءُ من جبلة وبهِ ماءة لعرينة يقال لها سلعة . وعرينة حيٌّ من بجيلة حلفاء في بني كلاب . وطريق آخر من قبل مغرب الشمس يسمّى الخليف . وليس الى جبلة طريق غير هذين

حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحرث . وكان العقد من بني عامر الى كعب بن ربيعة . فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس شأنكم جليل وذحلكم الذي يطلب منكم عظيم وأنا اعلم والله ان هذه الحرب أعزّ حرب ما حاربتها العرب قط ولا والله ما بدّ من بني كلاب فأمهلوني حتى استطلع طلع قومي . فخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا بني كلاب . فلقيهم عوف بن الاحوص فقال : ياقوم أطيعوني في هذا الطرف من غطفان فاقطعوهم واغنموهم لا تفلح غطفان بعده ابداً . ووالله ان تريدون على ان تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم اعداء . فأبوا عليه وانقلبوا حتى نزلوا على الاحوص ابن جعفر فذكروا لهُ من امرهم . فقال لربيعة بن شكل : أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك . قال : نعم . قال : قد والله أجزت القوم فانزلوا القوم وسطهم بجبوحة دارهم

وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي ان عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وارادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب . فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهيا الى الاحوص قد لم ينتبه . فقال قيس للربيع : انهُ لا حلف ولا ثقة دون ان انتمي الى هذا الشيخ . فتقدم اليه قيس فاخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام العائذ بك قتلتم أبي فما اخذت لهُ عقلًا ولا قتلت به احداً وقد تجيرنا . فقال الاحوص : نعم انا لك جار مما أجير منهُ نفسي . وعوف بن الاحوص عن ذلك غائب . فلما سمع عوف بذلك أتى الاحوص وعنده بنو جعفر فقال : يامعشر بني جعفر أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً وان كنت والله فيكم معصياً انهم والله لو لقوا بني ذبيان لولّوكم اطراف الاسنّة اذا نكهوا في أفواههم

بكلام فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البرغوث دماغهُ دمهُ . فأبوا عليهِ وحالفوهم . فقال رجل : لا أدخل في هذا الحلف (قال) وسمعت بهم حيث قرّ قرارهم بنو ذبيان فحشدوا واستمدّوا وخرجوا وعليهم حصن بن حذيفة ومعهُ الحليفان أسد وذبيان يطلبون دم حذيفة . وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون (١) في جمع من كندة . وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرباب عليهم يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عدس . وأقبل معهم كيسان بن عمرو ابن الجون في جمع عظيم من كندة وغيرهم . فاقبلوا عليهِ بوضائع كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة . وكان في الرباب رجل من اشرافهم يقال لهُ النعمان بن قهوس التيمي . وكان معهُ لواء من سار الى جبلة . وكان من فرسان العرب . ولهُ تقول دختنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذ :

فرَّ ابن قهوس الشجاع م بكفهِ رمح متلُّ
يعدو بهِ خاظي البضيع م كأنهُ سمع أزلُّ (٢)
أنك من تيم فدع غطفان ان ساروا وحلّوا
لا منك عدّهم ولا آباك ان هلكوا وذلّوا
فخر البغي بحدج ربتها م اذا الناس استقلّوا
لا حدجها ركبت ولا لرغاء فيها مستظلُّ

---

(١) الجون هو معاوية سمّي بذلك لشدَّة سوادهِ ابن آكل المرار الكندي

(٢) متلّ مستقيم يتلّ بهِ كل شيءٌ . الخاظي الشيءُ المكتنز . والسمع ولد الضبع والعسبار ولد الذئب من الكلبة

ولقد رأيت أباك وسط م القوم يبزو أو يجلُ (١)
متقلداً ربق الفرار (٢) م كأنهُ في الجيـد غلُّ

(قال) وكان معهم رؤساء بني تميم حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو بن عيينة والحرث بن شهاب وتبعهم غشاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة. فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قط مثلهُ أكثر كثرة. فلم تشك العرب في هلاك بني عامر. حتى مرّوا ببني سعد بن زيد مناة فقالوا لهم: سيروا معنا الى بني عامر. فقالت لهم بنو سعد: ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعم ان عامر بن صعصعة بن سعد. فقالوا: اما اذا ابيتم ان تسيروا معنا فاكتموا علينا. فقالوا: أمّا هذا فنعم. فلما سمعت بنو عامر مسيرهم اجتمعوا الى الاحوص ابن جعفر وهو يومئذٍ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيهِ وقد ترك الغزو. غير انهُ يدبّر أمر الناس وكان مجرّباً حازماً ميمون النقيبة. فاخبروه الخبر. فقال لهم الاحوص: قد كبرت فما استطيع ان اجيءَ بالحزم وقد ذهب الرأي مني. ولكني اذا سمعت عرفت فاجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليّ فاعرضوا عليّ آراءكم. ففعلوا. فلما اصبحوا غدوا عليهِ. فوُضعت لهُ عباءة بفنائهِ فجلس عليها ورفع حاجبيهِ عن عينيهِ بعصابة ثم قال: هاتوا ما عندكم. فقال قيس بن زهير العبسي: بات في كنانتي الليلة مائة رأي. فقال لهُ الاحوص: يكفينا منها رأي واحد حازم صليب مصيب هات فانثر كنانتك. فجعل يعرض كل رأي رآه حتى انفد. فقال لهُ الاحوص: ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد. وعرض الناس اراءهم حتى انفدوا. فقال: ما أسمع شيئاً

---

(١) يجلّ يلقط البعر

(٢) الفرار اولاد الغنم واحدها فرارة

وقد صرتم اليَّ . اجمعوا اثقالكم وضعفاءكم . ففعلوا . ثم قال : حملوا ظعنكم فحملوها . ثم قال : اركبوا . فركبوا وجعلوه في محفَّة . وقال : انطلقوا حتى تعلوا في اليمن فان ادركم أحد كررتم عليه وان أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أتوا وادي نجار ضحوة . فاذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الاحوص : ما هذا . قيل : هذا عمرو بن عبد الله بن جعدة قدم في فتيان من بني عامر يعدون بمن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حواياهنَّ . فقال الاحوص : قدّموني . فقدموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنعون . قال عمرو : أردتَ ان تفضحنا وتخرجنا هاربين من بلادنا ونحن أعزُّ العرب وأكثر عدداً وجلداً وأحدّ شوكة . تريد ان تجعلنا موالي في العرب اذ خرجت بنا هارباً . قال : فكيف افعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به فما الرأي . قال : نرجع الى شعب جبلة فنحرز النساء والضعفة والذراري والاموال في راسه ونكون في وسطه ففيه تمتل (١) . فان أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم . وان صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة فكنت في حرز وكانوا في غير حرز وكنت على قتالهم اقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي . فأين كان هذا حين استشرتُ الناس . قال : انما جاءني الآن . قال الاحوص للناس : ارجعوا . فرجعوا . ففي ذلك يقول نابغة بني جعدة :

ونحن حبسنا الحيّ عبساً وعامرًا لحسَّان وابن الجون اذ قيل أقبلا
وقد صعدت وادي نجار نساؤهم لاصعاد سير لا يرومون منزلا
عطفنا لهم عطف الضروس (٢) فصادفوا من الهضبة الحمراء عزًّا ومفضلا

---

(١) اي خصب وماء (٢) الضروس الناقة العضوض

فدخلوا شعب جبلة . ودخلت بنو عامر شعباً منهُ يقال لهُ مسلخ فحصنوا النساء والذراري والاموال في رأس الجبل وحلأُوا الابل عن الماء واقتسموا الشعب بالقداح والقرع بين القبائل في شكاياه . فخرجت بنو تميم ومعهم بارق (١) حيّ من الازد حلفاء يومئذٍ لبني نمير . فولجوا الخليف (٢) . وفيهِ يقول معقر ابن اوس بن حماد البارقي :

ونحن الايمنون بنو نمير يسير بنا امامهم الخليفُ

(قال) وكان معقر يومئذٍ شيخاً كبيرًا أعمى ومعهُ ابنة لهُ تقود بهِ جملهُ من أسفل من الناس فتخبرهُ وتقول : هولاء بنو فلان وهولاء بنو فلان . حتى اذا تناهى الناس قال : اهبطي لا يزال هذا الشعب منيعاً سائر هذا اليوم وهبط . وكانت كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذٍ حاملًا بعامر بن الطفيل . فقالت : ويلكم يا بني عامر ارفعوني فوالله ان في بطني لعزّ بني عامر . فصفُّوا القسيّ على عواتقهم ثم حملوها حتى اثووها بالقنّة (٣) . فزعموا انها ولدت عامرًا يوم فزع الناس من القتال . فشهدت بنو عامر كلّها جبلة الّا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر . وشهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رفاعة بن الحرث بن بهثة بن سليم . وكان لهم باس وحزم وعليهم مرداس بن أبي عامر وهو أبو العباس بن مرداس . وكانت بنو عبس بن رفاعة حلفاء بني عمرو بن كلاب . وزعم بعض بني عامر انّ مرداساً

---

(١) بارق هو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء . وسُمّي مزيقياء لانهُ كان يمزّق عليهِ كل يوم حُلّة

(٢) الخليف الطريق بين الشعبين شبه الزقاق

(٣) يقال قنة او قنان

كان مع اخواله وامه فاطمة بنت جلهمة الغنوية . وشهدتها غني وباهلة ناس من بني سعد بن بكر . وقبائل بجيلة كلها الّا قشيرًا لحربٍ كانت بين قيس وقومها . فارتحلت بجيلة فتفرّقت في بطون بني عامر . فكانت عادية من عامر ابن قراد بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت شحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلاب ويقال عمرو بن كلاب . وكانت عرينة من بجيلة في عمرو بن كلاب . وكانت بنو قيس كبة (لفرس يقال لها كبة) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت قينان في بني عامر بن ربيعة . وبنو قطيفة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب . ونصيب بن عبد الله بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب معهم يومئذٍ نفير من عكل . فبلغ جمعهم ثلاثين الفًا . وعمي على بني عامر الخبر فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم . وأقبلت تميم وأسد وذبيان ولفهم نحو جبلة . فلقوا كرب بن صفوان فقالوا لهُ : أين تذهب أتريد تنـذر بنا بني عامر . قال : لا . قالوا : فأعطنا عهدًا وموثقًا لا تفعل . فأعطاهم فخلّوا سبيلهُ . فمضى مسرعًا على فرس لهُ عُرْيٍ حتى اذا نظر الى مجلس بني عامر وفيهم الاحوص نزل تحت شجرة حيث يرونهُ . فارسلوا اليهِ يدعونهُ . قال : لست فاعلًا ولكن اذا رحلت فائتوا منزلي فان الخبر فيهِ . فلما جاءوا منزلهُ اذا فيهِ تراب في صرّة وشوكٌ قد كسر رؤوسهُ وفرق جهته واذا حنظلة موضوعة واذا وطب معلّق فيهِ لبن . فقال الاحوص : هذا رجل قد أُخذ عليهِ المواثيق ان لا يتكلم وهو يخبركم ان القوم مثل التراب كثرة وان شوكتهم كليلة وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب . فاصطبوه فاذا فيهِ لبن جبن قارص . فقال : القوم منكم على قدر حلاب اللبن الى ان يخزر . فقال رجل من بني يربوع . ويقال قالتهُ دختنوس بنت لقيط بن زرارة :

*

كرب بن صفوان بن شجنة لم يدع   من دارم احداً ولا من نهشل
أجعلت يربوعاً كقورة دائر   ولتحلفن بالله ان لم تفعل

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بحين :

ألا أبلـغ لديك جموع تيم   فبيتوا لن نهيجكم نياما
نصحتم بالمغيب ولن تغيبوا   علينـا انكم كنتم كراما
ولو كنتم مع ابن الجون كنتم   كمن أودى وأصبح قد ألاما

فلما استثبت بنو عامر باقبـالهم صعدوا الشعب وأمر الاحوص بالابل التي ظمئت قبل ذلك فقال اعقلوها كل بعير بعقالين يديه جميعاً . وأصبح لقيط والناس ترول به وكانت مشورتهم الى لقيط . فاستقبلهم جمل عوّد أجرب أحذّ اعصل كاشر عن انيابه . فقال الحزارة (١) من بني اسد أعقروه . فقال لقيط : والله لا يعقر حتى يكون محل أبي غداً . وكان البعير من عصافير (٢) المنذر التي أخذها قرّة بن زهير بن عامر بن سلمة بن قشير . ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيل وكان أعسر فقال :

أنا الغلام الاعسـرُ   الخير فيّ والشرُّ   والضرُّ فيّ اكثرُ

فتشاءمت بنو اسد وقالوا : ارجعوا عنهم واطيعونا . فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط الّا نفيرًا يسـيرًا منهم شاس بن أبي ليلى أبو عمرو بن شاس الشاعر ومعقل بن عامر بن موالكة المالكي . وقال النـاس للقيط : ما ترى . فقـال : أرى ان تصعدوا اليهم . فقال شاس : لا تدخلوا على بني عامر . فاني أعلم الناس بهم قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني فما رأيت قوماً

---

(١) الحازر الخائف

(٢) العصافير ابل كانت للملوك نجائب

قط أقلق بمنزل من بني عامر. والله ما وجدت لهم مثلاً الّا الشجاع فانهُ لا يقرّ في حجرهِ قلقاً وسيخرجون اليكم. والله لئن نمتم هذه الليلة لا تشعرون بهم الّا وهم منحدرون عليكم. فقــال لقيط: والله لندخلنّ عليهم. فأتوهم وقد اخذوا حذرهم. وجعل الاحوص ابنهُ شريحاً على تعبية الناس. فأقبل لقيط وأصحابهُ مدلـين فاسندوا الى الجبل حتى ذرّت الشمس. فصعد لقيط في الناس واخذ بجافتي الشِّعْب. فقالت بنو عامر للاحوص: قد أتوك. فقال: دعوهم حتى اذا انصفوا الجبل وانتشروا فيهِ قال الاحوص: حلّوا عقل الابل ثم أحدروها واتبعوا آثارها وليتبع كلّ رجل منكم بعيرهُ حجرين او ثلاثة. ففعلوا ثم صاحوا بهــا. فلم يفجإِ الناس الّا الابل تريد الماء والمرعى. وجعلوا يرمونهم بالحجــارة والنبل. وأقبلت الابل تحطم كل شيءٍ مرّت بهِ. وجعل البعــير يدهدي بصدرهِ كذا وكذا حجراً. وقد كان لقيط واصحابه معزوا منهم حين صنعوا بالابل ما صنعوا. فقال رجل من بني أسد:

زعمت انّ العير لاتقاتلُ بلى اذا مــا قعقع الرحائلُ
واختلف الهنديّ والذوابلُ وقالت الابطال من ينازلُ
بلى وفيها حسب ونائلُ

فانحطّ الناس منهزمين في الجبل حتى السهل. فلما بلغ النــاسُ السهلَ لم يكن لاحد همّة الّا ان ينهب على وجهه. فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم. فانهزموا شرّ الهزيمة. فجعــل رجل من بني عامر يومئذٍ يرتجز ويقول:

لم أرَ يوماً مثل يوم جبــلهْ يوم أتتنــا أسد وحنظله
وغطفــان والملوك أزفلــهْ نضربهم بقضب منتخله

لم تعد ان أفرش عنها الصقلهْ　　حتى حذوناهم حذاء الرفلهْ

وجعل معقل بني عامر يرتجز ويقول :

نحن سماة الخيل يوم جبلهْ　　بكل عضب صارم ومعبلة(١)

وهيكل نهدمهُ وهيكلهْ

وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكركروا الناس (٢) . وانقطع شريح ابن الاحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالاً شديدًا هناك . وجعل لقيط يومئذٍ وهو على برذون لهُ مجفف بديباج أعطاه اياه كسرى وكان أوّل عربيّ جفف يقول :

عرفتكم والدمع بالعين يكفْ　　لفارس اتلفتموهُ ما خلفْ

ان النشيل والشواء والزغفْ　　والقينة الحسناء والكاس الانفْ

وصفوة القدر وتعجيل اللففْ　　للطاعنين الخيل والخيل جففْ

وجعل لا يمرّ بهِ احد من الجيش الّا قال : أنت والله قتلتنا وشأمتنا . فجعل يقول :

ياقوم قد أحرقتموني باللومْ　　ولم اقاتل عامرًا قبل اليومْ

فاليوم اذ قاتلتهم فلا لومْ　　تقدّموا وقدّموني للقومْ

وقال شاس بن أبي ليلى يجيبهُ :

لكن انا قاتلتها قبل اليومْ　　اذ كنت لاتعصي اموري في القومْ

وجعل لقيط يقول : من كرّ فلهُ خمسون ناقة وجعل يقول :

---

(١) المعبلة السهم اذا كان نصلهُ عريضاً فهو معبلة والرقيق القطبة

(٢) يعني ردّوهم

أكلكم يزجركم رحب هلا ولن تروه الدهر الّا مقبلا
يحمل زغفًا وربيبًا جحفلا وسائلًا في اهلهِ ما فعلا

وجعل يقول ايضًا:

أشقر ان لم تتقدم تنحرِ وان تأخر عن هياج تعقر

ثم عاد يقول:

ان الشواء والنشيل والزغف

فأجابهُ شريح بن الاحوص:

ان كنت ذا صدق فاقحمهُ الجرفْ وقرّب الاشقر حتى تعترفْ
وجوهنا انًا بنو البيض العطف

وبينهُ وبينهُ جرف منكر. فضرب لقيط فرسهُ وأقحمهُ عليهِ الجرف. فطعنهُ شريح. وقد اختلفوا في ذلك. فذكروا ان الذي طعنهُ جزء بن خالد بن جعفر. وبنو عقيل تزعم ان عوف بن المنتفق العقيلي قتلهُ يومئذٍ وأنشأ يقول:

ظلت تلوم لما بها عرسي جهلًا وأنتِ حليمة أمسِ
ان تقتلوا بكري وصاحبه فلقد شفيت بسيفي نفسي
فقتلتهُ في الشعب وافرسي في الشرق قبل ترحل الشمسِ

فزعموا ان عوفًا هذا قتل يومئذٍ ستة نفر وقُتل ابن لهُ وابن أخ لهُ. وأما العلماء فلا يشكون ان شريحًا قتلهُ وارتُثّ (١) وبهِ طعنات. فبقي يومًا ثم مات. فجعل لقيط يقول عند موتهِ:

---

(١) الارتثاث ان يُحمل وهو مجروح. فان حمل ميتًا فليس بمرتث

يا ليت شعري عنكِ دختنوسُ(١) اذا أتاكِ الخبر المرسوسُ
أتحلق القرون ام تميسُ لا بل تميس انها عروسُ

وجعلت بنو عامر يضربونهُ وهو ميت. فقالت دختنوس:

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى(٢)

وقتل يومئذٍ قريظ بن معبد بن زرارة وزيد بن عمرو بن عدس قتلهُ الحرث ابن الابرص

(قال) وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية وكانت عند مالك بن خفاجة. فحمل معاوية بن خفاجة أبي مالك على معاوية بن يزيد فقتلهُ واستنقذ كبشة. وقال: يا بني عامر انهم يموتون. وقد كان قيل لهم انهم لا يموتون. ونزل حسَّان بن عامر بن الجون وصاح: يا آل كندة. فحمل عليهِ شريح بن الاحوص. فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال لهُ حوشب. فضربهُ شريح بن الاحوص في رأسهِ فانكسر السيف فيهِ. فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رغب الناس مكانهُ. وشدَّ طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسَّان بن الجون. وشدَّ عوف بن الاحوص على معاوية ابن الجون فأسرهُ وجزَّ ناصيتهُ واعتقهُ على الثواب. فلقيتهُ بنو عبس فأخذهُ قيس بن زهير فقتلهُ. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي. فاحيوه أو ائتوني بملك مثلهُ. فتخوَّفت بنو عبس شرَّهُ وكان مهيباً فقالوا: أمهلنا. فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونهُ على عوف. فقال: دونكم سلمى

---

(١) دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت امرأة عمرو بن عمرو بن عدس

(٢) اطلب هذه القصيدة وغيرها من رثاء دختنوس لاخيها في الصفحة ١٦٩ من ديوان الخنساء المطبوع حديثاً

ابن مالك فانهُ نديمهُ وصديقهُ . وكانا مشتبهين أحويين أشعرين ضخمة انوفهما . وكان في سلمى حياء . فقال : سأكلم لكم طفيلاً حتى ياخذ اخاهُ فانهُ لا ينجيكم من عوف الّا ذاك . وأيم الله ليأتينَّ شحيحاً . فانطلقوا اليهِ فقال طفيل : قد أتوني بك ما اعرفني بما جئتم لهُ . اتيتموني تريدون مني ابن الجون تقيدون بهِ من عوف . خذوه . فاعطاهم اياه . فأتوه فجزّ ناصيتهُ واعتقهُ . فسمي الجزّاز . فذلك قول نافع بن الخنجرة في الاسلام :

قضينا الجون عن عبس وكانت صنيعة معبدٍ فينا هزالا

(قال) وشهدها لبيد بن ربيعة وهو ابن تسع سنين . يُقال انهُ كان ابن بضع عشرة سنة . وعامر بن مالك يقول لهُ : اليوم يتمت من لبيك ان قتل اعمامك . وقتل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية وُجد مقتولاً بين ظهراني صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال هو ومعاوية الضباب بن كلاب

ذكروا ان الطفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال : ويلكم وأين نعم هولاء . فأغار على نعم عمرو واخوتهُ وهم من بني عبد الله بن غطفان . ثم من بني الثرماء . فاستاق الف بعير . فلقيهُ عبيدة بن مالك فاستجداه . فاعطاه مائة بعير وقال : كاني بك قد لقيت ظبيان بن مرّة بن خالد فقال لك اعطاك من الفهِ مائة فجئت مغضباً . فلقي عبيدة ظبيان . فقال لهُ : كم أعطاك . قال : مائة . فقال : أمائة من الف . فغضب عبيدة . (قال) وذكر ان عبيدة تسرّع يومئذٍ الى القتال . فنهاه اخواه عامر وطفيل ان يفعل حتى يرى مقاتلاً . فعصاهما وتقدّم . فطعنهُ رجل منهم في كتفهِ حتى خرج السنان من فوق ثديهِ . فاستمسك فيهِ السنان . فأتى طفيلاً فقال لهُ : دونك السنان فانزعهُ . فأبى ان يفعل ذلك غضباً . فأتى عامرًا . فلم ينزعهُ منهُ غضباً . فاتى سالم بن

مالك . فانتزعهُ . وأُلقي جريحًا مع النساء حتى فرغ القوم من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلامًا أعزل . وخرج حاجب بن زرارة منهزمًا . وتبعهُ الزَهدَمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب العبسيَّان . فجعلا يطردان حاجبًا ويقولان لهُ : استأسر وقد قدرا عليهِ . فيقول : من انتما . فيقولان : الزهدمان . فيقول : لا استاسر اليوم لموليَين . فبينما هم كذلك اذ أدركهم مالك ذو الرُقَيبة . فقال لحاجب : استأسر . قال : ومن أنت . قال : أنا مالك ذو الرقيبة . قال : افعلُ فلعمري ما ادركتني حتى كدتُ ان اكون عبدًا . فالقى اليهِ رمحهُ . واعتنقهُ زهدم فالقاه عن فرسه . فصاح حاجب : يا غوثاه . وجعل زهدم يراوغ قائم السيف . فنزل بهِ مالك واقتلع زهدمًا عن حاجب . فمشى زهدم واخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : اخذ مالك اسيرنا من ايدينا . قال : ومن اسيركما . قالا : حاجب بن زرارة . فخرج قيس يتمثَّل قول حنظلة ابن الشرقيّ القيني أبي الطمحان رافعًا صوتهُ يقول :

أجدّ بني الشرقيّ أُولع انني   متى أستجر جارًا وان عزَّ يغدر
اذا قلت أوفى ادركتهُ دروكة   فيا موزع الجيران بالغيّ اقصرِ

حتى وقف على بني عامر فقال : ان صاحبكم اخذ اسيرنا . قالوا : من صاحبنا . قال : مالك ذو الرقيبة اخذ حاجبًا من الزهدمين . فجاءهم مالك فقال : لم آخذهُ منهما ولكنهُ استأسر لي وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكَّموا حاجبًا في بيت ذي الرقيبة . فقالوا : من اسرك يا حاجب . فقال : اما من ردَّني عن قصدي ومنعني ان اخر ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان . واماَّ الذي استاسرت لهُ فمالك . فحكموني في نفسي . قال لهُ القوم : قد جعلنا اليك الحكم في نفسك . فقال : اماَّ مالك فلهُ الف ناقة . وللزهدمين مائة . فكان بين قيس

ابن زهير وبين الزهدمين مغاضبة . فقال قيس :

جزاني الزهدمان جزاء سوء	وكنت المرء يجزي بالكرامة
وقد دافعت قد علمت معدّ	بني قرط وعمهمُ قعامةْ
ركبت بهم طريق الحقّ حتى	أتيتهمُ بها مائة ظلامةْ

وزعم علماؤنا انهم لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون . فلحق قيس بن المنتفق عمرو بن عمرو فاسرهُ . فاقبل الحرث ابن الابرص في سرعان الخيل . فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس . ان ادركني الحرث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي . فهل انت محسن اليّ والى نفسك تجز ناصيتي فتجعلها في كنانتك ولك العهد لافينّ لك . ففعل . وأدركهما الحرث وهو ينادي قيساً ويقول : اقتل اقتل . فلحق عمرو بقومهِ . فلما كان في الشهر الحرام خرج قيس الى عمرو يستثيبهُ . وتبعهُ الحرث بن الابرص حتى قدما على عمرو بن عمرو . فأمر عمرو بن عمرو ابنة اخيهِ آمنة فقال : اضربي على قيس الذي انعم على عمك هذه القبة . وقد كان الحرث قتل اباها يوم جبلة . فجاءت بالقبة فرأت الحرث احياهما واجلهما فظنتهُ قيساً فضربت القبة وهي تقول : هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليهِ بما اطلع بهِ عليّ . فلما رجعت الى عمها عمرو قال : يا ابنة اخي على من ضربتِ القبة . فنعتت نعت الحرث . فقال : ضربتها والله على رجل قتل اباكِ وامر بقتل عمك . فجزعت مما قال لها عمها . فقال الحرث بن الابرص :

أما تدرين يا ابنة آل زيدٍ	امين بما أجنّ اليوم صدري
فكم من فارس لم ترزئيهِ	فتى الفتيان في عيص وقصرِ
رأيت مكانهُ فصددت عنهُ	فاعيا امرهُ وشددت ازري

أمرت بهِ لتخمش حنتاهُ (١) فضيَّع امرهُ قيس وامري

ثم ان عمرًا قال . ياحارِ ما الذي جاء بك فوالله ما لك عندي نعمة ولقد كنت سيّء الرأي فيَّ وقتلتَ اخي وأمرت بقتلي . فقال : بل كففت ولو شئت اذ ادركتك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يدٍ . ثم تذمَّم منهُ فاعطاه مائة من الابل . ثم انطلق . فذهب الحرث فلما جاء عمرًا قيسٌ اعطاه ابلًا كثيرة . فخرج قيس بها حتى اذا دنا من اهلهِ سمع بهِ الحرث بن الابرص فخرج في فوارس من بني ابيهِ حتى عرض لقيس فاخذ ما كان معهُ . فلما أتى قيس بني ابيهِ بني المنتفق اجتمعوا اليهِ وأرادوا الخروج . فقال : مهلًا لا تقاتلوا اخوتكم فانهُ يوشك ان يرجع وان يؤول الى الحق فانهُ رجل محسود . فلما رأى الحرث ان قيسًا قد كفَّ عنهُ ردَّ اليهِ ما اخذ منهُ . واما عتيبة بن الحرث بن شهاب فانهُ اسر يومئذٍ فقيد في القدّ وكان يبول على قدّهِ حتى عفن . فلما دخل الشهر الحرام هرب فافلت منهم بغير فداء . وغنم مرداس بن أبي غاز غنائم وأخذ رحلًا ومائة ناقة . فانتزعها منهُ بنو أبي بكر بن كلاب . فخرج مرداس الى يزيد بن الصعق وكان لهُ خليلًا فانتهى اليهِ مرداس وهو يقول :

لعمرك ما ترجو معدّ ربيعها رجائي يزيدًا بل رجائيَ اكثرُ

يزيد بن عمرو خير من شدّ ناقةً او اقتادها اذا الرياح تصرصرُ

تداعت بنو بكر عليَّ كانما تداعت عليَّ بالاخيرة بربرُ

تداعت عليَّ ان رأوني بخلوة وأنتم باحراد الفوارس ابصرُ

فركب يزيد حتى اخذ الابل من بني أبي بكر فردّها اليهِ . فطرقهُ البكريّون

---

(١) الحنَّة الزوجة يقال حنَّتهُ وكنّتهُ

فسقوه حتى سكر . ثم سالوه الابل . فاعطاهم اياها . فلما أصبح ندم فخرج الى يزيد فوجد الخبر قد جاءهُ . فقال لهُ يزيد: أصاحٍ انت أم سكران . فانصرف فاطرد إبلًا من ابل بني جعفر فذهب بها

وانصرف يومئذٍ سنان بن ابي حارثة المرّي في بني ذبيان على حاميتهِ . فلحق بهم معاوية بن الصوت بن الكامل الكلابي وكان يُسمى الاسد الجدَّع ومعهُ حرملة العكلي ونفر من الناس . فلحق سنان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاريّ في سبعين فارسًا من بني ذبيان . فقال سنان : يا مالك كرَّ واحمنا ولك خولة بنت سنان ابنتي ازوّجكها . فكرَّ مالك فقتل معاوية . ثم اتبعهُ حرملة العكلي وهو يقول :

لأي يوم يخبأُ المرُ السعهْ   مودّع ولا يرى فيها الدعهْ

فكرَّ عليهِ مالك فقتلهُ . ثم اتبعهُ رجل من بني كلاب فكرَّ عليهِ مالك فقتلهُ . ثم اتبعهُ رجلان من قيس كبة من بجيلة . فكرَّ عليهما فقتلهما . ومضى مالك واصحابه . فقال مالك في ذلك :

ولقد صددت عن الغنيمة حرملًا   ولقيتهُ لدًّا وخيلي تطردُ
أقبلتهُ صدر الاغرّ وصارمًا   ذكرًا فخرَّ على اليدين الابعدُ
وابن الصوت تركت حين لقيتهُ   في صدر مارنهِ يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما   وابنا غنيّ عامر والاسودُ
حتى تنفس بعد نكظ(١) مجحرًا   أذهبت عنهُ والفرائص ترعدُ
يعدو ببزٍ سابحٍ ذو ميعةٍ   نهد المراكد ذو تليل اقودُ

فخطب اليهِ مالك خولة فأبا ان يزوّجهُ . واماَّ بنو جعفر فيزعمون ان عروة

(١) النكظ الجهد

الرحال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن أبي حارثة وابنيه هرماً ويزيد على غدير قد كاد العطش ان يهلكهم فجزَّ نواصيهم واعتقهم . ثم ان عروة أتى سنانًا بعد ذلك يستثيبهُ ثوابًا يرضاه . فقال عروة في ذلك :

ألا من مبلغ عني سنـانًا ألوكًا لا اريد بهـا عتابا
أفي الخضراء تقسم هجمتيكم وعروة لم يثب الَّا الترابـا
فلو كان الجعافر طاوعوني غداة الشعب لم يذق الشرابا
أتجزي القين نعمتهـا عليكم ولا تجزي بنعمتها كلابا

لَبيد والنُّعمان والرَّبيع بن زياد

أخبر محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال : وفد ابو براء ملاعب الاسنَّة وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب واخوتهُ طفيل ومعـاوية وعبيدة ومعهم لبيد بن ربيعـة بن مالك بن جعفر وهو غلام على النعمان بن المنذر . فوجدوا عندهُ الربيع بن زياد العبسي . وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من اهل الشأم تاجر يقال لهُ زرجون بن نوفل وكان حريفـًا للنعمان يعني زرجون يبايعهُ . وكان اديبًا حسن الحديث والمنادمة . فاستخفهُ النعمان وكان اذا أراد ان يخلو على شرابهِ بعث اليهِ والى النطاسي متطبب كان لهُ والى الربيع بن زياد

وكان يُدعى الكامل (١). فلما قدم الجعفريّون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم. فاذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم. ففعل ذلك بهم مرارًا. وكانت بنو جعفر لهُ اعداء. فصدَّهُ عنهم. فدخلوا عليهِ يومًا فرأوا منهُ تغيُّرًا وجفاء وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم. فخرجوا من عنده غضابًا ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم كل صباح فيرعاها فاذا أمسى انصرف بإبلهم. فأتاهم ذات ليلة فالفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يلقون منهُ. فسألهم فكتموه. فقال لهم: والله لا احفظ لكم متاعًا ولا اسرّح لكم بعيرًا أو تخبروني. وكانت امّ لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع. فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك محيص وصدّ عنّا وجههُ. فقال لهم لبيد: هل تقدرون على ان تجمعوا بينهم وبيني فازجرهُ عنكم بقول ممضٍ ثم لا يلتفت النعمان اليهِ بعده ابدًا. فقالوا: وهل عندك من ذلك شيءٌ. قال: نعم. قالوا: فانّا نبلوك بشتم هذه البقلة لبقلةٍ قدّامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة

---

(١) ام الربيع بن زياد فاطمة بنت الخرشب وهي احدى المنجبات. كان يقال لبنيها الكملة وهم الربيع ويُقال لهُ الكامل. وعمارة وهو الوهاب. وانس وهو انس الفوارس وهو الواقعة. وقيس وهو البرد. والحرث وهو الحرون. ومالك وهو لاحق. وعمرو وهو الدراك

حدثوا ان عبد الله بن جدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها: نشدتك برب هذه البنيّة اي بنيك افضل. قالت: الربيع لا بل عمارة لا بل انس. ثكلتهم ان كنت ادري ايهم افضل. ولما سال معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات. وحظر عليهم ان يتجاوزوا في البيوتات ثلاثًا عدُّوا فاطمة فيمن عدّوا. وقبلها حبيّة بنت رياح الغنوية ام الاحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب. وماوية بنت عبد مناة وهي ام لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة ابن عُدَس

فروعها بالارض تدعى التَّرِبَة . فقال : هذه التربة التي لا تذكي نارًا . ولا تؤهل دارًا ولا تسرُّ جارًا . عودها ضئيل . وفرعها كليل . وخيرها قليل . بلدها شاسع ونبتها خاشع . وآكلها جائع . والمقيم عليها ضائع . اقصر البقول فرعًا . وأخبثها مرعىً . وأشدُّها قلعًا . فتعسًا لها وجدعًا . القوا بي أخا بني عبس . أرجعهُ عنكم بتعس ونكس . وأتركهُ من امرهِ في لبس . فقالوا : نصبح فنرى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا غلامكم فان رأيتموه نائمًا فليس امرهُ بشيء وانما يتكلم بما جاء على لسانهِ ويهذي بما يهجس في خاطره . واذا رأيتموه ساهرًا فهو صاحبكم . فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلًا فهو يكدم بأوسطهِ حتى أصبح . فلما اصبحوا قالوا : أنت والله صاحبنا . فحلقوا رأسهُ وتركوا ذؤابتين وألبسوه حلَّة . ثم غدوا بهِ معهم على النعمان فوجدوه يتغدَّى ومعهُ الربيع وهما يأكلان ليس معهُ غيرهُ والدار والمجالس مملوَّة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين . فدخلوا عليهِ وقد كان تقارب أمرهم فذكروا للنعمان الذي قدموا لهُ من حاجتهم . فاعترض الربيع في كلامهم . فقام لبيد يرتجز ويقول :

يا رب هيجا هي خيرٌ من دعهْ	أكل يوم هامتي مقزَّعهْ
نحن بنو ام البنين الاربعهْ	ومن خيار عامر بن صعصعهْ
المطعمون الجفنة المدعدعهْ	والضاربون الهام تحت الخيضعهْ
ياواهب الخير الكثير من سعهْ	اليك جاوزنا بلادًا مسبعهْ
مخبرٍ عن هذا خبيرًا فاسمعهْ	مهلًا أبيت اللعن لا تأكل معهْ

ثم اخذ في هجاء الربيع . فلما فرغ من انشادهِ التفت النعمان الى الربيع شذرًا يرمقهُ فقال : أكذا أنت . قال : لا والله لقد كذب عليَّ ابن الحمق اللئيم .

فقال النعمان: أُفٍ لهذا الغلام لقد خبَّث عليَّ طعامي. فأمر النعمان ببني جعفر فأُخرجوا. وقام الربيع فانصرف الى منزلهِ. فبعث اليهِ النعمان بضعف ما كان يحبوه بهِ وأمرهُ بالانصراف الى أهلهِ. وكتب اليهِ الربيع: اني قد تخوَّفت ان يكون قد وقر في صدرك ما قالهُ لبيد ولست برائم حتى تبعث من يفحص عن امري فيعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال. فارسل اليهِ: انك لست صانعًا بانتفائك مما قال لبيد شيئًا ولا قادرًا على ما زلَّت بهِ الالسن فالحقْ باهلك. فقال الربيع:

لئن رحلت جمالي انَّ لي سعةً ... ما مثلها سعةٌ عرضًا ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم باجمعها ... لم يعدلوا ريشة من ريش شمويلا
ترعى الروائم احرار البقول بها ... لا مثل رعيكمُ ملحًا وغسويلا
فابرق بارضك يا نعمان متكئًا ... مع النطاسيّ يومًا وابن توفيلا

فكتب اليهِ النعمان:

شرّد برحلك عني حيث شئت ولا ... تكثر عليَّ ودع عنك الاباطيلا
فقد ذكرت بهِ والركب حاملهُ ... وردًا يعلل اهل الشأم والنيلا
فما انتفاؤك منهُ بعد ما جزعت ... هوج المطيّ بهِ ابراق شمليلا
قد قيل ذلك ان حقًا وان كذبًا ... فما اعتذارك من شيء اذا قيلا
فالحقْ بحيث رأيت الارض واسعةً ... وانشر بها الطرف ان عرضًا وان طولا

يوم الصفقة (*)

ان كسرى ابرويز كان قد توّج هَوْذة بن عليّ الحنفيّ وضمَّ اليهِ جيشاً من الاساورة فاوقع ببني تميم يوم الصفقة. وذلك قول الشاعر (١):

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً بالشـاذياخ ودع غمدان لليمن
فانت اولى بتـاج الملك تلبسـهُ من هوذة بن عليٍّ وابن ذي يَزَنِ

كان من حديث يوم الصفقـة. انَّ باذان عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى عيرًا تحمل ثيابًا من ثياب اليمن ومسكاً وعنـبرًا وخرَجين فيهمـا مناطق محلّاة. وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون. فسـاروا من اليمن لا يعرض لهم احد حتى اذا كان بجَحْضَى من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم أغاروا عليها وقتلوا مَن فيها من بني جعيد والاساورة واقتسموهـا. وكان فيمن فعل ذلك النطف بن جبير وأسيد بن جنادة. فبلغ ذلك الاساورة الذين بهجر مع كزارجر المُكَعْبِر. فساروا الي بني حنظلـة ابن يربوع. فصادفوهم على حوض. فقاتلوهم قتالًا شديدًا. فهزمت الاساورة

(*) ويُقال لهُ ايضاً يوم المشقَّر والمشقَّر حصن بالبحرين عظيم يلي حصناً اخر يقال لهُ الصفا قبل مدينة هَجَر

(١) هو ابن عبَّاد الرازي. قال ابو الفرج الاصبهاني: ان احمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي كان احد القواد مع طاهر بن عبد الله. فكان معهُ بالريّ. وكان مع محلهِ من خدمة السلطان مغنّياً حسن الغناء ولهُ صنعة. فحضر مجلس طاهر ابن عبد الله بقصرهِ بالشاذياخ فغنَّى هذا الصوت:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان دارًا منك محلالا

فقال ابن عبَّاد الرازي في وقتهِ من الشعر مثل ذلك المعنى وصنع فيهِ وغنى فيهِ احمد بن سعيد لحناً

وقتلوا قتالًا شديدًا ذريعًا. ويومئذٍ اخذ النَطَف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل. فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية: ان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير وكان باذان على الجيش الذي بعثهُ كسرى الى اليمن. وكانت العير تحمل نبعاً فكانت تبذرق من المدائن حتى تُدفع الى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن عليّ الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من ارض بني حنيفة. ثم تُدفع الى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عُمَّال باذان باليمن. فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للاساورة: انظروا الذي تجعلونهُ لبني تميم فاعطونيه فانا اكفيكم أمرهم واسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمنكم. فخرج هوذة والاساورة والعير معهم من هجر حتى اذا كانوا بنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوذة فساروا اليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الاساورة وسلبوهم وأسروا هوذة بن عليّ. فاشترى هوذة نفسهُ بثلثمائة بعير. فساروا معهُ الى هجر فاخذوا منهُ فداه. ففي ذلك يقول شاعر بني كلاب:

ومنّا رئيس القوم ليلة ادلجوا ... بهوذة مقرون اليدين الى النحر
وردنا بهِ نخل اليمامة عانياً ... عليهِ وثاق القدّ والحلق السمر

فعمد هوذة عند ذلك الى الاساورة الذين أُطلقهم بنو سعد وكانوا قد سُلبوا فكساهم وحملهم. ثم انطلق معهم الى كسرى. وكان هوذة رجلًا جميلًا شجاعاً لبيباً. فدخل عليهِ فقصَّ أمر بني تميم وما صنعوا. فدعا كسرى بكاس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه اياها وكساهُ قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون الف درهم. وهو قول الاعشى:

لهُ اكاليل بالياقوت فصَّلها صُوَّاغها لا ترى عيباً ولا طبعا

وذكر ان كسرى سأل هوذة عن مالهِ ومعيشتـهِ . فاخبرهُ انهُ في عيش رغد وانهُ يغزو المغازي فيُصيب . فقال لهُ كسرى في ذلك : كم ولدك . قال : عشرة . قال : فأيهم أحبّ اليك . قال : غائبهم حتى يحضر وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حملك على ان طلبت مني الوسيـلة . وقال كسرى لهوذة : رأيت هولاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبينك وبينهم صلح . قال هوذة : أيها الملك بيني وبينهم حسـاء الموت وهم قتلوا أبي . فقال كسرى : قد أدركتَ ثأرك فكيف لي بهم . قال هوذة : ان ارضهم لا تطيقها اساورتك وهم يمتنعون بها ولكن احبس عنهم الميرة فاذا فعلت ذلك بهم سنة ارسلت معي جنداً من أساورتك فأُقيم لهم السوق فانهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك . ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الاسواق في سنة مجدبة . ثم سرَّح الى هوذة فأتاه . فقال : ائتِ هولاء فاشفني منهم واشتفِ . وسرّح معـهُ جوار بودار ورجلًا من اردشير خُرّه . فقال لهوذة : سِر مع رسولي هذا . فسار في ألف اسوار حتى نزلوا المشقر من ارض البحرين وهو حصن هجر . وبعث هوذة الى بني حنيفة فأتوهُ فدنوا من حيطـان المشقر . ثم نودي : ان كسرى قد بلغهُ الذي اصابكم في هذه السنة وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا . فانصبَّ عليهم الناس . وكان اعظم من اتاهم بنو سعد (١)

(١) ذكر ابن الاعرابي ان المكعبر تقدَّم في اتخاذ طعام على ظهر الحصن بحطب رطب . فارتفع منهُ دخان عظيم . وبعث اليهم يعرض الطعام . فاغترّوا وجاءُوا فدخلوا الحصن . فأُصفق الباب عليهم (ولذا سُمي يوم الصفقة) . فغبروا هنـاك يُستعمَلون في مهن البناء . فسار فيهم المثل فقيل في من قُتل منهم : ليس باوَّل من قتلهُ الدخان . وأجشع من اسرى الدخان . وأجشع من الوافدين على الدخان . واجشع

فنادى منادي الاساورة : لا يدخلها عربيّ بسلاح . فأُقيم بوّابون على باب المشقر فاذا جاء الرجل ليدخل قالوا : ضع سلاحك وامتزْ واخرجْ من الباب الآخر . فيُذهب بهِ الى رأس الاساورة فيقتلهُ . فاذا مرَّ رجل من بني سعد بينهُ وبين هوذة إخاء او رجل يرجوه قال للمكعبر : هذا من قومي . فيخليهِ لهُ . فنظر خيبرى ابن عبادة الى قومهِ يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ اسلحتهم وجاء ليمتار فلما رأى ما رأى قال : ويلكم أين عقولكم فوالله ما بعد السلب الَّا القتل . وتناول سيفًا من رجل من بني سعد يُقال لهُ مصاد (١) وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الاساورة قابض عليها . فضربها فقطعها ويد الاسوار . فانفتح الباب فاذا الناس يُقتلون فثارت بنو تميم . فلما علم هوذة ان القوم قد نذروا بهِ أمر المكعبر فأطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هاربًا من الباب الاوَّل هو والاساورة . فتبعتهم بنو سعد والرباب فقتل بعضهم وأفلتَ من أفلت

يوم كُلاب الثاني

كان من حديث يوم كلاب الثاني فيمَ ذكر أبو عبيدة قال : لما أوقع كسرى ببني

من وفد تميم . وقال الشاعر في ذلك :

اذا ما مات ميتٌ من تميمٍ فسرَّك ان يعيش فجئْ بزادِ
بخبزٍ او بسمنٍ او بتمرٍ او الشيْ الملفف في البجادِ
تراهُ يطوف في الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عادِ

وقال الميداني : ان الشيْ الملفَّف في البجاد هو الوطب من اللبن

(١) يُقال ان الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال لهُ عبيد بن وهب

تميم يوم الصفا بالمشقر فقتل المقاتلة وبقيت الاموال والذراري بلغ ذلك مذحجاً فمشى بعضهم الى بعض وقالوا: اغتنموا بني تميم . ثم بعثوا الرسل الى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة . فقالت مذحج للمأمور الحارثي وهو كاهن : ما ترى . فقال لهم: لا تغزوا بني تميم فانهم يسيرون اعقاباً . ويردون مياهاً جباباً . فتكون غنيمتكم ترابا . قال أبو عبيدة : فذكر انهُ اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر الفاً . وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة . ورئيس همدان يقال لهُ مسرح . ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحرث . وأقبلوا الى تميم . فبلغ ذلك سعداً والرباب فانطلق ناس من أشرافهم الى اكثم بن صيفي وهو قاضي العرب يومئذٍ فاستشاروه . فقال لهم : أقلّوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة . يا قوم تثبتوا فان احزم الفريقين الركين . وربَّ عجلة تهب ريثاً . واتزروا للحرب . وادّرعوا الليل فانهُ اخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . فلما انصرفوا من عند اكثم تهيأوا واستعدّوا للحرب . وأقبل اهل اليمن من بني الحرث من اشرافهم حتى اذا كانوا بتيمن نزلوا قريباً من الكلاب . ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع يقال لهُ مشمت بن زنباع في ابل لهُ عند خال لهُ من بني سعد يقال لهُ زهير بن بوء . فلما أبصرهم المشمت قال لزهير : دونك الابل وتنحَّ عن طريقهم حتى آتي الحيّ فانذرهم . (قال) فركب المشمت ناقة ثم سار حتى اتى سعداً والرباب وهم على الكلاب فانذرهم . فأعدّوا للقوم وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها . وجعل رجل يرتجز ويقول :

في كل عامٍ نعمٌ تنتابهُ على الكلاب غيباً أربابهُ

(قال) فأجابهُ غلام من بني سعد في النعم على فرس لهُ فقال :

عمَّا قليل سترى اربابهُ　　صلب القناة حازمًا شبابهُ
على جيادٍ ضمَّرٍ عيابهُ

(قال) فأقبلت سعد والرباب . ورئيس الرباب النعمان بن جساس . ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري . فقال صبي حين دنا من القوم :

في كل عام نعمٍ تحوونهُ　　يلحقهُ قوم وتنتجونهُ
أربابهُ نوكى فلا يحمونهُ　　ولا يلاقون طعامًا دونهُ
انعم الابناء تحسبونهُ　　هيهات هيهات لما ترجونهُ

فقال ضمرة بن اسد الحارثي : انظروا اذا استقتم النعم فان اتتكم الخيل عصبًا عصبًا وثبتت الاولى للاخرى حتى يلحق فانَّ أمر القوم هيّن . وان لحق بكم القوم فلم ينظروا اليكم حتى يردوا وجوه النعم ولا ينتظر بعضهم بعضًا فان أمر القوم شديدًا . وتقدَّمت سعد والرباب فالتقوا في اوائل الناس فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا النعم من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بارماحهم . واختلط القوم فاقتتلوا قتالًا شديدًا يومهم حتى اذا كان من آخر النهار قُتل النعمان بن جساس قتلهُ رجل من اهل اليمن كانت امهُ من بني حنظلة يقال لهُ عبد الله ابن كعب وهو الذي رماه . فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظلية . فقال النعمان : ثكلتك امك ربَّ حنظلية قد غاظتني فذهبت مثلًا . وظنَّ أهل اليمن ان بني تميم سيهزمهم قتل النعمان . فلم يزدهم ذلك الَّا جراءة عليهم . فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل فباتوا يحرس بعضهم بعضًا . فلما أصبحوا على القتال . فنادى قيس بن عاصم : يال سعد . ونادى عبد يغوث : يال سعد قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد بن مناة بن تميم . وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث : يال كعب .

قيس يدعو كعب بن سعد . وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال : ما لهم اخزاهم الله ما ندعو بشعار الّا دعوا بمثلهِ . فنادى قيس : يالِ مقاعس يعني بني الحرث بن عمرو بن كعب وكان يلقب مقاعساً . فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت وكان صاحب اللواء يومئذٍ طرحهُ . وكان اوّل من انهزم من اليمن . وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم افظع هزيمة . وجعل رجل منهم يقول :

يا قوم لا يفلتكم اليزيدانْ مخرّماً اعني بهِ والديانْ

وجعل قيس بن عاصم ينـادي : يالَ تميم لا تقتلوا الّا فارساً فان الرجّالة لكم . وجعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصباً سواربا اقسمتُ لا اطعن الّا راكبا
اني وجدت الطعن فيهم صائبا

وجعل يأخذ الاسارى فاذا أخذ اسيرًا قال لهُ : ممن أنت . فيقول : من بني زعبل (١) وهم انذال . فكان الاسارى يريدون بذلك رخص الفداء . فجعل قيس اذا أخذ اسيرًا منهم دفعهُ الى من يليهِ من بني تميم ويقول : امسك حتى اصطاد لك زعبلة اخرى فذهبت مثلًا . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أُسر عبد يغوث أسرهُ فتًى من بني عميد بن عبد شمس . وقتل يومئذٍ علقمة ابن سباح القريعي وهو فارس هبود (٢) . وأُسر الاهتم واسمهُ سنان بن سمي ويومئذٍ سمي الاهتم . ورئيس كندة البراء بن قيس . وقتلت التيم الادبر الحارثي وآخر من بني الحرث يقال لهُ معاوية قتلهما النعمان بن جساس . وقُتل يومئذٍ

(١) هو زعبل بن كعب اخو الحرث بن كعب
(٢) هبود فرس عمرو بن الجعيد المرادي

من اشرافهم خمسة . وقتلت بنو ضمرة ابن لبيد الحماسيّ الكاهن قتلهُ قبيصة ابن ضِرَار . واما يغوث فانطلق بهِ العبشميّ الى أهله وكان العبشميّ أهوج . فقالت لهُ امهُ ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً : من انت . قال : انا سيد القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الاهوج . فقال عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عبشمية   كان لم ترا قبلي اسيرًا يمانيا

ثم قال لها : ايتهـا الحرَّة هل لك الى خير . قالت : وما ذاك . قال : اعطي ابنك مائـة من الابل وينطلق بي الى الاهتم فاني اتخوَّف ان تنـتزعني سعد والرباب منـهُ . فضمن لهُ مائـة من الابل وأرسل الى بني الحرث فوجهوا بها اليهِ . فقبضها العبشميّ فانطلق بهِ الى الاهتم . وأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهـتم يا خـير البرية والدًا   ورهطاً اذا ما الناس عدّوا المساعيا

تدارك اسيرًا عانيًا في بلادكم   ولا تثقفنّي التيم التي الدواهيـا

فمشت سعد والرباب فيهِ . فقـالت الرباب : يابني سعد قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور . فدفعهُ الاهتم اليهم . فأخذهُ عصمة بن أبير التيمي فانطلق بهِ الى منزله . فقال عبد يغوث : يابني تيم اقتلوني قتلة كريمة . فقال لهُ عصمة : وما تلك القتلة . قال : اسقوني الخمر ودعوني أنحْ على نفسي . فقال لهُ عصمة : نعم . فسقاه الخمر ثم قطع لهُ عرقاً يقال لهُ الاكحل وتركهُ ينزف ومضى عنهُ عصمـة وترك معهُ ابنين لهُ . فقالا : جمعتَ أهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت الله صنع بك . فقال عبد يغوث في ذلك :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا   فما لكما في اللوم نفع ولا ليا

أَلم تعلما انَّ الملامة نفعها · قليل وما لومي اخي من شماليا
فيا راكبًا إمَّا عرضت فبلِّغنْ · نداماي من نجران ألَّا تلاقيا
أبا كرب والايهمين كليهمـا · وقيسًا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامةً · صريحهمُ والآخرين المواليـا
ولو شئت نجَّتني من الخيل مهرةٌ · ترى خلفها الحوَّ الجياد تواليـا
ولكنني أحمي ذمار أبيكمُ · وكان الرماح تختطفنَ المحاميا
وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ · كأَن لم ترا قبلي اسيرًا يمانيـا
وقد علمت عرسي مليكة انني · أنا الليث معدوًّا عليـهِ وعاديا
أقول وقد شدّوا لساني بنسعةٍ · أمعشر تيمٍ أطلقوا لي لسانيـا
أمعشر تيمٍ قد ملكتم فاسجحوا · فانَّ اساري لم يكن من توانيا
فان تقتلوني تقتلونيَ سيدًا · وان تطلقوني تحربوني بماليا
أحقًا عباد الله ان لست سامعًا · نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
وقد كنتُ نحَّار الجزور ومعمل م · المطي وامضي حيث لاحيَّ ماضيا
وأنحر للشرب الكرام مطيتي · وأصدع بين القينتين ردائيـا
وعادية سوم الجراد وزعتهـا · بكفي وقد أنحوا اليَّ العواليا
كأَنيَ لم اركب جوادًا ولم أقل · لخيليَ كرّي نفسي عن رجاليا
ولم أسبإِ الزق الرويّ ولم أقل · لايسار صدقٍ أعظموا ضوء ناريا

(قال) فضحكت العبشمية . وهم أسروه وذلك انهُ لما أُسر شدّوا لسانهُ بنسعة لئلاَّ يهجوهم وأبوا الَّا قتلهُ . فقتلوه بالنعمان بن جساس . فقالت صفيَّة بنت الخرْع ترثي النعمان :

نطـاقهُ هندوانيٌّ وجبَّتـهُ · فضفاضة كأَضاة النهي موضونهْ

لقد أخذنا شفاء النفس لو شُفيت	وما قتلنـا بهِ الا امرءا دونه

وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد :

لما رأيت الامر مخلوجة	أكرهت فيهِ ذابلًا مارنا

قلت لهُ خذها فاني امرؤٌ	يعرف رمحي الرجل الكاهنا

قولهُ «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد ان عمرو بن الجعيد كان كاهنـاً وهو احد بني عامر بن الذيل بن شنّ بن افصى بن عبد القيس ولم يزل ذلك في ولدهِ . ومنهم الرباب بن البـراء كان يتكهّن ثم طلبَ خلاف اهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليهِ السلام

عديّ بن زيد

هو عدي بن زيد بن حمَّار بن زيد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة . هو قرويّ وقد أخذوا عليهِ في اشيـاء عيب فيها . وكان الاصمعي وأبو عبيدة يقولان : عديّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معهـا مجراها . وكذلك عندهم أُميَّة بن أبي الصلت . ومثلهُ كان عندهم من الاسلاميّـين الكميت والطرماح . قال العجاج : كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما بهِ ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعهِ . فقيل لهُ : ولِمَ ذاك . قال : لانهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعهِ . وأنا بدويّ أصف ما رأيت فأضعهُ في مواضعهِ . وكذلك عندهم عديّ وأُميَّة . قال ابن الاعرابي فيما أخبرني بهِ عليّ بن سليمان الاخفش قال :

سبب نزول آل عديّ بن زيد الحيرة أنّ جدّهُ أيوب بن مجروف (١) كان منزلهُ اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة. فأصاب دماً في قومهِ فهرب فلحق بأوس بن قلاّم أحد بني الحرث بن كعب بالحيرة. وكان بين أيوب بن مجروف وبين أوس بن قلام هذا نسب من قبل النساء. فلما قدم عليهِ أيوب ابن مجروف أكرمهُ وأنزلهُ في دارهِ. فمكث معهُ ما شاء الله أن يمكث. ثم انّ أوساً قال لهُ: يا ابن خال أتريد المقام عندي وفي داري. فقال لهُ أيوب: نعم فقد علمت اني ان أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم وما لي دار الّا دارك آخر الدهر. قال أوس: اني قد كبرت وأنا خائف ان أموت فلا يعرف ولدي لك من الحقّ مثل ما أعرف وأخشى ان يقع بينك وبينهم أمر يقطعون فيهِ الرحم. فانظرْ أحبّ مكان في الحيرة اليك فاعلمني بهِ لاقطعكهُ أو ابتاعهُ لك. (قال) وكان لايوب صديق في الجانب الشرقيّ من الحيرة وكان منزل أوس في الجانب الغربيّ. فقال لهُ: قد أحببت ان يكون المنزل الذي تسكننيهِ عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحرث بن كعب: فابتاع لهُ موضع داره بثلثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً وأعطاه مائتين من الابل برعائها وفرساً وقينة. فمكث في منزل أوس حتى هلك. ثم تحوّل الى دارهِ التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها. وقد كان ايوب قبل مهلكهِ اتّصل بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقهُ وحقّ ابنهِ زيد بن ايوب. فلم يكن منهم ملك يملك الّا ولولد ايوب منهُ جوائز وحملات. ثم ان زيد بن ايوب نكح

---

(١) ويروى محروف. كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابي أوّل من سمي من العرب أيوب شاعرًا فصيحاً من شعراء الجاهلية وكان نصرانياً وكذلك كان ابوهُ وامهُ واهلهُ وليس ممّن يعد من الفحول

امرأة من آل قلام فولدت لهُ حمَّارًا. فخرج زيد بن ايوب يومـًا من الايام يريد الصيد في ناس من اهل الحيرة وهم منتدون بحفير المكان الذي يذكرهُ عديّ بن زيد في شعرهِ. فانفرد في الصيد وتباعد من اصحابهِ. فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثار قبل ابيهِ. فقال لهُ وقد عرف فيهِ شبه ايوب: ممن الرجل. قال: من بني تميم. قال: من أيّهم. قال: مريّ. قال لهُ الاعرابي: وأين منزلك. قال: الحيرة. قال: أمن بني ايوب انت. قال: نعم ومن اين تعرف بني ايوب. واستوحش من الاعرابي وذكر الثأر الذي هرب ابوهُ منهُ. فقال لهُ: سمعتُ بهم. ولم يعلمهُ انهُ قد عرفهُ. فقال لهُ زيد بن ايوب: فمن ايّ العرب أنت. قال: أنا امرؤ من طيّئ. فأمنهُ زيد وسكت عنهُ. ثم ان الاعرابي اغتفل زيد بن ايوب فرماه بسهم فوضعـهُ بين كتفيهِ ففلق قلبهُ. فلم يرم حافر دابتـهِ حتى مات. فلبث اصحاب زيد حتى اذا كان الليل طلبوهُ وقد افتقدوه وظنوا انهُ قد امعن في طلب الصيد فباتوا يطلبونهُ حتى يئسوا منهُ. ثم غدوا في طلبهِ فاقتفوا اثرهُ حتى وقفوا عليهِ ورأوا معهُ أثر راكب يسايرهُ. فاتبعوا الاثر حتى وجدوهُ قتيلًا. فعرفوا ان صاحب الراحلة قتلهُ فاتبعوهُ وأغذوا السير فأدركوهُ مساء الليلة الثانية. فصاحوا بهِ. وكان من أرمى النـاس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينهُ وقد اصاب رجلًا منهم في مرجع كتفيهِ بسهم. فلما اجنَّهُ الليل مات وأفلت الرامي. فرجعوا وقد قتل زيد بن ايوب ورجلًا آخر معهُ من بني الحرث بن كعب. فمكث حمَّار في اخوالهِ حتى أيفع ولحق بالوصفاء. فخرج يومًا من الايام يلعب مع غلمان بـني لحيان. فلطم اللحياني عين حمَّار. فشجهُ حمَّار. فخرج أبو اللحياني فضرب حمَّارًا. فأتى حمَّار امهُ يبكي. فقـالت لهُ: ما شأنك. فقال: ضربني فلان لانّ

ابنهُ لطمني فشججتـهُ . فجزعت من ذلك وحوّلتـهُ الى دار زيد بن أيوب وعلّمتهُ الكتـابة في دار ابيهِ . فكان حمار أوّل من كتب من بني ايوب . فخرج من اكتب الناس وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الاكبر فلبث كاتباً لهُ حتى ولد لهُ ابن من امرأة تزوجها من طيءٍ فسماهُ زيداً باسم ابيهِ . وكان لحمار صديق من الدهاقين العظماء يقـال لهُ فرّوخ ماهان وكان محسناً الى حمار . فلما حضرت حمار الوفاة أوصى بابنـهِ زيد الى الدهقان وكان من المرازبة . فأخذهُ الدهقان اليـهِ فكان عندهُ مع ولده . وكان زيد قد حذق الكتابة والعربيـة قبل ان يأخذهُ الدهقان . فعلمهُ لما اخذهُ الفارسيَّـة فلقفها وكان لبيباً . فأشار الدهقان على كسرى (انوشروان) أن يجعلهُ على البريد في حوائجهِ . ولم يكن كسرى يفعل ذلك الّا باولاد المرازبة . فمكث يتولّى ذلك لكسرى زماناً . ثم ان النعمان النصري اللخميّ هلك . فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونهُ الى ان يعقد كسرى الامر لرجل ينصبهُ . فأشار عليهم المرزبان بزيد ابن حمار . فكان على الحيرة الى ان ملّك كسرى المنذر بن ماء السماء . ونكح زيد ابن حمار نعمة بنت ثعلبة العدويَّة فولدت لهُ عدياً . وملك المنذر وكان لا يعصيهِ في شيءٍ . وولد للمرزبان ابن فسماهُ شاهان مرد . فلما تحرّك عديّ بن زيد وأيفع طرحهُ أبوهُ في الكتاب حتى اذا حذق أرسلهُ المرزبان مع ابنـه شاهان مرد الى كتاب الفارسية . فكان يختلف مع ابنهِ ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلّم الرمي بالنشـاب . فخرج من الاساورة الرماة وتعلم لعب العجم على الخيـل بالصولجة وغيرها . ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعهُ ابنـه شاهان مرد . فبينما هما واقفان بين يديهِ اذ سقط طائران على السور . فقال كسرى للمرزبان

وابنه : ليرمِ كل واحدٍ منكما احداً من هذين الطائرين فان قتلتماهما ادخلتكما بيت المال وملأت افواهكما بالجوهر . ومن اخطأ منكمـا عاقبتهُ . فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعاً . فبعثهما الى بيت المال فملئت افواههما جوهراً وأثبت شاهان مرد وسائر اولاد المرزبان في صحابتهِ . فقـال فروخ ماهان عند ذلك للملك : ان عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفهُ في حجري فربيتهُ فهو أفصح الناس وأفهم بالعربية والفارسيـة والملك محتاج الى مثلهِ فان رأى ان يثبته في ولدي فعل . فقال : ادعه . فارسل الى عديّ ابن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرَّك بالجميل الوجه فلما كلمهُ وجدهُ اظرف الناس وأحضرهم جواباً . فرغب فيهِ وأثبتـهُ مع ولد المرزبان . فكان عدي اول من كتب بالعربية في ديوان كسرى (١) . فرغب أهل الحيرة الى عدي ورهبوه . فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن لهُ عليهِ في الخاصّة وهو معجب بهِ قريب منهُ وأبوه زيد بن حمّار يومئذٍ حيّ الّا ان ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر ابيهِ . فكان عدي اذا دخل على المنذر قام جميع من عندهُ حتى يقعد عدي . فعلا لهُ بذلك صيت عظيم . فكان اذا أراد المقام بالحيرة في منزلهِ ومع أبيهِ وأهلهِ استـأذن كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرين واكثر وأقلّ . ثم ان كسرى (٢) ارسل عدي بن زيد الى ملك الروم (٣) بهدية من طُرَف ما عندهُ . فلما أتاه عدي بها أكرمه وحمله الى أعماله على البريد ليريهُ سعة ارضهِ وعظيم ملكهِ . وكذلك كانوا يصنعون فمن ثم وقع عديّ بدمشق وقال فيها الشعر . فكان مما قالهُ بالشأم وهي أوَّل شعرٍ قاله فيما ذكر :

---

(١) انوشروان (٢) هرمز بن كسرى انوشروان (٣) طيباريوس

رب دار بأسفل الجزع من دومة م أشهى اليَّ من جيرونِ
وندامى لا يفرحون بما نالوا م ولا يرهبون صرف المنون
قد سقيت الشمول في دار بشرٍ قهوةً مزّةً بماء سخين

ثم كان اوّل ما قاله بعدها قولهُ :

لمن الدار تعفَّت بخيمْ أصبحت غيَّرها طول القدمْ
ما تبين العين من آياتها غير نؤيٍ مثل خطٍّ بالقلمْ
صالحاً قد لفها فاستوثقت لفَّ بازيّ حماماً في سلمْ

(قال) وفسد امر الحيرة وعدي بدمشق حتى اصلح ابوه بينهم . لان اهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لانهُ كان لا يعدل فيهم وكان يأخذ من اموالهم ما يعجبه . فلما تيقن ان اهل الحيرة قد اجمعوا على قتلهِ بعث الى زيد بن حمّار بن زيد بن ايوب وكان قبلهُ على الحيرة فقال لهُ : يا زيد انت خليفة أبي وقد بلغني ما أجمع عليهِ اهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه ملّكوه من شئتم . فقال لهُ زيد : ان الامر ليس اليَّ ولكني أسبر لك هذا الامر ولا آلوكَ نصحاً . فلما اصبح غدا اليهِ الناس فحيّوه تحيّة الملك وقالوا لهُ : ألا تبعث الى عبدك الظالم يعنون المنذر فتريح منهُ رعيتك . فقال لهم : او لا خير من ذلك . قالوا : أشرْ علينا . قال تدعونه على حالهِ فانَّهُ من اهل بيت ملك وأنا آتيهِ فاخبرهُ ان اهل الحيرة قد اختاروا رجلًا يكون امر الحيرة اليهِ الّا ان يكون غزو او قتال : فلك اسم الملك وليس اليك سوى ذلك من الامور . قالوا : رأيك افضل . فأتى المنذر فأخبرهُ بما قالوا . وقبل ذلك وفرح وقال : انَّ لك يا زيد عليَّ نعمة لا أكفرها ما عرفت حقَّ سُبد (١)

---

(١) سبد صنم كان لاهل الحيرة

فولّى اهل الحيرة زيدًا على كل شيء سوى اسم الملك فانهم اقرّوه للمنذر وفي ذلك يقول عدي:

نحن كنّا قد علمتم قبلكم   عمد البيت وأوتاد الاصار

(قال) ثم هلك زيد وابنهُ عدي يومئذٍ بالشـأم . وكانت لزيد الف ناقة للحمالات كان أهل الحيرة اعطوه اياها حين ولّوه ما ولّوه . فلما هلك ارادوا اخذها . فبلغ ذلك المنذر فقـال: لا واللات والعزّى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيد تُفروق وأنا اسمع الصوت . ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنهِ النعمان ابن المنذر

وأبوك المرء لم يشنـأ بهِ   يوم سيم الخسف منّا ذو الخسار

(قال) ثم ان عديًا قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر فصـادف أباه والمرزبان الذي ربّاه قد هلكا جميعًا . فاستأذن كسرى في الالمام بالحيرة . فأذن له . فتوجه اليها . وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاهُ الناس ورجع معهُ وعديّ أنبل أهل الحيرة في انفسهم ولو أراد ان يملكوه لملكوه ولكـنهُ كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك . فمكث سنين يبدو في فصلي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . فمكث كذلك سنين وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم . وكان اخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت ابلهُ في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيّين بابلهِ . ولم يزل على حالهِ تلك حتى تزوّج هندًا بنت النعمان بن المنذر وهي يومئذٍ جارية حين بلغت أو كادت

وذكر هشام بن الكلبي قال: كان لعدي بن زيد اخوان احدهما اسمهُ عمّار

ولقبهُ أُبَيّ والآخر اسمهُ عمرو ولقبهُ سُمَيّ . وكان لهم اخ من امهم يقال لهُ عديّ ابن حنظلة من طيء . وكان أُبَيّ يكون عند كسرى وكانوا أهل بيت نصارى يكونون مع الاكاسرة ولهم معهم أكل وناحية يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم . وكان المنذر لما ملك جعل ابنهُ النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد . فهم الذين ارضعوه وربوه . وكان للمنذر ابن آخر يقال لهُ الاسود امهُ مارية بنت الحرث . فارضعه ورباه قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا أشرافًا . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة . وكان ولده يقال لهم الاشاهب من جمالهم . فذلك قول اعشى بن قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الاشاهب في الحيرة يمشون غدوةً كالسيوف

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيرًا وأمهُ سلمى بنت وائل بن عطيَّة الصائغ من أهل فَدَك . فلما احتُضر المنذر وخلف اولاده العشرة (١) أوصى بهم الى قبيصة الطائي وملكهُ على الحيرة الى أن يرى كسرى رأيه . فمكث مملكًا عليها اشهرًا وكسرى (٢) في طلب رجل يملكهُ عليهم . فلم يجد احدًا يرضاه . فضجر وقال : لأبعثنَّ الى الحيرة اثني عشر ألفًا من الاساورة ولاملكنّ عليهم رجلًا من الفرس ولآمرنّهم ان ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم اموالهم ونساءهم . وكان عدي بن زيد واقفًا بين يديه . فأقبل عليه وقال : ويحك ياعدي من بقي من آل المنذر وهل فيهم احد فيهِ خير . فقال : نعم ايها الملك السعيد ان في ولد المنذر لبقيّة فيهم كلهم خير . فقال : ابعث اليهم فأحضرهم . فبعث اليهم فاحضرهم وانزلهم جميعًا عندهُ . ويقال بل شخص عدي بن زيد الى الحيرة حتى خاطبهم بما أرادوا واوصاهم ثم قدم بهم الى كسرى . (قال) فلما نزلوا على عدي بن

(١) وقيل بل كانوا ثلاثة عشر (٢) هو هرمز بن كسرى انوشروان

زيد أرسل الى النعمـان: لست املك غيرك. فلا يوحشنَّك ما أُفضّل بهِ اخوتك عليك من الكرامة فاني اغا اغترّهم بذلك. ثم كان يفضل اخوته جميعًا عليهِ في النزل والاكرام والملازمة ويريهم تنقصاً للنعمان وانهُ غير طامع في تمام امرٍ على يدهِ وجعل يخلو بهم رجلًا رجلًا فيقول: اذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها. واذا دعا لكم بالطعـام لتأكلوا فتباطأوا في الأكل وصغروا اللقم ونزروا ما تأكلون. فاذا قال لكم: اتكفوني العرب. فقولوا: نعم. فاذا قال لكم: فان شذّ احدكم عن الطاعة وأفسد أتكفونيـه. فقولوا: لا انَّ بعضنا لا يقدر على بعض. ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم ان للعرب منعة وباساً. فقبلوا منهُ. وخلا بالنعمان فقال لهُ: البس ثياب السفر وادخل متقلدًا بسيفك. واذا جلست للاكل فعظّم اللقم وأسرع للمضغ والبلع وزد في الأكل وتجوَّع قبل ذلك فان كسرى يعجبهُ كثرة الأكل من العرب خاصَّة ويرى انهُ لا خير في العربي اذا لم يكن أكولاً شرهاً ولاسيما اذا رأى غير طعامهِ وما لا عهد لهُ بمثلهِ. واذا سألك: هل تكفيني العرب. فقل: نعم. فاذا قال لك: فمن لي باخوتك. فقل لهُ: ان عجزت عنهم فاني عن غيرهم لأعجز. (قال) وخلا ابن مرينا بالاسود فسألهُ عمّا اوصاه بهِ عديّ. فأخبرهُ. فقال: غشك والصليب والمعمودية وما نصحك وان اطعتني لتخالفنَّ كل مـا أمرك بهِ ولتملكنَّ وان عصيتني ليملكنَّ النعمان. ولا يغرّنك ما أراكهُ من الاكرام والتفضيل على النعمان فان ذلك دهاء فيهِ ومكر وان هذه المعدّيّة لا تخلو من مكر وحيلة. فقال لهُ: ان عديًا لم يألني نصحاً وهو اعلم بكسرى منك وان خالفتهُ اوحشته وأفسد عليّ. وهو جاء بنا ووصفنا والى قولهِ يرجع كسرى. فلما ايس ابن مرينا من قبوله منهُ قال: ستعلم. ودعا بهم كسرى

فلما دخلوا عليهِ اعجبهُ جمالهم وكمالهم ورأى رجالًا قلّما رأى مثلهم. فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم بهِ عدي. فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأمل أكلهُ فقال لعدي بالفارسية: ان يكن في أحد منهم خير ففي هذا . فلما غسلوا أيديهم جعل يدعيهم رجلًا رجلًا فيقول لهُ: اتكفيني العرب. فيقول: نعم أكفيكها كلّها الّا اخوتي. حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال: أتكفيني العرب. قال: نعم. قال: كلّها. قال: نعم. قال: فكيف لي باخوتك. قال: ان عجزت عنهم فانا عن غيرهم اعجز. فملكهُ وخلع عليهِ والبسهُ تاجا قيمتهُ ستون الف درهم فيهِ اللؤلؤ والذهب. فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للاسود: دونك عقبى خلافك لي. ثم ان عديًا صنع طعامًا في بيعة وأرسل الى ابن مرينا ان: ائتني بمن احببت فان لي حاجة. فأتى في ناس فتغدّوا في البيعة. فقال عدي بن زيد لابن مرينا: يا عدي انّ أحق من عرف الحق ثم لم يلمْ عليهِ من كان مثلك. واني قد عرفت ان صاحبك الاسود بن المنذر كان أحبَّ اليك ان يملك من صاحبي النعمان. فلا تلمني على شيءٍ كنت على مثلهِ. وأنا احبّ ان لا تحقد عليَّ شيئًا لو قدرتَ ركبتهُ. وانا أُحب ان تعطيني من نفسك ما اعطيك من نفسي فان نصيبي في هذا الامر ليس باوفر من نصيبك. وقام الى البيعة فحلف ان لا يهجوه ابدًا ولا يبغيهِ غائلة ابدًا ولا يزوي عنهُ خيرًا ابدًا. فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا فحلف مثل يمينهِ ان لا يزال يهجوهُ ابدًا ويبغيهِ الغوائل ما بقي. وخرج النعمان حتى نزل منزل ابيهِ بالحيرة. فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد:

ألا أبلغ عديًا عن عديٍّ فلا تجزع وان رثّت قواكا
هياكلنا تبرّ لغير فقدٍ لتحمد او يتمّ بهِ غناكا

فان تظفر فلم تظفر حميدًا وان تعطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسعيّ لما رأت عيناك ما صنعت يداكا

(قال) ثم قال عدي بن مرينا للاسود: امّا اذا لم تظفر فلا تعجزنّ ان تطلب بثأرك من هذا المعدّي الذي فعل بك ما فعل فقد كنت اخبرك ان معدًّا لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك ان تعصيهِ فخالفتني. قال: فما تريد . قال: اريد ان لا ياتيك فائدة من مالك وأرضك الّا عرضتها عليّ. ففعل. وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة . فلم يكن في الدهر يوم ياتي الّا على باب النعمان هدية من ابن مرينا. فصار من اكرم الناس عليهِ حتى كان لا يقضي في ملكهِ شيئًا الّا بامر ابن مرينا. وكان اذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسنَ الثناء عليهِ وشيع ذلك بان يقول: ان عدي بن زيد فيهِ مكر وخديعة. والمعدّي لا يصلح الّا هكذا. فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه. فجعل يقول لمن يثق بهِ من اصحابهِ: اذا رأيتموني اذكر عديًا عند الملك بخير فقولوا: انهُ لكذلك ولكنهُ لا يسلم عليهِ احد وانهُ ليقول ان الملك يعني النعمان عاملهُ وانهُ هو ولّاه ما ولّاه. فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليهِ فكتبوا كتابًا على لسانهِ الى قهرمان لهُ ثم دسّوا اليهِ حتى اخذوا الكتاب منهُ واتوا بهِ النعمان. فقرأهُ فاشتدَّ غضبهُ فأرسل الى عدي بن زيد: عزمت عليك الّا زرتني فاني قد اشتقت الى رؤيتك. وعدي يومئذٍ عند كسرى . فاستأذن كسرى . فاذن لهُ . فلما أتاه لم ينظر اليهِ حتى حبسهُ في محبس لا يدخل عليهِ فيهِ أحد. فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس

هذه رواية الكلبيّ في قصائد كثيرة كان يقولها فيهِ ويكتب بها اليهِ فلا

تغني عندهُ شيئاً. واما المفضل الضبي فانهُ ذكر ان عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفهُ لا مال عندهُ ولا اثاث ولا ما يصلح للملك وكان آدم اخوتهُ منظراً وكلّهم اكثر مالاً منهُ. فقال لهُ عدي: كيف اصنع بك ولا مال عندك. فقال لهُ النعمان: ما أعرف لك حيلة الّا ما تعرفهُ أنت. فقال لهُ: قم بنا نمضِ الى ابن قردس رجل من اهل الحيرة من دومة. فاتياه ليقترضا منهُ مالاً. فأبى ان يقرضهما وقال: ما عندي شيءٌ. فأتيا جابر بن شمعون وهو الاسقف احد بني الاوس بن قلاّم. فاستقرضا منهُ مالاً. فانزلهما عنده ثلاثة ايام يذبح لهم ويسقيهم الخمر. فلما كان في اليوم الرابع قال لهما: ما تريدان. فقال لهُ عدي: تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على أمرهِ عند كسرى. فقال: لكما عندي ثمانون الفاً. ثم اعطاهما اياها. فقال النعمان لجابر: لا جرم لا جرى لي درهم الّا على يديك ان انا ملكت. وجابر هو صاحب القصر الابيض بالحيرة. ثم ذكر من قصة النعمان واخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكرهُ ابن الكلبي. وقال المفضل خاصة: ان سبب حبس النعمان عدي بن زيد ان عديّاً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان وسألهُ ان يركب اليهِ ويتغدّى عندهُ هو وأصحابهُ. فركب النعمان اليهِ. فاعترضهُ عدي بن مرينا فاحتبسهُ حتى تغدّى عندهُ هو واصحابهُ وشربوا حتى ثملوا. ثم ركب الى عدي ولا فضل فيهِ فاحفظهُ ذلك. ورأى في وجه عدي الكراهة فقام وركب ورجع الى منزلهِ. فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان:

أحسبت مجلسنا وحسن م حديثنا يودي بمالكْ
فالمال والاهلون مصرعةٌ م لامرك او نكالكْ
ما تامرنْ فينا فأمرك م في يمينك او شمالكْ

(قال) وأرسل النعمان ذات يوم الى عدي بن زيد فأبى ان يأتيه. ثم اعاد رسولهُ. فأبى ان يأتيهُ. وقد كان شرب. فغضب وأمر بهِ فسحب من منزلهِ حتى انتهي بهِ اليهِ فحبسهُ في الصنين ولجَّ في حبسهِ وعدي يرسل اليهِ بالشعر.

وقالوا جميعاً: فلما سجن عدي بن زيد كتب الى أخيهِ أُبيّ وهو مع كسرى بهذا الشعر:

أبلغْ أُبيًّا على نأيهِ ... وهل ينفع المرء ما قد علمْ
بأنَّ أخاك شقيق الفؤاد ... كنت بهِ واثقاً ما سلمْ
لدى ملكٍ موثقٌ في الحديد ... امَّا بحقّ واماً ظلمْ
فلا أعرفنك كدأب الغلام ... ما لم يجد عارماً يعترمْ
فأرضك أرضك ان تأتنا ... تنمْ ليلة ليس فيها حلمْ

قال فكتب اليهِ اخوه أُبيّ:

ان يكن خانك الزمان فلا ... عاجز باغٍ ولا اليف ضعيفُ
ويمين الاله لو انَّ جأواء ... طحوناً فيها تضيء السيوفُ
ذات رز مجتابة غمرة الموت ... صحيح سربالها مكفوفُ
كنت في حميها لجئتك أسعى ... فاعلمنْ لو سمعت اذ تستضيفُ
أو بمال سألت دونك لم يمنع ... تلاد لحاجة أو طريفُ
أو بارض أسطيع آتيك فيها ... لم يهلني بعدٌ بها أو مخوفُ
ان يعني والله الف مجوع ... لا يعنيك ما يصوب الخريفُ
في الاعادي وانت مني بعيد ... عزّ هذا الزمان والتعنيفُ
ولعمري لئن جزعت عليهِ ... لجزوعٌ على الصديق اسوفُ

ولعمري لئن ملكت عزائي لقليلٌ شرواك فيما اطوفُ

قالوا جميعاً: فلما قرأ أبي كتاب عدي قام الى كسرى فكلّمهُ في أمره وعرّفهُ خبرهُ. فكتب الى النعمان يأمره باطلاقهِ وبعث معهُ رجلاً. وكتب خليفة النعمان اليهِ: انهُ قد كتب اليك في امرهِ. فأتى النعمان اعداء عدي من بني بقيلة وهم من غسان فقالوا لهُ: اقتلهُ الساعة. فأبى عليهم. وجاء الرسول. وكان أخو عدي تقدم اليهِ ورشاه وأمرهُ أن يبدأ بعدي فيدخل اليهِ وهو محبوس بالصنّين. فقال لهُ: ادخل عليهِ فانظر ما يأمرك بهِ فامتثلهُ. فدخل الرسول على عديّ فقال لهُ: اني قد جئت بارسالك فما عندك. قال: عندي الذي تحبّ. ووعده بعدة سنيّة وقال لهُ: لا تخرجنَّ من عندي واعطني الكتاب حتى ارسلهُ اليهِ. فانك والله ان خرجت من عندي لأُقتلنَّ. فقال: لا أستطيع الّا ان آتي الملك بالكتاب فأُوصلهُ اليهِ. فانطلق بعض من كان هناك من أعدائهِ فاخبر النعمان ان رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهب بهِ وانْ فعل والله لم يستبقِ منّا أحدًا أنت ولا غيرك. فبعث اليهِ النعمان اعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه. ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليهِ. فقال: نعم وكرامة وأمر لهُ بأربعة آلاف مثقال ذهبًا وجارية حسناء وقال لهُ: اذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجهُ. فلما أصبح ركب فدخل السجن. فأعلمهُ الحرس انهُ قد مات منذ أيام ولم نجترئ على اخبار الملك خوفًا منهُ وقد عرفنا كراهتهُ لموته. فرجع الى النعمان وقال لهُ: اني كنت أمس دخلت على عدي وهو حيّ وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني وذكر أنهُ قد مات منذ أيام. فقال لهُ النعمان: أيبعث بك الملك اليّ فتدخل اليهِ قبلي. كذبت. ولكنك أردت الرشوة والخبث. فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمهُ وتوثق

منهُ ان لا يخبر كسرى الّا أنهُ قد مات قبل ان يقدم عليهِ. فرجع الرسول الى كسرى وقال: اني وجدت عديًّا قد مات قبل أن أدخل عليهِ. وندم النعمان على قتل عديّ وعرف أنهُ احتيل عليهِ في أمره واجترأ أعداؤه عليهِ وهابهم هيبة شديدة. ثم انهُ خرج الى صيده ذات يوم فلقي ابنًا لعدي يُقال لهُ زيد. فلما رآه عرف شبههُ. فقال لهُ: من أنت. فقال: أنا زيد بن عدي بن زيد. فكلّمهُ فاذا غلام ظريف. ففرح بهِ فرحًا شديدًا وقرّبهُ وأعطاه ووصلهُ وأعتذر اليهِ من امر أبيهِ وجهّزه. ثم كتب الى كسرى. ان عديًّا كان ممّن اعين بهِ الملك في نصحهِ ولبهِ فاصابهُ ما لا بدّ منهُ وانقطعت مدتهُ وانقضى أجلهُ ولم يُصَب بهِ احد اشدّ من مصيبتي واماً الملك فلم يكن ليفقد رجلًا الّا جعل الله لهُ منهُ خلفًا لما عظم الله من ملكهِ وشأنهِ. وقد بلغ ابن لهُ ليس بدونه رأيتهُ يصلح لخدمة الملك فسرّحتهُ اليهِ فان رأى الملك ان يجعلهُ مكان أبيهِ فليفعل وليصرف عمّهُ عن ذلك الى عمل آخر. وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك الى ملوك العرب في امورها وفي خواصّ امور الملك. وكانت لهُ من العرب وظيفة موظفة في كل سنة مهران أشقران يجعلان لهُ هلامًا والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقِط والادم وسائر تجارات العرب. فكان زيد بن عديّ يلي ذلك لهُ وكان هذا عمل عدي. فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سألهُ كسرى عن النعمان. فاحسن الثناء عليهِ. ومكث على ذلك سنوات على الامر الذي كان أبوه عليهِ. وأعجب بهِ كسرى. فكان يكثر الدخول عليهِ والخدمة لهُ. وكانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون في تلك الارضين بتلك الصفة فاذا وُجدت حُملت الى الملك. غير انهم لم يكونوا يطلبونها في ارض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم انهُ بدأ للملك في

طلب تلك الصفة وأمر فكتب بها الى النواحي . ودخل اليهِ زيد بن عدي وهو في ذلك القول فخاطبهُ فيما دخل اليهِ فيهِ ثم قال : اني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلبنَ لهُ وقرأتُ الصفة . وقد كنت بآل المنذر عارفاً . وعند عبدك النعمان من بناتهِ واخواتهِ وبنات عمهِ وأهلهِ اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فاكتب فيهنَّ . قال : أيها الملك ان شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصةً انهم يتكرّمون زعموا في انفسهم عن العجم . فانا اكره ان يغيّبهنَّ عمن تبعث اليهِ أو يعرض عليه غيرهنَّ . وان قدمت أنا عليهِ لم يقدر على ذلك . فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم بالعربية حتى أبلغ ما تحبُّهُ . فبعث معهُ رجلاً جلداً فهماً . فخرج بهِ زيد فجعل يكرم الرجل ويلطفهُ حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليهِ أعظم الملك وقال : انهُ قد احتاج الى نساء لنفسهِ وولدهِ وأهل بيتهِ واراد كرامتك بصهرهِ فبعث اليك . فقال : ما هؤلاء النسوة . فقال : هذه صفتهنَّ قد جئنا بها . فقرأ زيد الصفة على النعمان . فشقَّت عليهِ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ بهِ كسرى حاجتهِ . فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين . فقال لهُ بالفارسية : كاوان أي البقر . فامسك الرسول . قال زيد للنعمان : انما أراد كرامتك ولو علم ان هذا يشقُّ عليك لم يكتب اليك بهِ . فانزلهما يومين عنده . ثم كتب الى كسرى . ان الذي طلب الملك ليس عندي . وقال لزيد : اعذرني عند الملك . فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي قدم معهُ : أصدق الملك عمَّا سمعت فاني ساحدثهُ بمثل حديثك ولا أخالفك فيهِ . فلما دخلا كسرى قال زيد : هذا كتابهُ اليك . فقرأه عليهِ . فقال لهُ كسرى : وأين الذي كنت خبرتني بهِ . قال : قد كنت خبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك

من شقائهم واختيارهم الجوع والعرى على الشبع والرياش وايثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه حتى انهم ليسمونها السجن. فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمّا قال فاني أكرم الملك عن مشافهته بما قال واجاب بهِ. قال للرسول: وما قال. فقال لهُ الرسول: أيها الملك انهُ قال: أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيهِ حتى يطلب ما عندنا. فعُرف الغضب في وجههِ ووقع في قلبهِ منهُ ما وقع لكنهُ لم يزد على ان قال: ربَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار امره الى التباب. وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان. وسكت كسرى أشهرًا على ذلك. وجعل النعمان يستعدّ ويتوقّع حتى أتاه كتابهُ ان: أقبل فان للملك حاجة اليك. فانطلق حين أتاه كتابهُ فحمل سلاحهُ وما قوي عليهِ ثم لحق بجبليَ طيْ. وكانت فَرْعة بنت سعد بن حارثة بن لام عنده وقد ولدت لهُ رجلًا وامرأة وكانت ايضًا عنده زينب بنت أوس بن حارثة. فاراد النعمان طيئًا على ان يدخلوه الجبلين ويمنعوه. فأبوا ذلك عليهِ وقالوا لهُ: لولا صهرك لقتلناك. فانهُ لا حاجة لنا الى معاداة كسرى ولا طاقة لنا بهِ. وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس احد منهم يقبلهُ غير ان بني رواحة ابن قطيعة بن عبس قالوا: ان شئت قاتلنا معك. لمنّةٍ كانت لهُ عندهم في أمر مروان القرَظ. قال: ما أُحب أن أُهلككم فانهُ لا طاقة لكم بكسرى. فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرًّا. فلقي هانئ بن قبيصة وقيل بل هانئ ابن مسعود وكان سيدًا منيعًا والبيت يومئذٍ من ربيعة في آل ذي الجدّين لقيس بن مسعود بن قيس بن خلد ذي الجدّين. وكان كسرى قد أطعم قيس ابن مسعود الابلّة. فكره النعمان ان يدفع اليهِ أهلهُ لذلك وعلم ان هانئًا يمنعهُ مما يمنع نفسهُ منهُ

وقال حماد الراوية في خبره: انهُ انما استجار بهانئ كما استجار بغيرهِ فأجارهُ وقال لهُ: قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما امنع نفسي وأهلي وولدي منهُ ما بقي من عشيرتي الادنين رجل. وان ذلك غير نافعك لانهُ مهلكي ومهلكك. وعندي رأي لك لست اشير بهِ عليك لادفعك عمّا تريدهُ من مجاورتي ولكنه الصواب. فقال: هاته. فقال: ان كل أمر يجمل بالرجل ان يكون عليهِ الّا ان يكون بعد الملك سوقة. والموت نازل بكل أحد. ولأن تموت كريمًا خير من أن تجرّع الذلّ أو تبقى سوقة بعد الملك. هذا ان بقيت. فامضِ الى صاحبك واحمل اليهِ هدايا ومالًا وألقِ نفسك بين يديه. فاما ان صفح عنك فعدت ملكًا عزيزًا. واما ان أصابك فالموت خير من ان يتلعّب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيرًا مجاورًا أو تقتل مقهورًا. فقال: كيف بحرمي. قال: هنّ في ذمتي لا يخلص اليهنّ حتى يخلص الى بناتي. فقال: هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن اجاوزهُ. ثم اختار خيلًا وحللًا من عصب اليمن وجوهرًا وطُرَفًا كانت عندهُ ووجّه بها الى كسرى وكتب اليهِ يعتذر ويعلمه انهُ صائر اليهِ ووجّه بها مع رسولهِ. فقبلها كسرى وأمره بالقدوم. فعاد اليهِ الرسول فأخبرهُ بذلك وأنهُ لم يرَ له عند كسرى سوءا. فمضى اليه حتى اذا وصل الى المدائن لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال لهُ: انجُ نُعَيم ان استطعت النجاء. فقال لهُ: أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشتُ لك لاقتلنك قتلة لم يقتلها عربيّ قطّ ولالحقنك بابيك. فقال لهُ زيد: امضِ لشأنك نعيم فقد والله آخيت لك آخيّةً لا يقطعها المهر الأرِن. فلما بلغ كسرى انهُ بالباب بعث اليهِ فقيّدهُ وبعث بهِ الى سجن كان لهُ بخانقين. فلم يزل فيهِ حتى وقع الطاعون هناك فمات فيهِ. وقال حماد الراوية والكوفيون:

بل مات بساباط في حبسهِ . وقال ابن الكلبي : ألقاهُ تحت أرجل الفيلة فوطئتهُ حتى مات . واحتجوا بقول الاعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه   بساباط حتى مات وهو محزرقُ(١)

وأنكر هذا من زعم انهُ مات بخانقين وقالوا : لم يزل محبوساً مدة طويلة وانهُ انما مات بعد ذلك بحين قُبيل الاسلام وغضبت لهُ العرب حينئذٍ . وكان قتلهُ سبب وقعة ذي قار

وقعة ذي قار(*)

كان من حديث ذي قار ان كسرى ابرويز لما غضب على النعمان بن

---

(١) المحزرق المضيَّق عليهِ

(*) قال ياقوت الحمويّ : ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وحنوّ ذي قار على ليلة منهُ . وقال البكري في كتاب معجم ما استعجم : ذو قار وادٍ على ثلاث من منًى والدليل على انهُ وادٍ ينهار فيهِ الماء قول اوس ابن حجر :

يآل تميم وذو قارٍ لهُ حدبٌ   من الربيع وفي شعبان مسجورُ

واذا كان في شعبان مسجورًا فانّهُ لاينقطع لانهُ عندهم من شهور القيظ . وقال ابو عبيدة : ذو قار متاخم لسواد العراق . (قال) واصابت بكر بن وائل سنة فخرجت حتى نزلت بذي قار واقبل حنظلة بن سيَّار العجليّ حتَّى ضرب قبَّتهُ بين ذي قار وصيد . وكان يقال لهُ حنظلة القباب كانت لهُ قبّة حمراء اذا رفعها انضمَّ اليهِ قومه . وقال : لاتفرّوا حتَّى تفرّ هذه القبَّة . فاتاهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منهُ . فابوا . فقاتلهم فهزموه . فهو يوم ذي قار الاوّل ويوم القبّة ويوم عين صيد . فاما يوم ذي قار الثاني فهو اليوم الذي هزمت فيهِ بكرٍ جموع الاعاجم وجيوش فارس ويُسمَّى ايضاً يوم حِنوِ قراقرَ ويوم الجُبابات ويوم المجرم ويوم الغذوان وهو ماء. قال ابو عبيدة:

المنذر أتى النعمان هانئ بن مسعود فاستودعهُ مالهُ واهلهُ وولدهُ وألف شكة (١) ووضع ودائع عند احياء من العرب. ثم هرب وأتى طيئًا لصِهره فيهم. كانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لام وزينب بنت أوس بن حارثة. فأبوا ان يدخلوه جبلهم. وأتته بنو رَوَاحة بن ربيعة بن عبس فقالوا لهُ: أبيت اللعن اقمْ عندنا فانَّا مانعوك مما نمنع منهُ انفسنا. فقال: ما احبُّ ان تهلكوا بسببي. وجزاهم خيرًا. ثم خرج حتى وضع يدهُ في يد كسرى فحبسهُ بساباط (٢). (قالوا) فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تغير في السواد. فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدَّين الى كسرى فسألهُ ان يجعل لهُ أكلًا وطعمة على ان يضمن لهُ بكر بن وائل ان لا يدخلوا السواد ولا يفسِدوا فيهِ. فأقطعهُ الأُبلَّة (٣) وما والاها وقال: هي تكفيك وتكفي اعراب قومك. فكانت لهُ حجرة فيها مائة من الابل للاضياف اذا نحرت ناقة أُقيدت أُخرى. واياه عنى الشماخ بقولهِ:

ارفع بالبانها عنكم كما رفعت عنهم لقاح بني قيس بن مسعودِ

(قال) فكان يأتيهِ من أتاه منهم فيعطيه جُلَّة تمر وكرباسة. حتى قدم الحرث

وكلهنَّ حول ذي قار. ورئيس جماعة بكر يومئذٍ هانئ بن قُبيصة بن هانئ بن مسعود ومن قال انهُ جدُّهُ هانئ بن مسعود فقد خطأ لانهُ لم يدرك يوم ذي قار

(١) ويقال اربعة آلاف شكة. قال ابن الاعرابي: والشكة السلاح كلهُ

(٢) ويقال بخانقين

(٣) الابلَّة بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة لانَّ البصرة مُصِّرت في ايام عمر بن الخطاب وكانت الابلَّة حينئذٍ مدينة فيها مسالحُ من قبل كسرى وقائدٌ. كان خالد بن صفوان يقول: ما رأيت ارضًا مثل الابلة مسافة ولا اغذى نُطفة ولا اوطأ مطيَّة ولا اربح لتاجر

ابن وعلة بن المجالد والمكتبر بن حنظلة فأعطاهما جلتي تمر وكرباستين. فغضبا وأبيا ان يقبلا ذلك منهُ. فخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل ثم أغارا على السواد. فاغار الحرث على اسافل رومستان وهي من جرد. وأغار المكسر على الانبار. فلقيه رجل من العباد من اهل الحيرة قد نتجت بعض نوقهم فحملوا الحوار على ناقة وصيروا الابل. فقال العبادي: لقد صبح الانبار شرّ جمل يحمل جملاً وجمل برتهُ عود. فجعلوا يضحكون من جهلهِ بالابل. (قال) وأغار مُجير بن عائذ بن سويد العجليّ ومعهُ مفروق بن عمرو الشيباني على القادسيَّة وطيزناباذ (١) وما والاهما. وكلهم مَلأَ يديه غنيمة. فاما مفروق وأصحابهُ فوقع فيهم الطاعون فمات منهم خمسة نفر مع من مات من اصحابهم. فدفنوا بالدُّجيل وهو دوحة من العذَيب يسيرة. فقال مفروق:

أتاني بانباط السواد يسوقهم ... اليَّ وأَودت رجلتي وفوارسي

فلمَّا بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حَنَقهُ على بكر بن وائل. وبلغهُ ان حلقة النعمان وولده وأهلهُ عندهم. فأرسل كسرى الى قيس بن مسعود وهو بالابلَّة فقال: غررتني من قومك وزعمت انك تكفينيهم. وأمر بهِ فحبس بساباط. وأخذ كسرى في تعبية الجيوش اليهم. فقال قيس بن مسعود وهو محبوس:

ألا ابلغ بني ذهل رسولاً ... فمن هذا يكون لكم مكاني

ولا اصفى لمائد. وقال الاصمعي: جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الابلة. واما نهر الابلة الضارب الى البصرة فحفرهُ زياد (معجم البلدان)

(١) طيزناباذ ومعناه عمارة الضَيْزَن موضع بين الكوفة والقادسيَّة على حافة الطريق على جادَّة الحاج وبينها وبين القادسية ميل. (معجم البلدان)

أيأكلها ابن وعلة في ظليفٍ ويأمن هيثم وابنا سنانٍ (١)
ويأمن فيكم الذهليّ بعدي وقد وسموكمُ سمة البيان .
ألا مَن مبلغ قومي ومن ذا يُبلّغ عن اسير في الاوانِ
تطاول ليلهُ وأصاب حزنًا ولا يرجو الفكاك من المنان

وقال قيس ينذر قومهُ :

ألا ليتني أرشو سلاحي وبلّغتي فيخبر قومي اليوم ما أنا قائلُ
فانا ثوينا في شعوب وانهم غزتهم جنود جمّة وقبائلُ
وان جنود العجم بيني وبينكم فما فلجي ياقوم ان لم تقاتلوا

(قال) فلما وضح لكسرى واستبان ان مال النعمان وحلقتهُ (٢) وولده عند ابن مسعود بعث اليهِ كسرى رجلًا يخبرهُ انهُ قال لهُ : ان النعمان انما كان عاملي وقد استودعك مالهُ واهلهُ والحلقة فابعث بها اليَّ ولا تكلفني ان ابعث اليك ولا الى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرّية . فبعث اليهِ هانئ : ان الذي بلغك باطل . وما عندي قليل ولا كثير . وان يكن الامر كما قيل فانما انا أحد رجلين إما رجل أُستودع أمانة فهو حقيق ان يردَّها على من أودعهُ اياها ولن يسلم الحرّ امانتهُ . أو رجل مكذوب عليهِ فليس ينبغي ان تاخذهُ بقول عدوّ أو حاسد . (قال) وكانت الاعاجم قومًا لهم حلم قد سمعوا ببعض علم العرب وعرفوا ان هذا الامر كائن فيهم . فلما ورد عليهِ كتاب هانئ

---

(١) يعني الهيثم وابني سنان الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وأبو علباء بن الهيثم

(٢) الحلقة السلاح والدروع

حملتهُ الشفقة ان يكون ذلك قد اقترب فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر(١) بني مقاتل وقد احنقهُ ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هانئ اياه ما منعهُ

(قال) ودعا كسرى اياس بن قبيصة الطائي وكان عاملهُ على عين التمر وما والاها الى الحيرة وكان كسرى قد اطعمهُ ثلاثين قرية على شاطئ الفرات. فأتاه في صنائعهِ من العرب الذين كانوا في الحيرة. فاستشارهُ في الغارة على بكر ابن وائل وقال: ماذا ترى وكم ترى ان نغزيهم من الناس. فقال لهُ اياس: ان الملك لا يصلح ان يعصيه احد من رعيتهِ وان تطعني لم تعلم احدًا لايّ شيء عبرت وقطعت الفرات فيروا ان شيئًا من العرب قد كربك. ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى غرّة منهم ثم ترسل حلبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطلبتك. فقال لهُ كسرى: انت رجل من العرب وبكر بن وائل اخوالك (٢) فأنت تتعصّب لهم ولا تألوهم نصحًا. فقال اياس: رأي الملك افضل. فقام اليهِ عمرو ابن عدي بن زيد العبادي وكان كاتبهُ وترجمانهُ بالعربية وفي امور العرب فقال لهُ: أَقِمْ ايها الملك وابعث اليهم بالجنود يكفوك. فقام اليهِ النعمان بن زُرْعة من ولد السفّاح التغلبي فقال: ايها الملك ان هذا الحيّ من بكر بن وائل اذا أحاطوا بذي قار تهافتوا تهافت الجراد في النار. فعقد للنعمان ابن زُرعة على تغلب والنمر. وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قُضاعة واياد.

---

(١) وفي نسخة: غَمر

(٢) كانت أم اياس أمامة بنت مسعود اخت هانئ بن مسعود

وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعهُ كتيبتاه الشهباء والدوسر . فكانت العرب ثلاثة آلاف . وعقد للهامرز على الف من الاساورة . وعقد لخنابرين على الف . وبعث معهم باللطيمة وهي عير كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطاف توصل الى باذان عامله باليمن . وقال : اذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها الى اليمن . وأمر عمرو بن عدي ان يسير بها . وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن . وعهد كسرى اليهم اذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن زُرعة . فان أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم يكونون رهنًا بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم والّا فقاتلوهم . وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصفقة فالعرب وجلة خائفة منهُ . وكانت حُرَقة بنت حسان بن النعمان يومئذٍ في بني سنان . هكذا في هذه الرواية . وقال ابن الكلبيّ : حرقة بنت النعمان وهي هند . والحرقة لقب وهذا هو الصحيح . فقالت تنذرهم وتقول :

ألا أبلغ بني بكرٍ رسولًا   فقد جدَّ النفير بعنفقيرِ
فليت الجيش كلهمُ فداكم   ونفسي والسريرُ وذا السريرِ
كأني حين جدَّ بهم اليكم   معلقـة الذوائب بالعبورِ
فلو اني اطقت لذاك دفعًا   اذًا لدفعتهُ بدمي وزيري

فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانئ بن مسعود حتى انتهى الى ذي قار فنزل بهِ . وأقبل النعمان بن زرعة(١) حتى نزل على ابن اختهِ مرّة بن عمرو فحمد الله النعمان وأثنى عليهِ ثم قال : انكم اخوالي وأحد طرفيَّ وان الرائد

---

(١) كانت امهُ فاطف بنت النعمان بن معدي كرب التغلبي وامها الشقيقة بنت الحرث بن الوصاف العجلي

لا يكذب اهلهُ . وقد اتاكم ما لا قبل لكم بهِ من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدوسر . وان في الشرّ خياراً . ولأن يفتدي بعضكم بعضاً خير من ان تصطلموا . انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهناً من ابنائكم بما احدث سفهاؤكم . فقال لهُ القوم : ننظر في أمرنا . وبعثوا الى من يليهم من بكر بن وائل وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجَلْهَتَين (١) . (قال) وكان مرداس السلميّ (٢) مجاوراً فيهم يومئذٍ . فلما رأى الجيوش قد اقبلت اليهم حمل عيالهُ فخرج عنهم وأنشأ يقول يحرّضهم بقولهِ :

أبلغ سراة بني بكر مغلغلة ... اني اخاف عليهم سربة الواري
اني أرى الملك الهامرز منصلتاً ... يزجي جياداً وركباً غير أعيارِ
لا تلقط البعر الحوليّ نسوتهم ... للجائزين على اعطان ذي قارِ
فان أبيتم فاني رافع ظعني ... ومنشب في جبال اللوب اظفاري
وجاعلٌ بيننا ورداً غواربهُ ... ترمي اذا ما ربا الوادي بتيّارِ (٣)

وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا الى من حولهم من قبائل بكر لا ترفع لهم جماعة الّا قالوا : سيدنا في هذه . فرفعت لهم جماعة فقالوا : سيدنا في هذه . فلما دنوا اذا هم بعبد عمرو بن بشر بن مرثد . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أُخرى

---

(١) قال الاثرم : جلهة الوادي ما استقبلك منهُ واتسع لك . وقال ابن الاعرابي : جلهة الوادي مقدّمه مثل جلهة الرأس اذا ذهب شعرهُ يقال رأس اجله

(٢) قال صاحب الاغاني : « هذه الحكاية في امر مرداس بن ابي عامر عندي خطأ لان وقعة ذي قار كانت بعد الهجرة وكانت بين بدر وأُحد ، ومرداس بن ابي عامر وحرب بن أُميّة ابو ابي سفيان ماتا في وقت واحد . واظن ان هذه الابيات لعباس بن مرداس بن ابي عامر »

(٣) « ربا » ارتفع وطال . وقولهُ : « ورداً غواربهُ » اراد البحر

فقالوا: في هذه سيدنا. فاذا هو جبلة بن باعث بن صريم اليشكري . فقالوا: لا. فرفعت اخرى فقالوا: في هذه سيدنا. فاذا هو الحرث بن وعلة بن المجالد الذهلي. فقالوا: لا. ثم رفعت لهم اخرى فقالوا: في هذه سيدنا. فاذا فيها الحرث ابن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله. فقالوا: لا. ثم رفعت لهم اخرى اكبر مما كان يجيء فقالوا: لقد جاء سيدنا. فاذا رجل اصلع الشعر عظيم البطن مشرب حمرة . فاذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار بن حي بن حاطبة بن الاسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل. فقالوا: يا أبا مَعْدان قد طال انتظارنا وقد كرهنا ان نقطع امرًا دونك وهذا ابن اختك النعمان بن زُرعة قد جاءنا والرائد لا يكذب اهلهُ. قال: فما الذي أجمع عليهِ رأيكم واتفق عليهِ ملؤكم. قالوا: ان اللخي اهون من الوهي وان في الشرّ خيارًا ولان يفتدي بعضكم بعضًا خير من ان تصطلموا جميعًا. قال حنظلة: فقبح الله هذا رأيًا لا تجرّ أحرار فارس ارجلها ببطحاء ذي قار وانا اسمع الصوت. ثم امر بقبتهِ فضربت بوادي ذي قار. ثم نزل ونزل الناس فطافوا بهِ. ثم قال لهاني بن مسعود : يا ابا امامة ان ذمتكم ذمتنا عامّة وانهُ لن يوصل اليك حتى تفنى ارواحنا. فأخرج هذه الحلقة ففرّقها بين قومك. فان تظفر فستردّ عليك وان تهلك فاهون مفقود. فامر بها فأُخرجت ففرَّقها بينهم . ثم قال حنظلة للنعمان : لولا انك رسول لما أُبتَ الى قومك سالمًا. فرجع النعمان الى اصحابهِ فأخبرهم بما ردَّ عليهِ القوم . فباتوا ليلتهم مستعدّين للقتال. وبكر بن وائل يتأهبون للحرب

فلما اصبحوا اقبلت الاعاجم نحوهم. وامر حنظلة بالظعن جميعًا فوقفها خلف الناس. ثم قال: يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظعنكم او دعوا. فاقبلت الاعاجم يسيرون على تعبية. فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا

فلحقوا بالحيّ فاستخفوا فيهِ. فسمي حيّ بني قيس بن ثعلبة. (قال) وهو على موضع خفيّ. فلم يشهدوا ذلك اليوم. وكان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التجيبي يومئذٍ هو وقومهُ نزولًا في بني شيبان. فقال: يا بني شيبان أما لو اني كنت منكم لأشرت عليكم برأيٍ مثل عروة العلم. فقالوا: فانت والله من اوسطنا فأشر علينا. فقال: لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشابها ولكن تكردسوا كراديس فيشدّ عليهم كردوس فاذا اقبلوا عليهِ شدّ الآخر. فقالوا: فانك قد رأيت رأيًا. ففعلوا. فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة ابن ثعلبة فقال: يا معشر بكر بن وائل ان النشاب الذي مع الاعاجم يفرقكم فاذا ارسلوه لم يخطئكم. فعاجلوهم اللقاء وابدؤوهم بالشدة. ثم قام هاني بن مسعود فقال: يا قوم مهلك مقدور. خير من نجاء معرور. وان الحذر لا يدفع القدر. وان الصبر من اسباب الظفر. المنية ولا الدنية. واستقبال الموت خير من استدبارهِ. والطعن في الثغر. اكرم من الطعن في الدبر. يا قوم جدّوا فما من الموت بدّ. فتح لو كان لهُ رجال. أسمعُ صوتًا ولا ارى قومًا. ويا آل بكر شدّوا واستعدّوا والّا تشدوا تُردّوا. ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرّة بن همّام فقال: يا قوم انما تهابونهم انكم ترونهم عند الحفاظ اكثر منكم وكذلك انتم في اعينهم. فعليكم بالصبر فان الاسنة تردي الاعنة. يا آل بكر قدمًا قدمًا. ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقال:

يا قوم لا تغرركم هذي الخرقْ ولا وميض البيض في الشمس برقْ
من لم يقاتل منكمُ هذا العنقْ فجنبوهُ الراح واسقوهُ المرقْ

ثم قام حنظلة بن ثعلبة الى وضين راحلة امرأتهِ فقطعهُ. ثم تتبَّع الظعن يقطع

وُضُنهنَّ. فسمي يومئذٍ مقطع الوضين (١). (قالوا) وكانت بنو عجل في الميمنة بازاء خنابرين. وكانت بنو شيبان في الميسرة بازاء كتيبة الهامرز. وكانت افناء بكر بن وائل في القلب. فخرج أُسوار من الاعاجم مسوّر في اذنيهِ درّتان من كتيبة الهامرز يتحرّى الناس للبراز فنادى في بني شيبان. فلم يبرز اليهِ احد. حتى اذا دنا من بني يشكر برز لهُ يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشدّ عليهِ بالرمح فطعنهُ فدقّ صلبهُ واخذ حليتهُ وسلاحهُ. فذلك قول سويد بن ابي كاهل يفتخر:

ومنّا يزيد اذ تحرّى جموعكم   فلم تقربوهُ المرزبان المشهرُ
وبارزهُ منّا غلامٌ بصارمٍ   حسام اذا لاقى الضريبة يبترُ

ثم ان القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشدّ قتال رآه الناس الى ان زالت الشمس. فشدّ الحوفزان واسمهُ الحرث بن شريك على الهامرز فقتلهُ. وقتلت بنو عجل خنابرين. وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا: وتبعتهم بكر بن وائل. فلحق مرثد بن الحرث النعمانَ بن زُرعة فاهوى لهُ طعناً. فسبقهُ النعمان بصدر فرسهِ فأفلتهُ. فقال مرثد في ذلك:

وخيل تباري للطعان شهدتها   فاغرقت فيها الرمح والجمع مجحمُ
وأفلتني النعمان فوت رماحنا   وفوق قطاة المهر أزرق لهزمُ

(قال) ولحق اسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمانَ بن زُرعة فقال لهُ: يا نعمان هلمّ اليّ فانا خير لك من اسد انا خير لك من الكعبين. قال: ومن انت. قال: الاسود بن بجير. فوضع يدهُ في يدهِ. فجزّ ناصيتهُ وخلّى سبيلهُ وحملهُ الاسود على فرس لهُ وقال لهُ: انجُ على هذه فانها اجود من فرسك.

---

(١) الوضين بطان الناقة. ويقال مُقطّع البُطُن والبطن حزم الاقتاب

وجاء اسود بن بجير العجليّ على فرس النعمان بن زرعة . وقُتل خالد بن يزيد البهراني قتلهُ الاسود بن شريك بن عمرو . وقُتل يومئذٍ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر . فقالت امهُ ترثيهِ :

ويح عمرو بن عدي من رجلْ خان يوماً بعد ما قيل كملْ
كان لا يعقل حتى مـا اذا جاء يوماً يأكل الناس عقلْ
أيهم دلّاك عمرو للردى وقديماً حين للمرء الاجلْ
ليت نعمان علينـا ملكاً وبـنيّ لي حيٌّ لم يزلْ
قد تنظرنا لغـاد أوبة كان لو يغني عن المرء الاملْ
بان معـهُ عضد مع ساعد بؤسا للدهر وبؤسا للرجلْ

(قال) وأفلت اياس بن قبيصة على فرس لهُ كانت عند رجل من بني تيم الله يُقال لهُ ابو ثور . فلما أراد اياس ان يغزيهم ارسل اليه ابو ثور بها . فنهاه اصحابهُ ان يفعل . فقال : والله ما في فرس اياس ما يعزُّ رجلًا ولا يذلهُ وما كنت لأقطع رحمهُ فيها . فقال اياس :

غزاها ابو ثور فلما رأيتهـا دخيس دواه لا اضيع غزاها
فأعددتها كفوءا لكل كريهةٍ اذا اقبلت بكر تجرُّ رشاها

(قال) واتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى اصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه . فذكروا ان مائة من بكر بن وائل وسبعين من عجل وثلاثين من افناء بكر بن وائل أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم . فلم يفلت منهم كبير احد . وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم . فذلك قول الدهان ابن جندل :

ان كنت ساقية يومًا على كرمٍ   فاسقي فوارس من دهل بن شيبانا
واسقي فوارس حاموا عن ديارهمِ   واعلي مفارقهم مسكًا وريحانا

(قال) فكان اوّل من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة. وكان لا ياتيهِ احد بهزيمة جيش الّا ترع كتفيهِ. فلما اتاه اياس سألهُ عن الخبر. فقال: هزمنا بكر بن وائل فأتيناك بنسائهم. فاعجب ذلك كسرى وأمر لهُ بكسوة. وان اياسًا استأذنهُ عند ذلك فقال: ان اخي مريض بعين التمر فأردت ان آتيه. وانما أراد ان يتنحّى عنهُ. فأذن لهُ كسرى. فترك فرسهُ الحمامة وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة وركب نجيبتهُ فلحق باخيهِ. ثم اتى كسرى رجل من اهل الحيرة وهو بالخورنق. فسألهُ هل دخل على الملك احد. فقال: نعم اياس. فقال: ثكلت اياسًا امّهُ. وظنّ انهُ قد حدّثهُ بالخبر. فدخل عليهِ فحدّثهُ بهزيمة القوم وقتلهم. فامر بهِ فنزعت كتفاه. وقال ابو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار:

لولا فوارس لا ميلٌ ولا عزل   من اللهازم ما نطتم بذي قارِ
ما زلت مفترسًا اجساد افتية   تثير اعطافها منها بآثارِ
ان الفوارس من عجل هم أنفوا   من ان يخلوا لكسرى عرصة الدارِ
لاقوا فوارس من عجل بشكّتها   ليسوا اذا قلصت حرب باغمارِ
قد أحسنت ذهل شيبان وما عدلت   في يوم ذي قار فرسان ابن سيّارِ
هم الذين أتوهم عن شمائلهم   كما تلبس ورّاد بصدّارِ

فاجابهُ الاعشى فقال:

أبلغ اباكلبة التيمي مألكة   فانت من معشر والله اشرارِ
شيبان تدفع عنك الحرب آونة   وانت تنبح نبح الكلب في الغارِ

(قال) ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط حتى مات قيس

حرب داحس

كان من حديث داحس ان امهُ فرس كانت لقرواش بن عوف يقال لها جلوى وكان ابوهُ يسمى ذا العقال وكان لحوط بن ابي جابر . فنتج قرواش فرسهُ مهرًا من ذي العقال فسماهُ داحسًا وخرج كأنهُ ابوهُ ذو العقال . وفيهِ يقول جرير:

ان الجياد يبتن حول خبائنا   من آل اعوج (١) او لذي العقالِ

فلما تحرَّك المهر سام مع امهِ وهو فِلو يتبعها وبنو ثعلبة سائرون . فرآه حوط فاخذهُ . فقالت بنو ثعلبة : يابني رياح الم تفعلوا فيهِ اوَّل مرَّة ما فعلتم(٢) ثم هذا الآن . فقالوا : هو فرسنا ولن نترككم او نقاتلكم عنهُ او تدفعوهُ الينا . فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : اذًا لا نقاتلكم عنهُ انتم اعزّ علينا هو فداؤكم ودفعوه اليهم . فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا : والله لقد ظلمنا اخوتنا مرَّتين ولقد حلموا وكرموا . فارسلوا بهِ اليهم مع لقوحين . فمكث عند قرواش ما شاء الله وخرج اجود خيول العرب

ثم ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ أغار على بني يربوع فلم يُصب احدًا غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الابل لقرواش وأصاب الحيّ وهم خلوف ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني ازنم بن عبيد بن ثعلبة

---

(١) اعوج فرس لبني هلال (٢) تلميح الى قصَّةٍ لحوط لمَّا آنْ حاول منع نتاج جلوى

ابن يربوع . فجالا في متن الفرس مرندفيهِ وهو مقيَّد بقيد من حديد . فأعجلهما القوم عن حلّ قيده واتبعهما القوم . فضبر بالغلامين ضبرًا حتى نجوا بهِ . ونادتهما احدى الجاريتين : ان مفتاح القيد مدفون في مِذْوَد الفرس . بمكان كذا وكذا اي بجنب مذود وهو مكان اي لا ينزلا الّا في ذلك المكان . فسبقا اليهِ حتى اطلقاه . ثم كرَّا راجعين . فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس فقال لهما : لكما حكمكما وادفعا اليَّ الفرس . فقالا : او فاعلٌ انت . قال : نعم . فاستوثقا منهُ على ان يردّ ما اصاب من قليل وكثير ثم يرجع عوده على بدئهِ ويُطلق الفتاتين ويخلي عن الابل وينصرف عنهم راجعًا . ففعل ذلك قيس . فدفعا اليهِ الفرس . فلما رأى ذلك اصحاب قيس قالوا : لا نصالحك ابدًا . اصبنا مائة من الابل وامرأتين فعمدت الى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب بهِ دوننا . فعظم في ذلك الشرّ حتى اشترى منهم غنيتهم بمائة من الابل

فلما جاء قرواش قال للغلامين الازغيَّين : اين فرسي . فأخبراه . فأبى ان يرضى الّا ان يدفع اليهِ فرسهُ . فعظم في ذلك الشرّ حتى تنافروا فيهِ . فقضي بينهم ان تُردّ الفتاتان والابل الى قيس بن زهير ويردّ عليهِ الفرس . فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شرّ . وانصرف قيس بن زهير ومعهُ داحس . فمكث ما شاء الله

وزعم بعضهم ان الرهان انما هاجهُ بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر ان قيسًا دخل على بعض الملوك وعندهُ قينة لحُذَيفة بن بدر تغنيهِ بقول امرئ القيس :

دارٌ لهند والرَّبابِ وَفَرْتَنا   وليسَ قبل حوادث الايامِ

وهنَّ فيما يذكر نسوة من بني عبس . فغضب قيس بن زهير وشقَّ رداءها

وشتمها. فغضب حذيفة. فبلغ ذلك قيساً فاتاه يسترضيه فوقف عليه فجعل يكلمهُ وهو لا يعرفهُ من الغضب وعنده افراس لهُ فعابها وقال : ما يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا مسهر . فقال حذيفة : أتعيبها . قال : نعم . فتجاريا حتى تراهنا

وقال بعض الرواة : ان الذي هاج الرهان ان رجلًا من بني عبد الله بن غَطَفان ثم احد بني جوشن وهم اهل بيت شؤم أتاه الورد العبسي أبو عروة ابن الورد وأتى حذيفة زائرًا فعرض عليه حذيفة خيلهُ . فقال : ما أرى فيها جوادًا مبرًّا (١) فقال لهُ حذيفة : فعند من الجواد المبرّ . فقال : عند قيس بن زهير . فقال لهُ . هل لك ان تراهنني عنهُ . قال : نعم قد فعلت . فراهنهُ على ذَكَر من خيله وانثى . ثم ان العبسي اتى قيس بن زهير وقال : اني قد راهنت حذيفة على فرسين من خيلك ذكر وانثى واوجبت الرهان . فقال قيس : ما أُبالي من راهنت غير حذيفة . فقال : ما راهنت غيرهُ . فقال قيس : انك ما علمت لانكِد . ثم ركب قيس فاتى حذيفة حتى وقف عليه . فقال لهُ : ما غدا بك . قال غدوت لأُواضِعك الرهان . قال : بل غدوت لتغلقهُ . قال : ما اردت ذلك . فابى حذيفة الّا الرهان . فقال قيس : أُخيّرك ثلاث خِلال فان بدأتَ فاخترتَ قبلي فلي خِلَّتان ولك الاولى . وان بدأتُ فاخترتُ قبلك فلك خلتان ولي الاولى . قال حذيفة : فابدأ . قال قيس : الغاية من مائة غلوة (٢) . قال حذيفة : فالمضمار أربعون ليلة والمجرى من ذات الاصاد . ففعلا ووضعا السَبَق على يدي غلاق

(١) المبرّ الغالب . قال ذو الرُمّة :

أبرُّ على الخصوم فليس خصم ولا خصمان يغلبهُ جدالا

(٢) الغلوة الرمية بالنشابة

او ابن غلاق احد بني ثعلبة . فاما بنو عبس فزعموا انهُ اجرى الخطار والحنفاء .
وزعمت بنو فزارة انهُ اجرى قُرزلًا والحنفاء . واجرى قيس داحساً والغبراء
ويزعم بعضهم ان الذي هاج الرهان ان رجلًا من بني المُعتمِر بن قطيعة ابن عبس يُقال لهُ سراقة راهن شابًا من بني بدر وقيس غائب على اربع جزائر من خمسين غلوة . فلما جاء قيس كره ذلك وقال لهُ : لم ينتهِ رهان قط الّا الى شرّ . ثم أتى بني بدر فسألهم المواضعة . فقالوا : لا حتى نعرف سبقنا فان اخذنا فحقّنا وان تركنا فحقّنا . فغضب قيس ومحك وقال : اما اذا فعلتم فاعظموا الخَطِر وأبعدوا الغاية . قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد . وذلك مائة غلوة . والثنيَّة فيما بينهما . وجعلوا القضيـــة في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال لهُ حصين وملأوا البركة ماء وجعلوا السابق اوّل الخيل يكرع فيها . ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أُرسلنَ منهُ ينظران الى الخيل كيف خروجها منهُ . فلما أُرسلت عارضاها . فقال حذيفـــة : خدعتك يا قيس . قال : ترك الخداع من اجرى من مائة . فارسلهـــا مثلًا . ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبِرّ وخيل زهير تقصِر . فقال حذيفة : سبقتك يا قيس . فقال : جريُ المذكيات غلاب(١) فأرسلها مثلًا . ثم ركضا ساعة . فقال حذيفة : انك لا تركض مركضًا . فارسلها مثلًا . وقال : سبقت خيلك يا قيس . فقال قيس : رويدًا تعلون الجدد . فارسلها مثلًا . (قال) وقد جعلت بنو فزارة كمينًا بالثنية . فاستقبلوا داحسًا فعرفوه فامسكوه وهو السابق . ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفهُ مصلّية . حتى مضت الخيل واسهلّت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في

---

(١) وفي نسخة : غلاء . وكلتا الروايتين صحيحة

آثارها (١) فجعل يبدرها فرساً فرسا حتى سبقها الى الغاية مصلّيا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية لسبقها . فاستقبلها بنو فزارة فلطموها (٢) ثم حلأُوها عن البركة . ثم لطموا داحساً وقد جاءا متواليين . فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا افراسهم ولم تُطقهم بنو عبس يقاتلونهم وانما كان من شهد ذلك من بني عبس ابياتاً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم انهُ لا يأتي قوم الى قومهم شرًّا من الظلم فاعطونا حقنا . فأبت بنو فزارة ان يعطوهم شيئاً . وكان الخطر عشرين من الابل . فقالت بنو عبس : اعطونا بعض سبقنا . فأبوا . فقالوا : اعطونا جزوراً نَحرها نطعمها اهل الماء فانّا نكره القالة في العرب . فقال رجل من بني فزارة : مائة جزور وجزور واحد سواء . والله ما كنا لنِقرّ لكم بالسبق علينا ولم نُسبق . فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ان قيساً كان كارهاً لاوّل هذا الرهان وقد احسن في اخرهِ وان الظلم لا ينتهي الّا الى الشرّ . فاعطوه جزوراً من نعمكم . فأبوا . فقام الى جزور من ابلهِ فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه . فقام ابنهُ فقال : انك لكثير الخطإِ اتريد ان تخالف قومك وتلحق بهم خزاية بما ليس عليهم . فأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنعم . فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتَمل عنهم هو ومن معهُ من بني عبس . فأتى على ذلك ما شاء الله . ثم ان قيساً اغار عليهم فلقي عوف بن بدر فقتلهُ واخذ ابلهُ . فبلغ ذلك بني فزارة فهمّوا بالقتال وغضبوا . فحمل الربيع بن زياد احد بني عوذ بن غالب

---

(١) اي اسرع (٢) كان الذي لطم الفرس عمير بن نضلة فجسأت يده فسُمي جاسئاً

ابن قطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عُشَراء ميتلية (١) . واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله . ثم ان مالك بن زهير أتى امرأتهُ باللقاطة قريباً من الحاجر فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدسَّ لهُ فرساناً على افراس من مسانّ خيلهِ وقال : لا تنتظروا مالكاً ان وجدتموه ان تقتلوه . والربيع بن زياد مجاور حذيفة بن بدر . وكانت امرأة الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر . فانطلق القوم فلقوا مالكاً فقتلوه ثم انصرفوا عنهُ وجاءوا عشيَّة وقد جهدوا افراسهم فوقفوا على حذيفة ومعهُ الربيع بن زياد . فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم . قالوا : نعم وعقرناه . فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قط أهلكت افراسك من اجل حمار . فقال حذيفة لمَّا أكثر عليهِ من الملامة وهو يحسب ان الذي اصابوا حماراً : انَّا لم نقتل حماراً ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمر الله القتل . فقلت : اما والله اني لاظنهُ سيبلغ ما يكره . فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرَّقا . فقام الربيع يطأ الارض وطئاً شديداً . واخذ يومئذٍ حمل بن بدر ذا النون سيف مالك بن زهير

قال ابو عبيدة : فزعموا ان حذيفة لما قام الربيع بن زياد ارسل اليهِ بمولدة لهُ فقال لها : اذهبي الى معاذة (بنت بدر امرأة الربيع) فانظري ما ترين الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندسَّت بين الكفاءِ والنضد (٢) . فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسهُ فقبض بمعرفتهِ

---

(١) العشراء التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر من ملقحها . والمتالي التي نتج بعضها والباقي يتلوها في التاج

(٢) الكفاء شقة في اخر البيت . والنضد متاع يحمل على حمار من خشب

ثم مسح متنــه حتى قبض بعكوة ذنبهِ (١) ثم رجع الى البيت ورمحهُ مركوز بفنائهِ فهزَّهُ هزًّا شديداً ثم ركزهُ كما كان. ثم قال لامرأتهِ: اطرحي لي شيئاً فطرحت لهُ شيئاً فاضطجع عليهِ وقال: قد حدث أمر. ثم تغنَّى وقال:

(الكامل)

نام الخليُّ ولم أُغمِّض حـارِ ... من سيّئ النبإ الجليل الساري

من مثله تمسي النساء حواسراً ... وتقوم معولةً مع الاسحـارِ

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فليأتِ نسوتنا بوجه نهـارِ

يجد النساء حواسراً يندبنـهُ ... يبكينَ قبل تبلُّج الاسحـارِ

قد كنَّ يخبأنَ الوجوه تستُّراً ... فاليوم حين بدونَ للنظـارِ

يخمشنَ حُرَّاتِ الوجوه على امرءٍ ... سهل الخليقة طيب الاخبار

افبعدَ مقتل مالك بن زهيرٍ ... ترجو النساء عواقب الاطهار

ما ان ارى في قتلهِ لذوي الحِجى ... الّا المطيَّ تشدّ بالاكوار

ومُجنَّبات ما يذقنَ عذوفةً (٢) ... يقذفنَ بالمهرات والامهـارِ

ومساعراً صدى الحديد عليهم ... فكانّما طلي الوجوه بقـارِ

يا رُبَّ مسرور بمقتل مالك ... ولسوف نصرفهُ بشرّ محـارِ

فرجعت المرأة فاخبرت حذيفـة الخبر. فقال: هذا حين اجتمع امر اخوتكم. ووقعت الحرب. وقال الربيع لحذيفـة وهو يومئذٍ جاره: سيِّرني فاني جاركم مسيرة ثلاث ليالٍ. ومع الربيع فضلة من خمر. فلما سار الربيع دسَّ حذيفـة في اثره فوارس فقال: اتبعوه فاذا مضت ثلاث ليال فانَّ معهُ فضـلة خمر فان وجدتموه قد اهراقها فهو جادّ وقد مضى فانصرفوا. وان لم تجدوه قد أراقها

---

(١) العكوة اصل الذنب

(٢) العذوف والعدوف واحد وهو ما أكلتهُ

فاتبعوه فانكم تجدوه قد مال لادنى منزل فرتع وشرب فاقتلوه . فتبعوه فوجدوه قد مال لادنى منزل وشقَّ الزِقَّ ومضى . فانصرفوا . فلما أتى الربيع قومهُ وقد كان بينهُ وبين قيس بن زهير شحناء وذلك انَّ الربيع ساوم قيس بن زهير في درع كانت عندهُ . فلما نظر اليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردّها على قيس . فعرض قيس لفاطمة ابنة الخرشب الانمارية من انمار ابن بغيض وهي احدى مُنجبات قيس وهي ام الربيع وهي تسير في ظعائن من عبس فاقتاد جملها يريد ان يرتهنها بالدرع حتى يردّ عليهِ . فقالت : ما رأيت كاليوم فعل رجل . اي قيس ضلَّ حلمك أترجو ان تصطلح انت وبنو زياد وقد اخذت امهم فذهبتَ بها يمينًا وشمالًا فقال الناس في ذلك ما شاءوا وحسبك من شرّ سماعه . فارسلتها مثلًا . فعرف قيس بن زهير ما قالت لهُ فخلَّى سبيلها واطرد ابلًا لبني زياد فقدم بها مكة فباعها من عبد الله بن جدعان القرشي . وقال في ذلك قيس بن زهير :

ألم يبلغكَ والانباء تنمى   بما لاقت لَبون بني زيادِ
ومَحبِسها على القرشيِّ تشرى   بادراعٍ واسيافٍ حدادِ
كما لاقيت من حَمَل بن بدرٍ   واخوته على ذات الاصادِ
همُ فخروا عليَّ بغير فخرٍ   وذادوا دون غايته جوادي
وكنتُ اذا منيتِ بخصم سوء   دلفتُ لهُ بداهيةٍ نآدِ
بداهيةٍ تدقُّ الصلب منهُ   فتقصم او تجوب على الفؤادِ
وكنت اذا اتاني الدهر رِبقٌ (١)   بداهية شددت لها نجادي

---

(١) الربق ما يتقلدهُ

ألم تعلم بنو الميقـاب اني ... كريم غير منغلت الزنادِ (١)
اطوّف مـا اطوف ثم آوي ... الى جار كجار ابي دوادِ (٢)
اليك ربيعة الخير بن قرط ... وهوبًا للطريف وللتـلادِ
كفاني ما اخاف ابو هلال ... ربيعة فانتهت عني الاعادي
تظلُّ جياده يحدين حولي ... بذات الرمث كالحدإ الغوادي
كاني اذ أنخت الى ابن قرط ... عقلت الى يلملمَ او نصادِ

(قال) فكانت تلك الشحناء بين بني زياد وبين بني زهير فكان قيس يخاف خذلانهم اياه . فزعموا انَّ قيسًا دسَّ غلامًا لهُ مولدًا فقال : انطلق كانك تطلب ابلًا فانهم سيسألونك فاذكر مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبد فسمع الربيع يتغنَّى بقولهِ : « افبعد مقتل مالك بن زهير » . فلما رجع العبد الى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد عرف قيس ان قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة فارسلوا اليهم ان : ردّوا علينا ابلنا التي ودينا بها عوفًا أخا حذيفة بن بدر لامهِ . فقال : لا اعطيكم دية ابن امّي وانما قتل صاحبكم حمل بن بدر وهو ابن الاسديّة . وأنتم وهو أعلم . فزعم بعض الناس انهم

---

(١) الوقب الاحمق . والميقاب التي تلد الحمقى . والمنغلت الذي ليس بمنقى .

(٢) جاره يعني ربيعة الخير بن قرط بن سلمـة بن قشير . وجار ابي دواد يقال الحرث بن همام بن مرّة بن ذُهل بن شيبـان وكان ابو دواد في جواره فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غدير فغمس الصبيان ابن ابي دواد فيه فقتلوه . فخرج الحرث فقال : لا يبقى صبي في الحي الّا غُرّق في الغدير او يرضى ابو دواد . فودي ابن ابي دواد عشر ديات فرضي . وهو قول ابي دواد :

الى الابل لا تحوّزهـا م ... الراعون مجّ الندى عليها المدام

قال ابو سعيد : حفظي « لا يحوذها الراعي ومج الندى »

كانوا ودوا عوف بن بدر بمائة من الابل متلية اي قد دنا نتاجها وانهُ قد أتى على تلك الابل اربع سنين وانَّ حذيفة بن بدر أراد ان يردّها باعيانها. فقال لهُ سنان بن خارجة المرّي: أتريد ان تلحق بنا خزاية فنعطيهم اكثر مما اعطونا فتسبّنا العرب بذلك. فأمسكها حذيفة. وأبى بنو عبس أن يقبلوا الّا ابلهم بعينها. فمكث القوم ما شاء الله ان يمكثوا. ثم ان مالك بن بدر خرج يطلب ابلًا لهُ فرّ على بني رواحة فرماهُ جندب أحد بني رواحة بسهم فقتلهُ. فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك:

لله عينا من رأى مثل مالكٍ   عقيرة قوم ان جرى فرسانِ
فليتهما لم يشربا قط قطرةً   وليتهما لم يُرسلا لرهانِ
أحلّ بهِ أمس الجنيدب نذرهُ   فأيّ قتيل كان في غطفانِ
اذا سجعت بالرقمتين حمامةٌ   او الرسّ فابكي فارس الكتّانِ (١)

ثم ان الاسلع بن عبد الله مشى في الصلح ورهنَ بني ذبيان ثلاثة من بنيهِ واربعة من بني اخيهِ حتى يصطلحوا جعلهم على يدي سبيع بن عمرو فمات سبيع وهم عندهُ. فلما حضرتهُ الوفاة قال لابنهِ مالك بن سبيع: ان عندك مكرمة لا تبيد ان انت احتفظت بهولاء الاغيلمة. وكأني بك لو قد متُّ قد اتاك حذيفة خالك (وكانت ام مالك هذا ابنة بدر) فعصر عينيهِ وقال: هلك سيدنا. ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليهِ فيقتلهم. فلا شرف بعدها. فان خفتَ ذلك فاذهب بهم الى قومهم. فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول: هلك سيدنا. فوقع ذلك لهُ في قلب مالك. فلما هلك سبيع اطاف بابنهِ مالك فاعظمهُ. ثم قال لهُ: يا مالك اني خالك واني أسنّ منك فادفع

(١) فرس لهُ كانت تسمّى الكتّان. ويروى الكتفان

اليَّ هولاء الصبيان ليكونوا عندي الى ان ننظر في أمرنا . ولم يزل بهِ حتى دفعهم الى حذيفة باليعمرية (١) فلما دفع مالك الى حذيفة الرهن جعل كل يوم يبرز غلاماً فينصبهُ غرضاً ويرمي بالنبل . ثم يقول : نادِ أباك . فينادي اباهُ حتى يمزقهُ النبل . ويقول لواقد بن جندب : نادِ أباك . فجعل ينادي : ياعماه . خلافاً عليهم ويكره ان يأبِس (٢) أباه بذلك . وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبد الاسلع : نادِ جنيبة . وكان جنيبة لقب ابيهِ . فجعل ينادي : يا عمراه باسم ابيهِ حتى قتل . وقتل عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ثم ان بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرَّة فالتقوا هم وبنو عبس فقتلوا منهم مالك بن عمرو بن سبيع الثعلبي قتلهُ مروان بن زنباع العبسي وعبد العزَّى بن حذار الثعلبي والحرث بن بدر الفزاري وهرم بن ضمضم المرّي قتلهُ ورد بن حابس العبسي . ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر . فقالت ناجية اخت هرم بن ضمضم المرّي :

يا لهف نفسي لهفة الموجوعِ ان لا ارى هرماً على مودوعِ (٣)
من اجل سيدنا ومَصرَع جنبهِ علق الفؤاد بحنظلٍ مجدوعِ

ثم ان حذيفة بن بدر جمع وتأهّب . واجتمع معهُ بنو ذبيان بن بغيض . فبلغ بني عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس : أطيعوني فوالله لئن لا تفعلوا لاتكِئنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري . قالوا : فانَّا نطيعك . فأمرهم فسرَّحوا السوام والضعاف بليلٍ وهم يريدون ان يظعنوا من منزلهم ذلك .

---

(١) اليعمرية ماء بواد من بطن نخل من الشربَّة لبني ثعلبة
(٢) الابس القهر والحمل على المكروه
(٣) مودوع فرسه

ثم ارتحلوا في الصبح واظهروا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم . فلما اصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا . فقال قيس : خذوا غير طريق المال فانهُ لا حاجة للقوم ان يقعوا في شوكتكم ولا يريدون بكم في انفسكم شرًّا من ذهاب اموالكم . فأخذوا غير طريق المال . فلما ادرك حذيفة الاثر ورآه قال : أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب اموالهم . فاتبع المال . وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم . وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلما ادركوه ردّوا اوّلهُ على آخرهِ . ولم يفلت منهم شيءٌ . وجعل الرجل يطرد ما قدر عليهِ من الابل فيذهب بها . وتفرَّقوا واشتد الحرّ . فقال قيس بن زهير : يا قوم ان القوم قد فرّق بينهم المغنم فاعطفوا الخيل في آثارهم . فلم تشعر بنو ذبيان الّا والخيل دوائس . فلم يقاتلهم كبير احد . وجعل بنو ذبيان انما همّة الرجل في غنيمتهِ ان يحوزها ويمضي بها . فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية . ولم يكن لهم غير حذيفة فارسلوا خيلهم مجتهدين في اثرهِ . وارسلوا خيلًا تقصّ الناس ويسألونهم حتى سقط خَبَر حذيفة من الجانب الايسر على شدّاد بن معاوية العبسي وعمرو بن ذهل بن مرّة العبسي وعمرو بن الاسلع والحرث بن زهير وقرواش بن هنيّ وجنيدب . وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسهِ . فنزل عنهُ فوضع رجلهُ على حجر مخافة ان يقتصّ اثرهُ ثم شدّ الحزام . فوقع صدر قدمهِ على الارض فعرفوه وعرفوا حنف (١) فرسهِ فاتبعوه . ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وقد اشتدّ الحرّ فرمى بنفسهِ ومعهُ حمل بن بدر وحنش بن عمرو وورقاء بن بلال واخوه وهما من بني عدي بن فزارة

---

(١) الحنف ان تقبل احدى اليدين على الاخرى . وفي الناس ان تقبل احدى الرجلين على الاخرى وان يطأ الرجل وحشيها . وجمع الحنف حنف

وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا في الماء وتمعكت دوابهم وقد بعثوا ربيئة. فجعل يطلع فينظر فاذا لم يرَ شيئاً رجع . فنظر نظرة فقال : اني قد رأيت شخصاً كالنعامة او كالطائر فوق القتادة من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هنا وهنا هذا شدّاد على جروة

فبينا هم يتكلمون اذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم . فحال بينهم وبين الخيل . ثم جاء عمرو بن الاسلع ثم جاء قرواش حتى تتامّوا خمسة . فحمل جنيدب على خيلهم فاطردها . وحمل عمرو بن الاسلع فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر . فقال حذيفة : يابني عبس فأين العقول والاحلام . فضربهُ اخوه حمل بن بدر بين كتفيهِ وقال : اتق مأثور القوم بعد اليوم . فأرسلها مثلاً . وقتل قرواش بن هني حذيفة وقتل الحرث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منهُ ذا النون سيف مالك بن زهير وكان حمل اخذهُ من مالك بن زهير يوم قتلهُ . فقال الحرث بن زهير في ذلك :

تركت على الهباءة غير فخرٍ   حذيفة حولهُ قصد العوالي
سيخبر عنهم حنش بن عمرو   اذا لاقاهمُ وابنا بلالِ
ويخبرهم مكان النون مني   وما اعطيتهُ عرق الخلالِ (١)

فأجابهُ حنش بن عمرو :

سيخبرك الحديث بهِ خبير   يجاهرك العدواة غير آلي

---

(١) العرق المكافأة . والخلال المودة . يقول : لم يعطوني السيف عن مكافاة ومودّة ولكني قبلت واخذت

بداءتها لقرواش بن عمرو   وأنت يجول جوبك في الشمالِ (١)

حروب الفجار وحروب عكاظ

كانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في اربعة اعوام متواليات ولم يكن لقريش في اولها مدخل ثم تحققت بها (فاما الفجار الاول) فكانت الحرب فيهِ ثلاثة ايام ولم تسمَّ باسم تشهر بها . (وأما الفجار الثاني) فكان أعظمهما لانهم استحلوا فيهِ الحرم وكانت ايامهُ يوم نخلة . وكان الرؤساء فيهِ حرب بن أمية في القلب وعبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة في الجنبتين . ثم يوم سمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم الحرَّة

قال أبو عبيدة : كان أمر الفجار ان بدر بن معشر الغفاري أحد بني غفار ابن مالك كان رجلًا منيعًا مستطيلًا بمنعتهِ على من ورد عكاظ . فاتخذ مجلسًا بسوق عكاظ وقعد فيهِ وجعل يبرح على الناس ويقول :

نحن بني مُدرِكة بن خِندِفِ   من يطعنوا في عينهِ لا يطرفِ
ومن يكونوا قومَهُ يغطرفِ   كأنهم لجة بحر مسرفِ (٢)

وبدر بن معشر باسط رجليهِ يقول : أنا أعزّ العرب فمن زعم انهُ أعزّ مني فليضرب هامتي بالسيف فهو اعزّ مني . فوثب رجل من بني نصر بن معاوية

---

(١) الجوب التُرس . يقول : بداءة الامر لقرواش وعمرو بن الاسلع وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا . وانت ترسك في يدك يجول لم تغنِ شيئًا . ويُقال : لك البداءة ولفلان العودة   (٢) وفي نسخة : مسدف

يقال لهُ الاحمر بن مازن بن أوس فضربهُ بالسيف على ركبتهِ فاندرها . ثم قال: خذها اليك ايها الخندف وهو ماسك سيفهُ . وقام ايضاً رجل من هوازن فقال:

انا ابن همدان ذو التغطرفِ بحر بجود زاخر لم ينزفِ
نحن ضربنا ركبة الخندفِ اذ مدَّها في اشهر المعرفِ

وفي هذه الضربة اشعار كثيرة لا معنى لذكرها

ثم كان اليوم الثاني من ايام الفجار الاوَّل وكان السبب في ذلك ان شباباً من قريش وبني كنانة هزأوا بامرأة من بني عامر بسوق عكاظ . فنادت: يا آل عامر: فثاروا وحملوا السلاح . وحملتهُ كنانة واقتتلوا قتالاً شديداً ووقعت بينهم دماء . فتوسط حرب بن أُميَّة واحتمل دماء القوم وأرضى بنيَ عامر من مثلة صاحبتهم

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الاوَّل . وكان سببهُ انهُ كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة . فلواه بهِ وطال اقتضاؤهُ اياه فلم يعطهِ شيئاً . فلما اعياه وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقرد ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا الرباح بمالي على فلان بن فلان الكناني . من يعطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكناني . رافعاً صوتهُ بذلك . فلما طال نداؤهُ بذلك وتعييره بهِ كنانة مرَّ رجل منهم فضرب القرد بسيفهِ فقتلهُ . فهتف بهِ الجشمي: يا آل هوازن . وهتف الكناني: يا آل كنانة . فتجمع الحيَّان حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى . ثم كفوا وقالوا: أَفي رباح تريقون دماءكم وتقتلون انفسكم . وحمل ابن جدعان ذلك في مالهِ بين الفريقين

(قال) ثم يوم الفجار الثاني وأوَّل يوم حروبهِ يوم نخلة . قال أبو عبيدة: كان

الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر ان البرّاض بن قيس بن رافع أحد بني ضَمْرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيرًا فاسقًا خلعهُ قومهُ وتبرؤُوا منهُ. فشرب في بني الدِّيل (١) فخلعوه. فأتى مكة وأتى قريشًا. فنزل على حرب ابن أمية فحالفهُ فأحسن حرب جواره. وشرب بمكة حتى همَّ حرب ان يخلعهُ. فقال لحرب: انهُ لم يبقَ احد ممن يعرفني الَّا خلعني سواك. وانك ان خلعتني لم ينظر اليَّ أحد بعدك. فدعني على حلفك وأنا خارج عنك. فتركهُ وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر (٢) بالحيرة. وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة يجيزها لهُ سيّد مضر فتُباع وتشتري لهُ بثمنها الادم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسيَّر والعدنيّ. وكانت سوق عكاظ في أوَّل ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى الى حضور الحجّ. وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة اميال وبها نخل واموال لثقيف. فجهَّز النعمان لطيمة لهُ وقال: من يجيزها. فقال البرّاض: أنا اجيزها على بني كنانة (٣) . فقال النعمان: انما أُريد رجلًا يجيزها على اهل نجد. فقال عروة الرحَّال وهو يومئذٍ رجل من هوازن: أنا أُجيزها أَبيت اللعن. فقال لهُ البرَّاض: من بني كنانة تجيزها يا عروة. قال: نعم وعلى الناس جميعًا. أفكلب خليع يجيزها. ثم شخص بها وشخص البرّاض وعروة يرى مكانهُ ولا يخشاه على ما صنع. حتى اذا كان بين ظهرَي غطفان الى جانب فَدَك بارض يقال لها أُوارة قريب من الوادي الذي يُقال لهُ تيمَن نام عروة في

---

(١) ديل هو اخو ضمرة

(٢) هو النعمان ابو قابوس

(٣) اي على اهل الحجاز

ظلّ شجرة . ووجد البرّاض غفلتهُ فقتلهُ وهرب في غضاريط الركاب فاستاق الركاب . وقال البرّاض في ذلك :

وداهية يهال النـاس منهـا ... شددت لها بني بكر ضلوعي
هتكت بها بيوت بني كلاب ... وأرضعت الموالي بالضروعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيف ... أفلّ فخرَّ كالجذع الصريعِ

وقال ايضاً :

نقمت على المرء الكلابي فخرهُ ... وكنت قديمـاً لا أقرُّ فخـارا
علوت بحدّ السيف مفرق رأسهِ ... فأسمع اهل الواديَين خوارا

فقال لبيد بن ربيعة يحضّ على الطلب بدمهِ :

أبلغ ان عرضت بني نمير ... وأخوال القتيل بني هلالِ
بأن الوافد الرحال اضحى ... صريعاً عندتين ذي الطلالِ (١)

قال أبو عمرو : لقي البرّاض بِشر بن ابي حازم فقـال لهُ : هذه القلائص لك على ان تأتي حرب بن أُمية وعبد الله بن جدعان وهشاماً والوليد ابني المغيرة فتخبرهم ان البرّاض قتل عروة . فاني اخاف إن يسبق الخـبر الى قيس أن يكتموه حتى يقتلوا بهِ رجلًا من قومك عظيماً . فقال لهُ : وما يؤمنك ان تكون أنت ذلك القتيل . قال : ان هوازن لا ترضى ان تقتل بسيدها رجلًا خليعـاً طريداً من بني ضمرة . (قال) ومرَّ بهما الجليس (٢) بن يزيد أحد بني الحرث وهو يومئذٍ سيد الاحابيش من بني كنانة والاحابيش من بني الحرث . فقال لهم الجليس : ما لي أراكم نجياً . فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا

---

(١) ويروى : مقيماً عند تيمن ذي طلالِ (٢) ويروى : الحليس

الخبر على اتفاق منهم . (قال) وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من اسواقهم وحجهم . ثم يردّوها عليهم اذا ظعنوا . وكان سيدًا حكيماً مثريًا من المال . فجاءهُ القوم فأخبروه خبر البرّاض وقتلهُ عروة وأخبروا حرب بن أُمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة . فجاء حرب الى عبد الله بن جدعان فقال لهُ : احتبس قبلك سلاح هوازن . فقال لهُ ابن جدعان : أبالغدر تأمرني يا حرب . والله لو اعلم انهُ لا يبقى منها سيف الّا ضُربت بهِ ولا رمح الّا طُعنت بهِ ما امسكت منها شيئًا . ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف في مالي تستعينون بها . ثم صاح ابن جدعان في الناس : من كان لهُ قبلي سلاح فليأتِ وليأخذهُ . فاخذ الناس اسلحتهم . وبعث ابن جدعان وحرب بن أُمية وهشام والوليد الى ابي براء : انهُ قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الامر فلا تنكروا خروجنا . وساروا راجعين الى مكة . فلما كان آخر النهار بلغ ابا براء قتل البرّاض عروة فقال : خدعني حرب وابن جدعان . وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في اثر القوم فادركوهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم وجنَّ عليهم الليل فكفُّوا . ونادى الادرَم ابن شعيب أحد بني عامر بن صعصعة : يا معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ . وكان يومئذٍ رؤساء قريش حرب بن امية في القلب وابن جدعان في احدى المجنبتين وهشام بن المغيرة في الاخرى . وكان رؤساء قيس عامر بن مالك ملاعب الاسنَّة على بني عامر . وكدام ابن عمير على فهم . وعدوان ومسعود بن سهم على ثقيف . وسُبيع بن ربيعة النصريّ على بني نصر بن معاوية . والصمَّة بن الحرث وهو أبو دريد بن الصمة على بني جُشم . وكانت الراية مع حرب بن امية وهي راية قصيّ

التي يُقال لها العقاب . فقال في ذلك خداش بن زهير :

يا شدَّة ما شددنا غير كاذبة على سخينة (١) لولا الليل والحرمُ
اذ يتقينـا هشام بالوليد ولو انا ثقفنا هشاماً شالت الخدمُ
بين الاراك وبين المرج تبطحهم زرق الاسنة في اطرافها السهمُ
فان سمعتم بجيش سالك شرفاً وبطن مرّ فاخفوا الجرْس واكتتموا

(قال) وقدم البرَّاض باللطيمة مكة وكان يأكلها . وكان عامر بن يزيد بن الملوّح بن يعمر الكناني نازلاً في اخوالـهِ من بني نمير بن عامر وكان ناكحاً فيهم . فهمَّت بنو كلاب بقتلهِ . فمنعتهُ بنو نمير . ثم شخصوا بهِ حتى نزل في قومهِ . واستغوت كنانة بني أسد وبني نمير واستغاث بهم فلم تغثهم . ولم يشهد الفجار أحد من هذين الحيَّين

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو يوم سمطـة . فتجمعت قريش وكنانة باسرها وبنو عبد مناة والاحابيش وأعطت قريش رؤوس القبائل اسلحة تامَّة وأداة وجمعت هوازن وخرجت فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ولا شهد هذان البطنان من ايام الفجار الَّا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك . وكان القوم جميعاً متساندين على كل قبيلة سيّدهم

(قال) فسبقت هوازن قريشاً فنزلت سمطة من عكاظ وظنوا ان كنانة لم توافهم . وأقبلت قريش فنزلت من دون المسيل . وجعل حرب بني كنانـة في بطن الوادي وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ولو أُبيحت قريش .

---

(١) زعموا ان عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة . فجعل يحيد عن قولهِ سخينة . فقال عبد الملك : انَّا قوم لم يزل يعجبنا السخن فهـات . فلما فرغ قال : يا اخا قيس ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستثناء

فكانت هوازن من وراء المسيل . قال أبو عبيدة : فحدَّثني أبو عمرو بن العلاء قال . كان ابن جدعان في احدى الجنبتين وفي الاخرى هشام بن المغيرة وحرب في القلب . وكانت الدائرة في أوّل النهار لكنانة . فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا واستحرّ القتل في قريش . فلما رأى ذلك بنو الحرث بن كنانة وهم في بطن الوادي مالوا الى قريش وتركوا مكانهم . فلما استحرَّ القتل بهم قال ابو مساحق بلعاء بن قيس لقومهِ : الحقوا برخم وهو جبل . ففعلوا وانهزم الناس . وفي ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة لهُ :

ابلغ ان عرضت بنا هشامًا ... وعبد الله ابلغ والوليدا
اولئك ان يكن في الناس خيرٌ ... فان لديهم حسبًا وجودا
هم خير المعاشر من قريش ... وأوراها اذا قدحت زنودا
بأنَّا يوم سمطة قد اقمنا ... عمود المجد انَّ لهُ عمودا
جلبنا الخيل ساهمة اليهم ... عوابس يدّرعنَ النقع قودا
فبتنا نعقد السيما (١) وباتوا ... وقلنا صبحوا الانس الجديدا
فجاءوا عارضًا برَدًا وجئنا ... كما اضرمت في الغاب الوقودا
ونادوا يا لعمرو لا تفرّوا ... فقلنا لا فرار ولا صدودا
فعاركنا الكماة وعاركونا ... عراك النمر عاركت الاسودا
فولوا نضرب الهامات منهم ... بما انتهكوا المحارم والحدودا
تركنا بطن سمطة من علاء ... كانَّ خلالها معزًا صديدا
ولم ارَ مثلهم هزموا وفلّوا ... ولا كزيادنا عنقًا مدودا

ثم كان اليوم الثالث من ايام الفجار وهو يوم العبلاء . فجمع القوم بعضهم

---

(١) قولهُ : « نعقد السيما » اي العلامات

لبعض والتقوا على قرن الحول بالعبلاء وهو موضع قريب من عكاظ . ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليه يوم سمطة وكذلك من كان على المجنبتين . فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فانهزمت كنانة . فقال خداش بن زهير في ذلك :

أَلم يبلغك بالعبلاء انّا ضربنا خندفًا حتى استقادوا
نبنّي بالمنازل عزّ قيسٍ وودّوا لو تسيخ بنا البلادُ

وقال ايضاً :

أَلم يبلغك ما قالت قريش وحيّ بني كنانة اذ اثيروا
دهمناهم بارعن مكفهرٍ فظلّ لنا بعقوتهم زئيرُ
تقوّم مارن الخطيّ فيهم يجيءُ على أسنتنا الجزيرُ

ثم كان اليوم الرابع من ايامهم يوم عكاظ فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا والروساء بحالهم . وحمل عبد الله بن جدعان يومئذٍ الف رجل من بني كنانة على الف بعير وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرى يوم العبلاء . فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو امية بن عبد شمس انفسهم (١) وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا . وعلى أبي سفيان يومئذٍ درعان قد ظاهر بينهما . فسمّي هولاء الثلاثة يومئذٍ العنابس وهي الأسد . فاقتتل الناس يومئذٍ قتالًا شديدًا وثبت الفريقان حتى همّت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب . وكانت بنو مخزوم تلي كنانة فحافظت حفاظًا شديدًا . وكان اشدّهم يومئذٍ بنو المغيرة فانهم صبروا

(١) زعم ابو عمرو بن العلاء ان ابا سفيان بن امية خاصة قيّد نفسهُ

وأبلوا بلاء حسنًا . فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا فرجعوا . وحمل بلعاء بن قيس يومئذٍ وهو يقول :

ان عكاظ مأوانا فخلوهُ   وذا المجاز بعد ان تحلُّوهُ

وخرج الجليس بن يزيد أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة وهو رئيس الاحابيش يومئذٍ فدعا الى المبارزة . فبرز اليهِ الحدثان بن سعد النصريّ فطعنهُ الحدثان فدقّ عضدهُ . وتحاجزوا واقتتل القوم قتالًا شديدًا . وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه . فانهزمت قيس كلها الّا بني نصر فانهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبت دُهمان فلم يغنوا شيئًا فانهزموا وكان عليهم سبيع بن ابي ربيعة أحد بني دهمان فعقل نفسهُ ونادى : يا آل هوازن يا آل هوازن يا آل نصر . فلم يعرج اليهِ احد وأجفلوا منهزمين فكرَّ بنو أُمية خاصة في بني دهمان ومعهم الخنيسق وقشعة الجشميَّان فقاتلوا ولم يغنوا شيئًا فانهزموا . وكان مسعود بن معتب الثقفي قد ضرب على امرأتهِ سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناة خباء وقال لها : من دخلهُ من قريش فهو آمن . فجعلت توصل في خبائها ليتّسع . فقال لها : لا يتجاوزني خباؤُك فاني لا أُمضي الّا من أحاط بهِ الخباء . فاحفظها . فقالت : أما والله اني لأظنُّ انكَ ستودّ ان لو زدت في توسعتهِ . فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها . فأجار لها حرب بن امية جيرانها وقال لها : يا عمّة من تمسك باطناب خبائك او دار حولهُ فهو آمن . فنادت بذلك . فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدًّا فلم يبقَ أحد لا نجاة عنده الّا دار بخبائها . فقيل لذلك الموضع مدار قيس وكان يضرب بهِ المثل فتغضب قيس منهُ . وكان زوجها مسعود بن معتب قد أخرج معهُ يومئذٍ بنيه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والاسود فكانوا يدورون وهم

غلمان في قيس يأخذون بايديهم الى خباء امهم ليجيروهم فيسودوا بذلك امرتهم أمهم ان يفعلوا. (قال) وقال ضرار بن الخطاب الفهري قوله :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يثبت الامر كالخابرِ
غداة عكاظ اذا استكملت هوازن في كفها الحاضرِ
وجاءت سُلَيم تهزُّ القنا على كل سلهبة ضامرِ
وجئنا اليهم على المضمرات بأرعن ذي نجب ذاخرِ
فلما التقينا اذقناهمُ طعانًا بسمر القنا العائرِ
ففرّت سُلَيم ولم يصبروا وطارت شعاعًا بنو عامرِ
وفرّت ثقيف الى لاتها بمنقلب الخائب الخاسرِ
وقاتلت العنس شطر النهار م ثم تولّت مع الصادرِ
على انّ دهمانها حافظت أخيرًا لدى دارة الدائرِ

وقال خداش بن زهير :

أتتنا قريش حافلين بجمعهم عليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ
فلما دنونا للقباب وأهلها أتيح لنا ريب مع الليل ناجرُ
أُتيحت لنا بكر وحول لوائها كتائب يخشاها العزيز المكاثرُ
جثت دونهم بكر فلم تستطعهم كأنهمُ بالمشرفيّة سامرُ
وما برحت خيل تثور وتدّعي ويلحق منهم اوّلون وآخرُ
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عماية يوم شرّهُ متظاهرُ
وما زال هذا الدأب حتى تخاذلت هوازن وارفضّت سليم وعامرُ
وكانت قريش يفلق الصخر جدّها اذا أوهن الناس الجدودُ العواثرُ

ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحُرَيرة وهي حرّة الى جانب عكاظ . والرؤساء

بجالهم الّا بلعاء بن قيس فانّهُ قد مات فصار اخوه مكانهُ على عشيرتهِ . فاقتتلوا فانهزمت كنانة وقُتل يومئذٍ أبو سفيان بن أمية وثمانيــة رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن اسد من بني عمرو بن عامر وخمسة نفر . وقال خداش بن زهير قولهُ :

لقد بلوكم فأبلوكم بلاءهمُ يوم الحريرة ضربًا غير تكذيبِ
ان توعدوني فاني لابن عمكمُ وقد أصابوكمُ منــهُ بشؤبوبِ
وان ورقاء قد أردى أبا كنف وابني اياس وعمرًا وابن ايوبِ
وان عثمان قد أردى ثمانيــة منكم وأنتم على خبرٍ وتجريبِ

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل والرجلان يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضًا . فلقي ابن محميَّة بن عبد الله الدّيلي زهير بن ربيعة أبا خداش . فقال زهير : اني حرام جئت معتمرًا . فقال لهُ : ما تلقى طوال الدهر الّا قلت : انا معتمر . ثم قتلهُ . فقال الشويعر الليثي واسمهُ ربيعة بن علس :

تركنا ثاويًا يزقو صداهُ زهــيرًا بالعوالي والصفاحِ
أُتيح لهُ ابن محمية ابن عبد فأعجلهُ التسوّم بالبطــاحِ

ثم تداعوا الى الصلح على ان يدي من عليــهِ فضلٌ في القتل الفضل الى اهــلهِ . فأبى ذلك وهب بن مُعتِّب وخالف قومه واندسَّ الى هوازن حتى أغارت على بني كنانة . فكان منهم بنو عمرو عليهم سلمـــة بن سعد البكائي وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي . وبنو نصر بن معاوية عليهم مالك بن عوف وهو يومئذٍ أمرد . فاغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم . فكانت لبني ليث اوّل النهار فقتلوا عبيد بن عوف البكائي قتلهُ بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر . ثم كانت على بني ليث آخر

النهار فانهزموا واستحرَّ القتـل في بني الملوّح بن يعمر بن ليث وأصابوا نعماً ونساء حينئذٍ. فكان من قتل في حروب الفجار من قريش العوّام بن خويلد قتلهُ مرّة بن معتب وقتل حزام بن خويلد وأُحيحة بن ابي احيحة ومعمر بن حبيب الجمحي. وجرح حرب بن اميـة. وقتل من قيس الصمّة أبو دريد بن الصمّة قتلهُ جعفر بن الاحنف. ثم تراضوا بان يعدّوا القتلى فيدوا من فضل. فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة. فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ان لا يعرض بعضهم لبعض. فرهن حرب بن امية ابنهُ أبا سفيان بن حرب. ورهن الحرث بن كلدة العبدي ابنهُ النضر. ورهن سفيان بن عوف أحد بني الحرث بن عبد مناة ابنهُ الحرث حتى وديت الفضول. ويقال ان عتبـة بن ربيعة تقدّم يومئذٍ فقال: يا معشر قريش هلموا الى صـلة الارحام والصلح. قالوا: وما صلحكم هنا فانا موتورون. فقـال: على ان ندي قتلاكم ونتصدّق عليكم بقتلانا. فرضوا بذلك. وسار عتبة يومئذٍ على ان: أقبلُ. (قال) فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبـوا في العفو فأطلقوهم. (قال) وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن فوداهم حرب بن أُمية فيما تروي قريش. وبنو كنانة تزعم ان القتلى الفاضلين قتلاهم وانهم هم ودوهم. قال أبو عبيدة: ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرج على شيءٍ حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجتهُ وقال: أنا بالله وبك. فقالت: كلاً زعمت انك ستملأ بيتي من اسرى قومي اجلس فانت آمن. وقالتَ أُمية بنت عبد شمس ترثي أخاها أبا سفيان بن امية ومن قُتل من قومها:

أبي ليلك لا يذهب (١) . ونيط الطرف بالكوكبْ

(١) ويروى: ابى ليلي ان يذهب

ونجم دونــهُ الاهوال م بــين الدلو والعقربْ
وهذا الصبح لا ياتي ولا يدنو ولا يقربْ
بعقر عشــيرة منــا كرام الخيم والمنصبْ
أحــال عليهمُ دهرٌ حديد الناب والمخلبْ
فحلَّ بهم وقد أمنوا ولم يقصر ولم يشطبْ
وما عنــهُ اذا ما حلَّ من منجىً ولا مهربْ
ألا يا عين فابكيهم بدمع منك مستغربْ
فان أبكي فهم عزّي وهم ركني وهم منكبْ
وهم أصلي وهم فرعي وهم نسبي اذا أنسبْ
وهم مجدي وهم شرفي وهم حصني اذا أرهبْ
وهم رمحي وهم ترسي وهم سيفي اذا أغضبْ
فكم من قائل منهم اذا ما قــال لم يكذبْ
وكم من ناطق فيهم خطيب مصقع معربْ
وكم من فارس فيهم كميّ معلم مجرَّبْ
وكم من مدرَه فيهم أريب حوّل قلّبْ (١)
وكم من جحفل فيهم عظيم النــار والموكبْ
وكم من خِضرِمٍ فيهم نجيب ماجد منجبْ

---

(١) ويروى : حوله مغلب . وفي نسخة : حزمه يغلب

مقتل ربيعة بن مُكدَّم في يوم الكديد

ربيعة بن مكدَّم احد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتلهُ نُبَيْشة (١) بن حبيب السلميّ في يوم الكديد . قال ابو عمرو بن العلاء : وقع تَدارٍ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة . فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور . ثم انهم ردوهما . ثم ضرب الدهر ضربة . فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازيًا فلقي ظعنًا من بني كنانة بالكديد في ركب من قومهِ وظفر بهم نفر من بني فراس بن مالك فيهم عبد الله بن جِذل الطِعان بن فراس والحرث بن مكدَّم أبو الفُرَيعة (٢) وأخوه ربيعة بن مكدم . (قال) وهو محدود يومئذٍ يُحمل في محفَّة . فلما رآهم أبو الفريعة قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدم : أنا أذهب حتى اعلم علم القوم فآتيكم بخبرهم . فتوجه نحوهم . فلما ولّى قال بعض الظعن : هرب ربيعة . فقالت اختهُ عزَّة بنت مكدم : أين تنتهي ترة الفتى . فعطف وقد منع قول النساء فقال :

لقد علمن انني غير فَرِقْ   لأَطعننَّ طعنة واعتنقْ
أُصبحهم صاحي بمجمر الحدقْ   عضبًا حسامًا وسنانًا يأْتلقْ

ثم انطلق يعدو بهِ فرسهُ . فحمل عليهِ بعض القوم فاستطرد لهُ في طريق الظعن وانفرد بهِ رجل من القوم فقتلهُ وتبعهُ ثم رماه نبيشة أو طعنهُ . فلحق

---

(١) ويروى : بيشة   وفي نسخة : نَبْشة

(٢) وقال بعضهم ابو القرعة . ويُروى : ابو القارعة وابو الفرعة

بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امهِ امّ سنان فقال: على يدي عصابة. وهو يرتجز ويقول:

شدي عليَّ العصب ام سيَّار فقد رزيت فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار

فقالت امهُ:

انا بنو ثعلبة بن مالك مرور أخبار لنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك ولا يكون الرزء الَّا ذلك

قال أبو عبيدة: وشدَّت امهُ عليهِ عصابة. فاستسقاها ماء. فقالت: ان شربت الماء متَّ فكرَّ على القوم. فكرَّ راجعاً يشتدّ على القوم وينزفهُ الدم حتى أُثخن فقال للظعن: اوضعن ركابكنَّ حتى ينتهين الى أدنى البيوت من الحيّ فاني لما بي وسوف اقف دونكنَّ لهم على العقبة فأعتمدُ على رمحي فلا يقدمون عليكنَّ لمكاني. ففعلنَ ذلك فنجونَ الى مأمنهنَّ. قال أبو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلًا ولا ميتاً حمى الاظعان غيرهُ. (قال) وانهُ يومئذٍ لغلام لهُ ذؤابة. فاعتمد على رمحهِ وهو واقف لهنَّ على متن فرسهِ حتى بلغنَ مأمنهنَّ وما يقدم القوم عليهِ. فقال نبيشة بن حبيب: انهُ لمائل العنق وما اظنّهُ الّا قد مات. فأمر رجلًا من خزاعة كان معهُ أن يرمي فرسهُ. فرماها فقمصت وزالت. فمال عنها ميتاً. (قال) ويقال بل الذي رمى فرسهُ نبيشة. (قال) فانصرفوا عنهُ وقد فاتهم الظعن. ولحقوا يومئذٍ ابا الفريعة لحرث بن مكدم فقتلوه وألقوا على ربيعة احجاراً. فمرّ بهِ رجل من بني الحرث بن فهر فنفرت ناقتهُ من تلك الاحجار التي أُهيلت على ربيعة فقال يرثيهِ ويعتذر ان لا يكون عقر ناقتهُ على قبره وحضَّ على قتلتهِ وعيّر من فرَّ وأسلمهُ من قومهِ:

نفرت قلوصي من حجارة حرّة ‏ بنيت على طلق اليدين وهوبِ
لاتنفري يا نَاقَ منهُ فانهُ ‏ سباء خمر مسعرٌ لحروبِ
لولا السفار وبعد خرق مهمهٍ ‏ لتركتها تحبو على العرقوبِ
فرّ الفوارس من ربيعة بعد ما ‏ نجّاهمُ من غمرة المكروبِ
يدعو علياً حين أسلم ظهرهُ ‏ فلقد دعوت هناك غير مجيبِ
لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدم ‏ وسقى الغوادي قبرهُ بذنوبِ

فبلغ شعرهُ بني كنانة فقالوا: والله لو عقرها لسُقنا اليهِ الف ناقة سود الحدق

ربيعة بن مكدَّم ودريد بن الصِّمَّة يوم الاخرم

حدَّث أبو عبيدة قال: خرج دريد بن الصمة في فوارس بني جشم حتى اذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال لهُ الاخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة رفع لهُ رجل من ناحية الوادي معهُ ظعينة. فلما نظر اليهِ قال لفارس من اصحابهِ: صح بهِ ان: خلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك. وهو لا يعرفهُ. فانتهى اليهِ الرجل وألحَّ عليهِ. فلما أبى القى زمام الراحلة وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الآمنِ ‏ سير رداح ذات جأش ساكنِ
ان انثنائي دون قرني شائني ‏ وابلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فصرعهُ وأخذ فرسهُ فاعطاه الظعينة. فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبهُ. فرآهُ صريعاً. فصاح بهِ. فتصامَّ عنهُ. فظنَّ انهُ لم يسمع فغشيهُ. فالقى الزمام عليها ثم حمل على الفارس فصرعهُ وهو يقول:

خلِّ سبيل الحرّة المنيعهْ　　انك لاقٍ دونها ربيعهْ
في كفهِ خطيـة منيعهْ　　أو لا فخذها طعنة سريعهْ
فالطعن مني في الوغى شريعهْ

فلما ابطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا. فانتهى اليهما فرآهما صريعين. ونظر اليهِ يقود ظعينتهُ ويجرّ رمحهُ. فقال لهُ الفارس: خلّ عن الظعينة. فقال لها ربيعة: اقصدي قصد البيوت. ثم اقبل عليهِ فقال:

ماذا تريد من شتيم عابسِ　　ألم ترَ الفارس بعد الفـارسِ
ارداهما عامل رمح يابسِ

ثم طعنهُ فصرعهُ. فانكسر رمحهُ. فارتاب دريد وظنّ انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل. فلحق بهم فوجد ربيعة لا رمح معهُ وقد دنا من الحيّ. ووجد القوم قد قُتلوا. فقال لهُ دريد: ايها الفارس ان مثلك لا يقتل وان الخيل ثائرة باصحابها ولا أرى معك رمحاً وأراك حديث السنّ. فدونك هذا الرمح فاني راجع الى اصحابي فمثبط عنك. فأتى دريد اصحـابهُ فقال: ان فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا طمع لكم فيهِ. فانصرف القوم. وقال دريد:

ما ان رأيت ولا سمعت بمثلهِ　　حامي الظعينة فارساً لم يقتلِ
أردى فوارس لم يكونوا نهزة(١)　　ثم استمرَّ كانهُ لم يفعلِ
متهلل تبدو أسرَّة وجهـهِ　　مثل الحسام جلتهُ أيدي الصيقل
يزجى ظعينتهُ ويسحب رمحهُ　　متوجهاً يمنـاهُ نحو المنزلِ
وترى الفوارس من مخافة رمحهِ　　مثل الشعاب خشين وقع الاجدلِ

(١) وفي نسخة: نعزة

ياليت شعري من ابوهُ وامهُ ... يا صاح من يكُ مثلهُ لم يجهل

فقال ربيعة

ان كان ينفعك اليقين فسائل ... عني الظعينة يوم وادي الأكرم
هل هي لاوَّل من اتاها نهزة ... لولا طعان ربيعة بن مكدَّم
أو قال من أدنى الفوارس سبة ... خلّ الظعينة طائعًا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوهُ ... عمدًا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل اهابهُ ... فهوى صريعًا لليدين وللفم
ونفحت آخر بعدهُ جياشة ... فخلا فأَهواهُ لشدق الاضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفرار ليَ الغداة تكرُّمي

(قال) فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدَّم ان أغاروا على بني جشم رهط دريد . فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة . فأخفى نسبهُ . فبينا هو عندهم اذ جاء نسوة يتهادين اليهِ . فصرخت امرأة منهنَّ فقالت : هلكتم وأهلكتم . ماذا جرَّ علينا قومنا . هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحهُ يوم الظعينة . ثم القت عليهِ ثوبها وقالت : يا آل فراس أنا جارة لهُ منكم هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوهُ من هو . فقال : أنا دريد بن الصمة فما فعل ربيعة بن مكدَّم . قالوا : قتلتهُ بنو سليم . قال : فمن الظعينة التي كانت معهُ . قالت المرأة ريطة بنت جذل الطعان : وأنا هي وأنا امرأتهُ . فحبسهُ القوم وآمروا أنفسهم وقالوا : لا ينبغي ان تكفر نعمة دريد عندنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من ايدينا الَّا برضا المخارق الذي أسرهُ . وانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزي دريدًا عن ربيعة نعمة ... وكل فتًى يُجزى بما كان قدَّما

فان كان خيرًا كلُّ خيرًا جزاؤُهُ وان كان شرًّا كان شرًّا مذمَّما
سنجزيهِ نعمى لم تكن بصغيرة باعطائهِ الرمحَ السديد المقوَّمـا
فقد ادركت كفَّاهُ فينا جزاءهُ وأهلٌ بان يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروهُ حيّ نعمان فيكمُ ولا تركبوا هلكَ الذي ملأَ الفما
فان كانَ حيًّا لم يضق بثوابـهِ ذراعًا غنيًّا كان او كان مُعدما
ففكُّوا دريدًا من اسار مخارقٍ ولا تجعلوا البؤسى الى الشرّ سُلّما

فأصبح القوم فتعاودوا بينهم فاطلقوه . وكستهُ ريطة وجهزتهُ . ولحق بقومهِ . ولم يزل كافًّا عن غزو بنو فراس حتى هلك

شجاعة ربيعة بن مكدَّم

حدَّث قبيصة بن ممهور الصادري قال : سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ عمرو بن معدي كرب الزبيدي : من أشجع من رأيت . فقال : والله يا امير المؤمنين لاخبرنك عن أحيل الناس وعن أشجع الناس وعن اجبن الناس . فقال لهُ عمر : هات . قال : خرجت كاحسن ما رأيت وكانت لي فرس شمقمقة طويـلة سريعة الانفاذ تمطق بالعرق تمطق الشيخ بالمرق . فركبتها فلم ألبث لا ألقى أحدًا الّا قتلتهُ . فخرجت فاذا انا بفتًى بين عرصين فقلت لهُ : خذ حذرك فاني قاتلك . فقال : والله ما انصفتني يا أبا ثور أنا كما ترى أعزل اميل عوارة(١) . فانظرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غنـاؤُها عنك . قال : امتنع بها . قلت : خذها . قال : لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني انك لا تريني حتى آخذها .

---

(١) العوارة التي لا ترى معهُ . (كذا في الاصل)

(قال) فالجتهُ . فقال: واله قريش لا آخذها ابداً . فسلم والله مني . فهذا أحيل الناس . فمضيت حتى اشتمل عليَّ الليل . فوالله اني لاسير في قمر باهر كالنور الظاهر اذا بفتى على فرس يقود ظعينة وهو يقول:

يا لديتـــا يا لدينا   ليتنا يعدى علينـــا
ثم يبلى ما لدينا

ثم يُخرج حنظلة من مخلاته ثم يرمي بها في السماء فلا تبلغ الارض حتى ينظمها بمشقص من نبلهِ . فصحت بهِ: خذ حذرك ثكلتك امك فاني قاتلك . فمال عن فرسهِ فاذا هو بالارض . فقلت: ان هذا الاستخفاف . فدنوت منهُ وصحت بهِ : ويلك ما أجهلك . فما تخلل ولا زال حتى شككت بالرمح في ابهامهِ . فاذا هو كانهُ قد مات منذ سنة . فمضيت وتركتهُ . فهذا أجبن الناس . ثم مضيت فأصبحت بين دكادك فنظرت الى أبيات فعدلت اليها فاذا فيهـــا جوارٍ ثلاثة كأنهنَّ نجوم الثريا . فبكين حين رأينني . فقلت: ما يبكيكنَّ . فقلن: لما ابتلينا بهِ منك . ومن ورائنا اخت لنا أجمل منا . فأشرفت من مرقد فاذا بشخص لم أرَ شيئًا قط أجمل من وجههِ واذا بغلام يخصف نعلهُ عليهِ ذؤابة يسحبها . فلما نظر اليَّ وثب على الفرس مبادراً ثم ركض فسبقني الى البيوت فوجدهنَّ قد ارتعن . فسمعتهُ يقول لهنَّ:

مهلًا نسياتي اذًا لا ترتعنْ   ان منع النوم نساء يُمنعنْ
أرخين اذيال المروط وارتعنْ

(قال) فلما دنوت منهُ قال: أتطرد لي او اطرد لك . قلت: بل اطرد لي . فركض وركضت في اثرهِ حتى أمكنت السنان من لفتتهِ (١) واتكأت عليهِ فاذا

---

(١) اللفتة اسفل الكتف

هو والله مع لبب فرسهِ . ثم استوى في سرجهِ . فقلت: اقلني . فقال: اطرد . حتى اذا ظننت ان السنان بين ناصيتهِ اعتمدت عليهِ . فاذا هو والله قائم على الارض والسنان زالج . فاستوى على فرسهِ . فقلت: اقلني . قال: اطرد . فطردتهُ حتى اذا امكنت السنان من متنهِ اتكأت عليهِ وانا اظنُّ اني قد فرغت منهُ فمال في سرجهِ حتى نظرت الى بدنهِ في الارض ومضى السنان زالجاً . ثم استوى على فرسهِ وقال: أبعدَ ثلاث تريد ماذا لي ثكلتك امك . فولّيت وانا مرعوب منهُ . فلما غشيني وجدت حسّ السنان فالتفت فاذا هو يطردني بالرمح بلا سنان . فكفَّ عني واستنزلني فنزلت ونزل والله وجزَّ ناصيتي وقال: انطلق فاني انفس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت . فذلك أشجع ما رأيت . وسألت عن الفتى فقيل ربيعة بن مكدم الفراسي من بني كنانة

وقد أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيهِ خلاف للاول قال: حدَّث سكين بن محمد قال: دخل عمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ . فقال لهُ: من اين أقبلت . قال: من عند سيد بني مخزوم وأعظمها قامة . وأمدها هامة . وأقلها ملامة . وافضلها حلماً . واقدمها سلماً مقدماً . قال: ومن هو . قال: سيف الله وسيف رسولهِ . قال: واي شيء صنعت عنده . قال: اتيتهُ زائرًا فدعا لي بكعب وفرس وثور . فقال عمر: وأبيك ان في هذا لشبعاً . قال: لي او لك يا امير المؤمنين . قال: لي ولك . قال: بن . فوالله اني لآكل الجذعة واشرب اللبن وصرفاً فلِمَ تقول هذا يا امير المؤمنين . فقال لهُ عمر: أي احياء قومك خير . قال: مذحج وكلٌّ قد كان فيهِ خير أهل الربا والرباح . قال عمر: فأين سعد العشيرة . قال: هم اشدنا شريساً . واكثرنا خميساً . واكرمنا رئيساً . هم الاوفياء البررة . المساعير الفجرة . قال عمر: يا ابا ثور ألك علم

بالسلاح . قال: على الخبير سقطت . سل عمّا بدا لك . قال : اخبرني عن النبل .
قال : منايا تخطئ وتصيب . قال: فأخبرني عن الرمح . قال : اخوك وربما خانك .
قال : أخبرني عن الترس . قال : ذاك مجنّ وعليهِ تدور الدوائر . قال : اخبرني عن
الدرع . قال : مشغلة للفارس متعبة للراجل . قال : أخبرني عن السيف . قال :
عنهُ قارعتك لأمّك الهبل . فقال لهُ عمر : لا بل لامّك . قال لهُ عمرو : بل
لامّك . فرفع عمر الدرة فضرب بها عمرًا وكان محتبيًا فانحلّت حبوتهُ . فاستوى
قائمًا وانشأ يقول :

أتضربني كأنك ذو رُعَيْنٍ   بخير معيشة او ذو نواسِ
فكم ملك كريم قد رأينـا   وغرّ ظاهر الجبروت قاسي
فاضحى اهلهُ بادوا واضحى   ينقل من اناس في اناسِ

قال : صدقت يا ابا ثور وقد هدم ذلك كلهُ الاسلام اقسمت عليك الّا جلست .
فجلس . فقال لهُ عمر : هل كعمت من فارس قط بمن لقيت . قال : اعلم يا امير
المومنين اني لم استحلّ الكذب في الجاهلية فكيف استحلهُ في الاسلام ولقد
قلت لجبهة من خيلي خيل بني زبيد : اغيروا بنا على بني البكاء . فقالوا : ابعد
علينا المغار . فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة . (قال) فأتينا على قوم سراة .
فقـال عمر : وما علمك بانهم سراة . قال : رأيت مزاود خيل كثيرة وقدورًا
وقباب أدم فعرفت ان القوم سراة فكففت خيلي محجزة وجلست في موضع
اسمع كلامهم . واذا بجارية بينهم قد خرجت من خيمتها فجلست بين صواحب
لها . ثم دعت وليدة من ولائدها فقالت : ادعي فلانًا . فدعت لهـا رجلًا من
الحيّ . فقالت لهُ : ان نفسي تحدثني ان خيلًا تغير على الحيّ فكيف انت ان
زوّجتك نفسي . فقال : أفعل وأصنع . فجعل يصف نفسهُ فيفرط . فقالت لهُ :

انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها فقالت : ما عندهُ خير . ادعي لي فلاناً . فدعت آخر . فخاطبتهُ فأجابها بمثل جوابهِ . فقالت لهُ : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : وما عند هذا خير ايضاً . ثم قالت للوليدة : ادعي لي ربيعة بن مكدم . فدعتهُ . فقالت لهُ مثل قولها للرجلين . فقال لها : ان أعجز العجز وصف الرجل نفسهُ ولكني ان لقيت أعذرت وحسب المرء غناء ان يعذر . فقالت لهُ : قد زوَّجتك نفسي فاحضر غداً مجلس الحيّ ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . فانتظرتُ حتى ذهب الليل ولاح الفجر فخرجت من مكمني فركبت فرسي وقلت لخيلي : اغيري . فأغارت . فتركتها وقصدت قصد النسوة ومجلسهنَّ فكشفت عن خيمة المرأة فاذا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأت عينها مني أهوت الى درعها فشقتهُ وقالت : وا ثكلاه والله ما ابكي على مال ولا على تلاد ولكن على اخت لي من وراء هذا الغور (وأهوتْ الى غور رمل الى جانبهم) تبقى بعدي في مثل هذا الحائط فتهلك ضيعة . فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى اوفيت على النقا . فاذا أنا برجل جلد أهلب يخصف نعله والى جانبهِ فرسه وسلاحه . فلما رآني رمى بنعلهِ ثم استوى على فرسهِ واخذ رمحهُ ومضى لايحفل بي فطفقت أشجرهُ بالرمح خفقاً وأقول لهُ : يا هذا استأسر . فمضى لايحفل بي حتى أشرف على الوادي . فلما رأى الخيل تجري بفمهِ استعبر باكيًا وأنشأ يقول :

قد علمت اذ منحتني فاها   اني سأجري اليوم من مجراها
يا ليت شعري اليوم من دهاها

فقلت :

عمرٌو على طول الوجى دهاها   بالخيل يحميها على وحاها

حتى اذا حلّ بها احتواها

فحمل عليَّ وهو يقول :

أهزُّ نضر العيش في دار قدمْ   أُفيض دمعاً كلما فاض انسجمْ
أنا ابن عبد الله محمود الشيمْ   مؤتمن الغيب وموفٍ بالذممْ
أكرم من يمشي بساق وقدمْ   كالليث ان همَّ بتقضام قضمْ

فحملت عليهِ وأنا أقول :

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الاصمْ   انا ابن ذي الا كال قتال البهمْ
من يلقني يودِ كما أودت ارمْ   أتركهُ لحماً على ظهر وضمْ

فحمل عليَّ وهو يقول :

هذا حِمى قد غاب عنهُ ذائدهْ   الموت وردٌ والانام واردهْ

وحمل عليَّ فضربني . فرُغتُ . واخطأني فوقع سيفهُ في قربوص السرج فقطعهُ وما تحتهُ حتى هجم على مسيح الفرس . ثم ثنّى بضربة أُخرى . فرغت . واخطأني فوقع سيفهُ على مؤخر السرج فقطعهُ حتى وصل الى فخذ الفرس . وصرت راجلًا فقلت لهُ : ويحك من انت . فوالله ما ظننت احدًا من العرب يقدم عليَّ الّا ثلاثة الحرث بن ظالم للعجب والخيلاء وعامر بن الطفيل للسنّ والتجربة وربيعة بن مكدَّم للحداثة والصرامة . فمن أنت ويلك . قال : بل الويل لك فمن انت ويلك . قلت : عمرو بن معدي كرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدَّم . قلت : يا هذا اني قد صرت راجلًا فاختر مني احدى ثلاث ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منّا . وان شئت اصطرعنا فأيُّنا صرع صاحبهُ حكم فيهِ . وان شئت سالمتك . قال : الصلح اذًا ان كان لقومك فيهِ حاجة وما بي ايضاً على قومي هوان . قلت : فذلك لك . وأخذت بيده حتى أتيت أصحابي وقد

حازوا نعمهُ . فقلت : هل تعلمون اني كنت عن فارس من الابطال قط اذا لقيتهُ . قالوا : نعيذك من ذلك . قلت : فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخذوه مني غدًا في بني زبيد فانهُ نعم هذا الفتى وانهُ لا يوصل مني اليهِ شيءٌ وأنا حيّ . فقالوا : لحاك الله من فارس قوم أنسأتنا حتى اذا هجمنا على الغنيمة الباردة فتلتنا عنها . فقلت : لا بدَّ لكم من ذلكم وان تهبوها لي ولربيعة بن مكدَّم . فقالوا : وانهُ لهو . فقلت : نعم . ورددتها وسالمتهُ . فأَمن حربي وأَمنت حربه حتى هلك

دُرَيد بن الصِّمَّة

هو دريد بن الصمَّة واسمهُ معاوية بن الحرث بن بكر بن علقة (١).

ودريد بن الصمَّة فارس شجاع شاعر فحل وجعلهُ محمد بن سلام اوَّل شعراء الفرسان وقد كان اطول الفرسان الشعراء غزوًا وأَبعدهم اثرًا واكثرهم ظفرًا وايمنهم نقيبةً عند العرب واشعرهم دريد بن الصمة . وقال ابو عبيدة : كان دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفرًا ميمون النقيبة . وغزا نحو مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . وأدرك الاسلام فلم يسلم . وخرج مع قومهِ يوم حنين مظاهرًا للمشركين ولا فضل فيهِ للحرب وانما اخرجوه تيمنًا وليقتبسوا من رأيهِ . فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورتهِ وخالفهُ لئلاَّ يكون لهُ ذكر . فقتل دريد يومئذٍ على شركهِ . وخبرهُ ياتي بعد هذا . وكان لدريد اخوة وهم عبد الله الذي قتلتهُ غطفان . وعبد يغوث قتلهُ بنو

(١) وقيل علقمة

مرة . وقيس قتلهُ بنو ابي بكر بن كلاب . وخالد قتلهُ بنو الحرث بن كعب .
امهم جميعاً ريحانة بنت معدي كرب الزبيدي اخت عمرو بن معدي كرب
كان الصمة سباها ثم تزوَّجها فاولدها بنيهِ واياها يعني اخوها عمرو
بقولهِ في شعره :

امن ريحانة الداعي السميعُ يؤرّقني وأصحابي هجوعُ
اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

وكان لدريد ابن يقال لهُ سلمة وكان شاعراً وهو الذي رمى ابا عامر
الاشعري بسهم فاصاب ركبته فقتلهُ وارتجز فقال :

ان تسألوا عني فاني سلمهْ ابن سمادير لمن توسمهْ
اضرب بالسيف رؤوس المسلمهْ

وكانت لدريد ايضاً بنت يقال لها عمرة شاعرة ولها فيهِ مراثٍ كثيرة . قال
ابو عبيدة : سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : احسن شعر قيل في الصبر على
النوائب قول دريد بن الصمة :

لمقتل عبد الله والهالك الذي على الشرف الاعلى قتيل ابي بكرِ
وعبد يغوث او خليلي خالدٍ وعزَّ مصاباً حثو قبر على قبرِ
ابى القتل الّا آل صمة انهم أبوا غيره والقدر يجري الى القدرِ
فاماً ترينا ما تزال دماؤنا لدى واتر يشقى بها آخر الدهر
فانا للحم السيف غير نكيرة ونلحمهُ حيناً وليس بذي نكرِ
يغار علينا واترين فيشتفى بنا ان أُصبنا او نغير على وترِ
بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة فما ينقضي الّا ونحن على شطرِ

اخبرني بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال : قرأت على احمد

ابن يحيي عن ابن الاعرابي قال : اغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم بن معاوية على اسد وغطفان : وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللحية متساندين فدريد على بني جشم بن معاوية وعمرو بن معاوية على بني عامر . فقال عبد الله بن الصمة لاخيهِ : اني غير معطيك الرئاسة ولكنَّ لي في هذا اليوم شأناً . ثم اشترك عبد الله وشراحيل بن سفيان . فلما اغار القوم اخذ عبد الله من نعم بني اسد ستين واصاب القوم ما شاءوا وادرك رجل من بني جذيمة عبد الله بن الصمة . فقال لهُ عبد الله بن الصمة . ارجع فاني كنت شاركت شراحيل بن سفيان . فان استطاع دريد فليأتهِ وليأخذ مالي منهُ . واقام دريد في اواخر الحيّ . فقال لهُ عمرو : ارتحل بالناس قبل ان يأتيك الصرخاء . فقال : اني انتظر اخي عبد الله . حتى اذا طال عليهِ قال لهُ : ان اخاك قد ادرك فوارس من الحليفيّين يسوقون بظعنهم فقتلوه . فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل : ان عبد الله انبأني ولم يكذبني قط انَّ لهُ شركة مع شراحيل فأدّوا الينا شركتهُ . فقالوا لهُ : ما شاركناه قط . فقال دريد : ما انا بتارككم حتى استحلفكم عند ذي الخلصة (١) . فاجابوه الى ذلك وحلفوا لهُ . ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة . فجاءوه ينشدونهُ الشرك . فقال لهم دريد : ألم احلفكم حين ظننتم ان عبد الله قد قتل . فقالوا : ما حلفنا . وجعلوا يناشدون عبد الله ان يعطيهم . فقال : لا حتى يرضى دريد . فأبى ان يرضى . فتوعدوه ان يسرقوا ابلهُ . فقال دريد في ذلك :

اوعدتمُ ابلي كلاًّ سيمنعها ... بنو غزية لا ميل ولا صورُ

---

(١) الخلصة وثن من اوثانهم

مقتل عبد الله بن الصِمَّة

انَّ السبب في مقتلهِ انهُ كان غزا غطفان ومعهُ بنو جشم وبنو نصر ابناء معاوية فظفر بهم وساق اموالهم في يوم يقال لهُ يوم اللوى ومضى بها ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا. فقال اخوهُ دريد: يا ابا فرعان (١) نشدتك الله ان لا تنزل فان غطفان ليست بغافلة عن اموالها. فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعهُ وينقع نقيعهُ فيأكل ويطعم ويقسم البقيَّة بين اصحابهِ. فبينا هم في ذلك وقد سطعت الدواخن اذا بغبار قد ارتفع اشدّ من دخانهم واذا عبس وفزارة واشجع قد اقبلت. فقالوا لربيئتهم: انظر ماذا ترى. فقال: ارى قوماً جعاداً كأن سرابيلهم قد غمست في الجادي. قال تلك اشجع ليست بشيء. ثم نظر فقال: أرى قوماً كأنهم الصبيان اسنتهم عند آذان خيلهم. قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: ارى قوماً ادماناً كأنما يحملون الجبل بسوادهم يخدّون الارض باقدامهم خدًّا ويجرّون رماحهم جرًّا. قال: تلك عبس والموت معهم. فتلاحقوا بالمنعرج في رميلة اللوى فاقتتلوا فقتل رجل من بني قارب وهم من بني عبس عبد الله بن الصمة. فتنادوا. قُتل ابو دفافة. فعطف دريد فذبَّ عنهُ فلم يُغنِ شيئاً. وجُرح دريد فسقط. فكفوا عنهُ وهم يرون انهُ قُتل. واستنقذوا المال ونجا مَن هرب. فمرّ الزهدمان (٢) وهما من بني عبس وهما زهدم وقيس

---

(١) كانت لعبد الله ثلاث كُنًى ابو فرعان وابو دفافة وابو أوفى وكلُّها ذكرها دريد في شعرهِ

(٢) انما قيل لهما الزهدمان تغليباً لاشهر الاسمين عليهما كما قيل العمران لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والقمران للشمس والقمر

ابنا حزن بن وهب بن رواحة . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسيّ يقول لكردم الفزاري : اني لأحسب دريدًا حيًّا فانزل فأجهز عليهِ . قال : قد مات . قال : انزل فانظر الى سبتهِ هل ترمز . قال دريد : فسددت من حتارها (١) . (قال) فنظر فقال : هيهات اي قد مات . فولّى عني . (قال) ومال بالزج في شرج دريد فطعنهُ فيهِ فسال دم كان احتقن في جوفهِ . قال دريد : فعرفت الخفة حينئذٍ . فامهلت حتى اذا كان الليل مشيت وانا ضعيف قد نزفني الدم حتى ما أكاد ابصر . فجزت بجماعة تسير فدخلت فيهم فوقعت بين عرقوبي بعير ظعينة . فنفر البعير . فنادت : نعوذ بالله منك . فانتسبت لها فأعلمت الحيّ بمكاني . فغُسل عني الدم وزُوّدت زادًا وسقاء فنجوت . (قال) ثم حجّ كردم بعد ذلك في نفر من بني عبس . فلما قاربوا ديار دريد تنكروا خوفاً . ومر بهم دريد فانكرهم فجعل يمشي فيهم ويسالهم من هم . فقال لهُ كردم : عمن تسأل . فدفعهُ دريد وقال : اما عنك وعمن معك فلا اسأل ابدًا . وعانقهُ وأهدى اليهِ فرساً وسلاحاً وقال لهُ : هذا بما فعلت بي يوم اللوى . وقال دريد يرثي اخاهُ عبد الله

امرتهمُ امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الّا ضحى الغدِ

فلما عصوني كنت منهم وقد ارى غوايتهم او انني غير مهتدِ

وهل انا الّا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أُرشدِ

دعاني اخي والخيل بيني وبينهُ فلما دعاني لم يجدني بقعددِ

تنادوا فقالوا اردتِ الخيل فارساً فقلت أعبد الله ذلكمُ الردي

فان يكُ عبد الله خلّى مكانهُ فلم يك وقافاً ولا طائش اليدِ

---

(١) اي من شرجها

ولا بوماً اذا الرياح تناوحت   برطب العضاه والهشيم المعضدِ
نظرت اليـهِ والرماح تنوشهُ   كوقع الصياصي في النسيج الممدد
فطاعنت عنهُ الخيل حتى تبددت   وحتى علاني اشقر اللون مزبدِ
فما رمت حتى خرّقتني رماحهم   وغودرت اكبو في القنا المتقصدِ
قتال امرئٍ واسى اخاهُ بنفسهِ   وايقن ان المرء غير مخلـدِ
صبور على وقع المصائب حافظ   من اليوم اعقاب الاحاديث في غدِ

يوم الغدير

اخبر ابو عبيدة قال: أغار دريد بن الصمّة بعد مقتل اخيهِ عبد الله على غطفان يطالبهم بدمهِ. فاستقراهم حيًّا حيًّا وقتل من بني عبس ساعدة بن مرّ وأسر ذؤاب بن اسماء اسرهُ مرّة بن عوف الجشميّ. فقـالت بنو جشم: لو فاديناه. فأبى ذلك دريد عليهم وقتلهُ باخيـهِ عبد الله. وقتل من بني فزارة رجلًا يقـال لهُ جذام واخوة لهُ واصاب جماعة من بني مرّة وبني ثعلبة بن سعد ومن احياء غطفان وذلك في يوم الغدير. وفي هذا اليوم ومن قتل فيـهِ منهم يقول:

تأبد من اهلـهِ معشرُ   فجزم سويقـة فالاصفرُ
فجزع الحليف الى واسط   فذلك مبدًى وذا محضرُ
فابلغ سليمى والفافهـا   وقد يعطف النسب الاكبرُ
باني ثأرت باخوانكم   وكنت كأني بهم مخفرُ
صبحنا فزارة سمر القنـا   فمهلًا فزارة لا تضجروا

وابلغ لديك بني مازن   فكيف الوعيد ولم تقدروا
فان تقتلوا فئة افردوا   اصابهم الحين او تظفروا
فانّ حراماً لدى معرك   واخوته حولــهُ انسرُ
ويوم يزيد بني ناشب   وقبل يزيدكمُ الاكبرُ
اثرنا صريخ بني ناشب   ورهط لقيط فلا تفخروا
تجرُّ الضبــاع باوصالهم   ويلفحنَ فيهم ولم يقبروا

ويقول في ذلك ايضاً دريد بن الصمة في قصيدة لهُ اخرى :

جزينا بني عبس جزاءً موفرًا   بمقتل عبد الله يوم الذنائبِ
ولولا سواد الليل ادرك ركضنــا   بذي الرمث والارطى عياض بن ناشبِ
قتلنــا بعبد الله خير لداتــهِ   ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قاربِ

وقالَ دريد ايضاً في هذه الوقعة :

قتلنــا بعــبد الله خير لداتهِ   وخير شباب الناس لو ضمَّ اجمعا
ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب   منيتــهُ اجرى اليهــا واوضعــا
فتًى مثل نصف السيف يهتزُّ للندى   كعاليــة الرمح الردينيِّ اروعا

وقال ابن الكلبي: قالت ريحانة بنت معدي كرب لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل اخيهِ: يا بنيّ ان كنت عجزت عن طلب الثأر باخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد. فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتى يدرك ثأرهُ . وغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن اسماء فقتلهُ بفنائها وقال: هل بلغت ما في نفسك . قالت: نعم متعت بك

مقتل قيس بن الصِّمَّة

قتلهُ بنو ابي بكر بن كلاب . وكان السبب في ذلك فيما أخبرني بهِ هاشم ابن محمد انهُ غزا في قومهِ بني خزاعة من بني جشم . فأغاروا على ابل لبني كعب بن ابي بكر بن كلاب فانطلقوا بها . وخرج بنو ابي بكر بن كلاب في طلبها حتى اذا دنوا منها قال عمرو بن سفيان الكلابي وكان حازماً عاقلاً : امكثوا . ومضى هو متنكرًا حتى اتى رجلاً من بني خزاعة فسلّم عليهِ واستسقاه . فسقاه . وانتسب لهُ هلالياً . فسألهُ عن قومه واين مرعى ابلهم واعلمه انهُ جاء زائرًا لقومه يريد مجاورتهم فخبره الرجل بكل ما اراد . ورجع الى قومه وقد عرف بغيته . فصبح القوم فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس بن الصمة وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا اموالهم . وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السيفين لانهُ كان يلقى الحرب ومعهُ سيفان خوفاً من ان يخونه احدهما . واياه عنى دريد بن الصمة بقوله :

ان امرءًا بات عمرو بين صرمته ... عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرورُ
يا آل سفيان ما بالي وبالكمُ ... هل تنتهون وباقي القول مأثورُ
يا آل سفيان ما بالي وبالكمُ ... انتم كبير وفي الاحلام عصفورُ
هلاَّ نهيتم اخاكم عن سفاهته ... اذ تشربون وغاوي الخمر مدحورُ
لا أعرفنَّ لمة سوداء داحية ... تدعو كلاباً وفيها الرمح مكسورُ
لن تسبقوني ولو أمهلتكم شرفاً ... عقبي اذا ابطأ الفحج الخناصيرُ

مقتل خالد بن الصمة

ان خالد بن الصمة قُتل في غارة اغارتها بنو الحرث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال لهُ يوم ثيل فاصابوا اناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جشم فلحقوهم ورئيس بني جشم يومئذٍ مالك بن حزن فاستنقذوا ما كان في ايديهم من غنائم بني نصر. فاصابوا ذا القرن الحارثي أسيرًا وفقؤوا عين شهاب ابن ابان الحارثي بسهم. وقُتل يومئذٍ خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن . واصابت بنو جشم منهم ناساً. وكان رئيس بني الحرث بن كعب يومئذٍ شهاب ابن ابان . ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم . فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة . ولما قُدّم لتضرب عنقه صاح بأوس بن الصمة وكان لهُ صديقاً. ولم يكن أوس حاضرًا فلم ينفعه ذلك وقتل . فلما قدم أوس غضب وقال : أقتلتم رجلًا استجار باسمي . فقال عوف بن معاوية في ذلك :

نبئت اوساً بكى ذا القرن اذ شربا ... على عكاظ بكاء غال مجهودي
اني حلفت بما جمعت من نشبٍ ... وما ذبحت على انصابك السودِ
لتبكينَّ قتيلًا منك مقتربًا ... اني رأيتكَ تبكي للاباعيدِ

مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة

قال ابن الاعرابي ويعقوب بن السكيت وسائر من ذكرنا من الرواة : خرج الحكم بن ابي العاصي ومعهُ عطر يريد الحيرة . وكان بالحيرة سوق يجتمع اليهِ الناس كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام بن عمرو ربع

الطريق طعمة لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا اصهاره . فمرّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم بن عبد الله فسألهُ الجوار في ارض طي، حتى يصير الى الحيرة . فاجاره . ثم امر حاتم بجزور فنحرت وطبخت اعضاء فاكلوا ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه . فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبه ذلك . فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بني ابيهِ غير ملحان وحاتم على راحلته وفرسه تقاد . فاتاه بنو لام فوضع حاتم سفرته وقال . اطعموا حيّاكم الله . فقالوا : من هؤلاء معك يا حاتم . قال : هؤلاء جيراني . قال لهُ سعد : فأنت تجير علينا في بلادنا . قال لهُ : انا ابن عمكم واحق من لم تخفروا ذمته . فقالوا : لست هُناك . وارادوا ان يفضحوه كما فُضح عامر بن جُوَيْن قبله . فوثبوا اليهِ فتناول سعد بن حارثة بن لام حاتماً . فاهوى لهُ حاتم بالسيف فاطار ارنبة انفه ووقع الشرّ حتى تحاجزوا . فقال حاتم في ذلك :

وددتُ وبيت الله لو ان انفه ... هواء فما متّ المخاط عن العظمِ
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه ... فآب ومرّ السيف منهُ على الخطمِ

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن . ففعلوا ووضعوا تسعة افراس رهناً على يد رجل من كلب يقال لهُ امرؤ القيس بن عدي ووضع حاتم فرسه . ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة . وسمع ذلك إياس بن قَبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذي بينهم وبينه فجمع اياس رهطه من بني حيَّة وقال : يا بني حية ان هؤلاء القوم قد ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في مجادهِ (١) . فقال رجل من

(١) اي ماجدته

بني حية : عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء . وقام آخر فقال : عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منهُ الّا عيناه . وقال حسّان بن جبلة الخير . قد علمتم ان ابي قد مات وترك كلاً كثيرًا فعليَّ كل خمر أو لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة . ثم قام اياس فقال : عليَّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم . (قال) وحاتم لا يعلم بشيء . مما فعلوا . وذهب حاتم الى مالك بن جبار ابن عمٍ لهُ بالحيرة كان كثير المال فقال : يا ابن عم اعنّي على مخايلتي (١) . ثم انشد :

يا مالِ احدى خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما انتمُ عنها بزحزاحِ
يا مالِ جاءت حياض الموت واردة من بين غمر فخضناه وضحضاحِ

فقال لهُ مالك : ما كنت لاحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي . فانصرف عنهُ . وقال مالك في ذلك قوله :

انا بني عمكم ما ان نباعلكم ولا نجاوركم الّا على ناحِ
وقد بلوتك اذ نلت الثراء فلم ألقك بالمال الّا غير مرتاحِ

ثم أتى حاتم ابن عم لهُ يقال لهُ وَهْم بن عمرو وكان حاتم يومئذٍ مصارمًا لهُ لا يكلمه . فقالت لهُ امرأته : أيْ وهم هذا والله ابو سفانة حاتم قد طلع . فقال : ما لنا ولحاتم اثبتي النظر . فقالت : ها هو . قال : ويحك هو لا يكلمني فما جاء بهِ اليَّ . فنزل حتى سلّم عليهِ . فردَّ سلامه وحيّاه ثم قال لهُ : ما جاء بك يا حاتم . قال : خاطرت على حسبك وحسبي . قال : في الرحب والسعة هذا مالي . (قال) وعدَّتهُ يومئذٍ تسعمائة بعير . فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل او تصيب ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم انت تخرجنا عن

---

(١) المخايلة المفاخرة

مالنا وتفضح صاحبنا تعني زوجها . فقال : اذهبي عني فوالله ما كان الذي غمّك ليردّني عما قبلي . وقال حاتم :

الا ابلغا وهمَ بن عمرو رسالة ... فانك انت المرء بالخير اجدرُ
رأيتك ادنى الناس منا قرابة ... وغيرك منهم كنت احبو وانصرُ
اذا ما أتى يومٌ يفرق بيننا ... بموت فكن يا وهم ذو يتأخرُ(١)

(قالوا) ثم قال اياس بن قبيصة : احملوني الى الملك . وكان بهِ نقرس . فحمل حتى ادخل عليهِ . فقال : أنعم صباحاً أبيت اللعن . فقال النعمان : وحيّاك الهك . فقال اياس : أتمدُّ أختانك بالمال والخيـــل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة . أظنّ اختانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد . فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً . فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب . فعرف نعمان الغضب في وجههِ وكلامه فقال لهُ النعمان : يا احلمنا لا تغضب فاني سأكفيك . وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى اصحابه : انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه فوالله ما انا بالذي اعطيكم مالي تبذرونه وما أُطيق بني حية . فخرج بنو لام الى حاتم فقــالوا لهُ : أعرض عن هذا المِجاد ندع أرش انف ابن عمنا . قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا افراسكم ويُغلب مجادكم . فتركوا ارش انف صاحبهم وافراسهم وقالوا : قبحها الله وابعدها فانما هي مقارف . فعمد اليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر . وقال حاتم في ذلك :

ابلغ بني لام بــانّ خيولهم ... عقرى وان مجادهم لم يمجـدِ
ها انما مطرت سماؤكم دماً ... ورفعت رأسك مثل رأس الاصيدِ

---

(١) « ذو » في لغة طي : « الذي »

ليكون جيراني اكالى بينكم   نحــلًا لكندي وسبي مزبــدِ
وابن النجود اذا غدا متلاطماً   وابن العذوَّر ذي العجان الابردِ
ولثابت عيني جد متاوت   وللغط أوسيّ عوى لمقلّــدِ
ابلغ بني ثعل باني لم اكن   ابدًا لافعلهــا طوال المسنــدِ
لاجئتهم فلاً واترك صحبتي   نهبــاً ولم تغدر بقائمــة يدي

زيد الخيل

كان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفرًا شجاعاً بعيد الصوت في الجاهليــة وادرك الاسلام ووفد الى النبي (صلعم) ولقيهُ وسُرَّ بهِ وقرّظه وسماه زيد الخير. وهو شاعر مقلّ مخضرم معدود في الشعراء الفرسان. وانما كان يقول الشعر في غاراتهِ ومفاخراته ومغازيهِ. واياديه عند من مرَّ عليهِ واحسن في قراه اليهِ. وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيلــهِ. وانهُ لم يكن لاحد من قومه ولا لكثير من العرب الّا الفرس والفرسانِ . وكانت لهُ خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي الهطال والكميت والوَرْد وكامل ودؤول ولاحق. وفي الهطال يقول :

اقرّب مربط الهطال اني   ارى حرباً ستُلقح عن حيالِ

وفي الورد يقول :

ابت عادة للورد ان يكره القنا   وحاجة نفسي في نميرٍ وعامرِ

وفي دوول يقول :

فأقسم لا تفــارقني دؤول   اجــول بهِ اذا كثر الضرابُ

هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره وقد ذكرها . وكان لزيد الخيل ثلثة بنين كلهم يقول الشعر وهم عروة وحريث ومهلهل . ومن الناس من ينكر ان يكون لهُ من الولد الّا عروة وحريث . وهذا الشعر الذي فيهِ الغناء يقولهُ في فرس من خيله ظلع في بعض غزواته بني اسد فلم يتبع الخيل ووقف فاخذتهُ بنو الصيداء فصلح عندهم واستقل . وقيل بل اغزى عليهِ بعضَ بني نبهان فنكس عنهُ وأُخذ . وقيل انهُ خلفه في بعض احياء العرب ظالعاً ليستقل فاغارت عليهم بنو اسد فاخذوا الفرس فيما استاقوه لهم . فقال في ذلك زيد الخيل :

يا بني الصيـداء ردوا فرسي ... انما يفعـل هذا بالذليـلْ
لا تذيلوهُ فـاني لم اكن ... يا بني الصيدا لمهري بالمذيلْ
عوّدوه كالذي عودتهُ (١) ... دلج الليـل وايطاء القتيـلْ
احمـل الزقّ على مِنسَجِـه ... فيظل الضيف نشوانًا عيلْ

قال ابو عمرو الشيباني : وكان زيد الخيل ملحًا على بني اسد بغاراتهِ ثم على بني الصيداء منهم . فيهم يقول :

ضجت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب من يحلل بها يضجرِ
بتنـا ترجى نحوهم ضمـرًا ... معروفة الانساب من منسرِ
حتى صبحناهم بهـا غدوة ... نقتلهـم قسرًا على ضمـر
يدعون بالويـل وقد مسهم ... منا غداة الشعب ذي الهيشرِ (٢)

---

(١) حدث اضبط بن الملوح قال : اني انشد حبيب بن خالد بن نضلة الفقعسي قول زيد الخيل : « عودوا مهري الذي عودتهُ » . فضحك ثم قال : قولوا لهُ ان عودناه ما عودتهُ دفعناه الى اول من يلقانا وهربنا

(٢) الهيشر شجر كثير الشوك تأكلهُ الابل

ضرب يزيل الهام ذو مصدق   يعلو على البيضة والمغفرِ

اخبر حماد الراوية عن ابن ابي ليلى قال: انشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر ابيها في يوم مِحْجَن:

بني عامر هل تعرفون اذا غدا   ابو مكنف قد شدَّ عقد الدوائرِ

بجيش تضلّ البلق في حجراتهِ   ترى الأكم فيهِ سجَّدًا للحوافرِ

وجمع كمثل الليل مرتجز الوغى   كثير حواشيه سريع البوادرِ

قالت ليلى فقلت لابي: يا ابه اشهدت ذلك اليوم مع ابيك. قال: اي والله يا بنية لقد شهدتهُ. قلت: كم كانت خيل ابيك هذه التي وصفت. قال: ثلثة افراس

نسخت من كتاب عمرو بن ابي عمرو الشيباني بخطهِ عن ابيهِ انَّ زيد الخيل بن مهلهل جمع طيئًا واخلاطًا لهم وجموعًا من شذاذ العرب فغزا بهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس وسار اليهم فصبحهم من طلوع الشمس. فنذروا بهِ وفزعوا الى الخيل وركبوها. وكان اول من نذر بهم فلقي جمعهم غني بن اعصر واخوتهم الحرث وهم الطفاوة واسمهُ مالك بن سعد بن قيس بن عيلان. فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت بنو عامر فاستحرَّ القتل بغنيّ وفيهم يومئذٍ فرسان وشعراء. فملأت ايديهم طيٌ من غنائم تميم واسر زيد الخيل يومئذٍ الحطيئة الشاعر فجزَّ ناصيتهُ واطلقهُ. ثم ان غنيًا تجمعت بعد ذلك مع لفّ من بني عامر فغزوا طيئًا في ارضهم فغنموا وقتلوا وادركوا ثأرهم منهم. وقد كان زيد الخيل قال في وقعتهِ لبني عامر قصيدتهُ التي يقول فيها:

وخيبة من تجيب على غنيّ   وباهلة بن أعصر والكلابِ

فلما ادركوا ثأرهم اجابهُ طفيل الغنوي فقال :

سمونا بالجيــاد الى أعادٍ   مغاورة بجدٍ واعتصابِ
نؤمّهمُ على رعب وشحط   بقود يطّلعنَ من النقابِ

وهي طويلة يقول فيها :

اخذنا بالمخطم من اتاهم   من السود المزنَّمة الرعابِ
وقتلنــا سراتهم جهارًا   وجئنــا بالسبايا والنهابِ
سبايا طيٍ أبرزنَ قسرًا   وأُبدلنَ القصور من الشعابِ
سبايا طيٍ من كل حيٍّ   بمن في الفرع منها والنصابِ
وما كانت بناتهم سبيــاً   ولا رغباً بعدٍ من الرغابِ
ولا كانت دماؤُهم وفاءً   لنا فيما يعدُّ من العقــابِ

اخبرني الحسن بن يحيي قال: حدَّثنا حماد بن اسحق عن ابيهِ قال : كان لزيد الخيل ابن يقال لهُ عروة وكان فارساً شاعرًا. فشهد القادسيَّة فحسن فيها بلاؤُهُ وقال في ذلك يذكر حسن بلائهِ :

برزت لاهل القادسيَّة معلمــاً   وما كل من يغشى الكريهة يعلمُ
ويوم باكناف النخيلة قبلهــا   شهدت فلم ابرح أُدمي واكلمُ
واقعصت منهم فارساً بعد فارس   وما كل من يلقى الفوارس يسلمُ
ونجــاَّنيَ اللهُ الاجلُّ وجيرتي   وسيف لاطراف المرازب مخذمُ
وايقنت يوم الديلميّــين انني   متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا
فما رمتُ حتى مزّقوا برماحهم   ثيــابي وحتى بلَّ اخمصيَ الدمُ
محافظة اني امرؤٌ ذو حفيظــة   اذا لم أجد مستــأخرًا اتقدَّمُ

(قال) وشهد مع عليّ بن ابي طالب رضي الله عنــهُ صفّينَ وعاش

الى امارة معــاوية . فأراده على البراءة من عليّ عليهِ السلام فامتنع عليــهِ وقال :

يحاولني معاوية بن حربٍ   وليس الى الذي يهوى سبيلُ
على جحدي ابا حسنٍ عليّاً   وحظي من ابي حسن جليلُ

(قال) ولهُ اشعار كثيرة

قال مؤرّج : خرج رجل من طيٍّ يقال لهُ دؤاب بن عبد الله الى صهر لهُ من هوازن . فأُصيب الرجل وكان شريفًا ذا رئاسة في حيّــهِ . فبلغ ذلك زيدًا فركب في نبهان ومن تبعــهُ من ولد الغوث واغار على بني عامر وجعل كلما اخذ اسيرًا قال لهُ : أَلك علم بالطائي المقتول . فان قال نعم قتلهُ وان قال لا خلَّى سبيلهُ ومنّ عليهِ . وكان رجل من اصحاب بني الوحيد والضباب وبني نفيل . ثم رجع زيد الى قومهِ فقالوا : ما صنعت . فقال : ما اصبت بثــأر دؤاب ولا يبوء بهِ الّا عامر بن مالك ملاعب الاسنَّة فامَّا ابن الطفيل فلا يبوء بهِ وانشأ زيد يقول :

لا ارى انَّ بالقتيل قتيــلًا   عامريًا يفي بقتل دؤابِ
ليس من لاعب الاسنة في النقع   م وسمّي ملاعبــًا بأرابِ
عامر ليس عامر بن طفيل   لكن العمر رأس حيّ كلابِ
ذاك ان القــهُ انال بهِ الوتر   م وقرَّت بهِ عيون الصحــابِ
او يفتــني فقد سبقت بوترٍ   مذحجيّ وجدّ قومي كتابِ
قد تقنصت للضباب رجالًا   وتكرمت عن دماء الضبابِ
واصبنا من الوحيــد رجالًا   ونفيــل فما اساغوا شرابي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعرهُ فاغضبهُ وقال مجيبًا لهُ :

قل لزيد قد كنت تؤثر بالحلـ م اذا سفهت حلوم الرجالِ
ليس هذا القتيل من سلف الحي م كلاع ويحصب وكلالِ
او بني آكل المرار ولا صيد م بني جفنة الملوك الطوالِ
وابن ماء السماء قد علم الناس م ولا خير في مقالة غالِ
انّ في قتل عامر بن طفيل لبواء لطيّء الاجبالِ
انني والذي يحجُّ لهُ النـاس م قليل في عامر الامثالِ
يوم لا مال للمحارب في الحرب م سوى نصل اسمر عسالِ
ولجام في رأس اجود كالجذع م طوال وابيض قصّالِ
ودِلاص كالنهي ذات فضول ذاك في حلبة الحوادث مالي
ولعمّي فضل الرئاسة والسنّ م وجدّ على هوازن عالِ
غير اني اولى هوازن في الحرب م بضرب المتوَّج المختالِ
وبطعن الكمي في حمس النقع م على متن هيكل جوَّالِ

قال ابو عمرو الشيباني : لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة الخزرجي وهجائهِ اياه غضب زيد لذلك فأغار على بني مرَّة بن غطفان فأسر الحرث بن ظالم وامرأتهُ في غارتهِ ثم منّ عليهما . وقال يذكر ذلك :

ألا هل اتى غوثاً ورومان اننا صبحنا بني ذبيان احدى العظائمِ
وسقنا نساء الحي مرَّة بالقنا وبالخيل تردي قد حوينا ابن ظالمِ
جنيباً لاعضاد النواجي يقدنهُ على تعب بين النواجي الرواسمِ
يقول اقبلوا مني الفداء وانعموا عليّ وجزوني مكان القوادمِ
وسائل بنا جار ابن عوف فقد رأى حليلتهُ جالت عليها مقاسمي

تلاعب وحدان العضاريط بعد ما — جلاها بسهميه لقيط بن حازم
اغرّك ان قيل ابن عوف ولا ارى — عزيك الّا واهياً في العزائم
غداة سبينا من خفاجة سبيها — ومرّت لهم منّا نحوسُ الاشائم
فمَن مبلغ عني الخزارج غارة — على حيّ عوف موجفاً غير نائم

وقال ابو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ ابو ضبّ ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لهما بنو نصر وبنو مالك. فأصاب وغنم وساقوا الغنيمة وانتهى الى العلم فاقتسموا النهاب. فقال لهم زيد: اعطوني حقّ الرئاسة. فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك. فغضب زيد وانحدر الى بني نصر. فبينما بنو مالك يقتسمون اذ غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء فاستنقذوا ما بايديهم. فلما رأى زيد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضبّ وأخذ ما في ايديهم فدفعهُ الى بني مالك وكانوا نادوه يومئذٍ: يا زيداه أغثنا. فكرّ على القوم حتى استنقذ ما في ايديهم وردّهُ. وقال يذكر ذلك:

كررت على ابطال سعد ومالك — ومن يدع الداعي اذا هو ندّدا
فلأياً كررت الورد حتى رأيتهم — يكبون في الصحراء مثنًى وموحدا
وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم — وقد ظهرت دعوى زنيم واسعدا
فما زلت ارميهم بغرّة وجههِ — وبالسيف حتى كلّ تحتي وبلّدا
اذا شكّ اطراف العوالي لبانهُ — اقدّمهُ حتى يرى الموت اسودا
علالتنا بالامس ما قد علمتمُ — وعل الجواري بيننا ان تُسهَّدا
لقد علمت نبهان اني حميتها — واني منعت السبي ان يتبددا
عشية غادرت ابن ضبّ كانما — هوى عن عقاب من شماريخ صنددا

بذي شطب اغشي الكتيبة سلهب　　اقبّ كسرحان الظلام معوّدا

قال ابو عمرو: وخرج زيد الخيل يطلب نعمًا لهُ من بني بدر وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هند واستاق نعمًا لهم. فقالت بنو بدر لزيد: ما كنّا قط الى نعمك احوج منا اليوم. فتبعهُ زيد الخيل وقد مضى وعامر يقول: يا هند ما ظنُّك بالقوم. فقالت: ظني بهم انهم سيطلبونك وليسوا نيامًا عنك. (قال) فأدركهُ زيد الخيل. فنظر الى عامر فانكرهُ لعظمهِ وجمالهِ. وغشيه زيد فبرز لهُ عامر. فقال: يا عامر: خلّ سبيل الظعينة والنعم. فقال عامر: من انت. قال: فزاري انا. قال عامر: والله ما انت من الفُلح افواهًا. فقال زيد: خلّ عنها. قال: لا أو تخبرني من انت. قال: اسديّ. قال: لا والله ما انت من المتكوّرين على ظهور الخيل. قال: خلّ سبيلها. قال: لا والله أو تخبرني فأصدقني. قال: أنا زيد الخيل. قال: صدقت فما تريد من قتالي فوالله لئن قتلتني لتطلبنَّك بنو عامر ولتذهبنَّ بنو فزارة بالذكر. فقال لهُ زيد: خلّ عنها. قال: تخلي عني وأدعك والظعينة والنعم. قال: فاستأسر. قال: أفعل. فجزَّ ناصيتهُ وأخذ رمحهُ وأخذ هندًا والنعم فردَّها الى بني بدر. وقال في ذلك:

انا لنكثر في قيس وقائعنا　　وفي تميم وهذا الحيّ من اسدِ
وعامر بن طفيل قد نحوت لهُ　　صدر القناة بماضي الحدّ مطردِ
لما أحس بانَّ الورد مدركهُ　　وصارمًا وربيط الجأش ذا لبدِ
نادى اليَّ بسلم بعد ما أخذت　　منهُ المنية بالحيزوم واللغدِ
ولو تصبر لي حتى اخالطهُ　　اسعرتهُ طعنة كالنار بالرتدِ

(قال) فانطلق عامر الى قومهِ مجزوزًا وأخبرهم الخبر. فغضبوا لذلك وقالوا:

لا ترأسنا ابداً. وتجهزوا ليغيروا على طيّ ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة. فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير. فبعث عامر الى زيد الخيل دسيساً ينذره. فجمع قيس قومهُ فلقيهم بالمضيق فقاتلهم فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم فحبسهم. فلما طال عليهم الاسر قالوا: يا زيد فادِنا. قال: الامر الى عامر بن الطفيل. فأبوا ذلك عليهِ. فوهبهم لعامر الَّا الحطيئة وكعباً. فأعطاه كعب فرسهُ الكميت. وشكا الحطيئة الحاجة فمنَّ عليهِ. فقال زيد:

أقول لعبدي جرول اذ اسرتهُ ... أثبني ولا يغررك انك شاعرُ
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... لهُ المكرمات واللهى والمآثرُ
وقومي رؤوس الناس والرأس قائد ... اذا الحرب شبتها الأكفُّ المساعرُ
فلست اذا ما الموت حوذر ورده ... وأترع حوضاهُ وحمَّج ناظرُ
بوقّافة يخشى الحتوف تهيباً ... يباعدني عنها من القبّ ضامرُ
ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي ... مجاهرة ان الكريم يجاهرُ
وأروي سناني من دماء عزيزة ... على اهلها اذ لا ترجّى الاياصرُ

فقال الحطيئة لزيد:

ان لم يكن مالي بآتٍ فانني ... سيأتي ثنائي زيداً بن مهلهل
فأعطيت منا الودَّ يوم لقيتنا ... ومن آل بدر شدَّة لم تهلَّلِ
فما نلتنا غدراً ولكن صبحتنا ... غداة التقينا في المضيق باحبلِ
تفادى حماة الخيل من وقع رمحهِ ... تفادي ضعاف الطير من وقع اجدلِ

وقال فيهِ الحطيئة ايضاً:

وقعت بعبس ثم انعمت فيهم ... ومن آل بدر قد اصبت الاخايرا
فان يشكروا فالشكر ادنى الى التقى ... وان يكفروا لا أُلفَ يا زيد كافرا

تركت المياه من تميم بلاقعاً بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا
وحيّ سليم قد أثرت شريدهم ولا تنس ما قتلت يا زيد عامرا

فرضي عنهُ زيد ومنّ عليهِ لما قال هذا فيهِ وعدّ ذلك ثواباً من الحطيئة وقبلهُ. فلما رجع الحطيئة الى قومهِ قام فيهم حامداً لزيد شاكراً لنعمتهِ حتى اسرت طيّ بني بدر فطلبت فزارة وافناء قيس الى شعراء العرب ان يهجوا بني لام وزيداً. فتحامتهم شعراء العرب وامتنعت من هجائهم. فصاروا الى الحطيئة. فأبى عليهم وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي واطلقني بغير فداء فلست بكافر نعمته ابداً. قالوا: فانّا نعطيك مائة ناقة. قال: والله لو جعلتموها الفاً ما فعلت ذلك. وقال الحطيئة:

كيف الهجاء وما تنفكّ صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتينا
المنعمين اقام العزّ وسطهمُ بيض الوجوه وفي الهيجا مطاعينا

وقد اخبرنا ابو خليفة عن محمد بن سلام قال: خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش. فلقيهم زيد الخيل فأسرهم فافتدى بجير نفسهُ بفرس كان لكعب اخيهِ وكعب يومئذٍ مجاور في بني ملقط من طيّ وشكا اليهِ الحطيئة الفاقة فاطلقهُ. وقال ابو عمرو: غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان. ثم ان فزارة حشدت واستعانت باحياء من قيس وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيد يقال لهُ عباس بن انس الرعليّ كانت بنو سليم قد ارادوا عقد التاج على رأسهِ في الجاهلية. فحسدهُ ابن عمّ لهُ فلطم عينهُ. فخرج عباس من اعمال بني سليم في عدّة من اهل بيتهِ وقومهِ فنزل في بني فزارة وكان معهم يومئذٍ ولم يكن لزيد المرباع

حينئذٍ . وأدركت فزارة بني نبهان فاقتتلوا قتالًا شديداً . فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى : يا بني نبهان أأحمل ولي المرباع . قالوا : نعم . فشدَّ على بني سليم فهزمهم واخذ امَّ الاسود امرأة عباس بن انس ثم شدَّ على فزارة والاخلاط فهزمهم وقال في ذلك :

ألا ودَّعت جيرانهــا امُّ اسودا وضنَّت على ذي حاجة ان يزوَّدا
وابغض اخلاق النســاء اشدّهُ اليَّ فلا تولنَّ اهلي تشــددا
وسائل بني نبهان عنــا وعندهم بلاءٌ كحدّ السيف اذ قطع اليدا
دعوا مالكــاً ثم اتصلنا بمالك فـكان ذكا مصبــاحه فتوقدا
وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلًا ينوء بخطــار هنــاك ومعبدا
تمطت بــهِ قوداء ذات علالة اذا الصلدم الخنذيذ اعيــا وبلّدا
لقيناهم تستنقذ الخيل كالقنــا ويستسبلون السمهريَّ المقصــدا
فيــا ربَّ قدر قد كفأنا وجفنة بذي الرمث اذ يدعون مثنى وموحدا
على انني اثوي سناني وصعدتي بساقين زيدًا ان يبوء ومعبــدا

وقال ابو عمرو : وقعت حرب بين اخلاط طيٍّ . فنهــاهم زيد عن ذلك وكرههُ فلم ينتهوا . فاعتزل وجاور بني تميم ونزل على قيس بن عاصم . فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معهُ فاقتتلوا قتالًا شديدًا وزيد كافٌّ . فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسهُ وحمل على القوم وجعل يدعو : يا لتميم . ويتكنى بكنية قيس اذا قتل رجلًا او اذراه عن فرسهِ أو هزم ناحية . حتى هزمت بكر وظفرت تميم فصارت فخرًا لهم في العرب . وافتخر بهــا قيس . فلما قدموا قال لهُ زيد : اقسم لي يا قيس نصيبي . فقال : وأيُّ نصيب فوالله ما ولي القتال غيري وغير اصحابي . فقال زيد :

ألا هل اتاها والاحاديث جمة مغلغلة انباء جيش اللهازمِ
فلست بوقاف اذا الخيل احجمت ولست بكذاب كقيس بن عاصمِ
تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيماهمُ والعمائمُ
بل الفارس الطائي فضّ جموعهم ومكة والبيت الذي عند هاشمِ
اذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم بمأثورة تشفي صداع الجماجمِ

فبلغ المكثر بن حنظلة العجلي أحد بني سنان قول زيد فخرج في ناس من عجل حتى أغار على بني نبهان فأخذ من نعمهم ما شاء . وبلغ ذلك زيد الخيل فخرج على فرسهِ في فوارس من نبهان حتى اعترض القوم فقال : ما لي ولك يا مكثر . فقال : قولك : « اذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم » فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في ايديهم . ورجع المكثر ببقية ما أصاب . فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة . فغنم وسبى . وقال في ذلك :

اذا عركت عِجلٌ بنا ذنب غيرنا عركنا بتيم اللات ذنب بني عجلِ

وقال أبو عمرو : كان حريث بن زيد الخيل شاعراً فبعث عمر بن الخطاب رجلاً من قريش يقال لهُ ابو سفيان يستقرئ اهل البادية فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبهُ . فأقبل حتى نزل بمحلّة بني نبهان فاستقرأ ابن عمّ لزيد الخيل يقال لهُ اوس بن خالد بن زيد بن مهيب . فلم يقرأ شيئاً . فضربهُ فمات . فاقامت بنتهُ ام اوس تندبهُ . واقبل حريث بن زيد الخيل فأخبرتهُ . فأخذ الرمح فشدّ على ابي سفيان فطعنهُ فقتلهُ وقتل ناساً من اصحابهِ ثم هرب الى الشام . وقال في ذلك :

الا بكر الناعي باوس بن خالدٍ اخي الشتوة الغبراء والزمن المحلِ
فلا تجزعي يا امّ اوس فانهُ يلاقي المنايا كل حافٍ وذي نعلِ

فان يقتـــلوا اوساً عزيزاً فانـني   تركت ابا سفيان ملتزم الرحل
ولولا الأُسى ماعشت في الناس بعده   ولكن اذا ما شئت جاوبني مثلي
أصبنا بهِ من خيرة القوم سبعــة   كراماً ولم نأكل بهِ حَشَف النخل

السُّلَيك بن السُّلَكَة

هو السليك بن عمرو وقيل بن عمير بن يثربي أحد بني مقــاعس وهو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد مناة بن تميم . والسلكة أُمّهُ وهي أمة سوداء . وهو احد صعاليك العرب العدَّائين الذين كانوا لا يُلحقون ولا تعلق بهم الخيل اذا عدوا وهم السليك بن السلكــة والشنفرى وتأبَّط شرًّا وعمرو بن برَّاق ونفيل بن براقة

حدَّث المنتجع بن نبهان قال : كان السليك بن عمير السعدي اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنهُ . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل اغار وكان ادلَّ من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مُضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنهُ ذلك اغار على ربيعة . وقال المفضل في روايتهِ : وكان السليك من اشد رجال العرب وانكرهم واشعرهم وكانت العرب تدعوه سليك المقانب . وكان أدلَّ النــاس بالارض واعلمهم بمسالكها واشدهم عدواً على رجليهِ لا تعلق بهِ الخيل وكان يقول : اللهمَّ انك تهيّئ ما شئت لما شئت اذا شئت . اللهمَّ اني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو

كنت امرأة كنت أمة . اللهمَّ اني اعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة .
فذكروا انهُ أملق حتى لم يبقَ لهُ شيء فخرج على رجليهِ رجاء ان يصيب غرّة
من بعض من يمرّ بهِ فيذهب بابلهِ حتى امسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة
مقمرة فاشتمل الصماء (١) ثم نام . فبينا هو نائم اذ جثم رجل فقعد على
جنبهِ فقال : استأسر . فرفع السليك اليهِ رأسهُ وقال : الليل طويل وانت مقمر
فارسلها مثلًا . فجعل الرجل يلهزهُ ويقول : يا خبيث استأسر . فلما اذاه بذلك
اخرج السليك يدهُ فضمَّ الرجل اليهِ ضمة صرخ منها ثم قال : من انت . فقال : انا
رجل افتقرت فقلت : لاخرجنَّ فلا ارجع الى اهلي حتى استغني فآتيهم وانا غني
قال : انطلق معي . فانطلقا فوجدا رجلًا قصتهُ مثل قصتهما فاصطحبوا جميعًا
حتى اتوا الجوف جوف مراد . فلما اشرفوا عليهِ اذا فيهِ نعم قد ملأ كل شيء
من كثرتهِ فهابوا ان يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب . فقال لهما سليك :
كونا قريبًا مني حتى آتي الرعاء فاعلم لكما علم الحي أقريب ام بعيد فان
كانوا قريبًا رجعت اليكما وان كانوا بعيدًا قلت لكما قولًا اومئ اليكما بهِ
فأغيرا . فانطلق حتى اتى الرعاء فلم يزل يتسقطهم حتى اخبروه بمكان الحي .
فاذا هم بعيد إن طُلبوا لم يُدركوا . فقال السليك للرعاء : ألا اغنيكم . فقالوا :
بلى غنّنا . فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيَّ ألا لا حيَّ بالوادي سوى عبيد وآمٍ بين اذوادِ
انتظران قريبًا ريث غفلتهم ام تعدوان فانَّ الريح للغادي

فلما سمعا ذلك اتيا السليك فاطردوا الابل فذهبوا بها . ولم يبلغ الصريخ الحيَّ
حتى فاتوهم بالابل . قال المفضل : وزعموا ان سليكًا خرج ومعهُ رجلان من بني

(١) اشتمال الصماء ان يردَّ فضلة ثوبهِ على عضده اليمنى ثم ينام عليها

الحرث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما عمرو وعاصم وهو يريد الغارة . فمرّ على حيّ بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر . فاذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد امسى . فقال لاصحابهِ : كونوا بمكان كذا حتى آتي اهل هذا البيت فعلي ان اصيب لكم خيرًا او آتيكم بطعام . قالوا : افعل . فانطلق وقد امسى وجنّ عليهِ الليل . فاذا البيت بيت رويم وهو جدّ حوشب بن يزيد بن رويم واذا الشيخ وامرأته بفناء البيت . فاتى السليك البيت من مؤخرهِ فدخلهُ . فلم يلبث ان راح ابنهُ بابلهِ فلما اراحها غضب الشيخ وقال لابنهِ : هلاَّ عشيتها ساعة من الليل . فقال لهُ ابنهُ : انها أبت العشاء . فقال : العاشية تهيج الآبية فأرسلها مثلًا . ثم غضب الشيخ ونفض ثوبهُ في وجهها فرجعت الى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بادنى روضة فرتعت وجلس الشيخ عندها لتتعشى وغطى وجههُ بثوبهِ من البرد . وتبعهُ سليك . فلما وجد الشيخ مفترًا استلَّهُ من ردائهِ فضربهُ فاطار رأسهُ وصاح بالابل فطردها . فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوَّفا عليهِ حتى اذا هما بالسليك يطردها فطردها معهُ . وقال سليك في ذلك :

وعاشية راحت بطانًا ذعرتها ... بسوط قتيل وسطها يتسيفُ
كأن عليهِ لون برد محبَّرٍ ... اذا ما أتاهُ صارم يتلهفُ
فبات لهُ اهل خلآء فناؤهم ... ومرَّت بهم طير فلم يتعيفوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي ... اذا ما علوا نشزًا اهلوا واوجفوا
وما نلتها حتى تصعلكت حقبة ... وكدت لاسباب المنية اعرفُ
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرَّني ... اذا قمت تغشاني ظلال فأُسدفُ

وقال الاثرم في روايتهِ عن ابي عبيدة : خرج سليك في الشهر الحرام

حتى اتى عكاظ . فلما اجتمع الناس القى ثيابهُ ثم خرج متفضــلًا مترجلًا فجعل يطوف بين الناس ويقول : من يصف لي منازل قومهِ واصف لهُ منازل قومي . فلقيهُ قيس بن مكشوح المرادي فقال : انا اصف لك منازل قومي وصف لي منازل قومك . فتوافقا وتعاهدا ان لا يتكاذبا . فقال قيس بن المكشوح : خُذْ بين مهبّ الجنوب والصبا ثم سرْ حتى لا تدري اين ظلُّ الشجرة . فاذا انقطعت المياه فسرْ اربعًا حتى تبدو لك رملة وقفَ بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد وخثعم . فقال السليك : خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من افق السماء . فثمَّ منازل قومي بني سعد بن زيد منـــاة . فانطلق قيس الى قومهِ فاخبرهم الخبر . فقال ابوهُ المكشوح : ثكلتك امُّك هل تدري من لقيت . قال : لقيت رجلًا فضلًا كأنما خرج من اهلهِ . فقال : هو والله سليك بن سعد . فاستعلق السليك قومهُ فخرج احماس بين بني سعد وبني عبد شميع . وكان في الربيع يعمد الى بيض النعام فيملؤهُ من الماء ويدفنــهُ في طريق اليمن في المفاوز . فاذا غزا في الصيف مرَّ بهِ فاستأثرهُ . فمرَّ باصحابهِ حتى اذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سليك اهلكتنا ويحك . قال : قد بلغتم الماء ما اقربكَم منهُ . حتى اذا انتهى الى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيــهِ طلبهُ فلم يجدهُ . وجعل يتردَّد في طلبهِ . فقال بعض اصحابهِ لبعض : اين يقودكم هذا العبــد قد والله هلكتم . وسمع ذلك ثم اصاب بعد ما ساء ظنهم فهمَّ السليك بقتل بعضهم ثم امسك . فانصرفت عنهم بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . (قال) ومضى السليك في بني مقاعس ومعــهُ رجل من بني حرام يقال لهُ صرد . فلما رأى اصحابهُ قد انصرفوا بكى . ومضى بهِ السليك حتى اذا دنوا من بلاد خثعم ضلّت ناقة صرد في جوف الليل . فخرج في طلبها .

فاصابهُ أُناس حين اصبح فاذا هم مراد وخثعم فاسروه . ولحقوا السليك فاقتتلوا قتالًا شديدًا . وكان اول من لقيهُ قيس بن مكشوح . فاسرهُ السليك بعد ان ضربهُ ضربةً اشرفت على نفسهِ . واصاب من نعمهم ما عجز عنهُ هو واصحابهُ . واصاب امّ حرف بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذٍ . واستنقذ صردًا من ايدي خثعم . ثم انصرف مسرعًا فلحق باصحابهِ الذين انصرفوا عنهُ قبل ان يصلوا الى الحيّ وهم اكثر من الذين شهدوا معهُ . فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السليك في ذلك :

بكى صرد لما رأى الحي اعرضت ... مهامه رمل دونهم وسهوبُ
وخوّفهُ ريب الزمان وفقره ... بلاد عدوّ حاضر وجدوبُ
ونأي بعيد عن بلاد مقاعس ... وانّ مخاريق الامور تريبُ
فقلت لهُ لا تبك عينك انها ... قضية ما يقضى لها فتؤوبُ
سيكفيك فقد الحي لحم معرّض ... وماء قدور في الجفان مشوبُ
ألم ترَ انّ الدهر لونان لونهُ ... وطوران بشر مرّة وكذوبُ
فيا خير من لا يرتجي خير اوبة ... ويخشى عليهِ مرية وحروبُ
رددت عليهِ نفسهُ فكانما ... تلاقى عليهِ منسر وسروبُ
فما ذرّ قرن الشمس حتى رأيتهُ ... مصاد المنايا والغبار يثوبُ
وضاربت عنهُ القوم حتى كانما ... يصعّد في آثارهم ويصوبُ
وقلت لهُ خذ هجمة جبرية ... واهلًا ولا يبعد عليك شروبُ
وليلة جابان كررت عليهم ... على ساحة فيها الاياب حبيبُ
عشية كدت بالحراميّ ناقة ... بحيّهلًا تُدعى بهِ فتجيبُ

فضاربت اولى الخيل حتى كأنما أُميل عليها ايدع وصبيبُ (١)

قال ابو عبيدة: وبلغني ان السليك بن السلكة رأتهُ طلائع جيش لبكر بن وائل وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم احد فقالوا: ان علم السليك بنا انذر قومهُ. فبعثوا اليهِ فارسين على جوادين. فلما هايجاه خرج يمحص كانهُ ظبي وطارداه سحابة يومهِ ثم قالا: اذا كان الليل اعيا ثم سقط او قصر عن العدو فنأخذهُ. فلما اصبحا وجدا اثره قد عثر باصل شجرة فتبرأ عنها وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزّت بالارض فقالا: ما لهُ اخزاهُ الله ما اشدَّهُ. وهمّا بالرجوع. ثم قالا: لعلّ هذا كان من اوّل الليل ثم فتر. فتبعاه فاذا اثرهُ متفاجًا قد بال في الارض وخدّ. فقالا: ما لهُ قاتلهُ الله ما اشدّ متنهُ والله لا نتبعهُ ابدًا. فانصرفا وتمّ الى قومهِ وأنذرهم فكذبوهُ لبعد الغاية. فانشأ يقول:

يكذبني العمران عمرو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذب اكذبُ
ثكلتكما ان لم اكن قد رأيتها كراديس يهديها الى الحيّ موكبُ
كراديس فيها الحوفزان وقومهُ (٢) فوارس همام متى يدعُ يركبوا

(قال) وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.

وقال ابو عبيدة: اغار السليك على بني عوارا بطن من بني مالك بن ضبيعة فلم يظفر منهم بفائدة. وارادوا مساورته. فقال شيخ منهم: انهُ اذا عدا لم يتعلق به شيءٌ فدعوه حتى يردَ الماء فاذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم بهِ. فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه. فلما علم انهُ مأخوذ

(١) الايدع دم الاخوين. والصبيب الحناء
(٢) الحوفزان ابن شريك الشيباني

جاملهم وقصد لادنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فكيهة فاستجار بها. فمنعتهُ وجعلتهُ تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونهُ. فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت باخوتها. فجاءوها ودفعوا عنهُ حتى نجا من القتل. فقال السليك في ذلك :

لعمر ابيك والانبـاء تنمي لنعم الجـار اخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح اباهـا ولم ترفع لاخوتها شنارا (١)

وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخمارا

ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير وهم عاء لهم يقال لهُ قُباقِب خلف البشر. فاتاه نعمان بابنيهِ الحكم وعثمان وهما سيدا بني كنانة ونائلة ابنته فقال: هذان وهذه لك وما املك غيرهم. فقالوا: صدق. فقال: قد شكرت لك وقد رددتهم عليك. فجمعت لهُ بنو كنانة ابلاً عظيمة فدفعوها اليهِ ثم

---

(١) اخبر اليزيدي عن عمهِ قال: كان ابرهيم بن سعدان يؤدّب ولد علي بن هشام وكان يغني بالعود تادباً ولعباً. (قال) فوجه اليّ يوماً علي بن هشام يدعوني. فدخلت فاذا بين يديهِ امراة مكشوفة الراس تلاعبهُ بالنرد. فرجعت عجلاً. فصاح بي: ادخل. فدخلت فاذا بين ايديهما نبيذ يشربان منهُ. فقال: خذ عوداً وغنّ لنا. ففعلت ثم غنيت في وسط غنائي:

من الخفرات لم تفضح اباها ولم ترفع لاخوتها شنـارا

فوثبت من بين يديهِ وغطت راسها وقالت: اني اشهد الله اني تائبـة اليهِ ولا افضح ابي ولا ارفع لاخوتي شناراً. ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرتهِ. فقال لي: ويلك من اين صبك الله عليّ. هـذه مغنية ببغداد وانا في طلبها منذ سنة لم اقـدر عليها الّا اليوم فجئتني بهذا الصوت حتى هربت. فقلت: والله ما اعتمدت مساءتك ولكنه شيء خطر على غير تعمُّد

قالوا لهُ: ان رأيت ان ترينا بعض ما بقي من احضـارك. قال: نعم وابغوني اربعين شابًّا وابغوني درعًا ثقيلة. فأتوه بذلك. فلبس الدرع وقال للشبـان: الحقوا بي ان شئتم. وعدا فلاث العدو لوثًا. وعدوا جنبتهُ فلم يلحقوه الّا قليلًا. ثم غاب عنهم وكرَّ حتى عاد الى الحيّ هو وحدهُ يحضر والدرع في عنقهِ تضرب كأنها خرقة من شدَّة احضاره

تأبَّط شرًّا

هو ثابت بن جابر بن سفيان وتأبَّط شرًّا لقب لقب بهِ. ذكر الرواة ان امَّهُ قالت لهُ: كل اخوتك يأتيني بشيءٍ اذا راح غيرك. فقال لها: سآتيك الليلة بشيءٍ. ومضى فصاد افاعي كثيرة من اكبر ما قدر عليهِ. فلما راح اتى بهنَّ في جراب متأبطًا بهِ فالقاه بين يديها. ففتحتهُ فتساعينَ في بيتها. فوثبت وخرجت. فقال لها نساء الحي: ماذا اتاك بهِ ثابت. فقـالت: اتاني بافاعي في جراب. وقلنَ: وكيف حملها قالت: تأبطها. قلن: لقد تأبَّط شرًّا. فلزمهُ تأبَّط شرًّا

اخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني قـال: نزلت على حي من فهم اخوة عدوان من قيس فسـألتهم عن خبر تأبَّط شرًّا. فقال لي بعضهم: وما سؤالك عنهُ أتريد ان تكون لصًّا. قلت: لا ولكن اريد ان اعرف اخبـار هولاء العدَّائين فأتحدث بهـا. فقالوا: نحدثك بخبره. انَّ تابط شرًّا كان اعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين. وكان اذا جاع لم تقم لهُ قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ثم يجري خلفـهُ فلا يفوتهُ حتى ياخذهُ فيذبحهُ بسيفهِ ثم يشويه فيأكلهُ. وانما سمي تابط شرًّا

لانهُ فيما حُكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال لهُ رحى بطان في بلاد هذيل فأخذت عليهِ الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها. فلما اصبح حملها تحت ابطهِ وجاء بها الى اصحابهِ. فقالوا لهُ: لقد تأبَّط شرًّا (١). فقال في ذلك:

تأبَّط شرًّا ثم راح او اغتدى   يوائِمُ غنماً او يسيف على ذحل (٢)

وقال ايضاً في ذلك:

ألا من مبلغ فتيان فهم   بما لاقيت عند رحى بطانِ
واني قد لقيت الغول تهوي   بسهب كالصحيفة صحصحانِ
فقلت لها كلانا نِضْوُ أينٍ   اخو سفر فخلّي لي مكاني
فشدَّت شدَّةً نحوي فأهوى   لها كفي بمصقول يماني
فاضربها بلا دهش فخرَّت   صريعاً لليدين وللجرانِ
فقالت عُدْ فقلت لها رُوَيداً   مكانك انني ثَبْتُ الجَنانِ
فلم انفكَّ متَّكئاً عليها   لانظر مصبحاً ماذا اتاني
اذا عينان في رأس قبيح   كرأس الهِرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخدَجٍ وشواة كلب   وثوب من عباءٍ أو شنانِ

(قال) حمزة ولقي تأبَّط شرًّا ذات يوم رجلًا من ثقيف يقال لهُ ابو وهب كان جباناً اهوج وعليهِ حلَّة جيدة. فقال ابو وهب لتأبَّط شرًّا: بمَ تغلب الرجال يا ثابت وانت كما أرى دميم ضئيل. قال: باسمي. انما اقول ساعة ما

---

(١) ومن ذكر انه انما جاء بالغول يحتجّ بكثرة اشعاره في هذا المعنى فانه يصف لقاءه اياها في شعره كثيرًا

(٢) يوائم يوافق. و يسيف يعتدي

الفتى الرجل : انا تأبط شرًّا فينخلع قلبهُ حتى انال منـهُ ما اردت . فقال لهُ الثقفي : أَقَطْ . قال : قط . قال : فهل لك ان تبيعني اسمك . قال : نعم . قال : فبمَ تبتاعهُ . قال : بهذه الحلة وبكنيتي . قال لهُ : افعل . ففعل . وقال لهُ تأبط شرًّا : لك اسمي ولي كنيتك . واخذ حلتهُ واعطاه طِمْريه . ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفيّ :

ألا هل اتى الحسناء انَّ حليلها تأبط شرًّا واكتنيت ابا وهبِ
فهبهُ تسمّى اسمي وسمّيت باسمهِ فاين لهُ صبري على معظم الخطبِ
وأين لهُ بأس كبأسي وسورتي واين لهُ في كل فادحة قلبي

اخبر ابو بركة الاشجعي قال : اغار تأبط شرًّا ومعـهُ ابن برّاق الفهميّ على بجيلة . فاطردا لهم نعماً . ونذرت بهما بجيـلة فخرجت في آثارهما . ومضيـا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن . وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما الى الوهط وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف فدخلوا لهما في قصبة العين . وجاءا وقد بلغ العطش منهما الى العين . فلما وقفا عليها قال تأبط شرًّا لابن برّاق : أَقِلّ من الشرب فانهـا ليلة طرد . قال : وما يدريك : قال : والذي اعدو بطـيرهِ اني لاسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي . وكان من اسمع العرب واكيدهم . فقال لهُ ابن برّاق : ذلك وجيب قلبك . فقال لهُ تأبط شرًّا : والله ما وجب قط ولا كان وجاباً . وضرب بيده عليهِ واصاخ نحو الارض يستمع فقال : والذي اعدو بطيرهِ اني لأسمعُ وجيب قلوب الرجال . فقال لهُ ابن برّاق : فانا انزل قبلك . فنزل فبرك وشرب وكان آكد القوم عند بجيلة شوكة . فتركوه وهم في الظلمة . ونزل ثابت . فلما توسط الماء وثبوا عليهِ فاخذوه واخرجوه من العين مكتوفاً وابن برّاق قريب منهم لا يطمعون فيـهِ

لما يعلمون من عدوه . فقال لهم ثابت : انهُ من اصلف الناس واشدّهم عجبًا بعدوه وسأقول لهُ استأسر معي فسيدعوه عجبهُ بعدوه الى ان يعدو من بين ايديكم . ولهُ ثلاثة اطلاق اوّلها كالريح الهابة والثاني كالفرس الجواد والثالث يكبو فيهِ ويعثر فاذا رأيتم منهُ ذلك فخذوه فاني احبُّ ان يصير في ايديكم كما صرت اذ خالفني . قالوا : فافعل . فصاح بهِ تأبط شرًّا : انت اخي في الشدَّة والرخاء وقد وعدني القوم ان يمنوا عليك وعليَّ فاستأسر وواسِني بنفسك في الشدَّة كما كنت اخي في الرخاء . فضحك ابن برّاق وعلم انهُ قد كادهم وقال : مهلًا يا ثابت أيستأسر من عندهُ هذا العدو . ثم عدا . فعدا اوّل طلق مثل الريح كما وصف لهم والثاني كالفرس الجواد والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجههِ . فقال ثابت : خذوه . فعدوا باجمعهم . فلما ان نفسوا عنهُ شيئًا عدا تأبط شرًّا في كِتافهِ . وعارضهُ ابن برّاق فقطع كِتافهُ وافلتا جميعًا . فقال تأبط شرًّا :

يا عيد مالك من شوق وإيراقِ ومرِّ طيف على الاهوال طرّاقِ
يسري على الاين والحيات محتفلًا نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ (١)

واما الفضل الضبي فذكر ان تأبط شرًّا وعمرو بن برّاق والشنفرى (٢) غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرَّة . وثاروا اليهم فاسروا عمرًا وكتفوه . وافلتهم الآخران عدوًا . فلم يقدروا عليهما . فلما علما ان ابن برّاق قد أُسر قال تأبط شرًّا لصاحبه : امضِ فكن قريبًا من عمرو فاني سأتراءى لهم

---

(١) العيد ما اعتاده الانسان من همٍّ او شوق او مرض او ذكر . والاين والايم ضرب من الحيات . والاين الاعياء ايضًا . وروى ابو عمرو : «يا عيد قلبك من شوق وابراق» (٢) وغيرهُ يجعل مكان الشنفرى السليك

واطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه . فاذا فعلوا ذلـك فخلّ كتافه وانجوا . ففعل ما أمر بهِ . واقبل تأبط شرًّا حتى تراآى لبجيلة . فلما رأوه طمعوا فيـهِ فطلبوه وجعل يُطمعهم في نفسه ويعـدو عدوًا خفيفًا يقرب فيهِ ويسـألهم تخفيف الفدية واعطاءه الامان حتى يستأسر لهم وهم يجيبونه الى ذلك ويطلبونهُ وهو يحضر احضارًا خفيفًا ولا يتباعد . حتى علا قلعة اشرف منها على صاحبيهِ فاذا هما قد نجوا . ففطنت لهما بجيلة فالحقتهما طلبًا . ففاتاهم . فقال : يا معشر بجيلة أأعجبكم عدو ابن برّاق اليوم والله لاعدونّ لكم عدوًا انسيكم بهِ عدوه . ثم عدا عدوًا شديدًا ومضى . وذلك قولهُ : « يا عيد ما لك من شوق وايراق »

(قالوا) وكان من حديثهِ انهُ خرج غازيًا يريد بجيلة هو ورجل معـهُ وهو يريد ان يغترّهم فيصيب حاجتهُ . فاتى ناحية منهم فقتل رجلًا ثم استاق غنمًا كثيرة . فنذروا بهِ فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير . فلما رآهم وكان من أبصر الناس عرف وجوههم . فقال لصـاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا ويظفروا بحاجتهم . فجعل صاحبه ينظر فيقول : ما أتبين احدًا . حتى اذا دهموهما قال لصاحبه : اشتدّ فاني سامنعك ما دام في يدي سهم . فاشتدّ الرجل ولقيهم تأبط شرًّا وجعـل يرميهم حتى نفدت نبله . ثم انهُ اشتدّ فمرّ بصاحبه . فلم يطق شده . فقُتل صاحبـه وهو ابن عمّ لزوجته . فلما رجع تأبط شرًّا وليس صاحبه معهُ عرفوا انهُ قد قتل . فقالت لهُ امرأته : تركت صاحبك وجئت متباطئًا . فقال تأبط شرًّا في ذلك :

الا تلكما عرسي منيعة ضمّنت ... من الله اثمًا مستسرًّا وعالنا
تقول تركت صاحبًا لك ضائمًا ... وجئت الينـا فارقًا متباطنـا
اذا ما تركت صاحبي لثـلاثة ... او اثنين مثلينا فلا أُبت آمنا

وما كنت أباءً على الخلّ اذ دعا ولا المرء يدعوني ممرًا مداهنا
وكرّي اذا اكرهت رهطًا واهلهُ وارضًا يكون العوص فيها عجاهنا
ولما سمعت العوص تدعو تنفرت عصافير رأسي من غواة فراتنا
ولم انتظر ان يدهموني كانهم ورائي نحل في الخلية واكنا
ولا ان تصيب النافذات مقاتلي ولم اكُ بالشدّ الذليق مداينا
فارسلت مثنيًا عن الشرّ عاطفًا وقلت تزحزح لا تكوننْ حائنا
وحثحثت مشعوف النجاء كانني هجفٌ رأى قصرًا سمالًا وداجنا
من الحصّ هزروفٌ كانّ عفاءهُ اذا استدرج الفيفا ومدّ المغابنا
ازج زلوج هذرفيٌّ زفازفٌ هزفٌ يبذّ الناجيات الصوافنا
فزحزحت عنهم او تجئني منيتي بغبراء او عرفاء تفري الدفائنا
كاني اراها الموت لا درّ درّها اذا امكنت انيابها والبراثنا
وقالت لاخرى خلفها وبناتها حتوف تنقي مخ من كان واهنا
أخاليج ورّاد على ذي محافل اذا نزعوا مدّوا الدلا والشواطنا

قال الاثرم: قال ابو عمرو في هذه الرواية: وخرج تابط شرًا يريد ان يغزو هذيلًا في رهط . فنزل على الاجلّ بن فنضل رجل من بجيلة وكان بينهما حلف . فانزلهم ورحب بهم . ثم انهُ ابتغى لهم الذرائح ليسقيهم فيستريح منهم . ففطن لهُ تأبط شرًا فقام الى اصحابه فقال: اني احب ان لا يعلم انا قد فطنا لهُ . سابوه حتى نحلف ان لا ناكل من طعامه ثم أغترّه فاقتله لانه ان علم حذرني . وقد كان مالأ ابن فنضل رجل منهم يقال لهُ لكيز فثلب فيهم اخاه فاعتلّ عليهِ وعلى اصحابه فسبوهُ وحلفوا أن لا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه . ثم خرج في وجههِ وأخذ في بطن وادٍ فيهِ النمور وهي لا يكاد يسلم

منها احد. والعرب تسمي النمر ذا اللونين وبعضهم يسميها السبنتى. فنزل في بطنه وقال لاصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيدوا فهذا الوادي كثير الاروى. فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل غراً وحده وغزا هذيلًا فغنم واصاب . فقال تابط شرًّا في ذلك :

اقسمت لا أنسى وان طال عيشنا ... صنيع لكيز والاجلَّ بن قنضلِ
نزلنا به يوماً فساء صباحنا ... فانك عمري قد ترى أي منزلِ
بكى اذ رآنا نازلين ببابه ... وكيف بكاء ذي القليل المعيلِ
فلا وابيك ما نزلنا بعامرٍ ... ولا عامرٍ ولا الرئيس بن قوقلِ (١)
ولا بالشليل ربّ مروان قاعداً ... باحسن عيش والنفاثيّ نوفلِ (٢)
ولا ابن وهيب كاسب الحمد والعلا ... ولا ابن ضبيع وسط آل المخبلِ
ولا ابن حليس قاعداً في لقاحه ... ولا ابن جريّ وسط آل المغفلِ
ولا ابن رياح بالزليفات داره ... رياح بن سعد لا رياح بن معقلِ
اولئك أعطى للولائد خلفة ... وأدعى الى شحم السديف المرعبلِ

وقال ايضاً في هذه الرواية : كان تابط شرًّا يشتار عسلا في غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام وان هذيلًا ذكرتهُ فرصدوهُ لأبان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابه تدلّى فدخل الغار وقد اغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحركوا الحبل فاطلع تابط شرًّا راسهُ. فقالوا : اصعد. فقال : ألا اراكم .

---

(١) عامر بن مالك ابو براء ملاعب الاسنّة وعامر بن الطفيل. وابن قوقل مالك بن ثعلبة احد بني عوف بن الخزرج

(٢) رب مروان جرير بن عبد الله البجلي . ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر ابن يعمر احد بني يدل بن بكر

قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلامَ اصعد أعلى الطـلاقة ام الفداء . قالوا : لا شرط لك . قال : فاراكم قاتليّ وآكلي جناي . لا والله لا افعل . (قال) وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً اعدهُ للهرب . (قال) فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقهُ . ثم عمد الى الزق فشده الى صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلق عليهِ حتى خرج سليماً وفاتهم وبين موضعه الذي وقع فيهِ وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تابط شرًّا في ذلك :

اقول للحيـانِ وقد صفِرت لهـم ... وِطابي ويومي ضيق الجحر مُعورُ
لكم خصـلة اما فداء ومنّـة ... واما دم والقتل بالحرّ اجدرُ
وأخرى اصادي النفس عنها وانها ... لَموردُ حزمٍ ان ظفرت ومصدرُ
فرشت لها صدري فزلَّ عن الصفا ... بهِ جؤجؤٌ صلب ومتن مخصرُ
فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا ... بهِ كدحة والموت خزيان ينظرُ
فأُبت الى فهم وما كنت آئبـاً ... وكم مثلها فارقتهـا وهي تصفرُ
اذا المرء لم يحتـل وقد جدَّ جدُّهُ ... أَضاع وقاسى امرهُ وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الـذي ليس نازلا ... بهِ الامرِ الّا وهو للحزمَ مبصرُ
فذاك قريع الدهر مـا كان حوّلا ... اذا سدَّ منهُ منخرٌ جاش منخرُ
فانـك لو قايست باصب حيلتي ... بلحيان لم يقصر بيَ الدهر مقصرُ

وقال ايضاً في حديث تأبط شرًّا انهُ خرج في عدة من فهم فيهم عامر بن الاخنس والشنـفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرّة بن خليف حتى بيّتـوا العوص وهم حيٌ من بجيلة فقتلوا منهم نفرًا واخذوا لهم ابلًا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهـم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذٍ نحو من اربعين رجلًا . فلما نظرت اليهم صعاليكُ فهم

قالوا لعامر بن الاخنس : ماذا ترى . قال : لا ارى لكم الّا صدق الضراب فان قتلتم كنتم قد اخذتم ثأركم . قال تأبط شرًّا : بأبي انت وامي فنعم رئيس القوم انت اذا جد الجد واذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فاني ارى لكم ان تحملوا على القوم حملة واحدة فانكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم . فحملوا عليهم فقتلوا في حملتهم . فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت . واقبل ابن حاجز فاسند في الجبل فاعجز . فقال تابط شرًّا في ذلك :

جزى الله فتيانًا على العوص امطرت ... سماؤهم تحت العجاجة بالدمِ
وقد لاح ضوء الفجر عرضًا كانهُ ... بلمحتهِ اقراب أبلق ادهمِ
فانّ شفاء الداء ادراك ذحله ... صياح على آثار حَوْمٍ عرمرمِ
وضاربتهم بالسفح اذ عارضتهمُ ... قبائل من ابناء قسر وخثعمِ
ضرابًا عدا منهُ ابن حاجز هاربًا ... ذرا الصخر في جدر الوجين المرجمِ

وقال الشنفرى في ذلك :

دعيني وقولي بعد ما شئت انني ... سيُغدَى بنعشي مرَّةً فاغيبُ
خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا ... ثمانية ما بعدها متعتبُ
سراحين فتيان كانّ وجوههم ... مصابيح او لون من الماء مذهبُ
نمرّ برهو الماء صفحًا وقد طوت ... ثمائلنا والزاد ظن مغيبُ
ثلاثًا على الاقدام حتى سما بنا ... على العوص شعشاع من القوم محربُ
فثاروا الينا في السواد فهجهجوا ... وصوّت فينا بالصباح المثوّبُ
فشنّ عليهم هزّة السيف ثابتٌ ... وصمم فيهم بالحسام المسيبُ
وظلت بفتيان معي اتقيهمُ ... بهنّ قليلًا ساعة ثم خيبوا
وقد خرّ منهم راجلان وفارسٌ ... كميٌ صرعناه وحوم مسلبُ

يشنُّ اليـهِ كل ريعٍ وقلعـة ثمـانيـة والقوم رحـل ومقنبُ
فلما رآنا قومنـا قيـل افلحوا فقلنا اسألوا عن قائـلٍ لا يُكذَّبُ

مقتل عمرو ذي الكلب

هو عمرو بن العجلان . قال ابن الاعرابي : انهُ سمي ذا الكلب لانهُ كان لهُ كلب لا يفارقهُ . وعن الاثرم عن ابي عبيدة انهُ قال : لم يكن لهُ كلب لا يفارقه . انما خرج غازيًا ومعهُ كلب يصطاد بهِ . فقال لهُ اصحابه : يا ذا الكلب . فثبتت عليهِ . (قال) ومن الناس من يقول لهُ عمرو الكلب ولا يقول فيهِ ذو . (قال) وكان يغزو بني فهم غزوًا متصلًا . فنام ليلة في بعض غزواتهِ فوثب عليهِ نمران فاكلاه . فادَّعت فهم قتلهُ . هكذا في هذه الرواية . واخبر كثير من الرواة قالوا : كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذليّ وكان من رجالهم ان اناسًا كانوا قد وجدوا عليهِ وطلبوا دمه الى ان جاءهم عامًا من ذلك فنذروا بهِ فخرجوا في اثره . وخرج هاربًا منهم . فتبعوه يومهم ذلك وهم على اثره حتى امسى وهاجت عليهِ ريح شديدة في ليلة ظلماء . فبينا هو يسير على ظهر الطريق اذ رأى نارًا عن يمينه فقال : أخطأتُ والله الطريق وان الناس لعلى الطريق . فحـار وشكَّ وقصد للنار حتى اتاها وقد كان يصيح . فاذا رجل قد أوقد نارًا ليس معهُ احد . فقال لهُ عمرو ذو الكلب : من أنت . قال : انا رجل من عدوان . قال : فما اسم هذا المكان . قال : السدّ . فعلم انهُ قد هلك واخطأ . والسدّ شيء لا يجاوز . قال : ويلكَ فلمَ أوقدت فوالله ما تشرب ولا تصطلي . وما أوقدتَ الّا لمنيَّة عمرو الشقي . هل عندك شيء تطعمني . قـال : نعم . فاخرج لهُ تمرات قد

نقاها في يده . فلما رآها قال : ثرات تتبعهما عبرات من نساء خفرات . ثم قال : اسقني . قال : ماذا ألبناً . قال : لا ولكن اسقني ماء قراحاً . فاني مقتول صباحاً . ثم انطلق فاسند في السدّ . ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه اثره حيث اخطأ . فاتبعوه حتى وجدوه فدخل غاراً في السدّ . فلما ظهروا للسد علموا انهُ في الغار . فنادوه فقالوا : يا عمرو . قال : ما تشاءون . قالوا : اخرج . قال : فلمَ دخلتُ اذن . قالوا : بلى فاخرج . قال : لا اخرج . قالوا : فانشدنا قولك :

ومقعد كربة قد كنت فيها مكان الاصبعين من القبالِ

قال : ها هي ذه انا فيها . (قال) وعنَّ لهُ رجل من القوم فرماه عمرو فقتلهُ . فقالوا : أقتلتهُ يا عدوّ الله . فقال : أجل ولقد بقيت معي اربعة اسهم كانها انياب ام جليحة (١) لا تصلون اليَّ او أقتل بكل سهم منها رجلاً منكم . فقالوا لعبدهم : يا ابا نجاد ادخل عليهِ وأنت حرّ . فتهيأ للدخول ابو نجاد عليهِ . فقال لهُ عمرو : ويلك يا ابا نجاد ما ينفعك ان تكون حرًّا اذا قتلتك . فنكصوا عنهُ . فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليهِ ثم رموه حتى قتلوه واخذوا سلبه فرجعوا بهِ الى امّ جليحة وهي تشوف . فلما رأوها قالوا لها : يا ام جليحة ما رايكِ في عمرو . قالت : رأيي والله انكم طلبتموه سريعاً . ووجدتموه تبيعاً . ووضعتموه صريعاً . فقالوا : والله لقد قتلناه . فقالت : والله ما اراكم فعلتم ولئن كنتم فعلتم لربَّ ثديٍ منكم قد افترشه . وضبٍ قد احترشه . فطرحوا اليها ثيابه فاخذتها فقالت . ريح عطر وثوب عمرو . اما والله ما وجدتموه ذا حجزةٍ جافية . ولا ضالة كافية . وقالت ريطة اخت (٢) عمرو ذي الكلب ترثيه :

كل امرئٍ لمحال الدهر مكذوبُ وكل من غالب الايام مغلوبُ

---

(١) امّ جليحة امرأة كان ينسب بها (٢) واسمها جنوب

وكل حيٍّ وان عزوا وان سلموا   يوماً طريقهم في الشرّ دعبوبُ
أبلغْ هذيلًا وابلغ من يبلغها   عني رسولًا وبعض الغيّ تكذيبُ
بان ذا الكلب عمرًا خيرهم نسبا   ببطن شريان يعوي حولهُ الذيبُ
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها   مُثعنجر من نجيع الجوف اسلوبُ
والتارك القرن مصفرًّا انامله   كانهُ من رجيع الجوف مخضوبُ
تمشي النسور اليهِ وهي لاهية   مشي العذارى عليهنّ الجلابيبُ
والمخرج العاتق العذراء مذعنةً   في السبي ينفح من اردانها الطيبُ

الخنساء وهند بنت عُتبة

حدث عبد الرحمن بن ابي الزناد قال: لمَّا كانت وقعة بدر قُتل فيها عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم. وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بابيها عمرو ابن الشريد واخويها صخر ومعاوية وانها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوّمت هودجها براية وانها تقول: انا اعظم العربِ مصيبة. وان العرب قد عرفت لها بعض ذلك. فلما أُصيبت هند بما اصيبت وبلغها ذلك قالت: انا اعظم من الخنساء مصيبة. وأمرت بهودجها فسُوّم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقًا يجتمع فيها العرب فقالت: اقرنوا جملي بجمل الخنساء. ففعلوا. فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء: من أنتِ يا اخية. قالت: انا هند بنت عتبة اعظم العرب مصيبة. وقد بلغني انكِ تعاظمين العرب بمصيبتكِ فبمَ تعاظمينهم. فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو. وبمَ

تعاظمينهم انتِ . قالت : بابي عتبة بن ابي ربيعة وعمّي شيبة بن ربيعــة واخي الوليد . قالت الخنساء : او سواء هم عندك . ثم انشدت تقول :

ابكي ابي عمرًا بعــين غزيرة   قليل اذا نام الخليُّ هجودهــا
وصنويَّ لا انسى معاوية الذي   لهُ من سراة الحرّتين وفودها
وصخرًا ومن ذا مثل صخرٍ اذا غدا   بسلهبة الابطال قبًّا يقودهــا
فذلك يا هنــد الرزية فاعلمي   ونيران حرب حين شبَّ وقودها

فقالت هند تجيبها :

أبكي عميد الابطحين كليهما   وحاميها من كل باغٍ يريدهــا
ابي عتبة الخيرات ويحكِ فاعلمي   وشيبة والحامي الذمار وليــدها
اولئك آل المجد من آل غالب   وفي العزّ منها حين ينمى عديدها

وقالت لها ايضًا يومئذٍ :

من حسَّ لي الاخــوين م   كالغصنين او من رآهمــا
قرمــان لا يتظــالمــان م   ولا يرام حمــاهمــا
ويلي على ابويَّ والقــبر م   الــذى واراهمــا
لا مثل كهلي في الكهو   ل ولا فتى كفتاهمــا
اســدان لا يتــذلّــلان م   ولا يرام حمــاهمــا
رمحــين خطّيّــين في   كبد السماء تراهمــا
مــا خلفــا اذ ودّعا   في سؤددٍ شرواهمــا
ســادا بغــير تكلّفٍ   عفــوًا يفيض نداهمــا

حسان بن ثابت وعمرو بن الحرث

قال ابو عمرو الشيباني : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرو بن الحرث فاعتاص الوصول عليَّ اليهِ فقلت للحاجب بعد مدة : ان أذنت لي عليه والّا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم. فأذن لي . فدخلت عليهِ فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره . فقال لي : يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا احتاج الى الشعر فاني اخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة ان يفضحاك وفضيحتك فضيحتي وانت والله لا تحسن ان تقول :

رقاق النعال طيب حُجُزاتهم　　　يحيَّون بالريحان يوم السباسبِ

فأبيت وقلت : لا بدَّ منهُ . فقال : ذاك الى عميك . فقلت لهما : بحق الملك ألّا قدَّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحرث : هات يا ابن الفريعة . فانشأت :

أسألت رسم الدار ام لم تسألِ　　　بين الجوابي فالبضيع فحوملِ
لله درُّ عصابةٍ نادمتها　　　يوماً بجلّق في الزمان الاولِ
اولاد جفنة عند قبر ابيهم　　　قبر ابن مارية الكريم المفضلِ (١)
يسقون من ورد البريص عليهم　　　كأساً يصفق بالرحيق السلسلِ

---

(١) مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية ام الحرث الاعرج . وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى بهِ الثمن بقرطي مارية . واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار

يُغشَون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهمُ شمّ الانوف من الطراز الاول

(قال) فلم يزل عمرو بن الحرث يزحل عن موضعه سرورًا حتى شاطر البيت. وهو يقول: هذا وابيك الشعر لا ما يعللاني بهِ منذ اليوم. هذه والله البتّاتة التي قد بترت المدائح. احسنت يا ابن الفريعة. هات لهُ يا غلام الف دينار مرجوحة (١). فاعطيت ذلك. ثم قال: لك عليَّ في كل سنة مثلها. ثم أقبل على النابغة فقال: قم يا زياد فهات الثناء المسجوع. فقام النابغة فقال: الا انعم صباحًا ايها الملك المبارك. السماء غطاؤك. والارض وطاؤك. ووالداي فداؤك. والعرب وقاؤك. والعجم حماؤك. والحكماء جلساؤك. والمداره سمّارك. والمقاول اخوانك. والعقل شعارك. والحلم دثارك. والسكينة مهادك. والوقار غشاؤك. والبرّ وسادك. والصدق رداؤك. واليمن حذاؤك. والسخاء ظهارتك. والحمية بطانتك. والعلاء غايتك. واكرم الاحياء احياؤك. وأشرف الاجداد اجدادك. وخير الآباء اباؤك. وأفضل الاعمام اعمامك. واسرى الاخوال اخوالك. وأعفّ النساء حلائلك. وأفخر الشبان ابناؤك. وأطهر الامهات امهاتك. وأعلى البنيان بنيانك. وأعذب المياه امواهك. وافيح الدارات داراتك. وانزه الحدائق حدائقك. وأرفع اللباس لباسك. قد حالف الإضريج عاتقك ولآم المِسك مَسكك. وجاور العنبر ترائبك. وصاحب النعيم جسدك. العسجد آنيتك. والجين صحافك. والعصب مناديلك. والحوّارى طعامك. والشهد ادامك. والخرطوم شرابك. والاشراف مناصفك. والخير بفنائك. والشرّ بساحة اعدائك. والنصر منوط بلوائك. والخذلان مع ألوية

---

(١) هي التي في كل دينار عشرة دنانير

حسادك . والبرّ فعلك . قد طحطح عدوّك غضبك . وهزم مقانبهم مشهدك . وسار في النــاس عدلك . وشسع بالنصر ذكرك . وسكّن قوارع الاعداء ظفرك . الذهب عطاؤك . والدواة رمزك . والاوراق لحظك . والغنى اطراقك . والف دينار مرجوحة اياؤك . أيفاخرك المنذر اللخمي . فوالله لَقفاك خيرٌ من وجهه ولشمالك خير من يمينه . ولاخمصك خير من رأسه . ولخطأك خير من صوابه . ولصمتك خير من كلامه . ولأمّك خير من ابيه . ولخـدمك خير من قومه . فهب لي اسارى قومي واسترهن بذلك شكري . فانك من اشراف قحطان . وانا من سروات عدنان . فرفع عمرو رأسهُ الى جارية كانت قائمـة على رأسه وقال : بمثل هذا فليثن على الملوك ومثل ابن الفريعـة فليمدحهم . واطلق له اسرى قومه . وذكر ابن الكلبي هذه القصة نحو هذا وقال : فقـال لهُ عمرو : اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعرًا فانهُ أسيَر . فقال .

ونبئت انَّ ابا منـــذر يساميك للحدث الاكبرِ
قذالك احسن من وجههِ وامك خـــير من المنـذرِ
ويسراك اجود من كفهِ م اليمين فقولا لهُ أخّرِ (١)

حسّان بن ثابت والنّابغة عند النعمان

قال حسان بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحتـهُ . فأتيت حاجبهُ عصام بن شهبرة فجلست اليـهِ . فقال : اني لأرى عربيًّا أفمن الحجاز أنت . قلت : نعم . قال : فـكن قحطانيًّا . قلت : فانا قحطاني . قال : فـكن

(١) ذكر المدائني ان هذه الابيات والسجع الذي قبلها لحسان وهذا اصح

يثربيا . قلت : فانا يثربي . قال : فكن خزرجيًا . قلت : فانا خزرجي . قال : فكن حسان بن ثابت . قلت : فانا هو . قال : أجئت بمدحة الملك . قلت : نعم . قال : فاني ارشدك اذا دخلت عليهِ فانهُ يسألك عن جَبَلة بن الايهم ويسبُّهُ فايَّاك ان تساعدهُ على ذلك ولكن أمرّ ذكرهُ مرارًا لا توافق فيهِ ولا تخالف وقل : ما دخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منهُ . وان دعاك الى الطعام فلا تؤاكلهُ فان اقسم عليك فأصب منهُ اليسير إصابة بارّ قسمهُ مستشرف بمؤاكلتهِ لا اكل جائع سغب . ولا تُطِل محادثتهُ ولا تبدأهُ باخبار عن شيءٍ حتى يكون هو السائل لك . ولا تطل الاقامة في مجلسهِ . فقلت : أحسن الله رفدك قد اوصيت واعياً . ودخل . ثم خرج اليَّ فقال لي : ادخل . فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك . فجاراني من امر جبلة ما قالهُ عصام كانَّهُ كان حاضرًا وأجبت بما أمرني . ثم استأذنتهُ في الانشاد فأذن لي فانشدتهُ . ثم دعا بالطعام ففعلت ما امرني عصام بهِ وبالشراب ففعلت مثل ذلك . فأمر لي بجائزة سنية وخرجت . فقال لي عصام : بقيتْ عليَّ واحدة لم اوصك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليهِ واذا قدم فليس لاحد منهُ حظ سواه فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرَّمًا خير من ان تنصرف مجفوًا . فأقمت ببابهِ شهرًا . ثم قدم عليهِ الفزاريّان وكان بينهما دخلل (١) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسئلة النعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قبة من ادم ولم يشعر بان النابغة معهما

وقال ابو زيد عمر بن شبة في خبره : لما صار معهما الى النعمان كان يرسل

---

(١) اي خاصَّة

اليهما بطيب وألطاف مع قينة من إمائهِ. فكانا يأمرانها ان تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرت ذلك للنعمان فعلم انهُ النابغة. ثم التقى عليها شعرهُ «يا دار مية بالعلياء فالسندِ» وسألها ان تغنّيهُ بهِ اذا أخذت فيهِ الخمر . ففعلت فاطربتهُ . فقال : هذا شعر علويّ هذا شعر النابغة. (قال) ثم خرج في غبّ سماء . فعارضهُ الفزاريّان والنابغة بينهما قد خضب بحنّاء. فأقنأ خضابهُ . فلما رآه النعمان قال . هي بدم كانت أحرى ان تُخضب . فقال الفزاريّان : أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه والعفو أجمل. فأمنهُ واستنشدهُ اشعاره. فعند ذلك قال حسان بن ثابت : لحسدتهُ على ثلاث لا ادري على أيتهنّ كنت لهُ أشدّ حسداً على ادنآء النعمان لهُ بعد المباعدة ومسامرتهِ لهُ واصغائهِ اليهِ أم على جودة شعره أم على مائة بعير من عصافيرهِ أمر لهُ بها

قال أبو عبيدة : قيل لابي عمرو: أفمن مخافته امتدحهُ وأتاه بعد هربهِ منهُ أم لغير ذلك . فقال: لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل ان كان لآمناً من ان يوجّه النعمان لهُ جيشاً وما كانت عشيرته لتسلمهُ لاوّل وهلة. ولكنهُ رغب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيهِ وجدّه لا يستعمل غير ذلك. وقيل ان السبب في رجوعهِ الى النعمان بعد هربهِ منه انهُ بلغهُ انهُ عليل لا يُرجى فاقلقهُ ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنهُ مع علتهِ وما خافهُ عليهِ واشفق من حدوثهِ بهِ. فصار اليه والفاه محموماً على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شهبرة حاجبه فيما اخبرنا بهِ اليزيديّ:

أَلَم اقسم عليـك لتخبرنّي ... أَمحمول على النعش الهمامُ (١)
فاني لا الومك في دخولي (٢) ... ولكن ما وراءك يا عصامُ
فان يهلك ابو قابوس يهلـك ... ربيعُ الناس والشهر الحرامُ (٣)
ويمسك بعـده بذناب عيش ... اجبَّ الظهر ليس لهُ سنـامُ

حسَّان بن ثابت وقيس بن الخَطِيم

حدَّث عبد الله بن الحرث قال: شرب حسَّان بن ثابت يوماً مع سلام ابن مشكم وكان لهُ نديماً معهم كعب بن اسد وعبـد الله بن أُبيّ وقيس بن الخطيم. فاسرع الشراب فيهم وكانوا في موادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسَّان: تعالَ أُشاربك. فتشاربا في اناء عظيم. فأبقى من الاناء شيئاً. فقال لهُ قيس: اشربهُ. فقال حسَّان وعرف الشرَّ في وجههِ: او خيراً من ذلك اجعل لك الغلبـة. قال: لا الَّا ان تشربهُ. فأبى حسان. وقال لهُ سلام بن مشكم: يا ابا يزيد لا تكرههُ على ما لا يشتهي. انما دعوتهُ لاكرامه ولم تدعه لتستخفَّ بهِ وتسيْ مجالسـته. فقال لهُ قيس: أفتدعوني أنت على ان تسيْ مجالستي. فقال لهُ سلام: ما في هذا سوْ مجالسة

---

(١) قال ابو عبيدة: كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملتهُ الرجال على اكتافها يتعاقبونهُ فيكون كذلك على اكتـاف الرجال لانهُ عندهم اوطأُ من الارض

(٢) اي لا الومك في ترك الاذن لي في الدخول ولكن اخبرني بكنه امره

(٣) يريد انهُ كالربيع في الخصب لمجتديهِ وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل الى من اجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام الى احد

وما حملت عليك الّا لانك مني واني حليفك وليست عليك غضاضة في هذا وهذا رجل من الخزرج قد اكرمتهُ وادخلتهُ منزلي فيجب ان تكرم لي من اكرمتهُ . ولعمري ان في الصحو لما تكتفون بهِ من حروبكم . فافترقوا وآلى سلام بن مشكم على نفسهِ ان لايشرب سنة وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريمًا

حجر آكل المرار (*) وزياد بن الهبولة

هو حجر بن عمرو بن معاوية . اخبر الشرقي بن القطاميّ قال : اقبل تبّع ايام سار الى العراق فنزل بارض معدّ فاستعمل عليهم حجر بن عمرو وهو آكل المرار . فلم يزل ملكًا حتى خرف . ولهُ من الولد عمرو ومعاوية وهو الجون . ثم ان زياد بن الهبولة اغار عليهِ وهو ملك في ربيعة بن نزار ومنزلهُ بغمر ذي كندة . وكان قد غزا بربيعة البحرين فبلغ زيادًا غزاتهُ فاقبل حتى اغار في مملكة حجر فاخذ مالًا كثيرًا وسبى امرأة حجر وهي هند ابنة ظالم (١) واخذ نسوة من نساء بكر بن وائل . فلما بلغ حجرًا وبكر بن وائل مغارهُ وما اخذ اقبلوا معهُ ومعهُ يومئذٍ اشراف بكر بن وائل . فتعجّل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِم وقالا لحجر : انا متعجلان الى الرجل لعلّنا نأخذ منهُ بعض ما اصاب منا . فلقياه دون عين أُباغ فكلمهُ عوف بن محلم وقال :

(*) كانت وفاة حجر سنة ٤٨٠ للمسيح بعد ان ملك عشرين سنة وعمّر طويلًا .

(١) وهي هند الهنود

يا خير الفتيان اردد عليَّ ما اخذتهُ مني. فاعطاه اياه. وكلمهُ عمرو بن معاوية في فحل ابله. فقال: خذهُ. فاخذهُ عمرو. وكان قويا فجعل الفحل ينزع الى الابل فاعتقلهُ عمرو فصرعهُ. فقال لهُ ابن الهبولة: اما والله يا بني شيبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الابل لكنتم انتم انتم. فقال عمرو: اما والله لقد وهبتَ قليلًا وشتمت جليلًا ولقد جررت على نفسك شرًّا ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار الى حجر فاخبره الخبر. فاقبل حجر في اصحابهِ حتى اذا كان بمكان يقال لهُ الحفير بالبرّ وهو دون عين أُباغ بعث سدوسًا وصليعًا (١) يتجسّسان لهُ الخبر و يعلمان لهُ علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره وقد اوقد نارًا ونادى منادٍ لهُ: من جاء بحزمة من حطب فلهُ فدرة من تمر. وكان ابن الهبولة قد اصاب في عسكر حجر تمرًا كثيرًا. فضرب قبابهُ واجّج نارهُ ونثر التمر بين يديه فمن جاء بحطب اعطاهُ تمرًا. فاحتطب سدوس وصليع ثم اتيا بهِ ابن الهبولة فطرحاه بين يديهِ. فناولهما من التمر. وجلسا قريبًا من القبّة. فاما صليع فقال: هذه آية وعلم ما يريد فانصرف الى حجر فاعلمهُ بعسكرهِ واراه التمر. واما سدوس فقال: لا ابرح حتى آتيهُ بامرٍ جليّ. فلما ذهب هزيع من الليل اقبل ناس من اصحابهِ يحرسونهُ وقد تفرّق اهل العسكر في كل ناحية. فضرب سدوس بيدهِ الى جليس لهُ فقال لهُ: من انت. مخافة ان يستنكر. فقال: انا فلان بن فلان. قال: نعم. ودنا سدوس من القبّة فكان حيث يسمع الكلام. فسمع ابن الهبولة يقول لهند فيما يقول: ما ظنك الآن بحجر. قالت: ظني بهِ والله انهُ لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر وكأني انظر

---

(١) سدوس بن شيبان وصليع بن عبد غنم

اليهِ في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونهُ . وهو شديد الكلب سريع الطلب يزبد شدقاه كأنهُ بعير آكل مرار . فسمي حجرًا آكل المرار يومئذٍ (١) (قال) فرفع يدهُ فلطمها ثم قال : ما قلتِ هذا الّا من عجبكِ بهِ وحبك لهُ . فقالت : واللّه ما أبغضت ذا نسمة قط بغضي لهُ ولا رأيت رجلًا قط احزم منهُ نائمًا ومستيقظًا . ان كان لتنام عيناه وبعض اعضائهِ حيٌّ لا ينام . وكان اذا اراد النوم امرني ان اجعل عندهُ عسًّا مملوءًا لبنًا . فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريبة منهُ انظر اليهِ اذ اقبل أسود سالخ الى رأسهِ . فنحّى رأسه . فمال الى يديهِ واحداهما مقبوضة والاخرى مبسوطة فاهوى اليها فقبضها . فمال الى رجليهِ وقد قبض واحدة وبسط الاخرى فاهوى اليها فقبضها . فمال الى العسّ فشربهُ ثم مجّهُ . فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت فاستريح منه : فانتبه من نومهِ فقال : عليَّ بالاناء . فناولتهُ . فشمهُ فاضطربت يداه حتى سقط الاناء فاهريق . وذلك كلهُ باذن سدوس . فلما نامت الاحراس خرج يسري ليلتهُ حتى صبح حجرًا فقال :

اتاك المرجفون برجم غيب على دهش وجئتك باليقين
فمن يكُ قد اتاك بامرٍ لبسٍ فقد آتي بامرٍ مستبينِ

---

(١) وقد رُوي ان حجرًا ليس بآكل المرار وانما ابوه الحرث آكل المرار . وروي ايضًا انهُ انما سمي آكل المرار لان سدوسًا لما اتاهُ بخبر ابن الهبولة وحدثهُ بقول هند وقوله فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمرار وهو نبت شديد المرارة وكان جالسًا في موضع فيهِ منهُ شيءٌ كثير فجعل يأكل من ذلك المرار غضبًا وهو يسمع من سدوس ولا يعلم انهُ يأكلهُ من شدة الغضب حتى انتهى سدوس الى آخر الحديث فعلم حينئذٍ بذلك ووجد طعمه فسمي يومئذٍ آكل المرار

ثم قصَّ عليهِ جميع ما سمع. فأسف ونادى في الناس الرحيل. فساروا حتى انتهوا الى عسكر ابن الهبولة فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فانهزم اصحاب ابن الهبولة. وعرفهُ سدوس فحمل عليهِ فاعتنقهُ وصرعهُ فقتلهُ. وبصر بهِ عمرو بن معاوية فشدَّ عليهِ فاخذ رأسهُ منهُ. واخذ سدوس سلبه. وأخذ حجر هندًا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعاً

وقال ابو عبيدة في خبر ابن الهبولة ان سدوساً اسرهُ وانَّ عمرو بن معاوية لما رآهُ معهُ حسدهُ فطعنهُ فقتلهُ. فغضب سدوس لذلك وقال: قتلت أسيري وديتهُ دية الملوك. وتحاكما الى حجر. فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك وأعانهم في ذلك بمالهِ. وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان:

ما بعدكم عيش ولا معكم عيش لذي انف ولا حسبِ
لولا بني ذهل وجمع بني قيس وما جمّعت من نشبِ
ما سمتموني خطةَ غبناً وعلى ضريةَ رمتمُ غلبي

وقال حجر في هند:

لمن النار ارقدت بجفيرِ لم ينم عند مصطل مقرورِ
ارقدتها احدى الهنود وقالت انت ذا موثق وثاق الاسيرِ
انَّ من غرَّهُ النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرورُ
حلوة القول واللسان ومرّ كل شيء اجنّ منها الضميرُ
كل انثى وان بدا لك منها آية الحبّ حبها خيتعورُ

المنذر بن ماء السماء وعبيد بن الابرص

كان من حديث عبيد بن الابرص وقتله ان المنذر بن ماء السماء بنى الغريَّين . فقيل له : ما تريد اليهما . وكان بناهما على قبري رجلين من بني اسد كانا نديميهِ احدهما خالد بن المضلَّل الفقعسي والآخر عمرو بن مسعود . فقال : ما انا بملك ان خالف الناس امري لا يمرنّ احد من وفود العرب الّا بينهما . وكان لهُ يومان يوم يسميهِ يوم النعيم ويوم يسميهِ يوم البؤس . فاذا كان في يوم نعيمه اتى باوَّل من يطلع عليهِ فحباه وكساه ونادمهُ يومهُ وحملهُ . فاذا كان يوم بؤسهِ أتى باوَّل من يطلع عليهِ فاعطاه رأس ظربان أسود ثم امر بهِ فذُبح وغُرّي بدمهِ الغريّان . فبينا هو جالس في يوم بؤسهِ اذ أشرف عليهِ عبيد . فقال لرجل كان معهُ : من كان هذا الشقي . فقال لهُ : هذا عبيد بن الابرص الاسدي الشاعر . فأتي بهِ . فقال لهُ الرجل الذي كان معهُ : اتركهُ ابيت اللعن اظنُّ انَّ عندهُ من حسن القريض افضل مما تدرك في قتلهِ فاسمع منهُ فان سمعت حسنًا استزدتهُ وان لم يعجبك فما اقدرك على قتلهِ فاذا نزلت فادعُ بهِ . (قال) فنزل وطعم وشرب وبينهُ وبين الناس حجاب ستر يراهم منهُ ولا يرونهُ . فدعا بعبيد من وراء الستر فقال لهُ رديفه : هلاَّ كان الذبح لغيرك يا عبيد . فقال : أتتك بحائنٍ رجلاه . فارسلها مثلًا . فقال : ما ترى يا عبيد . فقال : ارى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئًا . فقال : حال الجريض دون القريض . فقال : انشدني « أقفر من اهلهِ ملحوب » . فقال

أقفر من اهلهِ عبيدُ   اصبح يبدي ولا يعيدُ
عنَّت لهُ خطةٌ نكودُ   وحان منها لهُ ورودُ

فقال : أنشدنا :

هي الخمر تكنى بامّ الطلا　　كما الذئب يدعى ابا جعده

وأبى ان ينشدهم شيئاً مما ارادوا . فأمر بهِ فقُتل

ومما يغنّى بهِ من شعر عبيد :

طاف الخيال علينـا ليلة الوادي　　من امّ عمرو ولم يلمم لميعـادِ

اني اهتديت لركب طال سيرهمُ　　في سبسبٍ بين دكداك واعقادِ (١)

اذهب اليك فاني من بني اسد　　اهل القباب واهل الجرد والنادي

وفي هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحرث أبا امرئ القيس . وكان حجر يتوعّدهُ في شيءٍ بلغهُ عنهُ ثم استصلحهُ . فقال يخاطبهُ :

ابلغ أبا كـربٍ عني واخوتـهُ　　قولًا سيذهب غورًا بعد انجـادِ

---

(١) حدَّث سيف الكاتب قال : وليتُ ولاية فررت بصـديق لي في بعض المنازل فنزلت بهِ . (قال) فنلنا من الطعام والشراب . ثم غلب علينا النبيذ فنمنـا . فانتبهت من نومي فاذا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبشّ ويسلم عليه لا انكر من كلامهما شيئاً . ثم جعل الكلب الداخل عليهِ يخبره عن طريقه بطول سفره وقال : هل عندك شيءٌ تطعمنيه . قال : نعم في موضع كذا وكذا لهم طعام وليس عليـهِ شيء . فذهبا اليه . فكأني اسمع ولوغهما فيهِ . ثم سألهُ نبيذًا . فقال : نعم لهم نبيـذ في اناء آخر ليس لهُ غطاء . فذهبا اليه فشربا . ثم قال لهُ : هل تطربني بشيءٍ . قال : اي وعيشِك صوت كان ابو يزيد يغنيهِ فيجيدهُ . ثم غنّاه .

طاف الخيال علينا ليلة الوادي　　لآلِ اسماء لم يلمم لميعـاد

اني اهتديت لركب طال سيرهم　　في سبسب بين دكداك واعقاد

(قال) فلم يزل يغنيهِ ويشربان مليًّا حتى فني ذلك النبيـذ . ثم خرج الكلب الداخل . فخفت والله على نفسي ان اذكر ذلك لصاحب المنزل فامسكت وما اذكر اني سمعت احسن من ذلك الغناء

لأعرفنَّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتيَ ما زوّدتني زادي (١)
انَّ امامك يوماً انت مدركه ... لا حاضر مفلت منهُ ولا بادي
فانظر الى ظلّ مُلك انت تاركهُ ... هل ترسينَّ اراجيهِ باوتاد
لخير يبقى وان طال الزمان بهِ ... والشرّ اخبث ما اوعيت من زاد

جَبَلة وعُمر بن الخطَّاب

قال ابو عمرو الشيباني : لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنهُ يستأذنه في القدوم عليهِ . فأذن لهُ عمر . فخرج اليهِ في خمسمائة من اهل بيتهِ من عكّ وغسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يعلمه بقدومه . فسرّ عمر رضوان الله عليهِ وأمر الناس باستقباله وبعث اليهِ بأنزال : وأمر جبلة مائتي رجل من اصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الخيول معقودة اذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة . ولبس جبلة تاجه وفيهِ قرطا مارية وهي جدَّتهُ ودخل المدينة . فلم يبقَ بها بكر ولا عانس الّا تبرَّجت وخرجت تنظر اليهِ والى زيّه . فلما انتهى الى عمر رحَّب بهِ وألطفه وادنى مجلسه . ثم اراد عمر الحج فخرج

(١) اخبر ابو بكر الهذليّ قال : سمع عمر بن الخطاب نساء بني مخذوم يبكين على خالد بن الوليد . فبكى وقال : ليقلنَ نساء بني مخذوم في ابي سليمان ما شئن فانهن لا يكذبن وعلى مثل ابي سليمان تبكي البواكي . فقال لهُ طلحة بن عبد الله : انك واياه كما قال عبيد بن الابرص :

لالفينَّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

معهُ جبلة . فبينـــا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة فانحلَّ . فرفع جبلة يده فهشم انف الفزاري . فاستعدى عليهِ عمر رضوان الله عليهِ . فبعث الى جبلة فاتاه . فقال : ما هذا . قال : نعم يا امير المؤمنين انهُ تعمَّـــد حلَّ ازاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيهِ بالسيف . فقال لهُ عمر : قد أقررت فاما أن تُرضي الرجل واما ان اقيده منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي . قال : آمر بهشم انفـــك كما فعلت . قال : وكيف ذاك يا امير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك . قال : انَّ الاسلام جمعـــك واياه فليس تفضله بشيء الّا بالتقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا امـــير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعزَّ مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا فانك ان لم ترضِ الرجل أقدتهُ منك . قال : اذًا اتنصَّر . قال : ان تنصرت ضربت عنقـــك لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلـــة الصدق من عمر قال : انا ناظر في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيّ هذا وحيّ هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة . فلما أمسوا أذن لهُ عمر في الانصراف حتى اذا نام الناس وهدأُوا تحمل جبلة بخيله ورواحله . الى الشام فاصبحت مكة وهي منهم بلاقع . فلما انتهى الى الشام تحمـــل في خمسمائة رجل من قومه حتى اتى القسطنطينية فدخل الى هرقل فتنصر هو وقومه . فسُرَّ هرقل بذلك جدًا وظنَّ انهُ فتح من الفتوح عظيم . وأقطعه حيث شاء وأجرى عليهِ من النزل ما شاء وجعلهُ من محدثيـــهِ وسمَّاره . ثم ان عمر رضي الله عنـــهُ بدا لهُ ان يكتب الى هرقل يدعوهُ الى الله جلَّ وعزَّ والى الاسلام ووجَّه اليهِ رجلًا من اصحابه وهو جثامة بن مســـاحق الكناني . فلما انتهى اليهِ الرجل بكتاب عمر اجاب الى كل شيء سوى الاسلام . فلما اراد

الرسول الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابن عمك هذا الـذي جاءنا راغباً في ديننا . قال : لا . قال : فالقهُ . (قال الرجل) فتوجهت اليه فلما انتهيت الى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ بباب هرقل مثلهُ . فلمـا أُدخلت عليهِ اذا هو في بهو عظيم وفيهِ من التصاوير ما لا أُحسن وصفهُ . واذا هو جالس على سرير من قوارير قوائمهُ اربعة أُسُد من ذهب . واذا هو رجل اصهب ذو سِبـال وعثنون وقد أمر بمجلسهِ فاستقبل بهِ وجه الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضـة يلوح فما رأيت احسن منهُ . فلما سلمت ردَّ السلام ورحب بي والطفني ولامني على تركي النزول عنده . ثم أقعدني على شيء لم اثبتهُ فاذا هو كرسي من ذهب فانحدرت عنهُ . فقال : ما لك . فقلت : ان رسول الله (صلعم) نهى عن هذا . فقال جبلة ايضاً مثل قولي في النبيّ (صلعم) حين ذكرتهُ وصلّى عليهِ . ثم قال : انك يا هذا اذا طهّرت قلبك لم يضرك ما لبستهُ ولا ما جلست عليهِ . ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر . ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجههِ . فقلت : ما يمنعك من الرجوع الى قومك والاسلام . قال : أبعد الذي قد كان . قلت : قد ارتدّ الاشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع الى الاسلام . فتحدَّثنا مليًّا . ثم أومأ الى غلام على رأسهِ . فولّى يحضر . فما كان الّا هنيهة حتى اقبلت الاخونة يحملها الرجال فوُضعت . وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي . فاستعفيت منهُ . فوضع امامي خوان خليج وجامات قوارير . واديرت الخمر فاستعفيت منها فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منهُ خمساً عدداً . ثم اومأ الى غلام . فولّى يحضر . فما شعرت الّا بعشر جوارٍ يتكسَّرن في الحلي . فقعد خمس عن يمينهِ وخمس عن شمالهِ . ثم سمعت وسوسة من ورائي . فاذا انا بعشر افضل من

الاوّل عليهنَّ الوشي والحلي. فقعد خمس عن يمينـه وخمس عن شماله. واقبلت جارية على رأسها طائر ابيض كأنهُ لؤلؤة مؤدَّب وفي يدها اليمنى جام فيهِ مسك وعنبر قد خُلطا وأنعم سحقهما وفي اليسرى جام فيهِ ماء ورد. فألقت الطائر في ماء الورد فتمعَّك بين جناحيه وظهره وبطنه. ثم اخرجتهُ فألقتهُ في جام المسك والعنبر فتمعَّك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً. ثم نفرتهُ فطار فسقط على تاج جبلة ثم رفرف ونفض ريشهُ فما بقي عليهِ شيء. الّا سقط على رأس جبلة. ثم قال للجواري: اطربنني. فخفقن بعيدانهنَّ يغنين:

لله درّ عصابة نادمتهم   يوماً بجلق في الزمان الاوَّلِ
بيض الوجوه كريمة احسابهم   شمّ الانوف من الطراز الاوَّل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

فاستهلَّ واستبشر وطرب. ثم قال: زدنني. فاندفعن يغنينَ:

لمن الدار اقفـرت بمعـانِ   بين شاطئ اليرموك فالصمّانِ
فحمى جاسمٍ فاودية الصفّر م   مغنًى قبـائل وهجـانِ
فالقُريّات من بلاس فداريّا م   فسكّاء فالقصـور الدواني
ذاك مغنًى لآل جفنة في الدهر م   وحقٌّ تعقب الازمـانِ
قد دنا الفصح فالولائد ينظمنَ م   سراعاً أكِلَّةَ المرجـانِ
لم يعللنَ بالمغـافير والصمغ م   ولا نقف حنظل الشرْيانِ
قد أراني هناك حقّـاً مكيناً   عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال: أتعرف هذه المنازل. قلت: لا. قال: هذه منازلنا في ملكنا باكناف دمشق. وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله (صلعم). قلت: اما انهُ مضرور البصر كبير السنّ. قال: يا جارية هاتِ. فاتتهُ بخمسمائة

دينار وخمسة اثواب من الديباج . فقال : ادفع هذا الى حسان واقرأه مني السلام . ثم راودني على مثلها . فأبيت . فبكى وبكيت معهُ حتى رأيت دموعهُ تجول على لحيتهِ كأنها اللؤلؤ . ثم سلمت عليهِ وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبلة . فقصصت عليهِ القصة من اوّلها الى آخرها . فقال : أو رأيت جبلة يشرب الخمر . قلت : نعم . قال : ابعده الله تعجّل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارتهُ . فهل سرّح معك شيئاً . قلت : سرّح الى حسان خمسمائة دينار وخمسة اثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعث الى حسّان فاقبل يقوده قائدهُ حتى دنا فسلم وقال : يا امير المؤمنين اني لأجد ارواح آل جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منهُ على رغم انفهِ وأتاك بمعونة . فانصرف عنهُ وهو يقول :

انّ ابن جفنة من بقية معشرٍ ... لم يغذهم آباؤهم باللّومِ
لم ينسني بالشام اذ هو ربُّها ... كلّاً ولا متنصِّرًا بالرومِ
يعطي الجزيل ولا يراه عنده ... الّا كبعض عطية المذمومِ
وأتيتهُ يوماً فقرّب مجلسي ... وسقى فروّاني من الخرطومِ

فقال لهُ رجل : أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فابادهم الله وافناهم . فقال : ممن الرجل . قال : مزنيّ . قال : اما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله (صلعم) لطوّقتك طوق الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليخلّ بي . فما قال لك . قال : قال ان وجدتهُ حيًّا فادفعها اليهِ وان وجدتهُ ميتاً فاطرح الثياب على قبرهِ وابتع بهذه الدنانير بدنًا فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي

وذكر الزبير بن بكار ان معاوية لما ولي بعث الى جبلة فدعاه الى

الرجوع الى الاسلام ووعده اقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل

الحُطَيئة

الحطيئة لقبٌ لُقِّب بهِ واسمهُ جرول بن أوس . وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرِّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك أجمع . وكان ذا شرّ وسفه . ونسبهُ متدافع بين قبائل العرب . وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ثم ارتدّ وقال في ذلك :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا   فيالعباد الله ما لابي بكرِ
أيورثها بكرًا اذا مات بعدهُ   وتلك لعمرُ الله قاصمة الظهرِ

ويكنى الحطيئة أبا مايكة . وقيل ان الحطيئة غلب عليهِ ولُقب بهِ لقصرهِ وقربه من الارض

قال الاصمعي : كان الحطيئة جشعًا سؤلًا مُلحفًا دنيء النفس كثير الشرّ قليل الخير بخيلًا قبيح المنظر رثّ الهيئة مغموز النسب فاسد الدين وما تشاء ان تقول في شعر شاعر من عيب الّا وجدتهُ وقلما تجد ذلك في شعره . قال ابو عبيدة : بخلاء العرب اربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان . وكان الحطيئة بذيًّا هجّاء فالتمس ذات يوم انسانًا يهجوه فلم يجده وضاق عليهِ ذلك فانشأ يقول :

أبت شفتاي اليوم الّا تكلمًا   بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائلهُ

وجعل يدهور هذا البيت في اشداقهِ ولا يرى انسانًا اذ اطّلع في ركيّ أو حوض فرأى وجههُ فقال :

أرى لي وجهًا شوَّه الله خلقهُ   فقُبّح من وجهٍ وقُبّح حامله

وقدم الحطيئة المدينة وقد ارصدت لهُ قريش العطايا والناس في سنة مجدبة وسخطة من خليفة . فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم الى بعض فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظنّ فيحقّق وهو ياتي الرجل من أشرافكم يسألهُ فان أعطاه جهد نفسهُ بهرها وان حرمهُ هجاه . فأجمع رأيهم على ان يجعلوا لهُ شيئًا معدًّا يجمعونهُ بينهم لهُ . فكان أهل البيت من قريش والانصار يجمعون لهُ العشرة والعشرين والثلاثين الدينار حتى جمعوا لهُ اربعمائة دينار وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا لهُ : هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان . فاخذها . فظنُّوا انهم قد كفوه عن المسئلة . فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلًا ينادي : من يحملني على بغلين وقاه الله كبة جهنم

قال حماد : سمعت أبي يقول وقد أنشد قول الحطيئة :

وفتيان صدق من عديّ عليهم   صفائح بصرى علقت بالعواتقِ
اذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهم(١)   ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافقِ
وطاروا الى الجرد العتاق فألجموا   وشدّوا على أوساطهم بالمناطقِ
اولئك آباء الغريب (٢) وغاثة م   الصريخ ومأوى المرملين الدرادقِ
أحلُّوا حياض المجد فوق جباههم   مكان النواصي من وجوه السوابقِ

---

(١) ويروى : اذا استلحموا . واذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم

(٢) ويروى : اولئك ابناء العزيف

ثم قال: أما اني ما ازعم أنّ احداً بعد زهير أشعر من الحطيئة. قال عبد الرحمن بن أبي بكرة: لقيت الحطيئة بذات عرق فقلت له: يا أبا مليكة من أشعر الناس. فأخرج لسانه كأنه لسان الحيّة ثم قال: هذا اذا طمع

قال أبو عدنان: لما حضرت عبيد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: يا بنيّ أرى داعي الموت لا يقلع. ويحقّ ان مضى لا يرجع. ومن بقي فاليه ينزع. يا بنيّ ليكن اولى الامور بك تقوى الله في السرّ والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فان للشكر مزيداً والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقيّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا ... وعند الله للاتقى مزيدُ
وما لا بدّ ان ياتي قريب ... ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

قال المدائني: مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال: السلام عليكم. فقال: قلت ما لا ينكر. قال: اني خرجت من اهلي بغير زاد. فقال: ما ضمنت لاهلك قراك. قال: أفتأذن لي ان آتي ظلّ بيتك فاتفيأ به. قال: دونك الجبل يفيْ عليك. قال: أنا ابن الحمامة. قال: انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت

ولما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة أوص. فقال: ويل للشعر من رواية السوء. قالوا: أوص رحمك الله يا حطيء. قال: من الذي يقول:

اذا انبض الرامون عنها ترنّمت ... ترنم ثكلى اوجعتها الجنائزُ

قالوا. الشماخ. قال: ابلغوا غطفان انه أشعر العرب. قالوا: ويحك أهذه وصية

أوص بما ينفعك . قال : أبلغوا أهل ضابئ انهُ شاعر حيث يقول :

لكل جديـد لذَّة غير انني رأيت جديد الموت غير لذيذِ

قالوا : اَوص ويحك بما ينفعك . قال : أبلغوا أهل امرئ القيس انهُ أشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليل كأنَّ نجومهُ بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبلِ

قالوا : اتَّقِ الله ودع عنك هذا . قال : أبلغوا الانصـار انَّ صاحبهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبلِ

قالوا : هذا لا يغني عنك شيئًا فقل غير ما أنت فيهِ . فقال :

الشعر صعب وطويل سلمهْ اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمهْ
زلَّت بهِ الى الحضيض قدمهْ يريـد ان يعربهُ فيعجمـهْ

قالوا : هذا مثل الذي كنت فيه . فقال :

قد كنت احيانًا شديد المعتمدْ وكنت ذا غرب على الخصم ألدْ
فوردت نفسي وما كادت تردْ

قالوا : يا أبا مليكة ألك حاجة . قال . لا والله ولكن اجزع على المديح الجيّد يُمدح بهِ من ليس لهُ اهلًا . قالوا : فمن أشعر الناس . فأومأ بيده الى فيهِ وقال : هذا الجحير اذا طمع في خير . يعني فمه . واستعبر باكيًا . فقالوا لهُ قل : لا اله الّا الله . فقال :

قالت وفيها حيدة وذعرُ عوذي بربي منكم وحجرُ

فقيل لهُ : ما تقول في عبيدك وامائك . فقال : هم عبيد قنٌ ما عاقب الليل النهار . قالوا : فأوصِ للفقراء بشيءٌ . قال : أُوصيهم بالالحاح في المسئلة فانها

تجـارة لا تبور. قالوا: فما تقول في مالك. قال: للانثى من ولدي مثلا حظّ الذكر. قالوا: ليس هكذا قضى الله عزَّ وجلَّ لهنَّ. قال: لكني هكذا قضيت. قالوا: فما توصي لليتامى. قال: كلوا اموالهم. قالوا: فهل شيءٌ تعهد فيهِ غير هذا. قال: نعم تحملونني على أتان وتتركونني راكبها حتى أموت فانَّ الكريم لا يموت على فراشهِ والاتان مركب لم يمت عليهِ كريم قط . فحملوه على اتان وجعلوا يذهبون بهِ ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا أحد ألأم من حطيئه　　هجا بنيـهِ وهجـا المريه

من لؤمهِ مات على فريه (١)

الحُطيئة والزِّبرِقان (*)

قدم الزبرقان على عمر في سنـة مجدبة ليؤدّي صدقات قومهِ. فلقيَه الحطيئة بقرقرى ومعـهُ ابناه أوس وسوادة وبنـاته وامرأته. فقال لهُ الزبرقان وقد عرفهُ ولم يعرفهُ الحطيئة: اين تريد. قال: العرق فقد حطمتنـا هذه السنة. قال: وتصنع ماذا. قال: وددت ان اصادف بهـا رجلًا يكفيني مؤنة عيالي واصفيهِ مدحي ابدًا. فقال لهُ الزبرقان: قد اصبتهُ. فهل لك فيهِ يوسعك لبنًا وتمرًا ويجاورك احسن جوار واكرمهُ. فقال الحطيئـة: هذا وأبيك

---

(١) الفرية الاتان

(*) كان اسم الزبرقان الحصين بن بدر. وانما سمي الزبرقان لحسنهِ شبـه بالقمر. وقيل بل لبس عمامة مزبرقة بالزعفران فسمي الزبرقان لذلك

العيش. وما كنت ارجو هذا كلهُ. قال: فقد أصبته. قال: عند من. قال: عندي. قال: ومن انت. قال: الزبرقان بن بدر. قال: وأين محلُّك. قال: اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسلْ عن القمر حتى تاتي منزلي. (وقال ابو عبيدة في خبره) فقال لهُ: سر الى ام حزرة وهي ام الزبرقان (١) وهي ايضاً عمّة الفرزدق. وكتب اليها ان: احسني اليهِ واكثري لهُ من التمر واللبن. وذلك في عام صعب مجدب. فاكرمتهُ المرأة واحسنت اليهِ. فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو انف الناقة بن (٢) قريع وبلغ اخوتهُ وبني عمهِ فاغتنموها. (وفي خبر اليزيدي عن عمهِ): قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي: وكانوا يغضبون من انف الناقة وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف يعني بغيضاً واخوتهُ وأهلهُ وكانوا اشرف من الزبرقان الّا انهُ قد كان استعلاهم بنفسهِ

وقال ابو عبيدة في خبرهِ: كان الحطيئة دميماً سيّء الخلق لا تأخذهُ العين ومعهُ عيال كذلك. فلما رأت ام حزرة حالهُ هان عليها وقصرت بهِ. ونظر بغيض وبنو انف الناقة الى ما تصنع بهِ امّ حزرة فأرسلوا اليهِ ان: ائتنا. فأبى عليهم وقال: انّ من شأن النساء التقصير والغفلة ولست بالذي احمل

---

(١) قال آخرون: بل وكله الى زوجته

(٢) انما سمي جعفر انف الناقة لان اباه قريعاً نحر ناقة فقسمها بين نسائهِ. فبعث جعفرًا هذا امهُ وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم. فاتى اباه ولم يبق من الناقة الاّ راسها وعنقها. فقال: شأنك بهذا. فادخل يده في انفها وجرّ ما اعطاه. فسمي انف الناقة. وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة فقال:

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوّي بانف الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخرًا لهم ومدحاً

على صاحبها ذنبها . فلما أَلحَّ عليهِ بنو انف الناقة وكان رسولهم اليهِ شماس بن لأي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شماس والمخبل الشاعر قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره فان تُركت وجُفيت تحوّلت اليكم . فاطمعوه ووعدوه وعدًا عظيمًا . وقال ابن سلام في خبره : فلما لم يجبهم دسّوا الى هنيدة زوجة الزبرقان انَّ الزبرقان انما يريد ان يتزوَّج ابنتهُ مليكة وكانت جميلة كاملة . فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه . ثم ارادوا النجعة . قال ابو عبيدة : فقالت لهُ امُّ حزرة (وقال ابن سلام فقالت لهُ هنيدة) : قد حضرت النجعة فاركب انت واهلك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا ثم اردده الينا حتى نلحقك فانهُ لا يسعنا جميعًا . فارسل اليها : بل تقدمي انت فانتِ احقُّ بذلك . ففعلت وتثاقلت عن ردّها اليهِ وتركتهُ يومين أو ثلاثة . وألحَّ بنو انف الناقة عليهِ وقالوا لهُ : قد تُركت بضيعة . وكان اشدّهم في ذلك قولًا بغيض بن شمَّاس وعلقمة بن هوذة . وكان الزبرقان قد قال في علقمة :

لي ابن عمٍّ لا يزا ل يعيبني ويعيب عائبْ
وأُعينهُ في النائبا ت ولا يعين على النوائبْ
تسري عقاربهُ اليَّ م ولا تدبُّ لهُ عقاربْ
لام ابن عمك لا يخا ف المخزيات من العواقبْ

(قال) فكان علقمة ممتلئًا غيظًا عليهِ . فلما ألحوا على الحطيئة اجابهم فقال : اما الآن فنعم انا صائر معكم . فتحمل معهم فضربوا لهُ قبة وربطوا بكل طنب من اطنابها حلّة هجرية واراحوا عليهِ ابلهم واكثروا لهُ من التمر واللبن وأعطوهُ لقاحًا وكسوه . (قال) فلما قدم الزبرقان سأل عنهُ فأُخبر بقصتهِ .

فنادى في بني بهدلة بن عوف . فركب الزبرقان فرسهُ واخذ رمحهُ وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيّين فقال : ردُّوا عليَّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجار وقد اطرحتهُ وضيعتهُ . فألمَّ ان يكون بين الحيَّين حرب . فحضر اهل الحجى من قومهم فلاموا بغيضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره . فقال : لست مخرجهُ وقد آويتهُ وهو رجل حرّ مالك لامرهِ فخيّروه فان اختارني لم أُخرجهُ وان اختارهُ لم أُكرههُ . فخيَّروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه . فجاء الزبرقان ووقف عليهِ وقال لهُ : أبا مليكة افارقت جواري عن سخط وذمّ . قال : لا . فانصرف وتركهُ . هذه رواية ابن سلام . وأما ابو عبيدة فانهُ ذكر انهُ كان بين الزبرقان ومن معهُ من القريعيّين تلاحٍ وتشاحٍ . وزعم غيرهما ان الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيض . فحكم عمر بان يُخرج الحطيئة حتى يقام في موضع خالٍ بين الحيَّين وحدهُ ويخلّى سبيلهُ ويكون جار ايّهما اختار . ففُعل ذلك بهِ فاختار القريعيّين . (قال) وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضونهُ على ذلك ويحرضونهُ فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل عندي . حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان فهجا بغيضاً فقال :

أرى ابلي بجوف الماء حلّت ... واعوزها بهِ الماء الرواء
وقد وردت مياه بني قريع ... فما وصلوا القرابة مذ اساءوا
تحلى يوم ورد الناس ابلى ... وتصدر وهي محنقة ظماء
ألم اكُ جار شماس بن لأيٍ ... فاسلمني وقد نزل البلاء
فقلت تحوّلي يا امّ بكرٍ ... الى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوفٍ ... تعالى سمكهُ ودحا الفناء

وما اضحى لشمّاس بن لأيٍ قديم في الفعـال ولا رباء
سوى انَّ الحطيئة قال قولًا فهـذا من مقالتـه جزاء

فحينئذٍ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدتهُ التي يقول فيها :

والله ما معشر لاموا امرءًا جنبًا في آل لأي بن شمّاس باكياسِ
ما كان ذنب بغيضٍ لا أبا لكمُ في بائس جاء يحدو آخر الناسِ
لقـد مريتكمُ لو انَّ درَّتكم يومًا يجيءُ بهـا مسحي وابساسي
وقد مدحتكم عمدًا لارشدكم كيما يكون لكم متحي وامراسي (١)
لما بدا ليَ منكم عيب انفسكم ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي
أزمعت يأسًا متينـًا من نوالكمُ ولن يرى طاردًا للحرّ كالياسِ
جارٌ لقوم اطـالوا هون منـزلهِ وغادروه مقيمـًا بين ارمـاسِ
مـلّوا قِراهُ وهرّتهُ كلابهمُ وجرّحـوهُ بانيـاب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتهـا واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
من يفعل الخيرَ لا يعدم جوازيـهُ لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ(٢)

(١) الجنب الغريب . والابساس ان يسكّن الناقة عند الحلب . والماتح المستقي الذي يجذب الدلو من فوق . والامراس ان يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجهُ

(٢) قال ابو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتًا اصدق من بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناسِ

فقيل لهُ : فقول طرفة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلًا ويأتيك بالاخبـار من لم تزوّدِ

فقال : من يأتيك بهـا ممّن زوّدت اكثر . وليس بيت ممّا قالتهُ الشعراء الّا وفيه مطعن الّا قول الحطيئة « لا يذهب العرف بين الله والناسِ »

ما كان ذنبيَ أن فلّت معاولكم من آل لأي صفاةً اصلها راسي
قد ناضلوك فسلُّوا من كنائنهم مجداً تليداً ونبلاً غير انكاسِ

فاستعدى عليهِ الزبرقان عمر بن الخطاب فرفعهُ عمر اليه واستنشدهُ . فانشدهُ . فقال عمر لحسان: اتراه هجاه . قال: نعم وسلح عليهِ . فحبسهُ عمر . فقال وهو اوّل ما قالهُ في الحبس:

اعوذ بجدكِ اني امروءٌ سقتني الاعادي اليك السجالا
فانك خير من الزبرقان اشد نكالاً وأرجى نوالا
تحنّن عليَّ هداك المليك فانَّ لكلّ مقامٍ مقالا
ولا تأخذنّي بقولِ الوشاة فانَّ لكل زمان رجالا
فان كان ما زعموا صادقاً فسيقت اليك نسائي رجالا
حواسر لا يشتكين الوجاء م يخفضن آلاً ويرفعن آلا

فلم يلتفت عمر اليهِ حتى قال ابياته التي اوّلها:

ماذا تقول لافراخ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ
انت الامام الذي من بعد صاحبهِ القى اليك مقاليدَ النهى البشرُ
لم يؤثروك بهــا اذ قدّموك لها لكن لانفسهم كانت بك الاثرُ
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الاباطح تغشاهم بها القرُ
اهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية تعمى بها الخبرُ

(قال) فبكى حين قال «ماذا تقول لافراخ بذي مرخ». فقال عمرو بن العاص: ما اظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركهِ الحطيئة . فقال عمر: عليَّ بالكرسي . فأُتي بهِ . فجلس عليـهِ ثم قال: اشيروا عليَّ

في الشاعر فانهُ يقول الهجو وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم. ما أراني الّا قاطعاً لسانهُ. ثم قال: عليَّ بطست. فأُتي بها. ثم قال: عليَّ بالمخصف عليَّ بالسكين لا بل عليَّ بالموسى فهو اوحى. فقالوا: لا يعود يا امير المؤمنين. فاشاروا اليهِ ان: قل لا اعود. فقال: لا اعود يا امير المومنين. فقال: لهُ النجاء. (قال) فلما ولّى قال لهُ عمر: يا حطيئة كأني بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة وكسر لك اخرى وقال غنّنا يا حطيئة فطفقت تغنيهِ باعراض الناس. قال ابن اسلم: فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط لهُ نمرقة وكسر لهُ اخرى وقال: غنّنا يا حطيئة. فجعل يغنيهِ. فقلت لهُ: يا حطيئة اتذكر قول عمر. ففزع وقال: يرحم الله ذلك المرء اما انهُ لو كان حيًّا ما فعلت. ورُوي عن عبد الله بن المبارك ان عمر رضي الله عنه لما اطلق للحطيئة اراد ان يؤكد عليهِ الحجة فاشترى منهُ اعراض المسلمين جميعًا بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة في ذلك:

واخذت اطراف الكلام فلم تدع ... شتمًا يضرُّ ولا مديحًا ينفعُ
وحميتني عرض اللئيم فلم يخف ... ذمي واصبح آمنًا لا يفزعُ

شريح بن ضبيعة الحُطَم في حرب الرِّدَّة

هو شريح بن ضبيعة وامهُ هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد. قال ابو عبيدة: كان شريح بن ضبيعة غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسَبَى بعد حرب كانت بينهُ وبين كندة أسر فيها فرعان بن مهدي بن معدي

كرب عمّ الاشعث بن قيس. وأخذ على طريق مفازة فضلّ بهم دليلهم. ثم هرب منهم. ومات فرعان في ايديهم عطشاً. وهلك منهم ناس كثير بالعطش. وجعل الحطم يسوق باصحابهِ سوقاً عنيفاً حتى نجَوا ووردوا الماء. فقال فيهِ رشيد (١):

هذا اوان الشدّ فاشتدي زيمْ   لست براعي ابلٍ ولا غنمْ
ولا بجزّار على ظهر وضمْ   نام الحداة وابن هند لم ينمْ
باتت يقاسيها غلام كالزلمْ   خدلج الساقين خفاف القدمْ
قد لفّها الليل بسوّاق حطمْ

فلقب يومئذٍ الحطم لقول رشيد هذا فيهِ. وادرك الحطم الاسلام فاسلم ثم ارتدّ

حدّث محمد بن جرير قال: لما مات رسول الله (صلعم) خرج الحطم بن ضبيعة في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعهُ من بكر بن وائل على الردّة ومن تأشب من غير المرتدّين ممن لم يزل كافرًا حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من كان بهما من الزُّطّ والسيابجة. وبعث بعثًا الى دارين فاقاله ليجعل عبد القيس بينهم وبينهُ وكانوا مخالفين لهُ يمدّون المسلمين. وارسل الى الغرور بن سويد بن المنذر بن اخي النعمان بن المنذر فقال لهُ: اثبت فاني ان ظفرت ملكتك البحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة. وبعث الى روّاثا (٢) فحاصرهم والحّ عليهم فاشتدّ الحصار على المحصورين من المسلمين وفيهم رجل من صالحي المسلمين يقال لهُ عبد الله بن حذف احد بني ابي بكر بن كلاب فاشتدّ عليهِ وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون. فقال عبد الله بن حذف:

(١) هو رشيد بن رميض العنزي   (٢) وقيل الى جوّاثى

ألا ابلغ ابا بكر رسولًا وفتيان المدينة اجمعينا
فهل لكمُ الى قوم كرامٍ قعود في جوأثى محصرينا
كان دماءهم في كل فجٍ شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا وجدنا النصر للمتوكلينا

قال منجاب بن راشد: بعث ابو بكر العلاء بن الحضرميّ على قتال اهل الردّة بالبحرين. فتلاحق بهِ من لم يرتدّ من المسلمين. فسرنا حتى نزلنا هجر. فأرسل العلاء الى الجارود ورجل آخر أن: انضمّا في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما. وخرج هو فيمن معهُ وفيمن قدر عليه حتى ينزل مما يلي هجر. وتجمّع المسلمون كلهم الى العلاء بن الحضرميّ. ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرًا. فبينا الناس ليلةً كذلك اذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة فكانها ضوضاء هزيمة. فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم. فقال عبد الله بن حذف انا آتيكم بخبر القوم. وكانت امهُ عجلية. فخرج حتى اذا دنا من خندقهم اخذوه فقالوا لهُ: من انت. فانتسب لهم وجعل ينادي: يا ابجراه. فجاء ابجر بن بجير فعرفهُ فقال: ما شأنك. فقال: لا اضيعنَّ الليلة بين اللهازم. علامَ اقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وعنزة وقيس. أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وانتم شهود. فتخاصهُ وقال: والله اني لأظنّك بئس ابن الاخت لأخوالك الليلة. قال: دعني من هذا واطعمني فقد متُّ جوعًا. فقرّب اليهِ طعامًا. فأكل ثم قال: زوّدني واحملني وجوّزني انطلق الى طيتي. ويقول ذلك لرجل قد غلب عليهِ الشراب. ففعل وحملهُ على بعير وزوّدهُ وجوّزهُ. وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فاخبرهم ان القوم سكارى. فخرج القوم

عليهم حتى اقتحموا عسكرهم فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا واقتحموا الخندق هرابًا فمتردٍ وناجٍ ودهش ومقتول ومأسور. واستولى المسلمون على ما في المسكر ولم يفلت رجل الّا بما عليهِ. فأما ابجر فافلت. واما الحطم فانهُ بعِل ودهش وطار فؤادهُ. فقام الى فرسهِ والمسلمون خلالهم يجوسونهم ليركبهُ فلما وضع رجلهُ في الركاب انقطع. فمرَّ بهِ عفيف بن المنذر احد بني عمرو بن تميم والحطم يستغيث ويقول: ألا رجل من بني قيس بن ثعلبة يعقلني. فرفع صوتهُ فعرفهُ عفيف فقال: ابن ضبيعة. قال: نعم. قال: اعطني رجلك انقلك. فاعطاه رجلهُ يعقلها فنفحها فأطنّها من الفخذ وتركهُ. فقال: أجهز عليَّ. فقال: اني لأحبُّ ان لا تموت حتى امضّك. وكان مع عفيف عدة من ولد ابيهِ فأُصيبوا ليلتئذٍ. وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفهُ حتى مرَّ بهِ قيس بن عاصم. فقال لهُ ذلك. فعرفهُ فصات عليهِ فقتلهُ. فلما رأى فخذهُ نادرًا قال: وا سوءتاه لو عرفت الذي بهِ لم احركهُ. وخرج المسلمون بعد ما احرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتبعوهم. فلحق قيس بن عاصم ابجر وكان فرس ابجر اقوى من فرس قيس. فلما خشي ان يفوتهُ طعنهُ في العرقوب فقطع العصب وسلم النسا. فقال عفيف بن المنذر في ذلك:

فان يرقإِ العرقوب لا يرقإِ النسا وما كل من تلقى بذلك عالمُ

الم ترَ انا قد فللنا حماتهم باسرة عمرو والرباب الاكارمُ

وأسر عفيف بن المنذر الغرورَ(١) ابن اخي النعمان بن المنذر. فكلمتهُ الرباب فيهِ وكان ابن اختهم وسألوهُ ان يجيرهُ. فجاء بهِ الى العلاء وقال: اني اجرتهُ.

---

(١) حدث سلمة بن الفضل عن ابي اسحق قال: اجتمعت ربيعة بالبحرين فقالوا: ردُّوا الملك في آل المنذر. فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمَّى الغرور

قال : ومن هو . قال : الغرور . قال العلاء : انت غررت هولاء . قال : ايها الملك اني لست بالغرور ولكني المغرور . قال : اسلمْ . فاسلم وبقي بهجر . وكان الغرور اسمهُ ليس بلقب . وكان العفيف بن المنذر بن سويد اخا الغرور لأمهِ وكان لهُ يومئذٍ بلاءٌ عظيم . فاصبح العلاء يقسم الانفال ونفل رجالًا من اهل البلاء ثيابًا فيها خميصة ذات اعلام وكان للحطم يباهي فيها . وباع الباقي

مقتل حُجر بن عديّ

ان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم عليَّ بن ابي طالب وشيعته وينال منهم ويلعن قتلة عثمان ويستغفر لعثمان ويزكيهِ . فيقوم حجر ابن عديّ فيقول : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم . واني اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ممن تُطرُون . ومن تزكون أحقّ بالذم ممن تعيبون . فيقول لهُ المغيرة : يا حجر ويحك اكفف من هذا واتقِ غضبة السلطان وسطوته فانها كثيرًا ما تقتل مثلك . ثم يكفّ عنهُ . فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يومًا في آخر ايامه يخطب على المنبر فنال من عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام ولعنه ولعن شيعتهُ . فوثب حجر فنعر نعرةً اسمعت كل من كان في المسجد وخارجه فقال لهُ : انك لا تدري ايها الانسان بمن تولع او هرمت . مُر لنا باعطياتنا وارزاقنا فانك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك وقد اصبحت مولعًا بذم امير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معهُ اكثر من ثلاثين رجلًا يقولون : صدق والله حُجر مُر لنا باعطياتنا فانّا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا . واكثروا في ذلك .

فنزل المغيرة ودخل القصر . فاستأذن عليـهِ قوم ودخلوا ولاموه في احتماله حجرًا . فقال لهم : اني قد قتلته . قالوا : وكيف ذلك . قال : انهُ سيأتي امير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع بهِ شبيهًا بما ترونه . فيأخذه عند اول وهلة فيقتله شرَّ قتلة . انهُ قد اقترب اجلي وضعف عملي وما أُحبُّ ان أبتدئ اهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك واشقى ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغـيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جربوا العمّال . قـال الحسن بن عقبة : فسمعت شيخًا من الحي يقول : قد والله جرّبناهم فوجدناه خيرهم

(قال) ثم هلك المغيرة سنة خمسـين فجمعت الكوفة والبصرة لزياد فدخلها ووجّه الى حجر فجاءهُ وكان لهُ قبل ذلك صديقًا . فقال لهُ : قد بلغني ما كنت تفعلهُ بالمغيرة فيحتمله منك . واني والله لا احتملك على مثـل ذلك ابدًا . ارأيت ما كنت تعرفني بهِ من حب عليّ ووده فان الله قد سلخـهُ من صدري فصيَّرهُ بغضـًا وعداوة . وما كنتَ تعرفني بهِ من بغض معـاوية وعداوته فان الله قد سلخهُ من صدري وحوّلهُ حبـًّا ومودة . واني اخوك الذي تعهد . اذا اتيتني وانا جالـس للنـاس فاجلس معي على مجلسي . واذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج اليك . ولك عنـدي في كل يوم حاجتان حاجة غدوةً وحاجة عشيةً . انك ان تستقم تسلم لك دنياك ودينك وان تأخذ يمينًا وشمالًا تهلك نفسك وتُشِطُ عنـدي دمك . اني لا احب التنكيل قبل التقدمة ولا آخذ بغير حجة . اللهمَّ اشهد . فقال حجر : لن يرى الامير مني الّا ما يحب وقد نصح وانا قابل نصيحتهُ . ثم خرج من عنده . فكان يتّقيهِ ويهابهُ

وكان زياد يُدنيه ويكرمه ويفضله . والشيعة تختلف الى حجر وتسمع منهُ . وكان زياد يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفة ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب وعلى الكوفة عمرو بن حريث. فقال لهُ عمارة بن عقبة : انَّ الشيعة تختلف الى حجر وتسمع منهُ ولا اراه عند خروجك الّا ثائرًا . فدعاه زياد فحذّره ووعظه وخرج الى البصرة. واستعمل عمرو بن حريث. فجعل الشيعة تختلف الى حجر. ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع اليهِ الشيعة حتى يأخذوا ثلث المسجد او نصفه وتطيف بهم النظارة ثم يمتلئ المسجد . ثم كثروا وكثر لغطهم وارتفعت اصواتهم بذمّ معاوية وشتمه ونقص زياد. وبلغ ذلك عمرو بن حريث فصعد المنبر واجتمع اليهِ اشراف اهل المصر. فحثهم على الطاعة والجماعة وحذَّرهم الخلاف . فوثب اليهِ عنق من اصحاب حجر يكبرون ويشتمون حتى دنوا منهُ فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليهِ بابه وكتب الى زياد بالخبر. فلما اتاه انشد يتمثل بقول كعب بن مالك :

فلما غدوا بالعرض قال سراتنا علام اذا لم نمنع العرض نزرعُ

ما انا بشيء. ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالًا لمن بعده . ويل امّك حجر لقد سقط بك العشاء على سرحان. ثم اقبل حتى اتى الكوفة فدخل القصر. ثم خرج وعليهِ قباء سندس ومطرف خزّ أخضر. وحجر جالس في المسجد وحولهُ اصحابه ما كانوا . فصعد المنبر فخطب وحذّر الناس ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي امير الشرط : اذهب فائتني بحجر . فذهب اليه فدعاه. فقال اصحابه: لا يأتيه ولا كرامة فسبُّوا الشرط. فرجعوا الى زياد فاخبروه. فقال : يا اشراف أهل الكوفة أتشجُّون بيد وتأسون باخرى . ابدانكم عندي وأهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب . انتم معي واخوتكم وابناؤكم

وعشيرتكم مع حجر . فوثبوا الى زياد فقالوا : معاذ الله ان يكون لنا فيما هههنا رأي الّا طاعتك وطاعة امير المؤمنين . وكل ما ظننت ان يكون فيه رضاك فمرنا به . قال : ليقم كل امرئٍ منكم الى هذه الجماعة التي حول حجر فليدعُ الرجل اخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنهُ كل من استطعتم . ففعلوا وجعلوا يقيمون عنهُ اصحابه حتى تفرّق اكثرهم وبقي اقلهم . فلما رأى زياد خفة اصحابه قال لصاحب شرطته : اذهب فائتني بحجر . فان تبعك والّا فمر من معك ان ينتزعوا عُمُد السيوف ثم يشدُّوا عليهِ حتى يأتوا بهِ ويضربوا مَن حال دونه . فلما اتاه شداد قال لهُ : أجِب الامير . فقال اصحاب حجر : لا والله ولا نعمة عين لا يجيبه . فقال لاصحابه : عليَّ بعمد السيوف . فاشتدُّوا اليها فأقبلوا بها . فقال عمير بن يزيد الكلبي ابو العمرطة : انهُ ليس معك رجل معهُ سيف غيري فما يغني سيفي . قال : فما ترى . قال : قم من هذا المكان فالحق باهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المنبر اليهم . فغشوا حجرًا بالعمد . فضرب رجل من الحمراء يقال لهُ بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع . واتاه ابو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة وهما رجلان من الازد فحملاه فأتيا بهِ دار رجل من الازد يقال لهُ عبيد الله بن موعد . فلم يزل بها متواريًا حتى خرج منها (١)

---

(١) قال ابو مخنف : فحدثني يوسف بن زياد عن عبيد الله بن عون قال : لما انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرا قبل قتل عبد الملك مصعبًا بعام فاذا انا بالاحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني ولا والله ما رأيتهُ منذ ذلك اليوم وما كنت ارى لو رأيتهُ ان اعرفه . فلما رأيتهُ ظننتهُ هو هو وذلك حين نظرنا الى ابيات الكوفة . فكرهت أن أسألهُ : أأنت ضارب عمرو بن الحمق فيكابرني . فقلت لهُ : ما رأيتك منذ اليوم للذي ضربت فيهِ رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعتهُ حتى يومي .

(قال) فقــال زياد وهو على المنبر : لتقم همــدان وتميم وهوازن وابناء بغيض ومذحج واسد وغطفان فليأتوا جبـانة كندة وليمضوا من ثمّ الى حجر فليأتوني به. ثم كره ان تسير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف أو تنشب الحمية فيما بينهم فقال : لتقم تميم وهوازن وابناء بغيض واسد وغطفـان . ولتمض مذحج وهمدان الى جبانة كندة ثم ليمضوا الى حجر فليـأتوني به. وليسرْ اهل اليمن حتى ينزلوا جبانة الصيداويّين وليمضوا الى صاحبهم فليأتوني به . فخرجت الازد وبجيلـة وخثعم والانصار وقضاعة وخزاعة فنزلوا جبـانة الصيداويّين. ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة

قال ابو مخنف : فحدثني سعيد بن يحيي بن مخنف عن محمــد بن مخنف قال : فاني لمع اهل اليمن وهم يتشاورون في امر حجر . فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : انا مشير عليكم برأيٍ فان قبلتموه رجوت ان تسلموا من اللائمة والاثم أن تلبثوا قليلاً حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم. فأجمع رأيهم على ذلك. فلا والله ماكان الّا كلا ولا حتى اتينا فقيل لنا : ان شباب مذحج

ولقد عرفتك الآن حين رأيتك . فقال لي : لا تعدم بصرك ما أثبت نظرك . كان ذلك أمر الشيطان. أما والله لقد بلغني انهُ قد كان امرءًا صالحًا ولقد ندمت على تلك الضربة فأستغفر الله . فقلت لهُ : الآن ترى . لا والله لا افترق انا وانت حتى اضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت. (قال) فناشدني وسألني بالله . فابيت عليهِ ودعوت غلامًا يدعى بشيرًا من سبي اصبهان معهُ قناة له صلبة. فأخذتها منهُ ثم أحمل عليهِ . فنزل عن دابته . فالحقه حين استوت قدماه على الارض فأصفقُ بها هامته . فخرّ لوجهه وتركتهُ ومضيت . فبرأ بعد ذلك فلقيته مرتين من دهري كل ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فأقول لهُ : الله بينك وبين عمرو بن الحمق

وهمدان قد دخلوا فاخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة . (قال) فرَّ اهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين . فبلغ ذلك زيادًا فاثنى على مذحج وهمدان وذمَّ اهل اليمن . فلما انتهى حجر الى داره ورأى قلّة من معهُ قال لاصحابه : انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم وما أحبّ ان اعرضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان . فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو وجماعة فتقاتلوا معهم . فقاتلوا عنهُ ساعة فجرحوا وأُسر قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم . فقال لهم حجر : لا ابا لكم تفرقوا لا تقتلوا فاني آخذ في بعض هذه الطرق . ثم اخذ نحو طريق بني حرب من كندة حتى اتى دار رجل منهم يقال لهُ سليمان ابن يزيد فدخل داره : وجاء القوم في طلبه . ثم انتهوا الى تلك الدار فاخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب ليخرج اليهم . فبكت بناتهُ . فقال لهُ حجر : ما تريد لا أبا لك . فقال لهُ : اريد والله ان ينصرفوا عنك فان فعلوا والّا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك . فقال لهُ حجر : بئس والله اذن ما دخلتُ به على بناتك . أما في دارك هذه حائط اقتحمهُ او خوخة اخرج منها عسى الله ان يسلمني منهم ويسلمك فانَّ القوم ان لم يقدروا عليَّ في دارك لم يضرَّك امرهم . قال : بلى هذه خوخة تخرجك الى دور بني العنبر من كندة . فخرج معهُ فتية من الحيّ يقصُّون لهُ الطريق ويسلكون بهِ الازقَّة حتى افضى الى النخع . فقال عند ذلك : انصرفوا يرحمكم الله . فانصرفوا عنهُ . وأقبل الى دار عبد الله بن الحرث اخي الاشتر فدخلها . فانهُ لكذلك قد ألقى لهُ عبد الله الفرش وبسط لهُ البسط وتلقَّاه ببسط الوجه وحسن البشر اذ أُتي فقيل لهُ : ان الشرط تسأل عنك في النخع . وذلك ان امة سوداء يقال لها

ادماء لقيتهم فقالت لهم : من تطلبون . قالوا : نطلب حجراً . فقالت : هوذا قد رأيتهُ في النخع . فانصرفوا نحو النخع . فخرج متنكراً . وركب معهُ عبد الله ليلاً حتى اتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي فنزل بها . فمكث يوماً وليلة

فلما اعجزهم ان يقدروا عليهِ دعا زياد محمد بن الاشعث فقال : أما والله لتأتيني بحجر او لا أدعُ لك نخلة الّا قطعتها ولا داراً الّا هدمتها . ثم لا تسلم مني بذلك حتى أُقطعك ارباً ارباً . فقال لهُ : أمهلني أطلبه . قال : قد امهلتك ثلاثاً فان جئت بهِ والّا فاعدد نفسك من الهلكى . وأُخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتلّ تلاً عنيفاً . فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرّة لزياد : ضمّنيهِ وخلِّ سبيله ليطلب صاحبه فانهُ مخلَّى سربه احرى ان يقدر عليهِ منهُ اذا كان محبوساً . قال : أتضمنهُ لي . قال : نعم . قال : أما والله لئِن حاص عنك لاوردنّك شعوب وان كنت الآن عليَّ كريماً . قال : انهُ لا يفعل . فخلّى سبيله

ثم ان حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد وقد أُتي بهِ اسيراً . فقال : ما عليهِ من بأس قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنهُ وبلاءه مع امير المؤمنين بصفّين . ثم أرسل اليهِ فأُتي بهِ فقال : قد علمت انك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيهُ ولكن قاتلت معهُ حمية وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك . ولكن لا ادعك حتى تأتيني باخيك عمير . قال : آتيك بهِ ان شاء الله . قال : هات من يضمنه معك . قال : هذا حجر بن يزيد . قال حجر : نعم على ان تؤمنه على ماله ودمه . قال : ذلك لك . فانطلقا فاتيا بهِ . فأمر بهِ فاوقر حديداً ثم اخذتهُ الرجال ترفعهُ حتى اذا بلغ سُررَها ألقوه فوقع على الارض : ثم رفعوهُ فالقوه . ففُعل به ذلك مراراً . فقام اليهِ حجر بن يزيد فقال : اولم تؤمنه . قال :

بلى لست أُهريق لهُ دمًا ولا آخذ لهُ مالًا . فقال : هذا يُشفي بهِ على الموت . وقام كل من كان عنده من اهل اليمن فكلموه فيهِ . فقال : أتضمنونه لي بنفسه متى احدث حدثًا أتيتموني به . قالوا : نعم . فخلّى سبيله

ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يومًا وليلة . ثم بعث الى ابن الاشعث غلامًا يدعى رشيدًا من سبي اصبهان فقال لهُ : إنهُ قد بلغني ما استقبلك بهِ هذا الجبار العنيد فلا يهولنّك شيء من امره فاني خارج اليك . فاجمع نفرًا من قومك وادخل عليهِ واسأله ان يؤمّنني حتى يبعثني الى معاوية فيرى فيَّ رأيه . فخرج محمد الى حجر بن يزيد وجرير بن عبد الله وعبد الله اخي الاشتر . فدخلوا الى زياد فطلبوا اليهِ فيما سألهُ حجر . فاجاب . فبعثوا اليهِ رسولًا يعلمونه بذلك . فاقبل حتى دخل على زياد . فقال لهُ : مرحبًا يا ابا عبد الرحمن حرب في ايام الحرب او حرب وقد سالم الناس . على نفسها تجني براقش . فقال لهُ : ما خلعت يدًا عن طاعة ولا فارقت جماعة واني لعلى بيعتي . فقال : هيهات يا حجر أتشجّ بيدٍ وتأسو باخرى وتريد اذا امكننا الله منك ان نرضى . هيهات والله . فقال : ألم تؤمّني حتى آتي معاوية فيرى فيَّ رأيه . قال : بلى انطلقوا بهِ الى السجن . فلما مُضي بهِ قال : أما والله لولا امانه ما برح حتى يلقط عصبه . فاخرج وعليهِ برنس في غداة باردة فحُبس عشر ليالٍ . وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس اصحاب حجر

فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل فاتيا جبلًا . فكمنا فيهِ . وبلغ عامل ذلك الرستاق وهو رجل من همذان يقال لهُ عبيد الله بن ابي بلتعة خبرهما فسار اليهما في الخيل ومعهُ اهل البلد . فلما انتهى اليهما خرجا . فاما عمرو فكان بطنهُ قد استسقى فلم

يكن عنده امتناع . واما رفاعة فكان شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد وقال لعمرو : أُقاتل عنك . قال : وما ينفعني ان تُقتل . انجُ بنفسك . فحمل عليهم فافرجوا له حتى اخرجه فرسه . وخرجت الخيل في طلبه . وكان رامياً فلم يلحقه فارس الّا رماه فجرحه او عقره . فانصرفوا عنهُ . وأُخذ عمرو بن الحمق فسألوه : من انت . فقال : مَن إن تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضرّ عليكم . فسألوه فأبى ان يخبرهم . فبعثوا به الى عبد الرحمن بن عثمان وهو ابن امّ الحكم الثقفي . فلما رأى عمرًا عرفهُ فكتب الى معاوية بخبره . فكتب اليهِ معاوية : انهُ زعم انهُ طعن عثمان تسع طعنات وانهُ لا يتعدى عليهِ فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان . فأُخرج فطعن تسع طعنات فمات في الاولى منهنّ او في الثانية . وبُعث برأسهِ الى معاوية فكان راسهُ اول راس حمل في الاسلام

وجدّ زياد في طلب اصحاب حجر وهم يهربون منهُ وياخذ من قدرَ عليهِ منهم . فجاء قنس بن عباد الشيباني الى زياد فقال لهُ : ان امرءًا منا يقال لهُ صيفي بن فسيل من رؤوس اصحاب حجر وهو اشدُّ الناس عليك . فبعث اليهِ فأُتي بهِ . فقال لهُ زياد : يا عدوَّ الله ما تقول في ابي تراب . فقال : ما أعرف أبا تراب . قال : ما أعرفك بهِ اما تعرف عليّ بن ابي طالب . قال : بلى . قال : فذاك ابو تراب . قال : كلاَّ ذاك ابو الحسن والحسين . فقال لهُ صاحب الشرطة : أيقول لك الامير هو ابو تراب وتقول انت لا . قال : أفإن كذب الامير أردتَ ان اكذب واشهد لهُ بالباطل كما شهد . قال لهُ زياد : وهذا ايضاً مع ذنبك . عليّ بالعصيّ . فأُتي بها . فقال : ما قولك في عليّ . قال : احسن قول انا قائله في عبدٍ من عبيد الله اقوله في امير المؤمنين . قال : اضربوا عاتقه بالعصيّ .

حتى يلصق بالارض . فضرب حتى لصق بالارض . ثم قال: اقلعوا عنهُ . ما قولك فيهِ . قال: والله لو شرحتني بالمدى والمواسي ما زلت عمّا سمعت . قال: لتلعننَّهُ أو لأضربنَّ عنقك . قال : اذًا والله تضربها قبل ذلك فأسعدُ وتشقى ان شاء الله . قال : أوقروه حديدًا واطرحوه في السجن

وجمع زياد من اصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلًا في السجن وبعث الى رؤوس الارباع فاشخصهم فحضروا . وقال : اشهدوا على حجر بما رأيتموه . فشهدوا ان حجرًا جمع اليه الجموع واظهر شتم الخليفة وعيَّب زيادًا واظهر عذر ابي تراب والترحم عليهِ والبراءة من عدوّه واهل حربه وان هؤلاء الذين معهُ رؤوس اصحابه وعلى مثل رأيه . فنظر زياد في الشهادة فقال : ما اظنُّ هذه شهادة قاطعة واحبُّ ان يكون الشهود اكثر من اربعة . فكتب ابو بردة ابن ابي موسى : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليهِ ابو بردة بن ابي موسى لله رب العالمين . شهد ان حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا الى الحرب والفتنة وجمع اليهِ الجموع يدعوهم الى نكث البيعة وخلع امير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلعاء . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا . والله لاجهدنَّ في قطع عنق الخائن الاحمق . فشهد رؤوس الارباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك . ثم دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل ما شهد عليهِ رؤوس الارباع . فقام عثمان بن شرحبيل التيميّ اوّل الناس فقال : اكتبوا اسمي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه امير المؤمنين بالصحة والاستقامة . فشهد اسحق وموسى واسمعيل بنو طلحة بن عبيد الله وغيرهم . ودعا المختار بن ابي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة الى الشهادة . فراغا . وشهد سبعون رجلًا . ودفع ذلك الى وائل بن حجر

وكثير بن شهاب وبعثهما عليهم وأمرهما ان يخرجوهم . وكتب في الشهود شريح بن الحرث وشريح بن هانئ . فاما شريح بن الحرث فقال: سألني عنهُ فقلت : اما انهُ كان صوّاماً قوّاماً . واما شريح بن هانئ فقال : بلغني ان شهادتي كتبت فاكذبتهُ ولمته

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فاخرجا القوم عشية وسار معهم اصحاب الشرط حتى أخرجوهم فلما انتهوا الى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي الى داره في جبانة عرزم فاذا بناته مشرفات . فقال لوائل وكثير : ادنياني اوصِ اهلي . فادنياه . فلما دنا منهنَّ بكينَ فسكت عنهنَّ ساعة . ثم قال : اسكتنَ فسكتنَ . فقال : اتقين الله واصبرنَ فاني ارجو من ربي في وجهي هذا خيرًا احدى الحسنيين اما الشهادة فنعم السعادة واما الانصراف اليكنَّ في عافية . فان الذي كان يرزقكنَّ ويكفيني مؤنتكنَّ هو الله تبارك وتعالى وهو حيّ لا يموت وارجو ان لا يضيعكنَّ وان يحفظني فيكنَّ . ثم انصرف . فجعل قومه يدعون لهُ بالعافية . وجاء شريح بن هانئ بكتاب فقال : بلغوا هذا عني امير المؤمنين . فتحملهُ وائل بن حجر . ومضوا بهم حتى انتهوا الى مرج عذراء فحبسوا بهِ وهم على اميال من دمشق . وهم حجر بن عدي الكندي والارقم بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكريم بن عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب المنقري وعبد الله بن جوئية التميمي . واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس السعدي وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي . فكانوا اربعة عشر . فبعث معاوية الى وائل بن حجر

وكثير فأدخلهما وفضّ كتابهما وقرأه على اهل الشام : بسم الله الرحمن الرحيم .
لعبد الله معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين من زياد بن ابي سفيان . اما
بعد فانّ الله قد احسن عند امير المؤمنين البلاء فأداله من عدوّه وكفاه
مؤنة من بغى عليه . انّ طواغيت الترابية السابّة رأسهم حجر بن عدي خلعوا
امير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم وامكننا
منهم . وقد دعوت خيار اهل المصر واشرافهم وذوي النهى والدين فشهدوا
عليهم بما رأوا وعلموا . وقد بعثت بهم الى امير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء
اهل المصر وخيارهم في اسفل كتابي هذا . فلما قرأ الكتاب . قال : ما ترون في
هؤلاء . فقال يزيد بن اسد البجلي : ارى ان تفرّقهم في قرى الشام فتكفيكهم
طواغيتها . ودفع وائل كتاب شريح اليهِ . فقرأه وهو : بسم الله الرحمن الرحيم .
لعبد الله معاوية امير المؤمنين من شريح بن هانئ . اما بعد فقد بلغني ان
زياداً كتب اليك بشهادتي على حجر انهُ ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة
ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر حرام المال والدم . فان شئت فاقتله . وان
شئت فدعه . فقرأ كتابه على وائل وقال : ما ارى هذا الّا قد أخرج نفسه
من شهادتكم . فحبس القوم بعد هذا . وكتب الى زياد : فهمتُ ما اقتصصت
من امر حجر واصحابه والشهادة عليهم . فاحياناً ارى ان قتلهم افضل واحياناً
ارى ان العفو افضل من قتلهم . فكتب زياد اليهِ مع يزيد بن حجية
التيمي : قد عجبت لاشتباه الامر عليك فيهم مع شهادة اهل مصرهم عليهم
وهم اعلم بهم . فان كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردنّ حجراً واصحابه
اليهِ . فمرّ يزيد بحجر واصحابه فاخبرهم بما كتب بهِ زياد . فقال لهُ حجر : ابلغ
امير المؤمنين انّا على بيعته لا نقيلها ولا نستقيلها وانما شهد علينا الاعداء

والاظناء . فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب واخبره بقول حجر . فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حجر

وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة . فوهبهما له وليزيد بن اسد . وطلب وائل بن حجر في الارقم الكندي فتركه . وطلب ابو الاعور في عتبة بن الاخنس فوهبه له . وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن غران فوهبه له . وطلب حبيب بن مسلمة في ابن عبد الله بن حوية التيمي فخلّى سبيله . فقام مالك بن هبيرة فسأله في حجر . فلم يشفعه . فغضب وجلس في بيته . وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي وآخر معهما يقال له ابو صريف البدري فاتوهم عند المساء . فقال الخثعمي حين رأى الاعور : يُقتل نصفنا وينجو نصفنا . فقال سعيد بن غران : اللهمّ اجعلني ممن ينجو وأنت عني راض . فقال عبد الرحمن بن حسان العنزيّ : اللهمّ اجعلني ممن تكرم بهوانهم وانت عني راض . فطالما عرضت نفسي للقتل . فأبى الله الّا ما أراد . فجاء رسول معاوية اليهم . فانهُ لمعهم اذ جاء رسول بتخلية ستّة منهم . وبقي ثمانية . فقال لهم رُسُل معاوية : انّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فان فعلتم هذا تركناكم وان أبيتم قتلناكم . وامير المؤمنين يزعم ان دماءكم قد حلّت بشهادة اهل مصركم عليكم . غير انهُ قد عفا عن ذلك . فابرأوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم . قالوا : لسنا فاعلين . فأمروا بقيودهم فحلّت . وأُتي باكفانهم فقاموا الليل كلهُ يصلّون . فلما اصبحوا قال اصحاب معاوية : يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة اطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فاخبرونا ما قولكم في عثمان . قالوا : هو اول من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ . فقالوا : امير المؤمنين كان أعرف بكم . ثم قاموا

اليهم وقالوا : تبرأون من هذا الرجل . قالوا : بل نتولاه . فاخذ كل رجل منهم رجلًا يقتله . فوقع قبيصة في يدي ابي صريف البدري . فقال لهُ قبيصة : ان الشرّ بين قومي وقومك أمن اي آمن فليقتلني غيرك . فقال : برتك رحم . فاخذه الحضرمي فقتله . وقتل القضاعي صاحبه . ثم قال لهم حجر : دعوني اصلي ركعتين فاني والله ما توضأت قط الّا صليت . فقالوا لهُ : صلِ . فصلّى ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ولولا ان يروا انّ ما بي جزع من الموت لأحببت ان استكثر منها . ثم قال : اللهمّ انّا نستعديك على امّتنا فانّ اهل الكوفة قد شهدوا علينا وان اهل الشام يقتلوننا . اما والله لئن قتلتمونا فاني اوّل فارس من المسلمين سلك في واديها واول رجل من المسلمين نبحته كلابها . فمشى اليهِ هدبة بن الفياض الاعور بالسيف . فارعدت فصائله . فقال : كلاَّ زعمت انك لا تجزع من الموت . فانّا ندعك فابرأ من صاحبك . فقال : ما لي لا اجزع وانا ارى قبرًا محفورًا وكفنًا منشورًا وسيفًا مشهورًا . واني والله ان جزعت لا اقول ما يسخط الرب . فقتلهُ . واقبلوا يقتلونهم واحدًا واحدًا حتى قتلوا ستة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسّان وكريم بن عفيف : ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا الى معاوية فاخبروه . فبعث : ائتوني بهما . فالتفتا الى حجر فقال لهُ العنزي . لا تبعد يا حجر ولا يبعد مثواك فنعم اخو الاسلام كنت . وقال الخثعمي نحو ذلك . ثم مضى بهما . فقال العنزي متمثلًا :

كفى بشفاة القبر بعدًا لهالكٍ وبالموت قطاعًا لحبل القرائنِ

فلما دخل عليهِ الخثعميّ قال لهُ : الله الله يا معاوية انك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ومسؤول عمَّ اردت بقتلنا وفيمَ سفكت

دماءنا. فقال: ما تقول في عليٍّ. قال: اقول فيهِ قولك. أتتبرأ من دين عليٍّ الذي كان يدين الله بهِ. وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه. فقال هو لك غير اني حابسه شهرًا. فحبسه ثم اطلقهُ على ان لا يدخل الكوفة ما دام لهُ سلطان. فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود الى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر. وأقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال لهُ: يا اخا ربيعة ما تقول في عليٍّ. قال: اشهد انهُ من الذاكرين الله كثيرًا والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس. قال. فما تقول في عثمان. قال: هو اوَّل من فتح ابواب الظلم وارتج ابواب الحق. قال: قتلتَ نفسك. قال: بل اياك قتلت لا ربيعة بالوادي يعني انه ليس ثمَّ احد من قومه فيتكلم فيهِ. فبعث بهِ معاوية الى زياد وكتب اليه: انَّ هذا شرّ من بعثتَ بهِ فعاقبهُ بالعقوبة التي هو اهلها واقتله شرّ قتلة. فلما قدم بهِ على زياد بعث بهِ الى قيس الناطف فدفنه حيًا. قال ابو مخنف عن رجاله: فكان من قتل منهم سبعة نفر. وبعث معاوية الى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة الف درهم فرضي. قال ابو مخنف: فحدَّثني ابن ابي زائدة عن ابي اسحق قال: ادركت الناس يقولون اوَّل ذلٍّ دخل الكوفة قتل حجر بن عدي ودعوة زياد وقتل الحسين. وحدَّثني عبد الملك بن نوفل: انَّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية في حجر واصحابه. فقدم عليهِ وقد قتلهم فقال لهُ: اين غاب عنك حلم ابي سفيان. فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت. وقالت امرأة من كندة ترثي حجرًا:

ترفَّع ايها القمر المنيرُ لعلَّك ان ترى حجرًا يسيرُ

يسير الى معاويه بن حرب ليقتله كما زعم الامير
ألا يا ليت حجرًا مات موتًا ولم يُنحَر كما نُحِر البعير
تربعت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
واصبحت البلاد له محولا كأن لم يحيها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور
اخاف عليك سطوة آل حرب وشيخًا في دمشق له زئير
يرى قتل الخيار عليه حقًّا له من شر امته وزير
فان تهلك فكل زعيم قوم الى هالك من الدنيا يصير

اهل الكوفة وسعيد بن العاص

كانت ولاية ابي موسى الكوفة بعد ان أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها وتحالفوا ان لا يولّوا عليها الّا من يريدون. أخبر بالسبب في ذلك احمد ابن العزيز الجوهري قال:

كان قوم من وجوه اهل الكوفة من القرّاء يختلفون الى سعيد بن العاص ويسألونه. فتذاكروا يومًا السهل والجبل فقال حسان بن محدوج: سهلنا خير من جبلنا. اكثر برًّا وشعيرًا. فيه انهار مطردة ونخل باسقات. وقلّت فاكهة ينبتها الجبل الّا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم. وددتُ انها للامير وانّ لكما افضل منه. فقال الاشتر: تمنَّ للامير افضل ولا تتقرَّب اليه باموالنا. فقال: ما ضرَّك ذلك. والله لو يشاء

ان يكون لهُ لكان. قال: لقد كذبت. والله لو أراد ذلك ما قدر عليهِ. فقال سعيد: والله ما السواد الّا بستان لقريش ما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا. فقال لهُ الاشتر: وانت تقول هذا اصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا. ثم ضربوا عبد الرحمن بن حبيش حتى سقط. قال المدائني: فحدَّثني عليّ بن مجاهد قال: بينا القرَّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرًا وزبدًا اذ قال سعيد: السواد بستان قريش فما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا. فقال لهُ عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدق الامير. فوثب عليهِ القرَّاء فضربوه وقالوا لهُ: يا عدوّ الله يقول الباطل وتصدقهُ. فقال سعيد: اخرجوا من داري. فخرجوا. فلما اصبحوا أتوا المسجد فداروا على الحلق فقالوا: انَّ اميركم زعم ان السواد بستان لهُ ولقومهِ وهو فيئنا ومركز رماحنا. فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليهِ اسلمنا. فكتب سعيد الى عثمان رضي الله عنه: ان قبلي قومًا يُدعَون القرَّاء وهم السفهاء وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفُّوا بي. منهم عمرو بن زرارة وكميل بن الكفف وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجندب بن عبد الله. فكتب اليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم ان يخرجوا الى الشأم ويغزوا مغازيهم. وكتب الى سعيد: قد كفيتك الذي اردت فاقرأهم كتابي فاني لا اراهم يخالفون ان شاء الله واتّق الله جلَّ وعزّ وأَحسن السيرة. فأقرأهم الكتاب فخرجوا الى دمشق فاكرمهم معاوية وقال: انكم قدمتم بلدًا لا يعرف اهلهُ الّا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكَّ قلوبهم. فقال لهُ الاشتر: ان الله جلَّ وعزَّ قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقًا ان يبينوه للناس ولا يكتموه. فان سألنا سائل عن شيءٍ نعلمه لم نكتمه. فقال: قد خفت ان تكونوا مرصدين للفتنة فاتقوا الله ولا تكونوا كالذين

تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . فقال عمرو بن زرارة : نحن الذين هدى الله . فامر معاوية بحبسهم . فقال لهُ زيد بن صوحان : انّ الذين اشخصونا اليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسنوا جوارنا . وان كنا ظالمين فنستغفر الله وان كنا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال لهُ معاوية : اني لا ارى حبسك امرًا صالحًا فان احببت ان آذن لك فترجع الى مصرك وأ كتب الى امير المؤمنين باذنك فعلت . قال : فحسبي ان تأذن لي وتكتب الى سعيد . فكتب اليهِ . فاذن لهُ . فلما أراد زيد الشخوص كلّمهُ في الاشتر وعمرو بن زرارة فاخرجهما . واقام القوم بدمشق لا يرون امرًا يكرهونه . ثم اشخصهم معاوية الى حمص فكانوا بها حتى اجمع اهل الكوفة على اخراج سعيد فكتبوا اليهم فقدموا . (قال ابو زيد) قال المدائني : حدّثني الوقاصي عن الزهري انّ اهل الكوفة لمّا قدموا على عثمان يشكون سعيدًا قال لهم : أكتب اليه فاجمع بينكم وبينه . ففعل . فلم يحققوا عليهِ الّا قوله السواد بستان قريش واثنى الآخرون عليهِ . فقال عثمان : ارى اصحابكم يسألون اقراره ولم يثبتوا عليه الّا كلمة واحدة ولم ينتهك بها لاحد حرمة . ولا ارى عزله الّا ان تثبتوا عليه ما لا يحلّ لاحد تركه معه . فانصرفوا الى مصركم . فرجع سعيد والفريقان معهُ وتقدّمهم عليّ بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال : يا أهل الكوفة انّا اتينا خليفتنا فشكونا اليهِ عاملنا ونحن نرى انهُ سيصرفه عنا فردّهُ الينا وهو يزعم ان السواد بستان لهُ . وانا امرؤ منكم ارضى اذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى . وجاء الاشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي (صلعم) وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر عثمان رضي الله عنه فحرّض عليهِ . ثم قال : من كان يرى ان الله جلّ وعزّ حقًّا فليصبح بالجرعة .

ثم قال لكميل بن زياد : انطلق فاخرج ثابت بن قيس بن الخطيم . فاخرجهُ واستعمل اهل الكوفة أبا موسى الاشعريّ رضي الله عنه

حبس ابن مُفرّغ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ ولقب جدّهُ مفرّغاً لانهُ راهن على سقاء لبن ان يشربهُ كلهُ فشربهُ حتى فرغ فلقب مفرّغاً ويكنى ابا عثمان وهو من حمير فيما يزعم اهله . وكان شاعراً غزلاً محسناً والسيّد من ولده

حدّث احمد بن الهيثم قال : حدّثنا العمري عن لقيط بن بكير قالوا جميعاً : لمّا ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن ربيعة بن مفرّغ واجتهد بهِ ان يصحبه . فأبى عليهِ وصحب عباد بن زياد . فقال لهُ سعيد ابن عثمان : أمّا اذ أبيت ان تصحبني وآثرت عباداً فاحفظ ما أُوصيك بهِ . انّ عباداً رجل لئيم فايّاك والدلالة عليهِ . وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة منهُ لك عن نفسك . واقلل زيارته فانه طرف ملول . ولا تفاخرهُ وان فاخرك فانهُ لا يحتمل لك ما كنت احتمله . ثم دعا سعيد بمال فدفعهُ الى ابن مفرّغ وقال : استعن بهِ على سفرك فان صحّ لك مكانك من عباد والّا فمكانك عندي ممهّد فائتني . ثم سار سعيد الى خراسان وتخلّف ابن مفرّغ عنهُ وخرج مع عباد . قال ابن دريد في خبرهِ عن مسلمة بن محارب : فلما بلغ عبيد الله بن زياد صحبة ابن مفرّغ اخاه عباداً شقّ عليهِ . فلما سار اخوه عباد شيّعهُ وشيّع الناس معهُ وجعلوا يودّعونهُ ويودّع الخارجون مع عباد عبيد

الله بن زياد . فلما أراد عبيد الله ان يودّع اخاه دعا ابن مفرّغ فقال لهُ : انك سألت عبادًا ان تصحبه واجابك الى ذلك وقد شقّ عليّ . فقال لهُ ابن مفرّغ : ولِمَ أصلحك الله . قال : لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانهُ يظنُّ فيجعل الظنّ يقينًا ولا يعذر في موضع وانّ عبادًا يقدم على ارض حرب فيشتغل بحروبهِ وخراجهِ عنك فلا تعذره انت وتكسبنا شرًّا وعارًا . فقال لهُ : لستُ كما ظنّ الامير وانّ لمعروفهِ عندي لشكرًا كثيرًا وانّ عندي ان أغفل امري عذرًا ممهدًا . قال : لا ولكن تضمن لي ان ابطأ عنك ما تحبُّه ان لا تعجل عليه حتى تكتب اليّ . قال : نعم . قال : امضِ اذًا على الطائر الميمون . (قال) فقدم عباد خراسان واشتغل بحربهِ وخراجهِ فاستبطأهُ ابن مفرّغ ولم يكتب الى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن لهُ ولكنهُ بسط لسانهُ فذمّهُ وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوالق . فسار يزيد بن مفرّغ مع عباد فدخلت الريح فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جنبهِ قوله :

الا ليت اللحى كانت حشيشًا ... فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى بهِ اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضبًا شديدًا وقال : لا يجمل بي عقوبتهُ في هذه السرعة مع الصحبة لي وما اؤخرها الّا لأشفي نفسي منهُ لانهُ كان يقوم فيشتم ابي في عدّة مواطن . وبلغ الخبر ابن مفرّغ فقال : اني لأجد ريح الموت من عباد . ثم دخل عليهِ فقال لهُ : ايها الامير اني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيهُ فيّ وجميل اثره عليّ واني اخترتك عليه فلم أحلَ منك بطائل وأريد أن تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك . فقال لهُ : اما اختيارك اياي فاني اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين

سألتني وقد اعجلتني عن بلوغ محبتي فيك . وطلبت الآن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم . وأنت على الاذن قادر بعد ان أقضي حقك . وبلغ عبادًا انهُ يسبّهُ ويذكره وينال من عرضهِ . وأجرى عباد الخيل فجاء سابقًا . فقال ابن مفرّغ : سبق عباد وصلّت لحيتهُ . وطلب عليه العلل ودسّ الى قوم كان لهم عليهِ دين فأمرهم ان يقدّموه اليهِ . ففعلوا . فحبسهُ وأضرّ بهِ . فبعث اليهِ ان بعني الاراكة وبردًا . وكانت الاراكة قينة لابن مفرّغ وبرد غلامهُ ربّاهما وكان شديد الضنّ بهما . فبعث اليهِ ابن مفرّغ مع الرسول : أيبيع المرء نفسهُ او ولدهُ . فأضرّ بهِ عباد حتى اخذهما منهُ . هذه رواية مسلمة . واما لقيط وعمر بن شبّة فانهما ذكرا انهُ باعهما عليهِ فاشتراهما رجل من اهل خراسان . قال لقيط : فلما دخل منزلهُ قال لهُ برد وكان داهية اديبًا : أتدري ما اشتريتَ . قال : اشتريتك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشتريت الّا العار والدمار والفضيحة ابدًا ما حييتَ . فجزع الرجل وقال لهُ : كيف ذلك ويلك . قال : نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرّغ . والله ما أصاره الى هذه الحال الّا لسانه وشرّه . أفتراه يهجو ابن زياد وهو امير خراسان وأخوه امير العراقين وعمّهُ الخليفة في ان استبطأهُ ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسهُ التي بين جنبيهِ . والله ما ارى احدًا أدخل الى بيته أشأم على نفسه واهله مما ادخلتهُ منزلك . فقال : فاشهد انك واياها لهُ فان شئتما ان تمضيا اليهِ فامضيا . على أني اخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد . وان شئتما ان تكونا عندي فافعلا . قال : فاكتب اليهِ بذلك . فكتب الرجل الى ابن مفرّغ في الحبس بما فعلهُ . فكتب اليهِ يشكر فعله وسألهُ ان يكونا عنده حتى يفرّج الله عنهُ . (قال) وقال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يعني ابن مفرّغ

يبالي بالمقام في الحبس . فبع فرسهُ وسلاحه واثاثه واقسم ثمنها بين غرمائهِ . ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليهِ بقيَّة حبسه بها

قالوا : وعلم ابن مفرّغ انهُ ان اقام على ذمّ عباد وهجائهِ وهو في محبسه زاد نفسهُ شرًّا . فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسهِ ما سببه : رجل ادَّبهُ اميرهُ ليقوّم من اوده او يكفّ من غربه . وهذا لعمري خير من جرّ الامير ذيله على مداهنة صاحبه . فلما بلغ ذلك عبادًا من قوله رقَّ لهُ وأخرجهُ من السجن . فهرب حتى اتى البصرة . ثم خرج منها الى الشأم وجعل ينتقل في مدنها هاربًا ويهجو زيادًا وولده . وقال المدائني في خبره : لما بلغ عباد ابن زياد انَّ ابن المفرّغ قال « سبق عباد وصلحت لحيتهُ » دعا ابنهُ والمجلس حافل فقال لهُ : انشدني هجاء ابيك الذي هُجي بهِ . فقال : ايها الامير ما كلّف احد قط ما كلّفتني . فأمر غلامًا لهُ اعجميًّا وقال لهُ : قم على رأسهِ فان انشد ما أمرته بهِ والّا فصبّ السوط على رأسهِ ابدًا او ينشدهُ . فانشدهُ ابياتًا هُجي بها ابوه اوَّلها :

قبَّح الاله ولا يقبّح غيرهُ وجه الحمار ربيعة بن مفرّغِ

وجعل عباد يتضاحك بهِ . فخرج ابن ابن مفرّغ من عنده وهو يقول : والله لا يذهب شتم شيخي باطلًا . وقال يهجوه بقوله :

اصرمت حبلك من امامهْ من بعد ايام برامهْ
فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في المضامهْ
لهفي على الامر الذي كانت عواقبهُ ندامهْ
تركي سعيدًا ذا الندى والبيت ترفعه الدعامهْ
فتحت سمرقند لهُ وبنى بعرصتها خيامهْ

وتبعت عبد بني علاج م تلك اشراط القيامهْ
جاءت بهِ حبشية شكاء تحسبها نعامهْ
وشريت بردًا ليتني من بعد برد كنت هامهْ
فهامة تدعو صدًى بين المشقَّر واليمامهْ
فالهول يركبهُ الفتى حذر المخازي والسآمهْ
والعبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيهِ الملامهْ

(قال) ثم لج في هجاء بني زياد حتى تغنّى اهل البصرة في اشعاره . فطلبهُ عبيد الله طلبًا شديدًا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشأم

(قالوا) فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد واشعارهُ فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم . فكتب عبيد الله بن زياد الى يزيد يقول لهُ : ان ابن مفرّغ هجا زيادًا وبني زياد بما هتكهُ في قبرهِ وفضح بنيهِ طول الدهر وتعدّى ذلك الى ابي سفيان فقذفهُ بالزنا وسبّ ولده فهرب من خراسان الى البصرة وطلبتهُ حتى لفظتهُ الارض فلجأ الى الشأم يتمضغ لحومنا بها ويهتك اعراضنا وقد بعثت اليك بما هجانا بهِ لتنتصف لنا منهُ . ثم بعث بجميع ما قالهُ ابن مفرّغ فيهم . وأمر يزيد بطلبهِ . فجعل ينتقل من بلدٍ الى بلد . فاذا شاع خبرهُ انتقل . حتى لفظتهُ الشأم فأتى البصرة ونزل على الاحنف ابن قيس فالتجأ بهِ واستجار . فقال لهُ الاحنف : اني لا أُجير على ابن سُمَيَّة فأُعزَل . وانما يجير الرجل على عشيرتهِ فاما على سلطانه فلا . فان شئت اجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك منهم ريب . فقال لهُ ابن مفرّغ : يا استاذ بنو سعد وما عساهم ان يقولوا فيَّ هذا ما لا حاجة لي فيهِ . ثم اتى خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد فاستجار بهِ . فأبى ان يجيره . فاتى عمر بن عبيد الله بن

معمر . فوعده . وأتى طلحة الطلحات . فوعده . واتى المنذر بن الجارود العبدي . فاجاره . وكانت بحرية بنت المنذر امرأة عبيد الله . وكان المنذر من اكرم الناس عليهِ فاغترّ بذلك وادل بموضعه منه . وطلبهُ عبيد الله وقد بلغهُ ورودهُ البصرة . فقيل لهُ : اجارهُ المنذر بن الجارود . فبعث عبيد الى المنذر فاتاه . فلما دخل عليهِ بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره واتوه بابن مفرّغ . فلم يشعر المنذر الّا بابن مفرّغ قد أُقيم على رأسهِ . فقام المنذر الى عبيد فكلّمهُ فيهِ فقال : اذكرك الله ايها الامير ان لا تخفر جواري فاني قد اجرتهُ . فقال عبيد الله : يا منذر ليمدحنّ اباك وليمدحنّك ولقد هجاني وهجا ابي ثم تجيرهُ عليّ . لاها اللهِ لا يكون ذلك ابدًا ولا اغفرها لهُ . فغضب المنذر . فقال لهُ : لعلك تدل بكريمتك عندي ان شئت والله لابينها بتطليق البتة . فخرج المنذر من عنده واقبل عبيد الله على ابن مفرّغ فقال لهُ : بئسما صحبت بهِ عبادًا . قال : بئسما صحبني بهِ عباد اخترتهُ على سعيد وأنفقت على صحبته كل ما أفدتهُ وكل ما املكهُ ثم قابلني بكل قبيح وتناولني بكلّ مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقًا خلّبًا في سحاب جهامٍ فأراق ماءهُ طمعًا فيهِ فمات عطشًا . وما هربت من اخيك الّا لما خفت من ان يجري فيّ الى ما يندم عليهِ . وقد صرتُ الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببتَ . فأمر بحبسهِ . وكتب الى يزيد بن معاوية يسألهُ ان يأذن لهُ في قتلهِ . فكتب اليهِ : اياك وقتلهُ ولكن عاقبهُ بما ينكله ويشدّ سلطانك ولا تبلغ نفسه . فانّ لهُ عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتلهِ مني ولا تقنع الّا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انهُ الجدّ منهم ومني وانك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد

فأمر بابن مفرّغ فسقي نبيذًا حلوًا قد خلط معهُ الشبرم فأسهل بطنه وطيف بهِ وهو في تلك الحال. وقُرن بهرّة وخنزيرة والصبيان يتبعونه. وجعل كلّما يجرّ الخنزيرة ضجّت. فجعل يقول:

ضجّت سميّة لما لزّها قرني لا تجزعي ان شرّ الشيمة الجزعُ

فجعل يطاف بهِ في اسواق البصرة والصبيان خلفهُ يصيحون بهِ. وألحّ عليهِ ما يخرج منهُ حتى اضعفهُ فسقط. فعرف ابن زياد ذلك فقيل: انهُ لما بهِ لا نأمن ان يموت. فأمر بهِ ان يُغسل. ففعلوا ذلك بهِ. فلما اغتسل قال:

يَغسل الماء ما فعلت وقولي راسخ منك في العظام البوالي

فردّهُ عبيد الله الى الحبس وامر بان يسلّم محجمًا. وقدّموا لهُ علوجًا وامر بان يحجمهم. فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منهُ. فترك وردّهُ الى محبسهِ وقامت الشرط على رأسهِ تصبّ عليهِ السياط ويقولون لهُ احجمهم. فقال:

وما كنت حجّامًا ولكن أحلّني بمنزلة الحجام نأيي عن الاهل

وقال ايضًا يذكر ما فعل بهِ ابن زياد:

دار سلمى بالخبت ذي الاطلالِ كيف نوم الاسير في الاغلالِ

اين مني السلام من بعد نأيٍ فارجعي لي تحيتي وسؤالي

اين مني نجائبي وجيادي وغزالي سقى الالهُ غزالي

اين لا أين جُنّتي وسلاحي ومطايا سيّرتها لارتحالي

هدم الدهر عرشنا فتداعى فبلينا اذ كل عيشٍ بالِ

اذ دعانا زوالهُ فاجبنا كلّ دنيا ونعمة لزوالِ

أم قضينا حاجاتنا فالى المو ت مصيرُ الملوك والاقيالِ

لا وصومي لربنا وزكاتي وصلاتي ادعو بها وابتهالي
ما أتيت الغداة امرًا دنيًا ولدى الله كابر الاعمالِ
ايها المالك المرهب بالقتل م بامت النكال كلَّ النكالِ
فاخشَ نارًا تشوي الوجوه ويوماً يقذف الناس بالدواهي الثقالِ
قد تعدّيت في القصاص وادركت م دخولًا لمعشر اقتالِ
وكسرت السنَّ الصحيحة مني لا تذلني فمنكر اذلالي
وقرنتم مع الخنازير هرًّا ويميني مغلولة وشمالي
وكلابًا ينهشنني من ورائي عجب الناس ما لهنّ وما لي
واطلتم مع العقوبة سجنًا فكم السجن او متى ارسالي
يغسل الماء ما صنعت وقولي راسخ منك في العظام البوالي
لو قبلتَ الفداء او رمت مالي قلتُ خذه فداء نفسيَ مالي
لو بغيري من معشر لعب الدهر م لما ذمَّ نصرتي واحتيالي
كم بكاني من صاحب وخليل حافظ الغيب حامد للخصالِ
ليت اني كنت الحليف للخم وجذام او طيْءٍ الاجمالِ
بدلًا من عصابة من قريش اسلموني للخصم عند النضالِ
البهاليل من بني عبد شمس فضلوا الناس بالعلا والفعالِ
وبني التيم تيم مرّة لما لم الموت في ظلال العوالي
منعوا البيت بيت مكة ذا الحجر م اذ الطير عكّف في الظلالِ
والبهاليل خالد وسعيد شمس دجن ووضح كالهلالِ
في الارومات والذرى من بني العيص م قروم اذا تعدُّ المعالي
كنت منهم ما حرَّموا فحرام لم يراموا وحلّهم من حلالِ

وذوو المجد من خزاعة كانوا　　أهل ودّي في الخصب والامحالِ
خذلوني وهم لذاك دعوني　　ليس حامي الذمار بالخذالِ
لا تدمني فداك اهلي ومالي　　ان حبليك من متين الحبالِ
حسرتا اذ اطعت امر غواتي　　وعصيت النصيح ضلّ ضلالي

وقال يهجو عباد بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان :

ايها الشاتم جهلًا سعيدًا　　وسعيد في الحوادث ناب ُ
ما ابوكم مشبهًا لابيهِ　　فاسألوا الناس بذا كم تجابوا
ساد عباد ومالأ جيشًا　　سبحت من ذاك صمٌّ صلاب ُ
انَّ عامًا صرت فيهِ اميرًا　　تملك الناس لعامٌ عجاب ُ

(قال) واتصل هجاؤهُ زيادًا وولدهُ وهو في الحبس فردَّهُ عبيد الله الى اخيهِ عباد بسجستان ووكل بهِ رجالًا ووجههم معهُ . وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه بهِ على حيطان الخانات . وأمر عبيد الله الموكلين بهِ ان يأخذوه بمحو ما كتبهُ على الحيطان باظافيرهِ . وامرهم ان لا يتركوه يصلّي الّا الى قبلة النصارى الى المشرق . فكانوا اذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئًا ممَّا كتبهُ من الهجاء اخذوه بان يمحوه باظافره . فكان يفعل ذلك ويحكهُ حتى ذهبت اظافره فكان يمحوه بعظام اصابعه ودمه . حتى سلموه الى عباد فحبسهُ وضيَّق عليهِ . وقال ابن مفرّغ :

اصاب عراقي اللون فاللون شاحب ُ　　كما الرأس من هول المنية اشيب ُ
قُرنت بخنزير وهرّ وكلبة　　زمانًا وشان الجلد ضرب مشذّب ُ
وجُرّعتها صهباء من غير لذّةٍ　　تصعد في الجثمان ثمّ تصوّب ُ
وأُطعمت ما لا ان يحلّ لآكلٍ　　وصليت شرقًا بيت مكة مغرب ُ

من الطفّ مجلوباً الى ارض كابل فلّوا وما ملّ الاسير المعذّبُ
فلو انَّ لحمي اذ هوى لعبت بهِ كرام الملوك او اسود وأذؤبُ
لهوّن وجدي او لزادت بصيرتي ولكنما أودت بلحميَ أكلبُ
أعبَّاد ما للؤمِ عنكَ محوّلٌ ولا لكَ امٌّ في قُرَيشٍ ولا أبُ
سينصرُني من ليس تنفع عندهُ رُقاك وقوم من أُميّة مصعبُ

فلما طال مقام ابن مفرّغ في السجن استأجر رسولاً الى دمشق وقال لهُ: اذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع دمشق ثم اقرأ هذين البيتين بارفع ما يمكنك من صوتك. وكتبهما في رقعة. وهما:

أضحى دعيُّ زيادٍ نقــع قرقرةٍ يا للعجــائب يلهو بابن ذي يزنِ
والحمــيريُّ طريح وسط مزبلةٍ هذا لعمركمُ غبنٌ من الغبــنِ

قال محمد بن خلف في روايتهِ عن لقيط: ان ابن مفرّغ لما طال حبسهُ وبلاؤهُ ركب طلحة الطلحات الى الحجاز ولقي قريشاً. وكان ابن مفرّغ حليفاً لبني اميّة . فقال لهم طلحة: يا معشر قريش ان اخاكم وحليفكم ابن مفرّغ قد أُبتلي بهذه الاعبُد من بني زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجل منكم ووالله لا احبُّ ان يُجري الله عافيتهُ على يدي دونكم ولا افوز بالمكرمة في امرهِ وتخلوا منها. فانهضوا معي بجماعتكم الى يزيد بن معــاوية فان اهل اليمن قد تحرّكوا بالشــأم . فركب خالد بن عبد الله الى خالد بن اسيد وامية بن عبد الله اخيهِ وعمر بن عبيد الله بن معمر في وجوه خزاعة وكنانة وخرجوا الى يزيد. فبينا هم يسيرون ذات ليلة اذ سمعوا راكباً يتغنى في سواد الليل بقول ابن مفرّغ ويقول:

انَّ تركي ندى سعيد بن عثما ن بن عفــَّان ناصري وعديـدي

واتّباعي اخا الضراعة واللوم م لنقصٌ وفوت شأوٍ بعيدِ
قلت والليل مطبق بعراه ليتني متُّ قبل تركِ سعيدِ
ليتني متُّ قبل تركي اخا النجدة م والحزم والفعال الشديدِ
عبشميٌّ ابوهُ عبد منافٍ فاز منها بتاجها المعقود
ثم جود لو قيل فيهِ مزيد قلت للسائلين ما من مزيدِ
قلْ لقومي لدى الاباطحِ من آل م لؤيِّ بن غالب ذي الجودِ
سامني بعدكم دعيٌّ زيادٍ خطة الغادر اللئيم الزهيدِ
كان ما كان في الاراكة واجتبّ م بردِ سنام عِيسى وجيدي
اوغل العبد في العقوبة والشتم م وأودى بطارفي وتليدي
فارحلوا في حليفكم واخيكم نحو غوث المستصرخين يزيدِ
فاطلبوا النصف من دعيّ زيادٍ وسلوني بما ادَّعيت شهودي

(قال) فدعا القوم بالراكب فقالوا لهُ : ما هذا الذي سمعناه منك تغنّي بهِ . فقال : هذا قول رجل والله انّ امره لعجب . رجل ضائع بين قريش واليمن وهو رجل الناس . قالوا : ومن هو . قال : ابن مفرّغ . قالوا : والله ما رحلتنا الّا فيهِ . وانتسبوا لهُ . فضحك وقال : أفلا اسمعكم من قولهِ ايضاً . قالوا : بلى . فانشدهم قولهُ :

لعمريَ لو كان الاسيرِ بن معمر وصاحبهُ او شكلهُ ابن اسيدِ
ولو انهم نالوا اميّة أرقلت براكبها الوجناء نحو يزيدِ
فابلغت عذرًا في لؤيّ بن غالب وأتلف فيهم طارفي وتليدي
فان لم يغيّرها الامام بحقها عدلت الى شمّ شوامخ صيدِ
فناديت فيهم دعوة يمنيّة كما كان آبائي دعوا وجدودي

ودافعت حتى ابلغ الجهد عنهمُ　　دفاع امرئٍ في الخير غير زهيدِ
فان لم تكونوا عند ظني بنصركم　　فليس لها غير الاعزّ سعيدِ
بنفسي وأهلي ذاك حيًّا وميتًا　　نضار وعود المرء اكرم عودِ
فكم من مقام في قريش كفيتهُ　　ويوم يشيب الكاعبات شديدِ
وخصم تحاماهُ لؤيّ بن غالب　　شَبَبْتُ لهُ ناري فهاب وقودي
وخيرٍ كثيرٍ قد افأت عليكمُ　　وانتم رقود او شبيه رقودِ

(قال) فاسترجع القوم لقولهِ وقالوا: والله لا نغسل رؤُوسنا في العرب ان لم نغسلها بعكّه. فاغذّ القوم السيرَ حتى قدموا الشأْم وبعث اليها ابن مفرّغ رجلًا من بني الحرث بن كعب. فقام على سور حمص فنادى باعلى صوتهِ للحصين ابن نمير وكان والي حمص بهذه الابيات وكان عظيم الجبهة:

امسى دعيُّ زيادٍ نقع قرقرةٍ　　يا للعجائب يلهو بابن ذي يزنِ
والحميريُّ طريح وسط مزبلةٍ　　هذا لعمركم غبن من الغبنِ
قوموا فقولوا امير المؤمنين لنا　　حقٌّ عليك ومنٌّ ليس كالمننِ
فاكفف دعيًّ زياد عن اكارمنا　　ماذا تريد الى الاحقاد والاحنِ

فاجتمعت اليمانية الى حصين فعيّروه بما قالهُ ابن مفرّغ. فقال الحصين: ليس لي رأي دون يزيد بن اسد ومخرمة بن شرحبيل. فارسل اليهما فاجتمعوا في منزل الحصين. فقال لهما حصين: اسمعا ما اهدى اليَّ شاعركم وقالهُ لكم في اخيكم يعني نفسهُ وأنشدهم. فقال لهُ حصين بن اسد: قد جئتكم باعظم من هذا وهو قولهُ:

وما كنت حجّامًا ولكن احلّني　　بمنزلة الحجّام نأيي عن الاصلِ

فقال الحصين: والله لقد اساء الينا امير المؤمنين في صاحبنا مرّتين احداهما

هرب اليهِ فلم يجزهُ . وأخوى انهُ امر بعذابهِ غير مراقب لنا فيهِ . وقال يزيد ابن اسد : اني لأظنُّ ان طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابن مفرّغ ولقد تطلع من نفسي شيءٌ للموت احبّ اليَّ منه . وقال مخرمة بن شرحبيل : ايها الرجلان اعقلا فانهُ لا معاوية لكما واعرفا ان صاحبكما لا تقدح فيهِ الغلظة فاقصدا التضرُّع . فركب القوم الى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر على درج دمشق . فثارت اليمانية وتكلموا ومشى بعضهم الى بعض . وقدم وفد القرشيّين في امره مع طلحة الطلحات . فسبقوا القرشيّين ودخلوا على يزيد بن معاوية . فتكلم الحصين بن غير فذكر بلاءهُ وبلاء قومهِ وطاعتهم وقال : يا امير المؤمنين انَّ الذي اتاه ابن زياد الى صاحبنا لا قرار عليهِ وقد سامنا عبيد الله وعباد خطة خسف وقلدانا قلادة عار . فانصف كريمنا من صاحبه . فوالله لئن قدرنا لنعفونَّ ولئن ظُلمنا لننتصرنَّ . وقال يزيد بن اسد : يا امير المؤمنين انَّا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منهُ لم يرضَ الله عزَّ ذكرهُ بذلك . ولئن تقرَّبنا اليك بما يسخط الله ليباعدنَّا الله منك . وان يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها وما ادري متى يقع . وكل ثائرة تقدح في الملك وان صغرت لم يؤمن أن تكبر واطفاؤها خير من اضرامها . لاسيما اذا كانت في انف لا يجدع ويد لا تقطع . فانصفنا من ابني زياد . وقال مخرمة بن شرحبيل وكان متألهًا عظيم الطاعة في اهل اليمن : انهُ لا يدع تحجزك عن هواك دون الله . ولو مثلت باخينا وتوليت ذلك منهُ بنفسك لم يقم فيهِ قائم ولم يعاتبك فيهِ معاتب . ولكن ابني زياد استخفَّانا بما يثقل عليك من حقنا وتهاونا بما تكرمهُ منَّا . وانت بيننا وبين الله فانصفنا من صاحبيك ولينفعنا بلاؤنا عندك .

فقال يزيد: انَّ صاحبكم أتى عظيماً نفى زيادًا من ابي سفيان ونفى عبـادًا وعبيد الله بن زياد وقلدهم طوق الحمامة وما شجعهُ على ذلك ألّا نسبـهُ فيكم وحلفهُ في قريش. فاما اذ بلغ الامر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعليَّ رضاكـم. (قال) وانتهى القرشيُّون الى الحاجب فاستأذن لهم وقال لليمانيّين: قد أتتكم برى النهب من أهل العراق. فدخلوا وسلموا والغضب يتبيَّن في وجوههم. فظنَّ يزيد الظنون وقال لهم: ما لكم انفتق فتقٌ أو حدثٌ حدث فيكم. قالوا: لا. فسكن. فقال طلحة الطلحات: يا امير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيتْ من زياد حتى استعملتَ عليهـا ولدهُ يستكثرون لك احقادها ويبغّضونك اليها. انَّ عبيد الله وأخاه اتيـا الى ابن مفرّغ ما قد بلغك فانصفنا منهما انصافاً تعلم العرب انَّ لنـا منك خلفاً من أبيك. فوالله لقد خبأ لك فعلهما خبأً عند أهل اليمن لا نحمـدهُ لك ولا نحمدهُ لنفسك. وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد فقال: يا أمير المؤمنين انَّ زيادًا ربي في شرّ حجر ونشأ في أخبث نشء. فأثبتم نصـابهُ في قريش وحملت على رقاب الناس فوثب ابناه على أخينـا وحليفنـا وحليفك ففعلا بهِ الافاعيل التي بلغتك وقد غضبت لهُ قريش الحجاز ويمن الشأم ممن لا أُحبُّ والله لك غضبهُ فانصفنا من ابني زياد. وتكلم اخوهُ امية بنحو مما تكلم أخوه وقال: والله يا أمير المؤمنـين لا أحطُّ رحلي ولا اخلع ثيـاب سفري او تنصفنا من ابني زياد او تعلم العرب انك قد قطعت ارحامنـا ووصلت ابني زياد بقطيعتنا وحكمت بغير الحقّ لهم علينا. وقال ابن معمر: يا امير المؤمنين ان ابن مفرّغ طالما ناضل عن عرضك وعرض ابيك واعراض قومك ورمى عن جمرة اهلك وقد أتى بنو زياد فيهِ ما لو كان معاوية حيًّا

لم يرضَ بهِ . وهذا رجل لهُ شرف في قومهِ وقد نفروا لهُ نفرة لها ما بعدها . فأعتبهم وانصف الرجل ولا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة الله عزّ وجلّ . فقال يزيد : مرحبًا بكم واهلًا والله لو أصابهُ خالد ابني بما ذكرتم لانصفتهُ منهُ ولو رحلتم في جميع ما تحيط بهِ العراق لوهبتهُ لكم وما عندي الَّا انصاف المظلوم . ولكن صاحبكم أسرف على القوم . وكتب يزيد ببناء دارهِ وردّ ماله وتخلية سبيله ولا امرة لأحد من بني زياد عليهِ . وقال : لولا أنّ في القود بعد ما جرى فسادًا في الملك لاقدتهُ من عباد . وسرَّح يزيد رجلًا من حمير يقال لهُ خمخام وكتب معهُ الى عباد بن زياد : نفسك نفسك وإن تسقط من ابن مفرّغ شعرة فاقيدك والله بهِ . ولا سلطان لك ولا لاخيك ولا لاحد غيري عليهِ . فجاء خمخام حتى انتزعهُ جهارًا من المجلس بمحضر الناس وأخرجهُ . (قالوا) فلما دخل على يزيد قال لهُ : يا امير المؤمنين اختر مني خصلة من ثلاث خصال في كلها لي فرج . اما ان تقيدني من ابن زياد واما ان تخلّي بيني وبينهُ واما ان تقدّمني فتضرب عنقي . فقال لهُ يزيد : قبح الله ما اخترتهُ وخيرتنيه . أما القود من ابن زياد فما كنت لاقيدك من عامل كان عليك ظلمتهُ وشتمت عرضهُ وعرضي معهُ . وأما التخلية بينك وبينهُ فلا ولا كرامة ما كنت لاخلّي بينك وبين اهلي تقطع اعراضهم . وأما ضرب عنقك فما كنت لاضرب عنق مسلم من غير ان يستحقّ ذلك . ولكني افعل ما هو خير لك مما اخترتهُ لنفسك أعطيك ديتك فانهم كانوا قد عرضوك للقتل . واكففْ عن ولد زياد فلا يبلغني انك ذكرتهم . وانزل أيّ البلاد شئت . وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم . فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله . ثم خرج ذات يوم يتصيّد فلقي دهقانًا على حمار لهُ

فقال : من اين اقبلتَ . قال : من العراق . قال : من أيها . قال : من البصرة ثم من الايوان . قال : فما فعل السرقان . قال : على حاله . قال : أتعرف أناهيد بنت أعتق . قال: نعم . قال : ما فعلت . قال : على احسن ما عهدت . فضرب برذونهُ وسار حتى أتى الاهواز ولم يعلم اهله ولا غيرهم بسيره . ثم أتى عبيد الله بن زياد واعتذر اليهِ . وسألهُ الامان فأمّنهُ . ثم سألهُ ان يكتب لهُ الى شريك بن الاعور . فكتب لهُ ووصلهُ . وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زياد وكان اهل البصرة قد أجمعوا على قتلهِ فخرج عن البصرة هارباً . فعاد ابن مفرّغ الى البصرة وعاد هجاء بني زياد . فقال يذكر هرب عبيد الله وتركهُ امهُ بقولهِ :

أعبيد هلاّ كنت اوّل فارس ... يوم الهياج دعا بحتفك داعِ
أسلمتَ امّك والرماح تنوشها ... يا ليتني لك ليلة الافزاعِ
اذ تستغيث وما لنفسك مانع ... عبد تردّهُ بدار ضياعِ
هلاّ عجوزك اذ تمدّ بثديها ... وتصيح أن لا تنزعنّ قناعي
أنقذت من أيدي العلوج كأنها ... ربداء مجفلة ببطن القاعِ
فركبت رأسك ثم قلت أرى العدا ... كثروا واخلف موعد الاشياعِ
فانجي بنفسك وابتغي نفقًا فما ... لي طاقة بكِ والسلام وداعي
ليس الكريم بمن يخلّف امهُ ... وفتاتهُ في المنزل الجعجاعِ
حذر المنية والرماح تنوشهُ ... لم يرمِ دون نسائهِ بكراعِ
متأبطاً سيفاً عليهِ يلمق ... مثل الحمار اثرتهُ بيفاعِ
لا خير في هذر يهزّ لسانهُ ... بكلامهِ والقلب غير شجاعِ
لابن الزبير غداة يذمر مبدرًا ... أولى بغاية كل يوم وقاعِ

وأحق بالصبر الجميل من امرئ ... كزّ اناملهُ قصير الباع
جعد اليدين على السماحة والندى ... وعن الضريبة فاحش منّاع
كم يا عبيد الله عندك من دم ... يسعى ليدركهُ بقتلك ساع
ومعاشر انف أبحت حريمهم ... فرّقتهم من بعد طول جماع
اذكر حسيناً وابن عروة هانياً ... وبني عقيل فارس المرباع

وقال ايضاً يذكر هربهُ:

أقرّ عبيدٌ والسيوف عن آمهِ ... دعتهُ فولّاها آستهُ وهو يهربُ
وقال عليك الصبر كوني سيّة ... كما كنت او موتي فذلك اقربُ
وقد هتفت هندٌ بماذا امرتني ... أبن لي وحدّثني الى أين اذهبُ
فقال اقصدي للازد في عرصاتها ... وبكر فما ان عنهمُ متجنبُ
أخاف تميماً والمسالح دونها ... ونيران اعدائي عليّ تلهّبُ
وولّى وماء العين يغسل وجهها ... كأن لم يكن والدهر بالناس قلّبُ
بما قدّمت كفّاك لا لك مهرب ... الى أيّ قوم والدماء تصبّبُ
فكم من كريم قد جررت جريرة ... عليهِ فمقبور وعانٍ يعذّبُ
ومن حرّة زهراء قامت بسحرةٍ ... تبكي قتيلًا او فتًى يتأوّبُ
فصبرًا عبيد بن العبيد فانما ... تقاسي الامور المستعدّ المجرّبُ
وذق كالذي قد ذاق منك معاشر ... لعبتَ بهم اذ انت بالناس تلعبُ
فلو كنت حرًّا او حفظت وصيّة ... عطفت على هندٍ وهندٌ تشحبُ
وقاتلتَ حتى لا ترى لك مطمعاً ... بسيفك في القوم الذين تحزّبوا
وقلت لامّ العبد امّك انني ... وان كثر الاعداء حامٍ مذبّبُ
ولكن أبي قلبٌ أُطيرت ثيابهُ ... وعرق لكم في آل ميسان يضربُ

وقال يهجو عبيد الله وعبادًا وهذا من قصيدة لهُ طويلة يقول فيها:

وما لاقيت من ايام بؤسٍ ... ولا امرٍ يضيق بهِ ذراعي
ولم تكُ شيمتي عجزًا ولوْماً ... ولم اكُ بالمضلّل في المساعي
سوى يوم الهجين ومن يصاحب ... لئام الناس يُغضِ عن القذاعِ
حلفت بربّ مكة لو سلاحي ... بكفي اذ تنازعني متاعي
لباشر امّ رأسك مشرفيٌّ ... كذاك دواؤنا وجع الصداعِ
أفي احسابنا تزري علينا ... هبلت وانت زائدة الكراعِ
فما اسفي على تركي سعيدًا ... واسحق بن طلحة واتباعي
ثنايا الوبر عبد بني علاجٍ ... عبيد نقع قرقرة بقاعِ
اذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... وودّع اهلها خير الوداعِ
فلا بلّت سماؤك من امير ... فبئس معرّس الركب الجياعِ
ألم ترَ اذ تحالف جلف حرب ... عليك غدوت من سقط المتاعِ
وكدت تموت ان صاح ابن آوى (١) ... ومثلك مات من صوت السباعِ
ويوم فتحت سيفك من بعيدٍ ... اضعت وكل امرك للضياعِ
اذا اودى معاوية بن حربٍ ... فبشّر شعب قلبك بانصداعِ

وانشد ابو عبيد لابن مفرّغ يهجو ابن زياد:

ابلغ قريشًا قضَّها وقضيضها ... اهل السماحة والحلوم الراجحهْ
اني ابتليت بجيَّة ساورتهم ... بيدٍ لعمري لم تكن لي رابحهْ

---

(١) كان عباد في حروبهِ ذات ليلة نائمًا في عسكره . فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب . ففزع عباد وظنَّها كبسة من العدوّ فركب فرسهُ ودهش فقال : افتحوا سيفي . فعيَّرهُ بذلك ابن مفرّغ

صفق البخل صفقة ملعونة   جرّت عليهِ من البلايا فادحهْ
شتّان من بطحاء مكة دارهُ   وبنو المضاف الى السباخ المالحهْ
جمدت اناملهُ ولام نجارهُ   وبذاك تخبرنا الظبــاء السانحهْ
فاذا أُميَّة صلصلت احسابها   فبنو زياد في الكلاب النابحهْ

وحدَّث شعيب عن سيف قال: لما قتلَ عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتلهُ اصحاب المختار بن ابي عبيد. ويقال ان ابراهيم بن الاشتر حمل على كتيبتهِ فانهزموا فلقي عبيد الله فقتلهُ وجاء الى أصحابهِ فقالَ: اني ضربت رجلًا فقددتهُ نصفين فشرقّت يداه وغرّبت رجلاه وفاح منهُ المسك واظنّهُ ابن مرجانة. وأومأ لهم الى موضعه. فجاءوا اليهِ وفتشوا عليهِ فوجدوه كما ذكر. واذا هو ابن زياد. فقال ابن مفرّغ يهجوه:

ان الذي عاش ختار بذمتهِ   وعاش عبدًا قتيل الله بالزابِ
العبد للعبد لا اصل ولا طرف   ألوت بهِ ذات أظفار وأنيابِ
انَّ المنايا اذا ما زرنَ طاغية   هتكنَ عنهُ ستورًا بين ابوابِ
هلاّ جموع نزار اذ لقيتهمُ   كنت امرءًا من نزار غير مرتابِ
لا أنت زاحمت عن ملك فتمنعهُ   ولا مددت الى قوم باسبابِ
ما شقّ جيبٌ ولا ناحتك نائحة   ولا بكتك جياد عند أسلابِ
لا يترك الله انفًا تعطسون بها   بني العبيد شهودًا غير غيّابِ
أقول بعدًا وسحقًا عند مصرعهِ   لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي

حدَّث محمد بن الحكم عن عوانة ان عبيد الله بن أبي بكرة كتب الى يزيد بن مفرّغ: اني قد توجهت الى سجستان فالحق بي فلعلك ان قدمتَ عليَّ أن لا تندم ولا يذمّ رأيك. فتجهّز ابن مفرّغ وخرج حتى قدم

سجستان ممسياً فدخل عليهِ . فشغلهُ بالحديث وامر لهُ بمنزل وفرش وخدم وجعل يطاولهُ حتى علم انهُ قد استتم لهُ ما أمر لهُ بهِ . ثم صرفهُ الى المنزل الذي قد هيئ لهُ . ثم دعا بهِ في اليوم الثاني فقال لهُ : يا ابن مفرغ انك قد تجشمت اليَّ شقة بعيدة واتّسع لك الامل رحلت اليَّ لاقضي عنك دينك ولاغنيك عن الناس وقلت : أبو حاتم بسجستان فمن لي بالغناء بعدهُ . فقال : والله ما أخطأت أيها الامير ما كان في نفسي . فقال عبيد الله : أما والله لأفعلنَّ ولاقيّنَّ لبثك عندي ولاحسننَّ صلتك . وأمر لهُ بمائة الف درهم ومائة وصيفة ومائة نجيبة وأمر لهُ بما ينفق الى بلده سوى المائة الالف وبمن يكفيهِ الخدمة من غلمانهِ واعوانهِ وقال لهُ : ان من خفَّة السفر أن لا تهتمَّ بخفّ ولا حافر . وكان مقامهُ عنده سبعة ايام . ثم ارتحل وشيَّعهُ عبيد الله الى قرية على أربع فراسخ يقال لها زالق ثم قال لهُ : يا ابن مفرّغ انهُ ينبغي للمودّع ان ينصرف وللمتكلم ان يسكت وأنا مَن قد عرفت فابقَ على الامل وحسن ظنّك بي ورجائك فيَّ واذا بدا لك ان تعود فعد والسلام . (قال) وسار ابن مفرّغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقرية أيجر

ثم اقام بالاهواز ودعا ندماء كانوا لهُ من فتيان العرب . فلم يبقَ ظريف ولا مغنٍ الَّا أتاه . واستماحهُ جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشأم فأعطاهم . وجعل القوم يسألونهُ عن عبيد الله بن أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده . فقال :

يسائلني اهل العراق عن الندى ‏ ‏ ‏ فقلت عبيد الله حلف المكارمِ
فتًى حاتميٌّ في سجستان رحلهُ ‏ ‏ ‏ وحسبك جودًا ان يكون كحاتمِ
سما لينال المكرمات فنالها ‏ ‏ ‏ بشدَّة ضرغام وبذل الدراهمِ

وحلم اذا ما سورة الحقد اطلقت ... حبا القوم عند الفادح المتفاقمِ
وانَّ لهُ في كل حيٍّ صنيعة ... يحدّثها الركبان اهل المواسمِ
دعاني اليهِ جودهُ ووفاؤهُ ... ومن دون مسراهُ عداة الاعاجمِ
فلم ابقَ الّا جمعة في جوارهِ ... ويومين حلاً من اليّة آثمِ
الى ان دعاني زانهُ الله بالعلا ... فأنبت ريشي من صميم القوادمِ
وقال اذا ما شئت يا ابن مفرّغٍ ... فعد عودة ليست كاضغاث حالمِ
فقلت لهُ لا يبعد الله دارهُ ... أعود اذا ما جئتكم غير حاشمِ
وأحمدت وردي اذ وردت حياضهُ ... وكل كريم نهزة للاكارمِ
فأصبح لا يرجو العراق وأهلهُ ... سواهُ لنفع او لدفع العظائمِ
وانَّ عبيد الله هنَّأ رفدهُ ... سراحاً واعطى رفدهُ غير غانمِ

وحدَّث الخذميّ قال: لزم يزيدَ بن مفرّغ غرماؤهُ بدَين. فقال لهم: انطلقوا نجلس على باب الامير عسى ان يخرج الاشراف من عنده فيروني فيقضوا عني. فانطلقوا بهِ. فكان اوَّل من خرج امَّا عمر بن عبيد الله بن معمر وامَّا طلحة الطلحات. فلما رآهُ قال: أبا عثمان ما أقعدك ههنا. قال: غرماني هولاء لزموني بدين لهم عليَّ. قال: وكم هو. قال: سبعون الفاً. قال: عليَّ منها عشرة آلاف درهم. ثم خرج الآخر على الاثر. فسأله كما سأل صاحبه. فقال: هل خرج احد قبلي. قالوا: نعم فلان. قال: فما صنع. قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم. قال: فعليَّ مثلها. (قال) ثم جعل الناس يخرجون فنهم من يضمن الالف الى أكثر من ذلك حتى ضمنوا اربعين الفاً. وكان يأمل عبيد الله ابن أبي بكرة. فلم يخرج حتى غربت الشمس. فخرج مبادراً. فلم يرَهُ يخرج حتى كاد يبلغ بيتهُ. فقيل لهُ: انك مررت بابن مفرّغ ملزوماً وقد مرَّ بهِ

الاشراف فضمنوا عنهُ. فقال: وا سوأتاه اني لخائف ان يظنّ اني تغافلت عنه. فكرّ راجعاً فوجده قاعداً فقال لهُ: أبا عثمان ما يجلسك ههنا. قال: غرماني هولاء يلزمونني. قال: كم عليك. قال: سبعون الفاً. قال: وكم ضُمن عنك. قال: اربعون الفاً. قال: فاستمتع بها وعليّ دينك أجمع. فقال فيهِ:

لو شئت لم تعنَ ولم تنصب عشت باسباب ابي حاتمِ
عشت باسباب الجواد الذي لا يختم الاموال بالخاتمِ
من كفّ بهلول لهُ غرّةٌ ما ان لمن عاداه من عاصمِ
المطعم الناس اذا حاردت نكباؤها في الزمن العارمِ
والفاصل الخطّة يوم الحجا للامر عند الكربة اللازمِ
جاورتهُ حيناً فأحمدتهُ أُثني وما الحامد كاللائمِ
كم من عدوٍّ شامت كاشح اخزيتهُ يوماً ومن ظالمِ
أذقتهُ الموت على غرّةٍ بابيض ذي رونق صارمِ

ومات ابن مفرغ في الطاعون في ايام مصعب بن الزُّبير

مقتل جرجير

كان أبو ذؤيب الهذليّ خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح احد بني عامر بن لؤيّ الى افريقية سنة ستّ وعشرين غازياً افرنجة في زمن عثمان. فلما فتح عبد الله بن سعد افريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزبير وكان في جنده بشيراً الى عثمان بن عفّان وبعث معهُ نفراً فيهم أبو

ذؤيب . فلما قدموا مصر مات ابو ذؤيب بهـا (١) . وقدم ابن الزبير على عثمان وهو يومئـذٍ في قول ابن الزبير ابن ستّ وعشرين سنة وفي قول الواقدي ابن اربع وعشرين سنة . قال مصعب : فسمعت ابي يقول : قال عبد الله بن الزبير : أحاط بنا جرجير صاحب افريقية وهو ملك افرنجة في عشرين الفًا ومائة الف ونحن في عشرين الفًا . فضاق بالمسلمـين امرهم واختلفوا في الرأي . فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو ويفكر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافهم رأيتهُ على برذون أشهب خلف أصحابهِ منقطعًا منهم معـهُ جاريتان لهُ تظـلانهِ من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبد الله فطلبت الاذن عليهِ من حاجبه . فقال : انهُ في شأنكم وانهُ قد أمرني ان امسك الناس عنـهُ . (قال) فدرت

---

(١) حدّث عبد الله بن الحرث الهذليّ قال : خرج ابو ذؤيب فغزا ارض الروم مع المسلمين . فلماَّ قفلوا اَخذهُ الموت . فاراد ابنهُ وابن اخيهِ ان يتخلَّفا عليهِ جميعًا . فمنعهما صاحب الساقة وقال : ليتخلّف عليهِ احدكما وليعلم انهُ مقتول . فقال لهمـا ابو ذؤيب : اقترعا . فطارت القرعة لابي عبيد . فتخلّف عليهِ . ومضى ابنهُ مع الناس . فكان ابو عبيد يحدّث قال : قال لي ابو ذؤيب : يا ابا عبيـد احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعمد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى افرغ فاغسلني وكفّنّي ثم اجعلني في حفيري وانثل عليّ الجرف برمحك وألقِ عليّ الغصون والشجر ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا مشيت كانها جهامة . (قال) فما اخطأ ما قال شيئًا ولولا نعتهُ لم اهتدِ لاثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسهِ :

ابا عبيـد رفع الكتابُ   واقترب الموعد والحسابُ
وعند رحلي جمل نجابُ   أحمر في حاركهِ انصبابُ

ثم مضيت حتى لحقت الناس . فكان يقال ان أهل الاسلام ابعدوا الاثر في بلد الروم فما كان وراء قبر ابي ذؤيب قبر يُعرف لاحد من المسلمين

فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعتهُ ودخلت عليهِ. فاذا هو مستلقٍ على فراشه. ففزع وقال: ما الذي أدخلك عليَّ يا ابن الزبير. فقلت: ايه وايه كل أزبَ نفور اني رأيت عورة من عدوّنا فرجوت الفرصة فيهِ وخشيت فوتها. فاخرج فاندب الناس اليَّ. قال: وما هي. فاخبرتهُ. فقال: عورة لعمري. ثم خرج فرأى ما رأيت. فقال: أيُّها الناس انتدبوا مع ابن الزبير الى عدوّكم. فاخترت ثلاثين فارساً وقلت: اني حامل فاضربوا عن ظهري فاني سأكفيكم من ألقى ان شاء الله تعالى. فحملت في الوجه الذي هو فيهِ وحملوا فذبُّوا عني حتى خرقتهم الى ارض خالية وتبيَّنتهُ. فصمدت صمدهُ فوالله ما حسب الَّا اني رسول ولا ظنَّ اكثر اصحابهِ الَّا ذاك حتى رأى ما بي من اثر السلاح فثنى برذونهُ هارباً. فادركتهُ فطعنتهُ فسقط ورميت بنفسي عليهِ. واتَّقت جاريتاه عنهُ السيف فقطعت يد احداهما وأجهزت عليهِ. ثم رفعت رأسهُ في رمحي. وجال اصحابه. وحمل المسلمون في ناحيتي وكبَّروا فقتلوهم كيف شاءوا وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما احد أحقُّ بالبشارة منك فبعثني الى عثمان

خبر مقتل ابني عبيد الله بن العباس

أخبر بالسبب في ذلك محمد بن احمد الطلاس قال: حدثنا احمد بن الحرث الخراز قال: ان معاوية بن ابي سفيان بعث الى بسر بن ارطاة احد بني عامر بن لؤيّ بعد تحكيم الحكمين. وعليُّ بن ابي طالب رضي الله عنه

يومئذٍ حيّ وبعث معهُ جيشاً آخر. وتوجَّه برجل من عامر ضمّ اليهِ جيشاً آخر. ووجه الضحَّاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر. وامرهم ان يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام وأصحابه وان يُغيروا على سائر اعماله ويقتلوا اصحابه ولا يكفوا ايديهم عن النساء والصبيان. فمرَّ بسر لذلك على وجههِ حتى انتهى الى المدينة فقتل بها ناساً من اصحاب عليّ عليهِ السلام وأهل هواهُ وهدم بها دوراً ومضى الى مكة فقتل نفراً من آل أَبي لهب. ثم اتى السراة فقتل مَن بها من اصحابه. واتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه وكانا من اصهار بني العباس عامل عليّ عليهِ السلام. ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عامل عليّ بن ابي طالب وكان غائباً. وقيل بل هرب لما بلغهُ خبر بسر فلم يصادفهُ بسر. ووجد ابنين لهُ صبيَّين فاخذهما بسر لعنهُ الله وذبحهما بيده بمدية كانت معهُ . ثم انكفأ راجعاً الى معاوية. وفعل مثل ذلك سائر من بعث بهِ . فقصد العامريّ الى الانبار فقتل ابن حسَّان البكريّ وقتل رجالاً ونساءً من الشيعة

ثم ان بسر بن ارطاة كرّ راجعاً وانتهى خبرهُ الى عليّ عليهِ السلام انهُ قتل عبد الرحمن وقثم ابنَي عبيد الله بن العباس فسرَّح حارثة بن قدامة السعديّ في طلبهِ وامرهُ ان يجدّ السير. فخرج مسرعاً. فلما وصل الى المدينة وانتهى اليهِ قتلُ علي بن أَبي طالب عليهِ السلام ومعهُ الحسن رضي الله تعالى عنه ركب في السلاح ودعا أهل المدينة الى البيعة للحسن. فامتنعوا. فقال : والله لتبايعُنّ فلما رأى اهلَ المدينة بايعوا للحسن عليهِ السلام كرَّ راجعاً الى الكوفة. فاصاب امَّ حكيم بنت قارظٍ ولهُ على ابنيها فكانت

لا تعقل ولا تصغي الا الى قول مَن اعلمهـا أنهمـا قد قُتلا ولا تزال تطوف في المواسم تنشد الناس ابنيها بهذه الابيات:

يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين همـا كالدرَّتين تشظّى عنهما الصدفُ
يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين همـا سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهفُ
يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين همـا مخّ العظـام فمخي اليوم مختطفُ
نُبّئتُ بسرًا وما صدّقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابنيَّ مرهفـةً مشحوذةً وكذاك الافك يقترفُ
حتى لقيت رجالًا من ارومتـهِ شمّ الانوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعنُ بسرًا حقَّ لعنتـهِ هذا لعمر ابي بسر هو السرفُ
من دلَّ والهـة حرَّى مولهـة على صبيَّين ضلاَّ اذ غدا السلفُ

(قالوا) ولما بلغ عليَّ بن أبي طالب عليهِ السلام قتل بسر الصبيَّين جزع لذلك جزعًا شديدًا ودعا على بسر لعنهُ الله فقال: اللهمَّ اسلبه دينهُ ولا تخرجهُ من الدنيا حتى تسلبهُ عقلهُ. فاصابهُ ذلك وفقد عقله. وكان يهذي بالسيف ويطلبهُ فيؤتى بسيف من خشب ويُجعل بين يديهِ زقّ منفوخ فلا يزال يضربهُ حتى يسأم. ثم مات لعنهُ الله. ولما كانت الجماعة واستقرّ الامر على معاوية دخل عليهِ عبيد الله بن العباس وعندهُ بسر بن ارطاة. فقال لهُ عبيد الله: أأنت قاتل الصبيَّين ايها الشيخ. قال بسر: نعم انا قاتلهما. فقـال عبيد الله: أما والله لوددتُ ان الارض كانت أنبتتني عنـدك. فقال بسر: فقد أنبتتك الآن عندي. فقال عبيـد الله: ألا سيف. فقال لهُ بسر: هاك سيفي. فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناولهُ اخذهُ معاوية ثم قال لبسر: أخزاك الله شيخـًا قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد

وترتهُ وقتلت ابنيهِ تدفع اليـهِ سيفك . انك لغافل عن قلوب بني هاشم . والله لو تمكن منهُ لبدأ بي قبلك . فقـال عبيد الله : أجل والله وكنتُ أُثني بـهِ

قال الاصمعي : وسمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيـد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهمـا بسر بن ارطاة بقولهـا :

يا من احسَّ بابنيَّ اللذين هما   كالدرَّتين تشظى عنهما الصدفُ

فرقَّ لها واتَّصل ببسر حتى وثق بهِ . ثم احتال لقتل ابنيهِ فخرج بهمـا الى وادي اوطاس فقتلهما وهرب وقال :

يا بسر بسر بني ارطاة ما طلعت   شمس النهار ولا غابت على الناسِ
خير من الهاشميـين الذين همُ   عين الهدى وسمام الاسوق القاسِ
ماذا اردت الى طفلَي مولَّهـة   تبكي وتنشدُ من اثكلت في الناسِ
أما قتلتهمـا ظلماً فقد شرقت   من صاحبيك قناتي يوم اوطاسِ
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت   ام الصبيَّين او ذاق ابن عبَّاس

مقتل توبة بن الحُمَيِّر

اخبر بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد اجازة عن أبي حاتم السجستانيّ عن ابي عبيدة . قال ابو عبيدة : كان الذي هاج مقتل توبة ابن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة انهُ كان بينهُ وبين بني عامر بن

عوف بن عقيل لحاء . ثم ان توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض امورهم . (قال) وكان مروان بن الحكم يومئذٍ اميرًا على المدينة في خلافة معاوية بن ابي سفيان فاستعملهُ على صدقات بني عامر . (قال) فوثب ثور بن ابي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربهُ بجرز وعلى توبة الدرع والبيضة . فجرح انف البيضة وجه توبة . فامر همام بثور بن ابي سمعان فأُقعد بين يدي توبة فقال : خذ بحقك يا توبة . فقال لهُ توبة : ما كان هذا الّا عن امرك وما كان ليجترئ عليَّ عند غيرك . وأُمُّ همام صوبانة بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل . فاتهمهُ توبة لذلك . فانصرف ولم يقتصَّ منهُ . فمكثوا غير كثير

وان توبة بلغهُ ان ثور بن ابي سمعان خرج في نفر من رهطهِ الى ماء من مياه قومهِ يقال لهُ قوباء يريدون ماء لهم بموضع يقال لهُ جرير (بتثليث) . (قال) وبينهما فلاة . فاتبعهُ توبة في ناس من اصحابهِ . فسأل عنهُ وبحث حتى ذُكر لهُ انهُ عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال لهُ سارية بن عمير بن ابي عدي وكان صديقًا لتوبة . فقال توبة : والله لانظرنّهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنهُ . فارادوا ان يخرجوا حين يصبحون فقال لهم سارية : ادّرعوا الليلة فاني لا آمن توبة عليكم الليلة فانهُ لا ينام عن طلبكم . (قال) فلما تمشوا ادّرعوا الليل في الفلاة . واقعد لهُ توبة رجلين . فغفل صاحبا توبة . فلما ذهب الليل فزع توبة وقال : لقد اغتررت الى رجلين ما صنعا شيئًا واني لاعلم انهم لم يصبحوا بهذه البلاد . فاقتصَّ آثارهم فاذا هو باثر القوم قد خرجوا . فبعث الى صاحبيهِ فأتياه . فقال : دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء مزادتيهِ ثم اتبعا

اثري فان خفي عليكما ان تدركاني فاني سأنوّر لكما ان امسيتا دوني . وخرج توبة في اثر القوم مسرعاً حتى اذا انتصف النهار جاوز علماً يقال لـهُ أفيح في الغائط فقال لاصحابهِ: هل ترون سمرات الى جنب قرون بقر (١) فانّ ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءهُ ظلّ . فنظروا فقال قائل: نرى رجلاً يقود بعيرًا لهُ كأنهُ يقودهُ لصيده . قال توبة: ذلك ابن الحبترية وذلك مِن ارمى مَن رمى . فمن لهُ يختلجهُ دون القوم فلا ينذرون بنا . (قال) فقال عبد الله اخو توبة: أنا لهُ . قال: فاحذر لا يضربنّك وان استطعت ان تحول بينهُ وبين اصحابه فافعل . فخلّى طريق فرسه في غمض من الارض . ثم دنا منهُ فحمل عليهِ فرماه ابن الحبترية . (قال) وبنو الحبترية ناس من مذحج في بني عقيل . فعقروا فرس عبد الله اخي توبة واختلّ السهم ساق عبد الله . فانحاز الرجل حتى اتى اصحابه فانذرهم . فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة . (قال) وغشيهم توبة ومن معهُ . فلما رأوا ذلك صفّوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحورهم واخذوا سلاحهم ودرقهم . وزحف اليهم توبة . فارتمى القوم لا يغني احد منهم شيئاً في احد . ثم ان توبة وكان يترس لهُ اخوهُ عبد الله قال: يا اخي لا تترس لي فاني رأيت ثورًا كثيرًا ما يرفع الترس عسى ان اوافق منهُ عند رميهِ مرمىً فأرميه . (قال) ففعل فرماه توبة على حلمة ثديهِ فصرعه . وجاء القوم فغشيهم توبة واصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى . وهم سبعة نفر . ثم ان ثورًا قال: انتزعوا هذا السهم عني . قال توبة: ما وضعناه لننتزعه . فقال اصحاب توبة: انجُ بنا فقد أخذنا ثأرنا ونلقى راويتنا فقد متنا عطشاً . قال توبة: كيف بهولاء القوم الذين لا يمنعون

---

(١) قرون بقر مكان هنالك

ولا يمتنعون . فقالوا : ابعدهم الله . قال توبة : ما انا بفاعل وما هم الّا عشيرتكم ولكن نجيء الراوية فأضع لهم مــاء واغسل عنهم دماءهم وأخيّــل عليهم من السباع والطير لا تاكلهم حتى أُوذن قومهم بهم بعمق . فاقام توبة حتى اتتهُ الراوية قبل الليل فسقــاهم من المــاء وغسل عنهم الدماء وجعل في اساقيهم ماء ثم خيّل لهم بالثياب على الشجر . ثم مضى حتى طرق من الليل سارية بن عويمر بن ابي عديّ العقيلي فقال : انّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمرات من قرون بقر فادركوهم فمن كان حيًّا فداووه ومن كان ميتاً فادفنوه . ثم انصرف فلحق بقومه . وصبح سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن ابي سمعان ولم يمت غيره . فلم يزل توبة خائفاً

وكان السليل بن ثور المقتول رامياً كثير البغي والشرّ . وأُخبر بغرّة من توبة وهم بقنة من قنان الشرف يقال لها قنة بني الحمير فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه . فترقى توبة ورجل من اخوتهِ في الجبــل . فاحاطوا بالبيوت . فناداهم وهو في الجبل : هذا من تبغون فأجيبوا . فقالوا : انكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ولكن خذوا ما استدنى لكم من ماله . فأخذوا افراساً لهُ ولاخوتهِ وانصرفوا . ثم ان توبة غزاهم فمرّ على قلب بن حزن بن معاوية ابن خفاجة يُبطن نفسهُ . فقال : يا توبة اين تريد . قال : اريد الصبيــان من بني عوف بن عقيل . قال : لا تفعل فان القوم قاتلوك فمهــلاً . قال : لا اقلع عنهم ما عشت . ثم ضرب بطن فرسهِ فاسترّ بهِ يخطر ويرتجز ويقول :

ينجو اذا قيــل لهم معاطِ ينجو بهم من خلل الامشاطِ

حتى انتهى الى مكان يقال لهُ حجر الراشدة ظليل اسفلــهُ كالعمود واعلاه منتشر . فاستظلّ فيهِ واصحابه حتى اذا كان بالهاجرة مرّت عليهِ ابل هبــيرة

ابن السمين اخي بني عوف بن عقيل واردة ماء لهم يقال لهُ طلوب . فاخذها وخلّى طريق راعيها وقال لهُ : اذا اتيت صدغ البقرة مولاك فاخبرهُ ان توبة اخذ الابل . ثم انصرف توبة . (قال) فلما ورد العبد على مولاه فاخبرهُ نادى في بني عوف وقال : حتّامَ هذا . فتعاقدوا بينهم نحوًا من ثلاثين فارسًا ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من بني خثعم من بني المرّة كانت في بني عوف وكانت توخذ لهم فقالت : اروني اثره . فخرجوا بها فأروها اثره . فأخذت من ترابه فقاستهُ فقالت : اطلبوه فانهُ عليكم . فطلبوه فسبقهم . فتلاوموا وقالوا : ما نرى لهُ اثرًا وما نراه الّا وقد سبقكم

(قال) وخرج توبة حتى اذا كان بالمضجع من ارض بني كلاب جعل نذارتهُ وحبس اصحابه حتى اذا كان بشعب من هضبة يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عمة لهُ يقال لهُ قابض بن عبد الله ربيئة على رأس الهضبة فقال : انظر فان شخص لك شيء فاعلمنا . فقال عبد الله بن جسوسا بن الحمير : يا توبة انك حائر اذكرك الله فوالله ما رأيت يومًا اشبه بسكرات بني عوف يوم ادركناهم في ساعتهم التي اتيناهم فيها منه . فانجُ ان كان بك نجاة . قال : دعني فقد جعلت ربيئة ينظر لنا . (قال) ويرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا اثر توبة فيلقون رجلًا من غني . فقالوا لهُ : هل احسست في مجيئك اثر خيل او اثر ابل . قال : لا والله . قالوا : كذبت . وضربوه . فقال : يا قوم لا تضربوني فاني لم اجد اثرًا ولقد رأيت زهاء كذا وكذا ابلًا شخوصًا في هاتيك الهضبة وما ادري ما هو . فبعثوا رجلًا منهم يقال لهُ يزيد بن رويبة لينظر ما في الهضبة . فاشرف على القوم فلما رآهم ألوى بثوبهِ لاصحابهِ حتى جاءوا

وقد كان توبة اسرى يومه وليلته فاستظلَّ ببردَيهِ وألقى عنهُ درعهُ وخلّى عن فرسه الخوصاء تتردَّد قريباً منهُ وجعل قابضاً ربيئة لهُ ونام. فاقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلاَّ يفطن لهم احد. فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل الى توبة فأنبهُ. فقال توبة: ما رأيت. قال: رأيت شخصَ رجلٍ واحد. فنام ولم يكترث لهُ. وعاد قابض الى مكانه فغلبتهُ عيناه فنام. (قال) فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه. فلما رآهم طار على فرسه. وأقبل القوم الى توبة. وكان اول من تقدَّم غلام امرد على فرس عربي وهو يزيد بن رويبة (١) ثم تلاه ابن عمهِ عبد الله بن سالم. ثم تتابعوا. فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وسنان. وكان لا يضع السيف. فصبَّ الدرع على السيف متقلده وهلاً. ثم صوَّت بفرسهِ الخوصاء فاتتهُ. فلما اراد ان يركبها اهوت ترمحهُ ثلاث مرَّات. فلما رأى ذلك لطم وجهها فادبرت. وحال القوم بينهُ وبينها. فطلب قائم السيف فلم يقدر عليهِ تحت الدرع فلم يستطع سلهُ. فطار الى الرمح فاخذهُ فاهوى بهِ طعناً الى يزيد بن رويبة وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنهُ او ليأخذنَّهُ. فانفذ فخذ يزيد. واعتنقهُ يزيد فعضَّ بوجنتيه. واستدبرهُ عبد الله بالسيف ففلق رأس توبة. وهيب توبة حين اعتوره الرجلان بقابض: يا قابض. فلم يلوِ عليهِ وفرَّ قابض الكلابي. وذبَّ عبد الله بن حمير عن اخيهِ. فأهوى لهُ معاوية بن عبد الله بالسيف فاصاب ركبتهُ فاختلعت (٢). فلما وقع بالارض اشرع سيفهُ وحدهُ ثم جثا على ركبتيهِ وجعل يقول: هلموا. ولم يشعر القوم بما اصابه. وانصرف بنو عوف بن

---

(١) وكانت امهُ بنت عمّ توبة

(٢) أي سقطت

عقيل . وولّى قابض منهزماً حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابي فقال : قتل توبة . فنادى في قومه فجاءه ابوه زرارة فقال : اين تريد . فقال : قتل توبة . فقال ابوه طوط : سحقاً لك أتطلب بدم توبة ان قتلتهُ بنو عقيل طالما لها باغياً عادياً عليها . قال : لكني اجنّـهُ اذاً . قال ابوه : اما هذه فنعم . فألقى السلاح وانطلق حتى اجنَّهُ وحمل اخاه عبد الله بن حمير . فلما رجع عبد الله بعدَ ذلك الى قومه لاموه وقالوا لهُ : فررت عن اخيك . فقال عبـد الله بن الحمير في ذلك :

تُأوّبني بعـازية الهمـومُ ... كما يعتـاد ذا الدَين الغريمُ
كأنَّ الهمَّ ليس يريد غيري ... ولو امسى لهُ نبـط وروم
علامَ تقوم عاذلتي تـلوم ... تؤنّبني وما انجـاب الصروم
فقلت لها رويداً كي تجلّى ... غواشي النـوم والليـل البهيم
ألمـّا تعلمي اني قديمـاً ... اذا ما شئت اعصي من يلوم
وانّ المرء لايدري اذا مـا ... يهمُّ علامَ تحملـهُ الهمـوم
وقد تعدي على الحاجات حَرف ... كركب الرعن دعبـلة عقيمُ
مداخلة القفـار وذات لوثٍ ... على الحزّات مقحمـة غشوم
كأنَّ الرحل منها فوق جابٍ ... بذات الحاذ معقـلة الصريمِ
طبـاهُ برجلة البقـار برق ... فبات الليـل منتصبـاً يشيمُ
فبينـا ذاك اذ هبطت عليهِ ... دلوح المزن واهيـة هزيمُ
تهبُّ لهـا الشمال فتمتريهـا ... ويعقبهـا بنـافحة نسيـمُ
يلث اذا الرباب جرى عليهِ ... كما يُصغي الى الآس الاميمُ
اذا ما قـال اقشع جانبـاهُ ... نشت من كل ناحيـة غيوم

فاشعر ليلهُ قلقاً وقرّاً   يسهرهُ كما ارق السليمُ
ألا من يشتري رجلاً برجل   تخوّنها السلاح فما تسومُ
تلومك في القتال بنو عقيلٍ   وكيف قتال اعرج لا يقومُ
ولو كنتُ القتيل وكان حيّاً   لقاتل لا ألفّ ولا سؤُومُ
ولا جثّامة روع هيوب   ولا ضرع اذا يمشي جثومُ

(قال) ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عقيل الذي قتلوا توبة. فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب. ثم افترقت بنو خفاجة. فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا. فجمعت لهم بنو خفاجة ايضاً قبائل عقيل. فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها. ثم ان بني عامر بن صعصعة صاروا الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن ابي سفيان فقالوا: ننشدك الله ان تفرّق جماعتنا. فعقل توبة وعقل الآخرين معاقِلَ العرب مائة من الابل. فأدّتها بنو عامر. (قال) فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا بالجزيرة فلم يبقَ بالعالية منهم أحد. واقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن معقل بمكانهم بالبادية

وقالت ليلى تعير قابضاً:

جزى الله شرّاً قابضاً بصنيعهِ   وكلُّ امرئٍ يجزى بما كان ساعيا
دعا قابضاً والمرهفات يردنهُ   فقبّحت مدعوّاً ولبّيك داعيا

وقالت لقابض وتعذر عبد الله اخا توبة:

دعا قابضاً والموت يخفق ظلّهُ   وما قابضٌ اذ لم يجب بنجيبِ
وآسى عبيد الله ثم ابن امّهِ   ولو شاء نجّى يوم ذاك حبيبي

وقالت ايضاً ترثي توبة عن امّ حميد . وامّها ابنة اخي توبة من امها :

أيا عين بكي توبة ابن حميرِ — بسحّ كفيض الجدول المتفجرِ
لتبكِ عليه من خفاجة نسوة — بماء شؤون العبرة المتحدّرِ
سمعنَ بهيجا ارهقت فذكرنهُ — ولا يبعث الاحزان مثل التذكرِ
كانّ فتى الفتيان توبة لم يسر — بنجد ولم يطلع من المتغوّرِ
ولم يردِ الماء السِدام اذا بدا — سنا الصبح في بادي الحواشي منوّرِ
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملإ م — الجفان سديفاً يومَ نكباء صرصرِ
ولم يعلُ بالجرد الجياد يقودها — بسبرة بين الاشمسات فياسرِ
وصحراء موماة يحار بها القطا — قطعت على هول الجنان بمنسرِ
يقودون قبّاً كالسراحين لاحها — سُراهم وسير الراكب المتهجرِ
فلما بدت ارض العدوّ سقيتها — مجاج بقيات المزاد المسغبرِ
ولما أهابوا بالنهاب حويتها — بخاظي البضيع كرُّهُ غير اعسرِ
ممرّ كَكَرّ الاندريّ مثابرٍ — اذا ما ونين مهلب الشدّ محضرِ
فألوت باعناق طوال وراعها — صلاصل بيض سابغ وسنوّرِ
ألم ترَ انّ العبد يقتل ربّهُ — فيظهر جد العبد من غير مظهرِ
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحهُ — اذا الخيل جالت في قنا متكسرِ
فيا توب للهيجا ويا توب للندى — ويا توب للمستنبح المتنوّرِ
ألا رُبّ مكروب اجبت ونائل — بذلت ومعروف لديك ومنكرِ (١)

---

(١) مراثي ليلى لتوبة بن الحُمَيّر منقولة في ديوان الخنساء الذي خرج من مطبعتنا من عهد قريب

اخذ الثأر من هلال

هو فيما ذكر خالد بن كلثوم هلال بن الاسعر شاعر اسلاميّ من شعراء الدولة الامويّة وأظنهُ قد ادرك الدولة العباسية

كان هلال بن الاسعر ضربهُ رجل من بني عنزة ثم من بني جلان يقال لهُ عبيد بن جُرَيّ في شيءٍ كان بينهما فشجَّهُ وخمشهُ خماشة. فأتى هلال بني جلان فقال: ان صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي. فأوعدوه وزبروه. فخرج من عندهم وهو يقول: عسى ان يكون لهذا جزاء. حتى أتى بلاد قومه. فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكره. ثم ان عبيد بن جُرَيّ قدم الوقبى وهو موضع من بلاد بني مالك. فلما قدمها ذكر هلالاً وما كان بينهُ وبينه فتخوَّفهُ. فسأل عن اعزّ اهل الماء. فقيل لهُ: معاذ بن جعدة. فأتاه فوجدهُ غائباً عن الماء فعقد عبيد بن جُرَيّ طرف ثيابه الى جانب طنب بيت معاذ (١). وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء. فقيل: رجل استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد بن جُرَيّ ليستقي فوافق قدوم هلال بابلهِ يوم وروده وكان انما يقدّمها في الايام. فلما نظر هلال الى ابن جُرَيّ ذكر ما كان بينهُ وبينه. ولم يعلم باستجارتهِ بمعاذ بن جعدة فطلب شيئاً يضربهُ بهِ فلم يجدهُ فانتزع المحور من السانية فعلاه بهِ ضربة على رأسه فصُرع وقيذاً. وقيل: قتل هلال بن الاسعر جار معاذ بن جعدة

فلما سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرزاميّين وهم بنو عمّهِ فأتى

---

(١) كانت العرب اذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيتهِ للمستجير بهِ ان يجيره وان يطلب لهُ بظلامتهِ

راحلتهُ ليركبها. فقال هلال : فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت اخي بني جعدة بن ثابت وهي جدَّة ابي السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك امّ ابيهِ. فتعلّقت بثوب هلال ثم قالت: ايْ عدوّ الله قتلت جارنا والله لا تفارقني حتى يأتيك رجالنا. قال هلال: والمحور في يدي لم اضعهُ. (قال) فهممت ان اعلو بهِ رأس خولة . ثم قلت في نفسي: عجوز لها سنّ وقرابة. (قال) فضربتها برجلي ضربة رميت بها من بعيد. ثم أتيت ناقتي فأركبها ثم اضربها هاربًا. وجاء معاذ بن جعدة واخوتهُ وهم يومئذٍ تسعة اخوة وعبد الله بن مالك (١). فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعية على الجلاني وهو دنف لم يمت. فسألوا عن تلك الواعية فاخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ ابن جعدة وضرب هلال لهُ من بعد ذلك. فركب الاخوة التسعة وعبد الله ابن مالك عاشرهم. وكانوا مثال الجبال في شدَّة خلقهم مع نجدتهم وركبوا معهم بعشرة غلمة لهم اشدّ منهم خلقًا لا يقع لاحد منهم سهم في غير موضع يريده من رمايتهِ حتى تبعوا هلالًا وقد نسل هلال من الهرب يومه ذلك كلّهُ وليلته. فلما أصبح امنهم وظنّ ان قد ابعد في الارض ونجا منهم. وتبعوه. فلما اصبحوا من تلك الليلة قصّوا اثره وكان لا يخفى اثرهُ على احد لعظم قدمه. فلحقوه من بعد الغد فلما ادركوه وهم عشرون ومعهم النبل والقسيّ والسيوف والترسة ناداهم : يا بني جعدة اني انشدكم الله ان اكون قتلت رجلًا غريبًا طلبتهُ بترة تقتلوني وانا ابن عمكم. وظنّ ان الجلاني قد مات ولم يكن مات الى أن تبعوه واخذوه. فقال معاذ: والله لو ايقنا انهُ قد

(١) عبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ يقال لها جيلة وهو مع ذلك ابن عمتهم خولة بنت يزيد بن ثابت فهو معهم كانهُ بعضهم

مات ما ناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت ولسنا نحب قتلك الّا ان تمتنع منّا ولا نقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا. فقاتلهم وامتنع منهم. فجعل معاذ يقول لاصحابهِ وغلمانه: لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه. ففعلوا ذلك فما قدروا على اخذه حتى كسروا من احدى يديه ثلاث اصابع ومن الاخرى اصبعين ودقّوا ضلعين من اضلاعه وأكثروا الشجاج في رأسه ثم اخذوه وما كادوا يقدرون على اخذه فوضعوا في رجلهِ ادهم ثم جاءوا بهِ وهو معروض على بعير حتى انتهوا بهِ الى الوقبى فدفعوه الى الجلاني ولم يمت بعد. فقال: انطلقوا بهِ معكم الى بلادكم ولا تحدثوا في امره شيئاً حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم فان مات فاقتلوه وان حيي فاعلمونا حتى نحمل لكم. فقال الجلانيون: وفت ذمتكم يا بني جعدة وجزاكم الله أفضل ما يجزى بهِ خيار الجيران. انا نتخوّف ان ينزعهُ منّا قومكم ان خلّيتم عنا وعنهم وهو في ايدينا. فقال لهم معاذ: فاني احملهُ معكم واشيعكم حتى تردوا بلادكم. ففعلوا ذلك. فحُمل معروضاً على بعير. وركبت اختهُ جماء بنت الاسعر معهُ. وجعل يقول: قتلتني بنو جعدة. وتاتيهِ اختهُ بغرة فيشربها. فيقال يمشي بالدم لانّ بني جعدة فرثوا كبده في جوفه. فلما بلغوا ادنى بلاد بكر بن وائل قال الجلانيون لمعاذ واصحابه: ادام الله عزّكم قد وفيتم فانصرفوا. وجعل هلال يريهم انهُ يمشي في الليلة عشرين مرّة. فلما ثقل الجلاني وتخوّف هلال ان يموت من ليلته او يصبح ميتاً تبرز هلال كما كان يصنع وفي رجلهِ الادهم كأنهُ يقضي حاجة ووضع كساءهُ على عصاه في ليلة ظلماء ثم اعتمد على الادهم فحطمهُ ثم طار تحت ليلتهِ على رجليهِ وكان ادلّ الناس فتنكّب الطريق التي تُعرف

ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها حتى انتهى الى رجل من بني اثاثة بن مازن يقال لهُ السعر بن يزيد. فحملهُ السعر على ناقة لهُ يقال لها ملوة. فركبها ثم تجنَّب بها الطريق فاخذ نحو بلاد قيس بن عيلان تخوُّفاً من بني مازن ان يتبعوه ايضاً فيأخذوه. فسار ثلاث ليالٍ واياماً حتى نزل اليوم الرابع فنحر الناقة فأكل لحمها كلَّهُ الَّا فضلة فضلت منها فاحتملها ثم اتى بلاد اليمن فوقع بها فلبث زماناً . وذلك عند مقام الحجَّاج بالعراق

فبلغ افلاتهُ مَن بالبصرة من بكر بن وائل فانطلقوا الى الحجاج فاستعدوهُ وأخبروه بقتلهِ صاحبهم. فبعث الحجاج الى عبد الله بن شعبة بن العلقم وهو يومئذٍ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم فقال لهُ: لتأتيني بهلال او لافعلنَّ بك ولافعلنَّ. فقال لهُ عبد الله بن شعبة: ان اصحاب هلال وبني عمهِ قد صنعوا كذا وكذا فاقتصَّ عليهِ ما صنعوا في طلبهِ واخذهِ ودفعهِ الى الجلانيين وتشييعهم اياه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل. (قال) فقال لهُ الحجاج: ويلك ما تقول. (قال) فقال بعض البكريين: صدق أصلح الله الامير. (قال) فقال الحجاج: فلا يرغم الله الَّا انوفكم اشهدوا اني قد آمنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ومنعت من اخذ احد بهِ ومن طلبه حتى يظفر بهِ البكريون او يموت قبل ذلك. فلما وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بني رزامٍ بن مالك بشعر يعاتبهم فيه ويعظم عليهم حقهُ ويذكر قرابتهُ: وذلك انَّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم. فقال معاذ : لا ارضى ان يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل لهُ دم ولجواري دم آخر. وان اراد هلال الامان وسطنا حُمل لهُ دم ثالث. فقال هلال في ذلك :

بني مـازن لا تطردوني فانني　　اخوكم وان جرّت جرائرها يدي
ولا تثلجوا اكبـاد بكر بن وائلٍ　　بترك اخيكم كالخليـع المطرَّدِ
ولا تجعلوا حفظي بظهر وتحفظوا　　بعيداً بغضـاء تروح وتغتدي
فانَّ القريب حيث كان قريبكم　　وكيف بقطع الكف من سائر اليدِ
وان البعيد ان دنا فهو جاركم　　وان شطَّ عنكم فهو أبعد ابعدِ
واني وان أوحدتموني لحـافظٌ　　لكم حفظ راضٍ عنكم غير موجدِ
سيحمي حماكم لي وان كنت غائباً　　اغرُّ اذا مـا ريع لم يتبلـدِ
وتعلم بكر انكم حيث كنتمُ　　وكنت من الارض الغريبة محتدي
واني ثقيل حيث كنت على العدا　　واني وان أُوحدت لست باوحدِ
وانهمُ لمـاَّ ارادوا هضيـمتي　　منوا بجميع القلب عضب مهندِ
حسام متى يعزمْ على الامر يأتهِ　　ولم يتـوقف للعواقب في غدِ
وهم بدأوا بالبغي حتى اذا جزوا　　بافعالهم قالوا لجارهم قـدِ
فلم يكُ منهم في البديهة منصفٌ　　ولم يكُ فيهم في العواقب مهتدِ
ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلمـوا　　ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيـدِ
فان يسرِ لي ابعاد بكر فربما　　منعت الكرى بالغيظ من متوعدِ
وربَّ حمى قومٍ انجـست ومورد　　وردت بفتيان الصبـاح وموردِ
وسجف دجوجيّ من الليل حالك　　رفعت بمجلى الرجلِ موّارةِ اليدِ
سفينة خوّاض بجور همومـه　　قليل ثبات العزم عنـد الترددِ
جسور على الامر المهيب اذا ونا　　أخو الفتك ركاب قرى المتهددِ

وقال وهو بأرض اليمن :

اقول وقد جاوزت نعمى وناقتي　　تحنُّ الى جنبي فليج مع الفجرِ

سقى الله يا ناقَ البلاد التي بهـــا   هواكِ وان عنّاً نأت سبل القطرِ
فما عن قلى منّاً لها خفَّت النوى   بنا عن مراعيهـــا وكثبانها العفرِ
ولكنَّ صرف الدهر فرَّق بيننـــا   وبين الاداني والفتى غرض الدهرِ
فسقيـــاً لصحراء الاهالة مربعـــاً   وللوقَبي من مـــنزل دمث مثرِ
وسقياً ورعياً حيث حلَّت لمازنٍ   وأيامهـــا الغـــرّ المحجـــلة الزهرِ

قال خالد بن كلثوم: ولما دُفع هلال الى اولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال لهُ حفيد كان هلال قد وترهُ فقال: والله لآتينّـــهُ ولاصغرنَّ اليهِ نفسهُ وهو في القيود مصفود للقتل. فاتاه فلم يدع لهُ شيئاً مما يكره الّا عدّدهُ عليهِ. (قال) والى جنب هلال حجر يملأ الكفّ فاخذهُ هلال فأهوى بهِ للرجل فاصاب جبينهُ فاجتلف جلفة من وجههِ ورأسه ثم رمى بهـــا وقال: خذ القصاص مني الآن. وأنشأ يقول:

انا ضربت كرباً وزيدا   وثابتـــاً مشيتهم رويدا
كما أفأت حينـــهُ عبيدا   وقد ضربت بعده حفيدا

(قال) وهولاء كلهم من بني رزام بن مـــازن وكلّهم كان هلال قد نكأ فيهم. قال خالد بن كلثوم: ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن باجمعهم الى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معـــاذ بن جعدة جار الجلاني المقتول فقالوا: انكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحـــدّ في الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما اردتم. فحمل ديسم بن المنهال الذي طلب معـــاذ ابن جعدة ان يُحمل الجاره لفضل عزّه وموضعـــه في عشيرته. وكان الذي طلب ثلثمائة بعير. فقال هلال في ذلك:

انَّ ابن كـــابيـــة المرزَّأ ديسمًا   واري الزناد بعيـــد ضوء النـــارِ

من كان يحمل ما تحمّل ديمٌ ... من حائل فنق وامّ حوارِ
عنيت بنو عمرو بجمل هنائدٍ ... فيها المشار ملابئ الابكارِ
حتى تلافاها كريم سابق ... بالخير حلّ منازل الاخيارِ
حتى اذا وردت جميعاً ارزمت ... جلان بعد تشمس ونفارِ
ترعى بصحراء الاهالة روبة ... والعنظوان منابت الجرجارِ

حرب قيس وكلب وحرب قيس وتغلب

حدَّث المدائني قال: كان بدء حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط. وكان من قصة المرج ان مروان بن الحكم ابن ابي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون. وكان سعيد ابن بجدل الكلبي على قنسرين. فوثب عليهِ زفر بن الحرث فاخرجهُ منها وبايع لابن الزبير. فلما قعد زفر على المنبر قال: الحمد لله الذي اقعدني مقعد الغادر الفاجر. وحُصر. فضحك الناس من قوله. وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير. وكان حسَّان بن بجدل على فلسطين والاردنّ فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذاميّ ونزل هو الاردنّ. فوثب نابل ابن قيس الجذامي على روح بن زنباع فاخرجهُ من فلسطين وبايع لابن الزبير. وكان الضحاك بن قيس الفهري عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك. فجعل يقدم رجلاً ويؤخر اخرى. اذا جاءتهُ اليمانية وشيعة بني امية اخبرهم انهُ امويّ واذا جاءتهُ القيسيَّة اخبرهم انهُ يدعو الى ابن الزبير. فلما قدم مروان

قال لهُ الضحاك: هل لك ان تقدم على ابن الزبير ببيعة اهل الشام. قال: نعم. وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاص ومالك بن هبيرة وحصين بن نمير الكنديان وعبيد الله بن زياد فسألوه عمَّا اخبرهُ بهِ الضحاك. فاخبرهم. فقالوا لهُ: أنت شيخ بني اميَّة وانت عمّ الخليفة هلمَّ نبايعك. فلما فشا ذلك ارسل الضحاك الى بني اميَّة يعتذر اليهم ويذكر حسن بلائهم عنده وانه لم يرد شيئاً يكرهونهُ. فاجتمع مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم: اكتبوا الى حسان بن بجدل فليسرْ من الاردن حتى ينزل الجابية ونسير من ههنا حتى نلقاه فيستخلف رجلًا ترضونهُ. فكتبوا الى حسان. فاقبل في اهل الاردن. وسار الضحاك بن قيس وبنو امية في اهل دمشق. فلما استقلت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك: دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الاعرابي من كلب تبايع لابن اخته تابعاً لهُ. قال: فتقولون ماذا. قالوا: نقول ان تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك. فاجابهم الى ذلك وسار حتى نزل مرج راهط. واقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم فسار حتى دخل دمشق فأتتهُ اليمانية تشكر بلاء بني امية. فساروا مع مروان حتى نزلوا المرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك في نحو من ثلاثين الفاً. فلقوا الضحاك فقُتل الضحاك وقُتل معهُ اشراف من قيس. فأقبل زفر هارباً من وجههِ ذاك حتى دخل قرقيسياء واقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة بني مروان ثم اقبل حتى دخل قرقيسياء على زفر فاقام معهُ وذلك بعد يوم خازر حين قتل عبيد الله بن زياد. وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول:

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط بمروان صدعاً بيننا متنائيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ويترك قتلى راهط هي ما هيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أبعد ابن صقر وابن عمرو تتابعا ومصرع همام أمنّي الامانيا

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبهُ:

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط على زفر داء من الداء باقيا
تبكي على قتلى سليم وعامر وذبيان مغرورًا وتبكي البواكيا

أخبر ابن عطية الكلبي قال: أغار زفر بن الحرث على اهل المصيح وبهِ جماعة من الحاج وغيرهم وقد اصاب اوَّل النهار اهل ماء يقال لهُ خصيف وفيهِ سيّد بني الجلاح مصاد بن المغيرة بن ابي جبلة. فأسرهُ فأتى بهِ قرقيسا. ثم منَّ عليهِ. وقتل عفيف حسان بن حصين من بني الجلاح. ثم مضى زفر الى المصيح فاجتمع مَن بها الي عمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا. فقال لهم زفر: اني لا اريد دماءكم فاعطوا بايديكم. فابوا وقاموا. فقتلت منهم جماعة كثيرة وقتل معهم رجلان من تغلب يقال لاحدهما جساس والآخر غني وهو ابو جساس وقد قالت امرأتهُ: يا ابا جساس هؤلاء قومك فانتهم حين اجتمعوا وامتنعوا. فقال: اليوم تزاري وامس كلبي ما انا بمفارقهم. فقاتل حتى قُتل. فكانت القتلى يوم المصيح من كلب ثمانية عشر رجلًا والتغلبيَّين. وبقي الماء ليس فيهِ الَّا النساء. فلما انصرف عنهم زفر اراد النساء ان يجررن القتلى الى بئر يقال لهُ كوكب. فلما أردن ان يجررن رجلًا قالت وليّتهُ من النساء: لا يكون فلان تحت رجالكنَّ كلهم. فأتت امُّ عمير بن حسان وهي كبيسة بنت أُبيّ فأعلقت في رجلهِ رداءها ثم قالت: اجسرْ عمير انَّ اباك كان جسورًا.

ثم القت عليهِ التراب والحطب ليكون بينهُ وبين اصحابه شيءٌ . ثم جعلنَ كلما القينَ رجلًا القين عليهِ التراب والحطب حتى وارتهم القَليب . ولما بلغ حميد بن حريث بن بجدل ما لقي قومهُ اقبل حتى اتى تدمر ليجمع اصحابه وليُغير على قيس . فلما وقعت الدماء نهض بنو نمير وهم يومئذٍ ببطن الجبل وهو على مياه تميم الى حميد بن حريث بن بجدل حتى قدم وراءهُ يتهيأُ للغارة واجتمعت اليهِ كلب وقالوا لهُ : ان كنت تبرّئنا ببراءتنا وتعرف جوارنا اقمنا وان كنت تتخوّف علينا من قومك شيئًا لحقنا بقومك . فقال : أتريدون ان تكونوا ادلاَّءهم حتى تنجلي هذه الفتنة . فاحتبسهم فيها . وخليفتهُ في تدمر رجل من كلب يقال لهُ مطر بن عوص وكان فاتكًا فأراد حميدًا على قتلهم فأبى وكره الدماء . فلما سار حميد وقد عاد زفر ايضًا مغيرًا ليردّه عمّا يريده فنزل قرية لهُ وبلغهُ مسير زفر فاغتاظ واخذ في التعبية . فأتاه مطر وكان خرج معهُ مشيعًا لهُ انتهارًا لدماء الذين في يده من النميريّين فقال : ما اصنع بهولاء الاسارى الذين في يدي وقد قُتل اهل مصبح . فقال وهو لا يعقل من الوجد : اذهب فاقتلهم . فخرج مطر يركض الى تدمر تخوّفًا لا يبدو لهُ . فلما اتى تدمر قتلهم . وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال : اين مطر حتى اوصيه . قالوا : انصرف . قال : ادركوا عدوّ الله فاني اخاف على من بيده من النميريّين . وبعث فارسًا يركض يمنع مطرًا عن قتلهم . فأتاه وقد قتل كلَّ من كان في يده من الاسرى الّا رجلين وكانوا ستين رجلًا . فلما بلّغهُ الرسول رسالة حميد قال لهُ النميريان الباقيان : خلّ عنا فقد أُمرت بتخلية سبيلنا . فقال : أبعد اهل المصبح لا والله لا تخبران عنهم . ثم قتلهما . فلما بلغ زفر قتل النميريّين بسط على كل من ادرك من كلب واستحلّ الدماء واخذ في وادٍ يقال لهُ وادي

الجيوش وقد انتشر بهِ كلب للصيد فلم يدرك بهِ احداً الّا قتلهُ. فقتل اكثر من خمسمائة ولم يلقهُ حميد ثم انصرف الى قرقيسا (١)

واقبل عمير يخطر فخرج من قرقيسا يتطرّف بوادي كلب فيغير عليها وعلى من اصاب من قضاعة واهل اليمن ويحضّ كلباً ومعهُ تغلب قبل ان تقع الحرب بين قيس وتغلب. فجعل اهل البادية ينتصفون من اهل القرى كلهم

ثم انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب وهم مع عمير فنزلوا بثنيّ من اثناء الفرات بين منازل بني تغلب وفي تغلب امرأة من تميم يقال لها امُّ دويل ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر وكان دويل من فرسان بني تغلب. وكانت لها اعنز مجنبة. فاخذوا من اعنزها اخذها غلام من بني الحريش. فشكوا ذلك الى عمير فلم يشكهم وقال: معرّة الجند. فلما رأى اصحابهُ انهُ لم يقرعهم وثبوا على بقية اعنزها فأخذوها وأكلوها. فلما اتاها دويل اخبرتهُ بما لقيت. فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش فلقي جماعة منهم فقاتلوه. فخرج رجل من بني الحريش زعمت تغلب انهُ مات بعد ذلك وأخذ ذود الامرأة من بني الحريش يقال لها امُّ الهيثم. فبلغ الاخطل الوقعة فلم يدرِ ما هي وقال وهو براذان:

أتاني ودوني الزابيان كلاهما ... وداخلت ابناء امرّ من الصبرِ
أتاني بانّ ابني نزار تهاديا ... وتغلب أولى بالوفاء وبالغدرِ

فلما تبيّن الخبر قال:

وجاءوا بجمع ناصري ام هيثم ... فما رجعوا من ذودها ببعيرِ

فلما بلغ ذلك قيساً أغارت على بني تغلب بازاء الخابور فقتلوا منهم ثلاثة

(١) يقال قرقيسياء بالمدّ وقرقيسا بياء واحدة

نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيرًا . فخرجت جماعة من تغلب فأتوا زفر بن الحرث وذكروا له القرابة والجوار وهم بقرقيسا وقالوا : انتنا برحالنا وردّ علينا نعمنا . فقال : امّا النعم فنردُّها عليكم او ما قدرنا لكم عليهِ ونكمل لكم نعمكم من نعمنا . ان لم نصبها كلّها وندي لكم القتلى . قالوا لهُ : فدع لنا قريات الخابور ورحّل قيسًا عنها فان هذه الحروب لن تطفأ ما داموا مجاورينا . فأبي ذلك زفر . وأبوا هم ان يرضوا الّا بذلك . فناشدهم الله وألحّ عليهم . فقال لهم رجل من النمر كان معهم : والله ما يسرّني انهُ وقاني حرب قيس كلب أبقع تركتهُ في غنمي اليوم . وألحّ عليهم زفر يطلب اليهم ويناشدهم . فأبوا . فقال عمير : لا عليك لا تكثر فوالله اني لأرى عيون قوم ما يريدون الّا محاربتك . فانصرفوا من عنده . ثم جمعوا جمعًا واغاروا على ما قرب من قرقيسا من قرى القيسيّة . فلقيهم عمير بن الحباب فكان النميري الذي تكلم عند زفر اوّل قتيل . وهزم التغلبيين . فأعظم ذلك الحيّان جميعا قيس وتغلب وكرهوا الحرب وشماتة العدوّ . فذكر سليمان بن عبد الله بن الاصمّ ان اياس بن الخرّاز احد بني عتبة بن سعد بن زهير وكان شريفًا من عيون تغلب دخل قرقيسا لينظر ويناظر زفر فيما كان بينهم . فشدّ عليهِ يزيد بن بجزن القرشيّ فقتلهُ . فتذمّم زفر من ذلك وكان كريمًا مجمعًا . لا يحبّ الفرقة فأرسل الى الامير ابن قرشة فقال لهُ : هل لك ان تسود نزار فتقبل مني الدية عن ابن عمك . فاجابهُ الى ذلك . وكان قرشة من اشراف بني تغلب . فتلافى زفر ما بين الحيّين وأصلح بينهم وفي الصدور ما فيها . فوفد عمير على المصعب بن الزبير فأعلمهُ انهُ قد أولج قضاعة بمدائن الشأم وانهُ لم يبقَ الّا حيّ من ربيعة اكثرهم نصارى فسألهُ ان يولّيهُ عليهم . فقال : أكتب الى زفر فانّ هو أراد ذلك والّا ولّاك .

فلما قدم على زفر ذكر لهُ ذلك. فشقَّ عليهِ ذلك وكره ان يليهم عمير فيحيف بهم ويكون ذلك داعية الى منافرتهِ فوجَّه اليهم قوماً وامرهم ان يرفقوا بهم. فأتوا اخلاطاً من بني تغلب من مشارق الخابور فأعلموهم الذي وجهوا بهِ. فأبوا عليهم. فانصرفوا الى زفر. فردّهم وأعلمهم ان المصعب كتب اليهِ بذلك ولا يجد بدّاً من اخذ ذلك منهم او محاربتهم. فقتلوا بعض الرسل. وذكر ابن الاصمّ انّ زفر لما اتاه ذلك اشتدّ عليهِ وكره استفساد بني تغلب. فصار اليهم عمير بن الحباب فلقيهم قريباً من ماكس على شاطىء الخابور بينهُ وبين قرقيسيا مسيرة يوم فأعظم فيها القتل. وذكر زيادة بن يزيد بن عمير بن الحباب ان القتل استحرَّ ببني عتاب بن سعد والنمر وفيهم اخلاط تغلب ولكن هولاء معظم الناس فقتلوهم بها قتلًا شديداً. وكان زفر بن يزيد اخو الحرث بن جشم لهُ عشرون ذكرًا لصلبهِ وأُصيب يومئذٍ اكثرهم وأُسر القطامي الشاعر وأُخذت ابلهُ (١). فاصاب عمير واصحابه شيئاً كثيرًا من النعم. ورئيس تغلب يومئذٍ عبد الله بن شريح فقُتل وقُتل اخوه وقُتل مجاشع بن الاجلح وعمرو بن معاوية من بني خالد وعبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي وسعدان بن عبد يسوع بن حرب وسعدود بن أوس من بني جشم ابن زهير. وجعل عمير يصيح بهم: ويلكم لا تستبقوا احداً. ونادى رجل من بني قشير يقال لهُ الندار: انا جار لكلّ حامل اتتني فهي آمنة. فأتتهُ الحبالى. فبلغني ان المرأة كانت تشدّ على بطنها الجفنة من تحت ثوبها تشبيهاً بالحبلى بما جعل لهنّ. فلما اجتمعنَ لهُ بقرَ بطونهنّ. فأفظع ذلك زفر واصحابه ولام زفر عميرًا

---

(١) لما أُسر القطامي اتى زفر بقرقيسياء. فخلّى سبيلهُ وردّ عليهِ مائة ناقة

فمين بقر من النساء . فقال : ما فعلتهُ ولا أمرت بهِ . فقال زفر بن الحرث يعاتب عميرًا بما كان منهُ في الخابور:

ألا من مبلغ عني عميرًا رسالة عاتب وعليك زارِ
اتترك حيَّ ذي كلع وكلبٍ وتجعل حدَّ نابك في توارِ
كمعتمدٍ على احدى يديهِ فخانتهُ بوهيٍ وانكسارِ

فجمع لهم حميد بن الحريث بن بجدل ثم خرج يريد الغارة على بوادي قيس . فانتهى الى ماء لبني تغلب فاذا النساء والصبيان يبكون . فقالت لهم النساء وهم يحسبنهم قيساً : ويحكم ما ردَّكم الينا فقد فعلتم بنا بالامس ما فعلتم . فقالت لهم كلب : وما لكم . قالوا : أغار علينا بالامس عمير بن الحباب فقتل رجالنا واستاق اموالنا . ولم يشككنَ ان الخيل خيل قيس وان عميرًا عاد اليهنَّ . فقال بعض كلب لحميد : ما تريد من نسوة قد أُغير عليهنَّ وهنَّ وصبية يتامى وتدع عميرًا . فاتبعوه . فبينا هم يسيرون اذ اخذوا ربيئة للقوم فسألوه . فقال لهم : هذا الجيش ههنا والاموال وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جناب اخبر عنهم مخبر . فاقام حميد حتى جنَّ عليهِ الليل ثم بيت القوم بياتاً . وقال حميد لاصحابه : شعاركم نحن عباد الله حقًّا . فأصابوا عامَّة ذلك العسكر . ونجا فيمن نجا رجل عريان قذف ثوبهُ وجلس على فرس عُرْيٍ . فلما انتهى الى عمير قال عمير : قد كنت اسمع بالمدينة بلاء نذيرهُ العريان فلم أرَه فهو هذا . ويلك ما لك . قال : لا ادري غير انهُ لقينا قوم فقتلوا من قتلوا واخذوا العسكر . فقال : أفتعرفهم . قال : لا . فقصد عمير القوم وقال لاصحابه : ان كانت الاعاريب فسيسارعون الينا اذا رأونا وان كانت خيول اهل الشام فستقف . واقبل عمير

فقال حميد لاصحابه : لا يتحرَّكنَّ منكم احد وانصبوا القنا. فحمل عمير حملة لم تحرّكهم . ثم حمل . فلم يتحرَّكوا. فنادى مرارًا : ويحكم من انتم . فلم يتكلموا. فنادى عمير اصحابه : ويلكم خيل بني بجدل والامانة وانصرف على حاميته . فحمل عليهِ فوارس من كلب يطلبونهُ ولحقهُ مولًى لكلب يقال لهُ شقرون فاطعنا فجرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسا الى زفر. ورجع حميد الى من ظفر بهِ من الاسرى والقتلى فقطع سبالهم وآنفهم فجعلها في خيط ثم ذهب بها الى الشام . وقال قائل : بل بعث بها الى عمير وقال : كيف ترى أوقعي ام وقعك . فقال في ذلك سنان بن جابر الجهني :

لقد طار في الآفاق انَّ ابن بجدل حميدًا شفى كلبًا فقرَّت عيونها
وعرف قيسًا بالقوافي ولم تكن لتنزع الّا عند امرٍ يهينها
فقلت لهُ قيس بن عيلان انهُ سريع اذا ما عضَّت الحرب لينها
سما بالعتاق الجرد من مرج راهط وتدمر تنزى بذلها لا يصونها
فكان لها عرض السماوة ليلة سواء عليها سهلها وحزونها
فمن يحتمل في شأن كلب ضغينة علينا اذا ما حان في الحرب حينها
فانّا وكلبًا كاليدين متى تضع شمالك في شيء تعنها يمينها
لقد تُركت قتلى حميد بن بجدل كثيرًا ضواحيها قليلًا دفينها
وقيسية قد طلقتها رماحنا تلفَّت كالصيداء أودى جنينها

وقال سنان ايضًا في هذا الامر بعد ما أوقع ببني فزارة :

يا اخت قيس سلي عنا علانية كي تخبري من بيان العلم تبيانا
انّا ذوو حسب مال مكرمة يوم الفخار وخير الناس فرسانا
منا ابن مرّة عمرو قد سمعت به غيث الارامل لا يردين ما كانا

والبجليُّ الذي اردتْ فوارسهُ   قيساً غداة اللوا من رمل عدنانا
فغادرت حلبساً منها بمعترك   وللجمد منعفرًا لم يكسَ أكفانا
كأين تركنا غداة الفاه من جزر   للطير منهم ومن ثكلى وثكلانا
ومن غوان تبكي لا حميم لها   بالفاه تبكي بني عمّ واخوانا

فلما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان وعبد الله ومصعب يومئذٍ حيَّان وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بجدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزاري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة : ادنُ . فقال ابن مسعَدة : لا والله لقد اوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غِيَر . فقال لهُ حسان : أجزعت ان كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فاصبنا منكم يوم المرج وأغار اهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومهِ فاصاب بعض ما اصابهم فجزعت من ذلك . وبلغ حميدًا قول ابن مسعدة فقال : والله لاشغلنَّهُ بمن هو اقرب اليهِ من سليم وعامر . فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعهُ رجلان من كلب دليلان حتى انتهى الى بني فزارة اهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال : بعثني عبد الملك بن مروان مصدّقاً . فابعثوا لي كل من يطيق ان يلقانا . ففعلوا فقتلهم او من استطاع منهم واخذ اموالهم . فبلغ قتلاهم نحوًا من مائة ونيف . فقال عويف القوافي :

منى الله أن ألقى حميد بن بجدل   بمنزلة فيها الى النصف معلما
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا   سريجية يجمن في الهام مجمجا
ألا ليت اني صادفتني منيتي   ولم أرَ قتلى العام يا امّ اسلما

ولم أرَ قتلى لم تدع لي بعدها يدين فما ارجو من العيش اجذما
واقسم ما ليث بخفان خادر بأشجع من جعدٍ جنانًا ومقدما (١)

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب لحقهُ اسماء بن خارجة بالنخيلة فكلمهُ فيما اتى حميد بهِ الى اهل العمود من فزارة وقال: حدَّثنا انهُ مصدّقك وعاملك فأجناك وبك عذنا. فعليك وفي ذمّتك ما على الحرّ في ذمتهِ فأقدنا من قضاعيّ سكير. فأبى عبد الملك وقال: انظر في ذلك واستشير وحميد يجحد وليست لهم بيّنة. فوداهم الف الف ومائتي الف وقال: اني حاسبها في اعطيات قضاعة. فقال في ذلك عمرو بن مخلاة الكلبيّ:

خذوها يا بني ذبيان عقلًا على الاجياد واعتقدوا الخذاما
دراهم من بني مروان بيضًا ينجمها لكم عامًا فعاما
وأيقن انهُ يوم طويل على قيس يذيقهم السماما
ومختبٍ امام القوم يسعى كسرحان التنوفة حين ساما
رأى شخصًا على بلدٍ بعيدٍ فكبّر حين ابصرهُ وقاما
وأقبل يسأل البشرى الينا فقال رأيت انسًا او نعاما
وقال لخيلهِ سيري حميد فانّ لكل ذي أجل حماما
فما لاقيت من سجع وبدرٍ ومرّة فاتركي حطبًا حطاما
بكلّ مقلص عبل شواهُ يدقّ بوقع نابيهِ اللجاما
وكل طمرّة مرطى سبوح اذا ما شدّ فارسها الحزاما
وقائلة على دهشٍ وحزنٍ وقد بلّت مدامعها اللثاما

(١) يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقُتل يومئذٍ

كأنَّ بني فزارة لم يكونوا ولم يرعوا بأرضهم الثماما
ولم أرَ حاضرًا منهم بشاء ولا من يملك النعم الرُكاما

(قال) فلما اخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلًا وسلاحًا. ثم استتبعت سائر قبائل قيس ثم أغارت على ماء يدعى بنات قين يجمع بطونًا من بطون كلب كثيرة واكثر من عليهِ بنو عبد ودّ وبنو عليم بن جناب وعلى قيس يومئذٍ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وطلحة بن قيس بن الاشيم ابن يسار احد بني العسراء. فلما اغاروا نادوا بني عليم: انَّا لا نطلبكم بشيءٍ وانما نطلب بني عبد ودّ بما صنع الدليلان اللذان حملا حميدًا وهما المأمور ورجل آخر اسمهُ ابو ايوب. فقتل من العبديّين تسعة عشر رجلًا. ثم مالوا على العليميّين فقتلوا منهم خمسين رجلًا وساقوا اموالًا. فبلغ الخبر عبد الملك فامهل حتى اذا ولي الحجاج العراق كتب اليه يبعث اليهِ سعيد بن عيينة وحلحل بن قيس معهما نفر من الحرس. فلما قدم بهما عليهِ قذفهما في السجن وقال لكلب: والله لئن قتلتم رجلًا لأهريقنَّ دماءكم. فقدم عليهِ من بني عبد ودّ عياض ومعاوية ابنا ورد ونعمان بن سويد وكان سويد ابوه ابن مالك يومئذٍ أشرف من قُتل يوم بنات قين وكان شيخ بني عبد ودّ. فقال لهُ النعمان: دماءنا يا امير المؤمنين. فقال لهُ عبد الملك: انما قتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني. فقال النعمان: قتل منا والله من لو كان اخًا لابيك لاختير عليك في الخلافة. فغضب عبد الملك غضبًا شديدًا. فقال لهُ معاوية وعياض: يا امير المؤمنين شيخ كبير موتور. فأعرض عنهُ عبد الملك وعرض الدية. وجعل خالد بن يزيد ابن معاوية ومن ولدتهُ كلب يقولون: القتل. ومن كانت امهُ قيسيَّة من بني امية يقولون: لا بل الدية كما فعل بالقوم. حتى ارتفع الكلام بينهم

بالمقصورة . فاخرجهم عبد الملك ودفع صحلة الى بعض بني عبد ودّ ودفع سعيد ابن عيينة الى بعض بني علم . واقبل عليهما عبد الملك فقال : ألم تأتياني تستمديانِي فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فاخفرتما ذمّتي وصنعتما ما صنعتما . فكلمهُ سعيد بكلام يستعطفهُ بهِ ويرقّقهُ . فضرب صحلة صدره وقال : أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده . فغضب عبد الملك وقال : اصبر صحلة . فقال لهُ أَصْبرُ مِن عَوْدٍ بجنبَيهِ جُلَبٌ . فقُتلا وشقّ ذلك على قيس وأعظمه اهل البادية منهم والحاضرة . فقال في ذلك عليّ بن الغدير الغنويّ :

لصحلة القتيل ولابن بدر واهل دمشق الجبسة تبينُ
فبعد اليوم ايام طوالٌ وبعد غود فتنتكم فتونُ
وكل صنيعة رصد ليوم تحلّ بهِ لصاحبها الزبونُ
خليفة امّة قسرت عليه تخمط واستخفّ بمن يدينُ
فقد اتيا حميد ابن المنايا وكل فتًى ستشعبهُ المنونُ

وقالت عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد وقيس :

سمت كلب الى قيس بجمع يهدّ مناكب الأكم الصعابِ
بذي لجب يدقّ الارض حتى تضايق من دعا بهلا وهابِ
نفين الى الجزيرة فلّ قيس الى بقّ بها والى ذبابِ
والفينا هجين بني سليم يفدّي المهر من حبّ الايابِ
فلولا عدوة المهر المفدّى لأُبت وانت منخرق الاهابِ
ونجّاه حثيث الركض منا أُصيلاناً ولون الوجه كابِ
وآض كأنهُ يُطلى بورس وذق هويّ كاسرة عقابِ

حمدت الله اذ ألقى سليماً ... على دهمان صقر بني جنابِ
تركن الروق من فتيات قيس ... أيامى قد يئسن من الخضابِ
فهنَّ اذا ذكرن حميد كلب ... نعقنَ برنّة بعد انتحابِ
متى تذكر فتى كلب حميداً ... ترى القيسيَّ يشرق بالشرابِ

الحرب بين عبد الملك ومصعب بن الزبير

اخبر المدائني قال : لما كان سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك ابن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير الى العراق ومناجزة مصعب . فقال : يا امير المؤمنين قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك . وعامك هذا عام حارد فأرحْ نفسك ورجلك ثم ترى رأيك . فقال : اني أُبادر ثلاثة اشياء . الشام ارض المال بها قليل فاخاف ان ينفد ما عندي . واشراف اهل العراق قد كاتبوني فدعوني الى انفسهم . وثلاثة من اصحاب رسول الله (صلعم) قد كبروا ونفدت أعمارهم وأنا ابادر بهم أُحبُّ ان يحضروا معي . ثم دعا يحيي بن الحكم . وكان يقول : من أراد امراً فليشاور يحيي بن الحكم فاذا أشار عليهِ بامر فليعمل بخلافهِ . فقال : ما ترى في المسير الى العراق . قال : أرى ان ترضى بالشأم وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق فلعن الله العراق . فضحك عبد الملك . ودعا عبد الله بن خالد بن اسيد فشاورهُ . فقال : يا امير المؤمنين قد غزوت مرَّة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزًّا . فأَقِمْ عامك هذا . فقال لمحمد بن مروان : ما ترى . قال : ارجو ان ينصرك الله اقمت ام غزوت فشمّر فانَّ الله ناصرك . فأمر الناس

فاستعدّوا للمسير. فلما أجمع عليهِ قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته: يا أمير المؤمنين وجّه الجنود وأقم فليس الرأي ان يباشر الخليفة الحرب بنفسه. فقال: لو وجهت أهل الشام كلّهم فعلم مصعب اني لست معهم لهلك الجيش كله. ثم تمثل:

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواكبُ

ثم قدم محمد بن مروان ومعهُ عبد الله بن خالد بن اسيد وبشر بن مروان. ونادى مناديه: ان امير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان. وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك فاراد الخروج. فأبى عليهِ أهل البصرة وقالوا: عدوّنا مطلّ علونا. يعنون الخوارج. فارسل اليهم المهلب وهو بالموصل وكان عاملهُ عليها فولّاه قتال الخوارج. وخرج مصعب. فقال بعض الشعراء:

أكلّ عام لك يا جميرا تغزو بنا ولا تفيد خيرا

(قال) وكان مصعب كثيرًا ما يخرج الى باب جميرا يريد الشأم ثم يرجع. فاقبل عبد الملك حتى نزل الاحوفية. ونزل مصعب بمسكن الى جنب أوانا وخندق. ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان. فقدّم عبد الملك محمدًا وبشرًا اخويه كل واحد منهما الى جيش والاميرُ محمدٌ. وقدّم مصعب ابراهيم بن الاشتر. ثم كتب عبد الملك الى اشراف اهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسهِ ويمنّيهم. فاجابوه وشرطوا عليهِ شروطًا وسألوه ولايات. وسألهُ ولاية اصبهان اربعون رجلًا منهم. فقال عبد الملك لمن حضره: ويلكم ما اصبهان هذه تعجبًا ممن يطلبها. وكتب لابراهيم بن الاشتر: لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعتني. فجاء

ابراهيم بالكتاب الى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك ولم يخصني بهذا دون غيري من نظرائي فأعطني فيهم . قال: اصنع ماذا . قال: تدعوهم فتضرب اعناقهم . قال: أقتلهم على ظنٍ ظننته . قال: فأوقرهم حديدًا وابعث بهم الى ارض المدائني حتى ينقضي الحرب . قال: اذًا تمسر قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعب باصحابه . قال: فان لم تفعل فلا تمدّني بهم فانهم كالمومسة تريد كل يوم خليلًا وهم يريدون كل يوم اميرًا . فارسل عبد الملك الى مصعب رجلًا يدعوه الى ان يجعل الامر شورى في الخلافة . فأبى مصعب . فقدّم عبد الملك اخاهُ محمدًا ثم قال: اللهمّ انصر محمدًا اللهمّ انصر اصلحنا وخيرنا لهذه الامّة . (قال) وقدّم مصعب ابراهيم بن الاشتر . فالتقت المقدّمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الاشتر فرسخ . ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد . فتناوشوا فقُتل رجل على مقدمة محمد يقال لهُ فراس وقتل صاحب لواء بشر يقال لهُ اسيد . فارسل محمد الى عبد الملك: انَّ بشرًا قد ضيع لواءه . فصرف عبد الملك الامر كلّهُ الى محمد . وكفّ الناس وتواقفوا . وجعل اصحاب ابن الاشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكفّ أصحابه . فأرسل عبد الملك الى محمد: ناجزهم . فأبى . فأوفد اليهِ رسولًا آخر وشتمهُ . فأمر محمد رجلًا فقال: قفْ خلفي في ناس من اصحابك فلا تدعنَّ احد يأتيني من قبل عبد الملك . وكان قد دبَّر تدبيرًا سديدًا في تأخير المناجزة الى وقت رآهُ . فكره ان يفسد عبدُ الملك تدبيرهُ عليهِ . فوجه اليهِ عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد . فلما رآه ارسلوا الى محمد بن مروان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد . فقال: ردّوه باشدّ ما رددتم من جاء قبله . فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان اصحابه بالحرب وقال: حرّكوهم قليلًا .

فتهايج الناس . ووجه مصعب ابن ابراهيم بن عتــاب بن ورقاء الرياحي يحجز ابراهيم . فقال : قد قلت لهُ لا تمدّني بأحد من اهل العراق فلم يقبل . واقتتلوا. وارسل ابراهيم بن الاشتر الى اصحــابه بحضرة الرسول ليرى خلاف اهل العراق عليــهِ في رأيه ان : لا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف اهل الشأم عنكم . فقالوا : فلمَ لا ننصرف . فانصرفوا وانهزم الناس حتى اتوا مصعبــاً . وصبر ابراهيم بن الاشتر فقاتل حتى قُتل . فلما اصبحوا أمر محمــد بن مروان رجلًا فقال : انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الاشتر . قال : لا اعرف موضع عســكرهم . فقال لهُ ابراهيم بن عديّ الكناني : انطلق فاذا أنت رأيت النخل فاجعلهُ منك موضع سيفك . ثم رجع الى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . وأصبح مصعب فدنا منهُ ودنا محمد بن مروان حتى التقوا . فترك قوم من اصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان . فدنا الى مصعب ثم ناداه : فداك أبي وامي ان القوم خاذلوك ولك الامان . فأبى قبول ذلك . فدعا محمدُ بن مروان ابنهُ عيسى بن مصعب . فقال لهُ ابوه : انظر ما يريد محمد . فدنا . فقــال لهُ : اني لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولابيك الامان . وناشده . فرجع الى ابيــهِ فأخبرهُ . فقال : اني اظنّ القوم سبقونا فان أحببت ان تأتيهم . فقال : والله لا تتحدَّث نساء قريش اني خذلتك ورغبت بنفسي عنك . قال : فتقــدَّم حتى احتسبك . فتقدَّم وتقدَّم ناس معهُ . فقُتل وقُتلوا . وترك اهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعــة . وجاء رجل من اهل الشأم ليحتزّ رأس عيسى فشدّ عليهِ مصعب فقتلهُ . ثم شدّ على الناس فانفرجوا ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج . ثم جعل يقوم عنها ويحمل على اهل الشام فيفرجون عنهُ ثم يرجع ويقعد على المرفقة . حتى فعل ذلك مراراً . وأتاه

عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه الى المبارزة. فقال لهُ: اعزب يا كلب. وشدّ عليهِ مصعب فضربهُ على البيضة فهشمها وجرحه. فرجع عبيد الله فعصب رأسه. وجاء ابن ابي فروة كاتب مصعب فقال: جعلت فداك قد تركك القوم وعندي خيل فاركبها وانجُ بنفسك. فدفع في صدره وقال: ليس اخوك بالعبد. ورجع ابن ظبيان الى مصعب فحمل عليهِ وزرق زائدة بن قدامة مصعباً ونادى: يا لثارات المختار فصرعهُ. وقال عبيد الله لغلام لهُ ذلك. وفي هذا الخبر انهُ لما وضعهُ بين يديه سجد. قال ابن ظبيان: فهممت والله ان اقتلهُ فأكون افتك العرب فقتلت ملكين من قريش في يوم واحد. ثم وجدت نفسي تنازعني الى الحياة فأمسكت. وقال عبيد الله بن قيس الرُقيّات يرثي مصعباً:

انّ الرزية يوم مسكن م والمصيبة والفجيعة
يا ابن الحواريّ الذي لم يعدهُ يوم الوقيعة
غدّت بهِ مضر العراق م وأمكنت منهُ ربيعة
تالله لو كانت لـهُ بالدين يوم الدير شيعة
لوجدتموهُ حين يدلج م لا يعرّس بالمضيعة

وقال ابن قيس يرثي مصعباً:

لقد أورث المصرين خزياً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيمُ
فما قتلت في الله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميمُ
ولكنهُ رام القيام ولم يكن لهـا مضريٌّ يوم ذاك كريمُ

وحدّث المدائني عن عوانة والشرقي بن القطامي عن ابي جناب قال: حدّثني شيخ من اهل مكة قال: فلما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ مصعب

أضربَ عن ذكره اياماً حتى تحدَّث بهِ إماء مكة في الطريق . ثم صعد المنبر فجلس عليهِ مليًّا لا يتكلم . فنظرتُ اليهِ والكآبة على وجههِ وجبينهُ يرشح عرقاً فقلت لآخر الى جنبي : ما لهُ لا يتكلم أتراه يهاب المنطق فواللّه انهُ لخطيب فما تراهُ يهاب . قال : أراه يريد ان يذكر قتل مصعب سيّد العرب وهو يفظع تذكرهِ غير ملوم . فقال : الحمد للّه الذي لهُ الخلق والامر وملك الدنيا والآخرة يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء الّا انهُ لم يذلّ واللّه من كان الحقّ معهُ وان كان مفرداً ضعيفاً . ولم يعزّ من كان الباطل معهُ وان كان في العدّة والعدد والكثرة . ثم قال : انهُ قد اتانا خبر من العراق . بلد الغدر والشقاق . فساءنا وسرّنا . أتانا انّ مصعباً قُتل رحمة اللّه عليهِ ومغفرته . فاما الذي احزننا من ذلك فانّ لفراق الحميم لذعةً يجدها حميمه عند المصيبة . ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين الى جميل الصبر . واما الذي سرّنا منهُ فانّا قد علمنا ان قتلهُ شهادة لهُ وأنهُ عزّ وجل جاعل ذلك لنا ولهُ خيرة ان شاء اللّه تعالى . ان اهل العراق اسلموه وباعوه باقلّ ثمن . لقد قُتِل ابوه وعمهُ وأخوه وكانوا خيار الصالحين . انا واللّه ما نموت حتف انوفنا ما نموت الّا قتلًا قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان واللّه ما قتل منهم رجل في جاهلية ولا اسلام قط . وانما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزال سلطانهُ ولا يبيد ملكهُ . فان تُقبل الدنيا عليَّ لا آخذها اخذ الاشر البطر . وان تدبر عني لا ابكي بكاء الخرف المهتر . ثم نزل .

وقال رجل من بني اسد بن عبد العزّى يرثي مصعباً :

لعمركَ انَّ الموت منا لمولع ... بكل فتى رحب الذراع اريبِ

فان يكُ امسى مصعب نال حتفه ... لقد كان صلب العود غير هيوبِ

جميل المحيَّا يوهن القرن غربه ... وان عضَّهُ دهر فغير رهوبِ
اتاه حمام الموت وسط جنوده ... فطاروا سلالًا واستقى بذنوبِ
ولو صبروا نالوا حِباً وكرامةً ... ولكنهم ولَّوا بغير قلوبِ

(قال) وقال عبد الملك يوماً لجلسائهِ: من اشجع الناس. فأكثروا في هذا المعنى. فقال: أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عاصم وولي العراقين ثم زحف الى الحرب فبذلتُ لهُ الامان والحباء والولاية والعفو عما خلص في يده فأبى قبول ذلك واطرح كل ما كان مشغوفاً بهِ من ماله وأهله وراء ظهره. وأقبل بسيفهِ قرماً يقاتل ما بقي معهُ الّا سبعة نفر حتى قُتل كريماً

وقعة دَوْلاب (*)

اخبر بخبر هذه الحربَ احمد بن العزيز الجوهري انَّ نافع بن الازرق لما تفرَّقت آراء الخوارج ومذاهبهم في اصول مقالتهم اقام بسوق الاهواز واعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككاً في ذلك. فقالت لهُ امرأتهُ: ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيهِ فدع نحلتك ودعوتك. وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم

(*) دولاب قرية من عمل الاهواز بينها وبين الاهواز نحو من اربعة فراسخ وكانت بها حرب بين الازارقة وبين مسلم بن عنبس بن كُرَيْز خليفة عبد الله بن الحرث بن نوفل بن عبد المطلب وذلك في ايام ابن الزبير

وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح : لا تذر على الارض من الكافرين ديّارًا. فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفهُ فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول : ان هولاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم. واذا وطئ بلدًا فعل مثل هذا بهِ الى ان يجيبهُ اهلهُ جميعًا ويدخلوا في ملّتهِ فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج. فعظم امرهُ واشتدَّت شوكتهُ وفشا عمّالهُ في السواد. فارتاع لذلك اهل البصرة ومشوا الى الاحنف بن قيس فشكوا اليهِ امرهم وقالوا لهُ : ليس بيننا وبين القوم الّا ليلتان وسيرتهم كما ترى. فقال لهم الاحنف : ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا بهِ مثل سيرتهم في سوادكم فخذوا في جهاد عدوّكم. وحرَّضهم الاحنف فاجتمع اليهِ عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وسألهُ ان يؤمّر عليهم اميرًا. فاختار لهم مسلم بن عنبس بن كريز بن ربيعة وكان فارسًا شجاعًا دينًا. فأمّرهُ عليهم وشيعهُ. فلما نفذ من جسر البصرة اقبل على الناس وقال : اني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة. واني لأُحارب قومًا ان ظفرت بهم فما وراءهم الّا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنهِ الجهاد فلينهض ومن احبَّ فليرجع. فرجع نفر يسير ومضى الباقون معهُ . فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع بن الازرق فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد. فقُتل في المعركة ابن عبيس وهو على اهل البصرة وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين . وقُتل نافع بن الازرق يومئذٍ ايضًا. فعجب الناس من ذلك. وان الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير وقُتل رئيسا العسكرين والشراة يومئذ ستمائة رجل. فكانت الحدَّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعًا بين تميم وبني سدوس

وأُتي بابن عبيس وهو يجود بنفسهِ فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغُدَاني وكان يقال لهُ الاجذم كانت يدهُ أُصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة . واستخلف نافع بن الازرق عبيد الله بن بشير بن الماخور احد بني سليط بن يربوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع . فاتّصلت الحرب بينهم عشرين يوماً . قال المدائني في خبرهِ : وادّعى قتل نافع بن الازرق رجل من باهلة يقال لهُ سلامة وتحدّث بعد ذلك قال : كنت لما قتلتهُ على برذون ورد فاذا انا برجل ينادي وانا واقف في خميس بني تميم . فاذا بهِ يعرض عليَّ المبارزة . فتغافلت عنه . وجعل يطلبني وانا انتقل من خميس الى خميس وليس يزايلني . فصرت الى رحلي ثم رجعت فدعاني الى المبارزة . فلما أكثر خرجت اليهِ . فاختلفنا ضربتين فضربتهُ فصرعتهُ ونزلت فأخذت رأسهُ وسلبتهُ . فاذا هي امرأتهُ قد رأتني حين قتلت نافعاً فخرجت لتثأر بهِ . قالوا : فلما قُتل نافع وابن عنبس وولي الجيش الى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفاً وعشرين يوماً . ثم اصبح ذات يوم فقال لاصحابهِ : اني مقتول لا محالة . قالوا : وكيف ذلك . قال : اني رأيت البارحة كأنَّ يدي التي أُصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني (١) . فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد فقُتل يومئذٍ . (قال) فلما قُتل الربيع تدافع اهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس . ثم أجمعوا الى الحجاج بن باب الحميري وقد اقتتل الناس يومئذٍ وقبلهُ بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلهُ تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد

---

(١) استشلاه اخذهُ اليهِ . يقال : استشلاه واشتلاه

حتى لم يبقَ لاحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئًا من الاعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالافواه. فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع مِن اخذها. فقال لهُ كريب بن عبد الرحمن: خذها فانها مكرمة. فقال: انها لراية مشؤومة ما اخذها احد الّا قُتل. فقال كريب: يا اعور تقارعت العرب على امرها ثم صيروها اليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فان حضر اجلك قُتلت ان كانت معك او لم تكن. فاخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج اقوى عدّة بالدروع والجواشن. وجعل الحجاج يغمض عينيهِ ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظنّ انهُ قد قُتل. ثم يرفع رأسهُ وسيفهُ يقطر دمًا ويفتح عينيهِ فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية. ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسي فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قَتل صاحبه. وجال الناس بينهما جولة. ثم تحاجزوا واصبح اهل البصرة وقد هرب عامتهم وولّوا حارثة ابن بدر الغداني أمرهم وليس لهم طرف الّا بالخوارج. فقالت امرأة من الشراة وهي ام عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيلهُ ترثي ابنها عمران:

الله أيّد عمرانًا وطهّرهُ ... وكان عمران يدعو الله في السحرِ
يدعوهُ سرًّا واعلانًا ليرزقهُ ... شهادة بيدي ملحادة غدر
ولّى صحابتهُ عن حرّ ملحمةٍ ... وشدّ عمران كالضرغامة الذكرَ

(قال) فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرئاسة وسلموا اليهِ الراية نادى فيهم بان يثبتوا. فاذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة.

فندب النــاس فالتقوا وليس باحد منهم طرف وقد فشت فيهم الجراحات فلهم انين وما تطأ الخيل الّا على القتلى . فبينا هم كذلك اذ اقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثر انهم مائتان والمقلل انّهم اربعون . فاجتمعوا وهم مريحون مع اصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين . فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته وانهزم وقال :

كرنبوا (١) ودوّلبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وتتابع النــاس على اثره منهزمين . وتبعتهم الخوارج فالقوا انفسهم في دُجَيل فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم . ولحقت قطعة من الشراة خيل عبــد القيس فاكبُّوا عليهم . فعطفت خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى اصحابهم . وعبرت بقية الناس فصــار حارثة ومن معهُ بنهر تيرا والشراة بالاهواز . فاقاموا ثلاثة ايام وكان على الازد يومئذٍ قبيصــة بن ابي صفرة اخو المهلب وهو جدّ هزامرد . (قال) وغرق يومئذٍ من الازد عدد كثير . فقال شاعر الازارقة :

يرى من جاء ينظر من دجيل شيوخ الازد طافية لحاهــا

قال شاعر آخر منهم :

شمت ابن بدر والحوادث جمّةٌ والظالمون بنــافع بن الازرقِ
والموت حتم لا محــالة واقع من لا يصبحهُ نهارًا يطرقِ
فلئن امير المؤمنــين إصابهُ ريب المنون فمن تصبــهُ يغلقِ

قال قطري بن الفجاءة فيما ذكر المبرّد :

لعمرك اني في الحيــاة لزاهدٌ وفي العيش ما لم الق امَّ حكيمِ

(١) وكَرْنَبا موضع بالاهواز ايضاً

لعمرك اني يوم أَلطم وجهها على نائبات الدهر غير حليمِ
ولو شهدتني يوم دولاب ابصرت طعان فتًى في الحرب غير لئيمِ
غداة طفت غلمان بكر بن وائل وآلافها من حمير وسليمِ
ومال الحجازيون نحو بلادهم وعجنا صدور الخيل نحو تميمِ
وكان لعبد القيس اوَّل جدّها وولت شيوخ الازد فهي تعومُ
فلم أَرَ يوماً كان اكثر مقعصاً يمجُّ دماً من فائظٍ وكليمِ
وضاربةٍ خدًّا كريمًا على فتًى أَغرَّ نجيب الامّهات كريمِ
أصبت بدولابٍ ولم يك موطناً لهُ ارض دولاب ودير حميمِ
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفَّار كل حريمِ
رأت فتيةً باعوا الالهَ نفوسَهم بجنَّات عدنٍ عنـدهُ ونعيمِ

الوليد بن يزيد

كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أُميَّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم واشدَّائهم. وكان فاسقًا خليعًا متهمًا في دينهِ مرميًا بالزندقة. وشاع ذلك من أمره وظهر حتى انكرهُ الناس فقُتل. ولهُ اشعار كثيرة تدلّ على خبثهِ وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنهُ وينكره ويقول انهُ نُحِلهُ وأُلصق اليه. والاغلب الاشهر غير ذلك

اخبر احمد بن الحرث الخرَّاز انَّ يزيد بن عبد الملك لما وجَّه الجيوش الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد لهُ على اهل دمشق قال لهُ العباس: يا امير

المؤمنين ان اهل العراق اهل غدر وارجاف وقد وجهتنا محاربين والاحداث تحدث ولا آمن ان يرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفتّ ذلك في اعضاد أهل الشأم فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد. قال: غداً. وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى يزيد فقال: يا امير المؤمنين ايّما أحبّ اليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد. فقال: بل ولد عبد الملك. قال: أفأخوك احقّ بالخلافة أم ابن اخيك. قال: اذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي. قال: فأبنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام. (قال) والوليد يومئذٍ ابن احدى عشرة سنة. قال: غداً ابايع له. فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام واخذ العهد عليه ان لا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه. فلما أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر اليه ويقول: الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك. وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنهُ الوليد ابن خمس عشرة سنة. (قال) فلم يزل الوليد مكرّماً عند هشام رفيع المنزلة مدّة. ثم طمع في خلعهِ وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكهُ وادمانهُ على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد بهِ. وولّاهُ الحجّ ليظهر ذلك منهُ بالحرمين فيسقط. فلما حجّ طالبهُ هشام بان يخلع نفسهُ. فأبى ذلك. فحرمهُ العطاء وحرم سائر مواليهِ وانسباءهُ وجفاه جفاء شديداً. فخرج متبدياً وخرج معهُ عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدّباً وكان يُرمى بالزندقة. ودعا هشام الناس الى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام. وكان مسلمة يكنى أبا شاكر كني بذلك لمولًى كان لمروان يكنى أبا شاكر كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونهُ ويتبركون بهِ. فأجابهُ الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام قوم من خاصة هشام. وكتب الى الوليد: ما تدع شيئاً من المنكر الّا أتيتهُ وارتكبتهُ

غير متحاشٍ ولا مستتر فليت شعري ما دينك أعلى الاسلام أنت أم لا .
فكتب اليهِ الوليد بن يزيد (ويقال : بل قال لهُ ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى ونحلهُ اياه) :

يا أيها السائل عن ديننا　　نحن على دين أبي شاكرِ
نشربها صرفاً وممزوجةً　　بالسخن احياناً وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال : يعيرني بك الوليد وانا ارشحك للخلافة . فالزمِ الادب واحضر الصلوات . وولّاهُ الموسم سنة سبع عشرة ومائة . فاظهر النسك وقسم بمكة والمدينة اموالاً . فقال رجل من موالي أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا　　نحن على دين أبي شاكرِ
الواهب البزل بارسانها　　ليس بزنديق ولا كافرِ

قال المدائني : وبلغ خالداً القسريّ ما عزم عليهِ هشام فقال : أنا بريء من خليفة يُكنى أبا شاكر . فبلغت هشاماً عنهُ هذه فكان ذلك سبب ايقاعهِ بهِ

أخبر سيّار قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكرهِ يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطتهِ اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجرُّ مطرف خزّ عليهِ . فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ان عقبى من بقي لحوق مَن مضى . وقد اقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى . واختلّ الثغر فوهى . وعلى اثر مَن سلف يمضي مَن خلف . فتزوّدوا فانَّ خير الزاد التقوى . فأعرض عنهُ هشام ولم يردّ جواباً . ووجم النـاس فما همس احد بشيء . (قال) فمضى الوليد وهو يقول :

أهيَنَمةٌ حديث القوم أم هم — سكوت بعد ما متع النهارُ
عُزَيْز كان بينهمُ نبيًّا — فقول القوم وحي لا يحارُ
كأنّا بعد مسلمة المرجى — شُروب طوّحت بهم عقارُ
أو الأُلاف هجان في قيود — تلفّت كلما حنت ظؤارُ
فليتك لم تمت وفداك قومٌ — تريح غبيّهم عنها الديارُ
سقيم الصدر أو شكس نكيد — وآخر لا يزور ولا يزارُ (١)

قال الزبير: وحدثني محمد بن الضحاك عن ابيه قال: أراد هشام ان يخلع الوليد ويجعل العهد لولده. فقال الوليد:

كفرت يدًا من منعم لو شكرتها — جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنِّ
رأيتك تبني جاهدًا في قطيعتي — ولو كنت ذا حزم لهدّمت ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينة — فيا ويحهم ان متّ من شرّ ما تجني
كأني بهم يومًا وأكثر قولهم — أيا ليت انّا حين يا ليت لا تغني

وأخبر المدائني قال: عتب هشام على الوليد وخاصته. فخرج الوليد ومعهُ قوم من خاصته ومواليه فنزل بالابرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال لهُ الاغدف. وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبهُ بما يحدث. وأخرج معهُ عبد الصمد بن عبد الاعلى. فشربوا يومًا فقال لهُ الوليد: يا أبا وهب قلْ أبياتًا نغني فيها. فقال ابياتًا وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي:

---

(١) يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد. ويعني بالشكس هشامًا. والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد

أَلَم تَرَ للنجم اذ سبعا　يبادر في برجهِ المرجعا
تحير عن قصد مجراتهِ　أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنهُ　وقد لاح اذ لاح لي مطمعا
لعلّ الوليد دنا ملكهُ　فأمسى اليهِ قد استجمعا
وكنا نؤمّل في ملكهِ　كتأميل ذي الجدب ان يمرعا
عقدنا لهُ محكمات الامور　طوعاً وكان لها موضعا

فرُوي هذا الشعر وبلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجري عليهِ وعلى أصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد: قد بلغني انك اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك . ولن أبرّئك من سوء . فأخرج عبد الصمد مذموماً . (قال) فأخرجهُ وقال:

لقد قذفوا أبا وهب بأمرٍ　كبير بل يزيدُ على الكبيرِ
وأشهد انهم كذبوا عليه　شهادة عالم بهم خبيرِ

فكتب الوليد الى هشام بانهُ قد أخرج عبد الصمد . واعتذر اليهِ من منادمتهِ وسألهُ ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليهِ وكان من خاصة الوليد . فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره . وكان ابن سهيل من اهل النباهة وقد ولي الولايات ولي دمشق مراراً وولي غيرها . وأخذ عياضَ بن مسلم كاتب الوليد فضربهُ ضرباً مبرّحاً وألبسهُ المسوح وقيّده وحبسه . فغمّ ذلك الوليد فقال: من يثق بالناس ومن يصنع المعروف . هذا الاحول المشؤوم قدّمهُ أبي على ولده وأهل بيته وولّاه وهو يصنع بي ما ترون ولا يعلم ان لي في أحد هوًى الّا أضرّ بهِ كتب اليَّ بان أخرج عبد الصمد فأخرجتهُ وكتبت اليهِ في ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليَّ فضربه وطرده . وقد علم رأيي فيهِ

وعرف مكان عياض مني وانقطاعهُ اليَّ فضربهُ وحبسهُ يضارّني بذلك.
اللهمَّ أجرني منهُ. ثم قال الوليد:

انا النذير لمسدي نعمة ابدًا … الى المقاريف لما يخبر الدخلا
ان أنت اكرمتهم الفيتهم بطروا … وان اهنتهمُ الفيتهم ذللا
اتشمخون ومنَّا رأس نعمتكم … ستعلمون اذا ابصرتمُ الدولا
انظر فان انت لم تقدر على مثل … لهم سوى الكلب فاضربهُ لهم مثلا
بينا يسمّنهُ للصيد صاحبهُ … حتى اذا ما استوى من بعد ما هزلا
عدا عليهِ فلم تضرره عدوتهُ … ولو أطاق لهُ أكلًا لقد اكلا

وقال الوليد ايضًا يفتخر على هشام:

انا الوليد ابو العباس قد علمت … عليا معدٍّ مدى كرّي واقدامي
اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا … مقابل بين اخوالي وأعمامي
بنى ليَ المجد بانٍ لم يكن وكلًا … على منار مضيئات واعلامِ
حللت من جوهر الاعياص قد علموا … في باذخ مشمخرّ العزّ قمقامِ
صعب المرام يسامي النجم مطلعهُ … يسمو الى فرع طود شامخ سامي

(قال) وبعث الوليد بن يزيد الى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قولهُ:

أنا الوليد ابو العباس قد علمتْ … عليا معدٍّ مدى كرّي واقدامي

فقال هشام: والله ما علمتْ معدّ لهُ كرًّا ولا اقدامًا الّا انهُ شرب مرّة مع عمّهِ بكار بن عبد الملك فعربد عليهِ وعلى جواريه. فان كان يعني بذلك كرّه واقدامه فعسى

حدَّث المنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد الى هشام قال:

بلغني ما أحدث امير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو من محا من اصحابي وانهُ حرمني وأهلي ولم أكن اخاف ان يبتلي الله امير المؤمنين بذلك فيَّ ولا ينالني مثلهُ منه. ولم يبلغ استصحابي لابن سهيل ومسئلتي في امره ان يجري عليَّ ما جرى وان كان ابن سهيل على ما ذكره امير المؤمنين فبحسب العَيْر أن يقرب من الذنب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر احد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدَّتهِ ولا صرفه عن مواقعه المحتومة لهُ. فقدر الله يجري على ما قدره فيما أحبّ الناس وكرهوا لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله. والناس بعد ذلك يحتسبون الاوزار ويقترفون الآثام على انفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليهِ. وأمير المؤمنين احقّ في ذلك والحفظ لهُ . والله يوفق امير المؤمنين لطاعتهِ ويحسن القضاء لهُ في الامور بقدرته. وكتب اليهِ الوليد في آخر كتابهِ:

اليس عظيماً ان أرى كل واردٍ حياضك يوماً صادرًا بالنوافلِ
فأرجع محمود الرجاء مصرداً بتحلئةٍ عن ورد تلك المناهلِ
فأصبحت مماَّ كنت آمل منكمُ وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آملٍ
كمقتبض يوماً على عرض هبوة يشدّ عليها كفّهُ بالانامل

فكتب اليهِ هشام: قد فهم امير المؤمنين ما كتبت بهِ من قطع ما قطع وغير ذلك. وامير المؤمنين يستغفر من اجرائهِ ما كان يجري عليك ولا يتخوف على نفسهِ اقتراف المآثم في الذي احدث من قطع ما قطع ومحو من محا من صحابتك لأمرين. اماَّ احدهما فان امير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف اليها ما يجريهِ عليك. واماَّ الآخر فاثبات صحابتك وارزاقهم

دائرة عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك. واميرُ المؤمنين يرجو ان يكفر الله عنهُ ما سلف من اعطائهِ ايَّاك باستئنافهِ قطعهُ عنك. وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليهِ لما جعلهُ الله لذلك اهلًا. وهل زاد ابن سهيل لله ابوك على ان كان زفافًا مغنيًا قد بلغ في السفه غايته. وليس مع ذلك ابن سهيل بشرّ ممن كنت تستصحبهُ في الامور التي ينزه امير المؤمنين نفسهُ عنها ممَّا كنت لعمري اهلًا للتوبيخ فيهِ. وأما ما ذكرتَ ممَّا سببهُ الله لك فانَّ الله قد ابتدأ امير المؤمنين بذلك واصطفاه لهُ والله بالغ أمره ولقد أصبح امير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الَّا انهُ لا يملك لنفسهِ ممَّا أعطاه الله من كرامتهِ ضرًّا ولا نفعًا وان الله ولي ذلك منهُ وانهُ لا بدَّ لهُ من مفارقتهِ وان الله أرأف بعباده وأرحم من ان يولّي امرهم غير من يرتضيه لهم منهم. وانَّ اميرَ المؤمنينَ مع احسن ظنّهِ بربّهِ لعلى احسن الرجاء بان يوليه بسبب ذلك لمن هو اهلهُ في الرضا بهِ لهم فان بلاء الله عند امير المؤمنين اعظم من أن يبلغهُ ذكره أو يوازيه شكره الَّا بعون منهُ. ولئن كان قد قدّر الله لامير المؤمنين وفاة تعجيل فانَّ في الذي هو مفض وصائر اليهِ من كرامة الله لخلفًا من الدنيا. ولعمري ان كتابك لامير المؤمنين بما كتبت بهِ لغير مستنكر من سفهك وحمقك فأبق على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلعك فان لله سطوات وغيرًا يصيب بها من يشاء من عباده. واميرُ المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحبّ الامور اليهِ وارضاها لهُ. وكتب في اسفل الكتاب:

اذا انت سامحت الهوى قادكَ الهوى الى بعض ما فيـــهِ عليك مقـالُ

والسلام

أخبر أبو الزبير المنذر بن عمر وكان كاتباً للوليد بن يزيد قال: أرسل اليَّ الوليد صبيحة اليوم الذي أتتهُ فيهِ الخلافة فأتيتهُ. فقال لي: يا ابا الزبير ما أتت عليَّ ليلة اطول من هذه الليلة عرضتني امور وحدَّثت نفسي فيها بامور. وهذا الرجل قد اولع بي فاركب بنا نتنفس. فركب وسرت معهُ . فسار ميلين ووقف على تلّ فجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج قد أقبل. قال عمر بن شبة في حديثه: وسمع قعقعة البريد فتعوَّذ بالله من شرّ هشام وقال: انَّ هذا البريد قد أقبل بموت وحيّ أو بملك عاجل. فقلت: لا يسوءك الله ايها الامير بل يسرُّك ويبقيك. اذ بدا رجلان على البريد يقبلان احدهما مولى لآل ابي سفيان بن حرب. فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا فسلّما عليـهِ بالخلافة. فوجم. وجعلا يكرّران عليهِ التسليم بالخلافة. فقال: ويحكم ما الخبر أمات هشام. قالا: نعم. قال: فرحباً بكما. ما معكما. قالا: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن. فقرأ الكتاب. وانصرفنا. وسأل عن عياض بن مسلم كاتبـهِ الذي كان هشام ضربهُ وحبسهُ. فقالا: يا امير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام امر الله. فلما صار الى حال لا ترجى الحياة لمثله معها ارسل عياض الى الخزَّان: احتفظوا ما في ايديكم فلا يصلنَّ احد الى شيء. وأفاق هشـام افاقة فطلب شيئاً فمُنِعهُ. فقال: أرانا كنَّا خزاناً للوليد. وقضى من ساعتـه. فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشــام فختم الابواب والخزائن وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم ان يكفنوه من الخزائن فكفنهُ غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقماً حتى استعاروه. وأمر الوليد باخذ ابني هشام بن اسمعيل

المخزومي. فأخذا بعد ان عاذ ابراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك. فقال الوليد: ما أراه الّا قد نجا. فقال لهُ يحيي بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله: ان الله لم يجعل قبر ابيك معاذًا للظالمين فخذه بردّ ما في يده من مال الله. فقال: صدقتَ. وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر وكتب اليهِ ان يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا. ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد ان أُقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منهُ المظالم. وقال عمر بن شبة في خبره: انهُ لما نعي لهُ هشام قال: والله لأتلقينّ هذه النعمة بسكرة قبل الظهر. ثم أنشأ يقول:

طاب يومي ولذّ شرب السلافهْ اذ اتاني نعيُ من بالرصافهْ
واتانا البريد ينعى هشاماً وأتانا بخاتمٍ للخلافهْ
فاصطبحنا من خمر عانةَ صرفاً ولهونا بقينة عزّافهْ

ثم حلف ان لا يبرح موضعه حتى يُغنّى في هذا الشعر ويشرب عليهِ. فتُغنّي لهُ فيهِ وشرب وسكر. ثم دخل فبويع لهُ بالخلافة. (قال) وسمع صياحاً فسأل عنهُ. فقيل لهُ: هذا من دار هشام يبكيه بناتهُ. فقال:

اني سمعت بليلٍ ورا المصلّى برنّهْ
اذا بنات هشامٍ يندبنَ والدهُنّهْ
يندبنَ قرماً جليلًا قد كان يعضدهُنّهْ

وللوليد اشعار جياد. فمنها وهو ما برّز فيهِ وجوّدهُ وتبعهُ الناس جميعاً فيهِ وأخذوه منهُ قولهُ في صفة الخمر لنشدنيه لحسن بن عليّ. (قال) وكان ابو غسّان يكاد يرقص اذا انشدها:

اصدع نجيّ الهموم بالطربِ   وانعم على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارتـهِ   لا تقفُ منهُ آثار معتقبِ
من قهوة زانهـا تقادمهـا   فهي عجوز تعلو على الحقبِ
فقد تجلّت ورقّ جوهرهـا   حتى تبدت في منظر عجبِ
فهي بغير المزاج من شررٍ   وهي لدى المزج سائل الذهبِ
كأنها في زجاجهـا قبسٌ   تذكو ضياء في عين مرتقبِ
في فتية من بني أُميّـة أهل م   المجـد والمأثرات والحسـبِ
ما في الورى مثلهم ولا بهم   مثـلي ولا منتمٍ لمثل ابي

قال المدائني في خبره: وقال الوليد حين اتاه نعي هشام:

طال ليلي فبتُّ أُسقى المداما   اذ اتاني البريد ينعى هشـاما
وأتاني بحلّةٍ وقضيـبٍ   واتاني بخاتم ثمَّ قامـا
فجعلت الوليّ من بعد فقدي   يفضل الناس ناشئـاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قرم قريشٍ   خـير قرم وخيرهم اعمامـا

ومن نادر شعره قولهُ لهشام:

فان تكُ قد مللت القرب مني   فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك ان بقينا   وتبلو الناس والاحوال بعدي
فتندم في الذي فرَّطت فيـهِ   اذا قايست في ذمي وحمدي

وحدَّث ابن عياش قال: دخل ابن الاقرع على الوليد بن يزيد. فقال لـهُ: انشدني قولك في الخمر. فأنشده قوله:

كميت اذا شجت وفي الكأس وردة   لهـا في عظـام الشاربين دبيبُ
تريك القذى من دونها وهي دونهُ   لوجه اخيهـا في الاناء قطوبُ

فقال الوليد : شربتها يا ابن الاقرع وربِّ الكعبة . فقال : يا امير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها :

وأخبر العتبيّ . قال: لما ظهرت المسودَّة بخراسان كتب نصر بن سيَّار الى الوليد يستمدهُ . فتشاغل عنهُ . فكتب اليهِ كتابًا وكتب في أسفله يقول :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ جمرٍ وأحرِ بان يكون لها ضرامُ
فانَّ النار بالعودَين تُذكى وانَّ الحرب مبدؤُها الكلامُ
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ أُميةُ أم نيامُ

فكتب اليهِ الوليد: قد اقطعتك خراسان فاعمل لنفسك او دع فاني مشغول بابن سريج ومعبد والغريض

حدث العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقًا . وكان رجل من كلب يقولَ بمقالتهِ مقالة الثنويَّة . فدخلت على الوليد يومًا وذاك الكلبيّ عنده . واذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنهُ فاذا ما يبدو لي حرير اخضر . فقال : ادنُ يا علاء . فدنوت . فرفع الحريرة فاذا في السفط صورة انسان واذا الزئبق والنوشادر قد جعلا في جفنه يطرف كأنهُ يتحرك . فقال : يا علاء هذا ماني لم يبتعث الله نبيًّا قبلهُ ولا يبتعث نبيا بعده . فقلت : يا امير المؤمنين اتّقِ الله ولا يغرَّنك هذا الذي ترى عن دينك . فقال لهُ الكلبيّ : يا امير المؤمنين ألم اقل لك ان العلاء لا يحتمل هذا الحديث . (قال العلاء) ومكثت اياماً . ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يشرف بهِ والكلبيّ عنده اذ نزل من عنده وقد كان الوليد حملهُ على برذون هملاج اشقر من افره ما سخر . فخرج على برذونه ذلك فمضى بهِ في الصحراء حتى غاب عن

العسكر . فما شعر الّا واعراب قد جاءوا بهِ يحملونهُ منفسخة عنقه ميتاً وبرذونهُ يقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك فخرجت متعمداً حتى أتيت اولئك الاعراب وقد كانت لهم ابيات بالقرب منهُ في ارض البجراء لا حجر فيها ولا مدر . فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل . قالوا : أقبل علينا على برذون فوالله لكأنهُ دهن يسيل على صفاة من فراهتهِ فعجبنا لذلك . اذ انقضَّ رجل من السماء عليهِ ثياب بيض فأخذ بضبعَيهِ فاحتملهُ ثم نكسهُ وضرب برأسهِ الارض فدقَّ عنقه ثم غاب عن عيوننا . فاحتملناه فجئنا بهِ

أخبر يحيي بن سليم قال : عاد الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف . فلما فتحهُ وافق ورقة فيها : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائهِ جهنم ويسقى من ماء صديد . فقال : أسجعاً سجعاً . علقوه . ثم اخذ القوس والنبل فرماه حتى مزَّقهُ . ثم قال :

أتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيدُ
اذا لاقيت ربَّك يوم حشرٍ فقل لله مزَّقني الوليدُ

(قال) فما لبث بعد ذلك الّا يسيرًا حتى قُتل

اخبر المدائني قال : لما اكثر الوليد بن يزيد التهتُّك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وافرط في امره وغيِهِ ملَّ الناس ايامهُ وكرهوه . وكان عقد لابنيهِ بعده ولم يكونا بلغا . فمشى الناس بعضهم الى بعض في خلعه . وكان اقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فمشى الى اخيهِ العباس وكان امرءَ صدقٍ ولم يكن في بني اميَّة مثلهُ كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز . فشكا اليهِ ما يجري على الناس من الوليد . فقال لهُ : يا أخي ان الناس قد ملّوا بني مروان وان مشى بعضكم

في اثر بعض أكلتم. ولله اجلٌ لا بدّ ان يبلغهُ فانتظره. فخرج من عنده ومشى الى غيره. فبايعهُ جماعة من اليمانية الوجوه. فعاد الى اخيهِ ومعهُ مولًى لهُ واعاد عليهِ القول وعرض لهُ بانهُ قد دعى الى الخلافة. فقال لهُ: واللّٰه لولا اني لا آمنهُ عليك من تحامله لوجهت بك اليهِ مشدودًا. فنشدتك اللّٰه ان لا تسعى في شيءٍ من هذا

وأخبر جويرية بن اسماء قال: دخل ابي بشر بن الوليد على عمي العباس ابن الوليد وأنا معهُ. فجعل يكلّم عمي في ان يخلع الوليد بن يزيد ومعهُ عمي يزيد بن الوليد. فكان العباس ينهاه وأبي يردّ عليهِ. فكنت افرح وأقول في نفسي: أرى ابي يجترئ ان يكلم عمي ويردّ عليهِ. فقال العباس: يا بَني مروان اظنّ ان اللّٰه قد اذن في هلاككم. ثم قال العباس:

انّي اعيذكمُ باللّٰه من فتنٍ ... مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ

ان البريّة قد ملّت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحمُنّ ذئاب الناس انفسكم ... ان الذئاب اذا ما أُلحمت رتعوا

لا تبقرُنّ بايديكم بطونكمُ ... فثمّ لا فدية تغني ولا جزعُ

فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس الى نفسه. وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشي بعضهم الى بعض في خلعه:

سلّ همّ النفس عنها ... بعلنداتٍ علاتِ

تتقي الارض وتهوي ... بخفاف مدمجاتِ

ذاك ام ما بال قومي ... كسروا سنّ قناتي

واستخفّوا بي وصاروا ... كقرود خاسئاتِ

وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد:

اصبح اليوم وليد   هائماً بالفتيات
عنده راح وابريـ   ـق وكأس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل   ورماةً لرماة

قال المدائني عن رجاله: فلما استجمع ليزيد امره وهو متبدٍ أقبل الى دمشق وبين مكانه الذي كان متبدّياً فيهِ وبين دمشق اربع ليالٍ. فأقبل الى دمشق متنكراً في سبعة انفسٍ على حمر وقد بايع لهُ اكثر اهل دمشق وبايع لهُ اكثر اهل المزّة. فقال مولى لعباد بن زياد: اني لبجرود (وبين جرود ودمشق مرحلة) اذ طلع علينا سبعة معتمّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم. فرمى بنفسهِ ونام. فألقوا عليهِ ثوباً وقالوا لي: هل عندك شيء نشتريه من طعام. فقلت: أمّا بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم. فقالوا. فعجّلهُ. فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت: أيقظوا صاحبكم للغداء فقالوا: هو محموم لا يأكل. فسفروا للغدا. فعرفت بعضهم. وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفتهُ. فلم يكلمني. ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من اصحابه مشاة الى معاوية بن مصاد وهو بالمزّة وبينها وبين دمشق ميل. فأصابهم مطر شديد. فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا: يزيد بن الوليد. فقال لهُ معاوية الفراش: ادخل أصلحك الله. قال: في رجلي طين واكره ان أُفسد عليك بساطك. فقال: ما تريد بي أفسد عليهِ. فمشى على البساط وجلس على الفراش. ثم كلّم معاوية فبايعهُ. وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الخشني مستخفياً وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف. فخاف عبد الملك الوباء فخرج فنزل قَطَنا واستخلف ابنهُ على دمشق وعلى شرطتهِ أبو العاج كثير بن عبد

الله السلمي . وتمّ ليزيد أمره فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : انّ يزيد خارج . فلم يصدق . وأرسل يزيد الى اصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة . فكمنوا في ميضأة عند باب الفراديس حتى اذا اذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا . وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الابواب ودخل من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج . فلما صلّى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا . وتباطأ أصحاب يزيد الناقص . فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبقَ في المسجد الّا الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس . ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قم يا امير المؤمنين وابشر بعون الله ونصره . فأقبل واقبلنا ونحن اثنا عشر رجلًا . فلما كنّا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من اصحابهم . فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة وقالوا : نحن رسل الوليد . ففتح لهم خادم الباب ودخلوا فأخذوا الخادم واذا ابو العاج سكران . فأخذوه وأخذوا خزّان البيت وصاحب البريد . وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذهُ . وارسل من ليلتهِ الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما . وبعث اصحابهُ الى الخشبية فأتوه . وقال للبوابين : لا تفتحوا الابواب غدوة الّا لمن اخبركم بشعار كذا وكذا (قال) فتركوا الابواب في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدم بهِ سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن للخزّان قبضوه . فأصابوا سلاحًا كثيرًا فاخذوه وأصبحوا . وجاء اهل المزّة مع حريث بن ابي الجهم . فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة :

اذا استنزلوا عنهنّ للطعن أرقلوا ‏ الى الموت ارقال الجمال المصاعبِ

فجعل اصحـابه يتعجبون ويقولون : انظروا الى هذا كان قبيل يسبح وهو الآن ينشد الشعر . (قال) وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ابن مروان فوقف بباب الجابية فنادى : ألا كلُّ مَن كان لهُ عطاء فلهُ اربعون دينارًا في العطاء ومعونة الف درهم . فبايع لهُ الناس وامر بالعطاء . (قال) وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز وقال : من انتدب معهُ فلهُ الفان . فانتدب الفا رجل . فأعطاهم وقال : موعدكم دنية . فوافى دنية الف ومائتا رجل . فقال : ميعادكم مصنعة بالبرية وهي لبني عبـد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل . فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسان . فاقبلوا فنزلوا قريبًا من الوليد . فقال الوليـد : أخرجوا الي سريرًا . فاخرجوه فصعد عليهِ . واتاه خبر العبـاس بن الوليد : اني اجيئك . واتى الوليد بفرسين الزابد والسندي وقال : أعليّ يتواثب الرجال وأنا أثِب على الاسد واعضُّ الافاعي . وهم ينتظرون العباس ان يأتيهم ولم يكن بينهم كبـير قتال . فقُتل يزيد بن عثمان الخشبي وكان من اولاد الخشبيـة الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج ان العباس بن الوليـد يأتي الوليد فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال : انكم تلقون العباس بن الوليد ومعهُ بنوه في الشعب فخذوه . وخرج منصور في ذلك الخيل وتقدموا الى الشعب واذا العباس ومعهُ بنوه قد تقدموا اصحابه . فقال لهُ : اعدل الى عبد العزيز . فشتمهم . فقال لهُ منصور : والله لئن تقدّمت لانفذنّ حضنيك بالرمح . فقال : انّا لله . فاقبلوا بهِ يسوقونهُ الى عبد العزيز . فقال لهُ عبـد العزيز : بايع ليزيد . فبايع ووقف ونصب راية . وقالوا : هذا العباس قد بايع . ونادى منادي عبـد

العزيز : من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن . فقال العباس : انّا لله . خدعة من خدع الشيطان . هلك والله بنو مروان . فتفرّق الناس عن الوليد وأتوا العباس . وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فلهُ خمسمائة درهم . فجاء جماعة بعدّة رؤوس . فقال : اكتبوا اسماءهم . فقال لهُ رجل من مواليه : ليس هذا يا امير المؤمنين يوماً يعامل فيهِ بالنسيئة . وناداهم رجال : اقتلوا اللوطيّ قتلة قوم لوط . فرموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال :

دعوا لي سليمى والطلاء وقينة ... وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
خذوا ملككم لا ثبّت الله ملككم ... ثباتاً يساوي ما حييت عقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى ... ولا تحسدوني ان اموت هزالا

ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي غنني بهذا الشعر . وقد أحاط الجند بالقصر . فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما فيكم رجل شريف لهُ حسب وحياء اكلمهُ . فقال لهُ يزيد بن عنبسة السكسكي : كلمني . فقال لهُ الوليد : يا أخا السكاسك ما تنقمون مني . الم ازد في اعطياتكم واعطية فقرائكم . وأخدمت زمناكم ودفعت عنكم المؤن . فقال : ما ننقم عليك في انفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك ما حرّم الله وشرب الخمور واستخفافك بأمر الله . قال : حسبك يا اخا السكاسك فلعمري لقد اغرقت فاكثرت وانّ فيما احلّ الله لسعة فيما ذكرت . ورجع الى الدار فجلس واخذ المصحف وقال : يوم كيوم عثمان . ونشر المصحف يقرأ . فعلوا الحائط . فكان اول من علا الحائط يزيد بن عنبسة فنزل وسيف الوليد الى جنبهِ . فقال لهُ يزيد : نحّ سيفك . فقال الوليد : لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه . فأخذ بيده وهو يريد ان

يدخلهُ بيننا ويؤامر فيهِ . فقتل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسريّ بن زياد بن ابي كبشة . فضربهُ عبد الرحمن السلمي على رأسهِ ضربة وضربهُ السري على وجههِ وجرّوه بين خمسة ليخرجوه . فصاحت امرأة كانت معهُ في الدار فكفوا عنهُ فلم يخرجوه . واحتزَّ رأسه ابو علاقة القضاعي وخاط الضربة التي في وجههِ بالعقب . وقدم بالرأس على يزيد قدم بهِ روح بن مقبل وقال : ابشر يا امير المؤمنين بقتل الفاسق . فاستتمَّ الامر لهُ

قال عمر الوادي : كنت اغني الوليد اقول :

كذبتكَ نفسك ام رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا

قال: فما اتممتُ الصوت حتى رأيت رأسهُ قد فارق بدنهُ ورأيتهُ يُشحط في دمهِ . (قالوا) وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده فتغيبا . فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء . ودخل عليهما يزيد الافقم بن هشام فجعل يشتم اباهما الوليد وكان قد ضربهُ وحلقهُ . فبكى الحكم . فقال عثمان اخوه : اسكت يا اخي . وأقبل على يزيد فقال : اتشتم ابي . قال : نعم . قال : لكني لا اشتم عمّي هشاماً . ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ احدًا منهم فانظر الى وجهك فان كنت رأيت حكمياً يشبهك او لهُ مثل وجهك فانت منهم . لا والله ما في الارض حكميّ يشبهك

ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره

خروج عبد الله بن يحيى وابي حمزة المختار ومقتلهما

اخبر بذلك الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدَّثنا احمد بن الحرث الخرَّاز عن المدائني ان عبد الله بن يحيى الكندي احد بني عمر بن معاوية كان من حضرموت وكان مجتهدًا عابدًا وكان يقول قبل ان يخرج: لقيني رجل فاطال النظر اليَّ وقال: ممن انت. فقلت: من كندة. فقال: من ايّهم. فقلت: من بني شيطان. قال: والله لتملكنَّ ولتبلغنَّ خيلك وادي القرى وذلك بعد ان تذهب احدى عينيك. فذهبتُ اتخوَّف ما قال واستخير الله. فرأيت باليمن جورًا ظاهرًا وعسفًا شديدًا وسيرة في الناس قبيحة. فقال لاصحابه: ما يحلّ لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه. وكتب الى ابي عبيدة ومسلمة بن ابي كريمة الذي يقال لهُ كودين مولى بني تميم وكان ينزل في الازد والى غيره من الاباضيَّة بالبصرة يشاورهم في الخروج. فكتبوا اليه: ان استطعت ان لا تقيم يومًا واحدًا فافعل. فانّ المبادرة بالعمل الصالح افضل. ولست تدري متى يأتي عليك اجلك. ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ويخصّ بالشهادة منهم من يشاء.

وشخص اليه ابو حمزة المختار بن عوف الازدي احد بني سليمة وبلج بن عقبة السقوري في رجال من الاباضيَّة فقدموا عليه حضرموت فحثّوه على الخروج وأتوه بكتب اصحابه: اذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم ان الذي اخرجهم على السلطان العيث لاعمالهم. فدعا اصحابه فبايعوه فقصدوا دار الامارة. وعلى حضرموت ابراهيم ابن جبلة بن مخرمة الكندي. فاخذوه فحبسوه يومًا ثم اطلقوه. فأتى صنعاء.

وأقام عبد الله بن يحيي بحضرموت وكثر جمعهُ وسمّوه طالب الحق. فكتب الى من كان من اصحابه بصنعاء : اني قادم عليكم. ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه الى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في الفين. وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان ابن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيي فاستخلف على صنعاء الضحاك ابن زمل وخرج يريد الاباضيَّة في سلاح ظاهر وعدّة وجمع كثير. فعسكر على مسيرة يوم من أَبْيَنَ وخلّف فيها الاثقال وتقدّمت المقاتلة. فلقيه عبد الله بن يحيي بلَحْج قرية من ابين قريباً من الليل. فقال الناس للقاسم: ايها الامير لا تقاتل الخوارج ليلاً. فأبى وقاتلهم. فقتلوا من اصحابه بشرًا كثيرًا وانهزموا ليلاً. فمرّ بعسكره فأمرهم بالرحيل ومضى الى صنعاء. فأقام يوماً. ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء وخندق وخلّف بصنعاء الضحاك بن زمل

فاقبل عبد الله بن يحيي فنزل جُوَيْن على ميلين من عسكر القاسم. فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من اهل الشام واهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا. فرجع يزيد الى القاسم فاستأذنهُ في بياتهم فأبى ان يأذن له. فقال لهُ يزيد: والله ان لم تبيتهم ليغمَّنَّك. فأبى ان يأذن لهُ واقاموا يومين لا يلتقون. فلما كان في الليلة الثالثة اقبل عبد الله بن يحيي فوافاه مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق. فغلبتهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم والقاسم يصلّي. فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقُتل في المعركة. وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض فقاتلهم حتى ارتفع النهار ثم انهزم اهل صنعاء. فاراد ابرهة بن الصباح اتباعهم فمنعهُ عبد الله بن يحيي واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فأخبرهُ الخبر فقال القاسم:

ألا ليت شعري هل اذودنّ بالفتى وبالهندوانيات قبل مماتي
وهل اصبحنّ لحارثين كليهما بطعن وضرب يقطع اللهوات

(قال) ودخل عبد الله بن يحيي صنعاء فاخذ الضحاك بن زمل وابراهيم ابن جبلة بن مخرمة فحبسهما وجمع الخزائن والاموال فاحرزها ثم ارسل الى الضحاك وابراهيم فأرسلهما وقال لهما: حبستكما خوفاً عليكما من العامّة وليس عليكما مكروه فأقيما ان شئتما او اشخصا . فخرجا

(قالوا) واقام عبد الله بن يحيي بصنعاء اشهراً يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ويكفّ عن الناس . فكثر جمعهُ وأتتهُ الشراة من كل جانب . فلما كان وقت الحجّ وجه ابا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وابرهة بن الصباح الى مكة في تسعمائة (وقيل بل في الف ومائة) وأمرهُ ان يقيم بمكة اذا صدر الناس ويوجّه بلجاً الى الشام . وأقبل المختار الى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وامّهُ بنت عبد الله بن خالد بن اسيد . فكره قتالهم

وحدّث بخبر ابي حمزة محمد بن جرير الطبريّ عن العباس بن عيسى العقيلي قال: كان اوّل امر ابي حمزة وهو المختار بن عوف الازديّ ثم السلمي من اهل البصرة انهُ كان يوافي في كل سنة يدعو الى خلاف مروان بن محمد وآل مروان . فلم يزل يختلف كل سنةٍ حتى وافى عبد الله ابن يحيي في آخر سنة وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فقال لهُ: يا رجل اني اسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو الى حقّ فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي . فخرج بهِ حتى ورد حضرموت . فبايعهُ ابو حمزة على الخلافة .
(قال) وقد كان مرّ ابو حمزة بمعدن بني سليم وكثير بن عبد الله عامل

على المعدن فسمع بعض كلامه فأمر به فجلد اربعين سوطاً. فلما ظهر ابو حمزة بمكة تغيب كثير حتى كان من امره ما كان ثم رجع الى موضعه

(قال) فلما كان في العام المقبل عام سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة الّا وقد طلعت اعلام عمائم سود حرقية في رؤوس الرماح وهم سبعمائة. ففزع الناس حين رأوهم وقالوا لهم: ما لكم وما حالكم. فاخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرّي منهم. فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذٍ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم الى الهدنة. فقالوا: نحن بحجّنا اضنّ وعليه اشحّ. فصالحهم على انهم جميعهم آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الاخير. وأصبحوا من غد فوقفوا على حدة بعرفة ودفع عبد الواحد بالناس. فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد: انك قد اخطأت فيهم ولو حملت عليهم الحاجّ ما كانوا الّا اكلة رأس. فنزل ابو حمزة بقرن الثعالب من منى. ونزل عبد الواحد منزل السلطان. فبعث عبد الواحد الى ابي حمزة عبد الله بن حسن بن علي عليهم السلام ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن ابي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري وربيعة بن عبد الرحمن في رجال من امثالهم. فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح ابي حمزة فاخذوهم. فدخل بهم على ابي حمزة فوجدوه جالساً وعليه ازار قطواني قد ربطهُ الحورةَ في قفاه. فلما دنوا تقدَّم اليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو فنسبهما. فلما انتسبا لهُ عبَس في وجوههما وبسر وأظهر الكراهة لهما. ثم تقدَّم اليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما. فلما انتسبا لهُ هشَّ عليهما وتبسم في وجوههما وقال: والله ما خرجنا الّا لنسير بسيرة ابويكما. فقال لهُ عبد الله بن حسن: والله ما جئناك لتفاضل بين آبائنا

ولكن بعثنا اليك الامير برسالة . وهذا ربيعــة يخبركها . فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال بلج وابراهيم وكانا قائدين لهُ : الساعة . فأقبل عليهما ابو حمزة وقال : معاذ الله ان ننقض العهد او نخيس بهِ والله لا افعل ولو قُطعت رقبتي هذه ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننـــا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا فأبلغوا عبــد الواحد . فلما كان النفر الاوّل نفر عبد الواحد وخلّى مكة لابي حمزة . فدخلها بغير قتال

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينــة فدعى بالديوان وضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة . واستعمل عبــد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا . فلما كان بالحرَّة لقيتهم جزر منحورة فمضوا . فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح وتشــاءم الناس بالخروج . ثم ساروا حتى نزلوا قديدًا فنزلوهـــا ليلًا وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم وكانت الحياض هناك . فنزل قوم مغترّون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرُعهم الّا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل . فزعم بعض الناس ان خزاعة دلّت ابا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المقتــلة على قريش وهم كانوا اكثر الناس وبهم كانت الشوكة فأُصيب منهم عدد كثير . قال هرون : فأخبرني بعض اصحابنا ان رجلًا من قريش نظر الى رجل من اهل اليمن يقول : الحمد لله الذي اقرّ عيني بقتل قريش . فقال لهُ ابنهُ : الحمد لله الذي اذلّهم بايدينا . فما كانت قريش تظن ان من نزل على عمان من الازد عربيّ . (قال) وكان هذان الرجلان مع اهل المدينــة . فقال القرشي لابنه : هلمَّ نبدأ بهذين الرجلين . قال : نعم يا أبتِ . فحملا عليهما فقتلاهما . ثم قال لابنــه : أي بُنيّ تقدّم . فقاتلا حتى قُتلا . (قال) ثم ورد

فلال الجيش المدينة وبكى الناس قتلاهم . فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بقتل حميمها فتنصرف حتى ما يبقى عندها امرأة . فأنشدني ابو حمزة هذه الابيات في قتلى قديد الذين أُصيبوا من قومهِ لبعض اصحابهم :

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة على فوارس بالبطحاء انجادِ
عمرو وعمرو وعبد الله بينهما وابناهما خامس والحرث السادِ

قال المدائني في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان الى مروان يعتذر من اخراجه عن مكة . فكتب مروان الى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عاملهُ على المدينة يأمرهُ بتوجيه الجيش الى مكة . فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والانصار والتجار اغبياء لا علم لهم بالحرب . فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو لا يظنون ان للخوارج شوكة ولا يشكُّون انهم في ايديهم . وقال رجل من قريش : لو شاء اهل الطائف لكفونا امر هولاء ولكنهم داهنوا في امر الله تعالى . والله ان ظفرنا لنسيرنَّ الى اهل الطائف فلنسبينَّهم . ثم قال : من يشتري مني سبي اهل الطائف . فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي اهل الطائف في اوَّل المنهزمين فدخل منزلهُ وأراد ان يقول لجاريتهِ : أغلقي الباب . فقال لها : غاق باق . دهشاً . ولم تفهم الجارية قولهُ حتى اومأ اليها بيده فاغلقت الباب . فلقبهُ اهل المدينة بعد ذلك غاق باق . (قال) وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة . فمرَّ بهِ امية ابن عنبسة بن سعيد بن العاصي فرحب بهِ وضحك اليهِ . ومرَّ بهِ حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمهُ ولم يلتفت اليهِ . فقال لهُ عمر بن عبد الله بن مطيع وكان ابن خالتهِ : سبحان الله مرَّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم

تنظر اليهِ ولم تكلمهُ ومرّ بك غلام من بني امية فضحكت اليهِ ولاطفتهُ . أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت ايهما اصبر . (قال) فكان امية بن عنبسة اوّل من انهزم ونكب فرسهُ ومضى وقال لغلامه : يا مجيب اما والله لئن أجزرت نفسي هذه الاكلبَ من الشراة اني لعاجز . وقاتل يومئذٍ حمزة ابن مصعب حتى قُتل وتمثل :

وانّي اذا ضنّ الامير باذنهِ على الأذن من نفسي اذا شئت قادرُ

ولما بلغ حمزة اقبال اهل المدينة اليهِ استخلف على مكة ابراهيم بن الصباح وشخص اليهم وعلى مقدمتهِ بلج بن عقبة . فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها واهل المدينة تزول بقديد قال لاصحابه : انكم لاقو قومكم غدًا وأميرهم فيما بلغني ابن عثمان اوّل من خالف سيرة الخلفاء وبدل سنَّة رسول الله (صلعم) وقد وضح الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ووطّنوا انفسكم على الصبر . وصبحهم غداة الخميس لتسع او لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة . فقال عبد العزيز لغلامه : ابغنا علفًا . قال : هو غالٍ . قال : ويحك البواكي علينا غدًا اغلى . وارسل اليهم ابو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم . فأتاهم في ثلاثين راكبًا فذكرهم الله وسألهم ان يكفوا عنهم وقالوا لهم : خلوا لنا سبيلنا لنسير الى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدّنا بكم فانّا لا نريد قتالكم . فشتمهم اهل المدينة وقالوا : يا اعداء الله أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الارض . فقالت الخوارج : يا اعداء الله أنحن نفسد في الارض انما خرجنا لنكفّ اهل الفساد ونقاتل مَن قاتلنا واستأثر بالفيء . فانظروا لانفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة فانهُ لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا في السلم وعاونوا اهل الحقّ . فقال

له عبد العزيز : ما تقول في عثمان . قال : قد برئ المسلمون منهُ قبلي وأنا متبع آثارهم ومقتدٍ بهم . قال : فارجع الى اصحابك فليس بيننا وبينهم الّا السيف .

فرجع الى ابي حمزة فاخبرهُ . فقال : كفُّوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدأُوكم بالقتال . فواقفوهم ولم يقاتلوهم . فرمى رجل من اهل المدينة في عسكر ابي حمزة بسهم فجرح رجلًا . فقال ابو حمزة : شأنكم الآن فقد حلّ قتالهم . فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع ابراهيم بن عبد الله بن مُطيع . ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم وكان على مجنبتهم ضُبير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة فكرّ وكرّ الناس معهُ فقاتلوا قليلًا ثم انهزموا فلم يبعدوا حتى كرّوا ثالثة . وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تُبقِ منهم باقية . فقال له عليّ بن الحصين : اتبع القوم أو دعني اتبعهم فاقتل المدبر وأُذفف على الجريح فان هؤلاء أشرّ علينا من أهل الشأم فلو قد جاءوك غدًا لرأيت من هؤلاء ما تكره . فقال : لا افعل ولا أُخالف سيرة أسلافنا . وأُخذ جماعة منهم اسراء فأراد اطلاقهم . فمنعهُ عليّ بن الحصين وقال له : ان لأهل كل زمان سيرة وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب وانما أُسروا وهم يقاتلون ولو قُتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم وكذلك الآن قتلهم حلال . فدعا بهم فكان اذا رأى رجلًا من الانصار أطلقهُ . فأُتي بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبه . فقال : أنا رجل من الانصار . فسأل الانصار عنهُ فشهدوا له فأطلقهُ فلما ولّى قال : والله اني لأعلم انهُ قرشي وما حذاوة هذا حذاوة انصاري ولكن قد أطلقتهُ . (قال) وبلغت قتلى قديد الفين ومائتين وثلاثين رجلًا منهم من قريش اربعمائة وخمسون رجلًا ومن الانصار ثمانون ومن القبائل

والموالي الف وسبعمائة . (قال) وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزّى اربعون رجلًا . وقتل يومئذٍ أميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج يومئذٍ مقنعًا فما كلّم احدًا وقاتل حتى قُتل . وقُتل يومئذٍ سمي مولى أبي بكر الذي يروي عنه مالك بن انس . ودخل بلج المدينة بغير حرب فدخلوا في طاعته وكفّ عنهم . ورجع ابو حمزة الى مكة وكان على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سراقة من بني عديّ . فكان أهل المدينة يقولون : لعن الله السراقي ولعن بلجًا العراقي . وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمان وما ليهْ ... أفنت قديد رجاليهْ
فلأبكينّ سريرةً ... ولابكينّ علانيهْ
ولابكينّ اذا خلوتُ ... مع الكلاب العاويهْ
ولأثنينّ على قديدٍ ... بسوء ما ابلانيهْ

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأمر مكة ودخولهم اياها وأنشدنيها الاخفش عن السكري والاحول وثعلب لعمرٍو هذا وكان يستجيدها ويفضلها :

ما بال همّك ليس عنك بعازبِ ... يمري سوابق دمعك المتساكبِ
وتبيت تكتلئ النجوم بمقلةٍ ... عبرى تسرُّ بكل نجمٍ دائبِ
حذر المنية ان تجيء بداهةً ... لم اقض من تبع الشراة مآربي
فأقود فيهم للعدا شبج النسا ... عبل الشوى اسوان ضمر الحالبِ
متحدرًا كالسيد اخلص لونهُ ... ماء الحسيك مع الجلال اللاتبِ
أرمي بهِ من جمع قومي معشرًا ... بورًا الى جبرية ومعايب

في فتيةٍ صبرٍ أُلَفّهُمُ بهِ لفَّ القداح يد المفيض الضاربِ
فندور نحن وهم وفيها بيننا كأس المنون تقول هل من شاربِ
فنظلّ نسقيهم ونشرب من قنى سمر ومرهفة النصول قواضبِ
بينا كذلك نحن جالت طعنة نجلاء بين لها وبين ترائبِ
جوفاء منهرة ترى تامورها ظبتا سنان كالشهاب الثاقبِ
أهوي لها شقّ الشمال كأنني خفض لقى تحت العجاج العاصبِ
يا ربّ ارحيها ولا تتعاقنْ تقسي المنون لدى اكفّ قرائبِ
كم من أُولى مقة صحبتهمُ شروا فخذلتهم ولبئس فعل الصاحبِ
متأوّهين كأن في اجوافهم نارًا تسعرها اكفّ حواطبِ
تلقاهمُ فتراهمُ من راكعٍ أو ساجدٍ متضرّعٍ أو ناحبِ
يتلو قوارع تمتري عبراتهُ فيجودها مري المريء الحالبِ
سُبرٍ لجائفة الامور اطبة للصدع ذي النبإ الجليل مداثبِ
ومبرّئين من المعايب أحرزوا خصل المكارم اتقياء اطايبِ
عدّوا صوارم للجلاد وباشروا حدّ الظباء بآنُفٍ وحواجبِ
ناطوا امورهمُ بامراخ لهم فرمى بهم قحم الطريق اللاحبِ
متسربلي حلق الحديد كأنّهم أُسد على لحق البطون سلاهبِ
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل تنفي عداها جانبًا عن جانبِ
تحمي أعنتها وتحوي نهبها لله أكرم فتية وأشايبِ
حتى وردنَ حياض مكة قُطّنًا يحكين واردة اليمام القاربِ
ما ان أتين على أخي جبرية الّا تركنهمُ كأمس الذاهب
في كل معتركٍ لها من هامهم فلق وأيدٍ علقت بمناكبِ

سائل بيوم قديد عن وقعاتها　　تخبرك عن وقعاتها بعجائب

ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ومضى عبد الواحد بن سليمان الى الشأم. وأحسن ابو حمزة السيرة في اهل المدينة حتى استمال الناس. قال هرون: وحدّثني داود بن عبد الله بن ابي الكرام انّ ابا حمزة بلغهُ انّ اهل المدينة يعيبون اصحابهُ لحداثة اسنانهم وخفّة احلامهم فبلغهُ ذلك عنهم فصعد المنبر وعليهِ كساء غليظ وهو متنكب قوساً عربية فحمد الله وأثنى عليهِ وصلّى على نبيّهِ (صلعم) وآلهِ ثم قال: يا أهل المدينة قد بلغتني مقالتكم في أصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلّة عقولكم لأحسنت آدابكم. ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله المذكورون في الخير الّا احداثاً شباباً. والله مكتهلون في شبابهم. غضيضة عن الشرّ أعينهم. ثقيلة عن الباطل أرجلهم. انضاء عبادة قد نظر الله اليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على اجزاء القرآن كلما مرّ احدهم بآية من ذكر الله بكى شوقاً. وكلما مرّ بآية من ذكر الله شهق خوفاً كأنّ زفير جهنم بين اذنيه. قد أكلت الارض جباههم وركبهم. ووصلوا كلال الليل بكلال النهار. مصفرّة ألوانهم. ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام. انضاء عبادة مُوفون بعهد الله. منتجزون لوعد الله. قد شروا انفسهم حتى اذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفوّقت سهامها وأشرعت رماحها لقوا شبا الاسنّة وشائك السهام وظباء السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم. فمضى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينهُ بالثرى وانحطت عليهِ الطير من السماء وتمزّقتهُ سباع الارض. فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله.

وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعمـد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الاخوان . رحمة الله على تلك الابدان . وأدخل الله أرواحهم الجنان . ثم خرج وخلف بالمدينة بعض اصحابه . فسار حتى نزل الوادي . ثم انّ مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم ابن عطيـة فأمره بالجدّ في السير وأعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار وفرساً عربياً وبغلاً لثقله وأمرهُ ان يمضي فيقاتلهم . وكان فيهم الف من اهل الجزيرة فشرطوا على مروان انهم اذا قتلوا عبد الله بن يحيي وأصحابه رجعوا الى الجزيرة ولم يقيموا بالحجاز . فاجابهم الى ذلك . (قالوا) فخرج حتى اذا نزل بالمعلّى فكان رجل من اهل المدينة يقال لهُ العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول : لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من اصحاب ابن عطية فسألني : ما اسمك يا غلام . فقلت : العلاء . فقـال : ابن من . فقلت : ابن افلح . قال : أعربيّ أمْ مولًى . قلت : بل مولًى . قال : مولى من . قلت : مولى أبي الغيث . قال : فأين نحن . قلت : بالمعلى . قال : فأين نحن غدًا . قلت : بغالب . (قال) فما كلّمني حتى أردفني خلفهُ ثم مضى بي حتى ادخلني على ابن عطية فقال : سل هذا الغلام ما اسمه . فسألني فرددت عليه القول الذي قلت . فسُرَّ بذلك ووهب لي دراهم . وقال ابو صخر الهذلي حين بلغهُ قدوم ابن عطية :

قل للذين استُضعفوا لا تعجلوا ... اتاكم النصر وجيش جحفلُ
عشرون الفًا كلهم مسربلُ ... يقدمهم جلد القوى مستبسلُ
دونكمُ هذا يمين فاقبلوا ... وواجهوا القوم ولا تستنجلوا
عبـد المليك القلـبيّ الحوّلُ ... اقسم لا يفـلي ولا يرجّلُ

حتى يَبيد الاعور المضلّلُ(١)   ويُقتل الصبّاح والمفضّلُ

قال المدائني : وبعث ابو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطية . فلقيه بوادي القرى لايام خلت من جمادى الاولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا . ودعاهم بلج الى الكتاب والسنّة وذكر بني أمية وظُلمهم . فشتمهم أهل الشأم وقالوا : انتم يا اعداء الله أحقّ بهذا ممن ذكرتم وقلتم . فحمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف طائفة من اهل الشأم وثبت ابن عطية في الحفاظ وقال : ناضلوا عن دينكم وأميركم . فكرّوا واصبروا صبرًا حسنًا وقاتلوا قتالًا شديدًا . فقُتل بلج واكثر أصحابه وانحازت قطعة من اصحابه نحو المائة الى جبل اعتصموا بهِ . فقاتلهم ابن عطية ثلاثة ايام فقتل منهم سبعين رجلًا . ونجا ثلاثون فرجعوا الى ابي حمزة . ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح . (قال) واغتمّ الذين رجعوا الى ابي حمزة من وادي القرى الى المدينة وهم الثلاثون ورجعوا وجزعوا من انهزامهم وقالوا : فررنا من الزحف . فقال لهم ابو حمزة : لا تجزعوا فانا لكم فئة والّي انصرفتم . قال المدائني : وخرج ابو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلًا يقال لهُ المفضل عليها . فدعا عمر بن عبد الرحمن الناس الى قتالهم . فلم يجد كبير امر لانّ القتل قد كان شاع في الناس . وخرج وجوه اهل البلد عنهُ . فاجتمع الى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامّة أصحابه وهرب الباقون فلم يبقَ بالمدينة منهم أحد . فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي :

ليت مروان رآنا   يوم الأثنين عشيهْ

---

(١) الاعور عبد الله بن يحيى رئيس الخوارج

اذ غسلنا العارعنا   وانتضينا المشرفيهْ

(قال) فلما قدم ابن عطية المدينة أتاهُ عمر بن عبد الرحمن بن أسيد فقال لهُ: اصلحك الله اني جمعت قضّي وقضيضي فقاتلت هؤلاء فقتلت من امتنع من الخروج واخرجنا الباقي فلقيه اهل المدينة بقضّهم وقضيضهم. (قال) وأقام ابن عطية بالمدينة شهرًا وابو حمزة مقيم بمكة ثم توجه اليهِ. فقال لهُ عليّ ابن حضين العنبري: اني قد كنت أشرت عليك يوم قديد وقبلهُ ان تقتل هؤلاء الاسرى كلهم فلم تفعل وعرّفتك انهم سيغدرون فلم تقبل حتى قتلوا المفضلَ واصحابنا المقيمين بالمدينة. وأنا اشير عليك اليوم ان تضع السيف في هؤلاء فانهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا اشدّ عليك منهُ. فقال: لا ارى ذلك لانهم قد دخلوا في الطاعة وأقرّوا بالحكم ووجب لهم حقّ الولاية. قال: انهم سيغدرون. فقال: ابعدهم الله. مَن نكث فانما ينكث على نفسهِ. (قال) وقدم عبد الملك بن عطية مكة فصيّر أصحابهُ فرقتين ولقي الخوارج من وجهين فصيّر طائفة بالابطح وصار هو في الطائفة الاخرى بازاء ابي حمزة. فصار ابو حمزة اسفل مكة وصيّر ابرهة بن الصباح بالابطح في ثمانين فارسًا. فقاتلهم ابرهة فانهزم اهل الشام الى عقبة منًى فوقفوا عليها ثم كرّوا. وقاتلهم فقُتل ابرهة كمنَ لهُ هبار القرشي وهو على جبل دمشق عند بئر ميمون فقتلهُ. وتفرّق الخوارج وتبعهم اهل الشام يقتلونهم حتى دخلوا المسجد. والتقى ابو حمزة وابن عطية باسفل مكة. فخرج اهل مكة مع ابن عطية . فقُتل ابو حمزة عند فم الشعب وقُتلت معهُ امرأتهُ وهي ترتجز وتقول:

أنا الجعيداء وبنت الاعلمْ   من سال عن إسمي فاسمي مريمْ

بعت سواريَّ بسيفٍ مخذمْ

(قال) وتفرّقت الخوارج فأسر اهل الشـام منهم اربعمائة فدعا بهم ابن عطية فقال: ويلكم ما دعاكم الى الخروج مع هذا . قالوا: ضمن لنا الكنّة يريدون الجنة وهي لغتهم . فقتلهم وصلب ابا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من اصحابهم على فم الشعب شعب الخيف . ودخل عليُّ بن الحصين دارًا من دور قريش . فأحدق اهل الشام بالدار فأحرقوها . فلما رأى ذلك رمى بنفسـهِ من الدار فقاتلهم وأُسر فقُتل وصلبِ مع ابي حمزة . ولم يزالوا مصلّـبين حتى أفضى الامر الى بني العبـاس وحجّ مهلهل الهجيمي في خلافة ابي العباس فأنزل أبا حمزة ليلًا فدفنهُ ودفن خشبتهُ

وأتى فلّ ابي حمزة الى عبد الله بن يحيي بصنعاء . فأقبل معهُ اصحابه وقد لقبوه طالب الحقّ يريد قتال ابن عطية . وبلغ ابن عطية خبره فشخص اليهِ فالتقوا بكسة . فأكثر اهل الشام القتل فيهم واخذ اثقالهم واموالهم وتشاغلوا بالنهب . فركب عبد الله بن يحيي فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل وقتل قائدًا من قوادهم يقال لهُ يزيد بن حمل القشيري من اهل قنّسرين . فدمّرهم ابن عطيـة فكرّوا وانضمّ بعضهم الى بعض وقاتلوا حتى امسوا . فكفّ بعضهم عن بعض . ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحرّ القتل في الشراة . فترجل عبـد الله بن يحيي في الف فارس فقاتلوا حتى قُتلوا جميعًا عن آخرهم . وانهزم البـاقون فتفرّقوا في كل وجه ولحق من نجا منهم بصنعاء وولّوا عليهم حمامة . فقـال ابو صخر الهذليّ:

قتلنا دعيسًا والذي يكتني الكُنى ابا حمزة الغاوي المضلّ اليمانيـا

وابرهة الكنديّ حاضت رماحنا   وبلجًا صبحناه الحتوف القواضيا
وما تركت اسيافنا منذ جُرّدت   لمروان جبارًا على الارض عاديا

قال المدائني: وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد الله بن يحيي مع ابنه يزيد بن عبد الملك الى مروان. وقال عمرو بن الحصين (ويقال للحسن العنبري مولًى لهم) يرثي عبد الله بن يحيي وأبا حمزة:

هبّت قبيل تبلّج الفجرِ   هند تقول ودمعها يجري
ان ابصرت عيني مدامعها   ينهلُّ واكفها على النحرِ
أنّى اعتراك وكنت عهديَ لا   سَرِبَ الدموع وكنت ذا صبرِ
أقذًى بعينك لا يفارقها   ام عائرٌ ام ما لها تدري
ام ذكر اخوانٍ فجعت بهم   سلكوا سبيلهمُ على خبرِ
فأجبتها بل ذكر مصرعهم   لا غيرهُ عبراتها يَمري
يا ربّ اسلكني سبيلهمُ   ذا العرش واشدد بالتقى أزري
في فتية صبروا نفوسهمُ   للمشرفيّة والقنا السمرِ
تالله الفى الدهرَ مثلهمُ   حتى اكون رهينة القبرِ
اوفى بذمتهم اذا عقدوا   وأعفّ عند العسر واليسرِ
متأهّلين لكل صالحة   ناهون من لاقوا عن النكرِ
صمت اذا احتضروا مجالسهم   وُزُنٍ لقول خطيبهم وُقُرِ
إلّا تجيبهمُ فانهمُ   رجف القلوب بحضرة الذكرِ
متأوّهون كأنّ جمر غضًا   للخوف بين ضلوعهم يسري
تلقاهمُ الّا كأنّهمُ   لخشوعهم صدروا عن الحشرِ
فهمُ كأنّ بهم جوى مرضٍ   أو مسّهم طرف من السحرِ

لا ليلهم ليل فيلبسهم فيهِ غواشي النوم بالسكرِ
الّا كذا خُلَساً وآونة حذر العقاب وهم على ذعرِ
كم من اخ لك قد فجعت بهِ قوّام ليلتهِ الى الفجرِ
متأوّه يتلو قوارع من آي القران مفزّع الصدرِ
نصب تجيش بنات مهجتهِ من خوف جيش مشاشة القدرِ
ظمآن وقدة كل هاجرة تّراك لذتهِ على قدرِ
تّراك ما تهوى النفوسُ اذا رُغب النفوس دعت الى النذرِ
والمصطلي بالحرب يسعرها بغبارها وبفتية سعرِ
يجتاحها بأفلّ ذي شطب عضب المضارب قاطع البترِ
لا شيء يلقاهُ أسرّ لهُ من طعنة في ثغرة النحرِ
منهرّة منهُ تجيش بما كانت عواصي جوفه تجري
كخليلك المختار أذكِ بهِ من مغتدٍ في الله او مسرِ
خوّاض غمرة كل متلفة في الله تحت العثير الكدرِ
تّراك ذي النخوات مختضباً بنجيعهِ بالطعنة الشزرِ
وابن الحصين وهل لهُ شبهٌ في العرف انّى كان والنكرِ
بشهامة لم تحن أضلعهُ لذوي اخوّتهِ على غمرِ
طلق اللسان بكل محكمة رأّاب صدع العظم ذي الوقرِ
لم ينفكك في جوفهِ حزن تغلي حرارتهُ وتستشري
ترقى وآونة يخفضها بتنفس الصعداء والزفرِ
ومخالطي بلج وخالصتي سمّ العدوّ جابر الكسرِ
نكل الخصوم اذا همُ شغبوا وسداد ثلمة عورة الثغرِ

والخائض الغمرات يخطر في ... وسط الاعادي ايما خطر
بشطب أو غير ذي شطب ... هامَ العدا بذبابهِ يفري
وأخيك أبرهة الهجان أخي م ... لحرب العوان ملقح الجمرِ
برشة فرع تمجُّ دماً ... مجّ الغويّ سلافة الخمرِ
والضارب الاخدود ليس لها ... أحد ينهنهها عن السمرِ
ووليّ حكمهم فجعت بهِ ... عمرو فوا كبدي على عمرِو
قوّال محكمة وذي فهمٍ ... عفّ الهوى متثبت الامرِ
ومسيب فاذكر وصيتهُ ... لا تنسَ إما كنت ذا ذكرِ
فكلاهما قد كان محتسباً ... لله ذا تقوى وذا برِّ
في مخبتين ولم اسمّهمِ ... كانوا يدي وهم اولو نصري
وهمُ مساعر في الوغى رجح ... وخيار من يمشي على العفرِ
حتى وفوا لله حيث لقوا ... بعهود لا كذبٍ ولا غدرِ
فتخالسوا مهجات انفسهم ... وعداتهم بقواضب بترِ
واسنّة يُثنَين في لدنٍ ... خطّيّة بأكفهم زهرِ
تحت العجاج وفوقهم خرق ... تخفقنَ من سودٍ ومن حمرِ
فتفرّجت عنهم كأنهمُ ... لم يغمضوا عيناً على وترِ
فشعارهم نيران حربهمِ ... ما بين أعلى الشحر فالحجرِ
صرعى مخاجلة تنوبهمُ ... وجوامع لحماتهم تفري

قال المدائني: وكتب مروان الى ابن عطية يامره بالمسير الى صنعاء ليقاتل من بها من الخوارج . فاستخلف ابنهُ محمد بن عبد الملك على مكة وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية وتوجه الى صنعاء . ورجع اهل الجزيرة

جميعاً الى بلدهم وكذلك كان مروان شرط لهم · فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبيد الله بن يحيي عنها · فأخذ اثقالهُ وحملين من مال كان معهُ اهل صنعاء فسلموا ذلك الى ابن عطية · وتتبع اصحاب عبد الله بن يحيي في كل موضع يقتلهم وأقام بصنعاء أشهراً · ثم خرج عليهِ رجل من اصحاب عبيد الله ابن يحيي في آل ذي الكلاع يقال لهُ يحيي بن عبد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند · فبعث اليهِ ابن عطية ابن اخيهِ عبد الرحمن بن يزيد بن عطية فلقيهُ بالحرب فهزمهُ وقتل عامة اصحابه وهرب منهُ فنجا · وخرج عليهِ يحيي بن كرب الحميري بساحل البحر وانضمت اليهِ شذاذ الاباضيّة · فبعث اليهِ ابا اميّة الكندي في الوضاحية فالتقوا بالساحل فقتل من الاباضية نحو مائة رجل وتحاجزوا عند المساء فهربت الاباضية الى حضرموت وبها عامل لعبد الله بن يحيي يقال لهُ عبد الله بن معبد الجرمي فصار في جيش كثير واستفحل امره · وبلغ ابن عطية الخبر فاستخلف ابن اخيهِ عبد الرحمن بن يزيد ابن عطية على صنعاء وشخص الى حضرموت · وبلغ عبد الله بن معبد مسير عبد الملك اليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون اليهِ في مدينة سنام وهي حصين حضرموت مخافة الحصار ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة فخرجوا حتى نزلوا على اربع مراحل من حضرموت في عدد في فلاة · وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومهُ كلّهُ · فلما امسى وقد بلغهُ ما جمعوا في سنام حدّر عسكره في بطن حضرموت الى السنام ليلاً ثم اصبح فقاتلهم حتى انتصف النهار · ثم تحاجزوا · فلما امسوا تبع عسكره وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم اثرًا فاتبعوهم وقد سبقوهم الى الحصين فأخذوا جميع ما فيهِ وملكوه · ونصب ابن عطية عليهم المسالح وقطع عنهم المادة والميرة وجعل يقتل من يقدر عليهِ

ويسبي ويأخذ الاموال . ثم ورد عليهِ كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل الى مكة ليحجّ بالناس . فصالح اهل حضرموت على ان يردّ عليهم ما عرفوا من اموالهم ويولّي عليهم من يختــارون وسالموه . فرضي بذلك وسالمهم وشخص الى مكة متعجلًا مخفًّا . ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بايام وقال : انّا لله قتلتُ والله ابنَ عطية هو الآن يخرج مخفًا متعجلًا ليلحق الحج فيقتلهُ الخوارج . فكان كما قال تعجل في بضع عشرة رجلًا فلما كان بأرض مراد تلففت عليهِ جماعة فمن كان من تلك الجماعة اباضيًّا عرفهُ . فقال : ما ننتظر بهذا ان ندرك ثأر اخواننا فيهِ . ومن لم يكن اباضيا ظنهُ من الاباضيــة وانهُ منهزم . فلما علم انهم يريدونهُ قال لهم : ويحكم انا عامل امير المؤمنين على الحجّ . فلم يلتفتوا الى ذلك وقتلوه ونصبت الاباضية رأسهُ . فلمــا فتشوا متاعهُ وجدوا فيــهِ الكتاب بولايتهِ على الحج فأخذوا من الاباضيَّة رأسه ودفنوه مع جسده

وبلغ ابن اخيهِ وهو بصنعــاء خبره فأرسل شعيبــًا البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النســاء وأخذ الاموال وأخرب القرى وجعل يتتبع البري والنطف حتى لم يبقَ احد من قتلة ابن عطية ولا من الاباضيَّة الّا قتلهُ ولم يزل مقيمًا باليمن الى ان أفضى الامر الى بني هاشم وقام بالامر ابو العباس السفَّاح

تمَّ الجزء الثاني بحولهِ تعالى

فهرس